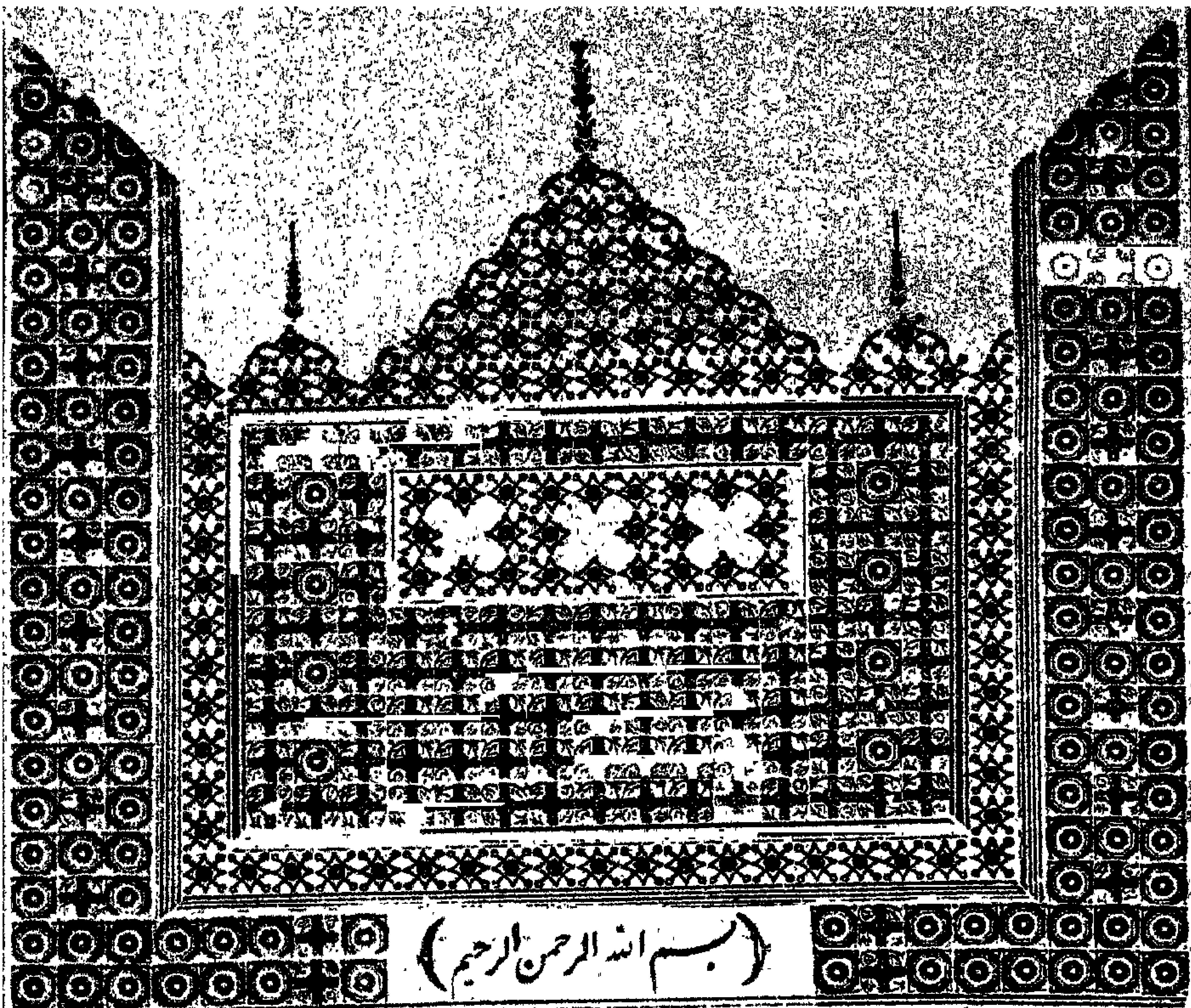
فهرسة الجزء الرابع من تفسير العلامة الخطيب الشربيني

(تمت)

الجزء الرابع من السراج المنير في الاعانة على معرفة
بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير

للشيخ الامام الخطيب الشربيني
قدس الله روحه وعمّ
بالرحمة ضريحه
آمين

وبهامشه فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الاسلام ومحقق الانام الحبر الفاضل والبحر الوافر الكامل الامام أبي يحيى زكريا الانصاري تغمده الله تعالى برحمته وأفاض علينا من سيب فضله الجاري



سورة الاحقاف مكية

الا قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية والا فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل الآية والا ووصينا الانسان بوالديه الثلاث آيات وهى خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا (بسم الله) الذى لايذل من والى ولايعز من عادى (الرحمن) الذى سبقت رحمته غضبه (الرحيم) الذى خص حزبه بعمل الابرار والفوز فى دار القرار وتقدم الكلام على قوله تعالى (حم) مرارا وقرأ ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائى بامالة الحاء محضة وقرأ ورش وأبو عمرو بامالتها بين بين وفتحها الباقون وقيل المراد بهم حكمة محمد صلى الله عليه وسلم التى هى النهاية فى الصواب والسداد أحكمها الذى أحاطت قدرته فهو لايخلف الميعاد وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) اى الجامع لجميع الخيرات بالتدريج على حسب المصالح (من الله) اى الجبار المتكبر المختص بصفات الكمال (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه لانه لم يفعل شيأ الا فى أوفق محاله وأنه الخالق للخير والشر وأنه يعز أولياءه ويذل اعداءه (ماخلقنا) اى على مالنا من العظمة الموجبة للتفرد بالكبرياء (السموات والارض) على مافيهما من الآيات (ومابينهما الا) خلقا ملتبسا (بالحق) اى الامر الثابت من القدرة التامة والتصرف المطلق ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا (وأجل) اى وبتقدير أجل (مسمى) ينتهى اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) اى خوفوا به من القرآن من هول ذلك اليوم الذى لابد لكل خلق من انتهائه اليه (معرضون) اى لايؤمنون به ولايهتمون للاستعداد له ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أى لهؤلاء المعرضين أنفسهم لغاية الخطوب منكرا عليهم تبكيتا وتوبيخا

(سورة الاحقاف)
(قوله ولكل درجات مما عملوا) ان قلت كيف وصف الفريقين بان لكل منهما درجات مع ان أهل النار لهم دركات لادرجات (ذات) الدرجات

(أرأيتم) أي أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل ورؤية باطنة (ما تدعون) أي تعبدون ثم نبه على سفولهم بقوله تعالى (من دون الله) أي الملك الأعظم الذي كل شيء دونه فلا كفء له مفعول أول وقوله تعالى (أروني) أي أخبروني تأكيد وقوله (ماذا خلقوا) مفعول ثان وقوله تعالى (من الأرض) بيان لما أي ليصح ادعاء أنهم شركاء فيها باختراع ذلك الجزء (أم لهم) أي الذين تدعونهم (شرك) أي مشاركة (في) خلق (السموات) أي بنوع من أنواع الشركة مع الله تعالى وأم بمعنى همزة الإنكار * ولما كان الدليل أحد شيئين سمع وعقل قال تعالى (ائتوني بكتاب) أي منزل على دعواكم في هذه الأصنام أنها خلقت شيئا أو أنها تستحق أن تعبد *(تنبيه)* أبدل ورش والسوسي الهمزة من ائتوني في الوصل ياء وحققها الباقون وأما الابتداء بها فجميع القراء أبدلوها ياء بعد الابتداء بهمزة الوصل مكسورة (من قبل هذا) أي القرآن الذي أنزل علي كالتوراة والإنجيل والزبور وهذا من أعلام النبوة فإنها كلها شاهدة بالوحدانية لو أتى بها آت لشهدت عليه * ولما ذكر تعالى الأعلى الذي لا يجب التكليف إلا به وهو النقل القاطع سهل عليهم فنزل إلى ما دونه فقال (أو أثارة) أي بقية (من علم) يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها تقربكم إلى الله تعالى وقال المبرد أثارة ما يؤثر من علم كقولك هذا الحديث يؤثر عن فلان ومن هذا المعنى سميت الأخبار بالآثار يقال جاء في الأثر كذا وكذا وقال الواحدي وكلام أهل اللغة في هذا الحرف يدور على ثلاثة أقوال الأول الأثارة واشتقاقها من أثرت الشيء أثيره أثارة كأنها بقية تستخرج فتثار والثاني من الأثر الذي هو الرواية والثالث من الأثر بمعنى العلامة وقال الكلبي في تفسير الأثارة أي بقية من علم يؤثر عن الأولين أي يسند إليهم وقال مجاهد وعكرمة ومقاتل رواية عن الأنبياء قال الرازي وههنا قول آخر أو أثارة من علم هو علم الخط الذي يخط في الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه علم علمه فعلى هذا الوجه معنى الآية ائتوني بعلم من قبل هذا الخط الذي تخطونه في الرمل يدل على صحة مذهبكم في عبادة الأصنام فإن صح تفسير الآية بهذا الوجه كان ذلك من باب التهكم بهم وبأقوالهم ودلائلهم ثم أشار إلى تقريعهم بالكذب إن لم يقيموا دليلا على دعواهم بقوله (إن كنتم صادقين) أي عريقين في الصدق على ما تدعون لأنفسكم * ولما أبطل سبحانه قولهم في الأصنام بعدم قدرتهم أتبعه إبطاله بعدم علمها بقوله تعالى (ومن أضل) وهو استفهام بمعنى النفي أي لا أحد أضل (ممن يدعوا) أي يعبد ما لا قدرة له ولا علم ومن انتفت قدرته وعلمه لم تصح عبادته بديهة العقل وأرشد إلى سفولها بقوله عز وجل (من دون الله) أي من أدنى رتبة من رتب الذي له صفات الكمال فهو يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء فهو بحيث يجيب الدعاء ويكشف البلاء ويحقق الرجاء إذا شاء ويدبر عبده بما يعلم من سره وعلنه بما لا يقدر هو على تدبير نفسه به ويريد العبد في كثير من الأشياء لو وكل فيه إلى نفسه وأجيب إلى طلبته كان فيه حتفه فيدبره سبحانه بما يشتد كراهته له فيكشف الحال على أنه لم يكن له فرج إلا فيه (من لا يستجيب له) أي لا توجد الإجابة ولا يطلب إيجادها من الأصنام وغيرها لأنه لا أهلية له لذلك والمعنى أنه لا أحد أبعد عن الحق وأقرب إلى الجهل ممن يدعو من دون الله الأصنام فيتخذها

هي الطبقات من المراتب مطلقا أو فيه إضمار تقديره ولكل فريق درجات أو دركات لكن حذف الثاني اختصارا لدلالة المذكور عليه
(قوله فأتنا بما تعدنا إن

آلهة ويعبدها وهي إذا دعيت لا تسمع ولا تجيب لا في الحال ولا في المآل (إلى يوم القيامة) وإنما جعل ذلك غاية لأن يوم القيامة قد قيل إن الله تعالى يحييها ويخاطب من يعبدها فلذلك جعله الله تعالى حدا وقيل المراد عبدة الملائكة وعيسى وأنهم يوم القيامة يظهرون عداوة هؤلاء العابدين (وهم عن دعائهم) أي دعاء المشركين إياهم (غافلون) أي لهم هذا الوصف لا ينفكون عنه لا يعلمون من يدعوهم ومن لا يدعوهم وعبر بالغفلة التي هي من أوصاف العقلاء للجماد تغليبا إن كان المراد أعم من الأصنام وغيرها مما عبد وممن عقلاء الإنس وغيرهم ولما غيا سبحانه بيوم القيامة فأفهم أنهم يستجيبون لهم فيه بين ما يحاورونهم به إذ ذاك فقال تعالى (وإذا حشر) أي جمع بكره على أيسر وجه وأسهل أمر (الناس) أي يوم القيامة (كانوا) أي المدعوون (لهم) أي الداعين (أعداء) ويعطيهم الله تعالى قوة الكلام فيخاطبونهم بكل ما يخاطب به العدو عدوه (وكانوا) أي المعبودون (بعبادتهم) أي الداعين وهم المشركون إياهم (كافرين) أي جاحدين لأنهم كانوا عنها غافلين كما قال تعالى في سورة يونس عليه السلام وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ثم بين تعالى أنهم في نهاية العداوة بإنكار ما لا شيء أبين منه بقوله سبحانه (وإذا تتلى) أي تقرأ من أي قارئ كان على وجه المتابعة (عليهم) أي هؤلاء البعداء البغضاء (آياتنا) التي لا أعظم منها في أنفسها بإضافتها إلينا وهي القرآن وقوله تعالى (بينات) أي ظاهرات حال قالوا هكذا كان الأصل ولكنه تعالى بين الوصف الحامل لهم على القول فقال عز وجل (قال الذين كفروا) أي ستروا تلك الأنوار التي أبرزتها تلك التلاوة إظهارا هكذا كان الأصل ولكن قال تعالى (للحق) أي لأجله (لما) أي حين (جاءهم) أي من غير نظر وتأمل (هذا) أي الذي يتلى (سحر) أي خيال لا حقيقة له (مبين) أي ظاهر في أنه خيال باطل وقوله تعالى (أم يقولون افتراه) إضراب عن ذكر تسميتهم إياه سحرا إلى ذكر ما هو أشنع وإنكاره وتعجيب ثم بين تعالى بطلان شبهتهم بقوله تعالى (قل) أي لأشرف خلقه (إن افتريته) أي تعمدت كذبه على زعمكم وأنا إنما أريد به نصيحتكم فالذي افتريه عليه وأنسبه إليه قادر على ذلك ولا يقرني أصلا وذلك هو معنى قوله (فلا تملكون) أي أيها المعوضون بوجه من الوجوه ولا في وقت من الأوقات (لي من الله) أي الملك الأعظم الحليم (شيئا) من الأشياء [illegible] عني عقابه لأن الله لا يقر من كذب عليه مطلق كذب فكيف من يتعمد الكذب عليه في الرسالة [illegible] صناعة وصنعا فأي حامل لي حينئذ على افترائه ثم عال ما أفاده الكلام من وجوب الانتقام بقوله (هو) أي الله سبحانه (أعلم) أي منكم ومن كل أحد (بما تفيضون فيه) أي تخوضون وتندفعون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه بأنه سحر (كفى به شهيدا) أي شاهدا [illegible] إذ لأنه أعلم بجميع أحوالنا (بيني وبينكم) أي أن القرآن جاء من عنده يشهد لي بالصدق ولكم بالكذب وقد شهد بصدقي بعجزكم عن معارضة شيء من هذا الكتاب الذي أتيت به فثبت بذلك أنه كلامه لأني لا أقدر على ما تقدرون عليه فرادى ولا مجتمعين [illegible] وفيكم أئمة الكتبة والذين خاضوا في العلوم والأحاديث [illegible] العجم فظهر بذلك ظهور الشمس أنكم كاذبون (وهو) أي وحده (الغفور) [illegible] هو الذنوب بأعيانها وآثارها فلا يعاقب عليها ولا يعاتب (الرحيم) أي الذي يكرم [illegible]

كنت من الصادقين قال إنما العلم عند الله) وجه مطابقة الجواب فيه أن قولهم متضمن لاستعجالهم العذاب الذي توعدهم به

ويتفضل بالتوفيق لما يرضيه قال الزجاج هذا دعاء الى التوبة ومعناه غفور لمن تاب منكم رحيم به * ولما حكى تعالى طعنهم في كون القرآن معجزا بقولهم انه يختلقه من عند نفسه ثم ينسبه الى انه كلام الله تعالى على سبيل الفرية حكى عنهم شبهة أخرى وهو انهم كانوا يقترحون عليه معجزات عجيبة ويطالبونه بان يخبرهم عن المغيبات فاجاب الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل (قل) اى لهؤلاء الذين نسبوك الى الافتراء (ما كنت) اى كونا ما (بدعا) اى منشئا مبتدعا محدثا مخترعا بحيث أكون أجنبيا منقطعا (من الرسل) اى لم يتقدم لى منهم مثال فى أصل ما جئت به وهو التوحيد ومحاسن الاخلاق بل قد تقدمنى رسل كثيرون أتوا بمثل ما أتيت به ودعوا اليه كما دعوت اليه وصدقهم الله تعالى بمثل ما صدقنى به فثبت بذلك رسالتهم وسعد بهم من صدقهم من قومهم وشقى من كذبهم فانظر والى آثارهم واسألوا عن سيرهم من أتباعهم وأنصارهم وأشياعهم *(تنبيه)* البدع والبديع من كل شئ المبدأ والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا قبله وفى الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار قال البقاعى بعد ما والله أعلم أنه يبتدع ما يخالف السنة اذا كانت البدعة ضد السنة فان أحدث ما يخالفها كان باحداثه ضالا مشركا وكل ما أحدث فى النار ولم يدخل تحت هذا ما يخترعه الانسان من أفعال البر ما يسمى بدعة لعدم فعله قبل ذلك فيخرج عما ذكر اه وقال ابن عبد السلام البدعة منقسمة الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة قال والطريق فى ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فان دخلت فى قواعد الايجاب فهى واجبة كالاشتغال بعلم النحو أو فى قواعد التحريم فمحرمة كمذهب القدرية والمجسمة والرافضة قال والرد على هؤلاء من البدع الواجبة أو فى قواعد المندوب فمندوبة كبناء الربط والمدارس وكل احسان لم يحدث فى العصر الاول كصلاة التراويح أو فى قواعد المكروه فمكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف أو فى قواعد المباح فمباحة كالمصافحة عقب الصبح والعصر والتوسع فى المآكل والملابس وروى البيهقى باسناده فى مناقب الشافعى رضى الله تعالى عنه انه قال المحدثات ضربان أحدهما ما خالف كتابا أو سنة أو اجماعا فهو بدعة وضلالة والثانى ما أحدث من الخير فهو غير مذموم واختلف فى تفسير قوله تعالى عن قوله عليه الصلاة والسلام (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) على وجهين أحدهما أن يحمل ذلك على أحوال الدنيا والثانى أن يحمل على أحوال الآخرة أما الاول ففيه وجوه أحدها ان المراد لا أدرى ما يصير اليه أمرى وأمركم ومن الغالب منا ومن المغلوب ثانيها قال ابن عباس فى رواية الكلبى لما اشتد البلاء باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بمكة رأى فى المنام انه يهاجر الى أرض ذات نخل وشجر وماء فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا ان ذلك فرج مما هم فيه من أذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذى قلت متى تهاجر الى الارض التى رأيتها فى المنام فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم وهو شئ رأيته فى المنام (ان) اى ما (أتبع) اى بغاية جهدى وجدى (الا ما) اى الذى (يوحى) اى يجدد القاؤه (الى) من لا يوحى شئ سواه على سبيل التدريج لا اطلاع لى على شئ منه من دون اطلاعه غيرى ثالثها قال الضحاك لا أدرى ما تؤمرون به

بقرينة قوله بل هو ما استعجلتم به فاجابهم بانه لا علم له بوقت تعذيبهم بل الله تعالى هو العالم به وحده (قوله تدمر كل

ولا ما أومر به من التكاليف والشرائع ولا من الابتلاء والامتحان (وما أنا) أي بإخباري لكم عما يوحى إلي (إلا نذير مبين) أي بين الإنذار رابعها كأنه يقول ما أدري ما يفعل بي في الدنيا أموت أو أقتل كما قتل الأنبياء قبلي ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أو يخسف بكم أو يفعل بكم ما يفعل بسائر الأمم قال السدي ثم أخبره الله تعالى أنه يظهر دينه على الأديان بقوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فأخبره الله تعالى بما يصنع به وبأمته * وأما من حمل الآية على أحوال الآخرة فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا فأنزل الله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر إلى قوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما فقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا فأنزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار الآية وأنزل وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فبين لهم ما يفعل به وبهم وبهذا قال أنس والحسن وعكرمة وقالوا إنما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه لأنه إنما أخبر به عام الحديبية فنسخ ذلك قال الرازي وأكثر المحققين استبعدوا هذا القول من وجهين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لا بد وأن يعلم من نفسه كونه نبيا ومتى علم كونه نبيا علم أنه لا تصدر عنه الكبائر وأنه مغفور له وإذا كان كذلك امتنع كونه شاكا في أنه هل هو مغفور له أو لا ثانيهما أن الأنبياء أرفع حالا من الأولياء وقد قال تعالى في حقهم إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يعقل أن يبقى الرسول الذي هو رئيس الأنبياء وقدوة الأولياء شاكا في أنه هل هو من المغفور لهم فثبت ضعف هذا القول (قل) يا أفضل الخلق لهؤلاء المصرين على التكذيب (أرأيتم) أي أخبروني (إن كان) أي هذا الذي أتيتكم به وهو القرآن (من عند الله) أي الملك الأعظم (وكفرتم به) أي أيها المشركون (وشهد شاهد) واحد أو أكثر (من بني إسرائيل) أي الذي جرت عادتكم أن تستفتوهم وتقفوا بهم (على مثله) أي مثل ما في القرآن من أن من وحده فقد آمن ومن أشرك فقد كفر وأن الله تعالى أنزل ذلك في التوراة والإنجيل وجميع أسفارهم فتطابقت عليه كتبهم وتظافرت به رسلهم وتواترت على الدعاء إليه والأمر به أنبياؤهم عليهم الصلاة والسلام (فآمن) أي هذا الذي شهد هذه الشهادة (واستكبرتم) أي أوجدتم الكبر بالإعراض عنه طالبين بذلك الرياسة والفخر فكنتم بعد شهادة هذا الشاهد معاندين من غير شبهة فضللتم فوضعتم الشيء في غير موضعه فأنسد عليكم باب الهداية واختلف في هذا الشاهد فقال قتادة والضحاك وأكثر المفسرين هو عبد الله بن سلام شهد بنبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وآمن به واستكبرت اليهود فلم يؤمنوا به كما روى أنس قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فنظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر فقال له إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه فقال صلى الله عليه

شيء يأمر ربها أي كل شيء مرت به من أحوال قوم عاد وأهليهم (قوله يغفر لكم من ذنوبكم) أفاد ... بيكون أن من الذنوب

وسلم أخبرني بهن جبريل آنفا قال جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله ثم قال اما أول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام تأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد انك رسول الله حقا ثم قال يارسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن أعلمنا قال أفرأيتم ان اسلم عبد الله بن سلام فقالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف منه يارسول الله قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الآية وشهد شاهد من بني اسرائيل وقيل الشاهد هو موسى بن عمران قال الشعبي قال مسروق في هذه الآية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين فكيف يمكن حمل هذه الآية المكية على واقعة حدثت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وانما نزلت الآية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بالمدينة وأجاب الكلبي بان السورة مكية الا هذه الآية فانها مدنية وان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين وقيل المراد بالشاهد موسى ومثل القرآن هو التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على الفرقان فكل واحد يصدق الآخر لان التوراة مشتملة على البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن مصدق للتوراة وجواب الشرط أ لستم ظالمين دل عليه قوله تعالى (ان الله) اى الملك الاعظم ذا العزة والحكمة (لايهدي القوم) اى الذين لهم قوة على القيام بما يريدون (الظالمين) اى الذين من شأنهم وضع الامور في غير مواضعها فلاجل ذلك لايهديكم اذ لا هداية معكم في الظلم الذي تسبب عنه هلاككم (وقال الذين كفروا) اى أوجدوا تغطية الحق (للذين) اى لاجل ايمان الذين (امنوا) اى سبقوهم الى الايمان (لو كان) اى ايمانهم بالقرآن (خيرا) اى من جملة خيور (ما سبقونا اليه) ونحن أشرف منهم ربما كثر اموالا واولادا واعلم بتحصيل العز والسودد الذي هو مناط الخير كالم يسبقونا الى شيء من هذه الخيرات التي نحن فائزون بها وهم منها ليس بخير فلهذا سبقونا اليه (واذ) اى وحين (لم يهتدوا به) اى بالقرآن كما اهتدى به اهل الايمان (فسيقولون هذا) اى القرآن الذي سبقتم اليه (افك) اى شيء مصروف عن وجهه الى قفاه (قديم) اى اوتي غيره وحشر هو عليه فاتى به ونسبه الى الله تعالى كما قالوا اساطير الاولين (ومن) اى قالوا ذلك والحال انه كان في بعض الزمن الذي من (قبله) اى القرآن (كتاب موسى) كليم الله تعالى حال كونه كتابه وهو التوراة (اماما) اى يستحق ان يؤمه كل من سمع به (ورحمة) لما فيه من نعم الدلائل على الله تعالى والبيان الشافي وفي الكلام محذوف تقديره وتقدمه كتاب موسى اماما ورحمة ولم يهتدوا به كما قال تعالى في الآية الاولى واذلم يهتدوا به

مالايغفره الاعمان كذ ظالم العباد

* (سورة محمد صلى الله عليه وسلم) *

(قوله سبع وثلاثون) وان قلت

(وهذا) اى القرآن (كتاب) اى جامع لجميع الخيرات (مصدق) اى لكتاب موسى عليه السلام وغيره من الكتب التى تصح نسبتها الى الله تعالى فى ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله تعالى وقوله تعالى (لسانا) حال من الضمير فى مصدق وقوله (عربيا) صفة للسانا وهو المسوغ لوقوع هذا الجامد حالا اى فى أعلى طبقات اللسان العربى مع كونه اسهل الكتب تناولا وابعدها عن التكلف ليس هو بحيث يعسر عاقوه بفخامة الالفاظ وجلالة المعانى ودقة الاشارة عن سهولة افهم وقرب التناول وقوله تعالى (لينذر) اى الكتاب بحسن بيانه وعظم شانه (الذين ظلموا) اى سواء كانوا عريقين فى الظلم ام لا وقرأ نافع وابن عامر بالتاء خطابا اى ايها الرسول والباقون بالياء غيبة بخلاف عن البزى (وبشرى) اى كاملة (للمحسنين) اى المؤمنين بان لهم الجنة * ولما قرر دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبهات المتكبرين واجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحقين فقال تعالى (ان الذين قالوا ربنا) اى خالقنا ومولانا والمحسن الينا (الله) وحده (ثم استقاموا) أى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى هى منتهى العلم وثم للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد (فلا خوف عليهم) أى من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) أى على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط (أولئك) أى العالون الدرجات (أصحاب الجنة خالدين فيها) خلود لا آخر له بحوز وابذلك (جزاء) أى بسبب ما (كانوا) طبعا وخلقا (يعملون) أى على سبيل التجديد المستمر * ولما كان رضا الله تعالى فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما [illegible] عليه بقوله تعالى (ووصينا) أى بما لنا من العظمة (الانسان) [illegible] (بوالديه) [illegible] (حسنا) [illegible] نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر [illegible] الكوفيون بكسر الحاء [illegible] ومنصوب على المصدر بفعل مقدر أى [illegible] (حملته أمه كرها) أى على مشقة (ووضعته كرها) أى بمشقة [illegible] وابن ذكوان بضم الكاف فيهما والباقون بالفتح وهما لغتان بمعنى [illegible] والضعف [illegible] المضموم اسم والمفتوح مصدر [illegible] المراد ابتداء الحمل فان ذلك لا يكون مشقة لقوله تعالى فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت [illegible] كرها ووضعته كرها *(تنبيه)* دلت [illegible] على أن حق الام أعظم لانه تعالى قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكرهما معا ثم خص الام بالذكر فقال حملته أمه كرها ووضعته كرها وذلك يدل على أن حقها أعظم وان وصول المشاق اليها بسبب الولد كثيرة والاخبار [illegible] فى هذا الباب (وحمله وفصاله) أى من الرضاع (ثلاثون شهرا) [illegible] [illegible] لولدها ومبالغة فى الوصية بها وفى ذلك دلالة على أن اقل مدة الحمل [illegible] لانه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثين شهرا وقال [illegible] [illegible] هى حولين كاملين [illegible] حولين كاملين وهى أربعة [illegible] [illegible]

كيف قال تعالى فى حق الشهداء بعدما قتلوا انهم [illegible] مع ان الهداية انما تكون قبل الموت لا بعده (قلت) معناه سيهديهم الى محاجة

أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا وروى عن أبي بكر ان امرأة دفعت اليه وقد ولدت لستة أشهر فأمر برجمها فقال عمر لا رجم عليها وذكر الطريق المتقدمة وعن عثمان نحوه وأنه هم بذلك فقرأ ابن عباس رضي الله عنهما عليه الآية وأما مدة أكثر الحمل فليس في القرآن ما يدل عليه واختلف الائمة في ذلك فعند الشافعي أربع سنين وقوله تعالى (حتى اذا بلغ أشده) لا بد فيه من جملة محذوفة تكون حتى غاية لها أي عاش واستمرت حياته حتى اذا بلغ أشده قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء الاشد ثماني عشرة سنة وقيل نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى أربعين سنة فذلك قوله تعالى (وبلغ أربعين سنة) وقال السدي والضحاك نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الآية في أبي بكر الصديق أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين أبواه غيره أوصاه الله تعالى بهما ولزم ذلك من بعده وكان أبو بكر يصحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارته الى الشام فلما بلغ أربعين سنة وتنبأ النبي صلى الله عليه وسلم آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ثم ان أبا بكر دعا ربه بأن (قال رب أوزعني) أي ألهمني وقرأ ورش والبزي بفتح الياء في الوصل والباقون بسكونها (أن أشكر نعمتك التي أنعمت) أي بها (علي) أي وعلى أولادي (وعلى والدي) وهي التوحيد وأكثر المفسرين على أن الاشد ثلاث وثلاثون قال الرازي مراتب الحيوان ثلاثة لان بدن الحيوان لا يكون الا برطوبة غريزية وحرارة غريزية والرطوبة الغريزية زائدة في أول العمر ناقصة في آخره والانتقال من الزيادة الى النقصان لا يعقل حصوله الا اذا حصل الاستواء في وسط هاتين المدتين فثبت أن مدة العمر منقسمة الى ثلاثة أقسام فأولها أن تكون الرطوبة الغريزية زائدة على الحرارة الغريزية وحينئذ تكون الاعضاء عظيمة التمدد في ذواتها وزيادتها في الطول والعرض والعمق وهذا هو سن النشوء والثانية وهي المرتبة المتوسطة أن تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب والمرتبة الثالثة أن تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان على قسمين فالاول هو النقصان الخفي وهو سن الكهولة والثاني هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة قال المفسرون لم يبعث نبي قط الا بعد الاربعين سنة قال الرازي وهذا يشكل بعيسى عليه السلام فانه تعالى جعله نبيا من أول عمره الا أنه يجب أن يقال الاغلب انه ما جاءه الوحي الا بعد الاربعين وهكذا كان الامر في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ثم ان أبا بكر دعا أيضا فقال (وأن أعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس أجاب الله تعالى دعاء أبي بكر فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله تعالى منهم بلال ولم يرد شيئا من الخير الا أعانه الله عليه ودعا أيضا فقال (وأصلح لي في ذريتي) فأجاب الله تعالى دعاءه فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع له الاسلام أبويه وأولاده جميعا وأدرك أبواه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه أبو عتيق النبي صلى الله عليه وسلم وهم مؤمنون ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة (تنبيه) أصلح يتعدى بنفسه لقوله

منكر ونكير وقيل يهديهم يوم القيامة الى طريق الجنة (قوله من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم) نزل

تعالى واصلح لى في ذريتى وانما عدى بفى لتضمنه معنى الطف بى فى ذريتى أولانه جعل الذرية ظرفا للاصلاح والمعنى هب لى الصلاح فى ذريتى وأوقعه فيهم (انى تبت) اى رجعت (اليك) عن كل ما يقدح فى الاقبال عليك وأكده اعلاما بان حاله فى الاقبال على الشهوات حال من يبعد منه الاقلاع فينكر اخباره به وكذا قوله (وانى من المسلمين) اى الذين اسلموا ظواهرهم وبواطنهم فانقادوا أتم انقياد (أولئك) اى العالون الرتبة القائلون هذا القول أبو بكر وغيره (الذين يتقبل) بأسهل وجه (عنهم) وأشار بصيغة التفعل الى انه يعمل فى قبوله عمل المتق والتقبل من الله هو ايجاب الثواب له على عمله وقوله تعالى (أحسن ما عملوا) اى أعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا (فان قيل) كيف قال الله تعالى أحسن والله تعالى يتقبل الاحسن وما دونه (أجيب) بوجهين أحدهما ان المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وكقولهم الناقص والاشج أعدلا بنى مروان اى عادلا بنى مروان ثانيهما ان الحسن من الاعمال هو المباح الذى لا يتعلق به ثواب ولا عقاب والاحسن ما يغاير ذلك وهو المندوب أو الواجب ولما كان الانسان محل النقصان وان كان محسنا نبه على ذلك بقوله تعالى (ويتجاوز) اى بوعد لا خلف فيه (عن سيئاتهم) اى فلا يعاقبهم عليها وقرأ حفص وحمزة والكسائى بنون مفتوحة قبل الفوقية من يتقبل ونصب أحسن ونون مفتوحة قبل الفوقية من يتجاوز والباقون بياء مضمومة قبل الفوقية من يتقبل ويتجاوز ورفع أحسن وقوله تعالى (فى أصحاب الجنة) فى محل الحال اى كائنين فى جملة أصحاب الجنة كقولك أكرمنى الامير فى أصحابه اى فى جملتهم وقيل خبر مبتدأ مضمر اى هم فى أصحاب الجنة وقوله تعالى (وعد الصدق) مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة لان قوله تعالى أولئك الذين يتقبل عنهم فى معنى الوعد فيكون قوله تعالى يتقبل ويتجاوز وعدا من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز والمعنى يعامل من صفته ما قدمنا بهذا الجزاء وذلك وعد من الله تعالى صدقا لكونه مطابقا للواقع (الذى كانوا يوعدون) اى يقع لهم الوعد به فى الدنيا ممن لا أصدق منهم وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام حين أخبروا بقوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات ولما وصف تعالى الولد البار بوالديه وصف الولد العاق لوالديه بقوله تعالى (والذى قال لوالديه أف لكما) والمراد به الجنس وقال ابن عباس والسدى نزلت فى عبد الله بن أبى وقيل فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه كان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى ويقول أف لكما وقال الحسن وقتادة انها نازلة فى كل كافر عاق لوالديه وعلى ثبوت انها نزلت فيمن تقدم لا ينافى ان المراد الجنس فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفى أف قراآت ذكرت فى سورة بنى اسرائيل (أتعدانى) اى على سبيل الاستمرار بالتجديد فى كل وقت وقرأ هشام بادغام النون الاولى فى الثانية وفتح الياء نافع وابن كثير وسكنها الباقون (ان أخرج) اى من مخرج ما يخرجنى من الارض بعد أن غبت فيها وصرت ترابا بحيث تى كما كنت أول مرة (وقد) اى والحال انه قد (خلت) اى مضت على سنن الموت (القرون) اى الامم الكثيرة مع صلابتهم (من قبلى) اى قرنا بعد قرن وتطاولت الازمان ولم يخرج منهم أحد من القبور (وهما) اى والحال انهما كلما قال لهما ذلك (يستغيثان

في المورد وقوله بعد من بعد ما تبين لهم الهدى ان يضروا الله شيئا نزل فى قوم ارتدوا الى ابليس بتكرار

(سورة الفتح)

(الله) اى يطلبان بدعائهما من له جميع صفات الكمال أن يغيثه ما بالهامه قبول كلامهما ويقولان ان لم ترجع (ويلك) اى هلاكا كائنا بمعنى هلكت (آمن) اى أوقع الايمان الذى لا ايمان غيره وهو الذى ينقذ من كل هلكة ويوجب كل فوز بالتصديق بالبعث وبكل ما جاء عن الله تعالى ثم عللا أمرهما على هذا الوجه مؤكدين فى مقابلة انكاره بقولهما (ان وعد الله) اى الملك المحيط بجميع صفات الكمال (حق) اى ثابت أعظم ثبات لانه لو لم يكن حقا لكان نقصا من جهة الاخلاف الذى لا يرضاه لنفسه أقل الملوك فكيف بملك الملوك (فيقول) مسببا عن قولهما ومعقباله (ما هذا) اى الذى تذكرانه من البعث (الا أساطير) اى أكاذيب (الاولين) التى كتبوها (أولئك) اى البعداء من العقل والمروأة وكل خير (الذين حق) اى ثبت ووجب (عليهم القول) اى الكامل فى بابه بانهم أسفل السافلين وهذا كما قال البيضاوى يرد على من قال انها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر لانه يدل على أنه من أهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه وقال البقاعى وهذا يكذب من قال انها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر فانه أسلم وصار من أكابر الصحابة فحقت له الجنة ولما أثبت لهم هذه الشنعة بين كثرة من شاركهم فيها بقوله تعالى (فى) اى كائنين فى (أمم) اى خلائق كانوا بحيث يقصدهم الناس ويتبع بعضهم بعضا (قد خلت) اى تلك الامم (من قبلهم) وكانوا قدوتهم وأدخل الجار لان المحكوم عليه بعض السالفين (من الجن) لان العرب كانت تستعظمهم وتستجير بهم وذلك لانهم يتظاهرون لهم ويؤذونهم ولم يقطع أذاهم لهم وتسلطهم عليهم ظاهرا او باطنا الا القرآن فانه أحرقهم بانواره وجلاهم عن تلك البلاد بجلى آثاره (والانس) ولا نفعتهم كثرتهم ولا أغنت عنهم قوتهم وقوله تعالى (انهم) اى كلهم (كانوا) اى جبلة وطبعا وخلقا لا يقدرون على الانفكاك عنه (خاسرين) اى عريقين فى هذا الوصف تعليل للحكم على الاستئناف (ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقال مقاتل ولكل واحد من الفريقين يعنى البار بوالديه والعاق لهما درجات فى الايمان والكفر والطاعة والمعصية (فان قيل) كيف يجوز اطلاق لفظ الدرجات على أهل النار وقد روى الجنة درجات والنار دركات (أجيب) من وجوه أحدها ان ذلك على جهة التغليب وثانيها قال ابن زيد درج أهل الجنة تذهب علوا ودرج أهل النار تذهب هبوطا وثالثها المراد بالدرجات المراتب المتزايدة فدرجات أهل الجنة فى الخيرات والطاعات ودرجات أهل النار فى المعاصى والسيئات وقوله تعالى (وليوفيهم أعمالهم) اى جزاءها معلله محذوف تقديره جازاهم بذلك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام وعاصم بالياء التحتية اى الله والباقون بالنون اى نحن وقوله تعالى (وهم لا يظلمون) اى شيأ بنقص للمؤمنين ولا بزيادة للكافرين اما استئناف واما حال مؤكدة (ويوم) اى واذكر يا أفضل الخلق لهؤلاء يوم يعرضون هكذا كان الاصل ولكنه تعالى أظهر الوصف الذى أوجب لهم الخزى بقوله تعالى (يعرض الذين كفروا على النار) اى يصلون لهيبها ويقلبون فيها كما يعرض اللحم الذى يشوى وقيل تعرض عليهم النار ليروا أهوالها وقولا لهم على سبيل التنديم والتقريع والتوبيخ والتشنيع لانهم لم يذكروه تعالى حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها عند مخالفة أمره سبحانه وتعالى (أذهبتم

(قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا) نزل قبل فتح مكة وعبر بالفعل ماضيا لانه فى وعده تعالى كالواقع تحقق وقوعه (قوله ليغفر لك الله

طيباتكم) اى لذاتكم باتباعكم الشهوات وقرأ ابن كثير وابن عامر قبل الذال بهمزتين مفتوحتين الاولى محققة بلا خلاف والثانية مسهلة بخلاف عن هشام وأدخل هشام بينهما ألفا ولم يدخل ابن كثير وابن ذكوان والباقون بهمزة واحدة محققة (فى حياتكم الدنيا) اى القريبة الدنية المؤذن وصفها ان يعقل بحياة أخرى بعدها فكان سعيكم فى حركاتكم وسكناتكم لاجلها حتى نلتموها (واستمتعتم) اى طلبتم وأوجدتم انتفاعكم (بها) وجعلتموها غاية حظكم فى رغبتكم ونعمتكم والمعنى أن ما قدر لكم من الطيبات والدرجات فقد استوفيتموه فى الدنيا فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى أستبقى طيباتى قال الواحدى ان الصالحين يؤثرون التقشف والزهد فى الدنيا رجاء ان يكون ثوابهم فى الآخرة أكمل لان هذه الآية لا تدل على المنع من التمتع لانها وردت فى حق الكافر وانما وبخ الله تعالى الكافر لانه تمتع بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم فلا يوبخ بتمتعه ويدل على ذلك قوله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق نعم لا ينكر ان الاحتراز عن التنعم أولى لان النفس اذا اعتادت التنعم صعب عليها الاحتراز والانقياد وحينئذ ربما حمل الميل الى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغى روى عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه فقلت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يوسع على أمتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم يعبدون غير الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا وعن عائشة رضى الله عنها قالت ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنها أنها قالت كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا وما هو الا الماء والتمر وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير والاحاديث فى هذا كثيرة *ولما كانت الاستهانة بالاوامر والنواهى استهانة بيوم الجزاء تسبب عنه قوله تعالى (فاليوم تجزون) اى على اعراضكم عنا (عذاب الهون) اى الهوان العظيم الشنيع الشديد الذى فيه ذل وخزى (بما كنتم) اى جبلة وطبعا (تستكبرون) اى تطلبون الترفع وتوجدونه على الاستمرار (فى الارض) التى هى لكونها ترابا وموضوعة على الزوال والخراب أحق شئ بالتواضع والذل والهوان (بغير الحق) اى الامر الذى يطابقه الواقع وهو أوامرنا ونواهينا (وبما كنتم) اى على الاستمرار (تفسقون) اى بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله تعالى *(تنبيه)* دلت الآية على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة لان الله تعالى علل عذابهم بأمرين اولهما الكفر وثانيهما الفسق وهذا الفسق لابد وأن يكون مغايرا لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة فثبت أن فسق الكفار يوجب العقاب فى حقهم ولا معنى للفسق الا ترك المأمورات وفعل المنهيات *ولما كان قوم مكة أكثر أموالا وقوة وجاها من أهل مكة ذكرهم الله قصتهم ليعتبروا فيتركوا الاغترار بما وجدوه فى الدنيا فقال عز من قائل (واذكر) يا أشرف الرسل لهؤلاء الذين لا يتعظون (أخا عاد) وهو أخوك هود عليه السلام الذى كان بينه وبين أشد من قومك ولم يخف عاقبتهم بأمره ونهاهم وخيفناه

ما تقدم من ذنبك وما تأخر) * ان قلت لم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم ذنب فماذا يغفره (قلت) المراد ذنب المؤمنين او ترك

منهم فهو لك قدوة وفيه اسوة ولقومك فى قصدهم اياك بالاذى من أمرهم موعظة وقوله تعالى
(اذ أنذر) بدل اشتمال من أخا (قومه) اى الذين لهم قوة على القيام فيما يحاولونه (بالاحقاف)
قال ابن عباس واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن فى حضرموت بموضع
يقال له مهرة اليها تنسب الابل المهرية وكانوا أهل عمد سيارة فى الربيع فاذا هاج العود
رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم قال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا احيا من اليمن كانوا
أهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر (وقد) اى والحال أنه قد (خلت النذر)
اى مرت ومضت الرسل الكثيرون (من بين يديه) اى قبل هود كنوح وشيث وآدم عليهم
السلام (ومن خلفه) اى بعده والمعنى أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم
منذرون نحو انذاره والجملة حال او اعتراض ولما أشار الى كثرة الرسل ذكر وحدتهم فى أصل
الدعاء فقال مفسر اللانذار معبرا بالنهى (ان لا تعبدوا) اى أيها العباد المنذرون بوجه من
الوجوه شيأ من الاشياء (الا الله) اى الملك الذى لا مالك غيره ولا خالق سواه ولا منعم الا هو فانى
أراكم تشركون به من لم يشركه فى شئ من تدبيركم والملك لا يقر على مثل هذا (انى أخاف عليكم)
لكونكم قومى وأعز الناس على (عذاب يوم عظيم) اى لا يدع جهة الا ملأها عذابه ان
اصررتم على ما أنتم فيه من الشرك (قالوا) له فى جوابه منكرين عليه (أجئتنا) اى يا هود
(لتأفكنا) اى لتصرفنا عن وجه أمرنا الى قفاه (عن آلهتنا) فلا نعبدها ولا نعتد بها (فأتنا
بما تعدنا) من العذاب سموا الوعيد وعدا (ان كنت) اى بما لك من كونك ثابتا (من الصادقين)
فى انك رسول من الله وانه يأتينا بما تخافه علينا من العذاب ان أصررنا (قال) اى هود مكذبا
لهم فى نسبتهم اليه ادعاء شئ من ذلك (انما العلم) اى المحيط بكل شئ عذابكم وغيره (عند الله)
اى المحيط بجميع صفات الكمال فهو ينزل علم ما توعدون به على من يشاء ان شاء ولا علم لى الى
الآن ولا لكم بشئ من ذلك ولا قدرة (وأبلغكم) اى فى الحال والاستقبال وقرأ أبو عمرو
بسكون الباء الموحدة وتخفيف اللام والباقون بفتح الموحدة وتشديد اللام (ما أرسلت به)
ممن لا مرسل فى الحقيقة غيره سواء أكان وعدا أم وعيدا أم غير ذلك ولم يذكر الغاية لان
ما أرسل به صالح لهم ولغيرهم (ولكنى أراكم) اى أعلمكم علما كالرؤية وقرأ نافع والبزى وأبو
عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها وأمال الالف بعد الراء ورش بين بين وأمالها أبو عمرو وحمزة
والكسائى محضة والباقون بالفتح (قوما تجهلون) اى باستعجال العذاب فان الرسل بعثوا
مبلغين منذرين لا مقترحين (فلما رأوه) اى العذاب الذى توعدهم به (عارضا) اى سحابا أسود
بارزا فى الافق ظاهر الامر عند من له أهلية النظر حال كونه قاصدا اليهم (مستقبل أوديتهم)
اى طالبا لان يكون مقابلا لها وموجدا الذلك (قالوا) على عادة جهلهم مشيرين اليه بأداة
القرب الدالة على أنهم فى غاية الجهل لان جهلهم به استمر حتى كاد أن يواقعهم (هذا عارض)
اى سحاب معترض فى عرض السماء اى ناحيتها (ممطرنا) قال المفسرون كان حبس عنهم
المطر أياما فساق الله تعالى اليهم سحابة سوداء فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما
رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى (بل هو) اى هذا العارض الذى
ترونه (ما استعجلتم به) اى طلبتم العجلة فى اتيانه وقوله تعالى (ريح) بدل من ما (فيها عذاب

الافضل او المراد الصغائر
على ما قال به جمع ا
المراد بالمغفرة العصمة
ومعنى قوله ما تقدم وما
تأخر ما فرط منك فرط

(أليم) أي شديد الإيلام روي أنها كانت تحمل الفسطاط فترفعه في الجو وتحمل الظعينة في الجو فترفعها وهودجها حتى ترى كأنها جرادة وكانوا يرون ما كان خارجا عن منازلهم من الناس والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والأرض ثم تقذف بهم ثم وصف تلك الريح بقوله تعالى (تدمر) أي تهلك إهلاكا عظيما شديدا (كل شيء) أي أتت عليه من الحيوان والناس وغيرهما هذا شأنها فمن سلم منها كهود عليه السلام ومن آمن به فلأنه أمر خارق للعادة كما أن أمرها في إهلاك كل ما مرت عليه أمر خارق للعادة (بأمر ربها) أي المبدع لها والمربي والمحسن بالانتقام من أعدائه (فإن قيل) ما فائدة إضافة الرب إلى الريح (أجيب) بأن فائدة ذلك الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد بعظيم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه فليس من تأثير الكواكب والقرانات قيل إن أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي أن أول ما عرفوا به أنه عذاب أليم أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله تعالى الريح فكشفت عنهم الرمال واحتملتهم فرمت بهم في البحر وروي أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع وكانت الريح التي تصيبهم ريحا طيبة هادية والريح التي تصيب قوم عاد ترفعهم من الأرض وتطير بهم إلى السماء وتضرب بهم على الأرض وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وأثر المعجزة إنما ظهر في تلك الريح من هذا الوجه قال صلى الله عليه وسلم ما أمر الله تعالى خازن الريح أن يرسل على عاد إلا مقدار الخاتم وذلك القدر أهلكهم بكليتهم كما قال تعالى (فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم) أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى إلا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة بالياء التحتية المضمومة ورفع النون من مساكنهم لقيامه مقام الفاعل والباقون بالتاء الفوقية مفتوحة مبنيا للفاعل ونصب مساكنهم مفعولا به وأمال الألف بعد الكاف ورش بين بين وأبو عمرو وحمزة والكسائي محضة وكذلك من القرى (كذلك) أي مثل هذا الجزاء الهائل في أصله أو جنسه أو نوعه أو شخصه من الإهلاك (نجزي) بعظمتنا دائما إذا شئنا (القوم المجرمين) أي العريقين في الإجرام الذين يقطعون ما حقه الوصل وذلك الجزاء هو الإهلاك على هذا الوجه الشنيع وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة أي سحابا يخيل قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فنقول له يا رسول الله ما تخاف فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا أحذر وأيام العرب مثل ذلك إن لم ترجعوا (فإن قيل) قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فكيف يحصل التخويف (أجيب) بأن ذلك كان قبل نزول الآية ثم أخبر الله تعالى عن مكنة عاد بقوله سبحانه (ولقد

ومكناهم

قبل النبوة وبعدها
وقبل فتح مكة وبعده
أو المراد بما تأخر العموم
والمبالغة كقولهم فلان
يضرب من يلقاه ومن

مكناهم) أي مكّناهم بما لنا من العظمة ما تظهر به عظمتنا (فيما) أي في الذي (ان) نافية أي ما (مكناكم) يا أهل مكة (فيه) من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال وغيرها ثم انهم مع ذلك ما نجوا من عذاب الله تعالى فكيف يكون حالكم * (تنبيه) * قال البقاعي وجعل النافي ان لانها أبلغ من ما لان ما تنفي تمام القوت اثر كبها من الميم والالف التي حقيقتها ادراكها فوت تمام الادراك وان تنفي أدنى مظاهره مدخولها فكيف بما وراءه من تمامه لان الهمزة أول مظهر لفوت الالف والنون لمطلق الاظهار هذا الى ما في ذلك من عذوبة اللفظ وصونه عن ثقل التكرار الى غير ذلك من بديع الاسرار اهـ وقال الزمخشري ان نافية أي فيما ما مكناكم فيه الا أن ان أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرار المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الاصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله * لعمرك ما ما بان منك لضارب * وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال * لعمرك ما ان بان منك لضارب * وقد جعلت ان صلة مثلها فيما أنشده الاخفش رحمه الله تعالى فقال

يرجى المرء ما ان لا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب

وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول (وجعلنا لهم) أي على ما اقتضته عظمتنا (سمعا) وأفرده لقلة التفاوت فيه (وأبصارا) وجمعه لكثرة التفاوت في أنوار الابصار وكذا في قوله تعالى (وأفئدة) أي فتحنا عليهم أبواب النعم وأعطيناهم سمعا فما استعملوه في سماع الدلائل وأعطيناهم أبصارا فما استعملوها في دلائل ملكوت السموات والارض وأعطيناهم أفئدة أي قلوبا فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم قال تعالى (فما أغنى عنهم) في حال ارسالنا اليهم الرحمة على لسان هود عليه السلام ثم النقمة بيد الريح (سمعهم) وأكد النفي بتكرير النافي بقوله تعالى (ولا أبصارهم) وكذا في قوله تعالى (ولا أفئدتهم) لما أردنا اهلاكهم وأكد باثبات الجار بقوله تعالى (من شئ) أي من الاشياء وان قل وقال الجلال المحلي ان من زائدة وقوله تعالى (اذ) معمولة لاغنى وأشربت معنى التعليل أي لانهم (كانوا) أي طبعا وخلقا (يجحدون) أي يكررون على ممر الزمان الجحد (بآيات الله) أي الانكار لما يعرب عن دلائل الملك الاعظم (وحاق) أي نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) لانهم كانوا يطلبون نزول العذاب على سبيل الاستهزاء * ولما تم المراد من الاخبار باهلاكهم على ما لهم من المكنة العظيمة اتعاظا بهم من سمع أمرهم أتبعهم من كان مشاركا لهم في التكذيب فشاركهم في الهلاك فقال تعالى (ولقد أهلكنا) أي بما لنا من العظمة (ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وعاد وأرض سدوم وسبا ومدين والايكة وقوم لوط وفرعون وأصحاب الرس وغيرهم ممن فيهم معتبر (وصرفنا) أي بينا (الآيات) أي الحجج البينات (لعلهم) أي الكفار (يرجعون) أي ليكونوا عند من يعرف حالهم في رؤية الآيات حال من يرجع عن الغي الذي كان يرتكبه لتقليد أو شبهة كشفتها الآيات وفضحتها الدلالات فلم يرجعوا فكان عدم رجوعهم سبب اهلاكهم (فلولا) أي فهلا ولم لا (نصرهم الذين) أي نصرهم هؤلاء الهالكين الذين (اتخذوا) أي اجتهدوا في صرف أنفسهم عن دواعي العقل حتى أخذوا (من دون الله) أي الملك الذي هو أعظم من كل عظيم (قربانا)

لا يلقاها بمعنى لا يضرب كل أحد مع ان من لا يلقاه لا يمكنه ضربه (قوله ويجيبك) أي يدلك ويهديك هدى والا فهو مهدي

أى متقربا بهم الى الله تعالى (آلهة) معه وهم الاصنام ومفعول اتخذوا الاول ضمير محذوف يعود على الموصول أى هم وقربانا المفعول الثانى وآلهة بدل منه (بل ضلوا) اى غابوا (عنهم) وقت نزول النقمة وقرأ الكسائى بادغام اللام فى الضاد والباقون بالاظهار (وذلك) أى اتخاذهم الاصنام آلهة قربانا (افكهم) اى كذبهم (وما كانوا) اى على وجه الدوام لكونه فى طباعهم (يفترون) اى يتعمدون كذبه لان اصرارهم عليه بعد مجىء الآيات لا يكون الا كذلك لان من نظر فيها بمجرد انفسه عن الهوى اهتدى (واذ) اى واذكر اذ (صرفنا) اى أملنا (اليك نفرا) وهو اسم يطلق على ما دون العشرة وسيأتى فى ذلك خلاف (من الجن) اى جن نصيبين اليمن او جن نينوى (يستمعون القرآن) اى يطلبون سماع الذكر الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس وأنت فى صلاة الفجر (١) فى نخلة تصلى بأصحابك (فلما حضروه) أى صاروا بحيث يسمعونه (قالوا) اى قال بعضهم لبعض ورضى الآخرون (أنصتوا) اى اسكتوا وميلوا بكلياتكم واسمعوا حفظا للادب على بساط الخدمة وفيه تادب مع العلم فى تعلمه قال القشيرى فأهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار (تنبيه) ذكروا فى كيفية هذه الواقعة قولين أحدهما قال سعيد بن جبير كان الجن تستمع فلما رجموا قالوا هذا الذى حدث فى السماء انما حدث لشىء فى الأرض فذهبوا يطلبون السبب وكان قد اتفق أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أيس من أهل مكة ان يجيبوه خرج الى الطائف ليدعوهم الى الاسلام فلما انصرف الى مكة وكان ببطن نخلة قام يقرأ القرآن فمر به نفر من أشراف جن نصيبين كان ابليس بعثهم ليعرف السبب الذى أوجب حراسة السماء بالرجم فسمعوا القرآن فعرفوا ان ذلك هو السبب والقول الثانى ان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله تعالى اليه نفرا من الجن يستمعون منه القرآن وينذرون قومهم * روى أن الجن كانوا يهودا لان فى الجن مللا كما فى الانس من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان والمجوس وأطبق المحققون على أن الجن مكلفون * سئل ابن عباس هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون فى أبواب الجنة ويزدحمون على أبوابها وروى الطبرانى عن ابن عباس ان أولئك الجن كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعن زر بن حبيش كانوا تسعة أحدهم زوبعة وعن قتادة ذكر لنا أنهم صرفوا اليه من نينوى وروى فى الحديث ان الجن ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون فى الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون واختلفت الروايات هل كان عبد الله بن مسعود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن أولا وروى عن أنس قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وهو بظاهر المدينة اذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازة فقال النبى صلى الله عليه وسلم انها لمشية جنى ثم أتى فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم انها لنغمة جنى فقال الشيخ أجل يا رسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أى الجن أنت فقال يا رسول الله أنا هام بن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا أرى بينك وبين ابليس الا أبوين قال أجل يا رسول الله قال كم أتى عليك من العمر قال أكلت عمر الدنيا الا القليل كنت حين قتل هابيل غلاما ابن اعوام

فيكت

(١) قوله فى نخلة كذا بالنسخ بايدينا ولعله فى بطن نخلة بدليل ما سيأتى اه مصحح

(قوله وكانوا احق بها واهلها) * ان قلت ما فائدة قوله وأهلها بعد قوله احق بها (قلت) الضمير فى بها لكلمة التوحيد

فكنت أتشرف على الآكام وأصطاد الهوام وأورش بين الانام فقال النبي صلى الله عليه
وسلم بئس العمل فقال يارسول الله دعني من العتب فانى ممن آمن مع نوح عليه السلام وعاتبته
فى دعوته فبكى وأبكانى وقال والله انى لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين
ولقيت هودا فعاتبته فى دعوته فبكى وأبكانى وقال والله انى لمن النادمين واعوذ بالله ان
أكون من الجاهلين ولقيت ابراهيم وآمنت به وكنت بينه وبين الارض اذ رمى به فى المنجنيق
وكنت معه فى النار اذ ألقى فيها وكنت مع يوسف اذ ألقى فى الجب فسبقته الى قعره ولقيت
موسى بن عمران بالمكان الاثير وكنت مع عيسى بن مريم عليهما السلام فقال لى ان لقيت
محمدا فاقرأ عليه السلام قال أنس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليه السلام وعليك ياهام
ما حاجتك قال ان موسى علمنى التوراة وان عيسى علمنى الانجيل فعلمنى القرآن قال أنس فعلمه
النبي صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وقل يا أيها
الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين (فلما قضى) اى فرغ من قراءته (ولوا) اى رجعوا
(الى قومهم) الذين فيهم قوة القيام بما يحاولونه (منذرين) اى مخوفين لهم ومحذرين عواقب
الضلال بامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس جعلهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم رسلا الى قومهم * ولما كان كأنه قيل ما قالوا لهم فى انذارهم قيل (قالوا يا قومنا)
مترفقين لهم ومترققين بهم بذكر ما يدل على أنهم منهم يهمهم ما يهمهم (انا سمعنا) أى ما بيننا وبين
القارئ واسطة وأشاروا الى انه لم ينزل بعد التوراة شئ جامع لجميع ما يراد منه مغن عن جميع
الكتب غير هذا وبذلك عرفوا أنه ناسخ لجميع الشرائع بقولهم (كتابا) اى ذكرا جامعا لا كما
نزل بعد التوراة على بنى اسرائيل (أنزل) اى ممن لا منزل غيره وهو ملك الملوك لان عليه من
رونق الكتب الالهية ما يوجب القطع لسامعه بانه منها فكيف اذا انضم الى ذلك الاعجاز
وعلموا قطعا بعربيته أنه عربى وبانهم كانوا يضربون مشارق الارض ومغاربها ويسمعون
قراءة الناس لما يجدونه من الحكم والخطب والكهانة والرسائل والاشعار وأنه مباين
لجميع ذلك (من بعد موسى) فلم يعتدوا بما أنزل بين هذا الكتاب وبين التوراة من الانجيل
وما قبله لانه لا يساوى التوراة فى الجمع وروى عن عطاء والحسن انما قالوا ذلك لانهم كانوا
يهودا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الجن ما سمعوا أمر عيسى فلذلك قالوا من بعد موسى
ولما أخبروا بانه منزل أتبعوه ما يشهد له بالصحة بقولهم (مصدقا لما بين يديه) اى من جميع كتب
بنى اسرائيل الانجيل وما قبله ثم بينوا تصديقه بقولهم (يهدى الى الحق) الامر الثابت الذى
يطابق الواقع فلا يقدر أحد على ازالة شئ مما يخبر به الكامل فى جميع ذلك (والى طريق)
موصل الى المقصود (مستقيم) لا عوج فيه (ياقومنا) الذين لهم قوة العلم والعمل (أجيبوا داعى
الله) أى الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال فان دعوة هذا الداعى عامة لجميع الخلق فالاجابة
واجبة على كل من بلغه أمره وفى هذه الآية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى
الجن كما كان مبعوثا الى الانس (وآمنوا به) اى اوقعوا التصديق بسبب الداعى وهو النبى
صلى الله عليه وسلم لا بسبب آخر فان المعول عليه معول مع الله تعالى (فان قيل) قوله تعالى
أجيبوا داعى الله أمر باجابته فى كل ما أمر به فيدخل فيه الامر بالايمان فكيف قال وآمنوا به

وفى اهلها التقوى فلا
تكرار (قوله لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله)
ان قلت ما وجه التعليق
بمشيئة الله تعالى فى اخباره

(أجيب) بأنه إنما ذكر الإيمان على التعيين لأنه أهم الأقسام وأشرفها وقد جرت العادة في القرآن العظيم بأن يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه أشرف أنواعه كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح * ولما أمر تعالى بالإيمان ذكر فائدته بقوله تعالى (يغفر لكم) أي الله تعالى (من ذنوبكم) أي بعضها من الشرك وما شابهه مما هو حق لله تعالى وكذا ما يجازي به صاحبه في الدنيا بالعقوبات والنكبات والهموم ونحوها مما أشار إليه قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وأما المظالم فلا تغفر إلا برضا أربابها وقيل من زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل بل فائدته أن كلمة من هنا لابتداء الغاية والمعنى أنه يقع ابتداء الغفران بالذنوب ثم ينتهي إلى غفران ما صدر عنكم من ترك الأولى والأكمل (ويجركم) أي يمنعكم منع الجار لجاره لكونكم بالتحيز إليه صرتم من حزبه (من عذاب أليم) قال ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم نحو سبعين رجلا من الجن فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوه في البطحاء فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم * (تنبيه) * اختلفوا في أن الجن هل لهم ثواب أولا فقيل لا ثواب لهم إلا النجاة من النار ويقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم واحتجوا على ذلك بقوله تعالى ويجركم من عذاب أليم وهو قول أبي حنيفة والصحيح أن حكمهم حكم بني آدم يستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهو قول ابن أبي ليلى ومالك وتقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا نحو ذلك قال الضحاك يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لأن كل دليل دل على أن البشر يستحقون الثواب فهو بعينه قائم في حق الجن والفرق بينهما بعيد جدا وذكر النقاش في تفسيره حديثا أنهم يدخلون الجنة فقيل هل يصيبون من نعيمها قال يلهمهم الله تعالى تسبيحه وذكره فيصيبهم من لذته ما يصيب بني آدم من نعيم الجنة وقال أرطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان وقال عمر بن عبد العزيز إن مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها * ولما أنهى كلامهم أنهم إن لم يجيبوا ينتقم منهم بالعذاب الأليم أتبعه ما هو أغلظ إنذارا منه فقالوا (ومن لا يجب) أي لا يجدد الإجابة (داعي الله) أي الملك الذي لا كفء له (فليس بمعجز) أي لا يعجز الله عز وجل بالهرب منه (في الأرض) فإنه في قبضته أي مكان سلك فيها فهو في ملكه وملكه وقدرته محيطة به (وليس له من دونه) أي الله تعالى الذي لا مجير عليه (أولياء) يفعلون لأجله ما يفعل القريب مع قريبه من الذب عنه والاستنقاذ له والافتداء (أولئك) البعيدون من كل خير (في ضلال مبين) ظاهر في نفسه أنه ضلال مظهر لكل أحد قبح إحاطته بهم * (تنبيه) * ههنا همزتان مضمومتان من كلمتين ولا ثالث لهما في القرآن العظيم قرأ قالون والبزي بتسهيل الأولى كالواو مع المد والقصر وسهل الثانية ورش وقنبل بعد تحقيق الأولى ولهما أيضا إبدال الثانية ألفا وأسقط الأولى أبو عمرو مع المد والقصر والباقون بتحقيقهما وهم على مراتبهم في المد (أولم يروا) أي يعلموا علما هو في الوضوح كالرؤية (أن الله) ودل على ما دل عليه هذا الاسم الأعظم بقوله تعالى (الذي خلق السموات) على ما حصرت عليه بما يعجز الوصف من العبر (والأرض) على ما شاهدتم فيها من الآيات المدركة

(قلت) إن بمعنى إذ كما في قوله تعالى وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين أو أنه استغناء منه تعالى فيما يعلم

قوله إبدال الثانية ألفا كذا في الأصول ولعله واوا ولتحرر القراءة اهـ مصححه

بالعيان والنظر (ولم يعى) اى ولم يتعب ولم يعجز (بخلقهن) اى بسبب من الاسباب فانه لو حصل له شئ من ذلك ادى الى نقصان فيهما أو فى احدهما * وأكد الانكار المتضمن للنفى بزيادة الجار فى خبر ان فقال (بقادر) اى قدرة عظيمة (على أن يحيى) اى على سبيل التجديد مستمرا (الموتى) والامر فيهم لكونه اعادة وكونه جزأ يسيرا مما ذكر اختراعه أصغر شأنا وأسهل صنعا وأجاب بقوله تعالى (بلى) لان هذا الاستفهام الانكارى فى معنى النفى اى قد علموا أنه قادر على ذلك علما هو فى ايقانه كالبصر لانهم يعلمون أنه المخترع لذلك وأن الاعادة أهون من الابتداء فى مجارى عاداتهم ولكنهم عن ذلك غافلون لانهم عنه معرضون * وقوله تعالى (انه على كل شئ قدير) تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كأنه لما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات المعاد * ولما أثبت البعث بما أقام من الدلائل ذكر بعض ما يحصل فى يومه من الاهوال بقوله تعالى (ويوم) اى واذكر يوم (يعرض) اى بأيسر أمر من أوامرنا (الذين كفروا) اى ستروا بغفلتهم وتماديهم الادلة الظاهرة (على النار) عرض الجند على الملك فيسمعون من تغيظها وزفيرها ما لو قدر أن احدا يموت فى ذلك اليوم لماتوا من معاينته وهائل رؤيته ثم يقال لهم (أليس هذا) اى الامر الذى كنتم به توعدون ولرسلنا فى اخبارهم به تكذبون (بالحق) اى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع أم هو خيال وسحر (قالوا) اى مصدقين حيث لا ينفعهم التصديق (بلى) وما كفاهم البدار الى تكذيب أنفسهم حتى أقسموا عليه بقولهم (وربنا) اى انه الحق هو اثبت الاشياء وليس فيه شئ مما يقارب السحر * (تنبيه) * المقصود من هذا الاستفهام التهكم والتوبيخ على استهزائهم بوعد الله تعالى ووعيده (قال فذوقوا العذاب) اى باشروه مباشرة الذائق باللسان ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم ثم صرح بالسبب فقال تعالى (بما كنتم) اى خلقا مستمرا (تكفرون) فى دار العمل * ولما قرر تعالى المطالب الثلاثة وهى التوحيد والنبوة والمعاد وأجاب عن الشبهات أردفه بما يجرى مجرى الوعظ والنصيحة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكفار كانوا يؤذونه ويوحشون صدره فقال تعالى (فاصبر) اى على مشاق ما ترى فى تبليغ الرسالة وعلى أذى قومك قال القشيرى الصبر هو الوثوق بحكم الله تعالى والثبات من غير بث ولا استكراه (كما صبر أولوا العزم) اى الثبات والجد فى الامور وقال ابن عباس رضى الله عنهما أولوا الحزم وقوله تعالى (من الرسل) يجوز فيه أن تكون من تبعيضية وعلى هذا فالرسل أولو عزم وغير أولى عزم ويجوز أن تكون للبيان وعليه جرى الجلال المحلى فكلهم على هذا أولو عزم قال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم وحزم ورأى وكمال عقل وانما أدخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز وقال بعضهم الانبياء كلهم أولوا عزم الا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى أنه قيل لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم هم نجباء الرسل وهم المذكورون فى سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبى هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الله تعالى وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق فى سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر

تعليما للعباده ان يستغنوا ذهبا لا يعلمون او انه على سبيل الحكاية لرؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فانه رأى ان قائلا يقول

على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر في الجب والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم خمسة ونظمهم بعضهم في بيت فقال

محمد ابراهيم موسى كليمه * فعيسى فنوح هم اولو العزم فاعلم

قال البغوي ذكرهم الله تعالى على التخصيص في قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية وعن مسروق قال قالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم الا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا أن كلفني ما كلفهم قال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولا جهدن ولا قوة الا بالله * ولما أمره الله تعالى بالصبر الذي هو من أعلى الفضائل نهاه عن العجلة التي هي من أمهات الرذائل فقال عز من قائل (ولا تستعجل لهم) اي لا تطلب العجلة ونوجدها بأن تفعل شيأ مما يسوءهم في غير حينه اللائق به فانه نازل بهم في وقته لا محالة قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه واحب أن ينزل الله تعالى العذاب بمن أبى من قومه فامر بالصبر وترك الاستعجال * ثم اخبر أن ذلك العذاب اذا نزل بهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار فقال تعالى (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) اي من العذاب بهم في الآخرة (لم يلبثوا) اي في الدنيا (الا ساعة من نهار) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار أو كأنه لم يكن لهول ما عاينوا ولأن ما مضى وان كان طويلا صار كأنه لم يكن قال الشاعر

كأن شيأ لم يكن اذا مضى * كأن شيأ لم يزل اذا أتى

(تنبيه) قد تم الكلام هنا وقوله تعالى (بلاغ) خبر مبتدأ محذوف قدره بعضهم تلك الساعة بلاغ لدلالة قوله تعالى الا ساعة من نهار وبعضهم هذا القرآن بلاغ اي تبليغ من الله تعالى الحكيم جرى عليه الجلال المحلي (فهل) اي لا (يهلك) اي بالعذاب اذا نزل (الا القوم) اي الذين هم أهل القيام بما يحاولونه من الفساد (الفاسقون) اي العريقون في الخروج عن الانقياد والطاعة وهم الكافرون بالاعراض أو بالاجرام لانه معرض عن الله ورحمته الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله أقوى من هذه الآية * وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا حديث موضوع

سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية

وتسمى القتال والذين كفروا وهي ثمان وثلاثون آية وخمسمائة وتسع وثلاثون كلمة وألفان وثلاثمائة وتسعة وأربعون حرفا

(بسم الله) الملك الاعظم الذي أقام جنده لاذهاب عن جهاد الكفار ...

لم تدخلان المسجد الحرام ان شاء الله آمنين (قوله لا تخافون) * ان قلت ما فائدة ذكره بعد قوله آمنين (قلت) المعنى

بالبرهان وتارة بالسيف واللسان (الرحيم) الذى خص حزبه بالحفظ فى طريق الجنان واختلف فى قوله تعالى (الذين كفروا) من هم فقيل هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم أبو جهل والحرث ابنا هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل كفار قريش وقيل أهل الكتاب وقيل كل كافر لانهم ستروا أنوار الادلة وضلوا على علم (وصدوا) اى امتنعوا بانفسهم ومنعوا غيرهم لمرافقتهم فى الكفر (عن سبيل الله) اى الطريق الرحب المستقيم الذى شرعه الملك الاعظم (أضل) اى ابطل ابطالا اعظميا بزيل العين والاثر (أعمالهم) كاطعام الطعام وصلة الارحام وفك الاسارى وحفظ الجوار وغير ذلك فلا يرون لها فى الآخرة ثوابا ويجزى عليها فى الدنيا من فضله تعالى *(تنبيه)* أول هذه السورة مناسب لآخر السورة المتقدمة *ولما ذكر تعالى أهل الكفر معبرا عنهم بما فى طبقاتهم ليشمل من فوقهم ذكر أضدادهم كذلك ليعم من كان منهم من جميع الفرق بقوله تعالى (والذين آمنوا) اى اقروا بالايمان باللسان (وعملوا) تصديقا لدعواهم (الصالحات) اى الاعمال الكاملة فى الصلاح بتأسيسها على الايمان *ولما كان هذا الوصف لا يخص أتباع محمد صلى الله عليه وسلم خصهم بقوله تعالى (وآمنوا) اى مع ذلك (بما نزل) اى ممن لا منزل الا هو منجما مفرقا ليجددوا بعد الايمان به اجمالا الايمان بكل نجم منه (على محمد) النبى الامى العربى القرشى المكى المدنى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وهو) اى هذا الذى نزل عليه صلى الله عليه وسلم موصوف بانه (الحق) اى الكامل فى الحقيقة (١) بنسخ ولا ينسخ كائنا (من ربهم) اى المحسن اليهم بارساله اما احسانه الى أمته فواضح وأما سائر الامم فبكونه هو الشافع فيهم الشفاعة العظمى يوم القيامة وأمته هى الشاهدة لهم جملة معترضة وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائى وهو بسكون الهاء والباقون بضمها (كفر عنهم سيئاتهم) اى ستر اعمالهم السيئة بالايمان وعملهم الصالح (وأصلح بالهم) اى حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد (ذلك) اى الامر العظيم الذى ذكرناه من جزاء الطائفتين (بان) اى بسبب أن (الذين كفروا) اى ستروا مرائى عقولهم (اتبعوا) اى بغاية جهدهم ومعالجتهم (الباطل) من العمل الذى لا حقيقة له فى الخارج تطابقه وذلك هو الابتداع والميل مع الهوى فضلوا (وأن الذين آمنوا) اى ولو كانوا فى أقل درجات الايمان (اتبعوا) اى بغاية جهدهم (الحق) اى الذى له واقع يطابقه وذلك هو الحكمة وهو العلم بموافقة العمل وهو معرفة العلوم على ماهو عليه (من ربهم) اى الذى أحسن اليهم بايجادهم وما سببه من حسن اعتقادهم فاهتدوا (كذلك) اى مثل هذا الضرب العظيم الشأن (يضرب الله) اى الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال (للناس) اى كل من فيه قوة الاضطراب والحركة (أمثالهم) اى أمثال أنفسهم وأمثال الفريقين المتقدمين أو امثال جميع الاشياء التى يحتاجون الى بيان أمثالها مبينا انما مثل هذا الباب ليأخذ كل أحد من ذلك جزاء حاله فقد علم من هذا المثل أن من اتبع الباطل أضل الله تعالى عمله ووفر سيئاته وأفسد باله ومن اتبع الحق عمل به ضد ذلك كائنا من كان وهو غاية الحث على طلب العلم فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بهما *ولما بين تعالى أن الذين كفروا أضل اعمالهم وأن اعتبار الانسان بالعمل ومن لا عمل له فهو همج اعدامه خير من وجوده

آمنين فى حال الدخول لا تخافون عدوكم ان يخرجكم منه فى المستقبل (قوله ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه تشبيههم

(١) قوله فى الحقيقة كذا فى النسخ بايدينا والصواب فى الحقية اه مصحح

سبب عنه قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا) أيها المؤمنون في المحاربة وقوله تعالى (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والحكمة في اختيار ضرب الرقبة دون غيرها من الاعضاء أن المؤمن هنا ليس بدافع انما هو رافع وذلك لان من يدفع الصائل لا ينبغي أولا أن يقصد مقتله بل يتدرج ويضرب غير المقتل فان اندفع فذاك ولا يرقى الى درجة الاهلاك فأخبر تعالى أنه ليس المقصود دفعهم عنكم بل المقصود دفعهم من وجه الارض فاذا ينبغي أن يكون قصدكم أولا الى قتلهم بخلاف دفع الصائل فالرقبة أظهر المقاتل وقطع الحلقوم والاوداج مستلزم للموت لكن في الحرب لا يتهيأ ذلك والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضربها حز العنق وهو مستلزم للموت بخلاف سائر المواضع ولا سيما في الحرب وفي قوله تعالى لقيتم ما ينبئ عن مخالفتهم الصائل لان قوله تعالى لقيتم يدل على أن القصد من جانبهم بخلاف قولنا لقيكم ولذلك قال تعالى في غير هذا الموضع فاقتلوهم حيث ثقفتموهم (حتى اذا أثخنتموهم) اى اكثرتم فيهم القتل وهذه غاية الامر بضرب الرقاب لا لبيان غاية القتل (فشدوا) اى فأمسكوا عن القتل وأسروهم (الوثاق) اى ما يوثق به الاسرى وقوله تعالى (فاما منا بعد) اى في جميع أزمان ما بعد الاسر (واما فداء) فيه وجهان أشهرهما أنهما منصوبان على المصدر بفعل لا يجوز اظهاره لان المصدر متى سيق تفصيلا لعاقبة جملة وجب نصبه باضمار فعل لا يجوز اظهاره والتقدير فاما أن تمنوا اى باطلاقهم من غير شئ واما أن تفدوا وافداء اى تفادوهم بمال او أسرى مسلمين ومثل هذا قول القائل

لاجهدن فاما درء واقعة * تخشى واما بلوغ السؤل والامل

والثاني قاله أبو البقاء انهما مفعولان بهما والعامل فيهما تقديره أولوهم منا واقبلوا منهم فداء قال أبو حيان وليس باعراب نحوي وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) اى أثقالها من السلاح وغيره بأن يسلم الكافر أو يدخل في العهد مجاز وقيل هو من مجاز الحذف اى أهل الحرب وهو غاية للقتل والاسر والمعنى أثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى تدخل اهل الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى عليه السلام وجاء في الحديث الجهاد ماض منذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمتي الدجال وقال الكلبي حتى لا يبقى الاسلام أو سلم * (تنبيه) * اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بقوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والى هذا ذهب قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وهو قول الاوزاعي وأصحاب الرأي وقالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفداء وذهب آخرون الى ان الآية محكمة والامام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار اذا وقعوا في الاسر بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي وأحمد واسحق قال ابن عباس رضي الله عنهما لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله تعالى

بالورع من غنائمهم وقوتهم كأنه قيل انما قواهم وكثرهم ليغيظ بهم الكفار (قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) أي

في الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا هو الاصح والاختيار لانه عمل به صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتلني تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل ما شئت حتى كان الغد فقال له صلى الله عليه وسلم ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى اذا كان بعد الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك قال أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله والله ما كان على وجه الارض وجه أبغض الي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الي والله ما كان من دين أبغض الي من دينك فأصبح دينك أحب الدين الي والله ما كان من بلد أبغض الي من بلدك فقد أصبح بلدك أحب البلاد الي وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكن أسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم وعن عمران بن حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف وقوله تعالى (ذلك) يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك وان ينتصب باضمار افعلوا قال الرازي ويحتمل ان يقال ذلك واجب او مقدم كما يقول القائل ان فعلت فذاك اي فذاك مقصود ومطلوب قال المفسر ونحوه معناه ذلك الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار (ولو يشاء الله) اي الملك الاعظم الذي له جميع الكمال (لانتصر منهم) اي بنفسه من غير أحد انتصارا عظيما فيهلكهم بان لا يبقي منهم أحدا وكفاكم أمرهم بغير قتال (ولكن) أمركم بذلك (ليبلو) اي يختبر (بعضكم ببعض) اي يفعل في ذلك فعل المختبر المرتب عليه الجزاء فيصير من قتل من المؤمنين الى الجنة ومن قتل من الكافرين الى النار (فان قيل) فما فائدة الابتلاء مع حصول العلم عند المبتلي فاذا كان الله تعالى عالما بجميع الاشياء فاي فائدة فيه (أجيب) ان هذا السؤال كقول القائل لم عاقب الكافر وهو مستغن ولم خلق النار محرقة وهو قادر على أن يخلقها بحيث تنفع ولا تضر وجوابه لا يسئل عما يفعل ونزل يوم أحد لما فشا في المسلمين القتل والجراحات (والذين قتلوا في سبيل الله) اي لاجل تسهيل طريق الملك الاعظم المتصف بجميع صفات الكمال (فلن يضل) اي لا يضيع ولا يبطل (أعمالهم) وقرأ ابو عمرو وحفص بضم القاف وكسر التاء مبنيا للمفعول على معنى انه أصاب القتل بعضهم كقوله تعالى قاتل معه ربيون والباقون بفتح القاف والتاء والف بينهما اي جاهدوا (سيهديهم) اي ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة الى الدرجات بوعد لا خلف فيه (ويصلح بالهم) اي يرضي خصماءهم ويقبل اعمالهم (ويدخلهم الجنة) اي الكاملة في النعيم (عرفها) اي اعلمها او بينها (لهم) اي بما اعلم به كل أحد منزله ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل

من الذين مع محمد صلى الله عليه وسلم وهم الصحابة مغفرة وأجرا عظيما ان هنا لبيان الجنس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس

ان الملك الذى وكل بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شئ أعطاه الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما عرفها لهم طيبها مشتق من العرف وهو الريح الطيبة يقال طعام معرف أى مطيب (يا أيها الذين آمنوا) أى أقروا بذلك (ان تنصروا الله) أى دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم (ينصركم) أى على عدوكم فانه الناصر لا غيره من عدد أو عدد (ويثبت أقدامكم) أى فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار ولما بين تعالى مال اهل الايمان بين مال اهل الكفران بقوله تعالى (والذين كفروا) وهو مبتدأ أى ستروا ما دل عليه العقل وقادت اليه الفطرة الاولى وخبره تعسوا يدل عليه قوله تعالى (فتعسا لهم) أى هلاكا لهم وخيبة من الله تعالى وقال ابن عباس أى بعدا لهم وقيل التعس الجر على الوجه والنكس الجر على الرأس وقوله تعالى (وأضل أعمالهم) عطف على تعسوا أى ابطلها وان كانت ظاهرة الاتقان لاجل تضييع الاساس وهو الايمان وقوله تعالى (ذلك) يجوز أن يكون مبتدأ والخبر الجار بعده أو خبر مبتدأ مضمر أى الامر ذلك (بانهم) أى بسبب انهم (كرهوا ما أنزل الله) أى الملك الاعظم الذى لا ناسخ لما نسخه من القرآن وما أنزل الله تعالى فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك ونعاظهم والذى أنزله من القرآن وغيره هو روح الوجود الذى لا بقاء دونه فلما كرهوا الروح الاعظم بطلت أرواحهم فتبعتها أشباحهم وهو معنى قوله تعالى مسببا بالفاء لان أعمالهم (فأحبط) أى أبطل ابطالا لا صلاح معه (أعمالهم) بسبب أنهم أفسدوها بنياتهم فصارت وان كانت صورها صالحة ليس لها أرواح لكونها واقعة على غير ما أمر به الله الذى لا أمر الا له ولا يقبل من العمل الا ما شرعه [illegible] خوف الكفار بقوله تعالى (أفلم يسيروا فى الارض) أى التى فيها آثار الوقائع (فينظروا كيف كان عاقبة) أى آخر أمر الذين من قبلهم دمر الله) اى أوقع الملك الاعظم الهلاك (عليهم) بما عم أهاليهم وأموالهم [illegible] وعدل عن ان يقول واهلكهم الى قوله تعالى (وللكافرين) أى من امثالهم تعليقا للحكم بالوصف وهو العراقة فى الكفر (أمثالها) اى امثال عاقبة من قبلهم (ذلك) [illegible] بسبب ان الملك لا عظم [illegible] صفات الكمال (مولى) اى ولى وناصر (الذين آمنوا) فهو يفعل معهم بماله من الجلال [illegible] بقربه [illegible] قال القشيرى ويصح ان يقال أرجى آية فى القرآن هذه الآية لان الله تعالى لم يقل الله هادى العباد وأصحاب الاوراد والاجتهاد بل علق ذلك [illegible] الكافرين) أى العريقين فى هذا الوصف (لا مولى لهم) فيدفع العذاب عنهم وهذا لا يخالف قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك [illegible] يبين بقوله تعالى (ان الله) أى الذى له جميع الصفات (يدخل الذين آمنوا) أى أوقعوا التصديق (وعملوا) تصديقا لما ادعوا أنهم أوقعوه (الصالحات) أى الطاعات (جنات) أى بساتين عظيمة [illegible] (تجرى من تحتها) أى من تحت قصورها (الانهار) [illegible] والبهجة والنضارة [illegible] (والذين كفروا يتمتعون) [illegible] كما تتمتع الانعام [illegible] (وكأين) [illegible]

من الاوثان لا للتبعيض لان الصحابة كلهم موصوفون بالايمان والعمل الصالح

(سورة الحجرات)

الانعام) اى أكل التلذذ ومرح من اى موضع كان وكيف الاكل من غير تمييز الحرام من غيره اذ ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم لا يلتفتون الى الآخرة لان الله تعالى أعطاهم الدنيا ووسع عليهم فيها وفرغهم لها حتى شغلتهم عنه هوانا بهم وبغضا لهم فيدخلهم نارا وقودها الناس والحجارة كما قال تعالى (والنار مثوى لهم) اى منزل ومقام ومصير ولما ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله تعالى أفلم يسيروا فى الأرض ولم ينفعهم مع ما تقدم من الدلائل ضرب للنبى صلى الله عليه وسلم مثلا تسلية له فقال تعالى (وكأين) اى وكم (من قرية) أريد أهلها اى كذبت رسولها (هى أشد قوة) وأكثر عددا (من قريتك) مكة اى أهلها وقوله تعالى (التى أخرجتك) روعى فيه لفظ قرية وقوله تعالى (أهلكناهم) اى بانواع العذاب روعى فيه معنى قرية الاولى (فلا ناصر لهم) يدفع عنهم الهلاك كذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسلهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال أنت أحب أرض الله الى الله وأحب بلاد الله الىّ ولو أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك فانزل الله تعالى هذه (أفمن كان) اى فى جميع أحواله (على بينة) اى حجة ظاهرة البيان فى أنواع الحق (من ربه) اى المربى والمدبر له المحسن اليه وهم النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون (كمن زين له) بتزيين الشيطان بتسليط الله تعالى عليه (سوء عمله) فرآه حسنا وهم أبو جهل والكفار (واتبعوا أهواءهم) فى ذلك ولا شبهة لهم فى شئ من أعمالهم السيئة فضلا عن دليل ولما ذكر دخول المؤمنين الجنة فى هذه السورة بين صفتها بقوله تعالى (مثل) اى صفة (الجنة) اى البساتين التى يستر داخلها من كثرة أشجارها (التى وعد المتقون) اى الذين حملتهم تقواهم على الوقوف عن فعل لم يدل عليه دليل على أن استمروا على ذلك فانتفعوا بما دلتهم عليه من أمور الدين

(تنبيه) اختلف فى اعراب هذه الآية على أوجه أحدها أن مثل مبتدأ وخبره مقدر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون فما تسمعون خبره وفيها أنهار مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والجملة بعدها أيضا مفسرة للمثل ثانيها أن مثل زائدة تقديره الجنة التى وعد المتقون (فيها أنهار) ونظير زيادة مثل زيادة اسم فى قول القائل الى الحول ثم اسم السلام عليكما ثالثها ان مثل الجنة مبتدأ والخبر قوله تعالى كمن هو خالد فى النار فقدره ابن عطية أمثل أهل الجنة كمن هو خالد فقدر حرف الانكار ومضافا ليصح وقدره الزمخشرى أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فى النار [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(قوله يا أيها الذين آمنوا) ذكر فى السورة خمس مرات والمخاطبون فيها المؤمنون والخطاب به أمر أو نهى وذكر فيها يا أيها الناس

تغيره الشمس وقد اشتهر والفخره وانه مع طيبه على أنواع كثيرة كما كان فى الدنيا متنوعا (وأنهار من خمر) ولما كان الخمر يكره طعمها وانما يشربها شاربوها لآثارها وانه متى تغير طعمها أزيل اسمها عرف ان كل ما فى خمر الجنة فى غاية الحسن غير متغير لطعم فقال تعالى (لذة) اى لذيذة (للشاربين) فى طيب الطعم وحسن العاقبة بخلاف خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب (وأنهار من عسل) ولما كان عسل الدنيا لا يوجد الا مخلوطا بالخمر وبجمعه من بطون النحل بالشمع وغيره من القذى قال تعالى (مصفى) اى هو صاف صفاء ما اجتهد فى تصفيته من ذلك وهذا الوصف ثابت له دائما الا انه كان له فى وقت ما *(تنبيه)* قال أبو حيان فى حكمة ترتيب هذه الانهار انه بدأ بالماء الذى لا تستغنى عنه المشروبات ثم باللبن اذ كان يجرى مجرى المطعومات فى كثير من أوقات العرب ثم بالخمر لانه اذا حصل الرى والمطعم تشوقت النفس الى ما تستلذ به ثم بالعسل لان فيه الشفاء فى الدنيا مما يعرض من المطعوم والمشروب اهـ (فان قيل) ما الحكمة فى قوله تعالى فى الخمر لذة للشاربين ولم يقل فى اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين ولا قال فى العسل مصفى للناظرين (أجاب) الرازى بان اللذة تختلف باختلاف الاشخاص فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الآخر فقال لذة للشاربين باسرهم ولان الخمر كريهة الطعم فى الدنيا فقال لذة اى لا يكون فى خمر الآخرة كراهة الطعم وأما الطعم واللون فلا يختلف باختلاف الناس فان الحلو والحامض وغيرهما يدركه كل أحد لكن قد يعافه بعض الناس ويلتذ به البعض مع اتفاقهم على أن له طعما واحدا وكذلك اللون فلم يكن للتصريح بالتعميم حاجة *(فائدة)* روى عن كعب الاحبار انه قال نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر وقال ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ان كعب الاحبار سئل هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله عز وجل خبرا فقال اى والذى فلق البحر لموسى انى لاجده فى كتاب الله تعالى ان الله عز وجل يوحى اليه فى كل عام مرتين يوحى اليه عند جريه ان الله يأمرك أن تجرى فيجرى ما كتب الله تعالى له ثم يوحى اليه بعد ذلك يا نيل غر حميدا وعن كعب أيضا أنه قال أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى فى الدنيا فالنيل نهر العسل فى الجنة والفرات نهر الخمر فى الجنة وسيحان نهر الماء فى الجنة وجيحان نهر اللبن فى الجنة وعنه أيضا أنه قال النيل فى الآخرة يكون عسلا أغزر ما يكون من الانهار التى سمى الله عز وجل ودجلة فى الآخرة لبنا أغزر ما يكون من الانهار التى سمى الله عز وجل والفرات خمرا أغزر ما يكون من الانهار التى سمى الله عز وجل وجيحان ماء أغزر ما يكون من الانهار التى سمى الله عز وجل وأصل هذا كله ما فى الصحيح فى وصف الجنة عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة ولما كانت الانهار أكمل مستلذ بعد تمام الشراب قال تعالى (ولهم فيها) وقوله تعالى (من كل الثمرات) فيه وجهان أحدهما أن هذا الجار صفة لمقدر ذلك المقدر مبتدأ وخبره الجار قبله وهو لهم وفيها متعلق بما تعلق به التقدير ولهم فيها زوجان من كل الثمرات كانه انتزعه من قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان وقدره بعضهم صنف والاول كما قال ابن عادل أليق ثانيهما أن من مزيدة أى ولهم فيها كل الثمرات

هرة والمخاطبون فيها
يم المؤمنين والكافرين
كان المخاطب به وهو قوله
انا خلقناكم من ذكر
وأى بعضهما فناسب فيها

ربهم) فهو راض عنهم مع احسانه اليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فانه قد يكون مع احسانه اليهم ساخطا عليهم وقوله تعالى (كمن هو خالد في النار) خبر مبتدأ مقدر اي أمن هو في هذا النعيم كمن هو مقيم اقامة لا انقطاع معها في النار التي لا ينطفئ لهيبها ولا ينفك أسيرها وحده لان الخلود يعم من فيها على حد سواء (وسقوا) اي عوض ما ذكر من شراب أهل الجنة (ماء حميما) هو في غاية الحرارة (فقطع امعاءهم) اي مصارينهم فخرجت من أدبارهم وهو جمع معى بالقصر وألفه عن ياء لقولهم معيان (ومنهم من يستمع اليك) اي في خطب الجمعة وهم المنافقون والضمير في قوله تعالى ومنهم يحتمل أن يعود الى الناس كما قال تعالى في سورة البقرة ومن الناس من يقول آمنا بالله بعد ذكر الكفار ويحتمل أن يعود الى أهل مكة لان ذكرهم سبق في قوله تعالى هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ويحتمل أن يرجع الى معنى قوله تعالى هو خالد في النار وسقوا ماء حميما اي ومن الخالدين في النار قوم يستمعون اليك (حتى اذا) اي واستمر جهلهم لانفسهم في الاصغاء حتى اذا (خرجوا) اي المستمعون والسامعون (من عندك قالوا) اي الفريقان تعاميا واستهزاء (للذين أوتوا العلم) بسبب تهيئة الله تعالى لهم من صفاء الافهام بتجردهم عن النفوس والحظوظ وانقيادهم لما تدعو اليه الفطرة الاولى منهم ابن مسعود وابن عباس (ماذا قال) اي النبي صلى الله عليه وسلم (آنفا) اي قبل افتراقنا وخروجنا عنه روى مقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد آنفا اي الساعة اي لا نرجع اليه وقرأ البزي بقصر الهمزة بخلاف عنه والباقون بالمد وهما لغتان بمعنى واحد وهما اسما فاعل كحاذر وحذر (أولئك) اي البعداء من كل خير (الذين طبع الله) اي الملك الاعظم (على قلوبهم) اي بالكفر فلم يفهموا فهم انتفاع لان مثل هذا الجمود لا يكون الا بذلك (واتبعوا) اي بغاية جهدهم (أهواءهم) اي في الكفر والنفاق فلذلك هم يتهاونون باعظم الكلام ويقبلون على جمع الحطام فهم أهل النار المشار اليهم قبل آية مثل الجنة بانهم زين لهم سوء عملهم ثم ذكر تعالى اضداد هؤلاء بقوله سبحانه (والذين اهتدوا) اي اجتهدوا باستماعهم منك في الايمان والتسليم والاذعان بانواع المجاهدات وهم المؤمنون (زادهم) اي الله الذي طبع على قلوب الكفرة (هدى) بان شرح صدورهم ونورها بانوار المشاهدات فصارت أوعية للحكمة (وآتاهم تقواهم) اي ألهمهم ما يتقون به النار قال ابن برجان التقوى عمل الايمان كما أن اعمال الجوارح عمل الاسلام (فهل) اي ما (ينظرون) اي ينتظرون بجحودها اشارة الى شدة قربها (الا الساعة) وقوله تعالى (أن تأتيهم) اي الكافرين بدل اشتمال من الساعة اي ليس الامر الا أن تأتيهم (بغتة) اي فجأة من غير شعور بها ولا استعداد لها وقوله تعالى (فقد جاء أشراطها) جمع شرط بسكون الراء وفتحها قال أبو الاسود

فان كنت قد أزمعت بالصرم بيننا * فقد جعلت أشراط أوله تبدو

والاشراط العلامات ومنه اشراط الساعة وأشرط الرجل نفسه اي ألزمها أمورا قال أوس

ذكر الناس (قوله لا تقدموا) من قدم بمعنى تقدم لان المراد به نهيهم عن أن يتقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم بقول أو فعل

فاشرطنيه انفسه وهو يقسم * فاق باسبابه ونو كلا

والشرط القطع أيضا مصدر شرط الجلد يشرطه شرطا قال السهيلي عن ابن سعد عن أنس قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الابهام بعثت والساعة كهاتين وعن أنس قال لاحدثنكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من اشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويشرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد وعن أبي هريرة قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانه فانتظر الساعة فقيل كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر لغير أهله فانتظر الساعة ومن اشراطها انشقاق القمر المؤذن بآية الشمس في طلوعها من مغربها او غير ذلك وما بعد مقدمات الشئ الاحضوره (فانى) اى فكيف وأين (لهم) اى اتذكر والاتعاظ والتوبة (اذا جاءتهم ذكراهم) اى الساعة لا تنفعهم نظيره قوله ... [illegible] لا ... ان وأنى له الذكرى ... ان الساعة ... اذا انقضت هذه الدواعي جملت العمل ار ... الاشراط المحققة الكائنة لها ... امر أعظم الخلق تكوينا ... لهم ... فقال (فاعلم أنه) اى الشأن العظيم (لا اله) اى لا معبود بحق (الا الله) اى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم القيامة وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقال الحسين بن الفضل فازدد علما ... وقال أبو العالية وابن عيينة ... اذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا منجى عند قيامها الا الى الله (واستغفر لذنبك) ... ليستن به أمته وتقدم له قال صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقيل معنى قوله لذنبك ... ولذنب أهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) الذين ليسوا من أهل بيتك وقيل ... ولذنب ... الانفصال ... فاستغفر ... قال صلى الله عليه وسلم ... في كل يوم مائة مرة وقيل ... اى أعني ... (وللمؤمنين والمؤمنات) ... من الله تعالى ... حيث ... صلى الله عليه وسلم ... (والله) المحيط ... (يعلم متقلبكم) ... (ومثواكم) اى ... منه بحكم ... اى ... جميع أحوالكم ... لا ... في ... وقال ... ان ... وقال ... بعد العلم وقال ... (ويقول الذين آمنوا) ... (لولا) اى هلا ... (نزلت سورة) أى سورة ...

لا من ان يقدموا غيرهم
(قوله ولا تجهروا له بالقول)
وبعد قوله
فالذين كـ
لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبي النهي عن الجهر

نسمر بسماعها او نتعبد بتلاوتها او نعمل بما فيها (فاذا أنزلت سورة) اى قطعة من القرآن
تكامل نزولها كلها تدريجا أو جملة وزادت على مطلوبهم فى الحسن بانها (محكمة) اى
مبينة لا يلتبس شئ منها بنوع اجمال ولا ينسخ لكونه جامعا للمحاسن فى كل زمان ومكان
وقال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين (وذكر
فيها القتال) اى الامر به (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) اى شك وهم المنافقون (ينظرون
اليك) شزرا بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبنا منهم عن لقاء العدو (نظر المغشى)
والاصل نظرا مثل نظر المغشى (عليه من الموت) الذى هو نهاية الغشى فهو لا يطرف بعينه
بل شاخص لا يطرف كراهية القتال من الجبن والخوف والمعنى أن المؤمن كان ينتظر
نزول الاحكام والتكاليف ويطلب تنزيلها واذا تأخر عنه التكليف كان يقول هلا أمرت
بشئ من العبادة خوفا من أن لا يؤهل لها وأما المنافق فاذا أنزلت السورة أو الآية وفيها
تكليف شق عليه ذلك فحصل التباين بين الفريقين فى العلم والعمل وقوله تعالى (فأولى
لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم
المكروه وقوله تعالى (طاعة وقول معروف) مستأنف اى طاعة ومعروف خير لهم وأمثل
أى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا لكان أمثل وأحسن وساغ الابتداء بالنكرة لانها وصفت
بدليل قوله تعالى وقول معروف فانه موصوف فكأنه تعالى قال طاعة مخلصة وقول معروف
خير وقيل يقول المنافقون قبل نزول السورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية اى أمرنا
طاعة أو منا طاعة وقول معروف حسن وقيل متصل بما قبله واللام فى قوله تعالى لهم بمعنى
الباء أى فأولى بهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالاجابة أولى بهم وهذا قول ابن عباس
فى رواية عطاء ثم سبب عنه ما قوله تعالى مسندا الى الامر ما هو لاهله تأكيدا لمضمون
الكلام (فاذا عزم الامر) اى فاذا أمر بالقتال الذى ذكر فى أول السورة وغيره من الاوامر
أمرا مجزوما به مقطوعا عليه (فلو صدقوا الله) اى الملك الاعظم فى قولهم الذى قالوه فى طلب
التنزيل (لكان) اى صدقهم له (خيرا لهم) اى من تعللهم وجملة لو جواب اذا نحو اذا جاءنى
طعام فلو جئتنى لأطعمتك وقيل محذوف تقديره فاصدق كذا قدره أبو البقاء وعزم الامر
على سبيل المجاز كقوله * قد جدت الحرب بكم فجدوا * أو يكون على حذف مضاف أى
عزم أهل الامر وقوله تعالى (فهل عسيتم) فيه التفات عن الغيبة الى الخطاب (ان توليتم)
اى أعرضتم عن الايمان أو الجهاد (أن تفسدوا) اى توقعوا الافساد العظيم الذى يستمر تجدده
(فى الارض) بالمعصية والبغى وسفك الدماء الذى يسخط الله تعالى ويغضبه أشد غضب على
فاعله وتكونوا فى غاية الجراءة عليه وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام وقرأ نافع
بكسر السين والباقون بفتحها (وتقطعوا) اى تقطيعا كثيرا (أرحامكم) اى تعودوا الى أمر
الجاهلية فى الاغارة من بعض على بعض ونحو ذلك قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا
عن كتاب الله تعالى ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن وقال بعضهم هو
من الولاية قال الفراء يقول فهل عسيتم ان توليتم أمر الناس أن تفسدوا فى الارض بالظلم

مخاطبته وان لم يتضمن رفع أصواتهم على صوته وقيل المراد به النهى عن مخاطبته صلى الله عليه وسلم باسمه (قوله ان تحبط

نزلت في بني أمية وبني هاشم (أولئك) أي المفسدون (الذين لعنهم الله) أي طردهم أشد الطرد المالك الاعظم لما ذكر من افسادهم وتقطيعهم ثم سبب عن لعنهم قوله تعالى (فأصمهم) أي عن الانتفاع بما سمعوه (وأعمى أبصارهم) أي عن الانتفاع بما يبصرون فليس سماعهم سماع ادراك ولا ابصارهم ابصار اعتبار فلا سماع ولا ابصار (أفلا يتدبرون) بقلوب منفتحة منشرحة ليهتدوا الى كل خير (القرآن) أي يجهدوا أنفسهم في أن يتفكروا في الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين الحق والباطل حتى لا يجسروا على المعاصي (فان قيل) قال تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم فكيف يمكنهم التدبر في القرآن وهو كقول القائل للأعمى أبصر وللأصم اسمع (أجيب) بثلاثة أوجه مترتبة بعضها أحسن من بعض الاول تكليف ما لا يطاق جائز والله تعالى أمر من علم منه أنه لا يؤمن بأن يؤمن فلذلك جاز أن يصمهم ويعميهم ويذمهم على ترك التدبر الثاني أن قوله أفلا يتدبرون القرآن المراد منه الناس الثالث أن يقال ان هذه الآية وردت محققة لمعنى الآية المتقدمة كأنه تعالى قال أولئك الذين لعنهم الله أي أبعدهم عنه أو عن الصدق أو الخير أو غير ذلك من الأمور الحسنة فأصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام وأعماهم لا يبصرون طريقة الاسلام فاذاً هم بين أمرين اما لا يتدبرون القرآن فيبعدون عنه لأن الله تعالى لعنهم وأبعدهم عن الخير والصدق والقرآن منهما أي الصنف الاعلى بل النوع الاشرف واما يتدبرون ولكن لا تدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة تقديره أفلا يتدبرون القرآن لكونهم ملعونين مبعدين (أم) أي بل (على قلوب) أي من قلوب الفاعلين لذلك (أقفالها) فلا تعي شيأ ولا تنهم أمراً ولا تزداد الاغباوة وعناداً لأنها لا تقدر على التدبر قال القشيري فلا يدخلها زواجر التنبيه ولا ينبسط عليها شعاع العلم فلا يحصل لهم فهم الخطاب والباب اذا كان مقفلاً فكما لا يدخل فيه شيء لا يخرج ما فيه فلا كفرهم يخرج ولا الايمان الذي يدعون اليه يدخل اهـ (فان قيل) ما الفائدة في تنكير القلوب (أجاب) الزمخشري بقوله يحتمل وجهين أحدهما أن يكون للتنبيه على كونه موصوفاً لأن النكرة بالوصف أولى من المعرفة كأنه قال أم على قلوب قاسية أو مظلمة الثاني أن يكون للتبعيض كأنه قال أم على بعض القلوب لأن النكرة لا تعم تقول جاءني رجال فيفهم البعض وجاءني الرجال فيفهم الكل وسنذكر في القلوب التنبيه على الانكار الذي في القلوب وذلك لأن القلب اذا كان عارفاً كان معروفاً لأن القلب خلق للمعرفة فاذا لم تكن [illegible] المعرفة فكأنه لا يعرف فلا [illegible] هذا ليس [illegible] هذا [illegible] بانسان فكذلك يقال هذا ليس بقلب هذا حجر واذا علم هذا فالتعريف اما بالالف واللام واما بالاضافة [illegible] قال [illegible] قلوبهم [illegible] (فان قيل) [illegible] ختم الله على قلوبهم وقال تعالى فويل للقاسية قلوبهم (أجيب) [illegible] [illegible] (فان قيل) [illegible] تعالى أقفالها [illegible] (أجيب) بأن الأقفال [illegible] ولم يضف القلوب [illegible] قال

(أعمالكم) أي مخافة حبوطها (ان قلت) كيف قال ذلك مع أن الاعمال انما تحبط بالكفر ورفع الصوت على صوت النبي

أراد به اقفالا مخصوصة هي اقفال الكفر والعناد ولما أخبر تعالى باقفال قلوبهم بين منشأ ذلك فقال تعالى (ان الذين ارتدوا) اي من أهل الكتاب وغيرهم (على أدبارهم) اي رجعوا كفارا (من بعد ما تبين) اي غاية البيان (لهم الهدى) اي بالدلائل التي هي من شدة ظهورها غنية عن بيان مبين (الشيطان سول لهم) اي زين وسهل لهم اقتراف الكبائر (وأملى) اي ومد الشيطان (لهم) في الآمال والاماني بارادته تعالى فهو المضل لهم وقرأ أبو عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء والباقون بفتح الهمزة واللام وسكون الالف المنقلبة وأمالها حمزة والكسائي محضة وقرأ ورش بالفتح و بين اللفظين والباقون بالفتح قال في الكشاف فان قلت من هؤلاء قلت اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التوراة وقيل هم المنافقون (ذلك) اي اضلالهم (بأنهم) اي بسبب انهم (قالوا) اي المنافقون (للذين كرهوا) اي وهم المشركون (ما) اي جميع ما (نزل الله) اي الملك الاعظم على التدريج بحسب الوقائع تنزيلا في اعجاز الخلق في بلاغة التركيب مع فصاحة المفردات وجزالة المعاني وسهولة في النطق والعذوبة في السمع والملاءمة للطبع (سنطيعكم في بعض الامر) اي أمر المعاونة على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيط الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك سرا فاظهره الله تعالى (والله) اي قالوا ذلك والحال ان الملك الاعظم المحيط بكل شيء علما وقدرة (يعلم) اي على ممر الاوقات (اسرارهم) اي كلها هذا الذي أفشاه عليهم وغيره مما في ضمائرهم مما لم يبرز الى الخارج ولعلهم لم يعلموه فضلا عن أقوالهم التي تحدثت بها أنفسهم فبان بذلك انه لا أديان لهم ولا عقول ولا مروآت وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر الهمزة مصدرا والباقون بفتحها جمع سر (فكيف) أي حالهم (اذا توفتهم الملائكة) أي قبضت رسلنا وهم ملك الموت وأعوانه أرواحهم كاملة وقوله تعالى (يضربون وجوههم وأدبارهم) تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له وعن ابن عباس لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى التوفي الموصوف (بأنهم) اي بسبب انهم (اتبعوا) اي عالجوا فطرتهم الاولى في ان اتبعوا (ما أسخط الله) اي الملك الاعظم وهو الكفر وكتمان نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وعصيان الامر (وكرهوا) بالاشراك (رضوانه) بكراهتهم أعظم أسباب رضاه وهو الايمان فهم لما رونه بالقصود من الطاعات أكره لان ذلك ظاهر غاية الظهور في أن فاعله غير مهتد وفي ترك النظر فيه (فاحبط) اي فتسبب عن ذلك انه أفسد (أعمالهم) اي الصالحة فاسقطها بحيث لم يبق لها وزن أصلا لانتفاء الاساس ومن مكارم الاخلاق من القرى والاغاثة للضيف والتصدق والاعتاق وغير ذلك من وجوه الارفاق (أم حسب الذين) وكان الاصل أم حسبوا ولكنه عبر بما دل على الآفة التي أدتهم الى ذلك بقوله تعالى (في قلوبهم) اي التي اذا فسدت فسد جميع أجسادهم (مرض) اي آفة لا طب لها حسا بل ما هو في غاية الثبات كما دل عليه التأكيد في قوله تعالى

صلى الله عليه وسلم ليس
بكفر (قلت) المراد به
الاستخفاف بالنبي صلى
الله عليه وسلم لانه ربما
يؤدي الى الكفر وقيل

(أن لن يخرج الله) اى يبرز من هو محيط بصفات الكمال للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التجديد والاستمرار وقوله تعالى (أضغانهم) جمع ضغن وهى الاحقاد اى احقادهم على المؤمنين فيبديها حتى تعرفوا نفاقهم وكانت صدورهم تغلى حنقا عليهم (ولو نشاء لاريناكهم) من رؤية البصر وجاء على الافصح من اتصال الضميرين ولو جاء على اريناك اياهم جاز وقال الرازى الاراءة هنا بمعنى التعريف وقوله تعالى (فلعرفتهم) عطف على جواب لو (بسيماهم) اى بسبب علاماتهم التى نجعلها غالبة عليهم عالية اهم فى اظهار ضمائرهم غلبة لا يقدرون على مدافعتها بوجه ولم يذكرهم سبحانه باسمائهم ابقاء على قراباتهم المخلصين من الذين وقوله تعالى (ولتعرفنهم) جواب قسم محذوف (فى لحن القول) اى الصادر منهم ولحنه فحواه اى معناه وما يدل عليه ويلوح عليه من ميله عن حقائقه الى عواقبه وما يؤل اليه أمره مما يخفى على غيرك قال أنس ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم وعن ابن عباس لحن القول هو قولهم ما لنا ان أطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اى تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا * واللحن يعرفه ذو والالباب

وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب وقال أبو حيان كانوا اصطلحوا على ألفاظ يخاطبون بها الرسول صلى الله عليه وسلم مما ظاهره حسن ويعنون به القبيح (والله) اى بالله من الكمال (يعلم أعمالكم) كلها الفعلية والقولية جليها وخفيها علما تابتا غيبيا وعلما را بعا شهوديا يتجدد بحسب تجددها مستمرا باستمرار ذلك (ولنبلونكم) اى نعاملكم معاملة المبتلى بان نخالطكم بما لنا من العظمة بالاوامر الشديدة على النفوس والنواهى المكروهة اليها (حتى نعلم) اى بالابتلاء علما شهوديا يشهده غيرنا مطابقا لما كنا نعلمه علما غيبيا فنستخرج من سرائركم ما جبلناكم عليه مما لا يعلمه أحد منكم بل ولا تعلمونه حق علمه (المجاهدين منكم) فى القتال وفى سائر الاعمال والشدائد والاهوال امتثالا للامر بذلك (والصابرين) اى على شدائد الجهاد وغيره من الانكاد قال القشيرى فى الابتلاء والامتحان تتبين جواهر الرجال فيظهر الخالص ويفتضح الماذق وينكشف المنافق اه وعن الفضيل انه كان اذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (ونبلو أخباركم) اى نخالطها بان نسلط عليها من يحرفها فيجعل حسنها قبيحا وقبيحها حسنا ليظهر للناس العامل لله والعامل للشيطان فان العامل لله اذا سمى قبيحه باسم الحسن علم ان ذلك احسان من الله تعالى اليه فيستحيى منه ويرجع واذا سمى حسنه باسم القبيح وأشهر به علم ان ذلك لطف من الله تعالى به لكى لا يدركه العجب أو يهاجمه الرياء فيزيد فى احسانه والعامل للشيطان يزداد فى القبائح لان شهرته عند الناس محط نظره ويرجع عن الحسن لانه لم يوصله الى ما أراده من ثناء الناس عليه بالخير (ان الذين كفروا) اى غطوا ما دلتهم عليه عقولهم من ظاهر آيات الله لا سيما بعد ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم المؤيد بواضح المعجزات

حبوط العمل هنا مجاز عن نقصان المنزلة وانحطاط الرتبة (قوله وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) عبارات

(وصدوا) أى امتنعوا ومنعوا غيرهم زيادة فى كفرهم (عن سبيل الله) أى الطريق الواضح الذى شرعه الملك الاعظم (وشاقوا الرسول) أى الكامل فى الرسالة المعروف غاية المعرفة (من بعد ما تبين) أى غاية البيان بالمعجز (لهم الهدى) بحيث صار ظاهرا بنفسه غير محتاج لما أظهره الرسول من الآيات الظاهرة وهم قريظة والنضير والمطعمون يوم بدر (لن يضروا الله) أى ملك الملوك (شيأ) بما هم عليه من الكفر والصد وانما يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته (وسيحبط) أى يفسد فيبطل بوعد لا خلف فيه (أعمالهم) من المحاسن لبنائها على غير أساس (يا أيها الذين آمنوا) أى أقروا بالسنتهم (أطيعوا الله) أى الملك الاعظم تصديقا لدعواكم طاعة لشدة الاجتهاد فيها أنها خالصة وعظم الرسول صلى الله عليه وسلم بافراده فقال تعالى (وأطيعوا الرسول) لان طاعته من طاعة الذى أرسله فاذا فعلتم ذلك حصنتم أنفسكم وأعمالكم فتكون صحيحة بينا بناؤها على الطاعة بتصحيح النيات وتصفيتها مع الاحسان للصورة فى الظاهر ليستكمل العمل صورة وروحا (ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء بالشك والنفاق وقال الكلبى بالرياء والسمعة وقال الحسن بالمعاصى والكبائر وقال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر أن تحبط الاعمال وقال مقاتل لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا أعمالكم نزلت فى بنى أسد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وعن حذيفة فخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى انه ليس شئ من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول فى ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ وعن ابن عباس لا تبطلوا بالرياء والسمعة أعمالكم وعنه أيضا بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (ان الذين كفروا) أى أوقعوا الكفر بفعلهم فعل الساتر لما دل عليه العقل من آيات الله المرئية والمسموعة (وصدوا عن سبيل الله) أى الملك الاعلى عن الواضح المستقيم الموصل الى كل ما ينبغى أن يقصد كل من أراده بتماديهم على باطلهم واذاهم لمن خالفهم (ثم ماتوا) بعد امدالهم فى مضمارهم بالتطويل فى أعمارهم (وهم) أى والحال انهم (كفار فلن يغفر الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال الذى يمنع من تسوية المسئ بالمحسن (لهم) فلا يمحو ذنوبهم ولا يسترعيوبهم بل يفضح سرائرهم ويردهم على أعقابهم فى كل ما يتقلبون فيه لانهم قد أبطلوا أعمالهم بالخروج عن دائرة الطاعة فلم يبق لهم ما يغفر لهم بسببه وقد دلت هذه الآية على ما دلت عليه آية البقرة من ان احباط العمل فى المرتد مشروط بالموت على الكفر قيل نزلت فى أصحاب القليب قال الزمخشرى والظاهر العموم ثم رغب تعالى فى لزوم الجهاد محذرا من تركه بقوله تعالى (فلا تهنوا) أى تضعفوا ضعفا يؤدى بكم الى الهوان والذل (وتدعوا) أعداءكم (الى السلم) أى المسالمة وهى الصلح (وأنتم) أى والحال انكم (الاعلون) أى الظاهرون الغالبون قال الكلبى آخر الامر لكم

ما فائدة الجمع بين الفسوق والعصيان (قلت) الفسوق الكذب كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما والعصيان بقية المعاصى

وان غلبوكم في بعض الاوقات وأصل الاعلون الاعليون فأعل وقرأ حمزة وشعبة بكسر السين والباقون بفتحها ثم عطف على الحال قوله تعالى (والله) اى الملك الاعظم الذى لا يعجزه شئ ولا كفء له (معكم) اى بنصره ومعونته وجميع ما يفعله الكريم اذا كان مع عبده ومن علم انه سيده وعلم انه قادر على ما يريد لم يبال بشئ أصلا (ولن يتركم) اى ينقصكم (أعمالكم) اى ثوابها كما يفعل مع أعدائكم في احباط أعمالهم لانكم لم تبطلوا أعمالكم بجعل الدنيا محط أمركم (انما الحيوة) وأشار الى دناءتها تنفيرا عنها بقوله (الدنيا) اى الاشتغال بها (لعب) اى أعمال ضائعة سافلة تزيد في السرور [illegible] فيبطل من غير ثمرة (ولهو) اى مشغلة يطلب بها اثارة اللذة كالغناء (وان تؤمنوا وتتقوا) اى تجعلوا وقاية بينكم وبين غضبه سبحانه وتعالى وقاية من جهاد أعدائه وذلك من أعمال الآخرة (يؤتكم) اى الله سبحانه الذى فعلتم ذلك من أجله في الدار الآخرة (أجوركم) اى ثواب كل أعمالكم بنيانها على الاساس ولانه غنى لا ينقصه الاعطاء (ولا يسألكم) اى الله في الدنيا (أموالكم) اى لنفسه ولا كلها بل يقتصر على جزء يسير منها تفضل به عليكم كربع [illegible] (ان يسألكموها) اى كلها (فيحفكم) اى يبالغ في سؤالكم ويبلغ فيه الغاية حتى يستأصلها فيجهدكم بذلك فالاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شئ يقال احفاه في المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح واحفى شاربه استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا [illegible] (ويخرج) اى الله (أضغانكم) اى تضغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير في يخرج لله تعالى او للرسول أو للسؤال أو البخل [illegible] قال قتادة علم الله تعالى ان في مسئلة الاموال خروج الاضغان [illegible] وأنتم [illegible] قوله [illegible] الموصوفون وقوله تعالى (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) [illegible] ولا يخشى غير [illegible] والذين [illegible] القسم الآخر [illegible] كان [illegible] (فانما يبخل عن نفسه) [illegible] الاصالة [illegible] اى الملك الاعظم الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال (الغنى) [illegible] أيها [illegible] (الفقراء) لاحتياجكم في [illegible] (استبدل قوما غيركم) اى [illegible] (ثم لا يكونوا أمثالكم) [illegible] تعالى [illegible]

[illegible]

وانما افرد الكذب بالذكر لانه سبب نزول الآية وقيل الفسوق الكبيرة والعصيان الصغيرة (قوله قل لم تؤمنوا ولكن

بالثريا لتناوله رجال من فارس رواه الترمذي والحاكم وصححاه وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة محمد كان حقا على الله تعالى ان يسقيه من أنهار الجنة حديث موضوع

سورة الفتح مكية

وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وستون كلمة وألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون حرفا

(بسم الله) اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما (الرحمن) الذى عم خلقه بنعمه (الرحيم) الذى خص أهل وداده بمزيد فضله روى زيد بن أسلم عن أبيه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره فسأله عمر عن شئ فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه قال عمر فحركت بعيرى حتى تقدمت امام الناس وخشيت أن يكون نزل فى قرآن فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بى فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزلت على الليلة سورة هى أحب الى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ (انا فتحنا لك) أى بما لنا من العظمة التى لا تثبت لها الجبال (فتحا مبينا) اى لا لبس فيه على أحد واختلفوا فى هذا الفتح فروى عن أنس انه فتح مكة وقال مجاهد فتح خيبر والاكثرون على أنه صلح الحديبية قال أنس نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك الى آخر الآية مرجعه من الحديبية وأصحابه مخالطوا الحزن والكآبة فقال نزلت على آية هى أحب الى من الدنيا جميعها فلما تلاها نبى الله صلى الله عليه وسلم قال رجل من القوم هنيئا مريئا قد بين الله لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار حتى ختم الآية وقيل فتح الروم وقيل فتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان وقيل الفتح الحكم لقوله تعالى افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله تعالى ثم يفتح بيننا بالحق فمن قال هو فتح مكة قال لانه مناسب لآخر السورة التى قبلها من وجوه أحدها انه تعالى لما قال ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله الى أن قال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه بين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم اضعاف ما أنفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الا على أنفسهم ثانيها لما قال تعالى والله معكم وقال تعالى وأنتم الاعلون بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلون ثالثها [illegible] قال فلا تهنوا وتدعوا الى السلم كان معناه لا تسألوا الصلح بل اصبروا فانكم [illegible] فتح لهم [illegible] فكان المراد [illegible] مكة [illegible] قريش [illegible] [illegible] (انا فتحنا لك) ان كان المراد فتح مكة لم تكن فتحت فكيف قال تعالى هنا بلفظ الماضى (أجيب) من وجهين أحدهما ان ما فى كلامه تعالى [illegible] فانهما [illegible] ته تعالى فهو كائن [illegible] [illegible] الشئ اشارة الى انه واقع لا دافع له وأما حجة [illegible] على انه صلح الحديبية ما روى [illegible] تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة [illegible] الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم أربع [illegible] [illegible] الحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتاها [illegible] [illegible] فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع

قوله (أسلمنا) المنفي هنا الايمان بالقلب والمثبت الانقياد ظاهرا فهما في اللغة متغايران اتحدا الاعتبار كما انهما في الشرع مختلفان

من كان معه . وقيل جاس حتى امتلأ فلم يبق ماء وما بعد وقال الشعبي في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس قال الزهري ولم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر سواد الاسلام وقال البغوي انا فتحنا لك فتحا مبينا أي قضينا لك قضاء مبينا وقال الضحاك اي بغير قتال وكان الصلح من الفتح واختلف قول المفسرين في معنى اللام في قوله تعالى (ليغفر لك الله) اي الملك الاعظم فقال البيضاوي علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة وقال البغوي قيل اللام لام كي معناه انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح وقال الجلال المحلي اللام للعلة الغائية فمدخولها مسبب لا سبب وقال بعضهم انها لام القسم والاصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيها بلام كي وحذفت النون ورد هذا بان اللام لا تكسر وبانها لا تنصب المضارع قال ابن عادل وقد يقال ان هذا ليس بنصب وانما هو بقاء الفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقي ليدل عليها ولكنه قول مردود وقال الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قال يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض الآجل والعاجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للمغفرة والثواب اهـ قال ابن عادل وهذا الذي قاله مخالف لظاهر الآية فان اللام داخلة على المغفرة فتكون المغفرة علة للفتح والفتح معلل بها فكان ينبغي أن يقول كيف جعل فتح مكة معللا بالمغفرة ثم يقول لم يجعل معللا اهـ وقيل غير ذلك والاسلم ما اقتصر عليه الجلال المحلي . واختلف أيضا في الذنب في قوله تعالى (ما تقدم من ذنبك) فقال البقاعي اي الذي تقدم في القتال أمرك بالاستغفار له وهو ما تنتقل عنه من مقام كامل الى مقام فوقه أكمل منه فتراه بالنسبة الى أكملية المقام الثاني ذنبا وكذا قوله تعالى (وما تأخر) وقال الرازي المغفرة المعتبرة لها درجات كما ان الذنوب لها درجات حسنات الابرار سيئات المقربين وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك وقال سفيان الثوري ما تقدم ما عملت في الجاهلية وما تأخر كل شيء لم تعمله قال البغوي ويذكر مثل ذلك على سبيل التأكيد كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد وقيل المراد به ترك الافضل وقيل الصغائر على طريق من جوز الصغائر على الانبياء وقيل المراد بالمغفرة العصمة ومعنى قوله تعالى وما تأخر قيل انه وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بانه لا يذنب بعد النبوة وقيل ما تقدم على الفتح وما تأخر عنه وقيل المراد ذنب المؤمنين وقيل غير ذلك والاولى في ذلك هو الاول . واختلف أيضا في النعمة في قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) فقال البقاعي بنقلك من عالم

فهو ما تضمنه ان صدقا اذ الايمان هو التصديق بالقلب بشرط التلفظ بالشهادتين والاسلام بالعكس (قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله

الشهادة

الشهادة الى عالم الغيب ومن عالم الكون والفساد الى عالم الثبات والصلاح الذى هو أخص بحضرته وأولى برحمته واظهار أصحابك من بعدك على جميع أهل الملل وقال البيضاوى باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وقال الجلال المحلى بالفتح المذكور وقيل ان التكاليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج وهو آخر التكاليف والتكليف نعمة وقيل باجلاء الارض لك عن معانديك فان من يوم الفتح لم يبق للنبى صلى الله عليه وسلم عدو فان بعضهم قتل يوم بدر والباقون آمنوا واستأمنوا يوم الفتح وقيل ويتم نعمته عليك فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فباستجابة دعائك فى طلب الفتح وفى الآخرة بقبول شفاعتك وقيل غير ذلك والاول أولى واختلف أيضا فى معنى الهداية فى قوله تعالى (ويهديك صراطا) اى طريقا (مستقيما) أى واضحا جليا افتال البقاعى اى بهداية جميع قومك ولما كانت هدايتهم من هدايته أضافها سبحانه اليه اعلاما له أنها هداية تليق بجنابه الشريف سرور اله وقال البيضاوى فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وقيل يهديك وقيل يديمك على الصراط المستقيم وقيل جعل الفتح سبب الهداية الى الصراط المستقيم لانه سهل على المؤمنين الجهاد لعلمهم بفوائده العاجلة والآجلة وقيل المراد التعريف أى لتعرف أنك على صراط مستقيم (وينصرك الله) اى على ملوك الامم نصرا يليق اسناده الى اسمه المحيط بسائر العظم (نصرا عزيزا) اى يغلب المنصور به كل من ناواه ولا يغلبه شئ بعد دوامه ولا يذل بعده لان الامة التى تتصف به لا يظهر عليها أحد والدين الذى قام لاجله لا ينقضى (فان قيل) ان الله تعالى وصف النصر بكونه عزيزا والعزيز من له النصر (أجيب) من وجهين أحدهما قال الزمخشرى انه يحتمل وجوها ثلاثة الاول معناه نصرا ذا عز كقولك فى عيشة راضية أى ذات رضا ثانيها وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا كما يقال له كلام صادق كما يقال له متكلم صادق ثالثها المراد نصرا عزيزا صاحبه الوجه الثانى أن يقال انما يلزم ما ذكره الزمخشرى اذا قلنا العزة فى الغالبة والعزيز الغالب وأما اذا قلنا العزيز هو النفيس القليل النظير أو المحتاج اليه القليل الوجود يقال عز الشئ فى وقت كذا اى قل وجوده مع الاحتياج اليه فالنصر كان محتاجا اليه ومثله لم يوجد وهو أخذ بيت الله تعالى من الكفار فقهرا من غير عدد ولا عدد (هو) اى وحده (الذى أنزل) اى فى يوم الحديبية وغيره (السكينة) اى الثبات على الدين والطمأنينة (فى قلوب المؤمنين) اى الراسخين فى الايمان وهم أهل الحديبية بعد ان دهمهم فيها ما من شأنه ان يزعج النفوس ويزيغ القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصودهم فلم يرجع أحد منهم عن الايمان بعد أن هاج الناس وزلزلوا حتى عمر رضى الله عنه فارق ومع وصفه فى الكتب السالفة بانه قرن من حديد فما الظن بغيره وكان عنده الصديق من الفهم الثابت والاصل الراسخ ما علم به أنه لم يسابق ثم ثبتهم الله تعالى أجمعين وقال الرازى السكينة الثقة بوعد الله والصبر على حكم الله وقيل السكينة ههنا معنى يجمع نورا وقوة وروحا يسكن اليه الخائف ويتسلى به الحزين والمراد السكينة لم نر وشئ منه ظهر بعض الاسود اه وقال أكثر المفسرين ان معنى السكينة غير السكينة المذكورة فى قوله تعالى يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وقيل أنه يكون...

(ورسوله) الآية (ان قلت) العمل ليس من الايمان فكيف ذكر أنه منه فى هذه الآية (قلت) المراد منها الايمان الكامل أى اما

تمت لان المقصود منها على جميع الوجوه اليقين وثبات القلب (ليزدادوا) اى بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال لهم انه لابد أن تدخلوا مكة وتطوفوا بالبيت (ايمانا) عند التصديق بالغيب (مع ايمانهم) الثابت من قبل هذه الواقعة أو بشرائع الدين مع ايمانهم بالله واليوم الآخر وقال القشيري بطلوع أقمار عين اليقين على نجوم علم اليقين ثم بطلوع شمس [illegible] اليقين على بدر عين اليقين وقال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة [illegible] الله [illegible] فلما صدقوا زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد حتى [illegible] كلما أمروا بشئ فصدقوه [illegible] تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك [illegible] يقينهم وقيل ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطرى (قال [illegible]) ما الحكمة [illegible] قوله [illegible] الكفار انهم لم يزدادوا ايمانا ولم يقل مع كفرهم وقال في حق المؤمنين [illegible] ايمانا مع ايمانهم (أجيب) بان كفر الكافر عنادى [illegible] في [illegible] [illegible] عنادى [illegible] الكفر العنادى [illegible] [illegible] الاصول [illegible] [illegible] بالاصول الايمان الفرعى [illegible] قال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم (ولله) اى الملك الاعظم الذى انزل السكينة [illegible] المؤمنين (جنود السموات والارض) فهو قادر على اهلاك عدوه بجنوده بل [illegible] لم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون اهلاك أعداء [illegible] فيكون لهم الثواب وجنود [illegible] الملائكة وقيل جنود السموات الملائكة وجنود الارض [illegible] (وكان الله) اى الملك الاعظم [illegible] (عليما) اى بالغ العلم (حكيما) في اتقان [illegible] (ليدخل) (المؤمنين و [illegible]) [illegible]

[illegible]

الؤمنون ايمانا كاملا ثم
في قوله انما يخشى الله من
عباده العلماء وقوله صلى الله
عليه وسلم المسلم من سلم

تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال فى الذكر بمعنى انه من أهل الجنة (وكان ذلك) اى الادخال والتكفير (عند الله) اى الملك الاعظم ذى الجلال والاكرام (فوزا عظيما) لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع ودفع ضر * (تنبيه) * عند متعلق بمحذوف على أنه حال من فوزا * ولما كان من أعظم الفوز اقرار العين بالانتقام من العدو وكان العدو المكاتم أشد من المجاهر المراغم قال تعالى (ويعذب المنافقين) المخفين للكفر المظهرين للايمان اى فيزيل كل ما لهم من العذوبة (والمنافقات) لما غاظهم من ازدياد الايمان (والمشركين والمشركات) اى المظهرين الكفر للمؤمنين وقدم المنافقين على المشركين فى كثير من المواضع لانهم كانوا أشد على المؤمنين من الكفار المجاهرين لان المؤمن كان يتوقى المشرك المجاهر ويخالط المنافق لظنه ايمانه وكان يفشى أسراره والى هذا اشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ولهذا قال الشاعر

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مره

فلربما انقلب الصديـ * ـق فكان أخبر بالمضره

وقوله تعالى (الظانين بالله) اى المحيط بصفات الكمال صفة للفريقين وأما قوله تعالى (ظن السوء) فقال أكثر المفسرين هو أن لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين (عليهم دائرة السوء) اى دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين والباقون بالفتح وهما لغتان كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا أن المفتوح غلب فى أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شئ وأما السوء فجار مجرى الشر الذى هو نقيض الخير (وغضب الله) اى الملك الاعظم بما له من صفات الجلال والجمال فاستعلى غضبه (عليهم) وهو أنه تعالى يعاملهم معاملة الغضبان بالاطاقة لهم به (ولعنهم) اى طردهم طردا نزلوا به أسفل السافلين فبعدوا به عن كل خير (وأعد) اى هيأ (لهم) الآن (جهنم) تلقاهم بالعبوسة والتغيظ والزفير والتجهم كما كانوا يتجهمون عباد الله مع ما فيها من العذاب والحر والبرد والاحراق وغير ذلك من أنواع المشاق (وساءت) اى جهنم (مصيرا) اى مرجعا وقوله تعالى (ولله) اى الملك الاعظم (جنود السموات والارض) تقدم تفسيره وفائدة الاعادة التأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب وقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين ملائكة الرحمة فتبشرهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة أفضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شئ وأخر ذكر جنود السموات والارض بعد ذكر تعذيب الكفار والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقونهم أبدا كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم (فان قيل) قال الله تعالى وكان الله عليما حكيما وقال هنا (وكان الله) اى الملك الذى لا أمر لاحد معه أزلا وأبدا (عزيزا) اى يغلب ولا يغلب (حكيما) اى يضع الشئ فى أحكم مواضعه فلا يستطاع نقض شئ مما ينسب اليه (أجيب) بانه لما كان فى جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو

المساون من لسانه ويده

(سورة ق)

(قوله ق) ان جعل اسما للسورة فهو خبر مبتدأ محذوف

للعذاب وعلم الله تعالى ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الاولى وكان الله
عليما حكيما وناسب ان تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما (انا) اى
بما لنا من العز والحكمة (أرسلناك) اى بما لنا من العظمة الى الخلق كافة (شاهدا)
على أفعالهم من كفر وايمان وطاعة وعصيان من كان بحضرتك فبنفسك ومن كان
بعد موتك أو غائبا عنك فبمشاركتهم مما أيدناك به من الحفظة من الملائكة الكرام (ومبشرا)
اى لمن أطاع بأنواع البشائر (ونذيرا) اى مخوفا لمن خالفك وعصى أمرك بالنار ثم بين تعالى
فائدة الارسال بقوله سبحانه (ليؤمنوا بالله) اى لا يسوغ لاحد من خلقه والكل خلقه
التوحيد والتعبد (ورسوله) اى الذى أرسله من له كل شئ ملكا وخلقا لجميع خلقه
(ويعزروه) اى يعينوه وينصروه والتعزير النصر مع تعظيم (ويوقروه) اى يعظموه وأنواع
التعظيم والتبجيل (ويسبحوه) من التسبيح الذى هو التنزيه عن جميع النقائص أو من
السبحة وهى الصلاة قال الزمخشرى والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه
ورسوله ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقال غيره من الكتاب [illegible]
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند هاتم الكلام والوقف على [illegible] وهو وقف تام ثم يبتدئ
بقوله تعالى ويسبحوه (بكرة وأصيلا) اى غدوة وعشيا اى النهار [illegible] صلاة
الفجر وصلاة الظهر والعصر على أن الكناية فى ويسبحوه راجعة الى الله عز وجل [illegible]
الافعال الثلاثة يحتمل أن يراد بها الله تعالى لان من سعى فى [illegible] الكفار فقد [illegible]
فيكون اما عائدا على المذكور واما أن يكون [illegible] واحدا اشارة الى [illegible]

[illegible]

أى هذا ف بالحلف السابق
فى ص وان جعل قسما
فجوابه مع ما عطف عليه
محذوف تقديره [illegible]

للايمان ثانيهما قال ابن عباس ومجاهد يد الله بالوفاء بما وعدهم من النصر والخير أقوى وأعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان أى الغلبة والقوة وان كانت بمعنيين ففي حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة قال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله تعالى فوق أيديهم في المبايعة وذلك أن المتبايعين اذا مد أحدهما يده الى الآخر في البيع وبينهما ثالث يضع يده على أيديهما ويحفظ أيديهما الى أن يتم العقد ولا يترك أحدهما يترك يد الآخر لكي يلزم العقد ولا يتفاسخان فصار وضع اليد فوق الايدى سببا لحفظ البيعة فقال تعالى يد الله فوق أيديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط أيدى المتبايعين قال البقاعى فلعنة الله على من حمله على الظاهر من أهل العناد ببدعة الاتحاد وعلى من تبعهم على ذلك من الذين شاقوا الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وسائر الائمة الاعلام ورضوا لانفسهم بأن يكونوا أتباع فرعون اللعين وناهيك به من ضلال مبين اه وقد مر ان التأويل في الآيات المتشابهات مذهب الخلف ومذهب السلف السكوت عن التأويل وامرار الصفات على ما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل (فمن نكث) أى نقض البيعة في وقت من الاوقات بفعلها كالحبل البالى الذى ينقض (فانما ينكث) أى يرجع وبال نقضه (على نفسه) أى فلا يضر الا هو (ومن أوفى) أى فعل الاتمام والاكثار والاطالة (بما عاهد) وقدم الشارف في قوله (عليه الله) أى الملك المحيط بكل شىء قدرة وعلما من هذه المبايعات وغيرها اهتماما به وقرأ حفص بضم الهاء قبل الاسم الجليل والباقون بكسر الهاء والترقيق (فسيؤتيه) بوعد مؤكد لا خلف فيه (أجرا عظيما) لا تسع عقولكم شرح وصفه قال ابن عادل والمراد به الجنة وقرأ أبو عمرو والكوفيون بالياء التحتية والباقون بالنون ولما ذكر تعالى أهل بيعة الرضوان وأضافهم الى حضرة الرحمن ذكر من غاب عن ذلك الجناب رابطا من حضرة ذلك العمرة بقوله تعالى (سيقول) أى بوعد لا خلف فيه (لك) أى لانهم الى شدة رحمتك ورفقك وشفقتك على عباد الله فهم يطمعون في قبولك من فاسد عذرهم ما لا يطمعون فيه من غيرك من خلص المؤمنين (المخلفون) أى الذين خلفهم الله تعالى عنك ولم يرضهم لصحبتك في هذه العمرة فجعلهم كالشىء التافه الذى يخلفه الانسان لانه لا فائدة فيه ولا يبالى به وقال تعالى (من الاعراب) ليخرج من كان بالمدينة من المهاجرين والانصار ونحوهم ممن ... الذين خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقلب قال ابن عباس ومجاهد يعنى اعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فأنزل الله تعالى فيهم سيقول لك المخلفون أى الذين خلفهم الله تعالى من الاعراب عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك وعاتبتهم على التخلف (شغلتنا) أى عن اجابتك في هذه العمرة (أموالنا وأهلونا) أى النساء والذرارى

بدليل قوله ذلك رجع
بعيد أو لقد أرسلنا محمدا
بدليل قوله بل عجبوا أن
جاءهم منذر منهم أو هو
قوله قد علمنا حذفت منه

فانا ولق كأنهم اضاعوا لانه لم يكن لنا من يقوم بهم وانت قد نهيت عن ضياع المال والتفريط في العيال ثم سببوا عن هذا القول الذى اراد به السوء قولهم (فاستغفر) أى اطلب المغفرة (لنا) من الله تعالى ان كنا أخطأنا أو قصرنا فكذبهم الله تعالى فى اعتذارهم بقوله سبحانه وتعالى (يقولون بألسنتهم) أى فى الشغل والاستغفار وأكد ما أفهمه ذكر اللسان من أنه قول ظاهرى نفيا للكلام الحقيقى الذى هو النفسى بكل اعتبار بقوله تعالى (ماليس فى قلوبهم) لانهم لم يكن لهم شغل ولا كانت لهم نية فى سؤال الاستغفار فانهم لا يبالون استغفر لهم الرسول أم لا (قل) يا أشرف الرسل لهؤلاء الاغبياء واعظالهم مسببا عن مخادعتهم لمن لا يخفى عليه خافية اشارة الى أن العاقل يقبح عليه أن يقدم على ما هو بحيث تخشى عواقبه (فمن يملك لكم) أى أيها الخادعون (من الله) أى الملك الذى لا أمر لاحد معه لانه لا كفء له (شيأ) يمنعكم (ان أراد بكم ضرا) أى نوعا من أنواع الضر عظيما أو حقيرا فأهلك الاموال والاهلين وأنتم مخاطرون فى حفظها فلم ينفعها حضوركم أو أهلككم أنتم وقرأ حمزة والكسائى بضم الضاد والباقون بفتحها (أو أراد بكم نفعا) يحفظها مما به فى غيبتكم فلا يضرهم بعدكم عنهم ويحفظكم فى انفسكم (بل كان الله) أى المحيط ازلا وأبدا بكل شئ قدرة وعلما (بما تعملون) أى أيها الجهلة (خبيرا) يعلم بواطن أموركم هذه وغيرها كما يعلم ظواهرها (بل ظننتم) أى فانتم واقفون مع الظنون الظاهرة ليس لكم نفوذ الى البواطن وقرأ الكسائى بادغام اللام فى الظاء والباقون بالاظهار وأشار الى ما كذ ظنهم على زعمهم بقوله تعالى (أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) أى ظننتم أن العدو يستأصلهم ولا يرجعون الى قلوبكم من عظمة المشركين وحقارة المؤمنين فحملكم ذلك على أن قلتم ما هم فى قريش الا أكلة رأس (فان قيل) ما الفرق بين حرفى الاضراب (أجيب) بان الاضراب الاول اضراب معناه رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوه واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين أى وصفهم بما هو أعم منه وهو الجهل وقلة الفقه (وزين ذلك) أى الامر القبيح الذى هو خراب الدنيا (فى قلوبكم) حتى قلتموه (وظننتم) أى بذلك وغيره مما يترتب عليه من اظهار الكفر وما يتفرع عنه (ظن السوء) أى الذى لم يدع شيأ مما يكره غاية الكراهة الا أحاط به وقوله تعالى (وكنتم قوما بورا) جمع بائر أى هالكين عند الله تعالى بهذا الظن وهذا بالنظر الى الجمع من حيث هو جمع لا بالنسبة الى كل فرد فانه قد أخلص منهم بعد ذلك كثير وثبتوا ولم يرتدوا (ومن لم يؤمن) أى منكم ومن غيركم (بالله) أى الذى لا موجود على الحقيقة سواه (ورسوله) أى الذى أرسله لاظهار دينه (فانا) على ما لنا من العظمة (أعتدنا) أى له هكذا كان الاصل ولكنه قال تعالى معللا للحكم بالوصف (للكافرين) ايذانا بان من لم يجمع الايمان بهما فهو كافر وأعد له (سعيرا) أى نارا شديدة (ولله) أى الملك الاعظم وحده (ملك السموات والارض) أى من الجنود وغيرها يدبر ذلك كله كيف يشاء (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) أى لا اعتراض لاحد عليه لانه لا يجب عليه شئ ولا يكافئه أحد وليس هو كالملوك الذين لا يتمكنون من مثل ذلك لكثرة الاكفاء المعارضين لهم فى الجملة وعلم من هذا أن منهم من يرتد فيعذبه ومنهم من يثبت على

الا الام او قوله ما بالقظ من قول هو قوله وحسب الحصد) (قوله وحسب * ان قلت فيه اضافة الشئ الى نفسه وهى ممتنعة لان

الاسلام فيغفرله لانه لايعذب بغير ذنب وان كان له أن يفعل ذلك لانه لايسئل عما يفعل وملكه تام فتصرفه فيه عدل كيف كان (وكان الله) أى المحيط بصفات الكمال أزلا وأبدا لم يتجدد له شئ لم يكن (غفورا) أى لذنوب المسيئين (رحيما) أى مكرما بعد الستر بما لا تسعه العقول وقدرته على الانعام كقدرته على الانتقام (سيقول) أى بوعد لاخلاف فيه (المخلفون) أى الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم) أى سرتم أيها المؤمنون (الى مغانم لتأخذوها) أى مغانم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من المغانم شيأ وعدهم الله تعالى فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيأ (ذرونا) أى على أى حالة شئتم من الاحوال الدنيئة (نتبعكم) أى الى خيبر لنشهد معكم قتال أهلها وفى هذا بيان كذب المخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا اذ لم يكن لهم هنالك طمع فى الغنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع فى الغنيمة (يريدون) أى بذهابهم معكم (أن يبدلوا كلام الله) أى يريدون أن يغيروا مواعيد الملك الاعظم لاهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعنى أمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حيث أمره أن لا يسير معه منهم أحد الى خيبر وقال ابن زيد هو أن النبى صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم أطلعه الله تعالى على ظنهم وأظهر له نفاقهم وقال للنبى صلى الله عليه وسلم فاذا استأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا وقرأ حمزة والكسائى بكسر اللام بعد الكاف ولا ألف بعد اللام والباقون بفتح اللام وألف بعدها (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء المبعدين اذا بلغك كلامهم أنت بنفسك فان غيرك لا يقوم مقامك فى هذا الامر المهم قولا مؤكدا (لن تتبعونا) أى وان اجتهدتم فى ذلك وساقه مساق النفى وان كان المراد به النهى مع كونه آكد ليكون علما من أعلام النبوة وهو أزجر وأدل على استهانتهم (كذلكم) أى مثل هذا القول البديع الشأن العالى الرتبة (قال الله) أى الذى لا يكون الا ما يريد وليس هو كالملوك الذين لا قدرة لهم على الغفران لمن شاؤا والعقاب لمن شاؤا (من قبل) أى من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب * ولما كانوا منافقين لا يعتقدون شيأ من هذه الاقوال بل يظنون انها حيل على التوصل الى المرادات الدنيوية سبب عن قوله لهم ذلك قوله تعالى تنبيها على جلافتهم وفساد ظنونهم (فسيقولون) ليس الامر كما ذكر مما ادعى أنه قول الله تعالى (بل) انما قلتم ذلك لانكم (تحسدوننا) فلا تريدون ان يصل الينا من مال الغنائم شئ وقرأ هشام وحمزة والكسائى بادغام اللام فى التاء والباقون بالاظهار (بل كانوا) أى جبلة وطبعا (لا يفقهون) أى لا يفهمون فهم الحاذق الماهر (الا قليلا) أى فى أمر دنياهم ومن ذلك اقرارهم باللسان لاجلها وأما أمور الآخرة فلا يفهمون منها شيأ (قل) أى يا أشرف الرسل (للمخلفين) وزاد فى ذمهم بنسبتهم الى الجلافة بقوله تعالى (من الاعراب) أى أهل غلظ الاكباد (ستدعون) بوعد لاخلاف فيه (الى قوم أولى) أى أصحاب (باس شديد) أى شدة فى الحرب وشجاعة قال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب الروم وقال الحسن فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان قوم حنين

الاضافة تقتضى المغايرة بين المضاف والمضاف اليه (قلت) ليست ممتنعة مطلقا بل هى جائزة عند اختلاف اللفظين كما فى

وقال الزهرى ومقاتل وجماعة هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر الى قتال بنى حنيفة فعلمنا أنهم هم وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد قال ابن الخازن وأقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده قول من قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه اشارة الى وقوع أحد الامرين اما المقاتلة منكم واما الاسلام منهم فان لم يسلموا كان القتال لاغير وان أسلموا لم يكن قتال لان الغرض ليس الا اعلاء كلمة الله تعالى (فان تطيعوا) أى توقعوا الطاعة للداعى الى ذلك (يؤتكم الله) أى الذى له الاحاطة (أجرا حسنا) دنيا وهو الغنيمة وأخرى وهى الجنة (وان تتولوا) أى تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) أى عام الحديبية (يعذبكم) أى يخالطكم بعقوبة تزيل العذوبة فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما (عذابا أليما) لاجل تكرر ذلك منكم فلما أنزلت هذه الآية قال أهل الزمانة كيف بنا يارسول الله فأنزل الله عز وجل (ليس على الاعمى) أى فى تخلفه عن الدعاء الى الخروج مع النبى صلى الله عليه وسلم أو مع غيره من أئمة الهدى (حرج) أى ميل بثقل الاثم لانه لا يتمكن من الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه ولا الهرب (ولا على الاعرج) وان كان نقصه أدنى من نقص الاعمى (حرج) وفى معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع (ولا على المريض) أى باى مرض كان يمنعه (حرج) وفى معناه صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك اعذار أخر دون ما ذكر كتمريض المريض الذى ليس له من يقوم مقامه عليه * (تنبيه) * جعل تعالى كل جملة مستقلة تاكيدا لهذا الحكم وقدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به فى حرس ولا غيره بخلاف الاعرج وقدم الاعرج على المريض لان عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قرب (ومن يطع الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال المفيض من آثار صفاته على من يشاء ولو كان ضعيفا المانع منها من يشاء وان كان قويا (ورسوله) من المعذورين وغيرهم فيما ندبا اليه باى طاعة كانت (يدخله) أى الله الملك الاعظم جزاء له (جنات تجرى من تحتها الانهار) أى من أى موضع أردت أجريت نهرا (ومن يتول) أى يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه) أى على توليه فى الدارين او احداهما (عذابا اليما) أى مؤلما وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما والباقون بالياء التحتية * ولما بين تعالى حال المخلفين بعد قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله عاد الى بيان حال المبايعين بقوله تعالى (لقد رضى الله) أى الذى له الجلال والكمال (عن المؤمنين) أى الراسخين فى الايمان أى فعل بهم فعل الراضى بما جعل لهم من الفتح وما قدر لهم من الثواب وافهم ذلك انه لم يرض عن الكافرين فخذلهم فى الدنيا مع ما أعدلهم فى الآخرة فالآية تقرير لما ذكر من جزاء الفريقين بامور مشاهدة وقوله تعالى (اذ) أى حين (يبايعونك) منصوب برضى واللام فى قوله تعالى (تحت الشجرة) للعهد الذهنى وكانت شجرة فى الموضع الذى كان النبى صلى الله

عليه

قوله حق اليقين وحبل الوريد ودار الآخرة وبتقدير امتناعها مطلقا فالتقدير حب الزرع او النبات الحصيد (قوله

عليه وسلم نازلا به في الحديبية ولاجل هذا الرضا سميت بيعة الرضوان وقصتها ان النبي عليه الصلاة والسلام حين نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش واحدها احبوش وهو الفوج من قبائل شتى فلما رجع دعا عمر ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكني ادلك على رجل هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه يخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما افعل قبل ان يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبس عندهم فارجف انهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة روى البغوي من طريق الثعلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لايدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة وقال سعيد بن المسيب حدثني ابي انه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها وروي ان عمر مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا قد ذهبت الشجرة وروى جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير اهل الارض وكنا ألفا واربعمائة ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه وبيدي غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره وبايعوه على الموت دونه ٣ على ان لايفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير اهل الارض وكان عدد المبايعين ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة وقال عبد الله بن ابي اوفى كنا اصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة ولما دل على اخلاصهم بما وصفهم سبب عنه قوله تعالى (فعلم) اي بما له من الاحاطة (ما في قلوبهم) اي من الصدق والوفاء فيما بايعوا عليه (فانزل السكينة) اي الطمأنينة والامن بسبب الصلح (عليهم) او بالتشجيع وسكون النفس في كل حالة ترضي الله ورسوله ولهذا لم يخافوا عاقبة القتال لما ندبوا اليه وان كانوا في كثرة الكفار كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود (واثابهم) اي اعطاهم جزاء لهم على ما رضي من الطاعة (فتحا قريبا) هو فتح خيبر عقب انصرافهم وعن الحسن فتح هجر ونبه تعالى بصيغة منتهى الجموع في قوله تعالى (ومغانم) على انها عظيمة ثم صرح بذلك بقوله تعالى (كثيرة يأخذونها) وهي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله) اي الذي لا كفء له (عزيزا) يغلب ولايغالب (حكيما) اي يفعل ما يريد فلا يتعقب شيء من افعاله بالمغانم ولا غيرها ولكم بال كلام على أيديكم ليثيبكم عليه (وعدكم الله) اي الملك الاعظم (مغانم) محققة بعضها بقوله تعالى (كثيرة تأخذونها) اي فيما يأتي من البلاد شيئا لاتدخل تحت حصر وليس المغانم كل الثواب بل الجنة والنظر الى وجهه الكريم قدامهم وانما هي كعاجلة عجل بها ولهذا قال تعالى (فعجل لكم) اي من الغنائم (هذه) اي مغانم خيبر (وكف ايدي الناس عنكم) وذلك أن الني

عن اليمين وعن الشمال قعيد) وان قلت كيف قال قعيد ولم يقل قعيدان مع انه وصف للملكين المذكورين بقوله اذ يتلقى المتلقيان

٣ قوله على أن لايفروا اهله تفسير للمبايعة على الموت كما أشار اليه الحافظ ابن حجر اه مصححه

صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل من أسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله تعالى ايديهم بالقاء الرعب فى قلوبهم فنكصوا وقيل ايدى اهل مكة بالصلح وقوله تعالى (ولتكون) اى هذه المعجلة عطف على مقدر أى لتشكروه ولتكون (آية) اى علامة فى غاية الوضوح (للمؤمنين) اى أنهم من الله تعالى بمكان او صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى وعدهم فتح خيبر فى حين رجوعه من الحديبية او وعدهم المغنم أو عنوانا لفتح مكة (ويهديكم صراطا) اى طريقا (مستقيما) أى يثبتكم على الاسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذى الحجة وبعض المحرم ثم خرج فى سنة سبع الى خيبر روى انس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا بنا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع أذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فانتهينا اليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبنا وركبت خلف ابى طلحة وان قدمى لتمس قدم النبى صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله محمد والخميس اى الجيش فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وروى اياس بن سلمة قال حدثنى ابى قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم ثم قال

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا * فثبت الاقدام ان لاقينا
* وأنزلن سكينة علينا *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال انا عامر فقال غفر لك ربك وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبى الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب
* اذا الحروب أقبلت تلهب *

قال فبرز له عامر بن عثمان فقال

قد علمت خيبر أنى عامر * شاكى السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر فرجع سيف عامر على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم ارسلنى الى على وهو ارمد فقال لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فأتيت عليا فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرئ واعطاه الراية وخرج مرحب وقال

أنا الذى سمتنى امى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب

(قال) معناه عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد لكنه حذف احدهما لدلالة المذكور عليه أو ان فعيلا يستوى فيه الواحد

فقال

فقال علي كرم الله تعالى وجهه

أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره

* أكيلكم بالسيف كيل السندره *

قال فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه ومعنى * أكيلكم بالسيف كيل السندره أي أقتلكم قتلا واسعا ذريعا والسندرة مكيال واسع قيل يحتمل ان يكون اخذ من السندرة وهي شجرة يعمل منها النبل والقسي والسندرة ايضا العجلة والنون زائدة قال ابن الاثير وذكرها الجوهري في هذا الباب ولم ينبه على زيادتها وروى فتح خيبر من طرق أخر في بعضها زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض وقوله تعالى (وأخرى) صفة مغانم مقدرا مبتدأ وقيل هي مبتدأ والخبر (لم تقدروا عليها) وهي كما قال ابن عباس فارس والروم وما كانت العرب تقدر تقاتل فارس والروم بل كانوا اخولا لهم حتى قدروا عليهما بالاسلام وقال الضحاك هي خيبر وعدها الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هي مكة وقال عكرمة حنين وقال البقاعي هي والله أعلم غنائم هوازن التي لم يحصل قبلها ما يقاربها (قد أحاط الله) أي المحيط بكل شئ قدرة وعلما (بها) أي علم انها ستكون لكم (وكان الله) أي المحيط بجميع صفات الكمال أزلا وأبدا (على كل شئ) منها ومن غيرها (قديرا) أي بالغ القدرة لانه بكل شئ عليم (ولو قاتلكم الذين كفروا) وهم أهل مكة ومن وافقهم وكانوا قد اجتمعوا وجمعوا الاحابيش ومن أطاعهم وقدموا خالد بن الوليد طليعة لهم الى كراع الغميم ولم يكن اسلم بعد (لولوا) اي بغاية جهدهم (الادبار) منهزمين (ثم) اي بعد طول الزمان وكثرة الاعوان (لايجدون) اي في وقت من الاوقات (وليا) اي من يفعل معهم فعل القريب من الشفقة (ولا نصيرا) ينصرهم ولما كانت هذه عادة جارية قديمة مع اولياء الله تعالى حيثما كانوا من الرسل واتباعهم وان جندنا لهم الغالبون قال تعالى (سنة الله) اي سن المحيط بكل شئ علما غلبة انبيائه وأتباعهم (التي قد خلت من قبل) أي فيمن مضى من الامم كما قال تعالى لاغلبن أنا ورسلي (ولن تجد) أيها السامع (لسنة الله) اي الذي لا يخلف قوله لانه محيط بجميع صفات الكمال (تبديلا) اي تغييرا من مغير ما يغيرها بما يكون بدلها ثم عطف على ما تقديره هو الذي سن هذه السنة العامة قوله تعالى (وهو الذي كف) اي وحده (أيديهم) اي الذين كفروا من اهل مكة وغيرهم فان الكف مشروع لكل أحد (عنكم وايديكم) ايها المؤمنون (عنهم ببطن مكة) أي بالحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة وقيل داخل مكة (من بعد أن اظفركم) أي أظهركم (عليهم) وهذا تبيين لما تقدم من قوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار بتقدير انه كما كف أيديهم عنكم بالفرار وأيديكم عنهم بالرجوع عنهم وتركهم روى ثابت عن أنس بن مالك ان ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم فنزلت هذه الآية وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج

والاثنان والجمع قال تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير أو قال ذلك رعاية للفواصل (قوله وقال قرينه) قاله هنا بالواو وقاله بعد بدونها الان

علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله أبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد أوهل جعل لكم أحد أمانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت وقيل ان ذلك كان يوم فتح مكة وبه استشهد أبو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا (وكان الله) اى المحيط بالجلال والاكرام أزلا وأبدا وقرأ (بما يعملون) أبو عمرو بالياء التحتية اى الكفار والباقون بالتاء الفوقية اى أنتم (بصيرا) اى محيط العلم ببواطن ذلك كما هو محيط بظواهره ولما كان ما مضى من وصف الكفار يشمل كفار مكة وغيرهم عينهم بسبب كفهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن البيت الحرام بقوله تعالى (هم) اى اهل مكة ومن لافهم (الذين كفروا) اى أوغلوا في هذا الوصف ببواطنهم وظواهرهم (وصدوكم) زيادة على كفرهم في عمرة الحديبية (عن المسجد الحرام) اى منعوكم الوصول الى مكة ونفس المسجد والكعبة للاحلال بما أمر فيه من شعائر الاحرام بالعمرة روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان ابن الحكم كل منهما يصدق حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان أتاه عتبة الخزاعي فقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس أترون ان أميل الى ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله أم ترون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال احد ولا حرب فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين [illegible] خالد حتى اذا هم [illegible] الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش [illegible] اذا كان بالثنية [illegible] عليهم منها بركت به راحلته [illegible] خلأت اى حرنت القصواء [illegible] ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده [illegible] فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها [illegible] الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس [illegible] اليه النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته [illegible] ناجية بن عمرو وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البئر [illegible] يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه [illegible] وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

الاول خطاب للانسان من قريبه ومتعلق به فناسب ذكر الواو والثاني استئناف خطاب من الله غير متعلق بما قبله فناسب حذفها

ابن لؤى وعامر بن لؤى نزلا مع بجمع أعداد مياه الحديبية و معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك
وصادوك عن البيت الحرام فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا
معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين
الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان أبوا
فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى أو لينفذن الله أمره فقال بديل
سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا
فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ وقال ذوو الرأى
منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم
فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال أى قوم ألستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى فقال
فهل تتهمونى قالوا لا قال ألستم تعلمون انى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلى
وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى
آتيه قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من
قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اى محمد أرأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت باحد من
العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى فوالله انى ارى وجوها وأشوابا من الناس خليقا
ان يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر الصديق امصص بظر اللات والعزى انحن نفر عنه وندعه
فقال من ذا قالوا أبو بكر فقال اما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم اجزك بها
لاجبتك قال وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة قائم على
رأس النبى صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية النبى
صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرفع عروة رأسه وقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال اى غدر ألست أسعى فى غدرتك
وكان المغيرة صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم واخذ أموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبى صلى الله عليه
وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبى
صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى
كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون
على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى
أصحابه فقال اى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان
اى ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان اى ما تنخم نخامة الا
وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا
يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد
عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بنى كنانة دعونى آتيه فقالوا ائته فلما اشرف
على النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا فلان من قوم يعظمون
البدن فابعثوها له فبعثوها له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغى
لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رأيت البدن قد قلدت واشعرت فما

(قوله أقبلا) فان قلت كيف
ثنى الفاعل مع انه واحد
وهو مالك خازن النار (قلت)
بل الفاعل مثنى وهما
الملكان اللذان مر ذكرهما

ارى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى
يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوتاره من طول الحبس
عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يا معشر
قريش انى قد رأيت ما لا يحل صد الهدى فى قلائده قد اكل اوتاره من طول الحبس عن محله
قالوا له اجلس فانما انت رجل اعرابى لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش
والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ان تصدوا عن بيت الله من جاءه معظما له
والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد
فقالوا له كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به فقام رجل يقال له مكرز بن حفص
فقال دعونى آته فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو
رجل فاجر فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاءه سهيل بن عمرو قال عكرمة
لما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال قد سهل لكم من أمركم قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل
ابن عمرو فقال هات فكتب بيننا وبينك كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب
فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فلا ادرى ما هو ولكن اكتب
باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى
صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله
فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب
محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتمونى اكتب
محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات
الله الا اعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع
الحرب عشر سنين يأمن الناس فيه ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
وعلى ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة
ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك
الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما وروى ابن اسحق
عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن أنت محمد بن
عبد الله قال أنا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلى امح رسول الله فقال والله لا امحوك
أبدا فقال فأرنيه فأراه اياه فمحاه النبى صلى الله عليه وسلم بيده وفى رواية فأخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبد الله قال البراء صالح
على ثلاثة اشياء على ان من أتاه من المشركين رده اليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى ان
يدخلها من قابل ويقيم بها ثلاثة ايام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه
وروى فى سبب النزول غير ذلك ثم ان الروايات يزيد بعضها ونقصان بعض وقوله تعالى
(والهدى) معطوف على كم من صدوكم أى وصدوا الهدى وهو البدن التى ساقها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين وقوله تعالى [illegible] اى محبوسا حال وقوله تعالى

قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وان تقدمة الفاعل أثبت مقام ذكرا للتأكيد واستفاده احكام فكأنه

(أن يبلغ محله) أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال (ولولا رجال) أي مقيمون بين أظهر الكفار بمكة (مؤمنون) أي عريقون في الإيمان فكانوا لذلك أهلا للوصف بالرجولية (ونساء مؤمنات) أي كذلك حبس الكل عن الهجرة العذر لأن الكفار لكثرتهم استضعفوهم فمنعوهم الهجرة على أن ذلك شامل لمن جبله الله تعالى على الخير وعلم منه الإيمان وإن كان في ذلك الوقت كافرا (لم تعلموهم) أي لم يحط علمكم بهم من جميع الوجوه لتميزوهم بأعيانهم عن المشركين لأنهم ليس لهم قوة التميز منهم وأنتم لا تعرفون أماكنهم لتعاملوهم بما هم له أهل ولا سيما في حال الحرب والطعن والضرب ثم أبدل من الرجال والنساء قوله تعالى (أن تطؤهم) أي تؤذوهم بالقتل وما يقاربه من الجراح والضرب والنهب ونحو ذلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر (فتصيبكم) أي فيتسبب عن هذا الوطء أن تصيبكم (منهم) أي من جهتهم وبسببهم (معرة) أي مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والإثم بالتقصير في البحث مفعلة من عره إذا عراه ما يكرهه وقوله تعالى (بغير علم) متعلق بأن تطؤهم أي غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى ولولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم (فإن قيل) أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون (أجيب) بأنه يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والإثم إذا جرى منهم بعض التقصير وقوله تعالى (ليدخل الله) أي الذي له جميع صفات الكمال متعلق بمقدر أي كان انتفاء التسليط على أهل مكة وانتفاء العذاب ليدخل الله قال البغوي اللام في ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعني ليدخل الله (في رحمته) أي في إكرامه وإنعامه (من يشاء) بعد الصلح قبل أن يدخلوها من المشركين بأن يعطفهم إلى الإسلام ومن المؤمنين بأن يستنقذهم منهم على أرفق وجه وقوله تعالى (لو تزيلوا) يجوز أن يعود على المؤمنين فقط أو على الكافرين أو على الفريقين والمعنى لو تميز هؤلاء من هؤلاء (لعذبنا) أي بأيديكم بتسليطنا لكم عليهم بالقتل والسبي (الذين كفروا) أي أوقعوا ستر الإيمان (منهم) أي أهل مكة (عذابا أليما) أي شديد الإيجاع قال قتادة في الآية إن الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكافرين كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة هذا ولما بين شرط استحقاقهم للعذاب بين وقته وفيه بيان العلة فقال تعالى (إذ) أي حين (جعل الذين كفروا) أي ستروا ما تراءى من الحق في مرائي عقولهم وقوله تعالى (في قلوبهم) أي في قلوب أنفسهم يجوز أن يتعلق بجعل على أنه بمعنى ألقى فتتعدى لواحد أي إذ ألقى الكافرون في قلوبهم الحمية وأن يتعلق بمحذوف على أنه مفعول ثان قدم على أنها بمعنى صير (الحمية) أي الأنفة الشديدة والإباء الذي هو في شدة حره ونفوذه في أشد الأجسام كالسم أو النار وأنشدوا

ألا إنني منهم وعرضي عرضهم … كذا الرأس يحمي أنفه أن يهشما

وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم وأظهر الدال عند الجيم نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وأدغمها الباقون وقوله تعالى (حمية الجاهلية) بدل من الحمية قبلها ووزنها فعيلة وهي مصدر يقال حميت من

قال الفى الق كقول امرئ القيس ففانيك او ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم خطابهما يقال خليلي

كذا حمية وحمية الجاهلية هي التي مدارها مطلق المنع سواء كان بحق أم باطل فتمنع من الاذعان للحق ومبناها على التشفي على مقتضى الغضب لغير الله فتوجب تخطي حدود الشرع ولذلك أنفوا من دخول المسلمين مكة المشرفة لزيارة البيت العتيق الذي الناس فيه سواء قال مقاتل قال أهل مكة قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم (فأنزل الله) أي الذي لا يغلبه شئ وهو يغلب كل شئ بسبب حميتهم (سكينته) أي الشئ اللائق اضافته اليه سبحانه من الفهم عن الله والروح الموجب لسكون القلب المؤثر للاقدام على العدو والنصر عليه انزالا كافيا (على رسوله) الذي عظمته من عظمته ففهم عن الله مراده في هذه القضية فجرى على أتم مارضيه (وعلى المؤمنين) أي العريقين في الايمان لانهم اتباع رسوله وانصار دينه فالزمهم قبول أمره وحماهم من همزات الشياطين ولم يدخلهم ما دخل الكفار من الحمية فيقاتلوا غضبا لانفسهم فيتعدوا حدود الشرع (وألزمهم) أي المؤمنين الزام اكرام وتشريف لا الزام اهانة وتعنيف (كلمة التقوى) فانها السبب الاقوى وهي كل قول أو عمل الشئ من التقوى واعلاء كلمة الاخلاص المانعة من القتال وهي لا اله الا الله التي هي أحق الحق ولابد من قول محمد رسول الله والالم يتم الاسلام وعن الحسن كلمة التقوى هي الرباط الجيد ومعنى اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى وقيل هي بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله (وكانوا) أي جبلة وطبعا (أحق بها) أي بكلمة التقوى من الكفار (وأهلها) أي وكانوا أهلها في علم الله تعالى لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير (وكان الله) أي المحيط علما وقدرة (بكل شئ) من ذلك وغيره (عليما) أي محيط العلم وروى أنه صلى الله عليه وسلم رأى في المنام في المدينة عام الحديبية قبل خروجه الى الحديبية [illegible] دخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون ويقصرون فاخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا [illegible] الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين فأنزل الله قوله تعالى (لقد صدق الله) أي الذي لا كفء له المحيط بجميع صفات الكمال (رسوله) الذي هو أعز الخلق [illegible]

[illegible]

وصاحبي وقفا ونحوها (قوله غير بعيد) ان قلت لم يقل غير بعيدة لكونه وصفا للجنة (قلت) لان فعيلا يستوي فيه المذكر والمؤنث

والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من فى قلبه مرض ثالثها ان يتعلق بمحذوف على أنه حال من الرؤيا أى ملتبسة بالحق رابعها انه قسم وجوابه (لتدخلن) أى بعد هذا دخولا قد تحتم أمره (المسجد) أى الذى يطاف فيه بالكعبة ولا يكون دخوله الا بدخول الحرم (الحرام) أى الذى أجاره من امتهان الجبابرة ومنعه من كل ظالم قال الزمخشرى وعلى تقديره قسما اما أن يكون قسما بالله تعالى فان الحق من أسمائه تعالى واما أن يكون قسما بالحق الذى هو نقيض الباطل (فان قيل) ما وجه دخول (ان شاء الله) أى الذى له الاحاطة بصفات الكمال (أجيب) باوجه احدها أنه تعالى ذكره تعليما لعباده الادب لان يقولوا فى عداتهم مثل ذلك متأدبين بآداب الله ومقتدين بسنته لقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ثانيها أن يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم أحد ثالثها ان ذلك كان على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله رابعها انها حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقال أبو عبيدة ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله كقوله تعالى ان كنتم تعلمون خاصة انها للتبرك وقيل هى متعلقة بآمنين فالاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك كقوله صلى الله عليه وسلم عند دخول المقبرة وانا ان شاء الله بكم لاحقون فالاستثناء راجع الى اللحوق لا الى الموت وقوله تعالى (آمنين) حال من فاعل لتدخلن وكذا (محلقين رؤسكم) أى كلها (ومقصرين) أى بعضها اى منقسمين بحسب الحلق والتقصير الى قسمين لا تخشون الا الله تعالى وفيه اشارة الى أنهم يتمون الحج من أوله الى آخره فقوله لتدخلن فيه اشارة الى الاول وقوله محلقين ومقصرين الى الآخر (فان قيل) محلقين حال الداخلين والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا يكون محلقا (أجيب) بان قوله آمنين معناه متمكنين من أن تتموا الحج محلقين ومقصرين وأشار بصيغة التفعيل الى الكثرة وفى ما غير أن التقديم يفهم ان الاول أكثر وقوله تعالى (لا تخافون) أى لا يتجدد لكم خوف بعد ذلك يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون حالا ثالثة اما من فاعل لتدخلن أو من ضمير آمنين أو محلقين أو مقصرين فان كانت حالا من آمنين او حالا من فاعل لتدخلن فهى حال للتوكيد وآمنين حال مقارنة وما بعدها حال مقدرة الا قوله لا تخافون اذا جعل حالا فانها مقدرة أيضا (فان قيل) قوله تعالى لا تخافون معناه غير خائفين وذلك حصل بقوله تعالى آمنين (أجيب) بان فيه كمال الامن لان بعد الحلق يخرج الانسان عن الاحرام فلا يحرم عليه القتال وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فقال تعالى تدخلون آمنين وتحلقون ويبقى أمنكم بعد خروجكم عن الاحرام (فعلم) أى الله فى الصلح من المصلحة (ما لم تعلموا) من المصالح بان الصلاح كان فى الصلح وان دخولكم فى سنتكم سبب لوطء المؤمنين والمؤمنات وهو قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية (فان قيل) الفاء فى قوله تعالى فعلم فاء التعقيب فقوله تعالى فعلم وقع عقب ماذا (أجيب) بانه ان كان المراد من فعلم وقت الدخول فهو عقب صدق وان كان المراد فعلم المصلحة فالمراد علم الوقوع والشهادة لا علم الغيب والتقدير لما حصلت المصلحة فى العام القابل فعلم ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة (فجعل) أى بسبب احاطة علمه (من دون) اى أدنى رتبة من (ذلك) اى الدخول العظيم فى هذا العام (فتحا

او لانه صفة لمذكر محذوف (فان قيل) ما فائدة قوله غير بعيد بعد قوله وأزلفت بمعنى قربت أى مكانا غير بعيد (قلت) فائدته التأكيد

قريبا) يقوى بكم به من فتح خيبر ووضع الحرب بين العرب بهذا الصلح واختلاط بعض الناس بسبب ذلك ببعض الموجب لاسلام ناس كثيرة تتقوون بهم فتكون تلك الكثرة والقوة سبب هيبة الكفار المانعة لهم من القتال فتقل القتلى ترفقا باهل حرم الله اكراما لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (هو الذي أرسل رسوله) أي الذي لا رسول أحق منه باضافته اليه (بالهدى) أي الكامل الذي يقتضي أن يهتدي به أكثر الناس تأكيدا لبيان صدق الله تعالى للرؤيا لانه لما كان مرسلا لرسوله ليهدي لا يريه ما لا يكون فيحدث الناس فيظهر خلافه فيكون ذلك سببا للضلال (فان قيل) الرؤيا الواقع قد تقع لغير المرسل (أجيب) بان ذلك قليل لا يقع لكل أحد * (تنبيه) * الهدى يحتمل أن يكون هو القرآن كقوله تعالى أنزل فيه القرآن هدى للناس وعلى هذا قوله تعالى (ودين الحق) هو ما فيه من الاصول والفروع ويحتمل أن يكون الهدى هو المعجزة أي أرسله بالمعجزة فيكون قوله تعالى ودين الحق اشارة الى ما شرع والالف واللام في الهدى يحتمل أن تكون للعهد وهو قوله تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وأن تكون للتعريف اي كل ما هو هدى * (تنبيه) * دين الحق يحتمل أن يكون المراد دين الله لان الحق من أسماء الله تعالى ويحتمل أن يكون الحق نقيض الباطل فكأنه قال ودين الامر الحق (ليظهره) أي دينه (على الدين كله) أي جميع باقي الاديان (وكفى بالله) اى الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال (شهيدا) اى على أنك مرسل بما ذكر كما قال تعالى (محمد رسول الله) أي الملك الذي لا كفء له فهو الرسول الذي لا رسول يساويه فانه رسول الى جميع الخلق من أدرك زمنه بالفعل في الدنيا ومن تقدمه بالقوة فيها وبالفعل في الآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه وقد أخذ على الانبياء كلهم الميثاق بان يؤمنوا به ان أدركوه وأخذ ذلك الانبياء على أممهم واشار بذكر هذا الاسم بخصوصه في سورة الفتح الى أنه صلى الله عليه وسلم هو الخاتم بما أشارت اليه الميم التي مخرجها ختام المخارج واستنبط بعض العلماء من محمد ثلثمائة وأربعة عشر رسولا فان له ثلاث ميمات واذا بسطت كلا منها قلت فيه م ي م وعدتها بحساب الجمل الكبير تسعون فيحصل منها مائتان وسبعون واذا بسطت الحاء والدال قلت دال بخمسة وثلاثين وحاء بتسعة فالجملة ما ذكر والاسم واحد فتم عدد الرسل كما قيل انهم ثلثمائة وخمسة عشر وقد تقدم الكلام على أولي العزم منهم في سورة الاحقاف * (تنبيه) * يجوز أن يكون محمد خبر مبتدا مضمر لانه لما تقدم هو الذي أرسل رسوله دل على ذلك المقدر أي هو اى الرسول بالهدى محمد ورسول الله بدل أو بيان ونعت وأن يكون محمد مبتدأ وخبره رسول الله وقيل غير ذلك ولما ذكر الرسول ذكر المرسل اليهم فقال تعالى (والذين معه) أي بمعية الصحبة من الصحابة ومن التبعية من التابعين باحسان (أشداء) أي غلاظ (على الكفار) منهم لا تأخذهم بهم رأفة بل هم معهم كالاسد على فريسته لان الله تعالى أمرهم بالغلظة عليهم لا يرحمونهم (رحماء بينهم) أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد كما قال تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يعفون عن المسيء ... وبلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا ٣ هذا

كقولهم هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل (قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) اى داع والافكل إنسان له قلب بل كل

٣ قوله هذا التفال كذا في جميع النسخ التي بايدينا وفي الكشاف هذا التشدد وهو المناسب اه مصحح

التذلل وهذا التعطف فيشتدوا على من ليس من دينهم ويضادوه ويعاشروا اخوانهم المؤمنين في الاسلام متعطفين بالبر والصلة والمعونة وكف الاذى والاحتمال منهم *(تنبيه)* والذين معه مبتدأ خبره أشداء على الكفار ورحماء بينهم خبر ثان وقيل غير ذلك ثم بين تعالى الحامل لهم على ذلك بقوله سبحانه وتعالى (تراهم) اي أيها الناظر لهم (ركعا سجدا) أي دائمي الخشوع فاكثر أوقاتهم صلاة قد غلبت صفة الملكية على صفاتهم الحيوانية فكانت الصلاة آمرة بالخير مصينة عن كل نقص وضير ثم أشار الى اخلاصهم بقوله تعالى (يبتغون) أي يطلبون بذلك وغيره من جميع احوالهم بغاية جهدهم تغليبا لعقولهم على شهواتهم وحظوظهم (فضلا) أي زيادة من الخير (من الله) اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال من الجلال والجمال الذي أعطاهم ملكة العظمة على الكفار وهيبتهم من جلاله والرأفة على أوليائه (ورضوانا) اي رضا منه عظيما بما نالهم من رحمته التي هيأتهم بها للاحسان الى عياله فنزعوا الهوى من صدورهم فصاروا يرونه وحده سيدهم المحسن اليهم لا يرون سيدا غيره ولا محسنا سواه ثم بين كثرة صلاتهم بقوله تعالى (سيماهم) اى علامتهم التي لا تفارقهم (في وجوههم) ثم بين تعالى العلامة بقوله (من أثر السجود) وهو نور وبياض في وجوههم يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه رواه عطية العوفي عن ابن عباس * وعن أنس هو استنارة وجوههم من كثرة صلاتهم وقال شهر بن حوشب تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال مجاهد هو السمت الحسن والخشوع والتواضع والمعنى ان السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن الذي يعرفون به وقال الضحاك هو صفرة الوجه وقال الحسن اذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى وقال عكرمة هو أثر التراب على الجباه قال أبو العالية لانهم يسجدون على التراب لا على الثياب وقال عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لان من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار قال بعضهم دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس قال البقاعي ولا يظن ان من السيما ما يصنعه بعض المرائين من أثر هيئة السجود في جبهته فان ذلك من سيما الخوارج وفي نهاية ابن الاثير في تفسير الثفنات ومنه حديث أبي الدرداء انه رأى رجلا بين عينيه مثل ثفنة البعير فقال لو لم يكن هذا كان خيرا يعني كان على جبهته أثر السجود وانما كرهها خوفا من الرياء عليه وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لابغض الرجل وأكرهه اذا رأيت بين عينيه اثر السجود وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين أعيننا شيء ونرى أحدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فلا ندري أثقلت الرؤس أم خشنت الارض وانما أراد بذلك من تعمد ذلك النفاق ثم أشار تعالى الى علو مرتبة ذلك الوصف بقوله سبحانه (ذلك) أي هذا الوصف العالي جدا البديع المثال البعيد المنال (مثلهم) أي صفتهم (في التوراة) وهنا تم الكلام فان مثلهم مبتدأ وخبره في التوراة وقوله تعالى (ومثلهم في الانجيل) اى الذي نسخ الله تعالى به بعض أحكام التوراة مبتدأ وخبره (كزرع) اى مثل زرع (اخرج شطأه) أي فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ وهل يختص ذلك بالحنطة فقط أو بها وبالشعير أو لا يختص خلاف مشهور قال الشاعر

حيوان أو المراد بالقلب العقل

(سورة الذاريات)

(قوله انما توعدون لصادق) ان قلت كيف قال ذلك

قوله في تفسير الثفنات كذا بالنسخ التي بايدينا ولعله الثفنات اهـ مصححه

أخرج الشطأ على وجه الثرى * ومن الاشجار أفنان الثمر

وقرأ ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء والباقون باسكانها وهما لغتان كالنهر والنهر وأدغم ابو عمرو ابليم في الشين بخلاف عنه ثم سبب عن هذا الاخراج قوله تعالى (فآزره) أي قواه واعانه وقرأ ابن ذكوان بقصر الهمزة بعد الفاء والباقون بالمد (فاستغلظ) أي فطلب المذكور من الزرع والشطء الغلظ وأوجده فتسبب عن ذلك اعتداله (فاستوى) اى قوى واستقام وقوله تعالى (على سوقه) متعلق باستوى ويجوز أن يكون حالا أى كائنا على سوقه اى قائما عليها هذا مثل ضربه الله تعالى لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء اصحابه والمؤمنون وروى مبارك بن فضالة عن الحسن قال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه أبو بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على بن ابى طالب يبتغون فضلا من الله العشرة المبشرون بالجنة كمثل زرع محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه ابو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان يعنى استغلظ عثمان بالاسلام فاستوى على سوقه على بن ابى طالب رضى الله عنه استقام الاسلام بسيفه (يعجب الزراع) قال المؤمنون (ليغيظ بهم الكفار) قول عمر لاهل مكة بعدما أسلم لايعبد الله سرا بعد اليوم روى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ارحم امتى ابو بكر واشدهم في امر الله عمر واصدقهم حياء عثمان وافرضهم زيد واقرؤهم ابى واعلمهم بالحرام والحلال معاذ بن جبل ولكل أمة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفى رواية اخرى وأقضاهم على وروى بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مات من اصحابى بارض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة * (تنبيه) * يعجب حال اى معجبا وهنا تم الكلام وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار فيه اوجه احدها انه متعلق بمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع فى نمائهم وقوتهم قال الزمخشرى اى شبههم الله تعالى بذلك ليغيظ ثانيها انه متعلق بما دل عليه قوله تعالى اشداء على الكفار الخ اى جعلهم بهذه الصفات ليغيظ ثالثها انه متعلق بقوله تعالى (وعد الله) اى الملك الاعظم (الذين آمنوا) لان الكفار اذا سمعوا بعزة المؤمنين فى الدنيا وما اعد الله لهم فى الآخرة غاظهم ذلك وقوله تعالى (وعملوا الصالحات) فيه اشارة الى تصديق دعواهم ومن فى قوله تعالى (منهم) للبيان لا للتبعيض لانهم كلهم كذلك فهى كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان * ولما كان الانسان وان اجتهد مقصرا عن بلوغ حق الله فى العبادة اشار الى ذلك بقوله تعالى (مغفرة) اى لما يقع منهم من السهو والهفوات (واجرا عظيما) بعد ذلك الستر وهو الجنة وهما يتضاءل عندهم كل راتب * (فائدة) * قد جمعت هذه الآية الخاتمة لهذه السورة جميع حروف المعجم فى ذلك بشارة لو يجمع لهم ما في امن الظاهر النصر بحيث باجتماع امرهم وعلو نصرهم رضى الله عنهم وحشرنا معهم فى الدنيا وتحيا وجميع المسلمين بمنه وكرمه قال وهذا آخر النسم الاول من القرآن وهو المطول تلاه ثم كانوى

أسمعان الصادق وصف للواعد لا المايوعد (قات) وصف به ما يوعد مبالغة وهو بمعنى مصدوق كعيشة راضية وماء دافق

بسورتين هما فى الحقيقة للنبى صلى الله عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثانى المفصل بسورتين هما النصر له صلى الله عليه وسلم بالحال على من قصده بالضر باطنا اه وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة حديث موضوع وقال ابن عادل روى أن من قرأها فى أول ليلة من رمضان انا فتحنا لك فتحا مبينا فى التطوع حفظ فى ذلك العام ولم أره لغيره اه

سورة الحجرات مدنية

وهى ثمان عشرة آية وثلثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله) الجبار المتكبر الذى أعز رسوله صلى الله عليه وسلم (الرحمن) الذى من عموم رحمته الآداب للتوصل الى حسن المآب (الرحيم) الذى خص أولى الالباب بالاقبال على ما يوجب لهم دار الثواب * ولما نوه سبحانه فى القتال بذكر النبى صلى الله عليه وسلم وصرح فى ابتدائها باسمه الشريف وسمى السورة به وملأ سورة الفتح بتعظيمه وختمها باسمه ومدح اتباعه لاجله افتتح هذه السورة باشتراط الآداب معه فى القول والفعل فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) اى أقروا بالايمان (لا تقدموا) من قدم بمعنى تقدم اى لا تتقدموا وحذف المفعول ليعم كل ما يصح تقديمه فيذهب الوهم كل مذهب ويجوز ان يكون حذفه من غير قصد اليه أصلا بل يكون النهى موجها الى نفس التقدمة أى لا تتلبسوا بهذا الفعل (بين يدى الله) أى الملك الاعظم الذى لا يطاق انتقامه (ورسوله) أى الذى عظمته ظاهرة جدا [٣] لا نهاية له لان عظمته من عظمته ولذلك قرن اسمه باسمه واختلف فى سبب نزول ذلك فقال الشعبى عن جابر انه فى الذبح يوم الاضحى قبل الصلاة أى لا تذبحوا قبل ان يذبح النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان أناسا ذبحوا قبله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يعيدوا الذبح وقال من ذبح قبل الصلاة فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شئ وعن مسروق عن عائشة رضى الله عنها انه فى النهى عن صوم يوم الشك اى لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم وعن ابن الزبير أنه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافى فقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت هذه الآية قال ابن الزبير فكان عمر لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه وعن ابن أبى مليكة نزل يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم وهذا انسب بقال الضحاك يعنى فى القتال وشرائع الدين اى لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله قال الرازى والاصح أنه ارشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات وتقدم واستبداد بالامر واقدام على فعل غير ضرورى من غير مشاورة * (تنبيه) * معنى بين يدى الله ورسوله اى بحضرتهما لان ما يحضره الانسان فهو بين يديه ناظر اليه وحقيقة قولهم جلست بين يدى فلان أن يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشئ باسم

قوله ان المتقين فى جنات (وعيون آخذين) ختم الآية هنا بقوله وعيون وفى الطور بقوله ونعيم فاكهين لان ما هنا آخذين

[٣] قوله لا نهاية له كذا بالنسخ والظاهر لا نهاية لها اه مصححه

غيره اذا جاوره ودانا فى غير موضع وقد جرت هذه العبارة هنا على ضرب من المجاز وهو الذى يسميه أهل البيان تمثيلا وقيل المراد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى تعظيم له واشعار بانه من الله تعالى بمكان يوجب اجلاله (واتقوا الله) اجعلوا بينكم وبين غضب الملك الاعظم وقاية فان التقوى مانعة من أن تضيعوا حقه وتخالفوا أمره او تقدموا على شئ لم تعلموا رضاه فيه (ان الله) أى الذى له الاحاطة بصفات الكمال (سميع) لاقوالكم (عليم) باعمالكم ونزل فيمن رفع صوته عند النبى عليه الصلاة والسلام (يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم) أى فى شئ من الاشياء عند النطق اذا نطقتم (فوق صوت النبى) اذا نطق *(تنبيه)* فى اعادة النداء فوائد منها ان فى ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمان لابنه يابنى لاتشرك بالله يابنى انها ان تك يابنى أقم الصلوة لان النداء تنبيه للمنادى ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه فاعادته تفيد تجدد ذلك ومنها أن لا يتوهم أن المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا فان من الجائز أن يقول القائل يازيد افعل كذا وكذا ياعمرو فاذا أعاد مرة أخرى وقال يازيد قل يازيد قل كذا وقل كذا يعلم أن المخاطب أولا هو المخاطب ثانيا ومنها أن يعلم ان كل واحد من الكلامين مقصود وليس الثانى تأكيدا للاول كقولك يازيد لاتنطق ولاتتكلم الا بالحق وأنه لايحسن أن يقول يازيد لاتنطق يازيد لاتتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلوبين (ولاتجهروا له بالقول) اى اذا كلمتموه سواء كان ذلك مثل صوته و أخفض من صوته فان ذلك غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء (كجهر بعضكم لبعض) أى ولاتبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من ذلك فانكم ان لم تفعلوا ذلك لم يظهر فرق بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين غيره (فان قيل) ما الفائدة فى ولا تجهروا بعد لا ترفعوا (أجيب) بان المنع من رفع الصوت هو أن لايجعل كلامه أو صوته أعلى من كلام النبى صلى الله عليه وسلم وصوته والنهى عن الجهر منع من المساواة اى لا تجهروا له بالقول كما تجهرون لنظرائكم بل اجعلوا كلمته عليا ثم حذرهم بقوله تعالى (أن) اى كراهة أن (تحبط) أى تفسد فتسقط (أعمالكم) التى هى الاعمال بالحقيقة وهى الحسنات كلها (وأنتم لاتشعرون) اى بانها حبطت فان ذلك اذا اجترأ الانسان عليه استخف واذا استخف واظب عليه واذا واظب عليه اوشك أن يستخف بالمخاطب فيكفر وهو لايشعر روى أنس ابن مالك قال لما نزل قوله تعالى يا أيها الذين امنوا لاترفعوا أصواتكم الآية جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى فقال سعد انه لجارى وما علمت له شكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت نزلت هذه الآية وقد علمتم أنى من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبى صلى الله عليه وسلم فقال بل هو من أهل الجنة وروى لما نزلت هذه الآية قعد ثابت فى الطريق يبكى فمر به عاصم بن عدى فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية اتخوف أن تكون نزلت فى وأنا رفيع الصوت أخاف أن يحبط عملى وأن أكون من أهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فاتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن

متصل بما به يتصل الانسان الى الجنات وهو قوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين الآيات وما فى الطور الآيات متصل بما يناله الانسان

سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرشى فسدى على الضبة بمسمار فضربت عليه بمسمار وقال لا أخرج حتى يتوفانى الله أو يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فقال اذهب فادعه لى فجاء عاصم الى المكان الذى رآه فيه فلم يجده فجاء الى أهله فوجده فى بيت الفرش فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت فاخاف أن تكون هذه الآية نزلت فى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا أرفع صوتى أبدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل (ان الذين يغضون) أى يخفضون ويلينون لما وقع عليهم من السكينة من هيبة حضرته قال الطبرى وأصل الغض الكف فى لين (أصواتهم) تخشعا وتخضعا ورعاية للادب وتوقيرا (عند رسول الله) اى الذى من شأنه أن يعلو كلامه على كل كلام لانه مبلغ عن الملك الاعظم وعبر بعند الذى للظاهر اشارة الى ان أهل حضرة الخصوصية لا يقع منهم الا أكمل الادب (أولئك) أى عالو الرتبة (الذين امتحن الله) اى فعل المحيط بجميع صفات الكمال فعل المختبر (قلوبهم للتقوى) أى اختبرها وأخلصها التطهرهم من امتحن الذهب اذا أذابه وميز ابريزه من خبثه فان الامتحان اختبار بليغ يؤدى الى خبر فالمعنى أنه طهر قلوبهم ونقاها كما يمتحن الصائغ الذهب والفضة بالاذابة والتنقية والتخليص من كل غش لاجل اظهار ما بطن فيها من التقوى ليصير معلوما للخلق فى عالم الشهادة كما كان له سبحانه فى عالم الغيب (لهم مغفرة) أى لهفواتهم وزلاتهم (وأجر عظيم) لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم قال أنس فكنا أى بعد نزول هذه الآية فى حق ثابت ننظر الى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا فلما كان فى يوم حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار فانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى ابى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام فقال له اعلم أن فلانا رجلا من المسلمين نزع درعى فذهب بها وهى فى ناحية من العسكر عند فرس يستن فى طوله وقد وضع على درعى قوبه فات ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان على دينا حتى يقضيه عنى وفلان من رقيقى عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤية فاجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن انس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها الا هذه واختلف فى سبب نزول قوله عز وجل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) فقال ابن عباس رضى الله عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بنى العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزارى فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم بعد ذلك رجالهم يفدون الذرارى فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا فى أهله فلما رأتهم الذرارى اجهشوا الى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا أن يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه

فيها وهو قوله وذوقاهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا الآية (قوله ومن كل شئ خلقنا زوجين) اثنين أى صنفين (فات

وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى أيقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تبارك وتعالى يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني وبينكم شبرمة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم فقال شبرمة أنا لا أحكم بينهم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم فأنزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات جمع حجرة وهي ما تحجره من الارض بحائط ونحوه كان كل واحد منهم نادى خلف حجرة لانهم لم يعلموه في أيها امناداة الاعراب بغلظة وجفاء (أكثرهم) أي المنادي والراضي دون الساكت بعذر (لا يعقلون) أي محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم فلم يصبروا بل فعلوا معه صلى الله عليه وسلم كما يفعل بعضهم ببعض (ولو أنهم) اي المنادي والراضي (صبروا) أي حبسوا أنفسهم ومنعوها عن مناداتهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها وهو حبس فيه شدة وصبر (حتى تخرج اليهم) من تلقاء نفسك عند فراغ ما أنت فيه من مهماتك من واردات الحق ومصالح الخلق (لكان) أي الصبر (خيرا لهم) أي من استعجالهم ايقاظك في الهاجرة ولم يقرعوا الباب بالاظافر كما كان يفعل غيرهم من الصحابة قال أبو عثمان الادب عند الاكابر يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلا والخير في الاولى والعقبى اه فانهم لو تأدبوا لزادهم صلى الله عليه وسلم في الفضل فاعتق جميع سبيهم وأطلقهم بلا فداء (والله) ى المحيط بجميع صفات الكمال (غفور) اى ستور ذنب من تاب من جهله (رحيم) اى يعاملهم معاملة الراحم فيسبغ عليهم نعمه وقال قتادة نزلت في ناس من أعراب تميم جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين فقالوا نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب النبي صلى الله عليه وسلم قم فأجبه فأجابه وقام شاعر فذكر أبياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فأجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا المولى تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر وأحسن قولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان من قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم فأزرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآيات الاربع الى قوله تعالى غفور رحيم وقال زيد بن أرقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد

(قلت) كيف قال ذلك مع ان العرش والكرسي واللوح والقلم لم يخلق من كل منها الا واحد (قلت) معناه ومن كل

الناس به وان يكن ملكا نعش في جناحه فجاؤا فجعلوا ينادون من وراء الحجرات يا محمد فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك الآية وقيل المراد باكثرهم كلهم لان العرب تذكر الاكثر وتريد الكل احترازا عن الكذب واحتياطا في الكلام لان الكل مالا يحيط به علم الانسان في بعض الاشياء فيقول الاكثر في اعتقاده الكل ثم ان الله تعالى مع احاطة علمه بالامور أتى بما يناسب كلامهم وفيه اشارة الى لطيفة وهي ان الله تعالى يقول مع احاطة علمي بكل شئ جريت على عادتكم استحسانا لتلك العادة وهي الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها واجعلوا اختياري ذلك في كلامي دليلا قاطعا على رضاي بذلك منكم * (تنبيه) * جعل الزمخشري أنهم من ولو أنهم فاعلا بفعل مقدر أي ولو ثبت صبرهم وجعل اسم كان ضميرا عائدا على هذا الفاعل ولكن مذهب سيبويه أن أنهم في محل رفع بالابتداء وحينئذ يكون اسم كان ضميرا عائدا على صبرهم المفهوم وجرى على الاول البيضاوي وعلى الثاني الجلال المحلي واختلف في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم) أي في وقت من الاوقات (فاسق) اي خارج من ربقة الديانة (بنبأ) أي خبر يعظم خطبه فيشر شرا (فتبينوا) صدقه من كذبه فقال أكثر المفسرين نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو أخو عثمان لامه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى بني المصطلق بعد الوقعة واليا ومصدقا أي يأخذ منهم الصدقة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا أنه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكره وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم مايدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ماتستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (أن تصيبوا) اي بأذى (قوما) اي هم برآء من ذلك بما يوهمه خبره مع قوتهم النافعة لاهل الاسلام برآء مما نسب اليهم (بجهالة) اي مع الجهل بحال استحقاقهم لذلك (فتصبحوا) اي فتصيروا ولكنه عبر بذلك لان أشنع الندم ما استقبل الانسان صباحا وقت انتباهه وفراغه واقباله على لذاته (على مافعلتم) اي من اصابتهم (نادمين) اي عريقين في الاسف على مافات مما وقع الله تعالى في نفوسكم من أمور ترجف القلوب وقال الرازي هذا ضعيف لان الله تعالى لم يقل انى أنزلتها لكذا والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينقل عنه أنه قال وردت الآية لبيان ذلك حسب غاية مافي الباب أنها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل تاريخ نزول الآية ونحن نصدق ذلك ويؤيده ان اطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد لانه توهم وظن فاخطأ والمخطئ لا يسمى فاسقا فكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن رتبة الايمان كقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم

حيوان خلقنا ذكرا وأنثى أو ومن كل شئ تشاهدونه خلقنا صنفين كالليل والنهار والنور والظلمة والصيف والشتاء

الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن أمر ربه وقوله تعالى وأما الذين فسقوا فمأواهم النار الآية الى غير ذلك اهـ وقال ابن الخازن في تفسيره وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهذا أولى من حمل الآية على رجل بعينه *(تنبيه)* قوله تعالى أن تصيبوا مفعول له كقوله تعالى أن تضل قال الرازي معناه على مذهب الكوفيين لئلا تصيبوا وعلى مذهب البصريين كراهة أن تصيبوا وقرأ حمزة والكسائي بعد التاء المثناة بثاء مثلثة وبعد الباء الموحدة تاء مثناة فوق من التثبت أي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال والباقون بعد التاء المثناة بياء موحدة وبعدها ياء تحتية وبعدها نون من البيان (واعلموا) اى أيتها الامة (أن فيكم) اى على وجه الاختصاص بكم و يا له من شرف (رسول الله) اى الملك الاعظم المتصف بالجلال والاكرام فلا تقولوا الباطل فان الله يخبره بالحال (لو يطيعكم) وهو لا يحب عنتكم ولا شيأ يشق عليكم (في كثير من الامر) اى الذي تريدونه على فعله من انه يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم وتستصوبونه ليكون فعله معكم فعل المطاوع لغيره التابع له فينقلب حينئذ الحال و يصير المتبوع تابعا والمطاع طائعا (لعنتم) اى لأثمتم دونه وهلكتم لان من أراد أن يكون أمر الرسول صلى الله عليه وسلم تابعا لامره فقد زين له الشيطان الكفران وقوله تعالى (ولكن الله) اى الملك الاعظم الذي يفعل ما يريد (حبب اليكم الايمان وزينه) اى حسنه (في قلوبكم) فالزمتم طاعته وعشقتم متابعته استدراك من جهة المعنى لا من جهة اللفظ لبيان عذرهم وهو أنه من فرط حبهم للايمان وكراهتهم للكفر كما قال تعالى (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل قال الرازي هذه الامور الثلاثة في مقابلة الايمان الكامل المزين وهو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فقوله تعالى كره اليكم الكفر وهو التكذيب وهو في مقابلة التصديق بالجنان وأما الفسوق فقيل هو الكذب كما قاله ابن عباس قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبإ فسمى الكاذب فاسقا وقال البيضاوي الكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد وقال بعضهم الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان هو الصغيرة (أولئك) اى الذين أعلى الله تعالى مقاديرهم (هم الراشدون) أى الكاملون في الرشد ٣ الثابتون الاستقامة وعلى دينهم وفي تفسير الاصفهاني الرشد هو الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه وقوله تعالى (فضلا) مصدر منصوب بفعله المقدر أى فضل وقيل تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض فهو امتنان عظيم ودرجة عالية (من الله) أى الملك الاعظم الذي بيده كل شئ (ونعمة) اى وعيشا حسنا ناعما وكرامة (والله) أى المحيط بصفات الكمال (عليم) أى محيط العلم يعلم أحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم) اى بالغ الحكمة فهو يضع الاشياء في أوفق محالها وأتقنها كذلك وضع نعمته من الرسالة والايمان على حسب علمه وحكمته ونزل في قضية (وان طائفتان من المؤمنين) الآية وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا ومر على ابن أبي فبال الحمار فسد ابن أبي أنفه فقال ابن رواحة لبول حماره أطيب ريحا من مسكك فكان بين قومهما ضرب بالايدي والنعال

والبعث

والخير والشر والحياة والموت والبر والبحر والسماء والارض والشمس والقمر (قوله الى اكمه منه نذير مبين) قاله

٣ قوله الثابتون الاستقامة الخ كذا بالاصل الطبع وفي نسخة خط الثابتون على دينهم اهـ مصححه

والسعف وعن أنس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهو بارض سبخة فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار منهم والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض وعن قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مداراة في حق فقال أحدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدفعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وعن سفيان عن السدي قال كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شئ فرقي بها الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء قومه واقتتلوا بالايدي والنعال فنزلت وجمع تعالى قوله سبحانه (اقتتلوا) نظرا للمعنى لان كل طائفة جماعة وثنى الضمير في قوله تعالى (فأصلحوا) اي اوقعوا الاصلاح ليحصل الصلح (بينهما) نظرا للفظ اي أصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى (فان بغت) اي أوقعت الارادات السيئة الكائنة من النفوس التي لا تأمر بخير (احداهما) اي الطائفتين (على الاخرى) فلم ترجع الى حكم الله الذي خرجت عنه ولم تقبل الحق (فقاتلوا) اي اطلبوا وأوجدوا مقاتلة (التي تبغي) اي توقع الارادة السيئة وتصر عليها وأديموا القتال لها (حتى تفئ) اي ترجع عما صارت اليه من حر القطيعة الذي كانه حر الشمس حتى نسخه الظل الى ما كانت فيه من البرد والخير الذي هو كالظل الذي نسخته الشمس وهو معنى قوله تعالى (الى امر الله) اي التزام ما أمر به الملك الذي لا يهمل الظالم بل لابد من ان يقاصصه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالياء والباقون بتحقيقهما (فان فاءت) اي رجعت الى ما كانت عليه من التمسك بامر الله الذي هو العدل (فأصلحوا) اي أوقعوا الاصلاح (بينهما بالعدل) اي بالانصاف ولا يحملنكم القتال على الحقد على المقاتلين فتحيفوا (واقسطوا) اي وأزيلوا القسط بالفتح وهو الجور بان تفعلوا القسط بالكسر وهو العدل الذي لا جور فيه في ذلك وفي جميع أموركم ثم علله ترغيبا فيه بقوله تعالى مؤكدا تنبيها على أنه من أعظم ما يتمادح به وردا على من لعله يقول انه لا يلزم نفسه الوقوف عنده الاضعيف (ان الله) اي الذي بيده النصر والخذلان (يحب المقسطين) اي يفعل مع أهل العدل من الاكرام فعل المحب (انما المؤمنون) اي كلهم وان تباعدت أنسابهم وبلادهم (اخوة) أي في الدين لانتسابهم الى أصل واحد هو الايمان * ولما كانت الاخوة داعية ولابد الى الاصلاح تسبب عنها قوله تعالى (فاصلحوا بين أخويكم) كما تصلحون بين أخويكم من النسب ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمور مبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما أقل من يقع بينهما الشقاق وعن أبي عثمان الحيري

هذا وبعد ولا بس بتكرار لان الاول متعلق بترك الطاعة الى المعصية والثاني بالشرك بالله (قوله وما خلقت الجن والانس الا

ان اخوة الدين أثبت من اخوة النسب فان اخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين واخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب (واتقوا الله) أى الملك الاعظم فى مخالفة حكمه والاهمال فيه (لعلكم ترحمون) أى لتكونوا اذا فعلتم ذلك على رجاء عند أنفسكم ان يكرمكم الذى لا قادر على الاكرام فى الحقيقة غيره بانواع الكرامات كما رحمتم اخوانكم باكرامكم عن افساد ذات البين وعن الزهرى عن سالم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه فمن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة * (تنبيه) * فى هاتين الآيتين دليل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين يدل عليه ماروى عن على بن أبى طالب مثل وهو القدوة فى قتال أهل البغى عن أهل الجمل وصفين أمشركون فقال لا من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع هو الخارج عن الامام العدل بتأويل محتمل وشوكة لهم ومطاع تحصل به قوة الشوكة وان لم يكن له امام والحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام أمينا فطنا ناصحا يسألهم ما ينقمون فان ذكروا مظلمة أوشبهة أزالها وان أصروا نصحهم ثم أعلمهم بالقتال فان استمهلوا اجتهد وفعل مارآه صوابا والحكم فى قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ويرد سلاحهم وخيلهم اليهم اذا انقضت الحرب وأمنت غائلتهم ولا يستعمل فى قتال الا ضرورة ولا يقاتلون بعظيم كنار ومنجنيق الا ضرورة [illegible] أو أخذوا كانوا جزية وخراجا وفرقوا سهم المرتزقة على جندهم [illegible] على [illegible] ان كان بسبب قتال فلا ضمان على واحد [illegible] [illegible] فى ذلك [illegible] بعضهم [illegible] [illegible] الحكم عليهم [illegible] الجماعات [illegible] كبيرة [illegible] [illegible] لا حكم الا لله تعالى فقال على رضى الله عنه كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم [illegible] ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدؤكم بقتال [illegible] [illegible] احكام البغاة مذكورة فى الفقه وفى هذا القدر [illegible] واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أى أوقعوا الاقرار بالتصديق (لا يسخر) أى لا يهزأ والسخرية هى أن لا ينظر الانسان الى [illegible] (قوم) أى ناس [illegible] وهم الرجال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] نزلت فى ثابت بن قيس [illegible] [illegible]

ليعبدون) لا ينافى ذلك عدم عبادة الكافر لان الغاية لا يلزم وجودها كما فى قولك بريت القلم لاكتب به فانه قد لا يكتب به أو لان ذلك عام اريد به

ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فضن اى بخل كل رجل منهم بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لاحد فكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما فلما فرغ ثابت من صلاته أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس و يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم و بينه و بينه رجل فقال له تفسح فقال الرجل قد أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا فقال له أنا فلان فقال له ثابت ابن فلانة ذكر أماله كان يعير بها فى الجاهلية فنكس الرجل رأسه فاستحيا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الضحاك نزلت فى وفد تميم كانوا يستهزؤن بفقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخبيب و بلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبى حذيفة لما رأوا من رثاثة حالهم ومعنى الآية لاتحقروا اخوانكم ولاتستصغروهم ثم علل النهى بقوله تعالى (عسى) اى لانه جدير وخليق لهم (أن يكونوا) اى المستهزأ بهم (خيرا منهم) فينقلب الامر عليهم وتكون لهم سوء العاقبة قال ابن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت ان أحول كلبا وقال القشيرى ما استصغر أحد أحدا الا سلط عليه ولا ينبغى ان يغتر بظاهر أحوال الناس فان فى الزوايا خبايا والحق سبحانه يستر أولياءه فى حجاب الظنة وكذا فى الخبر كم من أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره (ولا) يسخر (نساء من نساء) ثم علل النهى بقوله تعالى (عسى) اى ينبغى أن يخشين من (أن يكن) اى المسخور بهن (خيرا منهن) اى الساخرات روى انها نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وروى عكرمة عن ابن عباس انها نزلت فى صفية بنت حيى بن اخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين * (تنبيهان) * أحدهما قال الرازى القوم اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النساء ولا على الاطفال لانه جمع قائم والقائم بالامور هم الرجال وعلى هذا ففى افراد الرجال والنساء فائدة وهى ان عدم الالتفات والاستخفاف انما يصدر فى أكثر الامر من الرجال بالنسبة الى الرجال لان المرأة فى نفسها ضعيفة قال صلى الله عليه وسلم النساء لحم على وضم فالمرأة لا يوجد منها استحقار الرجل لانها مضطرة اليه فى رفع حوائجها وأما الرجال بالنسبة الى الرجال والنساء بالنسبة الى النساء فانه يوجد فيهن ذلك * الثانى فى فائدة قوله تعالى عسى أن يكونوا ... خيرا منهم [illegible] ... يكون المراد بقوله تعالى يكونوا اى يصيروا ... (ولا تلمزوا) اى تعيبوا (أنفسكم) بأن يعيب بعضكم بعضا ... ظاهر فى التواصل والتراحم كنفس واحدة ... يكون الانسان ... نفسه أو بأن غيره فيكون لمزه ... (ولا تنابزوا بالالقاب) اى ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء ... واختلف فى هذا اللقب فقال عكرمة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال

الخصوص بدليل قوله تعالى واقد ذرأنا لجهنم كثيرا ومن خلق لجهنم لا يكون مخلوقا للعبادة (قوله وما اريد ان يطعمون) * ان

٣ قوله فيهن كذا بالنسخ بايدينا والظاهر فيهما او فيهم اه مصححه

الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقال عطاء هو ان يقول الرجل لاخيه يا حمار يا خنزير وعن ابن عباس التنابز بالالقاب هو ان يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب عنها فنهى ان يعير بما سلف من عمله والحاصل انه يحرم تلقيب الشخص بما يكره وان كان فيه كالاعور والاعمش ويجوز ذكره بنية التعريف لمن لا يعرفه الا به واما ألقاب المدح فنعما هي فقد لقب الصديق بعتيق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وخالد بن الوليد بسيف الله ومازالت الالقاب الحسنة في الجاهلية والاسلام قال الزمخشري الا ما أحدثه الناس في زماننا من التوسع حتى لقبوا السفلة بالالقاب العلية وهب أن العذر مبسوط فما أقول ان ليس من الدين في قبيل ولا دبير بفلان الدين لعمري والله انها الغصة التي لا تساغ ومعنى اللقب اسم زائد على الاسم يشعر بضعة المسمى أو رفعته والمقصود به الشهرة فما كان مكروها نهي عنه ويسن ان يكنى أهل الفضل الرجال والنساء وان لم يكن لهم ولد وأما التكني بابي القاسم فهو حرام وقيل انما يحرم في زمانه صلى الله عليه وسلم فقط وقيل انما يحرم على من اسمه محمد ولا يكنى كافر ولا فاسق ولا مبتدع لان الكنية للتكرمة وليسوا من أهلها بل أمرنا بالاغلاظ عليهم الا لخوف فتنة من ذكره باسمه أو تعريفه كما قيل به في قوله تعالى تبت يدا أبي لهب واسمه عبد العزى ولا باس بكنية الصغير ويسن أن يكنى من له أولاد باكبر أولاده ويسن لولد الشخص وتلميذه وغلامه أن لا يسميه باسمه والادب أن لا يكني الشخص نفسه في كتاب أو غيره الا ان كان لا يعرف بغيرها أو كانت أشهر من الاسم

(تنبيه) ذكر في الآية ثلاثة أمور مرتبة بعضها دون بعض كما علم من تقريرها (بئس الاسم) اي الذكر [illegible] وقوله تعالى (الفسوق) اي الخروج عن ربقة الدين (بعد الايمان) بدل من الاسم لافادة انه [illegible] روى ان الآية نزلت في صفية بنت حيي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال هلا قلت ان أبي هرون [illegible] وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم (ومن لم يتب) اي [illegible] عنه [illegible] نفسه [illegible] (فأولئك) [illegible] من الله [illegible] (هم الظالمون) اي [illegible]

والهمس [illegible] اخلاص [illegible] آمنوا [illegible] اعترفوا بالايمان [illegible] أي [illegible] (اجتنبوا) [illegible] وتجعلوا في جانب [illegible] (كثيرا من الظن) اي في الامور [illegible] ظن ولا تمادوا [illegible] حتى تجزموا [illegible] (نفسه) [illegible] ذلك الذي من [illegible] الاجتهاد [illegible] لا قاطع [illegible] في الحديث [illegible] يظن [illegible] قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات [illegible] خيرا [illegible] وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الرجل [illegible] طعامه [illegible] فعلته [illegible]

قال ما فائدة ذكر بعد قوله (قلت) ما أريد منهم من رزق فائدته افادة حكم زائد على ما قبله اذ المعنى ما أريد منهم ان يطعموا أنفسهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسأله طعاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى أسامة بن زيد وقل له ان كان
عندك فضل من طعام فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله
فأتاه فقال ما عندي شئ فرجع سلمان اليهما فأخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن بخل
فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة
لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
جا آ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله
يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تأكلون لحم أسامة وسلمان فانزل الله عز وجل
يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وقوله تعالى (ان بعض الظن اثم) تعليل مستأنف
للامر قال صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث والاثم الذنب الذي
يستحق العقوبة عليه وجعل الزمخشري همزه بدلا من واو وقال لانه يثم الاعمال أي يكسرها
قال ابن عادل وهذا غير مسلم بل تلك مادة أخرى قال سفيان الثوري الظن ظنان أحدهما اثم
وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو أن يظن ولا يتكلم به وقوله تعالى (ولا
تجسسوا) حذف منه احدى التاءين أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها قال
صلى الله عليه وسلم لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد
الله اخوانا وقال عليه الصلاة والسلام يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه
لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن
يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما أعظمك
وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم عند الله حرمة منك وقيل لابن مسعود هل لك في الوليد بن
عقبة تقطر لحيته خمرا فقال انا نهينا عن التجسس وان يظهر لنا شئ نأخذ به *(تنبيه)* قرأ
ولا تنابزوا ولا تجسسوا ولتعارفوا البزي في الوصل بتشديد التاء والباقون بغير تشديد ولما
كانت الغيبة أعم من التجسس قال (ولا يغتب) أي ولا يتعمد أن يذكر (بعضكم بعضا) أي في
غيبته بما يكره قال القشيري وليس تحصل الغيبة للخلق الا من الغيبة عن الحق وقال أبو
حيان قال ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان
كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا
فقالوا لا يأكل حتى يطعم ولا يرحل حتى يرحل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتموه فقالوا
انما حدثنا بما فيه قال حسبك اذا ذكرت أخاك بما فيه وفي هذا اشارة الى وجوب حفظ
عرض المؤمن فان تمزيق عرض الانسان كتمزيق لحمه ثم قال تعالى (أيحب أحدكم أن
يأكل لحم أخيه) وقوله (ميتا) نافع بتشديد الياء والباقون بالسكون ولما كان الجواب قطعا
لا يحب أحد ذلك أشار اليه بما سببه من قوله تعالى (فكرهتموه) أي بسبب ما ذكر طبعا
فاكرهوا ان تذكروا الغيبة المحرمة عقلا لان داعي العقل بصير عالم وداعي الطبع أعمى جاهل

وما أريد منهم أن يطعموا عبدي أو انما أضاف تعالى الاطعام الى نفسه لان الخلق عياله وعبيده ومن أطعم عيال غيره فكأنه

* (تنبيه) * فى هذا التشبيه اشارة الى أن عرض الانسان كدمه ولحمه لان الانسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس الظاهر لان عرض الانسان أشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان ذلك أشد ألما وقوله تعالى لحم أخيه آكد فى المنع لان العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو وفى قوله تعالى ميتا اشارة الى دفع وهم وهو أن يقال ان الشتم فى الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه فلا يؤلم فيقال لحم الاخ وهو ميت أيضا لا يؤلم ومع هذا هو فى غاية القبح كما انه لو اطلع عليه لتألم فان الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه وفيه معنى لطيف وهو ان الاغتياب أكل لحم الآدمى ميتا ولا يحل أكله الا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر اذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمى فلا يأكل لحم الآدمى فكذلك المغتاب اذا وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب قال مجاهد لما قيل لهم أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اى كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك قال الرازى وفى ضمير فكرهتموه وجوه أظهرها أن يعود الى الاكل وثانيها أن يعود الى اللحم اى فكرهتم اللحم وثالثها أن يعود الى الميت فى قوله تعالى ميتا تقديره أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكأنه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة فى التحذير يعنى الميتة ان أكلت فى الندرة تستطاب نادرا ولكن اذا أنتن وأروح وتغير لا يؤكل أصلا فكذلك ينبغى أن تكون الغيبة وذلك يحقق الكراهة ويوجب النفرة الى حد لا يشتهى الانسان أن يبيت فى بيت فيه ميت فكيف يقرب بحيث يأكله ففيه اذا كراهة شديدة وكذلك حال الغيبة وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لما عرج بى مررت بقوم لهم أظافير من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم وقال ميمون بن سنان بينما أنا نائم اذا أنا بجيفة زنجى وقائل يقول لى كل هذا قلت يا عبد الله ولم آكل هذا قال انك اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك سمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب عنده وقوله تعالى (واتقوا الله) اى اجعلوا بينكم وبين الملك الاعظم وقاية بطاعته معطوف على ما تقدم من الاوامر والنواهى اى اجتنبوا واتقوا الله (ان الله) اى الملك الاعظم (تواب) اى مكرر للتوبة وهى الرجوع عن المعصية الى ما كان قبلها من معاملة التائب وان كرر الذنب فلا ييأس أحد وان كثرت ذنوبه وعظمت (رحيم) يزيد على ذلك بان يكرمه غاية الاكرام * (تنبيه) * ختم سبحانه وتعالى الآيتين بذكر التوبة فقال فى الاولى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال ههنا ان الله تواب رحيم لكن لما كان الابتداء فى الآية الاولى بالنهى فى قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم ذكر النفى الذى هو قريب من النهى وفى الثانية كان الابتداء بالامر فى قوله تعالى اجتنبوا كثيرا فذكر الاثبات الذى هو قريب من الامر وقوله تعالى (يا أيها الناس) اى كافة المؤمن وغيره (انا) اى على ما لنا من العظمة (خلقناكم) اى أوجدناكم من العدم على ما أنتم عليه من المقادير (من ذكر وأنثى) الآية

أطعمه ويؤيده خبر ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى اى استطعمك عبدى فلم تطعمه

مبين ومقررا لما تقدم لان الفخر بشيء من الغير وغيبته ان كان ذلك بسبب غير الدين والايمان فلا يجوز لان الناس بعضهم كافرهم ومؤمنهم يشتركون فيما يفتخر به المفتخر لان التكبر والافتخار ان كان بسبب الغنى فالكافر قد يكون غنيا والمؤمن فقيرا او بالعكس وان كان بسبب النسب فالكافر قد يكون نسيبا والمؤمن مولى وعبدا أسود او بالعكس فالناس فيما ليس من الدين والتقوى متساوون ومتقاربون ولا يؤثر شيء من ذلك مع عدم التقوى كما قال تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم فقوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى اى آدم وحواء فانتم متساوون في النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم ابناء رجل واحد وامرأة واحدة قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت أنا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال فانك لا تفضلهم الا في الدين والتقوى فنزلت هذه الآية ونزل في الذي لم يفسح له يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الآية وقال قتادة لما كان فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فاذن فقال عتاب بن أسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره وقال أبو سفيان اني لا أقول شيئا أخاف أن يخبره به رب العالمين رب السموات فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فاقروا فانزل الله تعالى هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء *(تنبيه)* الحكمة في اختيار النسب مع ان غيره من جملة أسباب التفاخر ولم يذكر الامور التي يفتخر بها في الدنيا وان كانت كثيرة لان النسب أعلاها لان المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار الغني المفتخر به عليه والسمن والحسن وغير ذلك لا يدوم والنسب ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك فاختاره الله تعالى الذكر وأبطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان غيره بطريق الاولى (فان قيل) اذا كان ورود الآية لبيان عدم جواز الافتخار بغير التقوى فما فائدة قوله تعالى انا خلقناكم (أجيب) بان فائدته ان كل شيء يترجح على غيره فاما ان يترجح بامر فيه يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده واما أن يترجح عليه بامر قبله فالذي بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من ذلك الشيء وأما الذي قبله فاما راجع الى أصله الذي وجد منه او الى الفاعل الذي أوجده فالاول كقولك هذا من نحاس وهذا من فضة والثاني كقولك هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى لا ترجيح بالنسبة الى فاعلكم لانكم كلكم خلق الله تعالى فان كان عندكم تفاوت فهو بامور تحصل لكم بعد وجودكم وأشرفها التقوى [illegible] كان تقسيمكم الى فرق كل منها يعرف به أمرا باهرا اعتبرتموه بنوع العظمة فقال تعالى (وجعلناكم) اى بما لنا من العظمة (شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهو أعلى طبقات الانساب [illegible] كمضر والاوس والخزرج (وقبائل) اى تحت الشعوب وذلك ان طبقات النسب التي عليها العرب سبعة الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والعشيرة وكل واحد يدخل فيما

(سورة الطور)

(قوله وزوجناهم بحور عين) فان قلت كيف قال ذلك مع ان الحور العين في الجنة مملوكات [illegible]

قبيلة فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون تحت العمائر والافخاذ تحت البطون والفصائل تحت الافخاذ والعشائر تحت الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وعبد مناف فخذ وهاشم فصيلة والعباس عشيرة قال البغوي وليس بعد العشيرة حي يوصف اه وسمي الشعب شعبا لتشعب القبائل منه واجتماعهم به كتشعب أغصان الشجرة والشعب من الاضداد يقال شعب اي جمع ومنه شعب القدح وشعب اي فرق والقبائل واحدها قبيلة سميت بذلك لتقابلها شبهت بقبائل الرأس وهي قطع متقابلة وقيل الشعوب في العجم والقبائل في العرب والاسباط في بني اسرائيل وقيل الشعب النسب الابعد والقبيلة الاقرب والنسبة الى الشعب شعوبية بفتح الشين وهم جيل يبغضون العرب والعمائر واحدتها عمارة بفتح العين والبطون واحدتها بطن والفصائل واحدتها فصيلة والعشائر واحدتها عشيرة وقال ابو روق الشعوب الذين لا يعتزون الى أحد بل ينتسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون الى آبائهم ثم ذكر تعالى علة التشعب بقوله تعالى (لتعارفوا) اي ليعرف الانسان من يقاربه في النسب ليصل من رحمه ما يحق له لا لتفاخروا (ان اكرمكم) ايها المتفاخرون (عند الله) اي الملك الذي لا أمر لاحد معه ولا كريم الا من أشهره بكرمه ولا كمال لاحد سواه (أتقاكم) اي اعظمكم منزلة عند الله أتقاكم قال قتادة في هذه الآية أكرم الكرم التقوى وألأم اللؤم الفجور وقال عليه الصلاة والسلام الحسب المال والكرم التقوى وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه [illegible] الرأس فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه فقال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية يعني كبرها وتكبرها الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وعن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا [illegible]

[illegible] ان التقوى [illegible] أكرم [illegible] على خطر والاول أشهر والثاني أظهر [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

لامالك نكاح (ملك) معناه قرناهم بهن من قولك زوجت ابلي اي قرنت بعضها ببعض وليس من التزويج الذي هو عقد

والذين لا يعلمون (فان قيل) خطاب الناس بقوله تعالى أكرمكم يقتضى اشتراك الكل فى الاكرام ولا كرامة للكافر فانه أضل من الانعام (اجيب) بان ذلك غير لازم مع انه حاصل بدليل قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم لان كل من خلق فقد اعترف بربه ثم من استمر عليه وزاد زيد فى كرامته ومن رجع عنه أزيل عنه أكثر الكرامة (ان الله) اى المحيط بكل شئ علما وقدرة (عليم) اى بالغ العلم بظواهركم يعلم أنسابكم (خبير) اى محيط العلم ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم ولما قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاتقاء لا يكون الا بعد حصول التقوى وأصله الايمان والاتقاء من الشرك (قالت الاعراب) اى اهل البادية من بنى أسد وغيرهم الذين هم معدن الغلظة والجفاء (آمنا) اى بجميع ما جئت به فامتثلنا ما أمرتنا به فى هذه السورة ولنا النسب الخالص فنحن أشرف من غيرنا من اهل المدر (قل) يا أشرف الخلق تكذيبا لهم مع مراعاة الادب فى عدم التصريح بالتكذيب (لم تؤمنوا) اى لم تصدق قلوبكم لانكم لو آمنتم لم تمنوا الان الايمان التصديق بجميع ما لله من الكمال الذى منه انه لولا منه بالهداية لم يحصل الايمان لله ولرسوله الذى كان ذلك على يديه المن والفضل (ولكن قولوا اسلمنا) اى أظهرنا الانقياد فى الظاهر للاحكام الظاهرة وأمنا من ان نكون حربا للمؤمنين وعونا للمشركين فاخبر الله تعالى ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص فالاسلام هو الدخول فى السلم كما يقال أشتى اذا دخل فى الشتاء وأصاف اذا دخل فى الصيف وأربع اذا دخل فى الربيع فن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان كقوله عز وجل لابراهيم أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله تعالى ولكن قولوا أسلمنا (ولما يدخل الايمان) اى المعرفة التامة لم تدخل الى هذا الوقت (فى قلوبكم) فلا بد من اقرار اللسان ايمانا الا بمواطأة القلب قال ابن برجان فعموم الناس وأكثر أهل الغفلة مسلمون غير مؤمنين وعن سعد بن أبى وقاص قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فيهم فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم لم يعطه وهو أعجبهم الى فقمت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت ما لك عن فلان والله انى لاراه مؤمنا قال صلى الله عليه وسلم أو مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا وأجابه بمثل ذلك ثم قال انى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية ان يكب فى النار على وجهه وقال الرازى المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفرق بين العام والخاص ان الايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام أعم لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمرا آخر غيره مثاله الحيوان فى صورة الانسان أمر لا ينفك عن الانسان فلا يجوز ان يكون ذلك الحيوان حيوانا ولا يكون انسانا فالعام والخاص مختلفان فى العموم متحدان فى الوجود وكذلك المؤمن والمسلم وسيأتى زيادة على ذلك فى الذاريات ان شاء الله تعالى وقال الرازى فى الآية اشارة الى بيان حال المؤلفة اذا أسلموا ويكون ايمانهم ضعيفا فقال لهم لم تؤمنوا لان الايمان ايقان وذلك بعد لم يدخل فى قلوبكم وسيدخل باطلاعهم على محاسن الاسلام اه بل الايمان دخل فى قلوبهم ولكن لم

النكاح ويؤيده ان ذلك لا يعدى بالباء بل بنفسه كما قال تعالى زوجناكها (قوله كل امرئ بما كسب رهين)

بما أتوا باهل الاسلام * (تنبيه) * والتعبير بلما يفهم انهم آمنوا بعد ذلك ويجوز أن يكون المراد بهذا النفى نفى التمكن فى القلب لا نفى مطلق الدخول بدليل انما المؤمنون دون انما الذين آمنوا (وان تطيعوا الله) أى الملك الذى من خالفه لم يأمن عقوبته (ورسوله) اى الذى طاعته من طاعته على ما أنتم عليه من الامر الظاهر فتؤمنوا من قلوبكم (لا يلتكم) أى لا ينقصكم (من أعمالكم شيأ) بل يعطيكم ما يليق به من الجزاء لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة قدر ثمنها فى السوق درهم فاعطاه الملك درهما انتسب الملك الى البخل فهو يعطى ما تتوقعون باعمالكم وزيادة من غير نقص فلا حاجة الى اخباركم عن ايمانكم بغير ما يدل عليه من الاقوال والافعال وقرأ الدورى عن أبى عمرو بعد الياء التحتية بهمزة ساكنة وأبدلها السوسى ألفا والباقون بغير همز ولا ألف * ولما كان الانسان مبنيا على النقص وان اجتهد غاية اجتهاده قال الله تعالى (ان الله) اى الذى له صفات الكمال (غفور) اى ستور للهفوات والزلات لمن تاب وصحت نيته ولغيره ان شاء فلا عتاب ولا عقاب (رحيم) اى يزيد على الستر عظيم الاكرام ثم بين تعالى لهم حقيقة الايمان بقوله تعالى (انما المؤمنون) اى العريقون فى الايمان الذى هو حياة القلوب قال القشيرى والقلوب لا تحيا الا بعد ذبح النفوس والنفوس لا تموت ولكنها تعيش (الذين آمنوا) اى صدقوا معترفين (بالله) معتقدين جميع ماله من صفات الكمال (ورسوله) شاهدين برسالته وهذا الاثبات هنا يدل على ان المنفى فيما قبل الكمال المطلق والاقبال تعالى انما الذين آمنوا (ثم لم يرتابوا) اى لم يشكوا فى دينهم وأيقنوا بان الايمان ايقان * (تنبيه) * ثم للتراخى فى الحكاية كانه يقول آمنوا ثم أقول شيأ آخر لم يرتابوا ويحتمل أن تكون للتراخى فى الفعل اى آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما نقل النبى صلى الله عليه وسلم من الحشر والنشر (وجاهدوا) اى أوقعوا الجهاد بكل ما ينبغى أن تجهد النفوس فيه تصديقا لما ادعوه بألسنتهم من الايمان (باموالهم) وذلك هو النية وقوله تعالى (وأنفسهم) أعم من النية وغيرها وذلك هو الشجاعة وقدم الاموال لقلتها عند العرب (فى سبيل الله) اى طريق الملك الاعظم بقتال الكفار وغيره من سائر العبادات المحتاجة الى المال والنفس لا الذين يخافون ويقولون شغلتنا أموالنا وأهلونا قال القشيرى جعل الله تعالى الايمان مشروطا بخصال ذكرها وذكره بلفظ انما وهى للتحقيق يقتضى الطرد والعكس فمن أفرد الايمان عن شرائطه التى جعلها فمردود عليه قوله (أولئك) اى العالو الرتبة (هم الصادقون) اى فى قولهم وفعلهم انهم مؤمنون ولما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعلم الله منهم غير ذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) اى لهؤلاء الاعراب مجهلا لهم وموبخا (أتعلمون الله) اى أتخبرون اخبارا عظيما الملك الاعظم المحيط قدرة وعلما (بدينكم) اى بقولكم آمنا (والله) اى والحال ان الملك المحيط بكل شئ (يعلم ما فى السموات) كلها على عظمها وكثرة ما فيها (وما فى الارض) كذلك (والله) اى الذى له الاحاطة الكاملة (بكل شئ) اى مما ذكر ومما لم يذكر (عليم) اى لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ (يمنون عليك) اى يذكرون ذكر من اصطنع صنيعة وأسدى اليك نعمة (أن أسلموا) اى من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتال منهم * ولما كان المن هو القطع من العطاء الذى لا يراد عليه جزاء

* ان قلت كيف قال تعالى فى وصف أهل الجنة ذلك مع ان اهلها فى كل امرئ منهم رهون فى النار بعمله

قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أى فى جواب قولهم هذا (لاتمنوا على اسلامكم) لو فرض انكم كنتم متدينين بدين الاسلام الذى هو انقياد الظاهر مع اذعان الباطن أى لاتذكروا الامتنان أصلا لان الاسلام لايطلب جزاؤه الامن الله تعالى فلا ينبغى عده صنيعة على أحد فان ذلك يفسده (بل الله) أى الملك الاعظم الذى له المنة على كل موجود ولا منة عليه بوجه (يمن عليكم) أى يذكر أنه اسدى اليكم نعمه (أن) أى بأن (هداكم للايمان) اى فهو المنان عليكم لا أنتم عليه وعلى رسوله (فان قيل) كيف من عليهم بالهداية الى الايمان مع أنه تبين أنهم لم يؤمنوا (أجيب) باوجه احدها انه تعالى لم يقل بل الله يمن عليكم أن رزقكم الايمان بل قال أن هداكم للايمان ثانيها انه تعالى من عليهم بما زعموا فكأنه تعالى قال أنتم قلتم آمنا فذلك نعمة فى حقكم حيث تخلصتم من النار فقال تعالى هداكم فى زعمكم ولهذا قال تعالى (ان كنتم صادقين) اى فى قولكم آمنا فانه على تقدير الصدق انما هو بتوفيق الله تعالى وهو الذى خلق لكم قدرة الطاعة فهو الفاعل فى الحقيقة فله المنة عليكم قال القشيرى من لاحظ شيأ من أحواله فان رآها من نفسه كان مشركا وان رآها لنفسه كان مكرا فكيف يمن العبد بما هو شرك أو مكر والذى يجب عليه قبول المنة كيف يرى لنفسه على غيره منة هذا العمرى فضيحة والمنة تكدر الصنيعة اذا كانت من المخلوقين وبالمنة تطيب النعمة اذا كانت من قبل الله تعالى (ان الله) أى المحيط بكل شئ قدرة وعلما (يعلم غيب السموات) أى ماغاب فيها كلها (والارض) كذلك ولما أريد التعميم من غير تقييد بالخافقين اظهر ولم يضمر قوله تعالى (والله) اى الذى له الاحاطة بذلك وبغيره مما لاتعلمون (بصير) اى عالم أتم العلم (بما تعملون) أى من ظاهر اسلامكم فى الماضى والحاضر والآتى سواء أكان ظاهرا أم باطنا سواء أكان قد حدث فصار بحيث تعلمونه انتم او كان مغروزا فى جبلاتكم وهو خفى عنكم وقرأ ابن كثير بالياء التحتية على الغيبة نظرا لقوله تعالى يمنون ومابعده والباقون بالفوقية على الخطاب نظرا الى قوله تعالى لاتمنوا على اسلامكم الى آخره وفى هذه الآية اشارة الى أنه يبصر أعمال جوارحكم الظاهرة والباطنة لايخفى عليه شئ وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه حديث موضوع

سورة ق مكية

الا قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض الآية فمدنية وهى خمس وأربعون آية وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفا

(بسم الله) أى الذى احاط علمه بجميع خلقه الهالك منهم والباد (الرحمن) اى الذى عم خلقه برحمته حين أرسل اليهم بشرائعه أصدق العباد (الرحيم) أى الذى خص بالفوز فى دار القرار أهل الرشاد واختلف فى تفسير قوله عز من قائل (ق) فقال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل اسم من أسماء القرآن وقال القرطبى هو مفتاح اسمه قدير وقادر وقاهر وقريب وقابض وقال عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء ومنه خضرة السماء والسماء مقببة عليه وعليه كنفاها ويقال هو وراء الحجاب الذى تغيب الشمس

(قلت) بل المعنى كل نفس مرهونة بالعمل الصالح الذى هى مطالبة به فان عمل صالحا فكها والا أوبقها أو الجملة من صفات

من ورائه بسيرة سنة وقيل متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كنفاها قال الرازي وهذا القول ضعيف لوجوه أحدها ان اكثر القراء يقف عليها ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف في الادراج لان من قال ذلك قال ان الله تعالى أقسم به ثانيها انه لو كان كذلك لكان يكتب قاف مع الالف والفاء كما يكتب عين جارية ويكتب أليس الله بكاف عبده وفي جميع المصاحف تكتب حرف ق ثالثها ان الظاهر كون الامر فيه كالامر في ص ون وحم وهي حروف لا كلمات فكذلك في ق (فان قيل) هو منقول عن ابن عباس (نقول) المنقول عنه ان القاف اسم جبل واما ان المراد ههنا ذلك فلا اه وقيل معناه قضي الامر وقضي ما هو كائن كما قالوا في حم ٣ وفي ص صدق الله قال الرازي وقد ذكرنا أن الحروف تنبيهات قدمت على القرآن ليكون السامع بسببها يقبل على استماع ما يرد على الاسماع فلا يفوته شيء من الكلام الرائق والمعنى الفائق وذكرنا أيضا ان العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارحية ظاهرة ووجد في الجارحية ما عقل معناه ووجد فيها ما لم يعقل معناه كاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرهما ووجد في القلبية ما عقل بالدليل وعلم كالتوحيد وامكان الحشر وصفات الله تعالى وصدق الرسل ووجد فيها ما لم يعقل ولم يمكن التصديق به لولا السمع كالصراط الممدود الاحد من السيف الارق من الشعر والميزان الذي توزن به الاعمال فكذلك ينبغي أن تكون الاذكار التي هي العبادة اللسانية فيها ما يعقل معناه كجميع القرآن الا قليلا منه وفيها ما لا يعقل ولا يفهم كحروف التهجي ليكون التلفظ به لمحض الانقياد للامر لا لما يكون في الكلام من طيب الحكاية والقصد الى غرض كقولك ربنا اغفر لنا وارحمنا بل يكون التلفظ به تعبدا محضا ويؤيد هذا وجه آخر وهو ان هذه الحروف مقسم بها لان الله تعالى لما أقسم بالتين والزيتون كان تشريفا لهما فاذا أقسم بالحروف التي هي أصل الكلام الشريف الذي هو دليل المعرفة وآلة التعريف كان أولى واذا عرفت هذا فنقول القسم من الله تعالى وقع بأمر واحد كما في قوله تعالى والعصر وقوله تعالى والنجم وبحرف واحد كما في قوله تعالى ص ون ووقع بأمرين كما في قوله تعالى والضحى والليل وفي قوله تعالى والسماء والطارق وبحرفين كما في قوله تعالى طه وطس ويس وحم ووقع بثلاثة امور كما في قوله تعالى والصافات فالزاجرات فالتاليات وقوله تعالى والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود وبثلاثة أحرف كما في قوله تعالى الم وطسم والر ووقع بأربعة أمور كما في قوله تعالى والذاريات فالحاملات فالجاريات فالمقسمات وفي قوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين وبأربعة أحرف كما في قوله تعالى المص والمر ووقع بخمسة أمور كما في قوله تعالى والطور وكتاب مسطور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور وفي قوله تعالى والمرسلات فالعاصفات والناشرات فالفارقات فالملقيات وفي النازعات وفي الفجر وبخمسة أحرف كما في قوله تعالى كهيعص وحم عسق ولم يقسم بأكثر من خمسة اشياء الا في سورة واحدة وهي والشمس وضحاها ولما أقسم بالاشياء المعهودة ذكر حرف القسم وهو الواو فقال والطور والنجم والشمس وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم فلم يقل وحم وق لان القسم لما كان بنفس الحروف كان الحرف مقسما به فلم يورده في موضع كونه آلة القسم

٣ قوله كما قالوا في حم الخ عبارته في سورة المؤمن وقال الضحاك والكسائي معناه قضي ما هو كائن كأنهما أشارا الى أن معنى حم حم بضم الحاء وتشديد الميم اه

أهل النار معترضة بين صفات أهل الجنة روي عن مقاتل انه قال معناه كل امرئ كافر عامل من الكفر مرتهن في النار

تسوية بين الحرف وغيره ولم يدخل القسم بالحروف في أثناء السورة لانه يخل بالنظم وقوله تعالى (والقرآن) أى الكتاب الجامع الفارق (المجيد) أى الذى له العلو والشرف والكرم والعظمة على كل كلام قسم وفى جوابه أوجه أحدها قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم ثانيها ما يبدل القول لدى ثالثها ما يلفظ من قول رابعها ان فى ذلك لذكرى خامسها بل عجبوا وهو قول كوفى قالوا لان معناه قد عجبوا سادسها انه محذوف قدره الزجاج والمبرد والاخفش لتبعثن وغيرهم لقد جاءكم منذر وقدره الجلال المحلى ما آمن كفار مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم *(تنبيه)* جوابات القسم سبعة ان المشددة كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر وما النافية كقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك واللام المفتوحة كقوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين وان الخفيفة كقوله تعالى تالله ان كنا لفى ضلال مبين ولا النافية كقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وقد كقوله تعالى والشمس وضحاها قد أفلح من زكاها وبل كقوله تعالى والقرآن المجيد (بل) أى ان تكذيبهم ليس لانكار شئ من مجدك ولا انكار صدقك بل لانهم (عجبوا) أى الكفار واضمرهم قبل الذكر اشارة الى أنه اذا ذكر شئ خارج عن سنن الاستقامة انصرف اليهم والعجب تغير النفس لامر خارج عن العادة (أن جاءهم منذر منهم) أى رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث واقتصر على الانذار لان المقام لتخويف من قدم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من تلبسه باسلام أو غيره والتخويف من أنكر البعث والعجب منهم هو العجب لان العادة عندهم وعند جميع الناس انه اذا كان النذير منهم لم يداخلهم فى انذاره شك بوجه من الوجوه وهؤلاء خالفوا عادة الناس فى تعجبهم من كون النذير وهو أحدهم خص بالرسالة دونهم ولم يدركوا وجه الخصوصية لكونه مثلهم فلذلك أنكروا رسالته وفضل كتابه بألسنتهم تعاندا وحسدا لانهم كانوا معترفين بخصائصه التى رفعه الله تعالى بها عليهم قبل الرسالة فحطهم عجبهم ذلك الى الحضيض من دركات السفه وخفة الاحلام لانهم عجبوا أن كان الرسول بشرا وأوجبوا أن يكون الاله حجرا وعجبوا أن يعادوا من تراب لم يكن له أصل فى الحياة ولذلك سبب عنه قوله تعالى (فقال) أى بسبب انذاره بالبعث (الكافرون) وصرح به فى موضع الاضمار ايذانا بانهم لم يخف عليهم شئ من أمره ولكنهم ستروا تعديا رأى عقولهم الدالة على جميع امره دلالة ظاهرة وعبر بما دل على الفذارة لانها المقصود الاعظم من هذه السورة وجميع سياق المجرات ظاهر فيها (هذا) أى كونه نذيرا مخصصا بالرسالة من دوننا وكون ما أنذر به هو البعث بعد الموت (شئ عجيب) أى بليغ فى الخروج عن عادة اشكاله وقد كذبوا فى ذلك أما من جهة النذير فان أكثر الرسل من الطوائف الذين أرسلوا اليهم وقليل منهم من كان غريبا عمن أرسل اليه وأما من جهة البعث فان أكثر ما فى الكون مثل ذلك من اعادة كل من الملوين بعد ذهابه واحياء الارض بعد موتها واخراج النبات والاشجار والثمار وغير ذلك مما هو ظاهر جدا * ولما كان المتعجب منه مجملا أوضحه بقوله تعالى حكاية عنهم مبالغين فى الانكار بافتتاح انكارهم باستفهام انكارى (أئذا متنا) ففارقت ارواحنا ابداننا (وكنا ترابا) لا فرق بينه وبين تراب الارض ولما كان العامل فى الظرف ما تقديره نرجع دل عليه بقوله تعالى دالا

والمؤمن لا يكون مرتهنا
لقوله تعالى كل نفس بما
كسبت رهينة الا اصحاب
اليمين (قوله و يطوف
عليهم) قاله هنا وفى الانسان

بالاشارة بأداة البعد الى عظيم استبعادهم (ذلك) اى الامر الذى فى غاية البعد وهو مضمون الخبر برجوعنا (رجع) اى رد الى ما كنا عليه (بعيد) جدا لانه لا يمكن تمييز ترابنا من بقية التراب وقرأ قالون وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية وهى المكسورة وادخال ألف بينها وبين الهمزة الاولى المفتوحة وقرأ ورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال وقرأ الباقون بتحقيقهما وأدخل هشام بينهما ألفا بخلاف عنه والباقون بغير ادخال وكسر الميم من متنا نافع وحفص وحمزة والكسائى والباقون بالضم وقوله تعالى (قد علمنا) اى بما لنا من العظمة (ما تنقص الارض منهم) أى تأكل من اجزائهم المتحللة من ابدانهم بعد الموت وقيل رد لاستبعادهم لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من اجزاء الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا وعنه عليه الصلاة والسلام كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وعن السدى ما تنقص الارض منهم من يموت منهم ومن يبقى وهذه الآية تدل على جواز البعث وقدرته تعالى عليه لان الله تعالى عالم باجزاء كل واحد من الموتى لا يشتبه عليه جزء واحد بجزء الآخر قادر على الجمع والتأليف فليس الرجع منه ببعيد وهذا كقوله تعالى وهو الخلاق العليم حيث جعل للعلم مدخلا فى الاعادة وهذا جواب ما كانوا يقولون أئذا ضللنا فى الارض اى انه تعالى كما يعلم أجزاءهم يعلم اعمالهم فيرجعهم ويعيدهم بما كانوا يقولون وبما كانوا يعملون (وعندنا) اى على ما لنا من الغنى عن كل شئ (كتاب) أى جامع لكل شئ (حفيظ) اى بالغ فى الحفظ لا يشذ عنه شئ من الاشياء جل أودق وقيل محفوظ من الشياطين ومن أن يندرس او يغير وعلى الحالين الحفيظ هو اللوح المحفوظ قال الرازى والاول هو الاصح لان الحفيظ بمعنى الحافظ وارد فى القرآن قال الله تعالى وما أنت عليهم بحفيظ وقال تعالى حفيظ عليم ولان الكتاب للتمثيل ومعناه العلم عندى كما يكون فى الكتاب فهو يحفظ الاشياء وهو مستغن عن أن يحفظ وقوله تعالى (بل كذبوا بالحق) اى الامر الثابت الذى لا أثبت منه اضراب ثان قال الزمخشرى اضراب اتبع للاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق (لما) أى حين (جاءهم) أى لما ثار عندهم من اجل تعجبهم من ارسال رسول منهم من حظوظ النفوس حسدا منهم من غير تأمل لما قالوه ولا تدبر ولا نظر فيه ولا تذكر فلذلك قالوا ما لا يعقل من أن من قدر على ايجاد شئ من العدم وابدائه لا يقدر على اعادته بعد اعدامه له (فهم) اى لاجل مبادرتهم الى هذا القول السفساف (فى امر مريج) أى مضطرب جدا مختلط من المرج الذى هو اختلاط النبت بالانواع المختلفة فهم تارة يقولون سحر وتارة كهانة وتارة شعر وتارة كذب وتارة غير ذلك لا يثبتون على شئ واحد والاضطراب موجب للاختلاف وذلك أدل دليل على الابطال كما ان الثبات والخلوص موجب للاتفاق وذلك أدل دليل على الحقية قال الحسن ما ترك قوم الحق الا مرج أمرهم وكذا قال قتادة وزاد والتبس عليهم دينهم ثم ذكر تعالى الدليل الذى يدفع قولهم ذلك رجع بعيد بقوله تعالى (أفلم ينظروا) اى بعين البصر والبصيرة (الى السماء) اى المحيطة بهم (فوقهم) فان غيرها انما هو فوق بعضهم لا فوق الكل (كيف بنيناها) أى اوجدناها على ما لنا من الجد والعظمة كالخيمة الا انها من غير عمد (وزيناها) أى بما فيها من الكواكب الكبار والصغار السيارة والثابتة (وما) أى

بالواو عطفا على ما قبله وقاله فى الواقعة يقولوا ولانه حال أو خبر بعد خبر (قوله فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون) * ان قلت كيف

والحال ان ما (لها) وأكد النفي بقوله تعالى (من فروج) أى فتوق وطاقات وشقوق بل هى ملساء متلاصقة الاجزاء (والارض) اى المحيطة بهم التى هم عليها (مددناها) أى بسطناها بما لنا من العظمة (وألقينا) أى بعظمتنا (فيها رواسى) أى جبالا ثوابت كانت سببا لثباتها وخالفت عادة المراسى فى أنها من فوق والمراسى التى تعالجونها أنتم من تحت (وانبتنا) اى بما لنا من العظمة (فيها) اى الارض وعظم قدرته بالتبعيض فقال تعالى (من كل زوج) أى صنف من النبات تزواجت اشكاله (بهيج) اى هى فى غاية الرونق والاعجاب فكان مع كونه رزقا منتزها (تبصرة) اى جعلنا هذه الاشياء كلها لاجل أن تنظروا بابصاركم وتتفكروا ببصائركم فتعبروا منها الى صانعها فتعلموا ماله من العظمة (وذكرى) اى ولتتذكروا بها تذكرا عظيما بما لكم من القوى والقدر فتعلموا بعجزكم عن كل شئ من ذلك ان صانعها لا يعجزه شئ وانه محيط بجميع صفات الكمال وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالامالة بين بين والباقون بالفتح * (تنبيه) * قال الرازى يحتمل أن يكون الامران عائدين الى السماء والارض أى خلق السماء تبصرة وخلق الارض ذكرى ويدل على ذلك ان السماء وزينتها غير متجددة فى كل عام فهى كالشئ المرئى على ممر الزمان وأما الارض فهى كل سنة تاخذ زينتها وزخرفها فتذكر فالسماء تبصرة والارض تذكرة ويحتمل أن يكون كل واحد من الامرين موجودا فى كل واحد من الامرين فالسماء تبصرة وتذكرة والارض كذلك والفرق بين التذكرة والتبصرة هو أن فيهما آيات مستمرة منصوبة فى مقابلة البصائر وآيات متجددة مذكرة عند التناسى (لكل عبد) أى لتبصر وتذكر كل عبد بما له من النقص وبما دل عليه هذا الصنع من الكمال أنه عبد مربوب لصانعه (منيب) أى رجاع بما حطه اليه طبعه الى ما يغلبه عليه عقله فيرجع من شهود هذه الافعال الى شهود الصفات الى علم الذات ثم ذكر تعالى دليلا بقوله تعالى (ونزلنا من السماء) أى المحل العالى الذى لا يمسك فيه الماء عن دوام التقاطر الا بقاهر (ماء) أى شيأ فشيأ فى اوقات وعلى سبيل التقاطر ولولا عظمتنا التى لا تضاهى لغلب بما له من الثقل والميوع والنفوذ فنزل دفعة واحدة فاهلك ما نزل عليه فزالت المسرة وعادت المنفعة مضرة (مباركا) أى نافعا جدا كثير البركة وفيه حياة كل شئ وهو المطر فيكون الاستدلال بالسماء والارض وما بينهما وهو انزال الماء من فوق واخراج النبات من تحت (فانبتنا) أى بما لنا من القدرة الباهرة (به جنات) من الشجر والثمر والزرع والريحان وغيرها مما تجمعه البساتين وتجن اى تستر الداخل فيها (وحب الحصيد) أى الحب الذى من شأنه انه يحصد كالبر والشعير ونحوهما وقوله تعالى (والنخل) منصوب عطفا على مفعول أنبتنا اى وانبتنا النخل وقوله تعالى (باسقات) اى طوالا حال مقدرة لانها وقت الانبات لم تكن طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على اصحابه اى طال عليهم فى الفضل ومنه قول ابن نوفل فى ابن هبيرة

يا ابن الذين بجدهم * بسقت على قيس فزاره

وهو استعارة والاصل استعماله فى بسقت النخلة تبسق بسوقا اى طالت قال الشاعر

لنا خمر وليست خمر كرم * ولكن من نتاج الباسقات
كرام فى السماء ذهبن طولا * وفات ثمارها أيدى الجناة

قال ذلك مع ان كل أحد غيره كذلك (قلت) معناه فما أنت بحمد الله وانعامه عليك بالصدق والنبوة بكاهن ولا مجنون كما يقول

و باسقات الشاة ولدت وابسقت الناقة وقع في ضرعها اللبن قبل النتاج وقال سعيد بن جبير باسقات مستويات وأفردها بالذكر لفرط ارتفاعها (لها طلع) يجوز أن تكون الجملة حالا من النخل أو من الضمير في باسقات ويجوز أن يكون الحال وحده لها وطلع فاعل به وقوله تعالى (نضيد) بمعنى منضود بعضها فوق بعض في أكمامها كما في سنبلة الزرع وهو عجيب فان الاشجار الطوال ثمارها بارزة بعضها على بعض لكل واحدة منها أصل يخرج منه كالجوز واللوز والطلع كالسنبلة الواحدة تكون على أصل واحد وقوله تعالى (رزقا) يجوز أن يكون حالا أي مرزوقا (للعباد) ويجوز أن يكون مفعولا له وللعباد إما صفة وإما متعلق بالمصدر (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى عند ذكر خلق السماء والارض تبصرة وذكرى وفي الثمار قال رزقا وإن الثمار أيضا فيها تبصرة وفي السماء والارض أيضا منفعة غير التبصرة والتذكرة (أجيب) بأن الاستدلال وقع لوجود أمرين أحدهما الاعادة والثاني البقاء بعد الاعادة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدائم والعقاب الدائم وأنكروا ذلك فقال أما الاول فالله القادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الفناء وأما الثاني فلأن البقاء في الدنيا بالرزق والقادر على اخراج الارزاق من النخل والشجر قادر على أن يرزق بعد الحشر فكان الاول تبصرة وتذكرة بالخلق والثاني تذكرة بالبقاء والرزق ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تعالى تبصرة وذكرى حيث ذكر ذلك بين الآيتين ثم بدأ بذكر الماء وانزاله وانبات النبات *(تنبيه)* لم يقيد هذا العباد بالانابة وقيده في قوله تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب لان التذكرة لا تكون الا للمنيب والرزق يعم كل أحد غير أن المنيب يأكل ذاكرا وشاكرا للانعام وغيره يأكل كما تأكل الانعام فلم يخصص بقيد ولما كان في ذلك أعظم مذكر للبصراء بالبعث وبجميع صفات الكمال أتبعه ماله من التذكير بالبعث بخصوصه فقال تعالى (وأحيينا به) أي الماء بعظمتنا (بلدة) وعبر بالبلدة اشارة الى انه في غاية الضعف والحاجة الى النبات والخلق منه وذكر (ميتا) الزيادة في تحرير تمكن الفاعلية فيها أو حملا على معنى المكان (فان قيل) ما الفرق بين هذا الموضع وبين قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة حيث أثبت الهاء هنالك (أجيب) بأن الاصل في الارض الوصف بالميتة لان [illegible] الفاعلية ظاهرة هناك و [illegible] الاصل في [illegible] [illegible] صارت كالاهل وأقام بها القوم [illegible] [illegible] الهاء واذا كان [illegible] [illegible] [illegible] طيبة حيث اثبت الهاء حيث [illegible] [illegible] (كذلك) [illegible] الاخراج العظيم (الخروج) من قبورهم [illegible] [illegible] بعد ما تهشمت وتفتتت في الارض وصارت ترابا [illegible] غير ذلك [illegible] اخراج ما [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] فقابل [illegible] [illegible] لارتكاب كل واحد منهما أي [illegible] [illegible] على الشق [illegible] الخروج ولا

الكذا ر والبار ها بعف مع كافى قوله تعالى تنبت بالدهن وقوله فقد تعبدون بجهده (قوله أمة ولون شاعر) ذكر أم خمس عشرة

شق فيها ونبه فيما تعلق به الانبات على ما يقطف كل سنة ويبقى اصله وما يزرع كل سنة أو سنتين ويقطف كل سنة وعلى ما اختلط من جنسين فبعض الثمار فاكهة لا قوت ولا كثر الزرع قوت والتمر فاكهة وقوت وقوله تعالى (كذبت قبلهم) الآية فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتنبيه بأن حاله كحال من تقدمه من الرسل كذبوا وصبروا فاهلك الله تعالى مكذبيهم ونصرهم ولما لم يكن لهؤلاء المكذبين شهرة يعرفون بها قال تعالى (قوم نوح) الذين كان آخر أمرهم انه التقى عليهم الماآن نزل عليهم ماء السماء وطلع عليهم ماء الارض فاغرقهم ووسم الفعل بالتاء اشارة الى هوانهم في جنب هذا المجد وأسقط الجار من قوله تعالى قبلهم اشارة الى أن هؤلاء الاحزاب لقوتهم وكثرتهم كأنهم أهل الارض قد استغرقوا امكانها وزمانها ثم اتبع قوم نوح بشابهيهم بقوله تعالى (واصحاب الرس) أى البئر كانوا مقيمين عليها هوا شيهم يعبدون الاصنام ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان وقيل غيره فخسفت تلك البئر مع ما حولها فذهبت بهم وبكل مالهم كما ذكرت قصتهم في الفرقان ثم اتبع أصحاب الرس بقوم صالح عليه السلام فقال (وثمود) لان الرجفة التى اخذتهم مبدأ الخسف ثم اتبع ثمود بقوم هود عليه السلام فقال تعالى (وعاد) لان الريح التى أهلكتهم اثرت بها صيحة ثمود وقال تعالى (وفرعون) ولم يقل قوم فرعون لانه ليس في قادة هذه الفرق كافر غيره والنص عليه يفهم عظمته وانه استخف قومه فاطاعوه (واخوان لوط) اى اصهاره الذين صار بينه وبينهم مع المصاهرة المناصرة بعلو كعبهم على من ناواهم بنفسه وعمه خليل الله ابراهيم عليهما السلام ومع ذلك عاملوه بالخيانة والتكذيب (واصحاب الايكة) اى الغيضة وهم قوم شعيب والغيضة الشجر الملتف بعضه على بعض ولما كان تبع الحميرى واسمه سعد وكنيته أبو كرب مع كونه في قومه ملكا قاهرا وخالفوه مع ذلك وكان لقومه نار في بلادهم يتحاكمون اليها فتأكل الظالم ختم بهم فقال تعالى (وقوم تبع) مع كونه ملكا وهو يدعوهم الى الله تعالى فلا يظن أن التكذيب مخصوص بمن كان قويا بمن كان مستضعفا بل هو واقع بين شئنا من قوى وضعيف لا يخرج شئ عن مرادنا (كل) أى من هذه الفرق (كذب الرسل) أى كلهم بتكذيب رسولهم فان الكل متساوون فيما وجب الايمان من اظهار المعجز والدعاء الى الله تعالى (فحق) أى فتسبب عن تكذيبهم لهم أن ثبت عليهم ووجب (وعيد) أى الذى كانوا يكذبون به عند انذارهم لهم ايانا فجعلنا لهم منه في الدنيا ما حكمنا به عليهم في الازل فاهلكناهم اهلاكا عاما كاهلاك نفس واحدة على انحاء مختلفة كما هو مشهور عند من له بامثاله عناية واتبعناه ما هو في البرزخ واخرنا ما هو في القيامة الى يوم البعث فثبت بهذا كما لنا عن تنائى ديارهم وتباعد أعصارهم وكثرة اعدادهم ان لنا الاحاطة البالغة فتسبب باخواتك المرسلين وتأس بهم واحذر قومك ما حل بمن كذبهم ان أصروا (أفعيينا بالخلق) اى أحصل لنا عجز مالنا من العظمة الاعياء وهو العجز بسبب الخلق فى شئ من ايجاده أو اعدامه (الاول) اى من السموات والارض وما بينهما حين ابتدأناه اختراعا من العدم ومن خلق الانسان وسائر الحيوان مجددا في كل أوان في الاطوار المشاهدة على هذه التدريجات المعتادة بعد أن خلقنا أصله على ذلك الوجه مما ليس له أصل في الحياة ومن

مرة وكلها الزامات ليس للمخاطبين بها عنها جواب (قوله فانك باعيننا) معنى الجمع هنا التفخيم والتعظيم

اعدامه بعد خلقه بجملة كهذه الامم أو تدريجا كغيرهم (بل هم فى لبس) اى شك شديد وشبهة موجبة للتكلم بكلام مختلط لا يعقل له معنى بل السكوت عنه اجمل (من) اى لاجل (خلق جديد) أى بالاعادة ولما ذكر الخافقين أتبعه خلق ما هو جامع لجميع ما هو فيهما فقال تعالى (ولقد) أى والحال أنا قد (خلقنا) اى بما لنا من العظمة (الانسان) وهو أعجب خلقا واجمع من جميع ما مضى ذكره بما فيه من الانس والطغيان والذكر والنسيان والجهل والعرفان والطاعة والعصيان وغير ذلك من عجيب الشان ووكلنا به من جنودنا من يحفظه فيضبط حركاته وسكناته وجميع أحواله (ونعلم) والحال انا نعلم بما لنا من الاحاطة (ما توسوس) أى تكلم على وجه الخفاء (به) اى الآن وفيما بعد ذلك (نفسه) بما لم يتقدح بعد من خزائن الغيب الى سر النفس كما اننا نعلم ما تكلم نفسه وهى الخواطر التى تعرض له حتى انه هو ربما عجز عن ضبطها فنحن نعلم ان قلوبهم عالمة بقدرتنا على أن نكمل ما نريد وبصحة القرآن واعجازه وصدق الرسول به صلى الله عليه وسلم وامتيازه وانما حملهم الحسد والنفاسة والكبر والرياسة على الانكار باللسان حتى صار لهم ذلك خلقا وتمادوا فيه حتى غطى على عقولهم فصاروا فى لبس محيط بهم من جميع الجوانب (ونحن) اى بما لنا من العظمة (اقرب اليه) اى قرب علم وشهود من غير مسافة (من حبل الوريد) لان ابعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله تعالى شئ والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان من الرأس الى الوتين وهو عرق متصل بالقلب اذا قطع مات صاحبه وهذا مثل فى فرط القرب واضافته مثل مسجد الجامع أى حبل العرق الوريد أو لان الحبل أعم فاضيف للبيان نحو بعير سانية أو يراد حبل العاتق وأضيف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لانهما فى عضو واحد وقال البغوى حبل الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق فى البدن والحبل هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين قال القشيرى وفى هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح وأنس وسكون قلب لقوم وقوله تعالى (اذ يتلقى) ظرف لاقرب ويجوز أن يكون منصوبا باذكر أى واذكر اذ يتلقى أى بغاية الاجتهاد بالمراقبة والمراعاة من كل انسان خلقناه وأبرزناه الى هذا الوجود (المتلقيان) أى الملكان الموكلان بعمل الانسان ومنطقه يحفظانه ويكتبانه حال كونهما (عن اليمين) لكل انسان (وعن الشمال) أى أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فالذى عن اليمين يكتب الحسنات والذى عن الشمال يكتب السيآت وقوله تعالى (قعيد) أى قاعدان مبتدأ وخبره ما قبله لان فعيلا يطلق على الواحد والمتعدد كقوله تعالى بعد ذلك ظهير قال ابن عادل والاجود أن يدعى حذف اما من الاول أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد واما من الثانى فيكون قعيدا الملفوظ به للاول ومثله قوله

رمانى بامر كنت منه ووالدى * بريأ ومن أجل الطوى رمانى

وقال مجاهد القعيد المرصد ونحن أعلم منهما وأقرب وانما استحفظناهما لاقامة الحجة بهما على مجارى عاداتكم وغير ذلك من الحكم (ما يلفظ) أى يرمى ويخرج الكلام من فيه وعم فى النفى بقوله تعالى (من قول) جل أو قل (الا لديه) أى الانسان أو القول على هيئة من القدرة والعظمة من أغرب المستغرب (رقيب) من حفظتنا شديد المراعاة فى كل من أحواله (عتيد)

أى بحيث نراك ونحفظك ومثله قوله تجرى باعيننا

(سورة النجم)

(قوله ما ضل صاحبكم وما غوى)* ان قلت كيف قال ذلك مع ان الضلالة والغواية متحدتان

أي حاضر مراقب غير غافل بوجه قال الجلال المحلي وكل منهما بمعنى المثنى أي رقيبان عتيدان روى أبو امامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيآت على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيآت فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر *(تنبيه)* اختلف فيما يكتبان فقال مجاهد يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان الاما يؤجر عليه أو يوزر فيه *(فائدتان)* احداهما قال الحسن ان الملائكة يجتنبون الانسان عند حالتين عند غائطه وعند جماعه * الثانية قال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته

(وجاءت) أي أتت وحضرت (سكرة الموت) أي حالته عند النزع وشدته وغمرته يصير المريض بها كالسكران لا يعي وتخرج بها أقواله وأفعاله عن قانون الاعتدال مجيأ ملتبسا (بالحق) أي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع فلا حيلة في الاحتراس منه وقيل للميت بلسان الحال ان لم يكن بلسان المقال (ذلك) أي هذا الامر العظيم العالي الرتبة الذي يحق لكل أحد الاعتداد له بغاية الجهد (ما) أي الامر الذي (كنت) أي جبلة وطبعا (منه تحيد) أي تميل وتنفر وتروغ وتهرب *(تنبيه)* قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم قال الرازي وهو منكر وقيل مع الكافر قال ابن عادل والاقوى أن يقال هو خطاب عام مع السامع وهذا أولى وقوله تعالى (ونفخ في الصور) عطف على قوله تعالى وجاءت سكرة الموت وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام للموت العام والبعث العام عند التكامل وانقطاع أوان التعامل وهو بحيث لا يعلم قدر عظمه واتساعه الا الله تعالى وهو عليه السلام قد التقم الصور من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر فيا لها من عظمة ما أغفلنا عنها وأنسانا لها والمراد بهذه نفخة البعث وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى الزمان المفهوم من قوله نفخ لان الفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان فكأنه تعالى قال ذلك الزمان العظيم الاهوال والاوجال (يوم الوعيد) أي للكفار بالعذاب (وجاءت) أي فيه (كل نفس) أي مكلفة (معها سائق) أي ملك يسوقها اليه (وشهيد) يشهد عليها بعملها قال الضحاك السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم وهو الايدي والارجل وغيرها وهي رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هما جميعا من الملائكة فالسائق كما قيل لا تعلق له بالشهادة لئلا تقول تلك النفس انه خصم والخصم لا تقبل شهادته وقيل السائق هو الذي يسوقه الى الموقف ومنه الى مقعده والشهيد هو الكاتب والسائق لازم للبر والفاجر أما البر فيساق الى الجنة وأما الفاجر فالى النار قال تعالى وسيق الذين كفروا وقال تعالى وسيق الذين اتقوا والشهيد يشهد عليها بما عملت *(تنبيه)* يجوز في جملة معها سائق وشهيد أن تكون في موضع جر صفة لنفس وأن تكون في موضع رفع صفة لكل وأن تكون في موضع نصب على الحال من كل ويقال للكافر (لقد كنت) أي كونا كأنه جبلة لك (في غفلة) أي عظيمة محيطة بك ناشئة لك (من هذا) أي من تصور هذا اليوم على ما هو عليه من انقطاع الاسباب والجزاء بالثواب أو العقاب لانه على شدة جلائه خفي على من

(قوله) لا نسلم اتحادهما اذ الضلال ضد الهدى والغواية ضد الرشد أو المعنى ما ضل في قوله ولا غوى في فعله وبتقدير اتحادهما

اتبع الشهوات (فكشفنا) بعظمتنا بالموت ثم البعث (عنك غطاءك) الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك من الغفلة بالأعمال في الحال والمآل وسائر الحظوظ والشهوات (فبصرك اليوم) أي بعد البعث (حديد) أي في غاية الحدة والنفوذ فلذا تقربما كنت تنكر في الدنيا وقال مجاهد يعني نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيآتك والمعنى أزلنا غفلتك فبصرك اليوم حديد وكان من قبل كليلا واختلف في القرين في قوله تعالى (وقال قرينه) فأكثر المفسرين على أنه الملك الموكل به فيقول (هذا ما) أي الذي (لدي عتيد) أي حاضر ونقل الكرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه الشيطان الذي سلط على اغوائه واستدراجه الى ما يريد فزين له الكفر والعصيان ويدل لهذا قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء وقال تعالى نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالى فبئس القرين فالاشارة بهذا الى المسوق المرتكب الفجور والفسوق والعتيد معناه المعد للنار ومعناه ان الشيطان يقول هذا العاصي هو شيء عندي معد لجهنم أعددته لها بالاغواء والاضلال وقوله تعالى (ألقيا في جهنم) أي النار التي تلتقي الملقى فيها بما كان يعامل به عباد الله تعالى من الكبر والعبوسة (كل كفار) خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو للواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كأنه قيل ألق ألق وقيل أراد ألقين بالنون الخفيفة فأبدلها ألفا اجراء للوصل مجرى الوقف وقيل العرب تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين تأكيدا كقوله

فان تزجراني يا ابن عفان أزدجر * وان تدعاني أحم عرضا ممنعا

قال ابن عادل وقيل المأمور مثنى وهذا هو الحق لأن المراد ملكان يفعلان ذلك اه وهو القول المتقدم (عنيد) وهو المبالغ في ستر الحق والمعاداة لأهله بغير حجة وأنفة نظرا الى استحسان ما عنده والثبات عليه تجبرا وتكبرا على ما عند غيره ازدراء له كائنا من كان (مناع) أي كثير المنع (للخير) من المال وغيره من كل معروف يتعلق بالمال والمقال والفعال وقيل المراد الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه عنه (معتد) أي مجاوز للحدود (مريب) أي داخل في الريب وهو الشك والتهمة في أهل الدين وقوله تعالى (الذي جعل مع الله) أي الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال (الها آخر) يجوز أن يكون منصوبا على الذم أو على البدل من كل وأن يكون مجرورا بدلا من كفار أو مرفوعا بالابتداء والخبر (فألقياه في العذاب) أي الذي يزيل كل عذوبة (الشديد) ودخلت الفاء في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر أي هو الذي جعل ويكون فألقياه تأكيدا (قال قرينه) مناديا باسقاط الاداة كدأب أهل القرب ايهاما انه منهم (ربنا) أي أيها المحسن الينا أيها الخلائق كلهم (ما أطغيته) أي ما أوقعته فيما كان فيه من الطغيان فاني لا سلطان لي عليه وأنت أعلم بذلك (ولكن كان) أي بجبلته وطبعه (في ضلال بعيد) أي محيط به من جميع جوانبه لا يمكن رجوعه معه فلذلك كان يبادر الى كل ما يغضب الله تعالى

(تنبيه) هذا جواب لكلام مقدر فان الكافر حين ما يلقى في النار يقول ربنا أطغاني شيطاني فيقول ربنا ما أطغيته بدليل قوله تعالى لا تختصموا لدي لأن المخاصمة تستدعي كلاما

يكون ذلك من باب التأكيد باللفظ المخالف مع اتحاد المعنى (قوله تأكيدا) ان قلت قوسين ارادته ان ذلك كيف ادخل كله

من الجانبين ونظيره قوله تعالى في سورة ص قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم الى قوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم أهل النار قال الزمخشري وهذا يدل على ان المراد بالقرين في الآية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الذي هو شهيد وقعيد قال الرازي وجاءت هذه الآية بلا واو وفي الاولى بواو عاطفة لان الاولى اشارة وقعت الى معنيين مجتمعين فان كل نفس في ذلك الوقت تجيء ومعها سائق وشهيد فيقول الشهيد ذلك القول وفي الثانية لم يوجد هناك معنيان مجتمعان حتى تذكر الواو فان الفاء في قوله تعالى فالقياه في العذاب لا تناسب قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته فليس هناك مناسبة مقتضية للعطف (فان قيل) كيف قال ما أطغيته مع انه قال لاغوينهم أجمعين (أجيب) بأن المراد من قوله لاغوينهم أي لاديمنهم على الغواية كما ان الضال اذا قال له شخص أنت على الجادة فلا تتركها يقال انه يضله كذا هنا فقوله ما أطغيته أي ما كان ابتداء الطغيان مني وقوله تعالى (قال) أي الله تعالى المحيط علما وقدرة الذي حكم عليهم بذلك في الازل (لا تختصموا) أي لا توقعوا الخصومة بهذا الجد والاجتهاد استئناف كأن قائلا يقول فماذا قال الله تعالى فأجيب بقال لا تختصموا وقوله تعالى (لدي) أي في دار الجزاء بهذه الحضرة التي هي فوق ما كنتم تدركونه من الاخبار عنها بكثير يفيد مفهومه أن الاختصام كان ينبغي أن يكون قبل الحضور والوقوف بين يدي وقوله تعالى (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أي التهديد وهو التخويف العظيم على جميع ما ارتكبتموه من الكفر والعدوان جملة حالية ولابد من تأويلها وذلك أن النهي في الآخرة وتقدمه الوعيد في الدنيا فاختلف الزمان فكيف يصح جعلها حالية وتأويلها هو أن المعنى وقد صح أني قدمت وزمان الصحة وزمان النهي واحد وقدمت يجوز أن يكون بمعنى تقدمت فتكون الواو للحال ولابد من حذف مضاف أي وقد تقدم قولي لكم ملتبسا بالوعيد ويجوز أن يكون قدمت على حاله متعديا والباء مزيدة في المفعول أي قدمت اليكم الوعيد كقوله تعالى تنبت بالدهن على قول من قال بزيادتها هناك وقيل الباء هنا للمصاحبة كقولك اشتريت الفرس بلجامه أي معه فكأنه قال تعالى قدمت اليكم ما يجب مع الوعيد على تركه والانذار (ما يبدل) أي يغير بوجه من الوجوه (القول لدي) أي الواصل اليكم من حضرتي التي لا يحيط بها أحد من خلقي وعبر بما التي هي للحاضر دون لا التي للمستقبل لان الاوقات كلها عنده حاضرة (وما أنا) وأكد النفي بقوله تعالى (بظلام للعبيد) فاعذبهم بغير ظلم (فان قيل) الظلام مبالغة في الظالم ويلزم من انتفائه اثبات أصل الظلم فاذا قال القائل هو كذاب يلزم أن يكون كثير الكذب ولا يلزم من نفيه نفي أصل الكذب لجواز أن يقال ليس بكذاب كثير الكذب لكنه يكذب أحيانا فقوله تعالى ما أنا بظلام لا يفهم منه نفي أصل الظلم وأن الله ليس بظلام (أجيب) بأربعة أجوبة أحدها أن الظلام بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر فتكون اللام في قوله تعالى للعبيد لتحقيق النسبة لان الفعال حينئذ بمعنى ذي ظلم لقوله تعالى لا ظلم اليوم ثانيها قال الزمخشري ان ذلك أمر تقديري كأنه تعالى يقول لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل الرحمة لكان ذلك غاية الظلم وما أنا بذلك فيلزم من نفي كونه ظلاما نفي كونه ظالما ويحقق هذا الوجه اظهار لفظ العبيد حيث قال الله تعالى وما أنا بظلام للعبيد أي في ذلك اليوم الذي أملأ فيه جهنم مع سعتها حتى

الشك وهو محال عليه تعالى والتخيير لا للشك أي (قاب) أو التخيير أي (قاب) او للتخيير لا للشك اى

(قات) او للتخيير لا للشك اى ان شئتم قدروا ذلك القرب بقاب قوسين او ادنى منهما او هي بمعنى بل او التشكيك

تصيح وتقول لم يبق في طاقة بهم ولم يبق في موضع لهم فهل من مزيد استفهام استنكار ثالثها انه مقابلة الجمع بالجمع والمعنى ان ذلك اليوم مع أني آتي في جهنم عدد الاحصر له لا أكون بسبب كثرة التعذيب كثير الظلم لانه تعالى قال وما أنا بظلام للعبيد (يوم نقول) أى على ما فيه من العظمة (لجهنم) ولم يقل ما أنا بظلام في جميع الازمان وخصص بالعبيد ولم يطلق فلذلك خصص النفي بنوع من أنواع الظلم ولم يطلق ولم يلزم منه أن يكون ظلاما في غير ذلك الوقت لان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه لانه نفي كونه ظلاما ولم يلزم منه كونه ظلاما ونفي كونه ظلاما للعبيد ولم يلزم منه كونه ظلاما لغيرهم *(تنبيه)* يحتمل أن يكون المراد بالعبيد الكفار كقوله تعالى ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الآية والمعنى أعذبهم وما أنا بظلام لهم ويحتمل أن يكون المراد منه المؤمنين والمعنى ان الله تعالى يقول لو بدلت قولي ورحمت الكفار لكنت في تكليف العباد ظالما لعبادي المؤمنين لاني منعتهم من الشهوات لاجل هذا اليوم فلو كان ينال من لم يأت بما أتى به المؤمن ما يناله المؤمن لكان اتيان المؤمن بما أتى به من الايمان والعبادة غير مفيد وهذا معنى قوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ويحتمل أن يكون المراد التعميم وهذا أظهر وقوله تعالى لجهنم أى التي هي دار العذاب مع الكراهة والعبوسة والتجهم (هل امتلأت) استفهام تحقيق لوعده عليها وهو قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (وتقول) بصورة الاستفهام كالسؤال (هل من مزيد) أى قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكار وقيل بمعنى الاستزادة رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعلى هذا يكون السؤال وهو قوله تعالى هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى سبقت كلمته لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملؤها فتقول ألست قد أقسمت لتملأني فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول هل من مزيد قط قط قد امتلأت وليس في مزيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفي رواية رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعد ذلك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولابي هريرة رضي الله عنه نحوه ولا يظلم الله تعالى من خلقه أحدا *(تنبيه)* هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين انه لا يتكلم في تأويلها بل نفوض بأنها حق على ما أراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها أولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد المذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انها تؤول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل الحديث فقيل المراد بالقدم المتقدم وهو شائع في اللغة والمعنى يضع الله تعالى فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل يحتمل أن في المخلوقات من يسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضي عياض أظهر التأويلات أنهم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل العقلي القطعي على استحالة

(قوله
لهم في قدر القرب
افرأيتم اللات والعزى
ومنات الثالثة الاخرى)
ان قلت راى هنا من رؤية

الجارحة

الجار رحمه على الله تعالى وقولها قط قط أى حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها الثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منوّنة وغير منوّنة ولما ذكر النار التي هي دار الفجار وقدمها لان المقام للانذار اتبعها دار الابرار فقال تعالى سارّا لهم باسقاط مؤنة المسير وطي مشقة البعد (وأزلفت الجنة) أى قربت بأيسر أمر مع الدرجات والحياض الممتلئة (للمتقين) أى العريقين في هذا الوصف فاذا رءوها تسابقوا اليها وتركوا ما كانوا فيه في الموقف من منابر النور وكثبان المسك ونحو هذا وأما غيرهم من أهل الايمان فقد يكون لهم غير هذا الوصف فيساق اليها الذين اتقوا كما مضى في الزمر وقوله تعالى (غير بعيد) يجوز أن يكون حالا من الجنة ولم يؤنث لانها بمعنى البستان أو لان فعيلا لا يؤنث لانه بزنة المصادر قاله الزمخشري ومنعه أبو حيان وتقدم الكلام على ذلك في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ويجوز أن يكون منصوبا على الظرف المكاني أى مكانا غير بعيد ويجوز أن يكون نعتا لمصدر محذوف أى ازلافا غير بعيد وهو ظاهر عبارة الزمخشري فانه قال أو شيأ غير بعيد (فان قيل) ما وجه التقريب والجنة مكان والامكنة يقرب منها وهي لا تقرب (أجيب) من أوجه أولها أن الجنة لا تزال ولا يؤمر المؤمن في ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها لكن الله تعالى يطوي المسافة التي بين المؤمن والجنة فهو التقريب (فان قيل) فعلى هذا ليس ازلاف الجنة من المؤمن باولى من ازلاف المؤمن من الجنة فما فائدة قوله تعالى أزلفت الجنة (أجيب) بان ذلك اكرام للمؤمن وبيان لشرفه وانه ممن يمشى اليه ثانيها اقريب من الحصول في الدخول لا بمعنى القرب المكاني ثالثها ان الله تعالى قادر على نقل الجنة من السماء الى الارض فيقربها للمؤمن ويحتمل انها أزلفت بمعنى جمعت محاسنها لانها المخلوقة واما بمعنى قرب الحصول لها لانها تنال بكلمة طيبة وحسنة وخص المتقين بذلك لانهم أحق بها وقوله تعالى (هذا) أى الازلاف والذي ترونه من كل ما يسركم (ما) أى الامر الذي (توعدون) أى وقع الوعد لكم به في الدنيا يجوز فيه وجهان أحدهما أن يكون معترضا بين البدل والمبدل منه وذلك أن (لكل أوّاب) أى رجاع الى طاعة الله تعالى بدل من المتقين باعادة العامل ثانيهما أن يكون منصوبا بقول مضمر ذلك القول منصوب على الحال أى مقولا لهم وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب ونسب أبو حيان قراءة الياء لابن كثير ولابي عمرو وانما هي لابن كثير فقط وقال سعيد بن المسيب الاوّاب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقال ابن عباس رضى الله عنهما وعطاء هو المسبح من قوله تعالى يا جبال أوّبي معه وقال قتادة هو المصلي وقوله تعالى (حفيظ) اختلف فيه فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا الحفيظ لامر الله وقال قتادة الحفيظ لما استودعه الله تعالى من حقه والاواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة أى يكون كثير الاوب شديد الحفظ ثم أبدل من كل تتميما لبيان المتقين قوله تعالى (من خشى) أى خاف ونبه على كثرة خشيته بقوله تعالى (الرحمن) لانه اذا خافه مع استحضار الرحمة العامة للمطيع والعاصي كان خوفه مع استحضار غيرها أولى وقال القشيري التعبير بذلك للاشارة الى أنها خشية تكون مقرونة بالانس يعني الرجاء كما هو المشروع قال

القلب فاين مفعولاها الثاني (قلت) هو محذوف تقديره أفرأيتموها بنات الله وانداده والمعنى أخبروني ألهذه الاصنام قدرة على

قوله ثانيها اقريب كذا بالنسخ التي بايدينا وفي حاشية العلامة الجمل الثاني أن المراد قرب الدخول فيها لا بمعنى الخ وهي ظاهرة اه مصححه

ولذلك لم يقل الجبار أو القهار و يقال الخشية ألطف من الخوف فكأنها قريبة من الهيبة وقوله تعالى (بالغيب) حال أى غائبا عنه فيحتمل أن يكون حالا من الفاعل أو المفعول أو منهما وقيل الباء للمصاحبة أى مصاحب له من غير أن يطلب آية أو امرا يصير به الى حد المكاشفة بل استغنى بالبراهين القطعية التى منها أنه مربوب وهو أيضا بيان لبليغ خشيته و يجوز أن يكون صفة لمصدر خشى أى خشيه خشية ملتبسة بالغيب ومعنى الآية من خاف الرحمن فأطاعه بالغيب ولم يره وقال الضحاك والسدى يعنى فى الخلوة حيث لا يراه أحد وقال الحسن اذا أرخى الستور وأغلق الباب وقوله تعالى (وجاء) أى بعد الموت (بقلب منيب) اى راجع الى الله تعالى صفة مدح لان شأن الخائف أن يهرب فاما المتقى فجاء به لعلمه انه لا منجى الفرار منه والباء فى بقلب اما للتعدية واما للمصاحبة واما للسببية والقلب المنيب كالقلب السليم فى قوله تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم أى سليم من الشرك والضمير فى قوله تعالى (ادخلوها) عائد الى الجنة وقوله تعالى (بسلام) حال من فاعل ادخلوها أى سالمين من العذاب والهموم فهى حال مقارنة أو بسلام من الله تعالى و ملائكته عليهم فهى حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين كذا قيل قال ابن عادل وفيه نظر اذ لا مانع من مقارنة تسليم الملائكة عليهم حال الدخول بخلاف فادخلوها خالدين فانه لا يعقل الخلود الا بعد الدخول (ذلك) أى اليوم الذى حصل فيه الدخول (يوم الخلود) أى الدوام فى الجنة الذى لا آخر له ولا نفاد لشئ من لذاته أصلا ولذلك وصل به قوله تعالى جوابا لمن قال على أى وجه خلودهم (لهم) بظواهرهم و بواطنهم (ما يشاؤن) أى تجدد مشيئتهم أو يمكن مشيئتهم له (فيها) أى الجنة (ولدينا) أى عندنا من الامور التى هى فى غاية الغرابة عندهم وان كان كل ما عندهم مستغربا (مزيد) أى مما لا يدخل تحت أوهامهم ليشاؤه فان سياق الامتنان يدل على ان تنوينه للتعظيم والتعبير بلدى يؤكد ذلك (فان قيل) ما الحكمة فى أنه تعالى قال ادخلوها بسلام على المخاطبة ثم قال لهم ولم يقل لكم (أجيب) من وجوه أولها أن قوله تعالى ادخلوها فيه مقدر أى فيقال لهم ادخلوها فلا يكون التفاتا ثانيها انه التفات والحكمة الجمع بين الطرفين كانه تعالى يقول غير مخل بهم فى غيبتهم وحضورهم ففى حضورهم الحبور وفى غيبتهم الحور والقصور ثالثها أنه يجوز أن يكون قوله تعالى لهم كلاما مع الملائكة يقول للملائكة توكلوا بخدمتهم واعلموا أن لهم ما يشاؤن فيها اذا حضروا بين أيديهم ما يشاؤن وأما أنا فعندى ما لا يخطر ببالهم ولا تقدرون أنتم عليه والمزيد يحتمل أن يكون معناه الزيادة كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل ان يكون بمعنى المفعول أى عندنا ما نزيده على ما يرجون و يأملون قال أنس و جابر وهو النظر الى وجه الله الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فى كل ليلة جمعة فى دار كرامته فهذا هو المزيد ولما ذكر تعالى أول السورة تكذيب الامم السابقة ذكر هنا اهلاك قرون ماضية بقوله تعالى (وكم أهلكنا) أى بما لنا من العظمة (قبلهم من قرن) أى جيل هم فى غاية القوة وزاد فى بيان القوة قوله تعالى (هم أشد منهم) اى من قريش (بطشا) أى قوة وأخذا للمبار يدونه بالعنف والسطوة والشدة *(تنبيه)* كم منصوب بما بعده وقدم اما لانه استفهام واما لان

كم

شئ تعبدونها دون الله (ان القادر على كل شئ) قلت) كيف وصف الثالثة بالاخرى مع انه انما يوصف بها الثانية وظاهر اللفظ

كم الخبرية تجرى مجرى كم الاستفهامية فى التصدير ومن قرن تمييزوهم اشدصفة امّا لكم واما القرن والفاء فى قوله تعالى (فنقبوا) عاطفة على المعنى كانه قيل اشتدبطشهم فنقبوا (فى البلاد) والضمير فى نقبوا اما للقرن المتقدم وهو الظاهر واما لقريش والتنقيب التنقير والتفتيش ومعناه التطواف فى البلاد قال الحرث بن حلزة

نقبوا فى البلاد من حذر المو * ت وجالوا فى الارض كل مجال

وقال امرؤ القيس

وقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

ولما كان التقدير ولم [illegible] كثرة تنقيبهم توجه سؤال تنبيه للغافل الذاهل وتقريع وتبكيت للمعاند الجاهل بقوله تعالى (هل من محيص) أى معدل ومحيد ومهرب وان دق من قضائنا ليكون لهؤلاء وجه ما فى ردأمرنا (ان فى ذلك) أى فيما ذكر فى هذه السورة من الاساليب العجيبة والطرق الغريبة (لذكرى) أى تذكيرا عظيما جدا (لمن كان) أى كونا عظيما (له قلب) أى عقل فى غاية العظمة فهو بحيث يفهم ما يراه ويعتبر به ومن لم يكن كذلك فلا قلب له سليم بل له قلب لاه (أو ألقى السمع) أى استمع الوعظ بغاية اصغائه حتى كانه يرمى بشئ ثقيل من علو الى سفل (وهو) أى والحال انه فى حال القائه (شهيد) أى حاضر بكليته فهو فى غاية مايكون من تصويب الفكر وجمع الخاطر فلا يغيب عنه شئ مما تلى عليه وألقى اليه فيتذكر وعطف على قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان قوله تعالى (ولقد خلقنا) أى بمالنا من العظمة التى لا يقدر قدرها ولا يطاق حصرها (السموات والارض) اى على ماهما عليه من الكبر وكثرة المنافع (وما بينهما) من الامور التى لا ينتظم الامر على قاعدة الاسباب والمسببات بدونها (فى ستة أيام) الارض فى يومين ومنافعها فى يومين والسموات فى يومين ولو شاء لكان ذلك فى أقل من لمح البصر ولكنه تعالى سن لنا التأنى بذلك (وما مسنا) لاجل مالنا من العظمة أدنى مس وعمم فى النفى فقال تعالى (من لغوب) أى اعياء فانه لو كان لاقتضى ضعفا فاقتضى فسادا فكان من ذلك الشئ على غير ما أردناه فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا فى الباقى وأنتم تشاهدون الامر فى الكل على حد سواء من نفوذ الامر وتمام التصرف (فاصبر) يا أشرف الخلق (على ما يقولون) أى اليهود وغيرهم من انكار البعث والتشبيه وغير ذلك فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على البعث وغيره (وسبح) اى أوقع التنزيه عن كل شائبة نقص ملتبسا (بحمد ربك) أى باثبات الاحاطة بجميع صفات الكمال للسيد المدبر المحسن اليك بجميع هذه البراهين التى خصك بها فضلا لك على جميع الخلق وقوله تعالى (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) اشارة الى طرفى النهار وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) اشارة الى زلفى من الليل وتقريره أنه صلى الله عليه وسلم كان مشتغلا بامرين احدهما عبادة الله تعالى والثانى هداية الخلق فاذا لم يهتدوا قيل له أقبل على شغلك الآخر وهو العبادة قبل الطلوع وقبل الغروب لانهما وقتا اجتماعهم ويكون المراد بقوله تعالى ومن الليل أوله لانه أيضا وقت اجتماعهم وقال أكثر المفسرين قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب

يقتضى ان يكون قد سبق ثالثة ثم لحقها ثالثة أخرى ليكون ثالثة اثنين (قلت) الاخرى صفة للعزى وانما أخرها رعاية للفواصل أو

الظهر والعصر ومن الليل العشا آن والتهجد (وادبار السجود) التنفل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء وقال مجاهد ومن الليل يعني صلاة الليل أي وقت صلى وقرأ نافع وابن كثير وحمزة بكسر الهمزة على أنه مصدر قام مقام ظرف الزمان كقولهم آتيك خفوق النجم وخلافة الحجاج ومعنى وقت ادبار الصلاة أي انقضائها وتمامها والباقون بالفتح جمع دبر وهو آخر الليل وعقبها ومنه قول أوس

على دبر الشهر الحرام فأرضنا * وما حولها جدب سنون تلمع

ولم يختلفوا في وادبار النجوم وقوله تعالى وأدباره معطوف اما على قبل الغروب واما على ومن الليل وقال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ادبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وروى عنه مرفوعا قال البغوي هذا قول أكثر المفسرين عن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على الركعتين أمام الصبح وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وعن مجاهد وأدبار السجود هو التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه أيضا أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال صلى الله عليه وسلم وماذاك فقالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد مثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا وقوله تعالى (واستمع) اي لما أخبرك به من أحوال القيامة فيه تهويل وتعظيم للمخبر به والمحدث عنه كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول ثم حدثه بعد ذلك وقوله تعالى (يوم) ظرف لاستمع اي استمع ذلك في يوم (ينادي المنادي) أي اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل المنادي جبريل (من مكان قريب) بحيث يسمع الصوت من بعد كما يسمعه من قرب يكونون في السماع سواء لا تفاوت بينهم أصلا واختلفوا في ذلك المكان القريب فأكثر المفسرين انه صخرة بيت المقدس فانها أقرب الارض الى السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية وقوله تعالى (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادي والصيحة النفخة الثانية وقوله تعالى (بالحق)

قوله ومعنى وقت كذا بالنسخ والاصل الصواب والمعنى الخ اه مصححه

صفة ذم للات والعزى ومناة التي هي ثالثة للتين قبلها فالاخرى على هذا من التأخر في الرتبة

حال من الصيحة أى متلبسة بالحق أو من الفاعل أى يسمعون متلبسين بسماع حق (ذلك) اى اليوم العظيم الذى يظهر به الجد ويعلو بضعفاء المؤمنين الجد (يوم الخروج) أى الذى لا خروج أعظم منه وهو خروجهم من قبورهم من الارض التى خلقوا منها الى المحشر وهو من أسماء يوم القيامة (انا) أى بما لنا من العظمة (نحن) أى خاصة (نحيى ونميت) أى نجدد ذلك شيأ بعد شئ سنة مستقرة وعادة مستمرة كما تشاهدونه فقد كان منا بالاحياء الاول المبدأ (والينا) أى خاصة بالاماتة ثم الاحياء (المصير) أى فى الآخرة وقيل تقديره نميت فى الدنيا ونحيي فى الآخرة للبعث والينا المصير بعد البعث وقوله تعالى (يوم) بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض وقرأ (تشقق الارض) نافع وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين والباقون بالتخفيف (عنهم) أى مجاوزة لهم بعد أن كانوا فى بطنها فيخرجون منها أحياء كما كانوا على ظهرها أحياء حال كونهم (سراعا) أى اجابة لمنادينا وهو جمع سريع وأشار الى عظمة الامر بقوله تعالى (ذلك) أى الاخراج العظيم جدا (حشر) اى جمع بكره وزاد فى بيان عظمة هذا الامر بدلالته على اختصاصه بتقدم الجار فقال تعالى (علينا) أى خاصة (يسير) فكيف يتوقف فيه عاقل فضلا عن أن ينكره وأما غيرنا فلا يمكنه ذلك بوجه * (تنبيه) * علينا متعلق بيسير ففصل بمعمول الصفة بينها وبين موصوفها ولا يضر ذلك وقال الزمخشرى التقديم للاختصاص وهو ما أشرت اليه أى لا يتيسر ذلك الا على الله تعالى وحده وهو اعادة جواب قولهم ذلك رجع بعيد وقوله تعالى (نحن أعلم) أى عالمون (بما يقولون) أى فى الحال والاستقبال من التكذيب بالبعث وغيره تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتهديدا لهم (وما أنت عليهم بجبار) أى بمسلط تجبرهم على الاسلام انما أنت منذر وقد فعلت ما أمرت به ونحن القادرون على ردهم بما لنا من العلم المحيط وهذا قبل الامر بالقتال (فذكر) اى بطريق البشارة والنذارة (بالقرآن) اى الجامع بجوده لكل خير المحيط بكل صلاح (من يخاف وعيد) فانه لا ينتفع به غيرهم وهم المؤمنون وقرأ ورش باثبات الياء بعد الدال وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته حديث موضوع وتارات الموت بمثلثة وهمزة مفتوحة أهواله

سورة الذاريات مكية

وهى ستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف وماثتان وتسعة وثلاثون حرفا

(بسم الله) أى المحيط بصفات الكمال فهو لا يخلف الميعاد (الرحمن) الذى عم الخلائق بنعمة الايجاد (الرحيم) الذى خص من اختاره بالتوفيق لما يرضاه من المراد ولما ختم الله سبحانه وتعالى ق بالتذكير بالوعيد افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه فقال عز من قائل مناسبا بين القسم والمقسم عليه (والذاريات) اى الرياح تذرو التراب وغيره وقيل النساء الوالدات فانهن يذرين الاولاد وقوله تعالى (ذروا) منصوب على المصدر الذى هو العامل فيه فرعه وهو اسم الفاعل والمفعول محذوف اقتصارا يقال ذرت الريح التراب تذروه (فالحاملات)

(قوله ان يتبعون الا الظن) قاله هنا وبعد وليس بتكرار لان الاول متصل بعبادتهم اللات والعزى ومناة والثانى بعبادتهم م

أي السحب تحمل الماء وقيل الرياح الحاملة للسحاب وقيل النساء الحوامل وقوله تعالى (وقرا) أي ثقلا مفعول به بالحاملات كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا قال الرازي ويحتمل أن يكون اسما أقيم مقام المصدر كقوله ضربته سوطا (فالجاريات) أي السفن وقيل الرياح الجاريات في مهابها وقيل الكواكب التي تجري في منازلها وقوله تعالى (يسرا) أي بسهولة مصدر في موضع الحال أي ميسرة (فالمقسمات) اى الملائكة التي تقسم الارزاق والامطار وغيرها بين العباد والبلاد وقوله تعالى (أمرا) يجوز أن يكون مفعولا به كقولك فلان قسم الرزق أو المال وأن يكون حالا أي مأمورة وهذه أشياء مختلفة فتكون الفاء على بابها من عطف المتغايرات والفاء للترتيب في القسم لا في المقسم به قال الزمخشري ويجوز أن يراد الرياح وحدها لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وعلى هذا يكون من عطف الصفات والمراد واحد فتكون الفاء على هذا لترتيب الامور في الوجود وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال وهو على المنبر سلوني قبل أن لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات أمرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز أن يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب (فان قيل) ان كان وقرا مفعولا فلم لم يجمع وقيل اوقارا (أجيب) بأن جماعة من الرياح قد تحمل وقرا واحدا وكذا القول في المقسمات أمرا اذا قيل انه مفعول به لان جماعة من الملائكة قد تجتمع على أمر واحد *(فائدة)* أقسم الله تعالى بجمع السلامة المؤنث في خمس سور ولم يقسم بجمع السلامة المذكر في سورة أصلا فلم يقل والصالحين من عباده والمقربين الى غير ذلك مع أن المذكر أشرف لان جموع السلامة بالواو والنون في الغالب لمن يعقل ولما كانوا يكذبون بالوعيد أكد الجواب بعد التأكيد بنفس القسم فقال تعالى (انما توعدون لصادق) أي مطابق الاخبار به للواقع وسترون مطابقته له *(تنبيه)* ما يجوز أن تكون اسمية وعائدها محذوف اى توعدونه وأن تكون مصدرية فلا عائد على المشهور وحينئذ يحتمل أن يكون توعدون مبنيا من الوعد أن يكون مبنيا من الوعيد لانه يصلح ان يقال أوعدته فهو يوعد ووعدته فهو يوعد لا يختلف فالتقدير ان وعدكم او ان وعيدكم (وان الدين) اى الجزاء لكل أحد بما كسب يوم البعث (لواقع) لا بد منه وان انكرتم (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوى يقال للنساج اذا نسج الثوب فأجاد ما أحسن حبكه وقال سعيد بن جبير ذات الزينة اى المزينة بزينة الكواكب قال الحسن حبكها النجوم وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل والشعر الجعد وهو آثار تثنيه وتكسره قال زهير

مكلل بأصول النجم تنسجه * ريح خريق لضاحي مائه حبك

والطرق

قوله ويجوز أن يراد الخ هو مأخوذ أولاً عن الزمخشري اهـ

الملائكة والظن فيهما مفهوم بقوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا اى لا يقوم مقام العلم (ان قلت) كيف لا يقوم مقامه مع انه

والحبك يحتمل أن يكون مفرده حبيكة كطريقة وطرق أو حباك كحمار وحمر قال الشاعر

كأنما جللها الحوّاك ☼ طنفسة في وشيها حباك

وأصل الحبك احكام الشيء واتقانه ومنه يقال للدرع محبوكة وجواب القسم (انكم) يا معشر قريش (لفي قول) محيط بكم في أمر القرآن والآتي به وجميع امر دينكم وغيره مما تريدون به ابطال الدين الحق (مختلف) فتقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر ومجنون وكاهن وكاذب (يؤفك) اي يصرف (عنه) أي عن النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن اي عن الايمان بذلك (من افك) اي صرف عن الهداية في علم الله تعالى ومعناه نشأ الذم وقيل انه مدح للمؤمنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من يصرف عن ذلك القول ويرشد الى القول المستوي (قتل) اي لعن (الخراصون) اي الكذابون وهم الذين لا يجزمون بامر بل هم شاكون متحيرون وهم أصحاب القول المختلف ثم وصفهم الله تعالى فقال تعالى (الذين هم) اي خاصة (في غمرة) اي جهل يغمرهم (ساهون) اي غريقون في السهو وهو النسيان والغفلة والحيرة وذهاب القلب الى غير ما يهمه فقاعل ذلك ذو ألوان متخالفة من هول ما هو فيه وشدة كربه (يسألون) النبي استهزاء (أيان) اي متى واي حين (يوم الدين) اي وقوع الجزاء الذي تخبر بانه ولولا أنهم بهذه الحالة لتذكروا من أنفسهم انه ليس أحد منهم يترك عبيده واجراءه في عمل من الاعمال الا وهو يحاسبهم على اعمالهم وينظر قطعا في احوالهم ويحكم بينهم في اقوالهم وأفعالهم فكيف الظن باحكم الحاكمين ان يترك عبيده الذين خلقهم على هذا النظام المحكم وأبدع لهم هذين الخافقين وهيأ لاجلهم فيهما كل ما يحتاجون اليه فيتركهم سدى ويوجدهم عبثا وقوله تعالى (يوم هم) منصوب بمضمر اي الجزاء كائن يوم هم (على النار يفتنون) اي يعذبون بها جواب لسؤالهم ايان يوم الدين وقال الرازي يحتمل وجهين أحدهما أن يكون جوابا عن قولهم ايان يقع فكأنهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب للعلم كذلك لم يجبهم جواب معلم مبين بل قال يوم هم على النار يفتنون فجهلهم بالثاني أقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز أن يكون الجواب بالاخفى فلو قال قائل متى يقدم زيد فلو اجيب بقوله يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لم يصح هذا الجواب ثانيهما ان يكون ذلك ابتداء كلام تمامه في قوله تعالى (ذوقوا فتنتكم) أي تعذيبكم (فان قيل) هذا يفضي الى الاضمار (اجيب) بان الاضمار لا بد منه لان قوله تعالى ذوقوا فتنتكم لا يتصل بما قبله الا باضمار يقال (هذا) أي العذاب المكون (الذي كنتم به تستعجلون) في الدنيا استهزاء ولما بين تعالى حال المجرمين بين بعده حال المتقين فقال تعالى (ان المتقين) اي الذين كانت التقوى لهم وصفا ثابتا (في جنات) اي بساتين عظيمة تجن داخلها اي تستره كثرة ظلالها الكثرة أشجارها وعظمها (وعيون) جارية في خلال الجنات ☼(تنبيه)☼ المتقي له مقامات أدناها أن يتقي الشرك واعلاها أن يتقي الدنيا والآخرة وادنى درجات المتقي الجنة فاذن كل مكلف اجتنب الكفر الا ويدخل الجنة وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بكسر العين والباقون بالضم وقوله تعالى (آخذين) حال من الضمير في خبر ان وقوله تعالى (ما آتاهم ربهم) اي المحسن اليهم المدبر لهم

يقوم مقامه في كثير من المسائل كالقياس قلت المراد به هنا الظن الحاصل من اتباع الهوى دون الظن الحاصل من النظر

بتمام علمه وشامل قدرته ان كان ما في الجنة فتكون حالا حقيقية وان كان ما آتاهم من امره ونهيه في الدنيا فتكون حالا محكية لاختلاف الزمانين * (تنبيه) * اعلم ان الله تعالى وحد الجنة تارة قال تعالى مثل الجنة وأخرى جمعها كقوله تعالى هذا ان المتقين في جنات وتارة ثناها قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان والحكمة فيه ان الجنة في توحيدها لاتصال المنازل والاشجار والانهار كجنة واحدة وأما جمعها فانها بالنسبة الى الدنيا وبالاضافة اليها جنات لا يحصرها عدد واما تثنيتها فسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في سورة الرحمن وهو قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فقيل جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته وقيل جنة لخائف الانس وجنة لخائف الجن فيكون من باب التوزيع قال الرازي غيرأ نا نقول ههنا ان الله تعالى عند الوعد وحد الجنة وكذلك عند الشراء فقال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة وعند الاعطاء جمعها اشارة الى ان الزيادة في الوعد موجودة بخلاف ما لو وعد بجنات ثم يقول انه في جنة لانه دون الموعود ومعنى آخذين قابضين ما آتاهم شيئا فشيئا ولا يستوفونه بكماله لامتناع استيفاء ما لا نهاية له وقيل قابلين قبول رضا كقوله تعالى ويأخذ الصدقات اى يقبلها قاله الزمخشري وقوله تعالى (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) اشارة الى انهم اخذوها بثمنها وملكوها بالاحسان في الدنيا والاشارة بذلك اما لدخول الجنة واما لايتاء الله تعالى واما ليوم الدين والاحسان يكون في معاملة الخالق والخلائق وقيل هو قول لا اله الا الله ولهذا قيل في معنى كلمة التقوى انها لا اله الا الله وفي قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان هو الاتيان بكلمة لا اله الا الله ثم فسر احسانهم معبرا عنه بما هو في غاية المبالغة بقوله تعالى (كانوا) أي لما عندهم من الاجلال له والحب فيه بحيث كانهم مطبوعون فيه (قليلا من الليل) الذي هو وقت الراحات وقضاء الشهوات (ما يهجعون) أي يفعلون الهجوع وهو النوم الخفيف القليل بالليل فما ظنك بما فوقه فما مزيدة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف أي ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون أكثره وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا اما من أولها أو من وسطها وعن أنس بن مالك كانوا يصلون من المغرب الى العشاء وقال محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقال مطرف بن عبد الله قل ليلة أتت عليهم هجوعا كلها وقال مجاهد كانوا لا ينامون كل الليل ووقف بعضهم على قليلا مؤاخيا به لقوله تعالى وقليل ما هم وقليل من عبادي الشكور ويبتدي من الليل ما يهجعون أي ما يهجعون من الليل والمعنى كانوا من الناس قليلا ثم ابتدأ فقال ما يهجعون من الليل وجعله جحدا أي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون للصلاة والعبادة وهو قول الضحاك ومقاتل وقيل ان ما بمعنى الذي وعائدها محذوف تقديره كانوا قليلا من الليل الوقت الذي يهجعونه وهذا فيه تكلف ولما كان المحسن لا يرى نفسه الا مقصرا قال تعالى دالا على ذلك وعلى أن تهجدهم متصل بآخر الليل (وبالاسحار) قال ابن زيد السحر السدس الاخير من الليل (هم) أي دائما بظواهرهم وبواطنهم (يستغفرون) أي يعدون مع هذا الاجتهاد أنفسهم مذنبين ويسألون غفران ذنوبهم لوفور علمهم بالله تعالى وانهم لا يقدرون على أن يقدروه حق قدره وان اجتهدوا والمحسن هو الخائف

والاستدلال بقرينة قوله ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس (قوله وان ليس للانسان الا ما سعى) ان قلت ثواب

صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك وابراز الضمير دل على أن غيرهم لو فعل هذا لبدأ لاعجب بنفسه ورأى أنه لا أحد أفضل منه وعلى أن استغفارهم في الكثرة يقتضي أنهم يكونون بحيث يظن أنهم أحق بالتذلل من المصرين على المعاصي فان استغفارهم ذلك على بصيرة لانهم نظروا ماله سبحانه في الآفاق وفي أنفسهم من الآيات والحكم البالغة فاقبلوا على الاستغفار عالمين بانه تعالى لا يقدر حق قدره *(تنبيه)* بالاسحار متعلق يستغفرون والباء بمعنى في وقدم متعلق الخبر على المبتدا لجواز تقديم العامل وقال الكلبي ومجاهد وبالاسحار يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار طلب المغفرة روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله الى السماء كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول أنا الملك أنا الملك من الذي يدعوني فاستجيب له من الذي يسألني فاعطيه من الذي يستغفرني فاغفرله وهذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم أنه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه وفي أمثاله مع الايمان به وتنزيه الرب سبحانه عن صفات الاجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات الاجسام فالله تعالى منزه عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة أكثر الناس وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفرلي ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وزاد في رواية وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت ولا اله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * ولما ذكر تعالى معاملتهم للخالق أتبعه المعاملة للخلائق تكميلا لطريقة الاحسان فقال تعالى (وفي أموالهم) أي كل أصنافها (حق) أي نصيب ثابت (للسائل) أي الذي يلبسه على حاجته بسؤال الناس وهو المتكفف (والمحروم) وهو المتعفف الذي لا يجد ما يغنيه ولا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه وهذه صفة أهل الصفة رضي الله تعالى عنهم فالمحسنون يعرفون صاحب الوصف لما الهم من ناقد البصيرة وقفه تعالى بهم العناية وقدم السائل لانه يعرف بسؤاله أو يكون اشارة الى كثرة العطاء فيعطي السؤال فاذا لم يجدهم يسأل عن المحتاجين فيكون سائلا ومسؤلا وقيل قدم السائل لتجانس رؤس الآي وقيل السائل هو الآدمي والمحروم كل ذي روح غيره من الحيوانات المحترمة قال صلى الله عليه وسلم في كل كبد حرى أجر وهذا ترتيب حسن لان الآدمي مقدم على البهائم وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب السائل الذي يسأل الناس والمحروم الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجرى عليه من الفيء شيء وقال قتادة والزهري المحروم المتعفف الذي لا يسأل الناس وقال زيد بن أسلم المحروم هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال المحروم صاحب

الصدقة والقراءة والحج والدعاء يصل الى الميت وليس من سعيه (قلت) وليس مخصوص ما دلت عليه الآية بقوم ابراهيم وموسى وهو

قوله من ناقد البصيرة كذا بالاصل وفي نسخة من نافذ الخ اه مصححه

الجائحة ثم قرأ انا لمغرمون بل نحن محرومون (وفى الارض) اى من الجبال والبحار والانهار والثمار والنبات وغيرها (آيات) أى دلالات على قدرة الله تعالى ووحدانيته (للموقنين) أى الذين صار الايقان لهم غريزة ثابتة فهم لذلك يتفطنون لرؤية ما فيها قال القشيرى من الآيات فيها أنها تحمل كل شئ كذلك العارف يحمل كل أحد ومن استثقل أحدا أو تبرم برؤية أحد فلغيبته عن الحقيقة وسقط العتبة الخلق بعين التفرقة وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ومن الآيات فيها أنه يلقى عليها كل قذر وقمامة فتنبت كل زهر ونور كذلك العارف يتشرب ما يسقى من الجفاء ولا يترشح الا بكل خلق حسن وشيمة زكية (وفى أنفسكم) آيات أيضا من مبدأ خلقكم الى منتهاه وما فى تركيب خلقكم من العجائب (أفلا تبصرون) أى بأبصاركم وبصائركم فتتأملوا ما فى ذلك من الآيات فمن تأملها علم انه عبد ومتى علم ذلك علم أن له ربا غير محتاج الى أحد (وفى السماء) أى جهة العلو (رزقكم) عما يأتى من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما [illegible] سبحانه وتعالى لمنافع العباد وقال ابن عباس يعنى بالرزق المطر لانه سبب الارزاق وقيل فى السماء رزقكم مكتوب وقيل تقدير الارزاق كلها من السماء ولولاها لما حصل فى الارض حبة قوت (وما توعدون) قال عطاء من الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر وقال الضحاك من الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال عز من قائل (فورب) أى مبدع ومدبر (السماء والارض) أى وما أودع فيهما مما علمتموه ومالم تعلموه (انه) أى الذى توعدونه من الخير والشر والجنة والنار وما ذكر من أمر الرزق وما تقدم من الاقسام عليه (لحق) أى ثابت يطابقه الواقع (مثل ما أنكم تنطقون) أى مثل نطقكم كما أنه لا شك فى أنكم تنطقون ينبغى لكم أن لا تشكوا فى تحقيق ذلك وقال بعض الحكماء معناه ان كل انسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكن أن ينطق بلسان غيره كذلك كل أحد يأكل رزق نفسه الذى قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره وأنشد ثوابى العنى

مالا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون

سيكون ما هو كائن فى وقته * وأخو الجهالة متعب محزون

وقيل معناه ان القرآن لحق تكلم به الملك النازل من السماء مثل ما تتكلمون وقرأ حمزة والكسائى وشعبة برفع اللام على أنه نعت لحق وما مزيدة وانكم مضاف اليه أى لحق مثل نطقكم ولا يضر تنكيره باضافته للمعرفة لانه لا يتعرف بذلك لابهامه والباقون بالنصب على أنه نعت لحق أيضا كما فى القراءة الاولى وانما بنى الاسم لاضافته الى غير متمكن كما نشد القائل فى قوله

[illegible] * مثل ما أثمر حماض الجبل

بفتح مثل مع أنه نعت [illegible] وقيل انه نعت لمصدر محذوف أى لحق حقا مثل نطقكم وقوله تعالى (هل أتاك) أى يا أشرف الخلق (حديث ضيف ابراهيم المكرمين) [illegible] على [illegible]

عليه [illegible] وبشروه بالولد [illegible] ضيفا لانه حسبهم كذلك [illegible]

[illegible] عند الله تعالى أولاد ابراهيم عليه السلام [illegible]

وأحلهم [illegible] واختيار ابراهيم [illegible] المرسلين وكون النبى صلى الله عليه

[illegible] ابراهيم [illegible]

حكاية [illegible] هذه الامة [illegible] وما [illegible] ظاهره [illegible] لانسان وصديقه وقرابته [illegible]

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد لان ابراهيم عليه السلام خدمهم بنفسه وعن ابن عباس سماهم مكرمين لانهم جاؤا غير مدعوين وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (فان قيل) اذا كان المراد من الآية التسلية والانذار فأي فائدة في حكاية الضيافة (أجيب) بان في ذلك اشارة الى أن الفرج في حق الانبياء والبلاء على الجهلة يأتي من حيث لم يحتسبوا كقوله تعالى فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فلم يكن عند ابراهيم عليه السلام خبر من انزال العذاب مع ارتفاع منزلته قال القشيري وقيل كان عددهم اثني عشر ملكا وقيل جبريل عليه السلام وكان معه تسعة وقيل كانوا ثلاثة وقرأ هشام بفتح الهاء وألف بعدها والباقون بكسر الهاء وياء بعدها (اذ) أي حديثهم حين (دخلوا عليه) أي دخول استعلاء مخالف لدخول بقية الضيوف وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الذال عند الدال والباقون بالادغام *(تنبيه)* اختلف في العامل في اذ على أربعة أوجه أحدها أنه حديث أي هل أتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه ثانيها أنه منصوب بما في ضيف من معنى الفعل لانه في الاصل مصدر ولذلك استوى فيه الواحد المذكر وغيره كأنه قيل الذين أضفتهم في وقت دخولهم عليه ثالثها أنه منصوب بالمكرمين ان أريد باكرامهم أن ابراهيم عليه السلام أكرمهم بخدمته لهم كأنه تعالى يقول أكرموا اذ دخلوا رابعها أنه منصوب باضمار اذكر ولا يجوز نصبه بأتاك لاختلاف الزمانين (فان قيل) لما ارسلوا الى قوم لوط فما الحكمة في مجيئهم الى ابراهيم عليه السلام (أجيب) من وجهين أحدهما أن ابراهيم عليه السلام شيخ المرسلين ولوط من قومه وعادة الملك اذا ارسل رسولا الى ملك في طريقه من هو أكبر منه يقول له اعبر على فلان الملك وأخبره برسالتك وخذ فيها رأيه ثانيهما أن ابراهيم عليه السلام كان شديد الشفقة حليما وكان يشق عليه هلاك أمة عظيمة وكان ذلك مما يحزن ابراهيم عليه السلام شفقة منه على العباد فقال لهم بشروه بولد يخرج من صلبه أضعاف من [illegible] ذلك ويكون من صلبه خروج الانبياء عليهم السلام (فقالوا سلاما) [illegible] (قال سلام) أي هذا اللفظ والمشهور أن السلام الاول المراد به التحية [illegible] سلاما وقيل سلاما معناه حسنا لانه كلام سلم به المتكلم من ان يلغو أو يأثم فكأنهم قالوا [illegible] سليما من الاثم فيكون مفعولا به لانه في معنى القول وأما في الثاني فالمشهور أنه التحية فهو مبتدأ وخبره محذوف أي عليكم وقيل انه السلامة أي أمري سلام [illegible] وقرأ حمزة والكسائي بكسر السين وسكون اللام والباقون بفتح السين واللام [illegible] قوله تعالى (قوم منكرون) أي غرباء [illegible] فقال ذلك [illegible] أي هؤلاء قيل انما أنكر امرهم لانهم دخلوا عليه من غير [illegible] وقال [illegible] اسلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض (فراغ) أي ذهب في خفية [illegible] من آداب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف [illegible] (الى أهله) أي الذين عندهم بقره (فجاء بعجل) أي فتى من اولاد البقر لانه كان عامة ماله البقر (سمين) [illegible] واختبه كما قال تعالى في سورة هود حنيذ أي مشوي (فقربه اليهم) بان وضعه بين ايديهم [illegible] (قال ألا تأكلون) والهمزة [illegible] الارض

وصف رقهم ماعنده من سعيه ايضا بواسطة كتسابه القراءة والصداقة والمحبة من الناس بسبب التقوى والعمل الصالح (قوله فبأي

واما التصضيض فلم يجيبوا (فاوجس) اى اضمر فى نفسه (منهم خيفة) لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا بعذاب فلما عرفوا منه ذلك (قالوا) مؤنسين له (لاتخف) واعلموه انهم رسل الله (وبشروه بغلام) يأتيه على شيخوخته ويأس امرأته بالطعن فى السن بعد عقمها وهو اسحق عليه السلام (عليم) اى مجبول جبلة مهيأة للعلم ولا يموت حتى يظهر علمه بالفعل فى اوانه فان جميع الانبياء بعده من ذريته الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل عليه السلام * (تنبيه) ذكرههنا من آداب الضيافة تسليم المضيف على الضيف ولقاءه بالوجه الحسن والمبالغة فى الاكرام بقوله سلام وهو آكد من سلامهم بالمصدر وفى قوله سلام بالرفع زيادة على ذلك ولم يقل سلام عليكم لان الامتناع من الطعام يدل على العداوة والغدر لا يليق بالانبياء فقال سلام اى امرى مسالمة ثم فيها من آداب المضيف تعجيل الضيافة فان الفاء فى قوله فراغ تدل على التعقيب واخفاؤها لان الروغان يقتضى الاخفاء وغيبة المضيف عن الضيف ليستريح ويأتى بما يمنعه الحياء منه ويخدم الضيف بنفسه ويختار الاجود لقوله سمين ويقدم الطعام للضيف فى مكانه ولا ينقل الضيف للطعام لقوله فقربه اليهم ويعرض الاكل عليه ولا يأمره لقوله تعالى قال الا تأكلون ولم يقل كلوا وسروره بأكله لاكما يوجد فى بعض البخلاء الذين يحضرون طعاما كثيرا ويجعل نظره ونظر اهل بيته الى الطعام حتى يمسك الضيف يده عنه لقوله تعالى فاوجس منهم خيفة لعدم اكلهم ومن اداب الضيف اذا حضر الطعام ولم يكن يصلح له لكونه مضرا به أو يكون ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام أن لا يقول هذا طعام غليظ لا يصلح لى بل يأتى بعبارة حسنة ويقول فى مانع من أكل الطعام لانهم أجابوه بقولهم لا تخف ولم يذكروا فى الطعام شيأ ولأنه يضر بهم بل بشروه بالولد اشعارا بأنهم ملائكة وبشروه بالاشرف وهو الذكر حيث فهموا انهم ليسوا ممن يأكلون ثم وصفوه بالعلم دون المال والجمال لان العلم أشرف الصفات ثم أدب آخر فى البشارة وهو أن لا يخبر الانسان بما يسره دفعة واحدة لانه يورث مرضا لانهم جلسوا واستأنس بهم ابراهيم ثم قالوا نبشرك (فان قيل) قال تعالى فى سورة هود فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم فدل على أن انكاره حصل بعد تقريب العجل اليهم وههنا قال فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى أهله بفاء التعقيب وذلك يدل على أن تقريب الطعام منهم بعد حصول انكاره فما وجهه (أجيب) بأن يقال انهم كانوا ليسوا على صفة الناس فى الشكل والهيئة ولذلك قال قوم منكرون أى عند كل أحد وانكرك ابراهيم عليه السلام وغيره فيه ولهذا لم يقل أنكرتم بل قال أنتم منكرون فى أنفسكم عند كل أحد منا ثم لما امتنعوا من الطعام تأكد الانكار لان ابراهيم تفرد بمشاهدة امساكهم فنكرهم فوق الانكار الاول وحكاية الحال فى سورة هود أبسط مما ذكره ههنا فانه هنا لم يبين المبشر به وهنا ذكره باسمه وهو اسحق وههنا لم يقل ان القوم قوم من وهناك قال قوم لوط ولما كانا بعيدين عن قبول الولد تسبب عن ذلك قوله تعالى دالا على ان الولد اسحق مع الدلالة على أن نفاذ الاسباب لا يوقف وجود المسببات (فاقبلت) أى عقب سماعها هذا الكلام (امرأته) سارة حال

آلاء ربك تتمارى) اى تشك والخطاب فيه للوليد ابن المغيرة (ان ذلك) كيف قال تعالى ذلك بعد تعديد النعم والآلاء النعم

لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت فى البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا اذا أخذ فيه وقوله تعالى (فى صرة) أى صيحة حال أى جاءت صائحة لانها قد امتلأت عجبا (فصكت) قال ابن عباس لطمت (وجهها) واختلف فى صفته فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل هو ضرب الوجه باطراف الاصابع فعل المتعجب وهى عادة النساء اذا أنكرن شيأ وأصل الصك ضرب الشئ بالشئ العريض وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها عجبا وذلك من عادة النساء أيضا اذا أنكرن شيأ (وقالت) تريد أن تستبين الامر هل الولد منها أو من غيرها (عجوز) قال القشيرى قيل انها كانت يومئذ ابنة ثمان وتسعين سنة ومع ذلك (عقيم) فهى حال شبابها لم تكن تقبل الحبل فلم تلد قط ولما قالت ذلك قالوا مجيبين لها (قالوا كذلك) أى مثل ما قلناه من هذه البشرى العظيمة (قال ربك) أى المحسن اليك بتأهيلك لذلك على ما ذكرت من حالك و بتأهيلك من قبل الاتصال بخليله صلى الله عليه وسلم (انه هو) أى وحده (الحكيم) الذى يضع الاشياء فى أحق مواضعها (العليم) المحيط العلم فهو لذلك لا يعجزه شئ ثم بين سبحانه وتعالى ما كان من حال ابراهيم وحال الملائكة بعد ذلك بقوله تعالى (قال) أى ابراهيم عليه السلام مسببا عما رأى من حالهم وان اجتماع الملائكة على تلك الحالة لم يكن لهذه البشارة فقط (فما خطبكم) أى خبركم العظيم (أيها المرسلون) أى لامر عظيم وهذا أيضا من آداب المضيف اذا بادر الضيف بالخروج قال له ما هذه العجلة وما شأنك لان فى سكوته ما يوهم اشتغاله ثم انهم أتوا بما هو من آداب الصديق الذى لا يسر عن الصديق شيأ وكان ذلك باذن الله تعالى لهم فى اطلاع ابراهيم عليه السلام على اهلاكهم و جبر قلبه بتقديم البشارة باى الانبياء اسحق عليه السلام (فان قيل) فما الذى اقتضى ذكره بالفاء ولم لا قال ما هذا الاستعجال وما خطبكم المعجل لكم (أجيب) بانه لما أوجس منهم خيفة لو خرجوا من غير بشارة وايناس فلما آنسوه قال فما خطبكم أى بعد هذا الانس العظيم ما هذا الايحاش الاليم (قالوا) قاطعين بالتأكيد بان مضمون خبرهم حتم لا بد منه ولا مدخل للشفاعة فيه (انا أرسلنا) أى ارسال من تعلم (الى قوم مجرمين) أى هم فى غاية القوة على ما يحاولونه وقد صرفوا ما أنعم الله تعالى به عليهم من القوة فى قطع ما يحق وصله و وصل ما يحق قطعه يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم) أى من السماء التى فيها ما وعد العباد به وتوعدوا (حجارة من طين) أى مهيأ للاحراق والاحتراق (مسومة) أى معلمة بعلامة العذاب المخصوص عليها اسم من يرمى بها وقوله تعالى (عند ربك) أى المحسن اليك بهذه البشارة وغيرها ظرف لمسومة أى معلمة عنده (للمسرفين) أى المتجاوزين الحدود غير قانعين بما أبيح لهم فالمسرف المتمادى ولو فى الصغائر فهم مجرمون أى مسرفون والمجرم قال ابن عباس هو المشرك لان الشرك أعظم الذنوب * وهنا لطيفة * وهى ان الحجارة سومت للمصر المسرف الذى لا يترك الذنب فى المستقبل وذلك انما يعلمه الله تعالى فلذلك قال عند ربك للمسرفين ولما كان الاجرام ظاهرا قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين واللام فى المسرفين لتعريف العهد أى لهؤلاء المسرفين اذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة واسرافهم بانهم أتوا بما لم يسبقهم به أحد من العالمين وفى هذا دليل على رجم اللائط والفائدة فى ارسال جماعة من الملائكة لهذا الامر وان كان يكفى فيه الواحد منهم اذ الملك العظيم قديملك

قوله فى هامش الصحيفة التى قبلها تعديد النعم صوابه تعديد النقم اه مصححه

(قال) قد تقدم أيضا تعديد النعم مع ان النقمة فى طيها نعمة لما تضمنته من المواعظ والزواجر والمعنى فبأى نعم

بالامر الحقير كما أهلك النمروذ بالبعوض وكما أهلك فرعون بالقمل والمراد بل بالريح التي بها
الحياة اظهار القدرة وقد تكثر الاسباب كما في يوم بدر أمر بخمسة آلاف من الملائكة باهلاك
اهل بدر مع قلتهم اظهار العظيم قدرته *(تنبيه)* قوله تعالى من طين أي ليس من البرد
والفاعل لذلك هو الله تعالى لا كما تقول الحكماء فانهم يقولون ان البرد يسمى حجارة فقوله
تعالى من طين يدفع ذلك التوهم قال الرازي ان بعض من يدعي العقل يقول لا ينزل من السماء
الا حجارة من طين مدورات على هيئة البرد وهيئة البنادق التي يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك
ان الاعصار تصعد الغبار من الفلوات العظيمة التي لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض البلاد
ويتفق ذلك الى هواء ندي فيصير ذلك طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق استدار بدليل انك اذا
رميت الماء الى فوق ثم نظرت اليه رأيته يقطر كرات مدورات كاللآلئ الكبار ثم في النزول
ان اتفق أن تضر به النيران التي في الجو جعلته حجارة كالآجر المطبوخ فينزل فيصيب من
هيأ الله تعالى هلاكه وقد ينزل كثيرا في المواضع التي لا عمارة بها فلا يرى ولا يدرى به فلهذا
قال من طين لان ما لا يكون من طين كالحجر الذي يكون في الصواعق لا يكون كثيرا بحيث
يمطر وهذا تعسف لان ذلك الاعصار لما وقع فان وقع لحادث آخر لزم التسلسل ولا بد من
الانتهاء الى محدث ليس بحادث فذلك المحدث لا بد وأن يكون فاعلا مختارا والمختار له أن يفعل
ذلك وله أن يخلق الحجارة من طين على وجه آخر من غير نار ولا غبار لكن العقل لا طريق له الى
الجزم بطريق احداثه وما لا يصل العقل اليه لا يؤخذ الا بالنقل والنص ومن المعلوم أن نزول
حجارة الطين من السماء أغرب وأعجب من غيرها ولما أراد الله تعالى أن يهلك المجرمين ميز
المؤمنين بقوله تعالى (فأخرجنا) أي بما لنا من العظمة بعد أن ذهبت رسلنا اليهم ووقعت
بينهم وبين لوط عليه السلام محاورات معروفة لم يدع الحال هنا الى ذكرها (من كان فيها) أي
قرى قوم لوط (من المؤمنين) اى المصدقين بقلوبهم لانا لا نسويهم بالمجرمين فخلصناهم من
العذاب على قلتهم وضعفهم وقوة المخالفين وكثرتهم (فما وجدنا فيها) أي تلك القرى أسند
الامر اليه تشريفا للرسل واعلاما بان فعلهم فعله تعالى (غير بيت) أي واحد وهو بيت ابن أخي
ابراهيم عليهما السلام وقيل كانت عدة الناجين منهم ثلاثة عشر (من المسلمين) أي العريقين
في الاسلام الظاهر والباطن لله تعالى من غير اعتراض أصلا وهم ابراهيم وآله عليهم السلام وانهم
أول من وجد منهم الاسلام الاتم وتسموا به كما مر في سورة البقرة وسموا به أتباعهم فكان
هذا البيت الواحد صادقا عليه الايمان الذي هو التصديق والاسلام الذي هو الانقياد قال
البغوي وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم يعني لما
بينهما من التلازم وان اختلف المفهومان وقال الاصفهاني وقيل كان لوط واهل بيته الذين
نجوا ثلاثة عشر وقيل هم لوط وابنتاه وصفوا بالايمان والاسلام أي هم مصدقون بقلوبهم
عاملون بجوارحهم الطاعات *(تنبيه)* في الآية اشارة الى أن الكفر اذا غلب والفسق اذا
فشا لا تنفع معه عبادة المؤمنين بخلاف ما لو كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم
شرذمة يسيرة يسرقون ويزنون ومثاله أن العالم كالبدن ووجود الصالحين كالاغذية الباردة
والحارة والسموم الواردة عليه الضارة ثم ان البدن اذا خلا عن النافع وفيه الضار هلك وان

ربك الدالة على وحدانيته
تشكك يا وليد بن المغيرة
(سورة القمر)
(قوله كذبت قبلهم قوم

خلا من الضار وفيه النافع طلب وغنا وان وجد فيه معافا لحكم للاغلب واطلاق المسلمين على المؤمن لامانع منه لان المسلم أعم من المؤمن فاذا سمى المؤمن مسلما لايدل على اتحاد مفهوميهما فكانه تعالى قال أخرجنا المؤمنين فما وجدنا الاعم منهم الا بيتا من المسلمين ويلزم من هذا أن لا يكون هنالك غيرهم من المؤمنين (وتركنا) أى بما لنا من العظمة (فيها) أى تلك القرى بما أوقعنا بها من العذاب (آية) أى علامة عبرة على هلاكهم كالحجارة أو الماء المنتن فانا قلعنا قراهم كلها وصعدت فى الجو كالغمام الى عنان السماء ولم يشعر أحد من أهلها بشئ من ذلك ثم قلبت واتبعت بالحجارة ثم خسف بها وغمرت بالماء الذى لايشبه شئ من مياه الارض كما ان جنايتهم لم تكن تشبه جناية أحد ممن تقدمهم من أهل الارض (للذين يخافون العذاب الاليم) أى أن يحل بهم كما حل بهذه القرى فى الدنيا من رفع الملائكة لهم فى الهواء الذارى الى عنان السماء وقلبهم واتباعهم الحجارة المحرقة وغمرهم بالماء المناسب لفعلهم بنتنه وعدم نفعه وما ادخر لهم فى الآخرة أعظم وخص الذين يخافون بالذكر لانهم المعتبرون بها وقوله تعالى (وفى موسى) عطف على قوله تعالى فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور فيتعلق بتركنا من حيث المعنى ويكون التقدير وتركنا فى قصة موسى آية (اذ أرسلناه) أى بما لنا من العظمة (الى فرعون بسلطان مبين) أى بحجة واضحة وهى معجزاته الظاهرة كاليد والعصا ومع ذلك لم ينتفع بها ولذلك سبب عنها وعقب بها قوله تعالى (فتولى) أى كلف نفسه الاعراض عنها بعدما دعاه علمها الى الاقبال اليها وأشار الى قواه بقوله تعالى (بركنه) أى بسبب ما يركن اليه من القوة فى نفسه وباعوانه وجنوده لانهم له كالركن وقيل بجميع بدنه كناية عن المبالغة فى الاعراض (وقال) معلما بعجزه عما أتاه به وهو لايشعر (ساحر) ثم ناقض كمناقضتكم فقال بجهله عما يلزم على قوله (أو مجنون) أى لاجترائه على مع ما لى من عظيم الملك بمثل هذا الذى يدعو اليه * (تنبيه) * أو هنا على بابها من الابهام على السامع أو للشك نزل نفسه مع أنه يعرفه نبيا حقا منزلة الشاك فى أمره تمويها على قومه وقال أبو عبيدة أو بمعنى الواو وقال لانه قد قالهما قال تعالى ان هذا الساحر عليم وقال فى موضع آخر ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ورد الناس عليه هذا وقالوا لاضرورة تدعو الى ذلك واما الآيتان فلا تدلان على أنه قالهما معا فى آن واحد وانما يفيدان انه قالهما أعم من أن يكونا معا أو هذه فى وقت وهذه فى آخر ولما وقعت التسلية بهذا للاولياء قال تعالى محذرا للاعداء (فأخذناه) أى أخذ غضب وقهر بعظمتنا وقوله تعالى (وجنوده) يجوز أن يكون معطوفا على مفعول أخذناه وهو الظاهر وأن يكون مفعولا معه (فنبذناهم) أى طرحناهم طرح مستهين بهم كما تطرح الحصيات (فى اليم) أى البحر الذى هو أهل لان يقصد بعد أن سلطنا الريح عليه ففرقته لما ضرب به موسى عليه السلام بعصاه ونشفت أرضه وأيبست ما أبرزت فيه من الطرق لنجاة أوليائنا وهلاك أعدائنا (وهو) أى والحال ان فرعون (مليم) أى آت بما يلام عليه من تكذيب الرسول ودعوى الربوبية وغير ذلك ثم ذكر تعالى قصصا أخر تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم احدها قوله تعالى (وفى عاد) أى اهلاكهم وهم قوم هود عليه السلام آية عظيمة (اذ) أى حين (أرسلنا) بعظمتنا (عليهم الريح) فأتتهم تحمل سحابة سوداء وهى تدر الرمل

نوح فكذبوا عبدنا) ان قلت ما فائدة اعادة التكذيب فيه (قلت) فائدته حكاية الواقع وهو انهم كذبوا تكذيبا

وترمي بالحجارة كما مرت الاشارة اليه على كيفية لا تطاق (العقيم) أي التي لا خير فيها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور ثم بين عقمها واعقامها بقوله تعالى (ما تذر) أي تترك على حالة رديئة وأغرق في النفي فقال تعالى (من شيء أتت عليه) أي اتيانا أراد مرسلها اهلاكه بها (الا جعلته كالرميم) أي الشيء البالي الذي دكته الايام والليالي الى حالة الدمار وهو في كلامهم ما يبس من نبات الارض وديس قاله ابن جرير (فان قيل) الجبال والصخور وغير ذلك أتت عليهم وما جعلتهم كالرميم (أجيب) بان المراد أتت عليه قاصدته وهو عاد وأبنيتهم وعروشهم لانها كانت مأمورة بأمر من عند الله فكأنها كانت قاصدة لهم فما تركت شيأ من تلك الاشياء الا جعلته كالرميم ثانيها قوله تعالى (وفي ثمود) أي اهلاكهم وهم قوم صالح عليه السلام آية عظيمة (اذ) أي حين (قيل لهم) أي ممن لا يخلف الميعاد وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها (تمتعوا) أي بلبن الناقة وغيره مما مكناهم فيه من الزروع والنخيل والابنية في الجبال والسهول ونحو ذلك من جلائل الامور على الوجه الذي أمرناكم به ولا تطغوا (حتى حين) أي وقت ضربناه لآجالكم (فعتوا) أي أوقعوا بسبب احساننا اليهم العتو وهو التكبر والاباء (عن أمر ربهم) أي مولاهم الذي أعظم احسانه اليهم فعقروا ناقته وأرادوا قتل نبيه صالح عليه السلام (فأخذتهم) أي بسبب عتوهم أخذ قهر وعذاب (الصاعقة) أي الصيحة العظيمة التي حملتها الريح فأوصلتها الى مسامعهم بغاية العظمة ورجت ديارهم رجة أزالت أرواحهم بالصعق وقرأ الكسائي باسكان العين ولا ألف قبلها والباقون بكسر العين وقبلها الف وقوله تعالى (وهم ينظرون) دال على انها كانت في غمام وكان فيها نار ويجوز مع كونه من النظر أن يكون أيضا من الانتظار فانهم وعدوا نزول العذاب بعد ثلاثة أيام وجعل في كل يوم علامة وقعت بهم فتحققوا وقوعه في اليوم الرابع وقال بعض المفسرين المراد منه هو ما أمهلهم الله تعالى بعد عقرهم الناقة وهو ثلاثة أيام بقوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وكان في تلك الايام تتغير ألوانهم فتصفر وتحمر وتسود قال الرازي وهذا ضعيف لان قوله تعالى فعتوا عن أمر ربهم بحرف الفاء دليل على أن العتو كان بعد قوله تعالى تمتعوا فاذا الظاهر أن المراد هو ما قدر الله تعالى للناس من الآجال فما من أحد الا وهو ممهل مدة الاجل انتهى ولحسن هذا فسرت الآية به (فما) أي فتسبب عن ذلك انهم ما (استطاعوا) أي تمكنوا وأكد النفي بقوله تعالى (من قيام) أي فما قاموا بعد نزول العذاب وما قدروا على نهوض قال قتادة لم ينهضوا من تلك الصرعة كقوله تعالى فأصبحوا في ديارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا) أي كونا تاما (منتصرين) أي لم يكن فيهم أهلية الانتصار بوجه لا بأنفسهم ولا بناصر ينصرهم فيطاوعونه في النصرة لان تمنعهم لذلك سقط بكل اعتبار ثالثها قوله تعالى (وقوم نوح) بالجر وهي قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي عطف على ثمود أي وفي اهلاكهم بماء السماء والارض آية وبالنصب وهي قراءة الباقين أي وأهلكنا قوم نوح (من قبل) أي من قبل اهلاك هؤلاء المذكورين ثم علل اهلاكهم بقوله تعالى (انهم كانوا) خلقا وطبعا لا حيلة لغيرنا من أهل الاسباب في صلاحهم (قوما) أي أقوياء (فاسقين) أي عريقين في الخروج عن حظيرة الدين ثم ذكر ما يدل على تمام

بعد تكذيب أو الاول تكذيبهم بالتوحيد والثاني بالرسالة أو الاول تكذيبهم بالله والثاني

برسوله صلى الله عليه وسلم (قوله فالتقى الماء) ان قلت القياس الماآن كما قرئ به شاذا أى ماء السماء وماء الارض (قلت) أراد به

القدرة على البعث بقوله تعالى (والسماء بنيناها) أى بما لنا من العظمة (بأييد) أى بقوة وشدة عظيمة لا يقدر قدرها *(فائدة)* رسمت بأيد بياءين بعد الالف (وانا) على عظمتنا بعد ذلك (لموسعون) أى أغنياء وقادرون ذو وسعة لا تتناهى ولذلك أوسعنا بقدر جرمها وما فيها من الرزق عن أهلها فالارض كلها على اتساعها كالنقطة فى وسط دائرة السماء بما اقتضته صفة الالهية التى لا تصح معها الشركة أصلا فالسفا كن تعرفون من الملوك لانهم اذا فعلوا شيأ لم يقدروا على أعظم منه وان قدروا كان ذلك منهم بكلفة ومشقة وسترون فى اليوم الآخر ما يتلاشى ما ترون فى جنبه ومن ايساعنا جعلها بلا عمد مع ماهى عليه من العظمة الى غير ذلك من الامور الخارقة للعوائد وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة (والارض فرشناها) أى بسطناها ومهدناها بما لنا من العظمة فصارت ممهدة جديرة بان تستقر عليها الاشياء وهى آية على تمهيد أرض الجنة وشققنا الانهار وغرسنا الاشجار (فنعم) أى فتسبب عن ذلك أن يقال فى وصفنا انا (الماهدون) والمخصوص بالمدح محذوف لفهم المعنى أى نحن لكمال قدرتنا فما نزل من السماء شئ ولا نبع من الارض شئ الا بارادتنا واختيارنا وتقديرنا من الازل لانا اذا صنعنا شيأ علمنا ما يكون منه من حين انشائه الى حين افنائه ولا يكون شئ منه الا بتقديرنا وذلك تذكير بالجنة والنار فما فيها من خير فهو آية على الجنة وما فيها من شر فهو آية على النار وقوله تعالى (ومن كل شئ خلقنا) يجوز أن يتعلق بخلقنا أى خلقنا من كل شئ (زوجين) وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من زوجين لانه فى الاصل صفة له اذ التقدير خلقنا زوجين كائنين من كل شئ أى صنفين كل منهما يزاوج الآخر من وجه وان خالفه من آخر ولا يتم نفع أحدهما الا بالآخر من الحيوان والنبات وغيرهما ويدخل فيه الاضداد من الغنى والفقر والحسن والقبح والحياة والموت والظلام والنور والليل والنهار والصحة والسقم والبر والبحر والسهل والجبل والشمس والقمر والحر والبرد اللذين هما من نفس جهنم آية بينة عليها وبناؤها على الاعتدال فى بعض الاحوال آية على الجنة مذكرة بها مشوقة اليها والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر قال الحسن كل اثنين منها زوج والله سبحانه وتعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) اى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعلموا ان خالق هذه الاشياء واحد لا شريك له لا يعجزه حشر الاجساد وجمع الارواح وقرأ حفص والكسائى بتخفيف الذال والباقون بالتشديد (ففروا) اى أقبلوا والجؤا (الى الله) اى الذى لا سمى له فضلا عن مكافئ وله الكمال كله فهو فى غاية العلو فلا يفر ويسكن احد الى غير محتاج مثله فان المحتاج لا غنى عنده ولا يفر اليه سبحانه الا من تجرد عن حضيض عوائقه الجسمية الى اوج صفاته الروحانية وذلك من وعيده الى وعده اللذين دل عليهما بالزوجين فتكمل السياق بالتحذير والاستعطاف بالاستدعاء فهو من باب لا ملجأ منك الا اليك أعوذ بك منك قال القشيرى ومن صح فراره الى الله تعالى صح قراره مع الله تعالى قال البقاعى وهو بكمال المتابعة ليس عينا ومن فهم منه اتحادا بذات أو صفة فقد نابذ طريق القوم فعليه لعنة الله (انى لكم منه) اى لا من غيره (نذير) اى من ان يفر احد الى غيره فانه لا يحصل له قصد (مبين) اى بين

الانذار فقرار العامة من الجهل الى العلم عقدا وسعيا ومن الكسل الى التشمير حذرا وحزما ومن الضيق الى السعة ثقة ورجاء وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق الى الحق استغراقا فى وحدانيته (ولا تجعلوا) اى باهوائكم (مع الله) وكرر الاسم الاعظم ولم يضمر تعيينا للمراد لانه لم يشاركه فى التسمية به أحد وتنبيها على ماله من صفات الكمال وتعميما لوجوه المقاصد لئلا يظن لو قيل معه ان المراد النهى عن الجعل من جهة الفرار لا من جهة غيرها (الها آخر) ثم علل النهى مع التأكيد بطعنهم فى نذارته فقال (انى لكم منه) أى لا من غيره فان غيره لا يقدر على شئ (نذير) أى محذر من الهلاك الابدى بالعقوبة التى لا خلاص معها ان فعلتم ذلك (مبين) أى لا أقول شيأ من واضح النقل الا ودليله ظاهر (كذلك) أى مثل قول قومك المختلف العظيم الشناعة البعيد من الصواب بما له من الاضطراب وقع لمن قبلهم ودل على هذا المقدر بقوله تعالى مستأنفا (ما أتى الذين من قبلهم) أى كفار مكة وعمم النفى فقال تعالى (من رسول) أى من عند الله تعالى (الا قالوا ساحر أو مجنون) أى مثل تكذيبهم لك بقولهم ذلك لان الرسول يأتيهم بمخالفة مألوفاتهم التى قادتهم اليها أهواؤهم والهوى هو الذى أوجب لهم هذا التناقض الظاهر سواء أكانت او للتفصيل لان بعضهم قال واحدا وبعضهم قال آخر أو كانت للشك لان الساحر يكون لبيبا فطنا آتيا بما يعجز عنه كثير من الناس والمجنون بالضد من ذلك (فان قيل) قوله تعالى الا قالوا يدل على انهم كلهم قالوا ذلك والامر ليس كذلك لان ما من رسول الا وآمن به قوم (أجيب) بان ذلك ليس بعام فانه لم يقل الا قالوا كلهم وانما قال الا قالوا ولما كان كثير منهم قائلين قال تعالى الا قالوا (فان قيل) فلم لم يذكر المصدقين كما ذكر المكذبين وقال الا قال بعضهم صدقت وبعضهم كذبت (أجيب) بان المقصود التسلية وهى أعلى التكذيب فكانه تعالى قال لا تأس على تكذيب قومك فان اقواما قبلك كذبوا ورسلا كذبوا ثم تعجب منهم بقوله تعالى (أتواصوا به) فهو استفهام للتعجب والتوبيخ والضمير فى به يعود على القول المدلول عليه بقالوا اى اتواصوا الاولون والآخرون بهذا القول المتضمن لساحر أو مجنون والمعنى كيف اتفقوا على معنى واحد كانهم تواطؤا عليه واوصى أولهم آخرهم بالتكذيب وقوله تعالى (بل هم قوم) اى ذو شماخة وكبر (طاغون) اضراب عن ان التواصى جامعهم لتباعد أيامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه ثم ان الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (فتول) اى اعرض (عنهم) اى كاف نفسك الاعراض عن الابلاغ فى ابلاغهم ولا تأسف على تخلفهم عن الاسلام (فما انت بملوم) لانك بلغتهم الرسالة وما قصرت فيما امرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن النبى صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على اصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ امر النبى صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم فانزل الله تعالى (وذكر) اى ولا تدع التذكير والموعظة (فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت انفسهم والمعنى ليس التولى مطلقا بل تول واقبل واعرض وادع فلا التولى يضرك اذا كان عليهم ولا التذكير يضيع اذا كان مع المؤمنين وقال مقاتل معناه عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله تعالى انه

موافقة
جنس الماء وحده
لقوله قبل بماء منهمر (قوله
جزاء لمن كان كفر) ان
قلت كيف قال ذلك والجزاء
انما يكون للكافر

مؤمن منهم وقال الكلبي عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم * ولما بين حال من قبل النبي صلى الله عليه وسلم في التكذيب بين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله تعالى الذي خلقهم للعبادة بقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) واختلف في تفسير ذلك فاكثر المفسرين على ان المراد بهم العموم ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لان الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك بريت هذا القلم لا كتب به فانك قد لا تكتب به هكذا قال الجلال المحلي واوضح منه ما قاله ابن عادل ان المعنى الا معدين للعبادة ثم منهم من يتأتى منه ذلك ومنهم من لا كقولك هذا القلم بريته للكتابة ثم قد لا تكتب به وقد تكتب انتهى أو ان المراد الا لآمرهم بالعبادة وليقروا بها وهذا منقول عن علي بن أبي طالب أو ان المراد ليطيعوا وينقادوا القضائي فالمؤمن يفعل ذلك طوعا والكافر يفعل ذلك كرها أو ان المراد الا ليوحدون فأما المؤمن فيوحد اختيارا في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحد اضطرارا في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء وقال مجاهد معناه الا ليعرفون قال البغوي وهذا أحسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقيل المراد به الخصوص أي ما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتي والاشقياء منهم الا لمعصيتي قال زيد بن أسلم قال هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة ويؤيده قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل وما خلقت الجن والانس المؤمنين وقيل الطائعين *(تنبيه)* استدل المعتزلة بهذه الآية على أن أفعال الله تعالى معللة بالاغراض وأجيبوا بوجوه منها ان اللام قد ثبتت لغير الغرض كقوله تعالى أقم الصلوة لدلوك الشمس وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن ومعناه المقارنة فيكون معناه قرنت الخلق بالعبادة أي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة ومنها قوله تعالى الله خالق كل شئ ومنها ما يدل على أن الاضلال بفعل الله كقوله تعالى يضل من يشاء وأمثاله ومنها قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وقوله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (فان قيل) ما الحكمة في أنه لم يذكر الملائكة مع أنهم من أصناف المكلفين وعبادتهم أكثر من عبادة غيرهم من المكلفين قال تعالى بل عباد مكرمون وقال تعالى لا يستكبرون عن عبادته (أجيب) بوجوه أحدها ان الآية سيقت لبيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له وهذا مختص بالجن والانس لان الكفر موجود فيهما دون الملائكة ثانيها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن والانس فلما قال تعالى وذكر بين ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة وخصص أمته بالذكر أي ذكر الجن والانس ثالثها ان عباد الاصنام كانوا يقولون ان الله تعالى عظيم الشان خلق الملائكة وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله تعالى وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا لا نصلح لعبادة الله تعالى فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله تعالى كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولم يذكر الملائكة لان الامر فيهم كان مسلما من القوم فذكر المتنازع فيه رابعها فعل الجن يتناول الملائكة لان أصل الجن من الاستتار وهم مستترون عن الخلق فذكر الجن لدخول الملائكة فيهم * ولما خص سبحانه خلقهم في ارادة العبادة صرح بهذا المفهوم بقوله تعالى (ما أريد منهم) أي في وقت من

(قلت) ان لا للمكفور قرئ كفر بالبناء للفاعل شاذا فالجزاء للكافر أو بالبناء للمفعول والاصل كفر به بحذف الجار وأوصل

قوله فعل الجن كذا بالنسخ بايدينا ولعل الصواب لفظ الجن اه مصححه

الاوقات وعمم فى النفى بقوله تعالى (من رزق) أى شئ من الاشياء على وجه ينفعنى من جلب أو دفع لانى منزه عن لحاق نفع أو ضر كما يفعل غيرى من الموالى مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما ملكوهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وأرزاقهم فاما مجهز فى تجارة ليفى ربحا أو مرتب فى فلاحة ليغتل أرضا أو مسلم فى حرفة لينتفع بأجرته أو محتطب أو محتش أو مستق أو طابخ أو خابز وما أشبه ذلك من الاعمال والمهن التى هى تصرف فى أسباب المعيشة وأبواب الرزق لانى الغنى المطلق وكل شئ مفتقر الى (وما أريد) أصلا (أن يطعمون) أى أن يرزقون رزقا خاصا هو الاطعام وفيه تعريض بأصنامهم فانهم كانوا يعملون معها ما ينفعها ويحضرون لها المآكل فربما أكلتها الكلاب ثم بالت على الاصنام ثم لا يصدهم ذلك عن عبادتها وقيل فى الآية حذف مضاف أى وما أريد أن يطعموا أحدا من خلقى وانما أسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال الله فقد أطعمه كما صح فى الحديث عن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده أما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت انك لو أسقيته لوجدت ذلك عندى (فان قيل) ما الفائدة فى تكرير الارادتين مع أن من لا يريد من أحد رزقا لا يريد أن يطعمه (أجيب) بأن السيد قد يطلب من العبد المكتسب له الرزق وقد يكون للسيد مال وافر يستغنى به عن التكسب لكنه يطلب من العبد قضاء حوائجه واحضار الطعام بين يديه فقال لا أريد ذلك ولا هذا وقدم طلب الرزق على طلب الاطعام من باب الارتقاء من الادنى الى الاعلى (فان قيل) ما فائدة تخصيص الاطعام بالذكر مع أن المراد عدم طلب فعل منهم غير التعظيم (أجيب) بأنه لما عمم النفى فى طلب الاول بقوله تعالى من رزق وذلك اشارة الى التعميم فذكر الاطعام ونفى الادنى ليتبعه نفى الاعلى بطريق الاولى فكانه قال ما أريد منهم من غنى ولا عمل (فان قيل) المطالب لا تنحصر فيما ذكر فان السيد قد يشترى العبد لا لطلب رزق منه ولا للتعظيم بل يشتغل به للتجارة (أجيب) بأن العموم فى قوله تعالى ما أريد منهم من رزق يتناول ذلك ثم بين تعالى انه الرزاق لا غيره بقوله عز من قائل (ان الله) اى المحيط بجميع صفات الكمال المنزه عن جميع صفات النقص (هو) أى لا غيره (الرزاق) أى على سبيل التكرار لكل حى وفى كل وقت (ذو القوة) أى التى لا تزول بوجه (المتين) اى الشديد الدائم (فان قيل) لم يقل انى رزاق بل قال على الحكاية عن الغائب ان الله هو الرزاق فما الحكمة (أجيب) بأن المعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق او يكون من باب الالتفات من التكلم الى الغيبة أو يكون قل مضمرا عند قوله تعالى ما أريد منهم من رزق ولم يقل القوى بل قال ذو القوة لان المقصود تقرير ما تقدم من عدم ارادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير وقيد بالمتين لان ذو القوة لا يدل

بجروره الفعل فالجزاء
للمكفور به وهو الله تعالى
اونوح عليه السلام والجزاء
لكونه مصدرا يضاف تارة

الاعلى أن له قوة مافزاد فى الوصف المتانة وهو الذى له ثبات لا يتزلزل والمعنى فى وصفه سبحانه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شئ ولما أقسم سبحانه على الصدق فى وعيدهم الى أن ختم بقوته التى لا حد لها سبب عن ذلك ايقاعه بالمتوعدين فقال تعالى مؤكدا لاجل انكارهم (فان للذين ظلموا) اى أوقعوا الاشياء فى غير مواقعها (ذنوبا) أى نصيبا من العذاب طويل الشر كانه من طوله صاحب ذنب (مثل ذنوب أصحابهم) اى الذين تقدم ظلمهم بتكذيب الرسول من قوم نوح وعاد وثمود والذنوب فى الاصل الدلو العظيمة المملوأة ماء وفى الحديث فاتى بذنوب من ماء فان لم تكن ملأى فهى دلو ثم عبر به عن النصيب قال عمرو ابن شاس

وفى كل حى قد خبطت بنعمة * فحق لشاس من نداك ذنوب

قال الملك نعم وأذنبة قال الزمخشرى وهذا تمثيل أصله فى السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا آخر قال الشاعر

لكم ذنوب ولنا ذنوب * فان أبيتم فلنا القليب

وقال الراغب الذنوب الدلو الذى له ذنب انتهى فراعى الاشتقاق والذنوب أيضا الفرس الطويل الذنب وهو صفة على فعول والذنوب لحم أسفل المتن ويقال يوم ذنوب أى طويل الشر استعارة من ذلك ويجمع فى القلة على أذنبة وفى الكثرة على ذنائب (فلا تستعجلون) اى تطلبوا أن آتيكم به قبل أوانه الاحق به فان ذلك لا يفعله الا ناقص وأنا متعال عن ذلك لا أخاف الفوت ولا يلحقنى عجز ولا أوصف به ولا بد أن أوقعه بهم فى الوقت الذى قضيت به فى الازل فانه أحق الاوقات بعقابهم لتكامل ذنوبهم (فويل) اى شدة عذاب (للذين كفروا) اى ستروا ما ظهر من هذه الادلة التى لا يسع عاقلا انكارها (من يومهم الذى يوعدون) أضافه اليهم لانه خاص بهم دون المؤمنين وهو يوم القيامة وقيل يوم بدر وحذف العائد لاستكمال شروطه أى يوعدونه وقرأ حمزة والكسائى فى الوصل بضم الهاء والميم وأبو عمرو بكسر الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم وأما الوقف عليه فالجميع بكسر الهاء وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا حديث موضوع والله أعلم

سورة الطور مكية

وهى تسع وأربعون آية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف

(بسم الله) الملك الاعظم ذى الملك والملكوت (الرحمن) الذى عم خلقه بالرحمة (الرحيم) الحى الذى لا يموت وقوله تعالى (والطور) وما بعده أقسام جوابها ان عذاب ربك لواقع والواوات التى بعد الاولى عواطف لا حروف قسم كما قاله الخليل والطور هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام وهو بمدين أقسم الله تعالى به وقيل هو الجبل الذى قال الله تعالى وطور سينين وقيل هو اسم جنس * (تنبيه) * مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر فيهما والمراد بالكتاب فى قوله تعالى (وكتاب مسطور) اى مكتوب الكتابة

(قوله فجار نخل منقعر)
للفاعل وتارة للمفعول
ذكر وصف النخل بمنقعر

بسطور مصفوفة فى حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة هو كتاب موسى عليه السلام وهو التوراة وقيل القرآن وقيل اللوح المحفوظ وقيل صحائف أعمال الخلق قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله تعالى (فى رق) متعلق بمسطور أى مكتوب فى رق والرق الجلد الرقيق يكتب فيه وقال الراغب الرق ما يكتب فيه شبه كاغد اه فهو أعم من كونه جلدا وغيره (منشور) اى مبسوط مهيأ للقراءة وقوله تعالى (والبيت المعمور) مختلف فى مكانه فقيل فى السماء العليا تحت العرش وقيل فى السماء الثالثة وقيل فى السادسة وعلى كل قول هو بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه أبدا ووصفه بالعمارة لكثرة الطائفين به من الملائكة وقيل هو بيت الله الحرام لكونه معمورا بالحجاج والعمار والمجاورين وقيل اللام فى البيت المعمور لتعريف الجنس كأنه تعالى أقسم بالبيوت المعمورة والعمائر المشهورة وقوله تعالى (والسقف المرفوع) مختلف فيه أيضا فالاكثر على أنه السماء كما قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقيل المراد به سقف الكعبة وقيل سقف الجنة وهو العرش ونقل عن ابن عباس وقوله تعالى (والبحر المسجور) من الاضداد يقال بحر مسجور أى مملوء وبحر مسجور أى فارغ وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس أنه قال خرجت أمة لتستقى فقالت ان الحوض مسجور اى فارغ ويؤيد هذا ان البحار يذهب ماؤها يوم القيامة وقيل المسجور المسوك ومنه ساجور الكلب لانه يمسكه ويحبسه وقال محمد بن كعب القرظى يعنى بالمسجور الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس لما روى انه تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها فى نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار سجرت وعن على أنه سأل يهوديا أين موضع النار فى كتابكم قال فى البحر قال على ما أراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يركبن البحر رجل الا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقال الربيع بن أنس المختلط العذب بالملح وروى الضحاك عن (١) المنزل بن سمرة عن على أنه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى أربعين صباحا فينبتون فى قبورهم وهذا قول مقاتل (فان قيل) ما الحكمة فى القسم بهذه الثلاثة أشياء (أجيب) بان هذه الاماكن الثلاثة وهى الطور والبيت المعمور والبحر المسجور كانت لثلاثة أنبياء للخلوة بربهم والخلاص من الخلق وخطابهم مع الله تعالى أما الطور فانتقل اليه موسى عليه السلام وخاطب الله سبحانه وتعالى هناك وأما البيت المعمور فانتقل اليه محمد صلى الله عليه وسلم وقال لربه السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وأما البحر المسجور فانتقل اليه يونس عليه السلام ونادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فصارت هذه الاماكن شريفة بهذه الاسباب فاقسم الله تعالى بها وأما ذكر الكتاب فلان الانبياء كان لهم مع الله تعالى فى هذه الاماكن كلام والكلام فى الكتاب *(تنبيه)* أقسم الله تعالى فى بعض السور بجموع كقوله تعالى والذاريات والمرسلات والنازعات وفى

واقسم فى المنافسة يجاوبه رعاية للفواصل فيهما وجاز فيه الاعراب نظرا الى لفظ

(١) قوله المنزل كذا بالاصل المطبوع وبقد حقق لفظ النزال اه مصحح

بعضها بالافراد كقوله تعالى والطور ولم يقل والاطوار والابحار قال الرازى والحكمة فيه
ان فى أكثر الجموع أقسم عليها بالمتحركات والريح الواحدة ليست بثابتة بل هى متبدلة
بافرادها مستمرة بانواعها والمقصود منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال والذاريات اشارة
الى النوع المستمر لا الى الفرد المعين المستقر وأما الجبل فهو ثابت غير متغير عادة فالواحد من
الجبال دائم زمانا ودهرا فاقسم فى ذلك بالواحد وكذلك فى قوله تعالى والنجم ولو قال والريح
لما علم المقسم به وفى الطور علم وقوله تعالى (ان عذاب ربك) اى الذى تولى تربيتك (لواقع) اى
ثابت نازل بمستحقه جواب القسم كما مر (ماله من دافع) اى مانع لانه لا شريك له لوقعه لما دلت
عليه هذه الاقسام من كمال القدرة وجلال الحكمة قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لا كلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فدفعت اليه وهو يصلى باصحابه المغرب وصوته
يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكأنما
صدع قلبى حين سمعته ولم أكن أسلمت يومئذ فاسلمت خوفا من العذاب وما كنت أظن أنى
أقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب ثم بين تعالى أنه متى يقع بقوله تعالى (يوم تمور السماء)
اى تتحرك وتضطرب وتجىء وتذهب وتدور دوران الرحى ويموج بعضها فى بعض وتتكفأ
باهلها تكفأ السفينة وتختلف أجزاؤها بعضها فى بعض قال البغوى والمور يجمع هذه
المعانى وهو فى اللغة الذهاب والمجىء والتردد والدوران والاضطراب قال الرازى وقيل تجىء
وتذهب كالدخان ثم تضمحل (مورا) اى اضطرابا شديدا (وتسير الجبال) اى تنتقل من
أمكنتها انتقال السحاب وحقق معناه بقوله تعالى (سيرا) فتصير هباء منثورا وتكون
الارض قاعا صفصفا ثم بين من يقع عليه العذاب بقوله تعالى (فويل) أى شدة عذاب (يومئذ)
اى يوم اذ يكون ما تقدم ذكره (للمكذبين) اى العريقين فى التكذيب للرسل (الذين هم) من
بين الناس بظواهرهم وبواطنهم (فى خوض) اى أقوالهم وأفعالهم أفعال الخائض فى الماء
فهو لا يدرى أين يضع رجله (يلعبون) فاجتمع عليهم أمران موجبان للباطل الخوض واللعب
فهم بحيث لا يكاد يقع لهم قول ولا فعل فى موضعه فلا يؤسس على بيان أوحجة (فان قيل) أهل
الكبائر لا يكذبون فيقتضى ذلك انهم لا يعذبون (أجيب) بان ذلك العذاب لا يقع على أهل
الكبائر لقوله تعالى كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
فالمؤمن لا يلقى فيها القاء هوان وانما يدخل فيها للتطهير ادخالا مع نوع اكرام فالويل انما هو
للمكذبين وقوله تعالى (يوم يدعون) بدل من يوم تمور السماء أو من يومئذ قبله تقديره فويل
يومئذ يوم يدعون اى يدفعون دفعا عنيفا بجفوة وغلظة من كل من يقيمه الله تعالى لذلك
ذاهبين ومنتهين (الى نار جهنم) وهى الطبقة التى تلقاهم بالعبوسة والكراهة وأكد المعنى
وحققه بقوله تعالى (دعا) قال البغوى وذلك ان خزنة جهنم يغلون أيديهم الى أعناقهم
ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ثم يدفعون دفعا على وجوههم وزجا فى أقفيتهم مقولا لهم
تبكيتا وتوبيخا (هذه النار) اى الجسم المحرق المفسد لما ألقى عليه الشاغل عن اللعب (التى
كنتم بها) فى الدنيا (تكذبون) على التجدد والاستمرار وقوله تعالى (أفسحر) خبر مقدم وقوله
تعالى (هذا) هو المبتدأ وقدم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ وذلك أنهم كانوا ينسبون

الفصل تارة فيه كروال
معناه اخرى فيؤنث

(سورة الرحمن)

محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وأنه يغطي الابصار بالسحر وان انشقاق القمر وأمثاله سحر فوبخوا به وقيل لهم أفسحر هذا اى الذى أنتم فيه من العذاب مع هذا الاحراق الذى تصلون فيه (أم أنتم) فى منام أو نحوه (لا تبصرون) بالقلوب كما كنتم تقولون فى الدنيا قلوبنا فى أكنة ولا بالاعين كما كنتم تقولون للمنذر بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون (اصلوها) اى اذا لم يمكنكم انكارها وتحققتم أنه ليس بسحر ولا خلل فى أبصاركم فقاسوا شدتها (فاصبروا) على هذا الذى لا طاقة لكم به (أو لا تصبروا) فانه لا محيص لكم عنه (سواء عليكم) اى الصبر والجزع فان صبركم لا ينفعكم وقوله تعالى (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجبا كان الصبر وعدمه سيين فى عدم النفع ولما ذكر ما للمكذبين من العذاب أتبعه ما لاضدادهم من الثواب فقال تعالى (ان المتقين) اى الذين صارت التقوى لهم صفة راسخة (فى جنات) اى بساتين أية بساتين دائما فى الدنيا حكما وفى الآخرة حقيقة (ونعيم) اى نعيم فى العاجل يعنى بما لهم فيه من الانس وفى الآجل بالفعل وزاد فى تحقيق التنعم بقوله تعالى (فاكهين) اى متلذذين معجبين ناعمين (بما آتاهم) اى اعطاهم (ربهم) الذى تولى تربيتهم بعملهم بالطاعات الى أن أوصلهم الى هذا النعيم (ووقاهم) اى قبل ذلك (ربهم) اى المتفضل بتربيتهم بكفهم عن المعاصى والقاذورات (عذاب الجحيم) اى النار الشديدة التوقد ولما كان من باشر النعمة وجانب النقمة فى نعيم عظيم قال منبها لذلك على تقدير القول (كلوا) اى أكلا هنيا (واشربوا) اى شربا (هنيا) وهو الذى لا تنغيص فيه فكل ما تتناولونه مأمون العاقبة من التخم والسقم وغيرهما (بما) اى بسبب ما (كنتم) اى كونا راسخا (تعملون) اى مجددين العمل على سبيل الاستمرار حتى كأنه طبع لكم ثم نبه على أنهم مع هذا النعيم مخدومون بقوله تعالى (متكئين) اى مستندين استناد راحة لانهم مخدومون فلا حاجة لهم الى الحركة (على سرر مصفوفة) اى منصوبة واحدا الى جنب واحد مستوية كأنها السطور على أحسن نظام وأبدعه ثم نبه على تمام سرورهم بالتمتع بالنساء بقوله تعالى (وزوجناهم) اى تزويجا يليق بما لنا من العظمة اى صيرناهم متمتعين (بحور) اى نساء هن فى شدة بياض العين وسوادها واستدارة حدقتها ورقة جفونها فى غاية حسن لا يوصف (عين) اى واسعات الاعين فى رونق وحسن * (تنبيه) * اعلم انه تعالى بين أسباب التنعم على الترتيب فأول ما يكون المسكن وهو الجنات ثم الاكل والشرب ثم الفرش والبسط ثم الازواج فهذه أمور أربعة ذكرها الله تعالى على الترتيب وذكر فى كل واحد منها ما يدل على كماله فقوله جنات اشارة الى المسكن وقال فاكهين اشارة الى [illegible] وعلو المرتبة لكونه مما آتاهم الله وقال كلوا واشربوا هنيئا اى مأمون العاقبة وترك ذكر المأكول والمشروب دلالة على تنوعهما وكثرتهما وقوله تعالى بما كنتم تعملون اشارة الى أنه تعالى يقول انى مع كونى ربكم وخالقكم وأدخلتكم الجنة بفضلى [illegible] اليوم وانما منتى عليكم كانت فى الدنيا [illegible] بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان [illegible] تعالى (والذين آمنوا) اى أقروا بالايمان وان لم يبالغوا فى الاعمال الصالحة [illegible]

(قوله ووضع الميزان) قرنه برفع السماء لانه تعالى [illegible] على

عمرو (وأتبعناهم) اى بمالنا من الفضل الناشئ عن العظمة بقطع الهمزة وسكون التاء الفوقية وسكون العين وبعد العين نون مفتوحة بعدها ألف والباقون بهمزة وصل محذوفة وتشديد التاء الفوقية وفتح العين وبعدها تاء فوقية ساكنة وهو معطوف على آمنوا (ذرياتهم) اى الصغار والكبار فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد أبويه (بايمان) اى بسبب ايمان حاصل منهم ولو كان فى أدنى درجات الايمان ولكنهم ثبتوا عليه الى ان ماتوا وذلك شرط اتباعهم الذريات قال البقاعى ويجوز أن يراد وهو أقرب بسبب ايمان الذرية حقيقة ان كانوا كبارا أو حكما ان كانوا صغارا ثم أخبر عن الموصول المبتدا بقوله تعالى (ألحقنا بهم) تفضلا منا عليهم (ذرياتهم) وان لم يكن للذرية أعمال لانه * لعين تجازى ألف عين وتكرم * والذريات هنا تصدق على الآباء وعلى الابناء وان المؤمن اذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه فى العمل ابنا كان أو أبا وهو منقول عن ابن عباس وغيره ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان كان معها أخذ لعلم أو عمل كانت أجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب فى جواب من سأل عمن يحب القوم ولما يلحق بهم وقرأ ذريتهم بايمان وألحقنا بهم ذرياتهم نافع بالقصر فى الاولى والجمع فى الثانية مع كسر التاء وقرأ ابن كثير والكوفيون بالقصر فيهما مع ضم التاء وقرأ أبو عمرو بالجمع فيهما مع كسر التاء وقرأ ابن عامر بالجمع فيهما الا أنه يرفع التاء فى الاولى ويكسرها فى الثانية (فان قيل) قوله تعالى أتبعناهم ذرياتهم يفيد فائدة قوله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم (أجيب) بان قوله تعالى ألحقنا بهم أى فى الدرجات والاتباع انما هو فى حكم الايمان وان لم يبلغوه كما مر ثم أشار الى عدم نقصان المتبوع بقوله تعالى (وما ألتناهم) أى ما نقصنا المتبوعين (من عملهم) وأكد النفى بقوله تعالى (من شئ) اى بسبب هذا الالحاق ولما بين تعالى اتباع الادنى للاعلى فى الخير بين أن الادنى لا يتبع الاعلى فى الشر بقوله تعالى (كل امرئ) من الذين آمنوا والمتقين وغيرهم (بما كسب) اى عمل من خير أو شر (رهين) اى مرهون يؤخذ بالشر ويجازى بالخير وقال مقاتل كل امرئ كافر بما عمل من الشرك رهين فى النار والمؤمن لا يكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين وقال الواحدى هذا يعود الى ذكر أهل النار وهو قول مجاهد أيضا قال الرازى وفيه وجه آخر وهو أن يكون الرهين فعيلا بمعنى الفاعل فيكون المعنى كل امرئ راهن اى دائم ان أحسن ففى الجنة مؤبدا وان أساء ففى النار مخلدا لان فى الدنيا دوام الاعمال بدوام الاعيان فان العرض لا يبقى الا فى جوهر ولا يوجد الا فيه وفى الآخرة دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله تعالى يبقى أعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقى يبقى مع عامله (وأمددناهم) اى الذين آمنوا والمتقين ومن ألحق بهم من ذرياتهم بما لنا من العظمة (بفاكهة) وقتا بعد وقت زيادة على ما تقدم ولما كانت الفاكهة ظاهرة فيما نعرفه فى الدنيا وان كان عيش الجنة بجميع الاشياء تفكها ليس فيه شئ يقصد به حفظ البدن قال تعالى (ولحم مما يشتهون) من أنواع اللحمان والمعنى زدناهم مأكولا ومشروبا فالمأكول الفاكهة واللحم والمشروب الكاس

عباده ومن أجلها الميزان الذى هو العدل الذى به نظام العالم وقوامه وقيل

وفى هذه الطبقة وهى أنه تعالى لما قال وما ألتناهم من عملهم من شئ ونفى النقصان يصدق بحصول المساوى فقال ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوى بل بالزيادة والامداد وقوله تعالى (يتنازعون) فى موضع نصب على الحال من مفعول أمددناهم ويجوز أن يكون مستأنفا وقوله تعالى (فيها) يجوز أن يعود الضمير للثمر بها ويجوز أن يعود للجنة ومعنى يتنازعون يتعاطون ويحتمل أن يقال التنازع التجاذب ويكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة لانهم يفعلون ذلك هم وجلساؤهم من أقربائهم واخوانهم (كأسا) اى خمرا من رقتها حاشيتها تكاد أن لا ترى فى كأسها (لا لغو) اى لا سقط حديث وهو ما لا ينفع من الكلام ولا يضر (فيها) اى فى تنازعها ولا بسببها الا انها لا تذهب بعقولهم فلا يتكلمون الا بالحسن الجميل بخلاف المتنادمين فى الدنيا على الشراب بسفههم وعربدتهم (ولا تأثيم) اى لا يكون منهم ما يؤثمهم وقال الزجاج لا يجرى منهم ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجرى فى الدنيا الشربة الخمر قال الرازى ويحتمل ان يكون المراد من التأثيم السكر وقيل لا يأثمون فى شربها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بنصب لغو وتأثيم من غير تنوين والباقون بالرفع فيهما مع التنوين * ولما كانت المعاطاة لا يكمل بسطها و يعظم أنسها الا بخدم وسقاة قال تعالى (و يطوف عليهم) بالكؤس وغيرها من أنواع التحف (غلمان) اى أرقاء ولما كان أحب مال الى الانسان ما يختص به قال تعالى (لهم) ولم يقل تعالى غلمانهم لئلا يظن انهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل من خدم أحدا فى الدنيا بقول أو فعل أن يكون خادما له فى الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا وأفاد التنكير ان كل من دخل الجنة وجد له خدما لم يعرفهم قبل ذلك (كأنهم) فى بياضهم وشدة صفائهم (لؤلؤ مكنون) أى مخزون مصون لم تمسه الايدى قال سعيد بن جبير يعنى فى الصدف لانه فيها أحسن منه فى غيرها أو مصون فى الجنة لم تغيره العوارض قال عبد الله بن عمر ما من أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه هذه صفة الخادم وأما المخدوم فروى عن الحسن انه لما تلا هذه الآية قال يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك وقرأ السوسى وشعبة لولو بالبدل والباقون بالهمز (وأقبل بعضهم) لما ازدهاهم من السرور واللذة والحبور (على بعض يتساءلون) اى يسأل بعضهم بعضا فى الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف فى الدنيا (قالوا) اى قال كل منهم (انا كنا قبل) اى فى دار العمل (فى أهلنا) على ما لهم من العدد والعدد والسعة واتباعهم من جوالب اللذة والدواعى الى اللعب (مشفقين) اى عريقين فى الخوف من الله تعالى لا يأمن احد منا عمله لزومنا الطاعة بل لما قدرنا عليه من طاعته لعلمنا بانا لا نقدره لما له من العظمة والجلال والكبرياء والكمال حق قدره والمعنى انهم يسارعون [illegible] فيقولون ذلك خشية الله تعالى اى كنا نخاف الله تعالى (فمن الله) [illegible]

[illegible] والقرآن وقيل هو العقل
[illegible] قيل [illegible] وما يعرف به
[illegible] عادية كالنيران المعروف

اشفاقنا منه (علينا) بالرحمة والتوفيق (ووقانا) اى وجنبنا باستر تابه (عذاب السموم) قال الكلبي عذاب النار وقال الحسن السموم اسم من أسماء جهنم والسموم فى الاصل الريح الحارة التى تتخلل المسام والجمع سمائم يقال سم يومنا أى اشتد حره وقال ثعلب السموم شدة الحر أو شدة البرد فى النهار وقال أبو عبيدة السموم بالنهار وقد تكون بالليل والحرور بالليل وقد تكون بالنهار (انا كنا) اى بما طبعنا عليه وهيئنا له (من قبل) اى فى الدنيا (ندعوه) اى نسأله ونعبده بالفعل وأما خوفنا بالقوّة فقد كان فى كل حركة وسكون ثم علل ادعاءهم اياه مؤكدين لان انعامه عليهم مع تقصيرهم مما لا يكاد يفعله غيره فهو مما يتعجب منه غاية التعجب بقولهم (انه هو) اى وحده وقرأ نافع والكسائى بفتح الهمزة والباقون بكسرها (البر) اى الواسع الجود الذى عطاؤه حكمة ومنعه رحمة لانه لا ينقصه اعطاء ولا يزيده منع فهو يبر عبده المؤمن بما يوافق نفسه فربما بره بالنعمة وربما بره بالبؤس فهو يختار له من الاحوال ما هو خير له ليوسع له فى البر فى العقبى فعلى المؤمن أن لا يتهم ربه فى شئ من قضائه (الرحيم) اى المكرم لمن أراد من عباده باقامته فيما يرضاه من طاعته ثم بافضاله عليه وان قصر فى خدمته * ولما بين تعالى أن الوجود قوم يخافون الله تعالى ويشفقون فى أهليهم والنبي صلى الله عليه وسلم مأمور بتذكير من يخاف الله تعالى لقوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فوجب التذكير فلذلك قال تعالى (فذكر) أى عظ بأشرف الخلق بالقرآن ودم على ذلك ولا ترجع عنه لقول المشركين لك كاهن ومجنون (فما أنت بنعمت ربك) اى بسبب ما أنعم به عليك المحسن اليك من هذا الناموس الاعظم بعد ما هيأك له بما هيأك به من رجاحة العقل وعلو الهمة وكرم الفعال وجود الكف وطهارة الاخلاق وجعلك أشرف الناس عنصرا وأزكاهم نفسا وأزكاهم خلقا وهم معترفون لك بذلك قبل النبوة وأكد النفى بقوله تعالى (بكاهن) اى تقول كلاما مع كونه سجعا متكلفا أكثره فارغ وتحكم على المغيبات من غير وحى (ولا مجنون) اى تقول كلاما لا نظام له مع الاخبار ببعض المغيبات فلا ينفرك قولهم هذا عن التذكير فانه قول باطل لا تعلق له بمعرفة أصلا وما قليل يكون حبالهم لا يغنى عنهم الا اتباعهم لك فى اتبعك منهم غسل عاره ومن استمر على عناده استمر تبابه وخساره * (تنبيه) * نزلت هذه الآية فى الذين اقتسموا اعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والجنون والشعر (أم يقولون) اى هؤلاء المقتسمون (شاعر) اى هو شاعر قال الثعلبي قال الخليل كل ما فى سورة والطور من أم فاستفهام وليس بعطف وقال أبو البقاء أم فى هذه الآيات منقطعة وتقدم الخلاف فى المنقطعة هل تقدر ببل وحدها أو ببل والهمزة أو بالهمزة وحدها والصحيح الثانى وقال مجاهد فى قوله تعالى أم تأمرهم تقديره بل تأمرهم (نتربص) اى ننتظر (به ريب المنون) اى حوادث الدهر وتقلبات الزمان لانها لا تدوم على حال كالريب وهو الشك فانه لا يبقى بل هو متزلزل قال الشاعر

تربص بها ريب المنون لعلها * تطلق يوما أو يموت حليلها

(وقال أبو ذؤيب)

والمكيال والذراع (ان قلت) ما فائدة تكرار لفظ الميزان ثلاث مرات مع ان

أمن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

والمنون فى الاصل الدهر وقال الراغب المنون المنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد والمعنى بل يقولون يعنى هؤلاء المقتسمين الخراصين شاعر نتربص به ريب المنون حوادث الدهر وصروفه وذلك أن العرب كانت تحترز عن ايذاء الشعراء فان الشعر كان عندهم يحفظ ويدون فقالوا لا نعارضه فى الحال مخافة أن يغلبنا بقوة شعره وانما نصبر ونتربص موته ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء وتتفرق أصحابه فان أباه مات شابا ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون يكون بمعنى الدهر وبمعنى الموت سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل ثم انه تعالى أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله (قل) اى لهؤلاء البعداء (تربصوا) اى انتظروا بى الموت ولم يعرج على محاججتهم فى قولهم هذا تنبيها على أنه من السقوط بمنزلة ما لا يحتاج معه الى رد ومجادلة ثم سبب عن أمره لهم بالتربص قوله (فانى معكم من المتربصين) اى العريقين فى التربص وان ظننتم خلاف ذلك وأكده تنبيها على أنه يرجو الفرج بمصيبتهم كما يرجون الفرج بمصيبته وأشار بالمعية الى أنه مساواهم فى ذلك وان ظنوا الاشتهم وقوتهم ووحدته وضعفه ان الامر بخلاف ذلك قال القشيرى جاء فى التفسير ان جميعهم اى الذين تربصوا به ماتوا قال ولا ينبغى لاحد أن يؤمل نفاق سوق عمره باحد انتهى النوبة اليه فقل من تكون هذه صفاته الا وسبقته المنية ولا يدرك ما تمناه من الامنية (فان قيل) هذا أمر للنبى صلى الله عليه وسلم وافعل الامر يوجب المأمور به أو يبيحه ويجوزه وتربصهم كان حراما (أجيب) بان ذلك ليس بامر وانما هو تهديد اى تربصوا ذلك فانى متربص الهلاك بكم كقول الغضبان لعبده افعل ما شئت فانى لست عنك بغافل (أم تأمرهم) اى تزين لهم وتبعثهم على ما هم ليه من الانبعاث كالامر (احلامهم) اى عقولهم التى يزعمون انهم اختصوا بجودتها دون الناس حتى انه كان يقال فيهم أولو الاحلام والنهى فازرى الله تعالى بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل وذلك أن الاشياء لا يعلم الا ان تريقت بعقل أو نقل فقال هل ورد أمر سمعى أم عقولهم تأمرهم (بهذا) اى قولهم ساحر كاهن مجنون وقيل الى عبادة الاوثان وقيل الى التربص اى لا تأمرهم بذلك (أم) اى بل (هم) بظواهرهم وبواطنهم (قوم) ذوو قوة على ما يريدون (طاغون) مجاوزون الحد فى العصيان ويقولون ما لا دليل عليه سمعا ولا مقتضى له عقلا والطغيان مجاوزة الحد فى العصيان وكذلك كل شئ منكر وظاهر قال بعض العلماء ... قوله تعالى أم تأمرهم متصل تقديره أنزل عليهم ذكر أم تأمرهم احلامهم فان ... أن كل ما لا يكون على وفق العقل لا ينبغى أن يقال وانما ينبغى أن يقال ما ... والاحلام جمع حلم وهو العقل فهما من باب واحد من حيث المعنى ... فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك من مكانه والحلم من الاحتلام وهو أيضا ... لان الحلم فى أصل اللغة هو ما يراه النائم فينزل ويلزم الغسل الذى هو سبب البلوغ ... الانسان مكلفا فالله تعالى ... بالعقل ... العقل ويكلف صاحبه فاشار ... الاشارة الى ما يقارنه ...

الاولى بعد القياس الاضمار (قلت) فائدته بيان ان كلا من الآيات

كمال العقل (أم يقولون) ما هو أفحش عارا من التناقض (تقوّله) أي تكلف قوله من عند نفسه كذبا وليس بشعر ولا كهانة ولا جنون وهم على كثرتهم والمام بعضهم بالعلم وعراقة آخرين في الشعر والخطب والترسل والسجع عجزوا عن مثله بل عن مثل شئ منه * (تنبيه) * التقوّل تكلف القول ولا يستعمل الا في الكذب وهذا أيضا متصل بقوله تعالى أم يقولون شاعر تقديره أم يقولون شاعر أم يقولون تقوّله والمعنى ليس الامر كما زعموا (بل لا يؤمنون) بالقرآن استكبارا فلما ألزمهم الحجة وأبطل جميع الاقسام قال عز من قائل (فليأتوا) أي على أي تقدير أرادوه (بحديث) أي كلام مفرق مجدد اتيانه مع الازمان (مثله) أي القرآن في البلاغة وصحة المعاني والاخبار بالمغيبات مما كان أو يكون على ما هي عليه لا نكلفهم أن يأتوا به جملة (فان قيل) الصفة تتبع الموصوف في التعريف والتنكير والموصوف هنا حديث وهو منكر ومثله مضاف الى القرآن والمضاف الى القرآن معرف فكيف هذا (أجيب) بأن مثلا وغيرا لا يتعرفان بالاضافة وذلك أن غيرا ومثلا وأمثالهما في غاية التنكير لانك اذا قلت مثل زيد يتناول كل شئ فان كل شئ مثل زيد في شئ فالحمار مثله في الجسم والحجم والامكان والنبات مثله في النمو والنشو والذبول والفناء والحيوان مثله في الحركة والادراك وغيرهما من الاوصاف وأما غير فهو عند الاضافة منكر وعند قطع الاضافة ربما يتعرف فانك اذا قلت غير زيد صار في غاية الابهام فانه يتناول أمورا لا حصر لها وأما اذا قطعت غيرا عن الاضافة فربما يكون الغير والمغايرة من باب واحد وكذلك التغير فتجعل الغير كاسماء الاجناس وتجعله مبتدأ أو تريد به معنى معينا * (تنبيه) * قالت المعتزلة الحديث محدث والقرآن سماه حديثا فيكون محدثا وأجيبوا بأن الحديث اسم مشترك يقال للمحدث والمنقول ولهذا يصح أن يقال هذا حديث قديم أي متقادم العهد لا بمعنى سلب الاولية وذلك لا نزاع فيه قال بعض العلماء وهذا أمر تعجيز قال الرازي والظاهر أن الامر ههنا على حقيقته لانه لم يقل ائتوا مطلقا بل قال تعالى (ان كانوا) أي كونا هم راسخون فيه (صادقين) أي في أنه تقوّله من عند نفسه كما يزعمون فهو أمر معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به وأمر التعجيز كقوله تعالى فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وفي هذا تشنيع عليهم سواء ادعوا أنه مجنون أم شاعر أم كاهن أم غير ذلك لان العادة تحيل أن يأتي واحد من قوم وهو مساو لهم بما لا يقدرون كلهم على مثله والعاقل لا يجزم بشئ الا وهو عالم به ويلزم من علمهم بذلك قدرتهم على مثل ما يأتي به فانه صلى الله عليه وسلم مثلهم في الفصاحة والبلد والنسب وبعضهم يزيد عليه بالكتابة وقول الشعر ومخالطة العلماء ومزاولة الخطب والرسائل وغير ذلك فلا يقدر على ما يعجزون عنه الا بتأييد الهي وهو المراد من تكذيبهم (أم خلقوا) أي وقع خلقهم على هذه الكيفية المتقنة (من غير شئ) أي خالق خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) لانفسهم وذلك في البطلان أشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا وهو الله تعالى فلم لا يوحدونه ويؤمنون به وبرسوله وبكتابه وقال الزجاج معناه أخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمنون وقال ابن

قوله والترسل كذا بالاصل وفي نسخة خط الطبع والرسائل اه مصحح

مستقلة بنفسها أو ان كان من الالفاظ الثلاثة مغا... لكل من الآخرين ا...

كيسان أخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شئ أى لغير شئ أم هم الخالقون لانفسهم فلا يجب عليهم لله أمر وقيل معناه أخلقوا من غير أب وأم * (تنبيه) * لاخلاف ان أم هنا ليست بمعنى بل لكن أكثر المفسرين على أن المراد ما يقع فى صدر الكلام من الاستفهام بالهمزة كانه يقول أخلقوا من غير شئ قال الرازى ويحتمل أن يقال هو على أصل الوضع للاستفهام الذى يقع فى أثناء الكلام وتقديره أخلقوا من غير شئ أم هم الخالقون (أم خلقوا) أى على وجه الشركة (السموات والارض) فهم بذلك عالمون بمعانيهما على وجه الاحاطة واليقين حتى علموا أنك تقولته لعيوابهم برده والتحكم عليه (بل لا يوقنون) أى ليس لهم نوع يقين والالآمنوا برسوله وكتابه (أم عندهم) أى خاصة دون غيرهم (خزائن ربك) اى المحسن اليك بارسالك فيعلموا ان هذا الذى أتيت به ليس من قول الله تعالى فيصح قولهم انك تقولته (أم هم) أى لاغيرهم (المسيطرون) اى الرقباء الحافظون المتسلطون الجبارون الرؤساء الحكام الكتبة ليكونوا ضابطين للاشياء كلها كما هو شان كاتب السر عند الملوك فيعلمون انك تقولت هذا الذكر لانهم لم يكتبوا به اليك (أم لهم سلم) يصعدون به الى السماء (يستمعون) أى يتعمدون السماع لكل ما يكون فيها ومنها (فيه) اى صاعدين فى ذلك السلم الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن (فليأت مستمعهم) اى مدعى الاستماع (بسلطان مبين) اى بحجة بينة واضحة ولشبه هذا الزعم لزعمهم ان الملائكة بنات الله قال تعالى (أم له البنات) أى بزعمكم (ولكم البنون) أى خاصة لتكونوا اقوى منه فتكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من عذاب يأتيكم منه لضعفه وقوتكم (أم تسألهم) اى أيها الطاهر الشيم البعيد عن مواقع التهم (أجرا) على ابلاغ ما أتيتهم به (فهم من مغرم) اى غرم لك ولو قل والمغرم التزام ما لا يجب (مثقلون) فهم لذلك يكذبون من كان سببا فى هذا الثقل بغير مستند اقترحوا ما جره لهم من الثقل (أم عندهم) اى خاصة بهم (الغيب) أى علم ما غاب عنهم (فهم يكتبون) أى يجددون للناس كتابة جميع ما غاب عنهم مما ينفعهم ويضرهم حتى يحددوك فيما شاركتهم به منه فيردوه لذلك وينسبوك الى ما نسبوك اليه مما يعلم كل احد نزاهتك عنه وبعدك عنه وقال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به واللام فى الغيب لا للعهد ولا لتعريف الجنس بل المراد نوع الغيب كما تقول اشتر اللحم تريد بيان الحقيقة لا كل لحم ولا لحما معينا (أم يريدون) أى بهذا القول الذى يرمونك به (كيدا) اى مكرا وضرا عظيما لهلاكك به (فالذين كفروا) وكان الاصل فهم ولكنه قال تعميما وتعليقا للحكم بالوصف (هم) اى خاصة (المكيدون) اى المغلوبون المهلكون فانهم مكروا به فى دار الندوة فحفظه الله تعالى منهم ثم أهلكهم يوم بدر بعد انتهاء سنين عدتها عدة ما هنا من ام وهى خمس عشرة مرة لان بدرا كانت فى الثانية من الهجرة وهى الخامسة عشر من النبوة فقد سبب الله تعالى فيها من الاسباب ما اوجب سعيهم الى هلاكهم بادوخارقة للعادة فلو كانت لهم بصائر لكفتهم فى الهداية والرد عن الضلالة والغواية (أم لهم اله) اى يمنعهم من التصديق بكتابنا او يستندون اليه للامان من عذابنا (غير الله) ان الذى لا ... يمنع

الاول ميزان الدنيا والثانى ميزان الآخرة والثالث ميزان العقل (ان قلت)

صفات الكمال (سبحان الله) الملك الاعظم الذي تعالى عن أن يدانى جنابه شائبة نقص (عما يشركون) من الاصنام وغيرها * (تنبيه) * الاستفهام بأم في مواضعها للتقبيح والتوبيخ ولما بين تعالى فساد أقوالهم وسقوطها اشار الى أنهم لم يبق لهم عذر فان الآيات والحجج قد ظهرت ولم يؤمنوا فبعد ذلك استحقوا الانتقام وقوله تعالى (وان يروا) أى معاينة (كسفا) أى قطعة وقيل قطعا واحدتها كسفة مثل سدرة وسدر (من السماء) جهارا نهارا (ساقطا يقولوا) جواب اقوالهم فأسقط علينا كسفا من السماء كان الله تعالى يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن قولهم و يقولون لمعاندتهم هذا (سحاب) فان قيل لهم هو مخالف للسحاب بصلابته وغلظته قالوا (مركوم) أى مركب بعضه على بعض فتلبد واصلب وقوله تعالى (فذرهم) أى اتركهم على شر أحوالهم كقوله تعالى فأعرض عنهم وقوله تعالى فتول عنهم الى غير ذلك فقيل كلها منسوخة بآية القتال قال ابن عادل وهو ضعيف وانما المراد التهديد كقول السيد لعبده الجانى لمن يصحبه دعه فانه سينال جنايته (حتى يلاقوا يومهم الذى فيه) أى لا في غيره لان ما حكمنا به لا يتقدم ولا يتأخر (يصعقون) أى يموتون من شدة الاهوال وعظم الزلزال كما صعق بنو اسرائيل في الطور ولكن لا نقيمهم كما أقمنا أولئك الا عند النفخ في الصور لنحشرهم للحساب الذى يكذبون به قال البقاعى والظاهر ان هذا اليوم يوم بدر فانهم كانوا قاطعين بالنصر فيه فما أغنى أحد منهم عن أحد شيأ كما قال أبو سفيان بن الحرث ما هو الا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وقوله تعالى (يوم لا يغنى) أى بوجه من الوجوه بدل من يومهم (عنهم كيدهم) أى الذى يرمونه بهذه الاقوال المتناقضة (شيأ) من الاغناء في دفع شئ يكرهونه من الموت ولا غيره كما يظنون انه يغنى عنهم في غير ذلك من أحوال هذه الدار (ولاهم ينصرون) أى يتجدد لهم نصر ما في ساعة ما يمنعهم من العذاب وقوله تعالى (وان للذين ظلموا) يجوز أن يكون من ايقاع الظاهر موضع المضمر وأن لا يكون والمعنى وان للذين أوقعوا الاشياء في غير مواقعها كما يقولونه في القرآن و يفعلونه من العصيان و يعتقدونه من الشرك والبهتان (عذابا دون ذلك) أى غير عذاب ذلك اليوم قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقال الضحاك هو الجوع والقحط سبع سنين وقال البراء بن عازب عذاب القبر والآية تحتمل هذه المعانى كلها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن العذاب نازل بهم (واصبر) أى أوجد هذه الحقيقة لتصبر على ما أنت عليه من أداء الرسالة (لحكم ربك) أى المحسن اليك فانه هو المريد لذلك ولو لم يرده لم يكن شئ منه فهو احسان منه اليك وتدريب لك وترقية في معارج الحكم وسبب عن ذلك قوله تعالى مؤكدا لما يغلب على الطبع البشرى في بعض أوقات الامتحان من نوع نسيان (فانك بأعيننا) أى بمرأى منا نراك ونحفظك وجمع لما اقتضته نون العظمة التى هذا سياقها وهى ظاهرة في الجمع واشارة الى أنه محفوظ بالجنود الذين رؤيتهم من رؤيته سبحانه وتعالى (وسبح) ملتبسا (بحمد ربك) أى المحسن اليك فاثبت له كل كمال مع تنزيهك له عن كل نقص فانه يكون في ملكه ما لا يريد ولا يريد الا ما فيه حكمة بالغة (حين تقوم) قال سعيد بن جبير وعطاء أى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وروى أبو هريرة أن رسول

قوله ان لا تطغوا في الميزان أى لا تجاوزوا فيه العدل مغن عن الجانبين المذكورين

انه صلى الله عليه وسلم قال من جلس مجلسا وكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما أى من الذنوب الصغائر وقال ابن عباس معناه صل لله حين تقوم من مقامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال الكلبي هو ذكر الله تعالى باللسان حين تقوم من الفراش الى أن تدخل فى الصلاة لما روى عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأى شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله تعالى عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لى واهدنى وارزقنى وعافنى ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة وقيل حين تقوم لامر ما (ومن الليل) أى الذى هو محل السكون والراحة (فسبحه) أى صل له قال مقاتل يعنى صلاة المغرب والعشاء (وأدبار النجوم) أى صل الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أى تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين وقال الضحاك هى فريضة صلاة الصبح وهذه الآية نظير قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد تقدم الكلام عليها قال الرازى قال تعالى هنا وأدبار النجوم وقال فى سورة ق وأدبار السجود فيحتمل أن يكون المعنى واحدا والمراد من السجود جمع ساجد والنجوم سجود قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجوم نجوم السماء وقيل النجم ما لا ساق له من النبات قال الله تعالى ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض الآية أو المراد من النجوم الوظائف وكل وظيفة نجم فى اللغة أى اذا فرغت من وظائف الصلاة فقل سبحان الله كما مر وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته حديث موضوع

بعده (قلت) الطغيان فيه اخذ الزائد والاخسار اعطاء الناقص والقسط التوسط

سورة النجم مكية

ثنتان وستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف

(بسم الله) الذى أحاط بصفات الكمال (الرحمن) الذى عم الموجودات بصفة الجمال (الرحيم) الذى خص أهل وده بصالح الاعمال (والنجم اذا هوى) قال ابن عباس فى رواية العوفى يعنى الثريا اذا غابت وسقطت وهوت مغيبة والعرب تسمى الثريا نجما وجاء فى الحديث عن ابى هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفى الارض شئ من العاهات الارفع وأراد بالنجم الثريا وقال مجاهد هو نجم السماء كلها حين يغرب لفظه واحد ومعناه الجمع سمى الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والنبت والقرن اذا طلع وروى عكرمة عن ابن عباس انها ما يرجم به الشياطين عند استراقهم السمع وقال أبو حمزة الثمالى هى النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل المراد بالنجم القرآن سمى نجما لانه نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة ويسمى التفرق تنجيما والمفرق منجما هذا قول ابن عباس فى رواية عطاء وقال الكلبي والهوى النزول من أعلى الى أسفل وقال الاخفش النجم هو النبت الذى لا ساق له ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه على الارض وقال جعفر الصادق يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اذا نزل من

السماء ليلة المعراج والهوى النزول يقال هوى يهوي هويا والكلام في قوله تعالى والنجم
كالكلام في قوله تعالى والطور حيث لم يقل والنجوم والأطوار وقال والذاريات والمرسلات
كما مر *(تنبيه)* أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها فإنه تعالى قال في آخر تلك وأدبار
النجوم وقال تعالى في أول هذه والنجم إذا هوى قال الرازي والفائدة في تقييد القسم به في
وقت هويه أنه إذا كان في وسط السماء يكون بعيدا عن الأرض لا يهتدي به الساري لأنه لا
يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فإذا نزل عن وسط السماء تبين بنزوله جانب
المغرب عن المشرق والجنوب عن الشمال وقوله تعالى (ما ضل) أي عن طريق الهداية
(صاحبكم) محمد صلى الله عليه وسلم وقتا من الأوقات جواب القسم وعبر بالصحبة لأنها مع
كونها أدل على القصد مرغبة لهم فيه ومقبلة بهم إليه ومقبحة عليهم اتهامه في إنذاره وهم
يعرفون طهارة شمائله (وما غوى) أي وما مال أدنى ميل ولا كان مقصده مما يؤدي إليه فإنه محروس
من أسباب غواية الشياطين وغيرها *(تنبيه)* الغي جهل عن اعتقاد فاسد بخلاف
الضلال وذهب أكثر المفسرين إلى أن الغي والضلال بمعنى واحد وفرق بعضهم بينهما فقال
الضلال في مقابلة الهدى والغي في مقابلة الرشد قال تعالى قد تبين الرشد من الغي وقال تعالى
وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا قال الرازي وتحقيق
القول فيه أن الضلال أعم استعمالا في الوضع تقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غي
(فائدة) قد دافع الله سبحانه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأما باقي الأنبياء فدافعوا عن
أنفسهم ليس بي ضلالة ليس بي سفاهة ونحو ذلك قاله القشيري (فإن قيل) كيف الجمع بين
قوله تعالى ما ضل صاحبكم وبين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى (أجيب) بأن المراد من الآية
الآتية وجدك ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة فهداك إليها بخلاف هذه الآية
(وما ينطق) أي يجاوز نطقه في وقت من الأوقات لا في هذا الحال ولا في الاستقبال نطقا
ناشئا (عن الهوى) أي عن أمره كالكهان الذين يغلب كذبهم صدقهم والشعراء وغيرهم
وما يقول هذا القرآن من عند نفسه (إن) أي ما (هو) أي الذي يتكلم به من القرآن وكل
أقواله وأفعاله وأحواله (إلا وحي) أي من الله تعالى وأكده بقوله تعالى (يوحى) أي يجدد إليه
إيحاؤه منا وقتا بعد وقت *(تنبيه)* استدل بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء
(وأجيب) بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند إليه كله وحيا لا نطقا
عن الهوى (علمه) أي صاحبكم الوحي الذي أتاكم به ملك (شديد القوى) فلا تعجبوا من هذه
البحار الزاخرة فإن معلمه بهذه الصفة التي هو بها بحيث ينفذ كل ما أمره الله تعالى به وهو جبريل
عليه السلام فإنه الواسطة في إبداء الخوارق روي أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم
قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في أوحى من رجعة
الطرف ورأى إبليس يكلم عيسى على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفحه نفحة بجناحه فألقاه
في أقصى بلاد الهند (ذو مرة) قال ابن عباس ذو منظر حسن وقال أكثر المفسرين ذو قوة
وقدرة عظيمة على الذهاب فيما أمر به والطاقة لحمله بغاية النشاط والحدة كأنه ذو مزاج غلبت
عليه الحدة فهو صعب المراس في مزاولته ماض على طريقة واحدة على غاية من الشدة

بين الطرفين المنعوتين (قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان) ذكر هنا إحدى وثلاثين مرة

لا توصف لا التفات له بوجه الى غير ما أمر به فهو مجتمع القوى مستحكم الشان شديد الشكيمة لا يسام في شيء أوله ومن جملة ما أعطى من القوة القدرة على التشكل والى ذلك أشار بما تسبب عن هذا من قوله تعالى (فاستوى) أى فاستقام واعتدل بغاية ما يكون من قوته على أكمل حالاته في الصورة التي فطر عليها (وهو) أى والحال ان جبريل عليه السلام (بالافق الاعلى) اى عند مطلع الشمس وذلك ان جبريل عليه السلام كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما كان يأتي الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فأما التي في الارض ففي الافق الاعلى والمراد بالاعلى جانب المشرق وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان بحراء وكان جبريل واعده أن يأتيه وهو بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل له جبريل عليه السلام في صورة الآدميين (ثم دنا) أى قرب منه (فتدلى) أى زاد في القرب (فكان) منه (قاب) أى قدر (قوسين) أى عربيتين (أو أدنى) من ذلك وضمه الى نفسه حتى أفاق وسكن روعه وجعل يمسح التراب عن وجهه وأما في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم *(تنبيه)* القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلاة الى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال الشاعر

وقد جعلتني من حزيمة اصبعا

(فان قيل) كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين (أجيب) بأن تقديره فكان مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذف هذه المضافات كما قال أبو على في قوله

وقد جعلتني من حزيمة اصبعا أى ذا مقدار مسافة اصبع وروى الشيخان أن [illegible] سألت زرا عن قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى قال أخبرنا عبد الله يعني ابن مسعود أنه محمد صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح و [illegible] قال ابن عباس والحسن وقتادة وقال آخرون دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] ومعناه [illegible] كان [illegible] قوسين أو أدنى ومعنى [illegible] تعالى قرب منزلة كقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه تبارك وتعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة وهذا اشارة الى المعنى المجازي قال [illegible] وروى [illegible] مرفوعة شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس [illegible] حتى [illegible] قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية أبي سلمة عن ابن عباس [illegible] الكلام على المعراج وعلى جواز رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] أو [illegible] أو تقدم الكلام على [illegible] فأخبر أنه كان بين جبريل [illegible] [illegible]

ثم انه منها ذكرت عقب آيات فيها المداد بجانب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق

حيث الوتر من القوس وهذا اشارة الى تأكيد القرب والاصل في ذلك أن الحليفين من العرب كانا اذا أرادا الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين وهو قول سعيد بن جبير والقوس الذراع يقاس بها كل شيء أو أدنى بل أقرب وانما ضرب المثل بالقوس لانها لا تختلف بالقاب (فأوحى) أي الله تعالى وان لم يجر له ذكر لعدم اللبس (الى عبده) أي جبريل عليه السلام (ما أوحى) أي جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الموحى تفخيما لشأنه وهذا التفسير ما جرى عليه الجلال المحلي وهو ظاهر وقيل فأوحى الى جبريل بسبب هذا القرب وعقبه الى عبده أي عبد الله ما أوحى أي جبريل وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بكليته الى جانب القدس واختلف في الموحى على أقوال الاول قال سعيد ابن جبير أوحى اليه ألم يجدك يتيما الى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك الثاني أوحى اليه الصلاة الثالث أن أحدا من الانبياء لا يدخل الجنة قبلك وأن أمة من الامم لا تدخلها قبل أمتك الرابع أنه مبهم لا يطلع عليه أحد وتعبدنا به على الجملة الخامس أن ما للعموم والمراد كل ما جاء به جبريل (ما كذب الفؤاد) أي فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم (ما رأى) أي ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام وهذا أيضا ما جرى عليه الجلال المحلي وقال البقاعي ما رأى البصر أي حين رؤيته البصر كان حاضر القلب لانه لرؤيته ببصره فقط يمكن فيها الخلو عن حضور القلب وقال القشيري ما معناه ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره على الوصف الذي علمه قبل أن رآه فكان علمه حق اليقين وقرأ هشام بتشديد الذال والباقون بالتخفيف وقوله تعالى (أفتمارونه) أي تجادلونه وتغلبونه (على ما يرى) خطاب للمشركين المكذبين رؤيته النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل وهذا ما قاله ابن مسعود وعائشة ومن قال ان المرئي هو الله تعالى اختلفوا في معنى الرؤية فقال بعضهم جعل بصره في فؤاده فرآه بفؤاده وهو قول ابن عباس قال رآه بفؤاده مرتين ما كذب الفؤاد ما رأى وقال أنس والحسن وعكرمة رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل بعينه وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله تعالى اصطفى ابراهيم عليه السلام بالخلة واصطفى موسى عليه السلام بالكلام واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية وكانت عائشة تقول لم ير محمد صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الرؤية على رؤية جبريل قال مسروق قلت لعائشة يا أمتاه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ومن حدثك أنه كتم شيئا مما أنزل الله تعالى فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين وروى أبو ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال

ومعادهم ثم سبعة منها عقب
آيات فيها ذكر النار
وشدائدها بعدد أبواب

نور انى اراه وحاصل المسئلة ان الصحيح ثبوت الرؤية وهو مايجرى عليه ابن عباس حبر الامة وهو الذى يرجع اليه فى المعضلات وقد راجعه أبو عمرو فأخبره انه رآه ولا يقدح فى ذلك حديث عائشة لانها لم تخبر أنها سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لم أر واغما اعتمدت على الاستنباط مما تقدم وجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لايحاط به واذا ورد النص بنفى الاحاطة لا يلزم منه نفى الرؤية بغير احاطة وأجيب عن احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الآية بأنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام وبأنه عام مخصوص بما تقدم من الادلة وأما قوله صلى الله عليه وسلم نور انى أراه فقال الماوردى الضمير فى أراه عائد الى الله تعالى ومعناه أنه خالق النور المانع من رؤيته أى رؤية احاطة كما مر اذ من المستحيل أن تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله تعالى منزه عن ذلك (فان قيل) هلا قيل أفتمارونه على مارأى بصيغة الماضى لانهم انما جادلوه حين أسرى به فقالوا صف لنا بيت المقدس أخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به وما الحكمة فى ابرازه بصيغة المضارع (أجيب) بأن التقدير أفتمارونه على مايرى فكيف وهو قد رآه فى السماء فماذا تقولون فيه والواو فى قوله تعالى (ولقد رآه) يحتمل أن تكون عاطفة ويحتمل أن تكون للحال أى كيف تجادلونه فيما رآه وهو قد رآه (نزلة اخرى) على وجه لاشك فيه *(تنبيه)* قوله تعالى نزلة فعلة من النزول كجلسة من الجلوس فلابد من نزول واختلفوا فى ذلك النزول وفيه وجوه الاول ان الضمير فى رآه عائد الى جبريل أى رأى جبريل نزلة أخرى أى رأى جبريل فى صورته التى خلق عليها نازلا من السماء مرة أخرى وذلك أنه رآه فى صورته مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء (عند سدرة المنتهى) قال الرازى ويجوز أن تكون النزلة لمحمد صلى الله عليه وسلم الثانى أن الضمير عائد الى الله تعالى أى رأى الله نزلة أخرى وهذا قول من قال فى قوله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى هو الله تعالى وقد قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه مرتين وعلى هذا فى النزول وجهان أحدهما قول من يجوز على الله الحركة من غير تشبيه وثانيهما أن نزوله بمعنى القرب بالرحمة والفضل الثالث أن محمدا رأى الله تعالى نزلة أخرى والمراد من النزلة ضدها وهى العرجة كانه قال رآه عرجة اخرى قال ابن عباس نزلة اخرى هو انه كان للنبى صلى الله عليه وسلم عرجات فى تلك الليلة لمسئلة التخفيف فى الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه فى بعضها وروى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رأى ربه بعينه وعلى ان المرئى هو الله تعالى فيكون قوله تعالى عند سدرة المنتهى ظرفا للرائى كما اذا قال القائل رأيت الهلال فيقال له اين رأيته فيقول على السطح وقد يقول عند الشجرة الفلانية وأما قول من قال بان الله تعالى فى مكان فذلك باطل وان قيل بان المرئى جبريل عليه السلام فظاهر *(تنبيه)* اضافة السدرة الى المنتهى تحتمل وجوها احدها اضافة الشئ الى مكانه كقولك أشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع لايتعداه ملك قال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب انها سدرة

جهنم وحسن ذكر الآلاء عقبها لان من جملة الآلاء دفع البلاء وتأخيره

فى اصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله تعالى وقيل ينتهى اليها ما هبط من فوقها ويصعد من تحتها وقال كعب تنتهى اليها الملائكة والانبياء وقال الربيع تنتهى اليها ارواح المؤمنين وثانيها اضافة الملك الى مالكه كقولك دار زيد وشجر زيد وحينئذ المنتهى فيه محذوف تقديره سدرة المنتهى اليه قال الله تعالى الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله تعالى واضافة السدرة اليه حينئذ كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم كما يقال فى التسبيح يا غاية رغبتاه ويا منتهى أملاه وثالثها اضافة المحل الى الحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها منتهى العلوم فتتلاقى هنالك قال البقاعى وذلك والله أعلم ليلة الاسراء فى السنة الثالثة عشرة من النبوّة قبل الهجرة بقليل بعد ان ترقى فى معارج الكمالات من السنين على عدد السموات وما بينهما من المسافات فانتهى الى منتهى سمع فيه صرير الاقلام وعظمها بقوله تعالى (عندها) اى السدرة (جنة المأوى) اى التى لا مأوى فى الحقيقة غيرها وهى الجنة التى وعدها المتقون كقوله تعالى دار المقامة وقيل هى جنة أخرى عندها تكون أرواح الشهداء تأوى اليها وقيل هى جنة الملائكة وقوله تعالى (اذ) معمول لرأى أى رأى من آيات ربه الكبرى حين (يغشى السدرة) وهى شجرة النبق وقوله تعالى (ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها واختلفوا فيما يغشاها فقيل فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك قال الرازى وهذا ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعى فان صح فيه خبر والا فلا وجه له اهـ قال القرطبى ورواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وذلك قوله عز من قائل اذ يغشى السدرة ما يغشى وقيل ملائكة تغشاها كأنهم طيور يرتقون اليها متشوّقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة وروى فى حديث المعراج عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كقلال هجر قال فلما غشيها من امر الله تعالى ما غشى تغيرت فما احد من خلق الله تعالى يقدر ان ينعتها من حسنها فاوحى الى ما اوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة وقيل يغشاها انوار الله تعالى لان النبى صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى عليه السلام صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أبهمه تعظيما له والغشيان يكون بمعنى التغطية قال الماوردى فى معانى القرآن فان قيل لم اختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها من الشجر قلنا لان السدرة تختص بثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فشابهت الايمان الذى يجمع قولا وعملا ونية فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه وريحها بمنزلة القول لظهوره وروى أبو داود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قطع سدرة صوب الله تعالى رأسه فى النار وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال هو مختصر يعنى من قطع سدرة فى فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله تعالى رأسه فى النار ثم أكد سبحانه الرؤية وقررها بقوله

العقاب وبعد هذه السبعة
ثمانية فى وصف الجنتين
واعلاهما بعدد أبواب

تعالى (مازاغ) أى ما مال أدنى ميل (البصر) أى الذى لا لمخلوق أكمل منه فما قصر عن بصر النظر الى ما أذن له فيه ومازاد (وماطغى) أى تجاوز الحد الى مالم يؤذن له فيه مع أن ذلك العالم غريب عن بنى آدم وفيه من العجائب ما يحير الناظر بل كانت له الصفة الصادقة المتوسطة بين الشره والزهادة على أتم قوانين العدل فأثبت ما رآه على حقيقته وكما هو قال السهروردى فى أول الباب الثانى والثلاثين من عوارفه وأخبر تعالى بحسن أدبه فى الحضرة بهذه الآية وهذه غامضة من غوامض الادب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) * اللام فى البصر تحتمل وجهين أحدهما المعروف أى مازاغ بصر محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا ان قيل ان الغاشى للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلاء وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم وان قيل ان الغاشى أنوار الله تعالى ففيه وجهان أحدهما لم يلتفت يمنة ولا يسرة بل اشتغل بمطالعتها الثانى مازاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه السلام فانه قطع النظر وغشى عليه ففى الاول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم وفى الثانى بيان قوته الوجه الثانى أن اللام لتعريف الجنس أى مازاغ بصره أصلا فى ذلك الموضع لعظم هيبته (فان قيل) لو كان كذلك لقال مازاغ بصره فانه أدل على العموم فان النكرة فى معرض النفى تعم (أجيب) بأن هذا مثل كقوله تعالى لاتدركه الابصار ولم يقل ولا يدركه بصر ولما كانوا قد أنكروا الاسراء انكارا لم يقع لهم فى غيره مثله زاد فى تأكيده على وجه يعم غيره فقال تعالى (لقد رأى) أى أبصر ما أهلناه من لرسالة تلك الليلة ابصارا ساريا الى البواطن غير مقتصر على الظواهر (من آيات ربه) أى المحسن اليه بما لم يصل اليه أحد قبله ولا يصل اليه أحد بعده (الكبرى) أى العظام أى بعضها واختلف فى ذلك البعض فقيل جبريل عليه السلام رآه فى صورته له ستمائة جناح وقال الرازى والظاهر ان هذه الآيات غير تلك لان جبريل عليه السلام وان كان عظيم الكبر ورد فى الاخبار أن لله تعالى ملائكة أعظم منه والكبرى تأنيث الاكبر فكأنه تعالى قال رأى من آيات ربه آيات هى كبر الآيات وقيل رأى رفرفا أخضر سد الافق وقيل أراد ما رأى فى تلك الليلة فى مسيره وعوده ومن اجتماعه تلك الليلة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فى السموات ولما قرر له الرسالة ذكر ما ينبغى أن يبتدئ به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك بقوله تعالى (أفرأيتم اللات والعزى) اشارة الى ابطال قولهم كما اذا ادعى ضعيف الملك ثم رآه العقلاء فى غاية البعد عما يدعيه يقولون انظروا الى هذا الذى يدعى الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل لظهور أمره فلذلك قال تعالى أفرأيتم اللات والعزى أى كأنهما فكيف تشركونهما بالله سبحانه وتعالى واللات صنم ثقيف والعزى شجرة لغطفان وهما أعظم أصنامهم اشتقوا لهما اسمين من اسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز وعن ابن عباس كان اللات رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وعن مجاهد أن العزى شجرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفأس ويقول

الجنة وثمانية أخرى بعدها
... الجنتين اللتين هما دون
الجنتين الاولتين اخذا

ياعز كفرانك لاسبحانك * انى رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قلعتها فقال ما رأيت قال ما رأيت شيأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقال الضحاك هي صنم لغطفان وضعها لهم سعيد بن ظالم الغطفاني وذلك أنه لما قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بهما فعاد الى نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا به قال انا أصنع لكم كذلك وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذى أخذه من الصفا وقال هذا الصفا ووضع الذى أخذه من المروة وقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار فاسندها الى شجرة فقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فأمر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقال ابن زيد هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف واما قوله تعالى (ومناة) فقال قتادة هي صخرة كانت لخزاعة بقديد وقالت عائشة فى الانصار كانوا يهلون لمناة فكانت حذو قديد وقال ابن زيد بيت بالمشلل تعبده بنو كعب وقال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبده أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها وقوله تعالى (الثالثة الاخرى) نعت لمناة اذ هي الثالثة للصنمين فى الذكر وأما الاخرى فقال أبو البقاء توكيد لان الثالثة لا تكون الا أخرى وقال الزمخشرى الاخرى ذم وهى المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى وقالت أخراهم أى وضعاؤهم لاولاهم أى لاشرافهم ويجوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم اللات والعزى اه قال ابن عادل وفيه نظر لان الاخرى انما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولاذم فان جاء شئ فلقرينة خارجية اه ووجه الترتيب أن اللات كان وثنا على صورة آدمى والعزى شجرة نبات ومناة صخرة فهى جماد فهى فى أخريات المراتب (فان قيل) ما فائدة الفاء فى قوله تعالى أفرأيتم وقد وردت فى مواضع بغير فاء كقوله تعالى أرأيتم ما تدعون من دون الله أرأيتم شركاءكم (أجيب) بانه تعالى لما قدم عظمته فى ملكوته وأن رسوله الى الرسل يسد الآفاق ببعض أجنحته ويهلك المدائن بشدته وقوته ولا يمكنه مع هذا ان يتعدى السدرة فى مقام جلال الله وعزته قال أفرأيتم هذه الاصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم فقال بالفاء أى عقب ما سمعتم من عظمة آيات الله الكبرى ونفاذ عامره فى الملا الاعلى وما تحت الثرى انظروا الى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم اليه *(تنبيه)* مفعول أرأيت الاول اللات وما عطف عليه والثانى محذوف والمعنى أخبرونى ألهذه الاصنام قدرة على شئ ما تعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره وقرأ ابن كثير مناءة بهمزة مفتوحة بعد الالف والباقون بغير همزة * ولما زعموا أيضا ان الملائكة بنات الله مع كراهتهم للبنات نزل (ألكم) أى خاصة (الذكر) أى النوع الاعلى (وله) أى وحده (الانثى) اى النوع الاسفل (تلك) أى هذه القسمة البعيدة عن الصواب (اذا) اى اذ جعلتم البنات له

من قوله تعالى ومن دونهما جنتان فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها

والبنين لكم (قسمة ضيزى) أى جائرة ظالمة ناقصة فيها بخس للحق الى الغاية عوجاء غير معتدلة حيث خصصتم به ما أوصلتكم الكراهة له الى دفنه حيا بل كان ينبغى أن تجعلوا الاعظم للعظيم والانقص للحقير خالفتم العقل والنقل والعادة (ان) اى ما (هى) اى هذه الاصنام (الا أسماء) اى لا حقائق لها فيما ادعيتم لها من الالهية ليس لها من ذلك غير الاسماء وأكد ذلك بقوله تعالى (سميتموها) أى ابتدعتم تسميتها (فان قيل) الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها (أجيب) بان التسمية وضع الاسم فكأنه قال أسماء وضعتموها فاستعمل سميتموها استعمال وضعتموها (أنتم وآباؤكم) اى لا غير (ما أنزل الله) اى الذى له جميع صفات الكمال (بها) اى باستحقاقها للاسماء أو لما سميتموها به من الالهية وأغرق فى النفى فقال (من سلطان) اى حجة تصلح مسلطا على ما يدعى فيها بل لمجرد الهوى لم تروا منها آية ولا كلمتكم قط بكلمة تعتمدونها وعلى تقدير ان تكلم الشياطين على السنتها فأى طريقة قويمة شرعت لكم واى كلام صالح أو بليغ برز اليكم منها واى آية كبرى أرتكموها (ان) اى (ما يتبعون) اى فى وقت من الاوقات فى امر هذه الاوثان بغاية جهدهم من انها آلهة وانها تشفع لهم او تقربهم الى الله تعالى (الا الظن) اى وهو غاية امرهم لمن يحسن الظن بهم والظن ترجيح احد الجائزين على زعم الظان * ولما كان الظن قد يكون موافقا للحق مخالفا للهوى قال تعالى (وما تهوى الانفس) اى تشتهى وهى لما لها من النقص لا تشتهى ابدا الا ما يهوى بها عن غاية أوجها الى اسفل حضيضها واما المعالى وحسن العواقب فانما يسوق اليها العقل قال القشيرى فاما الظن الجميل بالله تعالى فليس من هذا الباب والتباس عواقب الشخص عليه ليس من هذا بجملة سبيل انما الظن المعلول فى الله تعالى واحكامه وصفاته اه ولهذا كان كثير من الفقه ظنيا وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه انا عند ظن عبدى بى (ولقد جاءهم) اى العجب انهم يقولون ذلك والحال انهم قد جاءهم (من ربهم) المحسن اليهم (الهدى) على لسان النبى صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع انها ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار فلم يرجعوا عما هم عليه وقرأ حمزة والكسائى فى الوصل بضم الهاء والميم وقرأ أبو عمرو بكسرهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم (أم للانسان) اى كل انسان منهم (ما تمنى) اى من اتباع ما يشتهى من جاه ومال وطول عمر ورفاهة عيش ومن ان الاصنام تشفع له ليس الامر كذلك (فلله) اى الملك الاعظم وحده (الآخرة) فهو لا يعطى ما فيها الا لمن تبع هداه وترك هواه (والاولى) اى الدنيا فهو لا يعطى جميع الامانى فيها لاحد أصلا كما هو مشاهد ولكنه يعطى منها ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه سبحانه فى شئ منها (وكم من ملك) اى كثير من الملائكة اى ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ودل على زيادة قوتهم بشرف مسكنهم وهو قوله تعالى (فى السموات) اى وهم فى الكرامة والزلفى (لا تغنى شفاعتهم) اى عن أحد من الناس (شيأ) ثم قصر الامر عليه ورده بعد انبره اليه بقوله تعالى (الا من بعد أن يأذن) اى يمكن ويريد (الله) اى الملك الذى لا امر اصلا لاحد معه (لمن يشاء) من عباده من الملائكة أو من الناس ان يشفع (ويرضى) اى ويراه اهلا لذلك فكيف تعبد الاصنام مع حقارتها التشفع لهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة)

استغنى هاتين الثمانيتين من الله ووفاء السبعة السابقة (قوله خلق

اى لا يصدقون ولا يقرون بالبعث وغيره من احوال يوم القيامة (ليسمون الملائكة) اى كل واحد منهم (تسمية الانثى) بان سموه بنتا وذلك أنهم كانوا يقولون الملائكة وجدوا من الله تعالى فهم اولاده بمعنى الايجاد ثم انهم رأوا فى الملائكة تاء التأنيث وصح عندهم أن يقال سجدت الملائكة فقالوا بنات الله فسموهم تسمية الاناث (فان قيل) كيف يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركوبا على قبر من يموت و يعتقدون انه يحشر عليه (اجيب) بانهم ما كانوا يجزمون به بل كانوا يقولون لا حشر فان كان فلنا شفعاء بدليل ما حكى الله تعالى عنهم وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وبانهم ما كانوا يعترفون بالآخرة على الوجه الذى وردت به الرسل (فان قيل) كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث (اجيب) بان المراد بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمؤاخاة رؤس الآى (وما) اى والحال انه ما (لهم به) اى بما يقولون وقيل الضمير يعود الى ما تقدم من عدم قبول الشفاعة وقيل يعود الى الله تعالى أى ما لهم بالله تعالى (من علم) ثم بين تعالى الحامل لهم على ذلك بقوله تعالى (ان) اى ما (يتبعون) أى بغاية ما يكون من شهوة النفس فى ذلك وغيره (الا الظن) اى الذى يتخيلونه (وان) أى والحال أن (الظن) اى مطلقا فى هذا وفى غيره ولذلك أظهر فى موضع الاضمار (لا يغنى) اى اغناء مبتدأ (من الحق) أى الامر الثابت فى نفس الامر الذى هو حقيقة الشئ وذاته بحيث يكون الظن بدله والظن انما يعتبر فى العمليات لا فى العلميات ولا سيما الاصولية (شيأ) أى من الاغناء عن احد من الخلق فانه لا يؤدى أبدا الى الجزم بالعلم بالشئ على ما هو عليه فى نفس الامر فهو ممنوع فى أصول الدين فان المقصود فيها تحقيق الامر على ما هو عليه فى الواقع وأما الفروع فان المكلف به فيها هو الظن لكن بشرطه المأذون فيه وهو رده الى الاصول المستنبط منها لعجز الانسان عن القطع فى جميع الفروع تنبيها على عجزه وافتقاره الى الله تعالى ليقبل عليه و يتبرأ من حوله وقوته ليكشف له عن الحقائق * ولما أن أصروا على الهوى بعد مجىء الهدى سبب عن ذلك قوله تعالى (فأعرض) اى يا اشرف الرسل (عمن تولى) اى كاف نفسه خلاف ما يدعو اليه العقل والفطرة الاولى (عن ذكرنا) اى القران الذى انزلناه فلم يتله ولم يتدبر معانيه (ولم يرد) أى فى وقت من الاوقات (الا الحيوة الدنيا) اى الحاضرة لتقيده بالمحسوسات كالبهائم مع العمى عن دناءتها وحقارتها قال الجلال المحلى وهذا قبل الامر بالجهاد قال الرازى وأكثر المفسرين يقولون بأن كل ما فى القرآن من قوله تعالى فاعرض منسوخ بآية القتال وهو باطل لان الامر بالاعراض موافق لآية القتال فكيف ينسخ بها وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم فى الاول كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم أمر بازالة شبههم والجواب عن أباطيلهم وقيل له وجادلهم بالتى هى أحسن ثم لما لم ينفع قال له ربه اعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به ولا يتبعون الحق وقاتلهم والاعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها (ذلك) أى الامر المتناهى فى الجهل والقباحة (مبلغهم) أى نهاية بلوغهم وموضع بلوغهم والحاصل

الانسان من صلصال كالفخار) أى من طين يابس لم يطبخ له صلصلة أى

لهم وتهكم بهم بقوله تعالى (من العلم) أى غايتهم من العلم انهم آثروا الدنيا على الآخرة والجملة اعتراض مقرر لقصور همتهم على الدنيا وقوله تعالى (ان ربك) أى المحسن اليك بالرسالة (هو أعلم) أى عالم (بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى ظاهرا او باطنا تعليل للامر بالاعراض أى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك فى دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت لان النبى صلى الله عليه وسلم كان كالطبيب للقلوب فأتى على ترتيب الاطباء فى أن المرض اذا أمكن اصلاحه بالغذاء لا يستعملون الدواء وما أمكن اصلاحه بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوى ثم اذا عجزوا عن المداواة بالمشروبات وغيرها عدلوا الى الحديد والكى كما قيل آخر الدواء الكى فالنبى صلى الله عليه وسلم أولا أمر القلوب بذكر الله تعالى فقط فان بذكر الله تطمئن القلوب كما أن بالغذاء تطمئن النفوس والذكر غذاء القلوب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أولا قولوا لا اله الا الله أمر بالذكر فانتفع مثل ابى بكر ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل وقال أولم يتفكروا قل انظروا أفلا ينظرون الى غير ذلك فلما لم ينتفعوا أتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح (فان قيل) ان الله تعالى بين أن غايتهم ذلك فى العلم ولا يكلف الله تعالى نفسا الا وسعها والمجنون الذى لا علم له أو الصبى الذى لا يؤمر بما فوق احتماله فكيف يعاقبهم الله تعالى (أجيب) بأنه ذكر قبل ذلك أنهم تولوا عن ذكر الله فكان عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وانما قدر الله تعالى توليهم ليضاف الجهل الى ذلك فيتحقق العقاب (ولله) أى الملك الاعظم وحده (ما فى السموات وما فى الارض) أى من الذوات والمعانى فيشمل ذلك السموات والارض معترض بين الآية الاولى وبين قوله تعالى (ليجزى الذين أساؤا) أى بالضلال (بما عملوا) أى بسببه أو بجنسه اما بواسطتك بسيوفك وبسيوف اتباعك اذا أذنت لكم فى القتال واما بغير ذلك بالموت حتف الانف تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم ثم بعذاب الآخرة على جميع ذنوبهم من غير أن يكون عجل لهم فى الدنيا شئ ينقص بسببه عذاب الآخرة *(تنبيه)* اللام فى ليجزى يجوز أن تتعلق بقوله تعالى بمن ضل وبمن اهتدى واللام للصيرورة أى عاقبة أمرهم جميعا للجزاء بما عملوا قال معناه الزمخشرى وأن تتعلق بما دل عليه قوله تعالى أعلم بمن ضل اى حفظ ذلك ليجزى قاله ابو البقاء (ويجزى) اى ويثيب ويكرم (الذين أحسنوا) اى على ثباتهم على الدين وصبرهم عليه وعلى أذى أعدائهم (بالحسنى) اى بالمثوبة الحسنى وهى الجنة وبين المحسنين بقوله تعالى (الذين يجتنبون) اى يكلفون أنفسهم ويجهدونها على أن يتركوا (كبائر الاثم) اى ما عظم الشارع اثمه بمد تحريمه بالوعيد والحد وقرأ حمزة والكسائى بكسر الباء الموحدة وبعدها ياء ساكنة والباقون بفتح الموحدة وبعدها ألف وبعد الالف همزة مكسورة وعطف على كبائر قوله تعالى (والفواحش) والفاحشة من الكبائر ما كرهه الطبع وانكره العقل واستخبثه الشرع والكبيرة صفة عائدة الى الكيفية وقوله تعالى (الا اللمم) فيه أوجه أحدها وهو المشهور أنه استثناء منقطع اى لكن اللمم لانه الصغائر فلم تندرج فيما قبلها ثانيها انه صفة والا بمعنى غير كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اى كبائر الاثم والفواحش غير اللمم ثالثها أنه متصل وهذا عند من يفسر اللمم بغير الصغائر قالوا ان

اللمم

قوله (فان قلت) صوت اذا نقر كيف قال ذلك هنا وقال فى الحجر من صلصال من حما

قوله والمجنون الخ كذا فى عدة نسخ والجيد ... ههههه

اللمم من الكبائر والفواحش قالوا ان معنى الآية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن ورواه عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم مادون الشرك قال السدى قال ابو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لايعاوده فذكرت ذلك لابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال لقد اعانك عليها ملك كريم وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال مارايت شيا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لامحالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك او يكذبه ولمسلم كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا يدرك ذلك لامحالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه النطق واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه *(تنبيه)* ذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصى الى كبائر وصغائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة وقد اختلف في ضبط الكبيرة بالحد فقال جمع هي ماالحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة وقال جمع هي المعصية الموجبة للحد والاول أوجه لانهم عدوا الربا وأكل مال اليتيم وشهادة الزور ونحوها من الكبائر ولاحد فيها وقال امام الحرمين هي كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين وأما تعريفها بالعد فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هي الى السبعين أقرب وقال سعيد بن جبير هي الى السبعمائة أقرب أى باعتبار أصناف أنواعها وما عدا المحدود من المعاصى فمن الصغائر ولا بأس بذكر شئ من النوعين فمن الاول تقديم الصلاة أو تأخيرها عن وقتها بلا عذر ومنع الزكاة وترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع القدرة ونسيان القرآن واليأس من رحمة الله تعالى وأمن مكر الله تعالى وقتل النفس عمدا أو شبه عمد والفرار من الزحف وأكل الربا وأكل مال اليتيم والافطار في رمضان من غير عذر وعقوق الوالدين والزنا واللواط وشهادة الزور وشرب الخمر وان قل والسرقة والغصب وقيده جماعة بما يبلغ ربع مثقال كما يقطع به في السرقة وكتمان الشهادة بلا عذر وضرب المسلم بغير حق وقطع الرحم والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمدا وسب الصحابة وأخذ الرشوة والسحر والنميمة واما الغيبة فان كانت في أهل العلم وحملة القرآن فهى كبيرة والا فصغيرة ومن الصغائر النظر المحرم وكذب لاحد فيه ولاضرر والاشراف على سوآت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والضحك في الصلاة المفروضة والنياحة وشق الجيب في المصيبة والتبختر في المشى والجلوس بين الفساق ايناسا لهم وادخال مجانين وصبيان ونجاسة يغلب تنجيسهم المسجد واستعمال نجاسة في بدن أو ثوب لغير حاجة والاصرار على صغيرة من نوع أو أنواع يصيرها كبيرة الا أن تغلب طاعاته معاصيه كما أوضحت ذلك في شرح المنهاج وغيره (ان ربك) أى المحسن اليك بارسالك رحمة للعالمين والتخفيف عن أمتك (واسع المغفرة) يغفر الصغائر باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة وله ان يغفر ماشاء من الذنوب ماعدا الشرك صغيرها وكبيرها كما قال تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء بخلاف غيره من الملوك فانه لايغفر لمن تكررت ذنوبه اليهم وان

مسنون أى من طين أسود متغير وقال في الصافات من طين لازب أى لازم يلصق

صغرت قال البيضاوى ولعله عقب به وعيد المسيئين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى اهـ ونزل فيمن كان يقول صلاتنا صيامنا حجنا (هو أعلم بكم) أى بذواتكم وأحوالكم منكم بأنفسكم (اذ) أى حين (أنشأكم من الارض) أى التى طبعها طبع الموت البرد واليبس بانشاء أبيكم آدم عليه السلام منها وتهيئتكم للتكوين بعد ان لم يكن فيكم وأنتم تراب قابلية للحياة بقوة قريبة ولا بعيدة أصلا فميز التراب الذى يصلح لتكوينكم منه والذى لا يصلح (واذ) أى وحين (أنتم أجنة) أى مستورون (فى بطون أمهاتكم) فهو يعلم اذ ذاك ما أنتم صائرون اليه من خير وشر وان علمتم مدة من العمر بخلافه لانه يعلم ما جبلكم عليه من ذلك وقرأ حمزة والكسائى فى الوصل بكسر الهمزة والباقون بضمها وكسر حمزة الميم وفتحها الباقون وأما فى الابتداء بالهمزة فالجميع بضمها (فلا تزكوا) أى تمدحوا بالزكاة وهى البركة والطهارة عن الدناءة (أنفسكم) أى حقيقة بأن يثنى الانسان على نفسه فان تزكيته لنفسه قال القشيرى من علامات كونه محجوبا عن الله تعالى أى من مدح نفسه على سبيل الاعجاب أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن أو مجازا بأن يثنى على غيره من اخوانه وانه كثيرا ما يثنى بشئ فيظهر خلافه وربما حصل له الاذى بسببه وان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا باع أو ذراع الحديث ولذلك علل بقوله تعالى (هو أعلم) أى منكم ومن جميع الخلق (بمن اتقى) أى فانه يعلم المتقى وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب أبيكم آدم عليه السلام فمن جاهد نفسه حتى حصل منه تقوى فهو يوصله فوق ما يؤمل من الثواب فى الدارين فكيف بمن صارت له التقوى وصفا ثابتا * ولما بين جهل المشركين فى عبادة الاصنام ذكر واحدا منهم بسوء فعله فقال تعالى (أفرأيت الذى تولى) أى عن اتباع الحق والثبات عليه قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال انى خشيت عذاب الله تعالى فضمن الذى عاتبه ان هو أعطاه كذا من ماله ورجع الى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك وأعطى الذى عيره بعض ذلك الذى ضمن ومنعه تمامه فانزل الله تعالى أفرأيت الذى تولى اى ادبر عن الايمان (واعطى قليلا) اى من المال المسمى (واكدى) اى منع الباقى مأخوذ من الكدية ارض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر اذا وصل اليها من الحفر فاكدى اصله من اكدى الحافر اذا حفر شيأ فصادف كدية منعته من الحفر ومثله اجبل اذا صادف جبلا منعه من الحفر وكديت اصابعه كلت من الحفر ثم استعمل فى كل من طلب شيأ فلم يصل اليه اولم يتمه ولمن طلب شيأ ولم يبلغ آخره قال الحطيئة

واعطى قليلا ثم اكدى عطاءه * ومن يبذل المعروف فى الناس يحمد

وقال السدى نزلت فى العاصى بن وائل السهمى وذلك انه ربما وافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وقال محمد بن كعب القرظى نزلت فى ابى جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى اى لم يؤمن به ومعنى اكدى قطع وروى ان عثمان رضى الله تعالى عنه كان يعطى ماله فى الخير فقال له عبد الله بن سعد بن ابى

بالمد وقال فى آل عمران كمثل آدم خلقه من تراب (قلت) الآيات كلها

سرح وهو أخوه من الرضاعة وشك أن لا يبق لنا شئ فقال عثمان ان لى ذنوبا وخطايا وانى أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه فقال عبد الله أعطنى ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فنزلت وقوله تعالى (أعنده علم الغيب) أى ما غاب هو المفعول الثانى لرأيت بمعنى أخبرنى والمفعول الاول محذوف اختصارا لا أعطى (فهو) أى فتسبب عن ذلك أنه (يرى) أى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ذنوبه (ام) أى بل (لم ينبأ) اى يخبر اخبارا عظيما مستتابعا (بما فى صحف موسى) اى التوراة المنسوبة اليه بانزالها عليه وكذا ما تبعها من أسفار الانبياء الذين جاؤا بعده بتقريرها وقدم صحف موسى عليه السلام على قوله (وابراهيم) أى وصحفه لان كتاب موسى عليه السلام أعظم كتاب بعد القرآن مع انه موجود بين الناس تمكن مراجعته ثم مدح ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى (الذى وفى) أى اتم ما أمر به من ذلك تبليغ الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة وقيامه بأضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشى فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه أكرمه والانوى الصوم وعن الحسن ما أمره الله تعالى بشئ الا وفى به وصبر على ما امتحن به وما قلق شيأ من قلق وصبر على حر ذبح الولد وعلى حر النار ولم يستعن بمخلوق بل قال لجبريل عليه السلام لما قال له ألك حاجة قال أما اليك فلا وقال الضحاك وفى المناسك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ابراهيم الذى وفى أربع ركعات من أول النهار وهى صلاة الضحى وروى الا أخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا أصبح وأمسى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهى ثلاثون عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين وعشرة فى المؤمنون قد أفلح المؤمنون وخص هذين النبيين لان الموعودين من بنى اسرائيل اليهود والنصارى يدعون متابعة موسى عليه السلام ومن العرب يدعون متابعة ابراهيم عليه السلام ومن عداهم لا تمسك لهم ولا سلف فى نبوة محققة ولا شريعة محفوظة وقرأ هشام بفتح الهاء وألف بعدها والباقون بكسر الهاء وياء بعدها ثم فسر تعالى الذى فى الصحف واستأنف بقوله تعالى (أن لا تزر) أى تأثم وتحمل (وازرة) أى نفس بلغت مبلغا تكون فيه حاملة لوزر (وزر أخرى) أى حملها الثقيل من الاثم وفى هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة أن يحمل عنه الاثم وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانوا قبل ابراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره وكان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وعمه وخاله وامرأته والعبد بسيده حتى جاءهم ابراهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله عز وجل أن لا تزر وازرة وزر أخرى ولما نفى أن يضره اثم غيره نفى ان ينفعه سعى غيره بقوله تعالى (وان ليس للانسان) كائنا من كان (الا ما سعى) فلا بد ان يعلم الحق فى اى جهة فيسعى فيه ودعاء المؤمنين للمؤمن من سعيه بموادنه ولو بموافقته لهم فى الدين فقط وكذا الحج عنه والصدقة ونحوها واما الولد فواضح فى ذلك واما ما كان بسبب العلم والصدقة ونحوها فكذلك وتعصية النبى صلى الله عليه وسلم عن أمته اصل كبير فى ذلك فان من تبعه فقد زاده وهو أصل فى التصدق عن الغير واهداء ماله من الثواب فى القراءة ونحوها اليه وقال ابن عباس رضى الله عنهما هذا منسوخ الحكم فى هذه الشريعة اى وانما هو فى صحف موسى

منفقة المسنى لانه تعالى خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم

وابراهيم عليهما السلام بقوله ألحقنا بهم ذرياتهم فأدخل الابناء الجنة بصلاح الآباء وقال عكرمة ان ذلك لقوم موسى وابراهيم عليهما السلام وأما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى ان امرأة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج فقال نعم ولك أجر وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان أمي افتلتت نفسها فهل لها أجر ان تصدقت عنها قال نعم قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية من اعتقد أن الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير ثانيها ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها ثم لاهل الكبائر في الخروج من النار وهذا انتفاع بعمل الغير ثالثها ان كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير رابعها أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض وذلك منفعة بعمل الغير خامسها ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم سادسها ان أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير سابعها قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان أبوهما صالحا فانتفعا بصلاح أبيهما وليس هو من سعيهما ثامنها ان الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو من عمل الغير تاسعها ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير عاشرها ان الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير حادي عشرها ان المدين الذي امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب وانتفع بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم وبردت جلدته بقضاء دينه وهو من عمل الغير ثاني عشرها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير ثالث عشرها أن الانسان تبرأ ذمته من ديون الخلق اذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير رابع عشرها ان من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل الغير خامس عشرها ان الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الاثر وهذا انتفاع بعمل الغير سادس عشرها ان جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره سابع عشرها الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره ثامن عشرها ان الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض تاسع عشرها ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وقال تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فقد دفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير عشروها ان صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل فينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له حادي عشريها ان الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فكيف يجوز أن تتأول الآية على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة والمراد بالانسان العموم وقال الربيع بن أنس ليس للانسان يعني

الا (قوله رب المشرقين ورب المغربين) * ان قلت
م كرر ذكر الرب هنا دون

الكافر وأما المؤمن فله ماسعى وماسعى له وقيل ليس للكافر من الخير الا ما عمله يثاب عليه فى الدنيا حتى لايبقى له فى الآخرة خير وروى ان عبد الله بن ابى كان أعطى العباس قميصا ألبسه اياه فلما مات أرسل النبى صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم تبق له حسنة فى الآخرة يثاب عليها (وان سعيه) أى من خير وشر (سوف يرى) أى فى ميزانه من غير شك يوم القيامة وعد لاخلف فيه وان طال المدى من أريته الشئ اى يعرض عليه ويكشف له (فان قيل) العمل كيف يرى بعد وجوده ومضيه (أجيب) بانه يرى على صورة جميلة ان كان العمل صالحا قال الرازى وذلك على مذهبنا غير بعيد فان كل موجود يرى والله تعالى قادر على اعادة كل ماعدم فيعيد الفعل فيرى وفيه بشارة للموحد وذلك ان الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما (ثم يجزاه) أى السعى (الجزاء الاوفى) أى الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء سعيه بالجزاء الاوفى يقال جزيت فلانا سعيه وبسعيه قال الرازى الجزاء الاوفى يليق بالمؤمنين الصالحين لان جزاء الطالح وافر قال تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وذلك ان جهنم ضررها اكثر من نفع الآثام فهى فى نفسها أوفر (وان الى ربك) أى المحسن اليك لا الى غيره (المنتهى) أى الانتهاء برجوع الخلائق ومصيرهم اليه فيجازيهم باعمالهم وقيل منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال وروى أبو هريرة مرفوعا تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فان الله تعالى لايحيط به الفكر وفى رواية لا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره قال القرطبى ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله تعالى ولقد أحسن من قال

ولا تفكرن فى ذى العلا عز وجهه ● فانك تردى ان فعلت وتخذل

ودونك مخلوقاته فاعتبر بها ● وقل مثل ماقال الخليل المبجل

وقيل المراد من الآية التوحيد وفى الخاطب وجهان أحدهما انه عام تقديره الى ربك أيها السامع او العاقل والثانى انه خطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم فعلى الاول يكون تهديدا وعلى الثانى يكون تسلية لقلب النبى صلى الله عليه وسلم فعلى الاول تكون اللام فى المنتهى للعهد الموعود فى القرآن وعلى الثانى تكون للعموم أى الى ربك كل منتهى وقوله تعالى (وانه هو) اى لاغيره (أضحك وأبكى) يدل على ان كل مايعمله الانسان فبقضاء الله تعالى وخلقه حتى الضحك والبكاء وروى انه صلى الله عليه وسلم مر على قوم من أصحابه وهم يضحكون فقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لك وانه هو أضحك وأبكى أى قضى أسبابهما فرجع اليهم صلى الله عليه وسلم فقال ماخطوت أربعين خطوة حتى أتانى جبريل فقال ائت هؤلاء فقل لهم ان الله تعالى يقول هو أضحك وأبكى أى قضى أسباب الضحك والبكاء وقال بسام بن عبد الله أضحك أسنانهم وأبكى قلوبهم وأنشد يقول

السن تضحك والاحشاء تحترق ● وانما ضحكها زور ومختلق

سورتى المعارج والمزمل (ثلاث) كرره هنا تاكيدا وخص ماهنا بالتاكيد لانه

يارب باك بعـين لادموع لهـا * ورب ضاحك سن مابه رمق

وقال مجاهد والكلبي أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقال الضحاك أضحك الارض بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقال عطاء بن أبي مسلم يعني أفرح وأحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء وقيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكاء من سائر الحيوان وقيل القرد وحده يضحك ولا يبكي وان الابل وحدها تبكي ولا تضحك وقال يونس بن الحسين سئل طاهر المقدسي أتضحك الملائكة فقال ما ضحكوا ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم وعن عائشة قالت لا والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ان الميت يعذب ببكاء أحد ولكنه قال ان الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذابا وان الله تعالى هو أضحك وأبكى *(تنبيه)* قوله تعالى وأنه هو أضحك وأبكى وما بعده يسميه البيانيون الطباق المتضاد وهو نوع من البديع وهو أن يذكر ضدان أو نقيضان أو متنافيان بوجه من الوجوه وأضحك وأبكى لا مفعول لهما في هذا الموضع لانهما مسوقان لقدرة الله تعالى لا لبيان المقدور فلا حاجة الى المفعول كقول القائل فلان بيده الاخذ والعطاء يعطي ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى واختيار هذين الوصفين المذكورين لانهما أمران لا يعللان فلا يقدر أحد من الطبائعيين يبين لاختصاص الانسان بالضحك والبكاء وجها ولا سببا واذا لم يعلل بامر فلا بد له من موجد وهو الله تعالى بخلاف الصحة والسقم فانهم يقولون سببهما اختلال المزاج وخروجه عن الاعتدال ومما يدل على ذلك انهم اذا عللوا الضحك قالوا لقوة التعجب وهو باطل لان الانسان ربما بهت عند رؤية الامور العجيبة ولا يضحك وقيل لقوة الفرح وليس كذلك لان الانسان قد يبكي لقوة الفرح كما قال بعضهم

هجم السرور علي حتى انه * من عظم ما قد سرني أبكاني

(وانه هو) أي لا غيره (أمات وأحيى) وان رأيتم أسبابا ظاهرة فانها لا عبرة بها في نفس الامر بل هو الذي خلقها أي أمات في الدنيا وأحيا في البعث وقال القرطبي قضى أسباب الموت والحياة وقيل أمات الآباء وأحيا الابناء وقيل أمات الكافر بالكفر وأحيا المؤمن بالايمان (وانه خلق الزوجين) ثم فسرهما بقوله تعالى (الذكر والانثى) فانه لو كان ذلك في يد غيره لمنع البنات لانها مكروهة لغالب الناس وقوله تعالى (من نطفة اذا تمنى) أي تصب يشمل سائر الحيوانات لان ذلك مختص بآدم وحواء عليهما السلام لانهما ما خلقا من نطفة وهذا أيضا تنبيه على كمال القدرة لان النطفة جسم متناسب الاجزاء ويخلق الله تعالى منها أعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق الذكر والانثى منها أعجب ما يكون ولهذا لم يقدر أحد على أن يدعي خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى وأنه خلق ولم يقل وانه هو خلق كما قال تعالى وانه هو أضحك وأبكى (أجيب) بان الضحك والبكاء ربما يتوهم انهما بفعل الانسان والاماتة والاحياء وان كان ذلك التوهم أبعد فيهما لكن ربما يقول به جاهل كما قال من حاج ابراهيم عليه السلام انا أحيي وأميت فأكد ذلك بالفصل وأما خلق الذكر

والانثى

موضع الامتنان وتعديد النعم ولان الخطاب فيه مع جنسين هما الانس والجن

والانثى من النطفة فلا يتوهم احد انه يخلق أحد من الناس فلم يؤكد بالفصل الاترى الى قوله تعالى وانه هو أغنى واقنى حيث كان الاغناء عندهم غير مستند الى الله تعالى وكان فى معتقدهم أن ذلك بفعلهم كما قال قارون انما أوتيته على علم عندى ولذلك قال هو رب الشعرى فأكد فى مواضع استبعادهم الى الاسناد ولم يؤكد فى غيره (وأن عليه) أى خاصة به علما وقدرة (النشأة) أى الحياة (الاخرى) للبعث يوم القيام بعد الحياة الاولى (فان قيل) الاعادة لا تجب على الله تعالى فما معنى عليه (أجيب) بانه عليه بحكم الوعد فانه قال انا نحن نحيى الموتى فعليه بحكم الوعد لا بالعقل ولا بالشرع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الشين وبعدها ألف ممدودة قبل الهمزة والباقون بسكون الشين وبعدها الهمزة المفتوحة واذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة الى الشين (وانه هو) أى وحده من غير نظر الى سعى ساع ولا غيره (أغنى) قال ابو صالح أغنى الناس بالاموال (واقنى) اعطى القنية وأصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقال الضحاك أغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال وأقنى بالابل والبقر والغنم وقال الحسن وقتادة اخدم وقال ابن عباس أغنى وأقنى أعطى فأرضى وقال مجاهد ومقاتل اقنى أرضى بما أعطى وقنع قال الراغب وتحقيقه انه جعل له قنية من الرضا وقال سليمان التيمى أغنى نفسه وأفقر خلقه اليه وقال ابن زيد أغنى أكثر وأقنى أقل وقرأ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال الاخفش أقنى أفقر وقال ابن كيسان أولد وقال الزمخشرى أقنى أعطى القنية وهى المال الذى تأثلته وعزمت على أن لا يخرج من يدك *(تنبيه)* حذف مفعولا أغنى وأقنى لان المراد نسبة هذين الفعلين اليه وكذلك باقيها وألف أقنى منقلبة عن ياء لانه من القنية قال الشاعر * الان بعد العدم للمرء قنية * ويقال قنيت كذا واقنيته قال الشاعر

* قنيت حيائى عفة وتكرما *

(وانه هو) أى لا غيره (رب الشعرى) أى رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى وأول من سن ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهى مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة وحمير وأبو كبشة أحد أجداد النبى صلى الله عليه وسلم من قبل أمهاته وبذلك كان مشركو قريش يسمون النبى صلى الله عليه وسلم بابن أبى كبشة حين دعا الى الله تعالى وخالف أديانهم تشبيها بذلك الرجل فى أنه أحدث دينا غير دينهم والشعرى فى لسان العرب كوكبان تسمى أحدهما الشعرى العبور وهى المراد فى الآية الكريمة وهى تطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر ويقال لها مرزم الجوزاء وتسمى كلب الجبار أيضا وتسمى الشعرى اليمانية والثانية الشعرى الغميصاء وهى التى فى الذراع والمجرة بينهما وتسمى الشامية وسبب تسميتها بالغميصاء على ما زعمه العرب انهما كانا أختين أو زوجتين لسهيل فانحدر سهيل الى اليمن فاتبعته الشعرى العبور فعبرت المجرة فسميت العبور وأقامت الغميصاء تبكى حتى غمصت عينها ولذلك كانت أخفى من العبور وكان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها فى العالم (وانه أهلك عادا الاولى) وهم قوم هود عليه السلام هلكوا بريح صرصر والاخرى قوم صالح وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى أول الخلق هلاكا بعد قوم نوح

فلا فند بذلك قوله سنفرغ لكم أيه الثقلان) أى سنقصد لحسابكم فهو وعيد

وقرأ نافع وأبو عمرو بتشديد اللام بعد الدال المفتوحة نقلا وهمز قالون الواو بعد اللام همزة ساكنة والباقون بتنوين الدال وكسر التنوين وسكون اللام وبعدها همزة مضمومة فاذا اقرأ القارئ عادا الاولى لقالون وأبي عمرو فله في الوصل أي وصل عادا بالاولى وجه واحد وهو النقل المذكور وقالون على أصله بالهمزة كما ذكر فاذا وقف على عادا وابتدأ بالاولى فله الابتداء بهمزة الوصل وهو أولى وله أيضا الابتداء بغير همزة الوصل وهو لولى وقالون يهمز الواو في الوجهين الاولين ولم يهمز في الوجه الثالث الذي هو الاصل ووافقهما ورش في الاوجه المذكورة في الوصل والابتداء لا في الوجه الثالث الذي هو الاصل فانه ليس من مذهبه الا النقل (وثمودا) وهم قوم صالح أهلكهم الله تعالى بصيحة (فما أبقى) منهم أحدا وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين للدال في الوصل وسكون الدال في الوقف والباقون بالتنوين في الوصل والوقف على الالف (وقوم نوح) أي أهلكهم لاجل ظلمهم بالتكذيب (من قبل) اى قبل الفريقين (انهم) اى قوم نوح (كانوا) اى بما لهم من الاخلاق التي هي كالجبلات التي لا انفكاك عنها (هم) اى خاصة (أظلم) اى من الطائفتين المذكورتين (وأطغى) اى وأشد تجاوزا في الظلم وعلوا واسرافا في المعاصي وتجبرا وعتوا لتمادي دعوة نوح عليه السلام قريبا من ألف سنة ولانهم أطول أعمارا وأشد أبدانا وكانوا مع ذلك مل الارض روى ان الرجل منهم كان يأخذ بيد ابنه فينطلق به الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فانه كذاب وان أبي قد مشى بي الى هذا وقال لي ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية أبيه ولهذا قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى (والمؤتفكة) منصوب بقوله تعالى (أهوى) وقدم لاجل الفواصل والمراد بالمؤتفكة قرى قوم لوط رفعها الى عنان السماء على جناح جبريل عليه السلام ثم أهواها الى الارض أي أسقطها وأتبعها بحجارة النار الكبريتية وهو قوله تعالى (فغشاها) أي اتبعها ما غطاها فكان لها بمنزلة الغشاء وهوله بقوله تعالى (ما غشى) أي أمرا عظيما من الحجارة المنضودة المسومة وغيرها مما لا تسع العقول وصفه (فبأى آلاء) أي أنعم (ربك) أي المحسن اليك (تتمارى) اى تتشكك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى أي تكذب وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي تشك في اجالة الخواطر في فكرك في ارادة هداية جميع قومك بحيث لا تريد ان أحدا منهم يهلك وقد حكم ربك باهلاك كثير منهم لما اقتضته حكمته فكأن بعض خواطرك في تلك الاجالة يشكك بعضها بعضا (هذا) أي النبي صلى الله عليه وسلم (نذير) أي محذر بليغ التحذير (من النذر الاولى) أي من جنسهم أي رسول كالرسل قبله ارسل اليكم كما ارسلوا الى أقوامهم وقال تعالى الاولى على تأويل الجماعة أو هذا القرآن نذير من النذر الاولى اى انذار من جنس الانذارات الاولى التي أنذر بها من قبلكم (أزفت الآزفة) اى قربت الموصوفة بالقرب في قوله تعالى اقتربت الساعة وهو يوم القيامة (ليس لها من دون الله) أي من أدنى رتبة من رتبة الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما وقوله تعالى (كاشفة) يجوز أن يكون وصفا وأن يكون مصدرا فان كان وصفا احتمل أن يكون التأنيث لاجل انه وصف

وثم ايد لهم فالفراغ هنا بمعنى القصد للشئ لا بمعنى الفراغ منه اذ معنى الفراغ

المؤنث محذوف تقديره نفس كاشفة أو حال كاشفة أي مبينة متى تقوم كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو أو ليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير انه تعالى لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وان كانت مصدرا فهي بمعنى الكشف كالعافية والمعنى ليس لها من دون الله كشف اى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره (أفمن هذا الحديث) قال أكثر المفسرين المراد بالحديث القرآن العظيم الذي يأتي على سبيل التجدد بحسب الوقائع والحاجات (تعجبون) انكارا وهو في غاية ما يكون من ترقيق القلوب وقرأ أبو عمرو بادغام المثلثة في التاء المثناة بخلاف عنه (وتضحكون) اى استهزاء من هذا الحديث وتجددون ذلك في كل وقت (ولا تبكون) اى كما هو حق من يسمعه لما فيه من الوعد والوعيد وغير ذلك وقال الرازي يحتمل أن يكون ذلك اشارة الى حديث ازفت الآزفة فانهم كانوا يتعجبون من حشر الاجساد والعظام البالية وقوله تعالى (وأنتم سامدون) جملة مستأنفة أخبر الله تعالى عنهم بذلك ويحتمل أن تكون حالا اى انتفى عنكم البكاء في حال كونكم سامدين واختلف في معنى السمود فقيل هو الاعراض والغفلة عن الشئ أي وأنتم معرضون غافلون عما يطلب منكم وقيل هو اللهو يقال دع عنا سمودك اى لهوك قاله الوالبي والعوفي عن ابن عباس وقال الشاعر

الا أيها الانسان انك سامد * كأنك لا تفنى ولا انت هالك

فهذا بمعنى لاه لاعب وقيل هو الجمود وقيل هو الاستكبار قال الشاعر

رمى الحدثان نسوة آل سعد * بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

فهذا بمعنى الجمود والخشوع وقال عكرمة وأبو عبيدة السمود الغناء بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدي لنا اى غني فكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وقال مجاهد أشرون وقال الضحاك غضاب تبرطمون وقال الراغب السامد اللاهي الرافع رأسه من قولهم بعير سامد في سيره وقال الحسن السامد الواقف للصلاة قبل وقوف الامام لما روي أنه صلى الله عليه وسلم خرج والناس ينتظرونه قياما فقال مالي أراكم سامدين وتسميد الارض ان يجعل فيها السماد وهو سرجين ورماد وقوله تعالى (فاسجدوا) اى اخضعوا خضوعا كثيرا بالسجود (لله) اى الملك الاعظم يحتمل أن يكون المراد به سجود التلاوة وأن يكون المراد به سجود الصلاة (واعبدوا) اى اشتغلوا بكل أنواع العبادة ولم يقل واعبدوا الله اما لكونه معلوما من قوله تعالى فاسجدوا لله واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله ويقوي الاحتمال الاول ما روى عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس وعن عبد الله بن مسعود قال أول سورة أنزلت فيها سجدة النجم قال فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا رجلا شيخا من قريش أخذ كفا من حصا أو تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف كما في بعض الروايات وروى زيد بن ثابت قال قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم والنجم فلم يسجد فيها وهذا يدل على ان سجود التلاوة غير واجب قال عمر بن

من الشئ بذل الجهود فيه
وهذا لا يقال في حقه
تعالى (قوله ولمن خاف مقام

الخطاب رضي الله عنه ان الله تعالى لم يكتبها علينا الا ان نشاء وهو قول الشافعي وأحمد رضي الله عنهما أي فهي مستحبة وذهب قوم الى وجوبها على القارئ والمستمع جميعا وهو قول سفيان الثوري واصحاب الرأي وذهب قوم الى انها في المفصل غير مستحبة وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والنجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به حديث موضوع

سورة القمر وتسمى اقتربت مكية

الا سيهزم الجمع ويولون الدبر الآيات وهي خمس وخمسون آية وثلثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا

(بسم الله) أي الذي أحاط علمه فتمت قدرته (الرحمن) الذي وسعت رحمته كل شيء فعمت الشقي والسعيد نعمته (الرحيم) الذي خص باتمام نعمته من اصطفاه فاسعدتهم رحمته (اقتربت الساعة) دنت القيامة وفي اول هذه السورة مناسبة لآخر ما قبلها وهو قوله تعالى ازفت الآزفة فكأنه أعاد ذلك مستدلا عليه بقوله تعالى ازفت الآزفة فهو حق اذ القمر انشق وقوله تعالى (وانشق القمر) ماض على حقيقته وهو قول عامة المسلمين الامن لا يلتفت الى قوله وقد صح في الاخبار ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وعن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وروى انس بن مالك ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وقال سنان عن قتادة فأراهم انشقاق القمر مرتين وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله لم ينشق بمكة وقال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وقيل انشق بمعنى سينشق يوم القيامة وأوقع الماضي موقع المستقبل وهو خلاف الاجماع وقيل انشق بمعنى انفلق عنه الظلام عند طلوعه كما يسمى الصبح فلقا وأنشد النابغة

فلما ادبروا ولهم دوي ٭ دعانا عند شق الصبح داعي

وانما ذكرت ذلك تنبيها على ضعفه وروى أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فسألوا السفار فسألوهم فقالوا انا قد رأيناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر (وان يروا) أي كفار قريش (آية) اي معجزة له صلى الله عليه وسلم كانشقاق القمر (يعرضوا) عنها (ويقولوا) هذا (سحر مستمر) أي ذاهب سوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشيء واستمر اذا ذهب مثل قولهم قر واستقر قاله مجاهد وقتادة وقال أبو العالية والضحاك مستمر أي قوي شديد من قولهم مر الحبل اذا صلب واشتد وأمررته اذا احكمت فتله واستمر الشيء اذا قوي واستحكم وقيل مستمر أي دائم فان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يأتي كل زمان بمعجزة قالوا هذا سحر مستمر دائم لا يختلف بالنسبة الى شيء بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على أمر وأمرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على الكل قاله الزمخشري ومنه قول الشاعر

(ويوم جئتان) أي ولمن خاف قيامه بين يدي ربه والمعنى لكل خائفين

ألا إنما الدنيا إليال وأعصر * وليس على شيء قديم بمستقر

وعن حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال ألا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر وقال أبو حيان سبب نزولها ان مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا بالايمان ان فعل ذلك وقال ليلة بدر أي ليلة اربعة عشر في الشهر فسأل ربه فانشق القمر فقالوا سحر مستمر ولم يؤمنوا (وكذبوا) بكون انشقاقه دالا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وجزموا بالتكذيب عنادا (واتبعوا) اي بمعالجة فطرهم الاولى المستقيمة في دعائهم الى التصديق (أهواءهم) في انه صلى الله عليه وسلم سحر القمر وانه خسوف في القمر وظهور شيء في جانب آخر من الجو يشبه نصف القمر وانه سحر أعيننا وان القمر لم يصبه شيء فهذه أهواؤهم قال القشيري اذا حصل اتباع الهوى فمن شؤمه يحصل التكذيب لان الله تعالى يلبس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر والرشد واتباع الرضا مقرون بالتصديق لان الله تعالى ببركات الاتباع للحق يفتح عين البصيرة فيأتي بالتصديق (وكل امر) اى من أموركم من الخير او الشر (مستقر) اى بأهله في الجنة أو النار وقال قتادة وكل امر مستقر فالخير مستقر باهل الخير والشر مستقر باهل الشر وقيل مستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعذاب وقيل كل امر مستقر في علم الله تعالى لا يخفى عليه شيء فهم كذبوا واتبعوا أهواءهم والانبياء صدقوا وبلغوا كقوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء (ولقد جاءهم) اى أهل مكة في القرآن قبل الانشقاق (من الانباء) اى أخبار اهلاك الامم الماضية المكذبة رسلهم لان الانباء الاخبار العظام التي لها وقع كقول الهدهد وجئتك من سبا بنبإ يقين لانه كان خبرا عظيما له وقع وخطر وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبإ اى بامر عظيم له خطر وانما يجب التثبت فيما يتعلق به حكم ويترتب عليه أمر ذو بال (ما فيه) خاصة (مزدجر) أي عما هم فيه من الباطل ولكن لم يزدجر منهم الا من أراد الله تعالى *(تنبيه)* المزدجر اسم مصدر أي ازدجار أو اسم مكان أي موضع ازدجار والدال بدل من تاء الافتعال وازدجرته وزجرته نهيته بغلظة وما موصولة أو موصوفة وقوله تعالى (حكمة) خبر مبتدا محذوف أو بدل من ما أو من مزدجر (بالغة) أي انها أعظم البلوغ الى انهى غايات الحكمة لصحتها ووضوحها فيها مع الزجر ترجية ومواعظ وأحكام ودقائق (فما تغن) أي تنفع (النذر) اى الانذارات والمنذرون والامور المنذر بها ومنها انما المغني بذلك هو الله تعالى فما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن قال البقاعي ولعل الاشارة باسقاط ياء تغني باجماع المصاحف من غير موجب في اللفظ الى انه كما سقطت غاية أحرف الكلمة سقطت ثمرة الانذار وهو القبول *(تنبيه)* يجوز في ما ان تكون استفهامية وتكون في محل نصب مفعولا مقدما أي اى شيء تغني النذر وأن تكون نافية اى لم تغن النذر شيأ والنذر جمع نذير والمراد به المصدر او اسم الفاعل ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد التعلق بطلب نجاتهم وهو لذلك ربما اشتهى اجابتهم الى مقترحاتهم تسبب عن ذلك قوله تعالى (فتول عنهم) أي كف نفسك الاعراض عن تمنى ذلك فما عليك الا البلاغ وأما الهداية فالى الله تعالى وحده *(تنبيه)* قال أكثر

من الفريقين جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى أو المعنى

المفسرين نسختها آية السيف وقال الرازي ان قول المفسرين في قوله تعالى فتول منسوخ ليس كذلك بل المراد منه لا تناظرهم بالكلام وقوله تعالى (يوم) منصوب باذكر أي واذكر يوم (يدع الداع) وقيل منصوب بيخرجون بعده والداعي معرف كالمنادي في قوله تعالى يوم ينادي المنادي لانه معلوم قد أخبر عنه فقيل ان مناديا ينادي وداعيا يدعو فقيل الداعي اسرافيل عليه السلام ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس قاله مقاتل وقيل جبريل عليه السلام وقيل ملك موكل بذلك والتعريف حينئذ لا يقطع حد العلمية ويكون كقولنا جاء رجل فقال الرجل قاله الرازي وقرأ نافع وابو عمرو بحذف الياء بعد العين وقفا واثباتها وصلا وابن كثير باثباتها وقفا ووصلا والباقون بحذفها وقفا ووصلا (الى شيء نكر) اي منكر فظيع لم ير مثله فينكرونه استعظاما (فان قيل) ماذلك الشيء المنكر (أجيب) بانه الحساب او الجمع له أو النشر للجمع (فان قيل) النشر لا يكون منكرا فانه احياء ولان الكافر من أين يعرف وقت النشر ما يجزى عليه لينكره (أجيب) بانه يعلم ذلك لقوله تعالى عنهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرأ ابن كثير بسكون الكاف والباقون بالرفع * ولما بين تعالى دعاءه بما هال أمره بين حال المدعوين زيادة في الهول فقال تعالى (خاشعا أبصارهم) اي ينظرون نظر الخاضع الذليل السافل المنزلة المستوحش الذي هو شر حال ونسب الخشوع الى الابصار لان الذل والعز يتبين في النظر والذل أن يرمي به صاحبه الى الارض مثلا مع هيبة يعرف منها ذلك كما قال تعالى خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بفتح الخاء وألف بعدها وكسر الشين والباقون بضم الخاء ولا ألف بعدها وفتح الشين مشددة اما القراءة الاولى فهي جارية على اللغة الفصحى من حيث ان الفعل وما يجري مجراه اذا قدم على الفاعل وحد تقول تخشع أبصارهم ولا تقول تخشعن أبصارهم وأما القراءة الثانية فجاءت على لغة طيء يقولون أكلوني البراغيث قال الزمخشري ويجوز أن يكون في خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه اه وتقدم نظير ذلك في قوله تعالى في الانبياء وأسروا النجوى الذين ظلموا وجملة خشعا أبصارهم حال من فاعل (يخرجون) اي الناس (من الاجداث) اي القبور (كأنهم جراد) اي في كثرتهم وتراكم بعضهم على بعض وصغارهم وضعفهم وتموجهم يقال في الجيش الكثير المائج بعضه فوق بعض جاؤا كالجراد وكالذباب (منتشر) اي منبث متفرق في كل مكان لكثرتهم لا يدرون أين يذهبون (مهطعين) اي مسرعين مادي أعناقهم (الى الداع) مصوبي رؤسهم اليه لا يلتفتون الى سواه كما يفعل من ينظر في ذل وخضوع وصمت واستكانة هذا حال الكل وأما الكافر فنبه عليه بقوله تعالى (يقول) أي على سبيل التكرار (الكافرون) أي الذين كانوا في الدنيا عريقين في ستر الادلة واظهار الاباطيل المضلة (هذا) أي الوقت الذي نحن فيه لما نرى فيه من الاهوال (يوم عسر) أي في غاية العسر والصعوبة والشدة وذلك بحسب حالهم فيه كما قال تعالى في سورة المدثر يوم عسير على الكافرين * ولما فرغ من حكاية كلام الكافرين ومن ذكر علامات الساعة أعاد ذكر بعض الانبياء فقال تعالى (كذبت) اي أوقعت التكذيب العظيم الذي عم به جميع

لكل خائف جنتان جنة لعقيدته وجنة لعمله أو جنة لفعل الطاعات

الرسالات وجميع الرسل (قبلهم) اى أهل مكة (قوم نوح) مع ما كان بهم من القوة ولهم من الانتشار فى جميع الاقطار وأنث فعلهم تحقيرا لهم ولتهوين الامر هم فى جنب قدرته تعالى (فان قيل) الحاق الضمير المؤنث بالفعل قبل ذكر الفاعل جائز وحسن بالاتفاق والحاق ضمير الجمع بالفعل قبيح عند أكثرهم فلا يجوزون كذبوا قوم نوح ويجوزون كذبت فما الفرق (أجاب) الرازى بان التأنيث انما جاز قبل الجمع لان الانوثة والذكورة للفاعل أمر لا يتبدل ولم تحصل الانوثة للفاعل بسبب فعله بخلاف الجمع لان الجمع للفاعلين بسبب فعلهم (فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام على ماله من العظمة بنسبته الينا مع قشر يفنا اياه بالرسالة (وقالوا) زيادة على التكذيب (مجنون) اى هذا الذى يصدر منه من الخوارق أمر من الجن (وازدجر) وهل هذا من مقوالهم اى قالوا انه ازدجر اى ازدجرته الجن وذهبت بلبه قاله مجاهد أو هو من كلام الله تعالى أخبر الله تعالى عنه بانه انتهر وازدجر بالسب وأنواع الاذى وقالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال الرازى وهذا أصح لان المقصود تقوية قلب النبى صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه وأيضا يترتب عليه قوله تعالى (فدعا ربه) وهذا الترتيب فى غاية الحسن لانهم لما زجروه وانزجر هو عن دعائهم دعا ربه الذى رباه بالاحسان اليه وبرسالته (أنى) اى بانى (مغلوب) اى من قومى كلهم بالقوة والمنعة لا بالحجة وأكده ابلاغا فى الشكاية واظهارا لذل العبودية لان الله تعالى عالم بسر العبد وجهره فما شرع الدعاء فى أصله الا لاظهار التذلل وكذا الابلاغ فيه وقال ابن عطية غلبتنى نفسى وحملتنى على الدعاء عليهم قال ابن عادل وهو ضعيف (فانتصر) اى أوقع نصرتى عليهم أنت وحدك على أبلغ وجه فانتقم لى منهم (ففتحنا) أى بسبب دعائه فتحا يليق بعظمتنا (أبواب السماء) أى كلها فى جميع الاقطار وعبر بجمع القلة عن جمع الكثرة والمراد من الفتح والابواب والسماء حقائقها فان للسماء أبوابا تفتح وتغلق وقيل هذا على سبيل الاستعارة فان الظاهر أن الماء كان من السحاب فهو كقول القائل فى المطر الوابل جرت ميازيب السماء وفى قوله تعالى ففتحنا بيان بان الله تعالى انتصر منهم وانتقم بماء لا بجند أنزله ومن العجب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم الله تعالى بمطلوبهم وقرأ ابن عامر بتشديد التاء بعد الفاء والباقون بالتخفيف وفى الباء فى قوله تعالى (بماء) وجهان أظهرهما انها للتعدية وذلك على المبالغة فى أنه جعل الماء كالآلة للفتح به كما تقول فتحت بالمفتاح والثانى أنها للحال أى ففتحناها ملتبسة بماء (منهمر) أى منصب بأبلغ ما يكون من السيلان والصب كثرة وعظما ولذلك لم يقل بمطر لانه خارج عن تلك العادة واستمر ذلك أربعين يوما (وفجرنا) أى صدعنا بما لنا من العظمة وشققنا وبعثنا وأسلنا (الارض عيونا) أى بجميع عيون الارض ولكنه عدل عنه للتهويل بالابهام ثم البيان وافادة أن وجه الارض صار كله عيونا وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائى بكسر العين والباقون بضمها (فالتقى الماء) أى المعهود وهو ماء السماء وماء الارض بسبب فعلنا هذا وزاد فى تعظيمه باداة الاستعلاء فقال تعالى (على أمر) أى حال (قد قدر) اى قضى أى فى الازل وهو هلاكهم غرقا بماء مقدر لا يزيد قطرة ولا يهلك غير من أمرنا باهلاكهم (وحملناه) اى نوحا عليه السلام تتميما لانتصاره (على ذات) اى سفينة صاحبة (ألواح) اى أخشاب

وجنسة الترك العاصى أو جنسة يثاب بها وجنسة يتفضل بها عليه أو المراد

تجرت حتى صارت عريضة (ودسر) جمع دسار ككتاب وهو ما تشد به السفينة من مسمار وحديد او خشب او من خيوط الليف ونحوها قال البقاعي ولعله عبر عن السفينة بما شرحها تنبيها على قدرته على ما يريد (تجرى) اى السفينة (باعيننا) اى محفوظة من أن تدخل بحر الظلمات او يأتى عليها غير ذلك من الآفات بحفظنا على ما لنا من العظمة حفظ من ينظر الشئ باعين كثيرة ولا يغيب عنه أصلا وجوزوا أن يكون جمع تكسير لعين الماء وقوله تعالى (جزاء) منصوب بفعل مقدر اى أغرقوا انتصارا (لمن كان كفر) وهو نوح عليه الصلاة والسلام او البارى تعالى (ولقد تركناها) اى أبقيناها هذه الفعلة العظيمة من جرى السفينة على هذا الوجه وابقائنا نوحا ومن معه على ما لنا من العظمة وقيل تلك السفينة بعينها بقيت على الجودى حتى أدرك بقاياها أول هذه الامة (آية) اى علامة عظيمة على ما لنا من العلم المحيط والقدرة التامة (فهل من مدكر) اى معتبر ومتعظ بها وأصله مذتكر أبدلت التاء دالا مهملة وكذا المعجمة وأدغمت فيها وقوله تعالى (فكيف كان) اى وجد وتحقق (عذابى) اى لمن كفر وكذب رسلى (ونذر) اى انذارى استفهام تقرير فكيف خبر كان وهى للسؤال عن الحال والمعنى حمل المخاطبين على الاقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه وقرأ ورش باثبات الياء بعد الراء وصلا لا وقفا جميع ما فى هذه السورة والباقون بغير ياء وقفا ووصلا قال البقاعى ولما كان هذا المفصل مما أنزل أول القرآن تيسيرا على الامة نبه على ذلك بقوله تعالى (ولقد يسرنا) أى على ما لنا من العظمة (القرآن) أى على ما له من الجمع والفرق والعظمة المناسبة لكونه وصفا لنا (للذكر) أى الاتعاظ والتذكر والتدبر والفهم والتشريف والحفظ لمن يراعيه قال ابن برجان أنزلناه باللسان العربى ونزلناه للافهام تنزيلا وضربنا لهم الامثال وأطلنا لهم فى هذه الاعمار ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم وقال القشيرى يسر قراءته على ألسنة قوم وعلمه على قلوب قوم وفهمه على قلوب قوم وحفظه على قلوب قوم وكلهم أهل القرآن وخاصته وليس يحفظ من كتب الله تعالى عن ظهر قلب غيره قاله المحلى (فهل من مدكر) أى معتبر ومتعظ بها وتقدم أصله ولما انقضت قصة نوح عليه السلام على هذا الهول العظيم ذكر قصة عاد لانها أعظم قصة جرت بعد قوم نوح فيما تعرفه العرب بقوله تعالى (كذبت عاد) اى أوقعت التكذيب العام المطلق الذى أوجب تكذيبهم برسولهم هود عليه الصلاة والسلام فى دعائه لهم الى الحق وانذاره عذابى (فكيف) اى فعلى اى الاحوال لاجل تكذيبهم (كان عذابى) لهم (ونذر) أى وانذارى اياهم بلسان رسولى قبل نزوله أى وقع موقعه (فان قيل) لم لم يقل فكذبوا هودا كما قال تعالى فى قصة نوح فكذبوا عبدنا (أجيب) بان تكذيب قوم نوح أبلغ لطول مقامه فيهم وكثرة عنادهم واما الآن قصة عاد ذكرت مختصرة ثم بين عذابهم بقوله تعالى (انا أرسلنا) أى بما لنا من العظمة (عليهم ريحا) وعبر بحرف الاستعلاء اعلاما بالنقمة ثم وصف الريح بقوله تعالى (صرصرا) أى شديدة الصوت من صرصر الباب أو القلم اذا صوت وقيل الشديدة البرد من الصر وهو البرد وقال مكى أصله صرر من صر الشئ اذا صوت لكن أبدلوا من الراء المشددة صادا وهذا قول الكوفيين وقال الرازى الصرصر الدائمة الهبوب من أصر على الشئ اذا دام وثبت وأكد شؤمها بذم زمانها

(قوله فيهن قاصرات ... بالجنتين جنة واحدة وانما ثنى مراعاة للفواصل

فقال تعالى (في يوم نحس) اى شديد القباحة قيل كان ذلك يوم الاربعاء فى آخر الشهر وهو شوال لثمان بقين منه واستمر الى غروب شمس الاربعاء آخره فانه قال تعالى فى سورة الحاقة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وقال تعالى فى حم السجدة فى أيام نحسات فالمراد باليوم هنا لوقت والزمان وقوله تعالى (مستمر) أى دائم الشؤم الى وقت نفاذ المراد منه يفيد ما تفيده الايام لان الاستمرار ينبئ عن امتداد الزمان كما تنبئ عنه الايام والحكاية مذكورة هنا على سبيل الاختصار فذكر الزمان ولم يذكر مقداره على سبيل الايجاز فاستقر عليهم بنحوسه ولم يبق منهم أحدا الا أهلكه هذا وصفها فى ذاتها وأما وصفها بفعلها فيهم فذكره بقوله تعالى (تنزع) أى تأخذ (الناس) أى الذين هم صور لا ثبات لهم بارواح التقوى من الارض بعضهم من وجهها وبعضهم من حفر حفروها ليمتنعوا بها من العذاب فتطيرهم بين السماء والارض كانهم الهباء المنثور فتقلع رؤسهم من جثثهم وقوله تعالى (كأنهم) أى حين ينزعون فيلقون لا أرواح فيهم (أعجاز نخل) أى أصول نخل قطعت رؤسها حال من الناس مقدرة وقوله (منقعر) صفة لنخل باعتبار الجنس وأنث فى الحاقة فقال نخل خاوية باعتبار معنى الجماعة قال ابن عادل وانما ذكر هنا وأنث هناك مراعاة للفواصل فى الموضعين وقال الرازى ذكر الله تعالى لفظ النخل فى مواضع ثلاثة ووصفها على الاوجه الثلاثة فقال تعالى والنخل باسقات وذلك حال عنها وهى كالوصف وقال تعالى نخل خاوية ونخل منقعر فحيث قال منقعر كان المختار ذلك لان المنقعر فى حقيقة الامر كالمفعول لانه ورد عليه القعر فهو مقعور والخاوى والباسق فاعل واخلاء المفعول من علامة التأنيث أولى تقول امرأة قتيل وأما الباسقات فهى فاعلات حقيقة لان البسوق أمر قائم بها وأما الخاوية فهى من باب حسن الوجه لان الخاوى موضعها فكانه قال نخل خاوية المواضع وهذا غاية الاعجاز حيث أتى بلفظ مناسب للالفاظ السابقة واللاحقة من حيث اللفظ * (تنبيه) * الاعجاز جمع عجز وهو مؤخر الشئ ومنه العجز لانه يؤدى الى تأخر الامور والمنقعر المنقلع من أصله يقال قعرت النخلة قلعتها من أصلها فانقعرت وقعرت البئر وصلت الى قعرها وقعرت الاناء شربت ما فيه حتى وصلت الى قعره وكرر قوله تعالى (فكيف كان عذابى ونذر) للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال أيضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وتقدم تفسير قوله تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وكرره ايذانا بان تفسير القرآن مع اعجازه لا يكون الا بعظمة تدوخ قوى البشر وتعجز عنها منهم القدر ولما انقضت قصة عاد ذكر تعالى قصة ثمود لانهم تلو قصة عاد فى الفظاعة فقال تعالى (كذبت ثمود) أى قوم صالح عليه السلام وقوله تعالى (بالنذر) جمع نذير بمعنى منذر اى بالانذارات التى أنذرهم بها نبيهم صالح عليه السلام ان لم يؤمنوا به ثم علل ذلك وعقبه بقوله تعالى (فقالوا) منكرين لما جاءهم من الله تعالى غاية الانكار (أبشرا) انكارا لرسالة هذا النوع ليكون انكارا لنبوة نبيهم على ابلغ الوجوه وهو منصوب بفعل يفسره تبعه الآتى وقولهم (منا) نعت له اى فلا فضل له علينا فاوجه اختصاصه بذلك من بيننا وقولهم (واحدا) نعت له أيضا ثم عظموا الانكار بقولهم (نتبعه) اى نجاهد أنفسنا فى خلع

(الطرف) جمع الضمير مع ان قوله جنتان لرجوعه الى الآلاء المدودة فى الجنتين

ما ألفناه وما كان عليه آباؤنا والاستفهام بمعنى النفي والمعنى كيف نتبعه ونحن أشد الناس قوة وكثرة وهو واحد منا ثم استنتجوا من هذا الانكار الشديد قولهم مؤكدين (انا اذا) أي ان اتبعناه (لفي ضلال) أي ذهاب عن الصواب محيط بنا (وسعر) أي ونيران جمع سعير فعكسوا عليه وقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل السعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال الشاعر

كأن بها سعرا اذا العيس هزها * ذميل وارخاء من السير متعب

ثم استدلوا بامر آخر ساقوه مساق الانكار فقالوا (أألقي) أي أنزل (الذكر) أي الوحي الذي يكون به الشرف الاعظم بغتة في سرعة (عليه) لانه لم يكن عندهم في مضمار هذا الشأن ولا توسموا فيه قبل اشارته به شيأ منه بل أتاهم به بغتة في غاية الاسراع ودلوا على وجه التعجب والانكار بالاختصاص بقولهم (من بيننا) أي وفينا من هو أولى بذلك منه سنا وشرفا وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الهمزة الاولى المفتوحة وتسهيل الثانية المضمومة كالواو وأدخل قالون وأبو عمرو بينهما ألفا بخلاف عن أبي عمرو ولم يدخل ورش وابن كثير ألفا وأما هشام فله تسهيل الثانية وتحقيقها وادخال الالف بينهما مع التحقيق والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال واذا وقف حمزة فله في الثانية التسهيل وابدالها واوا والتحقيق ثم أضربوا عن ذلك الاستفهام لانه بمعنى النفي بقولهم (بل هو كذاب) أي بليغ في الكذب في قوله انه أوحي اليه ما ذكر (أشر) أي متكبر بطر غلبت عليه البطالة حتى أعجبته نفسه فتكبر فهو يريد الترفع قال الله تعالى (سيعلمون) أي بوعد لا خلف فيه (غدا) أي في الزمن الآتي القريب وهو يوم القيامة لان كل ما حقق اتيانه قريب عند نزول العذاب في الدنيا ويوم القيامة وقرأ ابن عامر وحمزة بعد السين بتاء الخطاب وفيه وجهان أحدهما انه حكاية عن قول صالح عليه السلام لقومه والثاني أنه خطاب من الله تعالى على جهة الالتفات والباقون بياء الغيبة جريا على الغيب قبله في قوله تعالى فقالوا أبشرا واختار هذه القراءة مكي لان عليها الاكثر (من الكذاب الاشر) أي وهو هم بان يعذبوا على تكذيبهم نبيه صالحا صلى الله عليه وسلم وروي أنهم تعنتوا عليه فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء فقال تعالى (انا) أي بما لنا من العظمة (مرسلوا الناقة) أي موجدوها لهم ومخرجوها كما اقترحوا من حجر أهلناه لذلك بخصصناه من بين الاحجار دلالة على ارسالنا صالحا عليه السلام مخصصين له من بين قومه وذلك أنهم قالوا لصالح عليه السلام نريد ان نعرف المحق منا بان تدعو آلهتنا وتدعو الهك فمن اجابه الهه علم انه المحق فدعوا أوثانهم فلم تجبهم فقالوا ادع أنت فقال فما تريدون قالوا اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء وبراء فاجابهم الى ذلك بشرط الايمان فوعدوه بذلك وأكدوا فكذبوا بعدما كذبوا في أن آلهتهم تجيبهم وصدق هو عليه السلام في كل ما قال فاخبره ربه سبحانه أنه يجيبهم الى اخراجها (فتنة لهم) أي امتحانا يخالطهم به فيميلهم من حالتهم التي وعدوا بها ويخليهم عنها لان المعجزة فتنة لان بها يتميز المثاب من المعذب فالمعجزة تمييز وحيثئذ يفترق المصدق من المكذب أو يقال اخراج الناقة من الصخرة معجزة ودرها وشربها وقسمة الماء كان فتنة ولهذا قال تعالى انا مرسلوا الناقة ولم يقل مخرجو (فارتقبهم) أي كلف نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على أعمالهم والنظر من بعدهم

اوالى الجنسين لكن جمعه لاشتماله على قصور ومنازل أراد المنازل

(واصطبر) أى عالج نفسك واجتهد فى الصبر عليهم وأصل الطاء فى اصطبر تاء فصارت طاء لتكون موافقة للصاد فى الاطباق (ونبئهم) اى أخبرهم اخبارا عظيما بامر عظيم وهو (أن الماء) اى الذى يشربونه وهو ماء بئرهم (قسمة بينهم) اى بين قوم صالح عليه السلام والناقة فغلب العاقل عليها والمعنى انا اذا بعثناها كان لهم يوم لا تشاركهم فيه ولها يوم لا تدع فى البئر قطرة يأخذها احد منهم وتوسع الكل بدل الماء لبنا (كل شرب) اى نصيب من الماء (محتضر) اى فالناقة تحضر الماء يوم وردها وتغيب عنهم يوم وردهم قاله مقاتل وقال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون *(تنبيه)* الحكمة فى قسمة الماء اما لان الناقة عظيمة الخلق فتنفر منها حيواناتهم فكان يوم للناقة ويوم لهم واما لقلة الماء فلا يحملهم واما لان الماء كان مقسوما بينهم لكل فريق يوم فيوم ورد الناقة على هؤلاء يرجعون على الآخرين وكذلك الآخرون فيكون النقصان على الكل ولا تختص الناقة بجميع الماء روى انهم كانوا يكتفون فى يوم وردها بلبنها وليس فى الآية الا القسمة دون كيفيتها وظاهر قوله تعالى كل شرب محتضر يعضد الوجه الثالث وحضر واحتضر بمعنى واحد وقوله تعالى (فنادوا صاحبهم) فيه حذف قبله أى فتمادوا على ذلك ثم ملوه فعزموا على عقرها فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف الذى انتدبوه بطرا واشرا لقتل الناقة وكذبا فى وعدهم الايمان واكرامها بالاحسان وكان أشجعهم وقيل كان رئيسهم (فتعاطى) أى فاجترأ على تعاطى الامر العظيم غير مكترث به (فعقر) أى فتسبب عن ذلك عقرها وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف قال محمد بن اسحق كمن لها فى أصل شجرة على طريقها فرماها فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة ثم نحرها وقال ابن عباس كان الذى عقرها أحمر أزرق أشقر أكشف أقفى يقال له قدار بن سالف والعرب تسمى الجزار قدارا تشبيها بقدار بن سالف مشؤم آل ثمود (فكيف كان عذابى) أى كان على حالة هو حقيق وأهل لان يجتهد فى الاقبال على تعرفه والسؤال عنه (ونذر) اى انذارى لهم بالعذاب قبل نزوله اى وقع موقعه وبينه بقوله تعالى (انا) أى بما لنا من العظمة (أرسلنا) اى بما لنا من العظمة (عليهم صيحة) وحقر شأنهم بالنسبة الى عظمة عذابه بقوله تعالى (واحدة) صاح عليهم جبريل عليه السلام فلم يكن لهم بصيحته هذه التى هى واحدة طاقة كما قال تعالى (فكانوا كهشيم المحتظر) وهو الذى يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم والهشيم الشجر اليابس المتكسر ومنه سمى هاشم لهشمه الثريد فى الجفان غير ان الهشيم يستعمل كثيرا فى الحطب المتكسر اليابس قال المفسرون كانوا كالحشيش المتكسر الذى يخرج من الحظائر بالية قال تعالى هشيما تذروه الرياح وهو من باب اقامة الصفة مقام الموصوف وتشبيههم بالهشيم اما لكونهم يابسين كالموتى الذين ماتوا من زمان أو لانضمام بعضهم الى بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض كما يجمع الحاطب الحطب بعضه فوق شئ منتظرا حضور من يشترى منه قال ابن عادل ويحتمل ان يكون ذلك لبيان كونهم فى الجحيم أى كانوا كالحطب اليابس الذى للوقيد كقوله

والقصور التى دل عليه ذكر الجنتين أو الـ
الفرش لقربها ونكون

تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله تعالى فكانوا لجهنم حطبا *(تنبيهات)* أحدها انه تعالى ذكر فكيف كان عذابي ونذر في ثلاثة مواضع ذكرها في حكاية نوح عليه السلام بعد بيان العذاب وذكرها هنا قبل بيان العذاب وذكرها في حكاية عاد قبل بيانه وبعد بيانه فحيث ذكر قبل بيان العذاب فللبيان كقول العارف حكاية لغير العارف هل تعلم كيف كان أمر فلان وغرضه أن يقول أخبرني عنه وحيث ذكرها بعد بيان العذاب ذكرها للتعظيم كقوله فلان أي ضرب وأيما ضرب ويقول ضربته وكيف ضربته أي قويا وفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام * ثانيها انه تعالى ذكر في حكاية نوح عليه السلام الذي للتعظيم وفي حكاية ثمود ذكر الذي للبيان لان عذاب قوم نوح كان بأمر عظيم عام وهو الطوفان الذي عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فانه كان مختصا بهم * ثالثها انه تعالى ذكر في هذه السورة خمس قصص وجعل القصة المتوسطة مذكورة على أتم وجه لان حال صالح عليه السلام كان أتم مشابهة بحال محمد صلى الله عليه وسلم لانه أتى بأمر عظيم عجيب ارضي وكان أعجب مما جاء به الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان عيسى عليه السلام أحيا الميت لكن الميت كان محلا للحياة فقامت الحياة باذن الله تعالى في محل كان قابلا لها وموسى عليه السلام انقلبت عصاه ثعبانا فأثبت الله تعالى له في الخشب الحياة باذنه سبحانه لكن الخشبة نبات كان له قوة في النمو فأشبه الحيوان في النمو وصالح عليه السلام كان الظاهر في يده خروج الناقة من الحجر والحجر جماد ليس محلا للحياة ولا محلا للنمو ونبينا صلى الله عليه وسلم أتى بأعجب من الكل وهو التصرف في الجرم السماوي الذي يقول المشرك لا وصول لاحد الى السماء وأما الارضيات فقالوا انها أجسام مشتركة المواد يقبل كل واحد منها صورة الاخرى والسماويات لا تقبل ذلك فلما أتى بما اعترفوا بانه لا يقدر على مثله آدمي كان أتم وأبلغ من معجزة صالح عليه السلام التي هي أتم من معجزة سائر الانبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد يسرنا) أي على ما لنا من العظمة (القرآن) أي الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس (للذكر) أي الحفظ والتذكر والتدبر وحصول الشرف في الدارين (فهل من مدكر) أي من ناظر بعين الانصاف والتجرد عن الهوى ليرى كل ما أخبرنا به محيطا عليه ولما انقضت قصة ثمود ٣ بما تعرفه العرب بالاخبار ورؤية الآثار فقال تعالى (كذبت قوم لوط) أي وهم في قوة عظيمة على ما يحاولونه وان كان في تكذيبهم هذا أضعف من عقول النسوة عن التجرد من الهوى بما دل عليه تأنيث الفعل بالتاء وكذا ما قبلها من القصص (بالنذر) أي بالامور المنذرة لهم على لسان نبيهم لوط عليه السلام ودل على تناهي القباحة في مرتكبهم بتقديم الاخبار عن عذابهم فقال تعالى مؤكدا [illegible] على التكذيب (انا) أي بما لنا من العظمة (أرسلنا عليهم حاصبا) أي ريحا شديدة ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة لواحد دون ملء الكف فهلكوا (الا آل لوط) وهم من آمن به ممن كان اذا رأيته فكأنك رأيت لوطا عليه السلام لما لاح عليه من أفعاله والمشي على منواله في أقواله وأفعاله (نجيناهم) أي تنجية عظيمة (بسحر) أي بآخر ليلة من الليالي وهي الليلة التي عذب فيها قومه وانصرف لانه نكرة ولا [illegible] ولو قصد به

قوله في بعض على كاف قوله تعالى يستمعون فيه أي عليه (قوله لم يطمثهن

٣ قوله بما تعرفه الخ هكذا بالاصول ولعله سقط من قلم الناسخ بعد قوله ولما انقضت قصة ثمود أتبعها بما تعرفه الخ اه مصحح

الوقت بعينه لمنع الصرف للتعريف والعدل عن أل هذا هو المشهور وزعم صدر الافاضل أنه مبنى على الفتح كأمس مبنيا على الكسر * (تنبيه) * قال الجلال المحلى وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولا قولان وعبر عن الاستثناء على الاول بانه متصل وعلى الثانى بانه منقطع وان كان من الجنس تسمحا وقوله تعالى (نعمة) امامفعول له واما مصدر بفعل من لفظها أو من معنى نجيناهم لان تنجيتهم انعام فالتأويل اما فى العامل واما فى المصدر وقوله تعالى (من عندنا) متعلق بنعمة أو بمحذوف صفة لها (كذلك) أى مثل هذا الانجاء العظيم الذى جعلناه جزاء لهم (نجزى من شكر) اى من آمن بالله تعالى وأطاعه قال بعض المفسرين وهو وعد لامة محمد صلى الله عليه وسلم بانه يصونهم عن الهلاك العام وقال الرازى ويمكن أن يقال هو وعد لهؤلاء بالثواب يوم القيامة كما أنجاهم فى الدنيا من العذاب لقوله تعالى ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين وقال مقاتل من وحد الله تعالى لم يعذبه مع المشركين (ولقد أنذرهم) اى رسولنا لوط عليه السلام (بطشتنا) اى أخذتنا لهم المقرونة من الشدة بما لنا من العظمة وهى العذاب الذى نزل بهم وقيل هى عذاب الآخرة لقوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى (فتماروا) اى تجادلوا وكذبوا (بالنذر) اى بانذاره فكان سببا للاخذ (ولقد راودوه عن ضيفه) اى أرادوا أن يخلى بينهم وبين القوم الذين أتوه فى صورة الاضياف ليخبثوا بهم وكانوا املائكة فى صورة شباب مرد وأفرد لان المراد الجنس (فطمسنا) اى فتسبب عن مراودتهم ان طمسنا بعظمتنا (أعينهم) اى أعميناها وجعلناها بلا شق كباقى الوجه بان صفقها جبريل عليه السلام بجناحه وقال الضحاك بل أعماهم الله تعالى فلم يروا الرسل وقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فرجعوا فلم يروهم وهذا قول ابن عباس وروى أنهم صارت أعينهم مع وجوههم كالصفحة الواحدة وقال القشيرى مسح بجناحه على وجوههم فعموا ولم يهتدوا للخروج قال ابن جرير والعرب تقول طمست الريح الاعلام اذا دفنتها بما تسفى عليها فانطلقوا هاربين مسرعين الى الباب لا يهتدون اليه ولا يقعون عليه بل يصادمون الجدران ونحوها وأعظم من ذلك وهم يقولون عند ذلك لوط أسحر الناس وما أدتهم عقولهم الى أن يؤمنوا فينجوا أنفسهم قال القشيرى وكذلك أجرى الله تعالى سنته فى أوليائه بان يطمس على قلوب أعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف يؤذون أولياءه ويخلصهم من كيدهم وقوله تعالى (فذوقوا عذابى ونذر) اى انذارى وتخويفى خطاب لهم أى قلنا لهم على لسان الملائكة ذوقوا فهو خطاب مع كل مكذب اى ان كنتم تكذبون فذوقوا قال القرطبى والمراد من هذا الامر الخبر أى فاذقتهم عذابى الذى أنذرهم به لوط عليه السلام (فان قيل) النذر كيف تذاق (أجيب) بان المراد ثمرته وفائدته (فان قيل) اذا كان المراد بقوله تعالى عذابى هو العذاب العاجل وبقوله تعالى ونذرهو العذاب الآجل فهما لم يكونا فى زمان واحد فكيف قال تعالى فذوقوا (أجيب) بان العذاب الآجل أوله متصل بآخر العذاب العاجل فهما كالواقع فى زمان واحد وهو قوله تعالى أغرقوا فادخلوا نارا (ولقد صبحهم) اى أتاهم وقت الصباح وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال عند الصاد والباقون بالاظهار وحقق

(اى لم ينس قبلهم ولا جان) اى لم يقتض الانسيات الانسى ولا الجنيات الجنى ف

الحق بقوله تعالى (بكرة) اى فى أول نهار العذاب وانصرف بكرة لانه نكرة ولو قصد به وقت بعينه امتنع الصرف للتأنيث والتعريف (عذاب) اى فقلع بلادهم ورفعها ثم قلبها وحصبها بحجارة النار وخسفها وغمرها بالماء المنتن الذى لا يعيش به حيوان (مستقر) اى ثابت عليهم غير زائل ليس بخيال ولا سحر كما قالوا عند الطمس فانه أهلكهم فاتصل بعذاب البرزخ المتصل بعذاب القيامة المتصل بالعذاب الاكبر فى الطبقة التى تناسب أعمالهم من عذاب النار فقال لهم لسان الحال ان لم ينطق لسان المقال (فذوقوا) اى بسبب أفعالكم الخبيثة (عذابى ونذر) *(تنبيه)* قد علم من تكريرهذا أن سبب العذاب التكذيب بالانذار لاى رسول كان وكان استئناف كل قصة منها على انها أهل على حدتها الان يتعظ بها (ولقد يسرنا) اى على ما لنا من العظمة (القرآن) اى الجامع الفارق بين الحق والباطل ولو شئنا لاعليناه بما لنا من القدرة الى حد تعجز القوى عن فهمه كما أعليناه الى رتبة وقفت القوى عن معارضته (للذكر فهل من مدكر) اى فيخلص نفسه من مثل هذا الذى أوقع فيه هؤلاء أنفسهم ظنا منهم ان الامر لا يصل الى ما وصل اليه جهلا منهم وعدم اكتراث بالعواقب * ولما انقضت قصة لوط عليه السلام أتبعها قصة موسى عليه السلام لانها بعد قوم لوط بقوله تعالى (ولقد جاء آل فرعون) اى فرعون ملك القبط بمصر وقومه الذين اذا رآهم أحد كان كأنه فيهم لشدة قربهم منه وتخلقهم بأخلاقه (النذر) اى الانذار على لسان موسى وهرون عليهما السلام فلم يؤمنوا بل (كذبوا) اى تكذيبا عظيما مستهزئين (بآياتنا) التى أتاهم بها موسى عليه السلام (كلها) اى التسع التى أوتيها وهى العصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (فان قيل) كيف قال ولقد جاء ولم يقل فى غيره جاء (أجيب) بان موسى عليه السلام لما جاء كان غائبا عن القوم فقدم عليهم كما قال تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون وقال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم لانه جاءهم من عند الله من السموات بعد المعراج كما جاء موسى قومه من الطور والنذر الرسل ولقد جاءهم يوسف وبنوه الى أن جاءهم موسى عليه السلام وقيل النذر الانذارات *(تنبيه)* ههنا همزتان مفتوحتان من كلمتين فقرأ أبو عمرو وقالون باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الهمزة الثانية ولهما أيضا ابدالها الفا وورش على أصله فى الهمزة المسهلة ومد بعد الجيم حمزة وابن ذكوان والباقون بالفتح واذا وقف حمزة وهشام أبدلا الهمزة ألفا مع المد والتوسط والقصر (فأخذناهم) اى بما لنا من العظمة نحو ما أخذنا به قوم نوح من الاغراق (أخذ عزيز) اى لا يغلبه شئ وهو يغلب كل شئ (مقتدر) اى لا يعجل بالاخذ لانه لا يخاف الفوت ولا يخشى معقبا لحكمه بالغ القدرة الى حد لا يدرك الوصف كنهه ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أكفاركم) اى الراسخون منكم يا أهل مكة فى الكفر الثابتون عليه يا أيها المكذبون لهذا النبى الكريم الساترون لشموس دينه (خير) فى الدنيا بالقوة والكثرة أو فى الدين عند الله أو عند الناس (من أولئكم) اى المذكورين من قوم نوح الى فرعون الذين وعظناكم بهم فى هذه السورة وهذا استفهام بمعنى الانكار اى ليسوا بأقوى منهم فمعناه نفى اى ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الامم الذين أهلكوا بكفرهم *(تنبيه)* قوله

تعالى

(سورة الواقعة)
(قوله والسابقون السابقون) فائدة التكرار

تعالى خير مع أنه لا خير فيهم اما أن يكون كقول حسان * فشركما لخيركما الفداء * أوهو بحسب زعمهم واعتقادهم أو المراد بالخير شدة القوة أو لان كل ممكن فلا بد أن يكون له صفات محمودة فالمراد تلك الصفات (أم لكم) اى يا أهل مكة (براءة فى الزبر) اى أنزل اليكم من الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو فى أمان من عذاب الله تعالى والاستفهام هنا أيضا بمعنى النفى اى ليس الامر كذلك (أم يقولون) اى كفار قريش (نحن جميع) اى جمع واحد مبالغ فى اجتماعه فهو فى الغاية من الضم فلا افتراق له (منتصر) اى على كل من يعاديه لانهم على قلب رجل واحد ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآى ولما قال أبو جهل يوم بدر انا جميع منتصر نزل (سيهزم الجمع) بايسر أمر بوعد لا خلف فيه وقال مقاتل ضرب أبو جهل يوم بدر فرسه فتقدم من الصف وقال نحن ننتصر اليوم على محمد وأصحابه فانزل الله تعالى أم يقولون نحن جميع منتصر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدرى اى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب فى درعه ويقول سيهزم الجمع (ويولون الدبر) فهزموا ببدر ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل الادبار لموافقة رؤس الآى (بل الساعة) اى القيامة التى يكون فيها الجمع الاكبر والهول الاعظم (موعدهم) اى للعذاب (والساعة أدهى) اى من كل ما يعرض وقوعه فى الدنيا وأدهى أفعل تفضيل من الداهية وهى أمر هائل لا يهتدى لدوائه فهى أمر عظيم يقال دهاه أمر كذا أى أصابه دهوا ودهيا وقال ابن السكيت دهته داهية دهواء ودهياء وهى توكيد لها وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح و بين اللفظين والباقون بالفتح (وأمر) لان عذابها للكفار غير مفارق ولا مزايل فهى أعظم نائبة وأشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يثب فى درعه و يقول اللهم ان قريشا جادلتك وتجاهر رسولك بفخرها بخيلها فأخنهم الغداة يقال أخنى عليه الدهر أى غلبه وأهلكه ومنه قول النابغة

أخنى عليها الذى أخنى على لبد * وأخنيت عليه أفسدت ثم قال سيهزم الجمع ويولون الدبر

قال عمر فعرفت تأويلها وهذا من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه أخبر عن غيب فكان كما أخبر قال ابن عباس كان بين نزول هذه الآية و بين بدر سبع سنين فالآية على هذا مكية وفى البخارى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وانى لجارية ألعب بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال وهو فى قبة له يوم بدر أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا فأخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو فى الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم يريد يوم القيامة والساعة أدهى وأمر مما لقيهم يوم بدر (ان المجرمين) اى المشركين القاطعين لما أمر الله تعالى ان يوصل (فى ضلال) اى هلاك بالقتل فى الدنيا (وسعر) اى نار مسعرة أى مهيجة فى الآخرة وقيل فى ضلال اى عمى عن القصد بتكذيبهم بالبعث وسعر قال الضحاك اى نار تسعر عليهم وقيل ضلال ذهاب عن طريق الجنة فى الآخرة وسعر جمع سعير نار مسعرة وقال

نفسه التأكيد فى مقابلة التأكيد فى أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب

(قوله كنت لا أدرى الخ) عبارة الكشاف لما نزلت هذه الآية قال عمر أى جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها اه

الحسين بن الفضل ان المجرمين فى ضلال فى الدنيا ونار فى الآخرة وقال قتادة فى عناء وعذاب ثم بين عذابهم فى الآخرة بقوله تعالى (يوم يسحبون) اى فى القيامة اهانة لهم من اى ساحب كان (فى النار) اى الكاملة النارية (على وجوههم) لانهم فى غاية الذل والهوان بجزاء بما كانوا يذلون أولياء الله تعالى مقولا لهم من اى قائل اتفق (ذوقوا) لانه لامنعة لهم ولا حيلة بوجه (مس سقر) اى حر النار وألمها فان مسها سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم مشتقة من سقرته الشمس أو النار اى لوحته ويقال صقرته بالصاد وهى مبدلة من السين قال ذو الرمة

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها ٭ بافنان مربوع الصريمة معبل

وعدم صرفها للتعريف والتأنيث وقال بعض المفسرين ان هذه الآية نزلت فى القدرية لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى فى قوله سبحانه ان المجرمين فى ضلال وسعر وفى مسلم عن أبى هريرة قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القدر فنزلت هذه الآية الى آخرها قال الرازى والقدرى هو الذى ينكر القدر وينسب الحوادث لاتصالات الكواكب لما مر ان قريشا خاصموا النبى صلى الله عليه وسلم فى القدر ومذهبهم ان الله تعالى مكن العبد من الطاعة والمعصية وهو قادر على خلق ذلك فى العبد وقادر على أن يطعم الفقير ولهذا قالوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه منكرين لقدرته تعالى على الاطعام وقوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة ان أريد بالامة المرسل اليهم مطلقا كالقوم فالقدرية فى زمانه صلى الله عليه وسلم هم المشركون المنكرون قدرته على الحوادث فلا يدخل فيهم المعتزلة وان كان المراد بالامة من آمن به صلى الله عليه وسلم فمعناه ان نسبة القدرية اليهم كنسبة المجوس الى الامة المتقدمة فان المجوس أضعف الكفرة المتقدمين شبهة وأشد مخالفة للعقل وكذا القدرية فى هذه الامة وكونهم كذلك لا يقتضى الجزم بكونهم فى النار فالحق ان القدرى هو الذى ينكر قدرة الله تعالى وقد رد عليهم بالكتاب والسنة أما من الكتاب فقوله تعالى (انا) أى بما لنا من العظمة (كل شئ) من الاشياء المخلوقة صغيرها وكبيرها (خلقناه بقدر) اى قضاء وحكم وقياس مضبوط وقسمة محدودة وقوة بالغة وتدبير محكم فى وقت معلوم ومكان محدود مكتوب ذلك فى اللوح قبل وقوعه وأما من السنة فما روى عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف عام قال وعرشه على الماء وعن طاوس اليمانى قال أدركت ماشاء الله تعالى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت من عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وزاد عبد الله خيره وشره ٭ (تنبيه) ٭ كل شئ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر ولما بين سبحانه وتعالى ان كل

شئ

المشامة ما أصحاب المشامة كأنه قال هم المعروف بالهم المشؤم وتوصفهم أو المعنى

شئ يفعله بين يسر ذلك وسهولته عليه بقوله تعالى (وما أمرنا) في كل شئ أردناه وان عظم أمره (الا واحدة) اى فعلة يسيرة لا معالجة فيها وليس هنالك احداث قول لانه قديم بل تعلق القدرة بالمقدور على وفق الارادة الازلية وقيل الا كلمة واحدة وهى قوله تعالى كن كما قال تعالى اذا اردناه أن نقول له كن فيكون ثم مثل لنا ذلك باسرع ما نعقله وأخفه بقوله تعالى (كلمح بالبصر) واللمح النظر بالعجلة وفى الصحاح لمحه وألمحه اذا أبصره بنظر خفيف اى فكما ان لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الافعال كلها عندنا بل أيسر وعن ابن عباس معناه وما أمرنا بمجئ الساعة فى السرعة الا كطرف البصر (ولقد أهلكنا) اى بما لنا من العظمة (أشياعكم) اى اشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم السابقة والقدرة عليكم كالقدرة عليهم فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم ولذلك سبب عنه قوله تعالى (فهل من مدكر) اى بما وقع لهم انه مثل من مضى بل أضعف وان قدرته تعالى عليه كقدرته تعالى عليهم ليرجع عن غيه خوفا من سطوته والاستفهام بمعنى الامر أى اذكروا واتعظوا (وكل شئ فعلوه) قال الجلال المحلى أى العباد وقال أكثر المفسرين اى الاشياع لانه هو المتقدم ذكره (فى الزبر) اى مكتوب فى دواوين الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ وقيل فى أم الكتاب فليحذروا من أفعالهم فانها غير منسية هذا ما أطبق عليه القراء بما أدى الى هذا المعنى من رفع كل لانه لو نصب لاوهم تعلق الجار بالفعل فيوهم انهم فعلوا فى الزبر كل شئ من الاشياء وهو فاسد (وكل صغير وكبير) اى من الخلق وأعمالهم وآجالهم (مستطر) اى مكتوب فى اللوح المحفوظ ولما وصف الكفار وصف المؤمنين مؤكدا ردا على المنكر فقال عز من قائل (ان المتقين) اى العريقين فى وصف الخوف من الله الذى وفقهم لطاعته (فى جنات) اى خلال بساتين ذات أشجار تستر داخلها وقوله تعالى (ونهر) أريد به الجنس لان فيها أنهارا من ماء وعسل ولبن وخمر أفرده لموافقة رؤس الآى ولشدة اتصال بعضها ببعض فكأنها شئ واحد والمعنى انهم يشربون من أنهارها وقيل هو السعة والضياء من النهار وكما جعل للمتقين فى تلك الدار ذلك جعل لهم فى هذه الدار أيضا جنات العلوم وأنهار المعارف ولهذا كانوا (فى مقعد صدق) اى حق لا لغو فيه ولا تأثيم ولم يقل فى مجلس صدق لان القعود جلوس فيه مكث ومنه قواعد البيت والقواعد من النساء ولذا قال (عند مليك) اى ملك تام الملك (مقتدر) اى قادر لا يعجزه شئ وهو الله تعالى وعند اشارة للرتبة والكرامة والمنزلة من فضله تعالى جعلنا الله تعالى ومحبينا منهم وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة القمر فى كل غب أى يقرأ يوما ويترك يوما بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر حديث موضوع

سورة الرحمن وتسمى عروس القرآن

لانها تجمع النعم والجمال والبهجة فى نوعها والكمال مكية كلها فى قول الحسن وعروة وابن الزبير وعطاء وجابر وقال ابن عباس الا آية منها وهى قوله تعالى يسئله من فى السموات والارض الآية وقال ابن مسعود ومقاتل هى مدنية كلها قال ابن عادل والاول أصح لما روى عروة

والسابقون السابقون الى رحمته وكرامته ثم قيل المراد بهم السابقون

ابن الزبير قال أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط فمن رجل يسمعهموه فقال ابن مسعود أنا فقالوا نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه فأبى ثم قام عند المقام فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن ثم تمادى بها رافعا صوته وقريش في أنديتها فتأملوا وقالوا ما يقول ابن أم عبد قالوا هو يقول الذي يزعم محمد انه أنزل عليه ثم ضربوه حتى أثروا في وجهه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرأ بسورة الرحمن ومر النفر من الجن فآمنوا به وهي سبع وثمانون آية وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذي ظهرت احاطة كماله بما ظهر من عجائب مخلوقاته (الرحمن) الذي ظهر عموم رحمته بما بهر من بدائع مصنوعاته (الرحيم) الذي ظهر اختصاصه لاهل طاعته بما انقذوا من الذل المفيد للعز بلزوم عباداته * ولما كانت هذه السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بقوله تعالى (الرحمن علم) اي من شاء (القرآن) وقدم من نعمه الدينية ما هو أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو انعامه تعالى بالقرآن العظيم وتنزيله وتعليمه لانه أعظم وحي الله تعالى رتبة وأعلاها منزلة وأحسنه في أبواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها * (تنبيه) * أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها لان آخر تلك مليك مقتدر وأول هذه انه رحمن قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي الرحمن فاتحة ثلاث سور اذا جمعن كن اسما من اسماء الله تعالى الر وحم ون فيكون مجموع هذه الرحمن ولله تبارك وتعالى رحمتان رحمة سابقة بها خلق الخلق ورحمة لاحقة بها أعطاهم الرزق والمنافع فهو رحمن باعتبار السابقة رحيم باعتبار اللاحقة * ولما اختص بالايجاد لم يقل لغيره رحمن ولما خلق بعض خلقه الصالحين ببعض اخلاقه بحسب الطاقة البشرية فاطعم ونفع جاز أن يقال له رحيم وفي اعراب الرحمن ثلاثة أوجه أحدها انه خبر مبتدا مضمر أي الله الرحمن الثاني انه مبتدأ وخبره مضمر أي الرحمن ربنا الثالث انه مبتدأ خبره علم القرآن (فان قيل) كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله (أجيب) بانا ان قلنا بعطف الراسخين على الله فهو ظاهر وان قلنا بالوقف على الله ويبتدأ بقوله تعالى والراسخون فلان من علم كتابا عظيما فيه مواضع مشكلة قليلة وتأملها بقدر الامكان فانه يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني وان كان لم يعلم مراد صاحب الكتاب يقينا في تلك المواضع القليلة وكذا القول في تعليم القرآن أو يقال المراد لا يعلمه من تلقاء نفسه بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكاء والفكر * واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال أكثر المفسرين نزلت حين قالوا وما الرحمن وقيل نزلت جوابا لأهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله تعالى الرحمن علم القرآن أي سهله لان يذكر ويقرأ كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر ولما كان كأنه قيل كيف يعلمه وهو صفة من صفاته ولمن علمه قال تعالى مستأنفا أو معللا (خلق الانسان) اي الجنس بان قدره وأوجده

الى الايمان من كل أمة وقيل الذين صلوا الى القبلتين وقيل أهل

على

على هذا الشكل المعروف والتركيب الموصوف منفصلا عن جميع الجمادات وأصله منها ثم عن سائر الناميات ثم عن غيره من الحيوانات وخلقه له دليل على خلقه لكل شيء موجود انا كل شيء خلقناه بقدر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية (علمه البيان) اي القوة الناطقة وهي الادراك للامور الكلية والجزئية والحكم على الحاضر والغائب بقياسه على الحاضر وغير ذلك مما اودعه له سبحانه مع تعبيره عما أدركه مما هو غائب في ضميره وافهامه لغيره تارة بالقول وتارة بالفعل نطقا وكتابة واشارة وغيرها فصار بذلك ذا قدرة في نفسه والتكميل لغيره فهذا تعليم البيان الذي مكن من تعليم القرآن وقال ابن عباس وقتادة والحسن يعني آدم عليه السلام علم أسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبعمائة ألف لغة أفضلها العربية وعن ابن عباس أيضا وابن كيسان المراد بالانسان ههنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من البيان الحلال والحرام والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون لانه بين عن الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقال الضحاك البيان الخير والشر وقال الربيع بن أنس هو ما ينفعه وما يضره وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل بيان الكتابة والخط بالقلم نظيره قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم (فان قيل) لم قدم تعليم القرآن للانسان على خلقه وهو متأخر عنه في الوجود (أجيب) بان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه (فان قيل) كيف صرح بذكر المفعولين في علمه البيان ولم يصرح بهما في علم القرآن (أجيب) بان في ذلك اشارة الى ان النعمة في التعميم لا في تعليم شخص دون شخص وبأن المراد من قوله تعالى علمه البيان تعديد النعم على الانسان واستدعاء الشكر منه ولم يذكر الملائكة لان المقصود ذكر ما يرجع الى الانسان وقيل تقديره علم جبريل القرآن وقيل علم محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل علم الانسان وهذا أولى لعمومه *(تنبيه)* هذه الجمل من قوله تعالى علم القرآن الى هنا جيء بها من غير عاطف لانها سيقت لتعديد نعمه كقولك فلان أحسن الى فلان أكرمه أشاد ذكره رفع قدره فلشدة الوصل ترك العاطف وهي أخبار مترادفة للرحمن * ولما ذكر تعالى خلق الانسان وانعامه عليه بتعليمه البيان ذكر نعمتين عظيمتين بقوله تعالى (الشمس) وهي آية النهار (والقمر) وهو آية الليل (بحسبان) فانهما على قانون واحد وحساب لا يتغيران بذلك تتم منفعتهما للزراعات وغيرها ولولا الشمس والقمر لفاتت كثير من المنافع الظاهرة بخلاف غيرهما من الكواكب فان نعمها لا تظهر لكل أحد مثل ظهور نعمتهما وانما يحسبان بيانه بأنهما لو كان سيرهما غير معلوم للخلق لما انتفعوا بالزراعات في اوقاتها ومعرفة فصول السنة والمعنى يجريان بحسبان معلوم فاضمر الخبر قال ابن عباس وقتادة وأبو مالك يجريان بحسبان في منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها وقال ابن زيد وابن كيسان بهما تحسب الاوقات والاعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب شيئا ان كان الدهر كله ليلا أو نهارا وقال السدي بحسبان تقدير آجالهما أي يجريان بآجال كآجال الناس فاذا جاء أجلهما هلكا نظيره كل يجري الى أجل مسمى (والنجم) أي النبات الذي ينجم أي يطلع من الارض ولا ساق له كالبقول (والشجر) اي الذي له ساق كشجر الرمان وتقدم الجواب عن

قوله بسبعمائة ألف لغة في حاشية الجمل بسبعمائة لغة اهـ مصححه

القرآن وقيل السابقون الى المساجد والى الخروج في سبيل الله وقيل هم

قوله تعالى وأنبتنا عليه شجرة من يقطين في سورة الصافات (يسجدان) أي ينقادان لله تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وقال الضحاك سجودهما سجود ظلالهما وقال الفراء سجودهما انهما يستقبلان اذا طلعت الشمس ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما قال تعالى تتفيأ ظلاله وقال الحسن ومجاهد النجم نجم السماء وسجوده في قول مجاهد دوران ظله وقيل سجود النجم أفوله وسجود الشجر امكان الاجتناء لثمارها حكاه الماوردي وقال النحاس أصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فهو من الموات كلها استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها له ومن الحيوان كذلك (فان قيل) كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن (أجيب) بانه استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له (فان قيل) أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف (أجيب) بان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل فان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله تعالى فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسماء) أي ورفع السماء ثم فسر ناصبها فيكون كالمذكور مرتين اشارة الى عظيم تدبيره لشدة ما فيهما من الحكم فقال تعالى (رفعها) أي حسا قال البقاعي بعدما كانت ملتصقة بالارض ففتقها وأعلاها عنها وقال الزمخشري وتبعه البيضاوي خلقها مرفوعة قال البيضاوي محلا ورتبة وقال الزمخشري حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) اى العدل الذي دبر به الخافقين من الموازنة وهي المعادلة لتنتظم أمورنا كما قال صلى الله عليه وسلم بالعدل قامت السموات والارض وقال السدي وضع في الارض العدل الذي امر به يقال وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا أي ألقاه وقيل على هذا الميزان القرآن لان فيه بيان ما يحتاج اليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن وقتادة والضحاك هو الميزان الذي يوزن به لينتصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر بالعدل يدل عليه قوله تعالى وأقيموا الوزن بالقسط والقسط هو العدل وقيل هو الحكم وقيل المراد وضع الميزان في الآخرة لوزن الاعمال (أن) اى لاجل ان (لا تطغوا) اى تجاوزوا الحدود (في الميزان) فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال أنه الميزان الذي يوزن به قال طغيانه البخس قال ابن عباس لا تخونوا من وزنتم له وعنه أنه قال يا معشر الموالي وليتم أمرين بهما هلك الناس المكيال والميزان ومن قال انه الحكم قال طغيانه التحريف وقيل فيه اضمار اى وضع الميزان وأمركم أن لا تطغوا فيه (فان قيل) اذا كان المراد به ما يوزن به فاى نعمة عظيمة فيه حتى يعد في الآلاء (أجيب) بان النفوس تابى الغبن ولا يرضى أحد أن يغلبه

الانبياء (قوله ولدان مخلدون) فان قلت كيف قال ذلك مع ان التخليد

غيره

غيره ولو في الشيء اليسير ويرى ان ذلك استهانة به فلا يترك خصمه يغلبه فوضع الله تعالى معيارا يبين به التساوي ولا تقع به البغضاء بين الناس وهو الميزان وهو كل ما توزن به الاشياء بين الناس ويعرف مقاديرها به من ميزان ومكيال ومقياس فهو نعمة كاملة ولا ينظر الى عدم ظهور نعمته وكثرته وسهولة الوصول اليه كالهواء والماء اللذين لا يتبين فضلهما الا عند فقدهما (واقيموا الوزن بالقسط) اي افعلوه مستقيما بالعدل وقال أبو الدرداء أقيموا لسان الميزان بالعدل وقال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية (ولا تخسروا الميزان) اي لا تنقصوا الموزون أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقيل كرره لحال رؤس الآي وقيل كرره ثلاث مرات الاول بمعنى الآلة وهو قوله تعالى ووضع الميزان والثاني بمعنى المصدر اي لا تطغوا في الوزن والثالث للمفعول اي لا تخسروا الموزون قال ابن عادل وبين القرآن والميزان مناسبة فان القرآن فيه العلم الذي لا يوجد في غيره من الكتب والميزان به يقام العدل الذي لا يقام بغيره من الآلات ولما ذكر انعامه الدال على اقتداره برفع السماء ذكر على ذلك الوجه مقابلها بعد ان وسط بينهما ما قام به من العدل تنبيها على شدة العناية والاهتمام به فقال تعالى (والارض) اي ووضع الارض ثم فسر ناصبها كما فعل في قوله تعالى والسماء رفعها فقال تعالى (وضعها) اي دحاها وبسطها على الماء (للانام) اي كل من فيه قابلية النوم أو قابلية الونيم وهو الصوت وقيل هو الحيوان وقيل بنو آدم خاصة وهو مروي عن ابن عباس ونقل النووي في التهذيب عن الزبيدي الانام الخلق قال ويجوز الانيم وقال الواحدي قال الليث الانام ما على ظهر الارض من جميع الخلق وقال الحسن هم الانس والجن (فيها) اي الارض (فاكهة) اي ما يتفكه به الانسان من ألوان الثمار ونكرها لان الانتفاع بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها فهو من باب الترقي من الادنى الى الاعلى اذ التنكير فيها للتعظيم والتكثير نبه عليه بتعريف فرع منها ونوه به لان فيه مع التفكه التقوت وهو أكثر غذاء العرب المقصودين بهذا الذكر بالقصد الاول فقال تعالى (والنخل) ودل على تمام القدرة بقوله تعالى (ذات) اي صاحبة (الاكمام) اي أوعية ثمرها وهو الطلع قبل أن يتفتق بالثمر والاكمام جمع كم بالكسر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كمام وأكمة وأكمام والكمامة ما يكم به فم البعير لئلا يعض وكم القميص بالضم والجمع أكمام وكممة والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطي الرأس (والحب) اي جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير (ذو العصف) قال ابن عباس تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الريح وقال مجاهد ورق الشجر والزرع وقال سعيد ابن جبير بقل الزرع الذي أول ما ينبت منه وهو قول الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه شيئا قبل ان يدرك وقيل العصف حطام النبات (والريحان) وهو في الاصل مصدر ثم أطلق على الرزق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير كقولهم سبحان الله وريحانه نصبوه على المصدر يريدون تنزيها له واسترزاقا وعن ابن عباس أيضا والضحاك وقتادة انه الريحان الذي يشم وهو قول

لا يختص بالولدان في الجنة (قلت) معناه انهم لا يحولون عن شكل

قوله الونيم وهو الصوت لم يذكره القاموس اه

ابن زيد وقال سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الفراء العصف المأكول من الزرع والريحان ما لا يؤكل وقال الكلبي العصف الورق الذي يؤكل والريحان هو الحب المأكول وقيل كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة طيبة اي يشم وفي الصحاح والريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت ابتغي ريحان الله وفي الحديث الولد من ريحان الله وقرأ ابن عامر بنصب الحب وذا والريحان بخلق مضمرا اي وخلق الحب ذا العصف والريحان وقرأ حمزة والكسائي برفع الحب وذو عطفا على فاكهة وبجر الريحان عطفا على العصف والباقون برفع الثلاثة عطفا على فاكهة اي وفيها ايضا هذه الاشياء ✱ ولما ذكر في قوله تعالى والارض وضعها للانام الجن والانس خاطبهما بقوله تعالى (فبأي آلاء) اي نعم (ربكما) اي المحسن اليكما المدبر لكما الذي لا مدبر ولا محسن لكما غيره (تكذبان) أبتلك النعم أم غيرها وكرر هذه الآية في هذه السورة في احد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير وفصل بين كل نعمتين بما نبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كما تقول لمن تتابع عليه احسانك وهو يكفره وينكره ألم تكن فقيرا فاغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا ألم تكن راجلا فحملتك أفتنكر هذا والتكرير حسن في مثل هذا قال القائل ✱ كم نعمة كانت لكم كم كم وكم ✱

وقال آخر

لا تقتلي مسلما ان كنت مسلمة ✱ اياك من دمه اياك اياك

وقال آخر

لا تقطعن الصديق ما طرفت ✱ عيناك من قول كاشح أشر

ولا تملن يوما زيارته ✱ زره وزره وزر وزر وزر

وقال الحسن بن الفضل التكرير طرد للغفلة وتأكيد للحجة قال بعض العلماء والتكرير ههنا كما تقدم في قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وكقوله تعالى فيما سيأتي ويل يومئذ للمكذبين وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الى أن التكرير لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع كل واحدة وقال الرازي وذكره بلفظ الخطاب على سبيل الالتفات والمراد به التقرير والزجر وذكر لفظ الرب لانه يشعر بالرحمة تنال وكررت هذه اللفظة في هذه السورة نيفا وثلاثين مرة اما للتأكيد ولا يعقل لخصوص العدد معنى وقيل الخطاب مع الانس والجن والنعمة منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود وأعظم المكروهات نار جهنم ولها سبعة أبواب وأعظم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية أبواب فالمجموع خمسة عشر وذلك بالنسبة للانس والجن ثلاثون والزائد عليهما للتأكيد وروى جابر بن عبد الله قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد وقرأ ورش فبأي آلاء على أصله بالمد والتوسط والقصر جميع ما في هذه السورة ✱ ولما ذكر تعالى خلق العالم الكبير من السماء والارض وما فيهما من الدلالات على وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال تعالى (خلق الانسان) اي آدم عليه السلام

الولدان والمراد بهم هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا

(من صلصال) أى من طين يابس له صلصلة أى صوت اذا نقر (كالفخار) أى كالخزف المصنوع المشوى بالنار وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم وأصل اذا أنتن *(تنبيه)* قال تعالى هنا من صلصال كالفخار وقال تعالى فى الحجر من حمأ مسنون وقال تعالى فى الصافات من طين لازب وقال تعالى فى آل عمران كمثل آدم خلقه من تراب وكله متفق المعنى وذلك أنه أخذه من تراب الارض فعجنه بالماء فصار طينا ثم ترك حتى صار حمأ مسنونا ثم منتنا ثم صوره كما يصور الابريق وغيره من الاوانى ثم أيبسه حتى صار فى غاية الصلابة فصار كالخزف الذى اذا نقر صوت صوتا يعلم منه هل فيه عيب أو لا فالمذكور هنا آخر تخليقه وهو أنسب بالرحمانية وفى غيرها تارة مبدؤه وتارة أثناؤه فالارض أمه والماء أبوه ممزوجين بالهواء الحامل للجزء الذى هو من فيح جهنم فمن التراب جسده ونفسه ومن الماء روحه وعقله ومن النار غوايته وحدته ومن الهواء حركته وتقلبه فى محامده ومذامه فالغالب فى جبلته التراب فلهذا نسب اليه وان خلق من العناصر الاربع كما أن الجان خلق من العناصر الاربع لكن الغالب فى جبلته النار فنسب اليها كما قال تعالى (وخلق الجان) أى أبا الجن وهو ابليس وقيل هو أبوهم وليس هو بابليس وقيل هو اسم جنس كالانسان (من مارج من نار) وهو لهبها الخالص من الدخان وقال القشيرى هو اللهب المختلط بسواد النار فالنار أغلب عناصره وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس أنه اللهب الذى يعلو النار فيختلط بعضه ببعض أحمر وأصفر وأخضر وهو مشاهد فى النار ترى الالوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض ونحوه عن مجاهد وقال أبو عبيدة والحسن المارج المختلط من النار وأصله من مرج اذا اضطرب واختلط قال القرطبى يروى ان الله تعالى خلق نارين فمرج احداهما بالاخرى فاكلت احداهما الاخرى وهى نار السموم فخلق منها ابليس *(تنبيه)* من مارج من نار من الاولى لابتداء الغاية وفى الثانية وجهان أحدهما أنها للبيان والثانى أنها للتبعيض (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) الناشئة عن مبدئكما ومربيكما وسيدكما (تكذبان) أى مما أفاض عليكما فى أطوار خلقتكما حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات (رب) أى خالق ومدبر (المشرقين) أى مشرق الشتاء ومشرق الصيف (ورب المغربين) كذلك (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) أى الذى دبر لكما هذا التدبير العظيم (تكذبان) أى بما فى ذلك من الفوائد التى لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك (مرج) أى أرسل الرحمن (البحرين) أى العذب والملح فجعلهما مضطربين من طبعهما الاضطراب حال كونهما (يلتقيان) أى يتماسان على وجه الارض بلا فصل بينهما فى رؤية العين وقال ابن عباس بحر السماء وبحر الارض قال سعيد بن جبير يلتقيان فى كل عام وقيل يلتقى طرفاهما وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم وقال ابن جريج البحر المالح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق وبحر المغرب وقيل بحر اللؤلؤ وبحر المرجان (بينهما برزخ) أى حاجز عظيم فعلى القول بانهما بحر السماء وبحر الارض فالحاجز الذى بينهما هو ما بين السماء والارض قاله الضحاك وعلى الاقوال الباقية قال الحسن

سنة وقيل ولدان على سن
واحد انشأهم الله لاهل
الجنة يطوفون عليهم من

وقتادة هو الارض وقال بعضهم هو القدرة الالهية وهذا أولى (لا يبغيان) اختلف فيه فقال قتادة لا يبغيان على الناس فيغرقانهم كما طغيا فاهلكا من على الارض فى أيام نوح عليه السلام بجعل بينهما وبين الناس اليبس وقال مجاهد وقتادة أيضا لا يبغى أحدهما على صاحبه فيغلبه وقيل البرزخ ما بين الدنيا والآخرة اى بينهما مدة قدرها الله تعالى وهى مدة الدنيا فهما لا يبغيان فاذا أذن الله تعالى فى انقضاء الدنيا صار البحران شيأ واحدا وهو كقوله تعالى واذا البحار فجرت وقال سهل بن عبد الله البحران طريق الخير والشر والبرزخ الذى بينهما التوفيق والعصمة وقال الرازى معنى الآية ان الله تعالى أرسل بعض البحرين الى بعض ومن شأنهما الاختلاط فحجزهما ببرزخ من قدرته فهما لا يبغيان اى لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده له خالقه لا فى الظاهر ولا فى الباطن فى حفرت على جنب الملح فى بعض الاماكن وجدت المياه العذب وان قربت الحفرة منه قال البقاعى بل كلما قربت كان أحلى فخالطهما سبحانه فى رأى العين وحجز بينهما فى غيب لقدرته هذا وهما جمادات لا نطق لهما ولا ادراك فكيف يبغى بعضكم على بعض أيها المدركون العقلاء (فبأى آلاء) اى نعم (ربكما) اى الموجد لكما والمربى (تكذبان) أبتلك النعم ام بغيرها فهلا اعتبرتم بهذه الاصوات من أنواع الموجودات فصدقتم بالآخرة لعلكم تنجون من عذاب الله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ) وهو كبار الجوهر (والمرجان) وهو صغار الجوهر قاله على وابن عباس والضحاك وقيل بالعكس وقيل المرجان حجر أحمر وقيل حجر شديد البياض والمرجان أعجمى اى بمخالطة العذب المالح من غير واسطة أو بواسطة السحاب فصار ذلك كالذكر والانثى وقال الرازى فيكون العذب كاللقاح للملح وقال أبو حيان قال الجمهور انما يخرج من الاجاج فى المواضع التى تقع فيها الانهار والمياه العذبة فاسند ذلك اليهما وهذا مشهور عند الغواصين قال مكى كما قال على رجل من القريتين عظيم اى من احدى القريتين وحذف المضاف كثير شائع وقيل هو كقوله تعالى نسيا حوتهما وانما الناسى فتاه و يعزى لابى عبيدة قال البغوى وهذا جائز فى كلام العرب ان يذكر شيآن ثم يخص أحدهما بفعل كقوله تعالى يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وكانت الرسل من الانس وقيل يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان وقيل بل يخرجان منهما جميعا وقال ابن عباس تكون هذه الاشياء فى البحر بنزول المطر والصدف تفتح أفواهها للمطر وقد شاهده الناس فيكون تولده من بحر السماء وبحر الارض وهذا قول الطبرى وقال الزمخشرى فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر وانما يخرجان من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب اه وقال بعضهم كلام الله تعالى أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز أنه يسوقهما من البحر العذب الى الملح واتفق أنهم لم يخرجوهما الا من الملح واذا كان فى البر أشياء تخفى على التجار المترددين القاطعين المفاوز فكيف بما فى قعر البحر قال ابن عادل والجواب عن

غير ولادة لان الجنة لا ولادة فيها وقيل أطفال المشركين وهم خدم أهل

هذا ان الله تعالى لا يخاطب الناس ولا يمتن عليهم الا بما يألفون ويشاهدون وقرأ نافع وأبو عمرو يخرج بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمفعول والباقون بفتح الياء وضم الراء مبنيا للفاعل على المجاز وقرأ السوسي وشعبة بابدال الهمزة الساكنة واوا وصلا ووقفا واذا وقف حمزة أبدل الاولى والثانية (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) أى الملك الاعظم المالك لكما (تكذبان) أبكثرة النعم من خلق المنافع فى البحار وتسليطكم عليها واخراج الحلى العجيبة أم بغيرها (وله) أى لا لغيره (الجوارى) أى السفن الكبار والصغار الفارغة والمشحونة فلا تغتروا بالاسباب الظاهرة فتقفوا معها فتسندوا شيئا من ذلك اليها وقرأ (المنشآت) حمزة وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ الموج بجريها أو تنشئ السير اقبالا وادبارا أو التى رفعت شراعها أى قلوعها والشراع القلع وعن مجاهد كل ما رفعت قلعها فهى من المنشآت والا فليست منها ونسبة الرفع اليها مجاز كما يقال أنشأت السحابة المطر وقرأ الباقون بفتح الشين وهو اسم مفعول أى أنشأها الله تعالى أو الناس أو رفعوا شراعها *(تنبيه)* الجوارى جمع جارية وهى اسم أو صفة السفينة وخصها بالذكر لان جريها فى البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله وحده وسميت السفينة جارية لان شأنها ذلك وان كانت واقفة فى الساحل كما سماها فى موضع آخر بالجارية كما قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية وسماها بالفلك قبل أن لم تكن كذلك فقال تعالى لنوح عليه السلام واصنع الفلك بأعيننا ثم بعد ما عملها سماها سفينة فقال تعالى فأنجيناه وأصحاب السفينة قال الرازى فالفلك أولا ثم السفينة ثم الجارية اه والمرأة المملوكة تسمى أيضا جارية لان شأنها الجرى والسعى فى حوائج سيدها بخلاف الزوجة فهى من الصفات الغالبة والسفينة فعيلة بمعنى فاعلة عند ابن دريد كأنها تسفن الماء وفعيلة بمعنى مفعولة عند غيره بمعنى مسفونة وقوله تعالى (فى البحر) متعلق بالمنشآت وقوله تعالى (كالاعلام) حال اما من الضمير المستكن فى المنشآت واما من الجوارى وكلاهما بمعنى واحد والاعلام الجبال والعلم الجبل الطويل قال القائل

* اذا قطعنا علما بدا علم * وقال آخر

ربما أوفيت فى علم * ترفعن ثوبى شمالات

وقالت الخنساء فى أخيها صخر

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

أى جمل فالسفن فى البحر كالجبال فى البر وجمع الجوارى وحد البحر وجمع الاعلام اشارة الى عظمة البحر (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) الذى طوى لكم محيط العالم (تكذبان) أبتلك النعم من خلق مواد السفن والارشاد الى أخذها وتركيبها واجرائها فى البحر وأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره أم غيرها وقوله تعالى (كل من عليها فان) أى هالك تغليب فيه من يعقل على غيره وجميعهم مراد والضمير فى عليها للارض قال بعضهم وان لم يجر لها ذكر كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب ورد هذا بانه قد تقدم ذكرها فى قوله تعالى والارض

الجنة (قوله فمن خلقناهم فلولا تصدقون) أى تهد... تصدقون بأنا خلقناكم

وضعها وقيل الضمير عائد الى الجوارى قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلك أهل الارض فنزل كل شئ هالك الا وجهه فايقنت الملائكة بالهلاك (فان قيل) الكلام فى تعدد النعم فاين النعمة فى فناء الخلق (أجيب) بانها التسوية بينهم فى الموت والموت سبب للنقل الى دار الجزاء والثواب (ويبقى) اى بعد فناء الكل بقاء مستمرا الى ما لا نهاية له (وجه ربك) اى ذاته فالوجه عبارة عن وجود ذاته قال ابن عباس الوجه عبارة عنه (فان قيل) كيف خاطب الاثنين بقوله فباى آلاء ربكما تكذبان وخاطب ههنا الواحد فقال ويبقى وجه ربك ولم يقل وجه ربكما (أجيب) بان الاشارة ههنا وقعت الى كل أحد فقال ويبقى وجه ربك ايها السامع ليعلم كل أحد ان غيره فان ٣ فلو قال ويبقى وجه ربكما لكان كل أحد يخرج نفسه ورفيقه المخاطب عن الفناء (فان قيل) فلو قال ويبقى وجه الرب من غير خطاب كان أدل على فناء الكل (أجيب) بان كاف الخطاب فى الرب اشارة الى اللطف والابقاء اشارة الى القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعديد النعم فلهذا قال بلفظ الرب وكاف الخطاب * ولما ذكر تعالى مباينته للمخلوقات وصف نفسه بالاحاطة الكاملة فقال تعالى (ذو الجلال) اى العظمة التى لا ترام وهو صفة ذاته التى تقتضى اجلاله عن كل ما لا يليق به (والاكرام) اى الاحسان العام وهو صفة فعله مع جلاله وعظمته (فباى آلاء) اى نعم (ربكما) اى المربى لكما على هذا الوجه الذى ما له الى العدم الى أجل مسمى (تكذبان) أبتلك النعم من بقاء الرب وفناء الكل والحياة الدائمة والنعيم المقيم أم بغيرها وقوله تعالى (يسأله من فى السموات) اى كلها كلهم (والارض) كذلك مستأنف وقيل حال من وجه والعامل فيه يبقى أى يبقى مسؤلا من أهل السموات والارض بلسان الحال أو المقال أو بهما قال ابن عباس وأبو صالح أهل السموات يسألونه المغفرة ولا يسألونه الرزق وأهل الارض يسألونهما جميعا وقال ابن جريج يسأله الملائكة الرزق لاهل الارض فكانت المسئلتان جميعا من أهل السماء وأهل الارض لاهل الارض كما فى الحديث قال القرطبى وفى الحديث ان من الملائكة ملكا له أربعة أوجه وجه كوجه الانسان يسأل الله تعالى الرزق لبنى آدم ووجه كوجه الاسد وهو يسأل الله تعالى الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسأل الله تعالى الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر وهو يسأل الله تعالى الرزق للطير وقال ابن عطاء انهم يسألونه القوة على العبادة وقوله تعالى (كل يوم) منصوب بالاستقرار الذى تضمنه الخبر وهو قوله تعالى (هو فى شأن) والشأن الامر روى أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل يوم هو فى شأن قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربه ويرفع أقواما ويضع آخرين وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ويجيب داعيا وقال أكثر المفسرين من شأنه أن يحيى ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى مريضا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله واحداثه فى خلقه ما يشاء وروى البغوى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور

٣ قوله فلو قال الخ يتامل اه مصححه

(ان قلت) كيف قال ذلك مع انهم مستغنون بذلك بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم

وكل ساعة نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شان وقال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله تعالى يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة عمر الدنيا فشانه فيه اى في كل يوم من أيامها الامر والنهي والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والثاني يوم القيامة وشانه فيه الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية له في كل يوم الى العبيد بر جديد وقال بعض المفسرين شانه تعالى أنه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيأ وسأل بعض الملوك وزيره عن هذه الآية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يتفكر فيها فقال له غلام أسود يا مولاي أخبرني ما أصابك لعل الله تعالى يسهل لك على يدي فاخبره فقال أنا أفسرها للملك فاعلمه فقال أيها الملك شان الله تعالى أن يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم صحيحا ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شان الله تعالى وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشف لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو في شان وصح أن القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف قال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم تشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فمعناه انه ليس له الا ما سعى عدلا ولي أن أجزيه بواحدة ألفا فضلا وأما قوله تعالى كل يوم هو في شان فانها شؤن يبديها لا شؤن يبتديها فقام عبد الله فقبل رأسه وسوغ خراجه (فباي آلاء) أي نعم (ربكما) المدبر لكما هذا التدبير العظيم (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (سنفرغ لكم) أي سنقصد لحسابكم وجزائكم وقرأ حمزة والكسائي بعد السين بالياء التحتية والباقون بالنون (أيه الثقلان) اى الانس والجن وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل ذلك في غيره قال القرطبي يقال فرغت من الشغل أفرغ فراغا وفروغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا اى بذلت وليس بالله تعالى شغل يفرغ منه وانما المعنى سنقصد لمجازاتكم ومحاسبتكم فهو وعيد لهم وتهديد قاله ابن عباس والضحاك كقول القائل لمن يريد تهديده اذا أتفرغ لك أي اقصدك وأنشد ابن الانباري لجرير

الان وقد فرغت الى نمير * فهذا حين كنت لهم عذابا

يريد وقد قصدت وأنشد الزجاج والنحاس * فرغت الى العبد المقيد في الحجل * وفي حديث

من خلقهم ليقولن الله
(قوله) هم وان صدقوا
بالسنتهم لكن لما كان

النبي صلى الله عليه وسلم انه لما بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان يا أهل الجباجب هذا مذمم والصباة معه قد بايعوه على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة أما والله يا عدو الله لأتفرغن لك اى أقصد الى ابطال أمرك وهذا اختيار الكسائي وغيره قال ابن الاثير الازب فى اللغة الكثير الشعر وهو ههنا شيطان اسمه أزب العقبة وهو الحية وقيل ان الله تعالى وعد على التقوى وأوعد على الفجور ثم قال تعالى سنفرغ لكم أيه الثقلان أى مما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه أقسم ذلك وأتفرغ منه قاله الحسن ومقاتل وابن زيد *(تنبيه)* رسم أيه بغير ألف فاذا وقف عليها وقف أبو عمرو والكسائي أيها بالالف ووقف الباقون على الرسم أيه وفى الوصل قرأ ابن عامر أيه برفع الهاء والباقون بنصبها *(فائدة)* سمى الانس والجن بالثقلين لعظم شأنهما بالاضافة الى ما فى الارض من غيرهما بسبب التكليف وقيل سموا بذلك لانهما ثقلا الارض أحياء وأمواتا قال الله تعالى وأخرجت الارض أثقالها ومنه قولهم أعطه ثقله اى وزنه وقال بعض أهل المعانى كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان واجده وصائده يفرح به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقيل الثقل الانس لشرفهم وسمى الجن بذلك مجازا للمجاورة والتغليب كالقمرين والعمرين والثقل العظيم الشريف قال صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم ثقلين كتاب الله عز وجل وعترتى (فبأى آلاء) اى نعم (ربكما) اى المحسن اليكما بهذا الصنيع المحكم (تكذبان) اى أبتلك النعم من اثابة أهل طاعته وعقوبة أهل معصيته أم بغيرها (يا معشر الجن) اى يا جماعة فيهم الاهلية والعشرة والتصادق (والانس) اى الخواص والمستأنسين والمؤنسين الذين أمرهم [illegible] الاقامة والاجتماع (ان استطعتم) اى وجدت لكم الطاعة المذكورة فى (ان تنفذوا) اى [illegible] لكم الى ان تمضوا [illegible] غير مانع يمنعكم (من أقطار) اى نواحى (السموات والارض هاربين) [illegible] الله [illegible] من أنواع الجزاء [illegible] منكم أو عصيانا [illegible] قبول [illegible] [illegible] [illegible] من الموت وغيره وقوله تعالى (فانفذوا) أمر تعجيز [illegible] ان [illegible] [illegible] نواحى السموات والارض فعجزوا [illegible] حتى لا [illegible] وعليكم [illegible] [illegible] ولا [illegible] لكم عن [illegible] الله تعالى [illegible] ثم [illegible] الله [illegible] (فان قيل) [illegible] الانس [illegible] وتقديم الانس على الجن [illegible] قوله [illegible] لئن اجتمعت الانس [illegible] [illegible] بمثل هذا القرآن (أجيب) بان [illegible] [illegible] السموات والارض [illegible] [illegible] ان أمكن [illegible] ان يأتوا بقرآن [illegible] ليقولوا [illegible] [illegible] فى [illegible] [illegible] (فان قيل) لم جمع فى قوله تعالى سنفرغ لكم وفى قوله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أيها الثقلان (أجيب) [illegible] [illegible] قوله ان [illegible] [illegible] [illegible] ولذا [illegible] [illegible] [illegible] (لا تنفذون) أى لا تقدرون [illegible] (الا بسلطان) اى الا بقوة وقهر وأنى لكم ذلك وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال معناه ان استطعتم أن تعلموا [illegible] السموات والارض فاعلموا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تعالى [illegible] فى هذه الآيات التى [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible]

فهم بهم خلاف مايقتضيه التصديق كانوا كانهم مكذبون به أو ان ذلك

مكلفون مخاطبون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالانس سواء مؤمنهم كمؤمنهم وكافرهم ككافرهم (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) المحسن اليكما المربي لكما بما تعرفون به قدرته على ما يريد (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها وقال البغوى وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس ان استطعتم الآية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكما) أى أيها المعاندون قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حين يخرجون من القبور يسوقهم الى المحشر (شواظ من نار) قال مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو اللهب الخالص الذى لا دخان له وقال الضحاك هو الدخان الذى يخرج من اللهب ليس كدخان الحطب وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقيل هو اللهب الاحمر وقال عمرو هو النار والدخان جميعا وحكاه الاخفش عن بعض العرب قال حسان

هجوتك فاختضعت لها بذل ... بقافية تأجج كالشواظ

وقرأ ابن كثير بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى واحد مثل صوار من البقر وصوار وهو القطيع من البقر واختلف فى قوله سبحانه وتعالى (ونحاس) فقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم ... وقيل هو الدخان الذى لا لهب معه قاله الخليل وهو معروف فى كلام العرب وأنشد الاعشى

تضيء كضوء سراج السليط ... لم يجعل الله فيه نحاسا

وقال ابن ... والعرب تسمى الدخان نحاسا بضم النون وكسرها واجمع القراء على ضمها ... وقال الضحاك هو دردى الزيت المغلى وقال الكسائى التى لها ريح شديد (فلا تنتصران) أى فلا تمتنعان ولا ينصر بعضكم بعضا من ذلك بل يسوقكم الى المحشر (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) أى المحسن لكما بهذا التدبير المتقن (تكذبان) أبتلك النعم فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفار فى عداد الآلاء أم بغيرها (فاذا انشقت السماء) أى انفرجت فكانت أبوابا لنزول الملائكة (فكانت وردة) أى محمرة مثل الوردة (كالدهان) أى كالاديم الاحمر على خلاف العهد بها لشدة ... وقال مجاهد والضحاك وغيرهما الدهان الدهن والمعنى صارت فى صفاء الدهن ... سعيد بن جبير وقتادة المعنى تصير فى حمرة الورد وجريان الدهن أى تذوب ... الدهن ... حرارة نار جهنم ... مثل الدهن ... الدهن ... اذا ... (فبأى آلاء) ... (ربكما) أى الخالق والمربى لكما (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها ... (فيومئذ) أى ... انشقت السماء ... (لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) ... ولا ... كذا ... اليوم طويل وهو ذو ... فلا يسئلون والامر ... وكل ... تلك الالوان ... فى بعض وقيل المعنى لا يسئلون ... الدار وقال

تحضيض على التصديق بالبعث بعد الموت بالاستدلال بالخلق الاول فكأنه

الحسن وقتادة لا يسألون عن ذنوبهم لان الله تعالى حفظها عليهم وكتبتها الملائكة رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن ومجاهد لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم ورواه مجاهد عنه أيضا في قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسألهم ليعرف ذلك منهم ولكنه يسألهم لم عملتموها سؤال توبيخ وقال أبو العالية لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم وقال قتادة يسئلون قبل الختم على أفواههم ثم يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم شاهدة عليهم * (تنبيه) * الجان هنا وفيما يأتي بمعنى الجني والانس بمعنى الانسي (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) أي الذي رباكما منكما لا مطمع في انكاره ولا خفاء فيه (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها مما أنعم الله تعالى على عباده المؤمنين في هذا اليوم (يعرف) أي لكل أحد (المجرمون) أي العريقون في هذا الوصف (بسيماهم) أي العلامات التي صور الله تعالى ذنوبهم فيها فجعلها ظاهرة بعد أن كانت باطنة وظاهرة الدلالة عليهم كما يعرف الآن الليل اذا جاء لا يخفى على أحد أصلا وكذا النهار ونحوهما الغير الاعمى قال البقاعي وتلك السيمى والله أعلم زرقة العيون وسواد الوجوه والعمى والصمم والمشي على الوجوه ونحو ذلك وكما يعرف المحسنون بسيماهم من بياض الوجوه واشراقها وتبسمها والغرة والتحجيل ونحو ذلك وسبب عن هذه المعرفة قوله تعالى مشيرا بالبناء للمفعول الى سهولة الاخذ من أي آخذ كان (فيؤخذ بالنواصي) أي منهم وهي مقدمات الرؤس (والاقدام) بعد أن يجمع بينها فيسحبون بها سحبا من كل ساحب أقامه الله تعالى لذلك لا يقدرون على الامتناع بوجه فيلقون في النار وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره وعنه يؤخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقى في النار وفعل بالكافر ذلك ليكون أشد لعذابه وقيل تسحبه الملائكة الى النار تارة تأخذ بناصيته وتجره على وجهه وتارة تأخذ بقدميه وتسحبه على وجهه (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) أي المنعم عليكما الذي دبر مصالحكم بعد أن أوجدكم (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها مما وعدان يفعل من الجزاء في الآخرة لكل شخص بما كان يعمل في الدنيا وغير ذلك من الفضل (هذه جهنم) أي يقال لهم اذا ألقوا فيها هذه جهنم (التي يكذب) أي ماضيا وحالا وما لا استهانة ولوردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه (بها المجرمون) أي المشركون المفقون بالاجرام وهو قطع ما من حقه أن يوصل وهو ما أمر الله تعالى به وخص هذا الاسم اشارة الى انما تلقاهم بالتجهم والعبوسة والكلاحة والفظاعة كما كانوا يفعلون مع الصالحين عند الاجرام المذكور (يطوفون بينها) أي بين دركات النار (وبين حميم آن) أي حار منتاه في الحرارة وهو منقوص كقاض يقال أنى يأني فهو آن كقضى يقضي فهو قاض والمعنى أنهم يسعون بين الجحيم والحميم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآن الذي صار كالمهل وهو قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل وقال كعب الاحبار واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فيغمسون فيه بأغلالهم ... حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه ... وقد أحدث الله تعالى لهم خلقا جديدا ... فيلقون في النار فذلك قوله تعالى

قال هو خلقكم أولا باعترافكم فلا يمتنع عليه أن يعيدكم ثانيا انتهى

يطوفون

يطوفون بينها وبين حميم آن (فان قيل) هذه الامور ليست نعمة فكيف قال عز وجل (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) أى المحسن أيها الثقلان اليكما (تكذبان) (أجيب) من وجهين أحدهما أن ما وصف من هول يوم القيامة وعقاب المجرمين فيه زجر عن المعاصى وترغيب فى الطاعات وهذا من أعظم النعم روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى على شاب يقرأ فى الليل فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول ويحى من يوم تنشق فيه السماء ويحى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويحك يافتى مثلها فوالذى نفسى بيده لقد بكت ملائكة السماء من بكائك الثانى أن المعنى ان كذبتم بالنعمة المتقدمة استحققتم هذه العقوبات وهى دالة على الايمان بالغيب وهو من أعظم النعم * ولما عرف ما للمجرم المجترئ على العظائم وقدمه لما اقتضاه مقام التكذيب من الترهيب وجعله سابعا اشارة الى أبواب النار السبع عطف عليه ما للخائف الذى اداه خوفه الى الطاعة وجعله ثامنا على عدد أبواب الجنة الثمانية فقال تعالى (ولمن خاف) أى من الثقلين ووحد الضمير مراعاة للفظ من اشارة الى قلة الخائفين (مقام ربه) أى قيامه بين يدى ربه للحساب بترك المعصية والشهوة قال القرطبى ويجوز أن يكون المقام للعبد ثم يضاف الى الله تعالى وهو كالاجل فى قوله تعالى فاذا جاء أجلهم وقوله تعالى فى موضع آخر ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر وقال مجاهد هو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها من مخافته عز وجل (جنتان) أى لكل خائف جنتان على حدة قال مقاتل جنة عدن وجنة النعيم وقال محمد ابن على الترمذى جنة بخوف ربه وجنة بترك شهوته وقال ابن عباس من خاف مقام ربه بعد أداء الفرائض وقيل جنتان لجميع الخائفين وقيل جنة لخائف الانس واخرى لخائف الجن فيكون من باب التوزيع وقيل مقام هنا مقحم كما تقول أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وانشد ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذئب قال ابن عادل وليس بجيد لان زيادة الاسم ليست بالسهلة وقيل ان الجنتين جنته التى خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل أزواجه كما يفعل رؤساء الدنيا وقيل احدى الجنتين مسكنه والاخرى بستانه وقيل احدى الجنتين اسافل القصور والاخرى أعاليها وقال الفراء انها جنة واحدة وانما ثنى مراعاة لرؤس الآى وأنكر القتيبى هذا وقال لا يجوز أن يقال خزنة النار عشرون وانما قال تسعة عشر مراعاة لرؤس الآى وقيل جنة واحدة وانما ثنى تأكيدا كقوله تعالى ألقيا فى جهنم وعن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة أخرجه الترمذى قوله أدلج الادلاج مخففا السير أول الليل ومثقلا السير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد فى أول الامر فان من سار فى أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل روى البغوى بسنده عن أبى الدرداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنى وان سرق يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان

قوله تصدقون بذلك أفرأيتم ما تمنون أفرأيتم ما تحرثون أفرأيتم الماء الذى

قلت الثالثة وان زنى وان سرق يارسول الله قال وان زنى وان سرق على رغم انف أبي الدرداء
(فائدة) قال القرطبي في هذه الآية دليل على أن من قال لزوجته أن لم أكن من أهل الجنة فأنت طالق انه لايحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله تعالى وحياء منه وقاله سفيان الثوري وأفتى به هذا ومذهب الشافعي أنه لايحنث اذا كان مسلما ومات على الاسلام وقال عطاء نزلت هذه الآية في أبي بكر حين ذكر ذات يوم الجنة حين أزلفت والنار حين أبرزت وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا على ظما فأعجبه فسأل عنه فأخبر عنه أنه من غير حل فاستقاءه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فقال رحمك الله لقد أنزلت فيك آية وتلا عليه الآية (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) المربي لكما باحسانه الكبار التي لايقدر أحد على شيء منها (تكذبان) أبتلك النعمة أم بغيرها من نعمه التي لا تحصى ثم وصف الجنتين بقوله تعالى (ذواتا) أي صاحبتا أو خبر لمبتدا محذوف أي هما ذواتا وفي تثنية ذات لغتان الرد الى الاصل فان أصلها ذوية فالعين واو واللام ياء لانها مؤنثة ذو والثانية التثنية على اللفظ فيقال ذاتا وقوله تعالى (أفنان) فيه وجهان أحدهما أنه جمع فنن كطلل وهو الغصن المستقيم طولا تكون به الزينة بالورق والثمر وكمال الانتفاع قال النابغة الذبياني

بكاء حمامة تدعو هديلا * مفجعة على فنن تغني

وفي الحديث أهل الجنة مرد مكحولون أولو أفانين يريد الافانين وهو جمع أفنان وأفنان جمع فنن من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي وقال قتادة ذواتا أفنان أي ذواتا سعة وفضل على ما سواهما والوجه الثاني أنه جمع فن واليه أشار ابن عباس والمعنى ذواتا أنواع واشكال وقال الضحاك ألوان من الفاكهة واحدها فن الاول الكثير في فن أن يجمع على فنون وقال عطاء كل غصن فنون من الفاكهة ولما تسبب عنه قوله تعالى (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) أي المحسن لكما والمدبر لكما (تكذبان) أبتلك النعم من وصف الجنة الذي جعل لكم من أمثاله ماتعتبرون به أم بغيرها ولما كانت الجنان لاتقوم الا بالانهار قال تعالى (فيهما عينان تجريان) أي في كل واحدة منهما عين جارية قال ابن عباس تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والأخرى السلسبيل وقال عطية احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من جبل من مسك قال أبو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فتجريان في أي مكان شاءا صاحبهما وان علا مكانه كما تصعد المياه في الاشجار في كل غصن منها وان زاد علوها (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) أي المالك لكما والمحسن اليكما (تكذبان) أبتلك النعم التي ذكرها وجعل لها في الدنيا أمثالا كثيرة أم بغيرها (فيهما) أي الجنتين (من كل فاكهة) أي تفاكهونها (زوجان) أي صنفان ونوعان قيل معناه أن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا وقال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا أنه حلو (فان قيل) قوله تعالى ذواتا أفنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة زوجان كلها أوصاف للجنتين فما الحكمة في فصل بعضها عن بعض ...

تشربون أفرأيتم النار التي تورون) بدأ بذكر خلق الانسان ثم بما لاغنى له

مع أنه تعالى لم يفصل حين ذكر العذاب بين الصفات بل قال تعالى يرسل عليكما شواظ من
نار ونحاس فلا تنتصران مع أن إرسال الشواظ غير إرسال النحاس (أجيب) بأنه تعالى جمع
العذاب جملة وفصل آيات الثواب ترجيحا لجانب الرحمة على جانب العذاب وتطييبا للقلب
وتهييجا للسامع فإن إعادة ذكر المحبوب وتطويل الكلام في اللذات مستحسن (فإن قيل)
فما وجه توسط آية العينين بين ذكر الأفنان وآية الفاكهة والفاكهة إنما تكون على الأغصان
فالمناسبة أن لا يفصل بين آية الأغصان والفاكهة (أجيب) بأن ذلك على عادة المتنعمين إذا
خرجوا يتفرجون في البستان فأول قصدهم الفرجة بالخضرة والماء ثم يكون الأكل تبعا (فبأي
آلاء) أي نعم (ربكما) أي المربي لكما الموجد لكما المحسن إليكما (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها
مما فوضه إليكم من سائر النعم التي لا تحصى * ولما كان التفكه لا يكمل حسنه إلا مع التنعم من
طيب الفرش وغيره قال تعالى مخبرا عن هؤلاء الذين يخافون مقام ربهم (متكئين) أي لهم
ما ذكر حال الاتكاء والعامل في الحال محذوف أي يتنعمون متكئين (على فرش) وعظمها
قوله تعالى مخاطبا للمكلفين بما يحتمل عقولهم وإلا فليس في الجنة ما يشبهه على الحقيقة شيء من
الدنيا (بطائنها من إستبرق) وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وأبو هريرة إذا كانت
البطائن التي تلي الأرض هكذا فما ظنك بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من إستبرق فما
الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال ابن عباس إنما
وصف لكم بطائنها لتهتدي إليه قلوبكم فأما الظواهر فلا يعلمها إلا الله تعالى ونظير ذلك في الجنة
قوله تعالى عرضها السموات والأرض وأما الطول فلا يعلمه إلا الله عز وجل لكن قال القرطبي
وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ظواهرها نور يتلألأ وقيل ظواهرها من السندس
وعن الحسن البطائن هي الظواهر وهو قول الفراء وروي عن قتادة والعرب تقول للبطن
ظهرا فيقولون هذا بطن السماء وظهر الأرض فقال الفراء قد تكون البطانة الظهارة
والظهارة البطانة لأن كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن
السماء لظاهرها الذي نراه وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا وقالوا لا يكون هذا إلا في الوجهين
المتساويين إذا ولي كل واحد منهما قوما كالحائط بينك وبين قوم وعلى ذلك أمر السماء وقال ابن
عباس [illegible] البطائن وترك الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر (تنبيه) *
قال الرازي الإستبرق معرب وهو الديباج الثخين [illegible] لا يخرج القرآن عن كونه
عربيا [illegible] تلفظت به العرب [illegible]
[illegible] كلا لأنه قال
الصحيح [illegible] (وجنى الجنتين) أي ثمرهما
(دان) أي قريب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله تعالى إن شاء قائما وإن شاء
قاعدا وإن شاء مضطجعا [illegible] قال الرازي [illegible] الآخرة تخالف
جنة الدنيا من ثلاثة أوجه أحدها [illegible] أشجار الدنيا بعيدة على الإنسان
المتكئ وفي الجنة هو متكئ والثمرة تتدلى إليه وثانيها أن الإنسان في الدنيا يسعى إلى الثمرة
ويتحرك إليها وفي الآخرة هي تدنو إليهم وتدور عليهم وثالثها أن الإنسان في الدنيا إذا قرب من
ثمرة شجرة [illegible] الجنة كلها تدنو إليهم في وقت واحد ومكان واحد (فبأي آلاء) أي

عنه وهو الحب الذي منه
دونه ثم الماء الذي به [illegible]
وبعده ثم بالثمار التي بها نضجه

نعم (ربكما) أى المربى لكما الذى يقدر على كل ما يريده (تكذبان) أمن قدرته على عطف الاغصان وتقريب الثمار أم من غيرها ولما كان ما ذكر لا تتم نعمته الا بالنسوان الحسان قال تعالى (فيهن) أى الجنان التى علم مما مضى ان لكل فرد من الخائفين منها جنتين فصح الجمع وقال الزمخشرى فيهن فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى أو فى الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس اه قال أبو حيان وفيه أى الاول بعد لان الاستعمال أن يقال على الفراش كذا ولا يقال فى الفراش كذا الا بتكلف ولذلك جمع الزمخشرى مع الفرش غيرها حتى صح له أن يقول ذلك وقيل يعود على الجنتين لان أقل الجمع اثنان وقال الفراء كل موضع فى الجنة جنة فلذلك صح أن يقال فيهن (قاصرات الطرف) أى الاعين على أزواجهن المتكئين من الانس والجن قال الرازى وقوله قاصرات الطرف أى نساء أو أزواج فحذف الموصوف لنكتة وهى أنه تعالى لم يذكرهن باسم الجنس وهو النساء بل بالصفات فقال تعالى حور عين كواعب أترابا قاصرات الطرف حور مقصورات ولم يقل نساء عربا ولا نساء قاصرات لوجهين اما على عادة العظماء كبنات الملوك انما يذكرن بأوصافهن واما لانهن لما كملن كأنهن خرجن عن جنسهن وقوله تعالى قاصرات الطرف يدل على عفتهن وعلى حسن المؤمنين فى أعينهن فيحببن أزواجهن حبا شديدا يشغلهن عن النظر الى غيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربى ما أرى فى الجنة أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجك ويدل أيضا على الحياء لان الطرف حركة الجفن والحيية لا تحرك جفنها ولا ترفع رأسها (تنبيه) انظر الى حسن هذا الترتيب فانه تعالى بين اولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتنزه به وهو البستان والاعين الجارية ثم ذكر المأكول فقال تعالى فيهما من كل فاكهة ثم ذكر موضع الراحة بعد الاكل وهو الفراش ثم ذكر ما يكون فى الفراش معه ولما كان الاختصاص بالشئ من أعظم الملذات لاسيما المرأة قال تعالى (لم يطمثهن) أى لم يجامعهن ويتسلط عليهن يقال طمثت المرأة كضرب وفرح حاضت وطمثها الرجل افتضها وأيضا جامعها (انس قبلهم) أى المتكئين (ولا جان) فكأنه قال هن أبكار لم يخالطهن أحد فان هذا جمع كل من يمكن منه جماع وفى ذلك دليل على أن الجنى يغشى كما يغشى الانسى ويدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيات قال ضمرة للمؤمنين منهم أزواج من الحور فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال مقاتل لانهن خلقن فى الجنة فعلى قوله يكونون من حور الجنة وقال الشعبى من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ أنشئن خلق وهو قول الكلبى أى لم يجامعهن فى هذا الخلق الذى أنشئن فيه انس ولا جان واما فى الدنيا فقال مجاهد اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجنى على احليله فجامع معه وقال القرطبى لم يطمثهن لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد وهذا شامل لنساء الجنة ولنساء الدنيا بعد انشائهن خلقا جديدا وقرأ الكسائى يطمثهن بضم الميم فى الموضعين بخلاف عنه ويخير فى أحدهما وهما لغتان يقال طمثها يطمثها ويطمثها اذا جامعها (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) المدبر مصالحكما (تكذبان) اى باى نوع من انواع هذا الاحسان ام غيره (كأنهن الياقوت) اى صفاء (والمرجان) اى اللؤلؤ بياضا والياقوت جوهر نفيس يقال ان النار لا تؤثر فيه والمرجان صغار اللؤلؤ وأشده بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة

وصلاحه وذكر عقب كل من الثلاثة الاولى ما يفسد فقال فى الاولى نحن قدرنا

الياقوت لأن أحسن الألوان البياض المشرب بحمرة قال ابن الخازن والأصح أنه شبههن بالياقوت لصفائه فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استضأته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه قال عمرو بن ميمون إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الأحمر من الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لأن الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استضأته لرأيته من ورائه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم الألوة أي بخور رهم العود ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) أي المالك الملك المربي ببدائع التربية (تكذبان) أبما جعله مثالا لما ذكر من وصفهن أم بغيره (هل جزاء الإحسان) أي بالطاعة من الإنس والجن وغيرهما (إلا الإحسان) أي بالثواب وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إلا الجنة وعن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ثم قال أتدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) الكريم الرحيم الجامع لأوصاف الكمال (تكذبان) أبشيء من هذه النعم الجزيلة أم بغيرها (ومن دونهما) أي من أدنى مكان ورتبة تحت جنتي هؤلاء المحسنين المقربين (جنتان) أي لكل واحد من دون هؤلاء المحسنين من الخائفين وهم أصحاب اليمين وقال أبو موسى الأشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هي أربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقال الكسائي ومن دونهما أي أمامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الأوليان من ذهب وفضة والأخريان من ياقوت وعلى هذا فهما أفضل من الأوليين وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الأصول وقال ومعنى ومن دونهما جنتان أي دون هذا إلى العرش أي أقرب وأدنى إلى العرش وقال مقاتل الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) أي المحسن بنعمه لجميع خلقه (تكذبان) أبشيء مما تفضل به عليكم أم بغيره ثم وصف الله الجنتين بقوله تعالى (مدهامتان) قال ابن عباس رضي الله عنهما خضراوان وقال مجاهد مسودتان لأن الخضرة إذا اشتدت تضرب إلى السواد وهو من أحسنها بالنظر ولذلك قالوا سواد العراق لكثرة شجره وزرعه والأرض إذا اخضرت غاية الخضرة تضرب إلى سواد قال الرازي

يذكم الموت وفي الثانية
لو نشاء لجعلناه حطاما وفي
الثالثة لو نشاء جعلناه

والتحقيق فيه أن ابتداء الألوان هو البياض وانتهاءها هو السواد فإن الأبيض يقبل كل لون والأسود لا يقبل شيئاً من الألوان (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) أي المحسن إليكما بالرزق وغيره (تكذبان) أبشيء من تلك النعم أم بغيرها ثم وصف تلك الجنتين أيضاً بقوله تعالى (فيهما) أي في جنتي كل شخص منهم (عينان نضاختان) قال ابن عباس أي فوارتان بالماء والنضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء المهملة لأن النضح بالمهملة الرشح والرش وبالمعجمة فوران الماء وقال مجاهد المعنى نضاختان بالخير والبركة وعن ابن مسعود تنضخ على أولياء الله تعالى بالمسك والكافور والعنبر في دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر وقال سعيد بن جبير بأنواع الفواكه والماء (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) المربي البليغ الحكمة في التربية (تكذبان) أبتلك النعمة أم بغيرها ثم وصف الجنتين أيضاً بقوله تعالى (فيهما فاكهة) وخص أشرفها وأكثرها وجداناً في الخريف والشتاء كما في جنان الدنيا التي جعلت مثالاً لهاتين بقوله تعالى (ونخل ورمان) فإن كلاً منهما فاكهة وإدام فلهذا خصا بالذكر تشريفاً وتنبيهاً على ما فيهما من التفكه وأولهما أعم نفعاً وأعجب خلقاً ولذا قدمه فعطفهما على الفاكهة من باب ذكر الخاص بعد العام تفضيلاً له كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال بعض العلماء ليس ذلك من الفاكهة ولهذا قال أبو حنيفة إذا حلف لا يأكل الفاكهة فأكل رطباً أو رماناً لم يحنث وخالفه صاحباه وقال القرطبي وقيل إنما كررهما لأن النخل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا الآن لأن النخل عامة قوتهم والرمان كالثمرات فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم إليه وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التي يعجبون بها فإنما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما والاهما من أرض اليمن فأخرجهما من الذكر من الفواكه وأفرد الفواكه على حدتها وقيل أفردا بالذكر لأن النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه قال البغوي وعن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وورقها ذهب أحمر وسعفها كسوة أهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم وروى أن الرمانة من رمان الجنة مثل جلد البعير المقتب وقيل إن نخل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعاً (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) المحسن إلى الثقلين بجلائل التربية (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها مما أحسن به إليكم (فيهن) أي الجنان الأربع أو الجنتين وقصورهما (خيرات حسان) أي نساء الواحدة خيرة على معنى ذوات خير وقيل خيرات بمعنى خيرات فخفف كهين ولين روى الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه وقال أبو صالح لأنهن عذارى أبكار وقال الحكيم الترمذي فالخيرة ما اختارهن الله تعالى فأبدع خلقهن باختياره فاختيار الله تعالى لا يشبه اختيار الآدميين فوصفهن بالحسن فإذا وصف الله تبارك وتعالى خالق الحسن شيئاً بالحسن فانظر ما هناك وقال الرازي في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) أي الكامل

أجاجاً لم يقل في الرابعة ما يفسدها بل قال نحن جعلناها تذكرة يتعظون

الاحسان اليكما (تكذبان) أبنعمة ما جعل لكم من انواع الفواكه أم غيرها ثم زاد في وصفهن بقوله تعالى (حور) جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين الشديدة بياضها (مقصورات) والمقصورات المحبوسات المستورات (في الخيام) وهي الحجال فلسن بطوافات في الطرق قاله ابن عباس والنساء تمدح بملازمتهن البيوت كما قال قيس بن الاسلت

وتكسل عن جيرانها فيزرنها * وتعتل من اتيانهن فتعذر

ويقال امرأة مقصورة وقصيرة وقصورة بمعنى واحد قال كثير عزة

وأنت التي حببت كل قصيرة * الي ولم يعلم بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطا شر النساء البحاتر

والخيام جمع خيمة وهي أربعة أعواد تنصب وتسقف بشيء من نبات الارض وجمعها خيم كتمرة وتمر وتجمع الخيم على خيام فهو جمع الجمع وأما ما يتخذ من شعر أو وبر أو نحوه فيقال له خباء وقد يطلق عليه خيمة تجوزا وقال عمر الخيمة درة مجوفة وقاله ابن عباس قال وهي فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب وفي الحديث ان في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون وقال أبو عبد الله الحكيم الترمذي قال بلغنا أن سحابة أمطرت من العرش فخلقن أي الحور العين من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الانهار سعتها أربعون ميلا وليس لها باب حتى اذا دخل ولي الله تعالى بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها فهي مقصورة قد قصرها الله عن أبصار المخلوقين وقال مجاهد معناه قصرن أطرافهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بدلا وقال صلى الله عليه وسلم لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على أهل الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها *(فائدة)* اختلفوا أيما أكثر حسنا وأتم جمالا الحور أم الآدميات فقيل الحور لما ذكر في وصفهن في القرآن والسنة ولقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه في صلاة الجنازة وأبدله زوجا خيرا من زوجه وقيل الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف وروي ذلك مرفوعا وقيل ان الحور العين المذكورات في القرآن هن المؤمنات من أزواج النبيين والمؤمنين يخلقن في الآخرة على أحسن صورة قاله الحسن البصري قال ابن عادل والمشهور ان الحور العين لسن من نساء أهل الدنيا انما هن مخلوقات في الجنة لان الله تعالى قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وأكثر نساء أهل الدنيا مطموثات اه لكن مر أنه لم يطمثهن بعد انشائهن خلقا آخر وعلى هذا لا دليل في ذلك (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) الذي صوركم فأحسن صوركم (تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) كحور الجنتين الاولين وضمير هم في قبلهم لاصحاب الجنتين (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) الذي جعل لكم في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (متكئين) أي أهم ماذكر حالة الاتكاء والعامل في الحال محذوف أي ينعمون متكئين (على رفرف) أي ثياب ناعمة وفرش رقيقة النسج من الديباج لينة ووسائد عظيمة ورياض باهرة وبسط لها أطراف فاضلة وهو جمع رفرفة لان الله تعالى

بها ومتاعا له. قوله اى للمسافرين ينتفعون بها (قوله لو نشاء لجعلناه

وصفه بالجمع بقوله تعالى (خضر) ووصفه بذلك لان الخضرة أحسن الالوان وأبهجها وقال الجوهري هو ثياب خضر تتخذ منها المحابس الواحد رفرفة واشتقاقه من رف الطائر أى ارتفع في الهواء ورفرف بجناحيه اذا نشرهما للطيران وقيل الرفرف طرف الفسطاط والخباء الواقع على الارض دون الاطناب والاوتاد وفي الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة أى رفع طرف الفسطاط وقال الحكيم الترمذي في نوادر الاصول الرفرف أعظم خطرا من الفرش فذكر في الاولين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف خضر فالرفرف هو مستقر الولي على شئ اذا استوى عليه الولي رفرف به أى طار به حيثما يريد كالمرجاح وروى في حديث المعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى سند العرش فذكر أنه قال طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي أى في محل تنزلات رحمة ربي ثم لما جاء الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى أداه الى جبريل عليه السلام فالرفرف خادم من الخدم بين يدى الله تعالى له خواص الامور من الدنو والقرب كما أن البراق دابة تركبها الانبياء عليهم السلام مخصوصة بذلك وهذا الرفرف الذي سخر لاهل الجنتين الدانيتين هو متكؤهما وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك الانهار حيث يشاء الى خيام أزواجه وقوله تعالى (وعبقري) منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب قال في القاموس عبقر موضع كثير الجن وقرية ثيابها في غاية الحسن والعبقري الكامل من كل شئ وقال الخليل هو كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم وقال قطرب ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسي وبختي اه والمراد به الجنس ولذلك قال تعالى (حسان) حملا على المعنى أى هى في غاية من كمال الصنعة وحسن المنظر لا توصف (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) المحسن الواحد الذي لا محسن غيره ولا احسان الا منه (تكذبان) أبشئ من هذه النعم ام بغيرها * ولما دل ما ذكر في هذه السورة من النعم على احاطة مبدعها باوصاف الكمال وختم نعم الدنيا بقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى أن الباقي هو الله تعالى وأن الدنيا فانية ختم نعيم الآخرة بقوله عز من قائل (تبارك) قال ابن برجان تفاعل من البركة ولا يكاد يذكره جل ذكره الا عند أمر معجب اه ومعناه ثبت ثباتا لا تسع العقول وصفه * ولما كان تعظيم الاسم أبلغ في تعظيم المسمى قال تعالى (اسم ربك) أى المحسن اليك بانزال هذا القرآن الذي جبلك على متابعته فصرت مظهره وصار خلقك فصار احسانه اليك فوق الوصف وقيل لفظ اسم زائد وجرى عليه الجلال المحلى والاول اولى (ذى الجلال) أى العظمة الباهرة (والاكرام) قال القرطبي كأنه يريد به الاسم الذي افتتح به السورة فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن وخلق السموات والارض وصنعه وانه تعالى كل يوم هو في شان ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة وأهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال في آخر السورة تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام أى هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة كأنه يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم

حطاما) ذكر في جواب لو في الزرع الادم علا للاصل وحسنه فيما سنه في الماء

وخلقت لكم السماء والارض والخليقة والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه فقال تعالى تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام أى جليل فى ذاته كريم فى أفعاله وقرأ ابن عامر بالواو رفعا صفة للاسم والباقون بالياء خفضا صفة لرب فانه هو الموصوف بذلك روى الثعلبى عن على أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل شئ عروس وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه حديث موضوع

سورة الواقعة مكية

فى قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء وقال ابن عباس وقتادة الا آية منها نزلت بالمدينة وهى قوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وقال الكلبى مكية الا أربع آيات منها آيتان أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون نزلتا فى سفره الى مكة وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين نزلتا فى سفره الى المدينة وقدمنا أن فى المدنى والمكى اصطلاحين وان المشهوران المكى ما نزل قبل الهجرة والمدنى ما نزل بعدها وهى ست وتسعون آية قال الجلال المحلى وهى ست او سبع او تسع وتسعون آية اه وثلثمائة وثمان وتسعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة احرف

(بسم الله) الذى له الكمال كله فتفاوت بين الناس فى الاحوال (الرحمن) الذى عم بنعمة البيان وفاضل فى قبولها بين أهل الادبار واهل الاقبال (الرحيم) الذى قرب أهل حزبه ففازوا بمحاسن الاقوال والافعال * ولما قسم سبحانه الناس فى تلك السورة الى ثلاثة اصناف مجرمين وسابقين ولاحقين شرح احوالهم فى هذه السورة وبين الوقت الذى يظهر فيه ما كرامه وانتقامه بقوله تعالى (اذا وقعت الواقعة) اى التى لابد من وقوعها ولا واقع يستحق ان يسمى الواقعة بلام الكمال وتاء المبالغة غيرها وهى النفخة الثانية التى يكون عنها البعث الاكبر الذى هو القيامة الجامعة لجميع الخلق فسميت واقعة لتحقق وقوعها وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدائد وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر أو كان كيت وكيت وقال الجرجانى اذا صلة كقوله تعالى اقتربت الساعة وأتى أمر الله وهو كما يقال جاء الصوم اى دنا وقرب وقوله تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) مصدر بمعنى الكذب والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر كقوله تعالى لا يسمع فيها لاغية أى لغوا والمعنى ليس لها كذب قاله الكسائى أو صفة والموصوف محذوف أى ليس لوقعتها حال كاذبة أى كل من يخبر عن وقعتها صادق أو نفس كاذبة بان تنفيها كما نفتها فى الدنيا وقال الزجاج ليس لوقعتها كاذبة أى لا يردها شئ وقيل ان قيامها جد لا هزل وقوله تعالى (خافضة رافعة) تقرير لعظمتها وهو خبر لمبتدا محذوف أى هى قال عكرمة ومقاتل خفضت الصوت فأسمعت من دنا ورفعت الصوت فأسمعت من نأى يعنى أسمعت القريب والبعيد وعن السدى خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين وقال قتادة خفضت أقواما فى عذاب الله تعالى ورفعت أقواما الى طاعة الله تعالى وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خفضت أعداء الله تعالى فى النار ورفعت

اختصار الدلالة الاول عليه أو ان أصل هذه اللام للتأكيد وهو أنسب

أولياء الله تعالى فى الجنة وقال ابن عطاء خفضت قوما بالعدل ورفعت آخرين بالفضل ولا مانع أن كل ذلك موجود فيها والرفع والخفض يستعملان عند العرب فى المكان والمكانة والعز والاهانة ونسب سبحانه وتعالى الخفض والرفع الى القيامة توسعا ومجازا على عادة العرب فى اضافتها الفعل الى المحل والزمان وغيرهما مما لم يمكن منه الفعل يقولون ليل قائم ونهار صائم وفى التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع فى الحقيقة هو الله تعالى واللام فى قوله تعالى لوقعتها اما للتعليل أى لا تكذب نفس فى ذلك اليوم لشدة وقعتها واما للتعدية كقولك ليس لزيد ضارب فيكون التقدير اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها أمر يوجد لها كاذب اذا أخبر بوقعه قال الرازى وعلى هذا لا تكون ليس عاملة فى اذا وهو بمعنى ليس لها كاذب (اذا رجت الارض) أى كلها على سعتها وثقلها بأيسر أمر (رجا) أى حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل قال بعض المفسرين ترتج كما يرتج الصبى فى المهد حتى ينهدم ما عليها وينكسر كل شئ عليها من الجبال وغيرها والرجرجة الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب وفى الحديث من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له يعنى اذا اضطربت أمواجه والظرف متعلق بخافضة أو بدل من اذا وقعت ولما ذكر حركتها المزعجة أتبعها غايتها بقوله تعالى (وبست الجبال بسا) أى فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته قال ابن عباس ومجاهد كما يبس الدقيق أى يلت والبسيسة السويق أو الدقيق يلت بالسمن أو الزيت ثم يؤكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا قال الراجز

لا تخبزا خبزا وبسا بسا * ولا تطيلا بمناخ حبسا

أو سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها وبست الابل وأبستها لغتان اذا زجرتها وقلت بس بس قاله أبو زيد وقال الحسن بست قلعت من أصلها فذهبت ونظيرها ينسفها ربى نسفا وقال عطية بسطت بالرمل والتراب (فكانت) أى بسبب ذلك (هباء) أى غبارا هو فى غاية الانسحاق والى شدة لطافته أشار بصفته فقال تعالى (منبثا) أى منتشرا متفرقا بنفسه من غير حاجة الى هواء يفرقه فهو كالذى يرى فى شعاع الشمس اذا دخل من كوة وعن ابن عباس هو ما تطاير من النار اذا أضرمت يطير منها شرر فاذا وقع لم يكن شيئا (وكنتم) أى قسمتم بما كان فى جبلاتكم وطباعكم فى الدنيا (أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة قال البيضاوى وكل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر زوج ثم بين من هم بقوله تعالى (فأصحاب الميمنة) وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم مبتدأ وقوله تعالى (ما) استفهام فيه تعظيم مبتدأ ثان وقوله تعالى (أصحاب الميمنة) خبر المبتدا الثانى والجملة خبر الاول وتكرير المبتدا هنا بلفظه مغن عن الضمير ومثله الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك الا فى موضع التعظيم * ولما ذكر الناجين بقسميهم اتبعهم اضدادهم بقوله تعالى (وأصحاب المشأمة) أى الشمال وهم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقوله تعالى (ما أصحاب المشأمة) تحقير لشأنهم بدخولهم النار وقال السدى أصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وأصحاب المشأمة هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار والمشأمة الميسرة وكذا الشامة والعرب تقول لليد الشمال الشؤمى وللجانب الشمال الاشأم وكذلك يقال لما جاء عن اليمين اليمن ولما جاء عن الشمال الشؤم قال البغوى ومنه سمى الشأم واليمن لان اليمن عن يمين الكعبة

بالمطعوم لانه مقدم وجودا
وترتيبه على المشروب
(قوله فسبح باسم ربك)

قوله الانسحاق فى بعض النسخ الانمحاق بدله اه مصححه

والشام عن شمالها وقال ابن عباس رضي الله عنهما أصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه فقال الله تعالى لهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقال زيد بن أسلم هم الذين أخذوا من شق آدم الايمن وقال ابن جريج أصحاب الميمنة هم أصحاب الحسنات وأصحاب المشأمة هم أصحاب السيئات وفي صحيح مسلم من حديث الاسراء عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال آدم عليه السلام وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين أهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار وذكر الحديث وقال المبرد أصحاب الميمنة أصحاب التقدم وأصحاب المشأمة أصحاب التأخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك أي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتأخرين *(تنبيه)* الفاء في قوله تعالى فأصحاب تدل على التقسيم وبيان ما ورد عليه التقسيم كأنه قال أزواجا ثلاثة أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون ثم بين حال كل قسم فقال فأما أصحاب الميمنة وترك التقسيم أولا واكتفى بما يدل عليه بان ذكر الاقسام الثلاثة مع أحوالها (فان قيل) ما الحكمة في اختيار لفظ المشأمة في مقابلة الميمنة مع انه قال في بيان أحوالهم وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال (اجيب) بان اليمين وضع للجانب المعروف واستعملوا منه ألفاظا في مواضع فقالوا هذا ميمون تيمنا به ووضعوا مقابلة اليمين اليسار من الشيء اليسير اشارة الى ضعفه واستعملوا منه الفاظا تشاؤما به فذكر المشأمة في مقابلة الميمنة وذكر الشمال في مقابلة اليمين فاستعمل كل لفظ مع مقابله * ولما ذكر تعالى القسمين وكان كل منهما قسمين ذكر أعلى أهل القسم الاول ترغيبا في حسن حالهم ولم يقسم أهل المشأمة ترهيبا في سوء حالهم فقال تعالى (والسابقون) أي الى اعمال الطاعة مبتدأ وقوله تعالى (السابقون) تأكيد عن المهدوي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السابقون الذين اذا أعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم وقال محمد بن كعب القرظي هم الانبياء عليهم السلام وقال الحسن وقتادة السابقون الى الايمان من كل أمة وقال محمد بن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقال مجاهد والضحاك هم السابقون الى الجهاد وأول الناس رواحا الى الصلاة وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه هم السابقون الى الصلوات الخمس وقال سعيد بن جبير الى التوبة وأعمال البر قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم أثنى عليهم فقال تعالى أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم أربعة منهم سابق امة موسى عليه السلام وهو حزقيل مؤمن آل فرعون وسابق أمة عيسى عليه السلام وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقا أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقال شميط بن عجلان الناس ثلاثة رجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من أصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من أصحاب الشمال وروي عن كعب

ای نزه ربك فقوله باسم
زائدا والمعنى نزه اسم ربك
فالباء زائدة والاسم باق

قال هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة وقيل هم أول الناس رواحا الى المسجد وأولهم خروجا في سبيل الله وخبر المبتدا (أولئك) اى العالو الرتبة جدا (المقربون) اى الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش وأعليت مراتبهم واصطفاهم الله تعالى للسبق فأرادهم لقربه ولولا فضله في تقريبهم لم يكونوا سابقين قال الرازي في اللوامع المقربون تخلصوا من نفوسهم واعمالهم كلها لله تعالى دينا ودنيا من حق الله تعالى وحق الناس وكلاهما عندهم حق الله تعالى والدنيا عندهم آخرتهم لانهم يراقبون ما يبدو لهم من ملكوته فيتلقونه بالرضا والانقياد وهم صنفان صنف قلوبهم في جلاله وعظمته هائمة قد ملكتهم هيبته فالحق يستعملهم في وصف آخر قد أرخى من عنانه والامر عليه أسهل لانه قد جاوز بقلبه هذه الخطة وهو أعلى فهو امين الله تعالى في أرضه فيكون عليه أوسع اه ثم بين تقريبه لهم بقوله تعالى (في جنات النعيم) أي الذي لا كدر فيه بوجه ولا منغص * ولما ذكر السابقين فصلهم بقوله تعالى (ثلة) أي جماعة وقيدها الزمخشري بالكثيرة وانشد

وجاءت اليهم ثلة خندفية * بجيش كتيار من السيل مزبد

قال ابن عادل ولم يقيدها غيره بل صرح بانها الجماعة قلت أو كثرت ثم قال والكثرة التي فهمها الزمخشري قد تكون من السياق اه لكن قال البغوي والثلة جماعة غير محصورة العدد (من الاولين) أي من الامم السابقة من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم من النبيين عليهم السلام ومن آمن بهم (وقليل من الآخرين) وهم من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كان الانبياء عليهم السلام مائة ألف ونيفا وعشرين ألفا وكان من خرج مع موسى عليه السلام من مصر وهو مؤمن به من الرجال المقاتلين ممن هو فوق العشرين ودون الثمانين ستمائة ألف فما ظنك بمن عداهم من الشيوخ ومن دون العشرين من البالغين والصبيان ومن النساء فكيف بمن عداه من سائر النبيين عليهم السلام المجددين من بني اسرائيل وغيرهم قال البيضاوي ولا يخالف ذلك قوله عليه الصلاة والسلام أمتي يكثرون سائر الامم لجواز أن يكون سابقو سائر الامم أكثر من سابقي هذه الامة وتابعو هذه الامة أكثر من تابعيهم قيل لما نزلت هذه الآية شق على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة بل نصف أهل الجنة وتقاسمونهم في النصف الثاني رواه ابو هريرة رضي الله عنه ذكره الماوردي وغيره ومعناه ثابت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود وكأنه أراد أنها منسوخة قال الرازي وهذا في غاية الضعف لان عدد أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان في ذلك الزمان بل الى آخر الزمان بالنسبة الى ما مضى في غاية القلة والمراد بالاولين الانبياء وكبار أصحابهم وهم اذا اجتمعوا كانوا أكثر من السابقين من هذه الامة ولان هذا خبر والخبر لا ينسخ وقال الحسن سابقو من مضى أكثر من سابقينا فلذا قال تعالى وقليل من الآخرين وقال في اصحاب اليمين وهم سوى السابقين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ولذا قال صلى الله عليه وسلم اني لارجو أن تكون أمتي شطر أهل الجنة ثم تلا ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وروى الطبراني أن الثلة والقليل كلاهما من هذه الامة فتكون الصحابة كلهم من هذه الثلة وكذا من تبعهم باحسان الى رأس القرن الثالث وهم

وهم قوله صنفان صنف الخ لم يذكر الا واحدا اه

على معناه أو هو بمعنى الذات أو بمعنى الذكر أو الباء متعلقة بمحذوف والمراد

لا يعصمهم الا الله تعالى ومن المعلوم أنه تناقص الامر بعد ذلك الى أن صار السابق فى الناس أقل من القليل لرجوع الاسلام الى الحال التى بدا عليها من الغربة بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء اى وهم الذين اذا فسد الناس صلحوا كما فسره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك وقال أبو بكر كلا الثلثين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو فى أول أمته ومنهم من هو فى آخرها وهو مثل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقيل المراد بالاولين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبالاخرين ذرياتهم الملحقون بهم فى قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم واشتقاق الثلة وهى مبتدأ من الثل وهو القطع والخبر (على سرر) جمع سرير وهو ما يجعل للانسان من المقاعد العالية الموضوعة للراحة والكرامة (موضونة) قال ابن عباس رضى الله عنهما منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا موضونة أى مصفوفة لقوله تعالى فى موضع آخر على سرر مصفوفة وقيل منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والموضونة المنسوجة وأصله من وضنت الشئ أى ركبت بعضه على بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتركب حلقها قال الاعشى

ومن نسج داود موضونة * تسير مع الحى عيرا فعيرا

ومنه أيضا وضين الناقة وهو حزامها لتراكب طاقاته قال عمر رضى الله عنه وهو مار بوادى محسر

اليك تعدو قلقا وضينها * معترضا فى بطنها جنينها

* مخالفا دين النصارى دينها *

رواه البيهقى ومعناه ان ناقتى تعدو اليك مسرعة فى طاعتك قلقا وضينها وهو حبل كالحزام من كثرة السير والاقبال التام والاجتهاد البالغ فى طاعتك والمراد صاحب الناقة فيسن للمار بوادى محسر أن يقول هذا الكلام الذى قاله عمر رضى الله تعالى عنه * ولما ذكر تعالى السرر وبين عظمها ذكر غايتها فقال سبحانه (متكئين عليها) اى السرر على الجنب او غيره كحال من يكون على كرسى فيوضع تحته شئ آخر للاتكاء عليه (متقابلين) فلا ينظر بعضهم الى قفا بعض وقال مجاهد وغيره هذا فى المؤمن وزوجته وأهله أى يتكؤن متقابلين قال الكلبى طول كل سرير ثلثمائة ذراع فاذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت وقيل انهم صاروا أرواحا نورانية صافية ليس لهم أدبار ولا ظهور *(تنبيه)* متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير فى على سرر ويجوز أن تكون حالا متداخلة فيكون متقابلين حالا من ضمير متكئين * ثم بين تعالى انهم فى غاية الراحة بقوله تعالى (يطوف عليهم) اى لكفاية كل ما يحتاجون اليه (ولدان) اى على أحسن صورة وزى وهيئة (مخلدون) قد حكم الله تعالى ببقائهم على ما هم عليه من الهيئة على شكل الاولاد قال الحسن والكلبى لا يهرمون ولا يتغيرون ومنه قول امرئ القيس

وهل ينعمن الا سعيد مخلد * قليل الهموم ما يبيت باوجال

وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد والقرط ما يجعل فى الاذنين من الحلق

بالتسبيح الصلاة وباسم ربك التكبير اى افتتح الصلاة بالتكبير (قوله انه

وقيل مقرطقون أى ممنطقون من المناطق والمنطقة ما يجعل فى الوسط وأكثر المفسرين انهم على سن واحد انشأهم الله تعالى لاهل الجنة يطوفون عليهم نشؤا من غير ولادة فيها لان الجنة لا ولادة فيها وقال على بن أبى طالب والحسن البصرى رضى الله عنهما الولدان ههنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسى اطفال المشركين هم خدم أهل الجنة قال الحسن لم تكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيآت يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع والمقصود ان أهل الجنة على أتم السرور والنعمة وقوله تعالى (باكواب) متعلق بيطوفون والاكواب جمع كوب وهى كيزان مستديرة الافواه بلا عرا ولا خراطيم لا يعوق الشارب منها عائق عن شرب من أى موضع أراد منها فلا يحتاج ان يحول الاناء عن الحالة التى تناوله بها ليشرب وقوله تعالى (وأباريق) جمع ابريق وهى أوان لها عرا وخراطيم فيها من أنواع المشارب ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين سمى بذلك لانه يبرق لونه من صفائه (وكأس) أى اناء شراب الخمر (من معين) أى خمر صافية صفاء الماء يتكلف عصرها جارية من منبع لا ينقطع أبدا (فان قيل) كيف جمع الاكواب والاباريق وافرد الكأس (أجيب) بان ذلك على عادة أهل الشرب فانهم يعدون الخمر فى أوان كثيرة ويشربون بكأس واحد وبهذا يفتخر لاهل الدنيا من حيث انهم يطوفون بالاكواب والاباريق ولا تثقل عليهم بخلاف أهل الدنيا (لا يصدعون عنها) اى بسببها قال الزمخشرى وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها والصداع هو الداء المعروف الذى يلحق الانسان فى رأسه والخمر تؤثر فيه قال علقمة بن عبدة فى وصف الخمر

تشفى الصداع ولا يؤذيك صالبها * ولا يخالطها فى الرأس تدويم

قال أبو حيان هذه صفة خمر الجنة كذا قال لى الشيخ ابو جعفر بن الزبير والمعنى لا تتصدع رؤسهم من شربها فهى لذة بلا أذى بخلاف خمر الدنيا وقيل لا يتفرقون عنها (ولا ينزفون) أى تذهب عقولهم بوجه من الوجوه أو يفرغ شرابهم من نزفت البئر اذا نزحت ماءها كله وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بكسر الزاى والباقون بفتحها (وفاكهة مما يتخيرون) أى يختارون ما يشتهون من الفواكه لكثرتها وقيل المعنى وفاكهة متخيرة مرضية والتخير الاختيار (ولحم طير مما يشتهون) اى يتمنون قال ابن عباس رضى الله عنهما يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى ويقال انه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهى ثم يطير فيذهب (فان قيل) ما الحكمة فى تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء (أجيب) بان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشتهى والشبعان غير مشته بل هو مختار وأهل الجنة انما يأكلون لا عن جوع بل للتفكه فميلهم للفاكهة أكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت فى مواضع كثيرة فى القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه أدنى ميل ولذا قدم الفاكهة على اللحم (فان قيل) الفاكهة واللحم لا يطوف بهما الولدان والعطف يقتضى ذلك (أجيب) بان الفاكهة واللحم فى الدنيا يطلبان فى حال الشرب فجاز أن يطوف بهما الولدان فيناولوهم الفواكه الغريبة واللحوم العجيبة لا للاكل بل للاكرام كما يضع المكرم للضيف أنواع الفواكه بيده او [illegible] يكون معطوفا على المعنى فى قوله جنات النعيم أى مقربون فى جنات النعيم وفاكهة ولحم أى

(إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون) فان قلت القرآن صفة قديمة قائمة بذات

في هذا النعيم يتقلبون * ولما لم يكن بعد الأكل والشرب أشهى من النساء قال تعالى (وحور) أي نساء شديدات سواد العيون وبياضها (عين) أي ضخام العيون وقرأ حمزة والكسائي بخفض الاسمين عطفا على سرر فان النساء في معنى المتكإ لانهن يسمين فراشا والباقون بالرفع عطفا على ولدان (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الأيدي ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون في نهاية الصفاء قال البغوي ويروى انه يسطع نور في الجنة فيقولون ما هذا فيقال ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها ويروى ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقها وتمجيد الأسورة من ساعديها وأن عقد الياقوت يضحك في نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح ولما بالغ في وصف جزائهم بالحسن والصفاء دل على أن أعمالهم كانت كذلك لان الجزاء من جنس العمل فقال تعالى (جزاء) أي فعل ذلك لهم لاجل الجزاء (بما كانوا يعملون) أي يجددون عمله على جهة الاستمرار قالت المعتزلة هذا يدل على أن ايصال الثواب واجب على الله تعالى لان الجزاء لا يجوز الاخلال به وأجيبوا بأنه لو صح ما ذكر ولما كان في الوعد بهذه الاشياء فائدة لان العقل اذا حكم بان ترك الجزاء قبيح وعلم بالعقل أن القبيح من الله تعالى لا يوجد علم ان الله تعالى يعطي هذه الأشياء لانها جزاؤه وايصال الجزاء واجب فكان لا يصح التمدح به (لا يسمعون فيها لغوا) أي شيئا مما لا ينفع واللغو الساقط (ولا تأثيما) أي ما يحصل به الاثم أو النسبة الى الاثم بل حركاتهم وسكناتهم كلها في رضا الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما باطلا وكذبا قال محمد ابن كعب ولا تأثيما أي لا يؤثم بعضهم بعضا وقال مجاهد لا يسمعون شتما ولا مأثما وقوله تعالى (الا قيلا) فيه قولان أحدهما أنه استثناء منقطع وهذا واضح لانه لم يندرج تحت اللغو والتأثيم والثاني أنه متصل وفيه بعد قال ابن عادل فكأن هذا رأى أن الأصل لا يسمعون فيها كلاما فاندرج عنده فيه * ثم بين تعالى ذلك بقوله (سلاما سلاما) أي قولا سلاما قال عطاء يحيي بعضهم بعضا بالسلام أو تحييهم الملائكة أو يحييهم ربهم ودل على دوامه بتكريره فقال تعالى سلاما ففيه اشارة الى كثرة السلام عليهم ولهذا لم يكرر في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقال القرطبي السلام الثاني بدل من الأول والمعنى الا قولا يسلم فيه من اللغو * ولما بين حال السابقين شرع في بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى (وأصحاب اليمين) ثم فخم أمرهم وأعلى مدحهم بتعظيم جزائهم فقال تعالى (ما أصحاب اليمين) فان قيل ما الحكمة في ذكرهم بلفظ أصحاب الميمنة عند تقسيم الازواج الثلاثة وبلفظ أصحاب اليمين عند ذكر الانعام (أجيب) بان ذلك تفنن في العبارة والمعنى واحد (في سدر) أي شجر نبق (مخضود) أي لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه قال ابن المبارك أخبرنا صفوان عن سليم بن عامر قال كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون انه لينفعنا الاعراب ومسائلهم قال أقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله تعالى في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوليس يقول سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الآخر وقال أبو العالية والضحاك نظر المسلمون الى وج وهو واد بالطائف مخصب فأعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل

الله تعالى فكيف يكون
حالا في كتاب مكنون اي

هذا القرآن قال أمية بن أبي الصلت يصف الجنة وما فيها

ان الحدائق في الجنان ظليلة * فيها الكواعب سدرها مخضود

قال مجاهد في سدر مخضود هو الموقر حملا الذي تنثني أغصانه لكثرة حمله من خضض الغصن اذا ثناه وهو رطب وقال سعيد بن جبير ثمرها أعظم من القلال (وطلح منضود) أي منظوم بالحمل من أعلاه الى أسفله ليست له ساق بارزة متراكم يتركب بعضه على بعض على ترتيب هو في غاية الاعجاب والطلح جمع الطلحة قال علي وابن عباس رضي الله عنهم وأكثر المفسرين الطلح شجر الموز واحده طلحة وقال الحسن ليس هو موزا ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقال الفراء وأبو عبيدة شجر عظيم كثير الشوك والطلح كل شجر عظيم له شوك وقال الزجاج هو شجر أم غيلان قال مجاهد ولكن ثمرها أحلى من العسل وقال الزجاج لها نور طيب جدا فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا وقال السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر أحلى من العسل وقال مسروق أشجار الجنة من عروقها الى أفنانها نضيدة ثمر كله كلما أكلت ثمرة عاد مكانها أحسن منها (وظل ممدود) أي دائم لا يزول ولا تنسخه الشمس لقوله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقيل الظل ليس ظل أشجار بل ظل يخلقه الله تعالى قال الربيع بن أنس رضي الله عنه يعني ظل العرش وقال عمرو بن ميمون رضي الله عنه مسيرة سبعين ألف سنة وقال أبو عبيدة تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشيء الذي لا ينقطع ممدود قال الشاعر

غلب العزاء وكان غير مغلب * دهر طويل دائم ممدود

وفي صحيح الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وفي هذا الحديث رد على من يقول ان الاشجار لا ظل لها وقد سئل السبكي عن الرجل الذي هو آخر أهل الجنة دخولا اذا ترا آت له شجرة يقول يارب أدنني من هذه لاستظل في ظلها الحديث من أي شيء يستظل والشمس قد كورت أجاب بقوله تعالى وظل ممدود وبقوله تعالى هم وأزواجهم في ظلال اذ لا يلزم من تكوير الشمس عدم الظل لانه مخلوق لله تعالى وليس بعدم بل أمر وجودي له نفع باذن الله تعالى في الابدان وغيرها فليس الظل عدم الشمس كما قد يتوهم وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وظل ممدود قال شجرة في الجنة يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون ويشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله تعالى عليهم ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا (وماء مسكوب) أي دائم في منازلهم في غير أخدود ولا يحتاجون فيه الى جلب ماء من الاماكن البعيدة ولا ادلاء في بئر كاهل البوادي فان العرب كانت أصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الى الماء الا بالدلو والرشاء فوعدوا في الجنة خلاف ذلك (وفاكهة كثيرة) أي أجناسها وانواعها وأشخاصها (لا مقطوعة ولا ممنوعة) قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من أحد اذا أراد اخذها وقال بعضهم لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع أكثر ثمار الدنيا اذا جاء الشتاء ولا يتوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يمنع من أرادها شوك ولا بعد ولا حائط بل اذا اشتهاها العبد

ولذة

(قلت) لا يلزم من كتابته في لوح محفوظ او مصحف

دنت منه حتى يأخذها قال تعالى قطوفها دانية وجاء في الحديث ما قطع من ثمار الجنة الا أبدل الله تعالى مكانها ضعفين ولما كان التفكه لا يكمل الالتذاذ به الا مع الراحة قال تعالى (وفرش مرفوعة) أي رفيعة القدر يقال ثوب رفيع أي عزيز مرتفع القدر والثمن بدليل قوله تعالى متكئين على فرش بطائنها من استبرق فكيف ظهائرها أو مرفوعة فوق السرر بعضها فوق بعض روى الترمذي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام قال حديث غريب وقيل هي كناية عن النساء كما كنى عنهن باللباس أي ونساء مرتفعات الاقدار في حسنهن وكمالهن والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة دليل هذا التأويل قوله تعالى (انا) أي بما لنا من العظمة التي لا يتعاظمها شئ (أنشأناهن) أي الفرش التي معناها النساء من أهل الدنيا بعد الموت بالبعث وزاد في التأكيد فقال تعالى (انشاء) أي خلقا جديدا من غير ولادة بل جمعناهن من التراب كسائر بني آدم ليكونوا كأبيهم آدم عليه السلام في خلقه من تراب لتكون الاعادة كالبداءة ولذلك يكون الكل عند دخول الجنة على شكله عليه السلام وروى النحاس باسناده أن أم سلمة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فقال هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز رمصا شمطا جعلهن الله تعالى بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء وروى أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه في قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء قال هن العجائز العمش الرمص كن في الدنيا عمشا رمصا وعن المسيب بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء قال هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وعن الحسن رضي الله عنه قال أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى ان يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء (فجعلناهن) أي الفرش المنشآت وغيرهن بعظمتنا المحيطة بكل شئ (أبكارا) أي عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع وذكر المسيب عن غيره أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقال مقاتل وغيره هن الحور العين أنشأهن الله تعالى لم تقع عليهن الولادة وقوله تعالى (عربا) جمع عروب كصبور وصبر وهي الغنجة المحببة الى زوجها وقال الرازي في اللوامع الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب وقيل الحسناء وقيل الحسنة لكلامها وقال ابن عباس رضي الله عنهما هن العواتق وأنشدوا

وفي الخباء عروب غير فاحشة * ريا الروادف يعشى دونها البصر

وقرأ حمزة وشعبة بسكون الراء والباقون بضمها كرسل ورسل وفرش وفرش وقوله تعالى (أترابا) جمع ترب وهو المساوي لك في سنك لانه يمس جلدهما التراب في وقت واحد وهو آكد في الائتلاف وهو من الاسماء التي لا تتعرف بالاضافة لانه في معنى الصفة اذ معناه مساويك ومثله خدنك لانه بمعنى مصاحبك قال القرطبي سن واحد وهو ثلاث وثلاثون سنة يقال في

كما لو كتب على كتاب حلواه ذمه ... شيء ألف دينار لا يلزم منه

النساء أتراب وفي الرجال أقران وكانت العرب تميل الى من جاوزت حد الفتاء من النساء وانحطت عن الكبر وقال مجاهد الاتراب الامثال والاشكال وقال السدي أتراب في الاخلاق لا تباغض فيهن ولا تحاسد وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين أو قال ثلاثا وثلاثين على خلق آدم عليه السلام ستون ذراعا في سبعة أذرع وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاث وثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون ألف زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء ينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان أدنى أهل الجنة منزلة وما منهم دني لمن يغدو عليه ويروح عشرة آلاف خادم مع كل واحد منهم طريفة ليست مع صاحبه وفي تعلق اللام في قوله تعالى (لاصحاب اليمين) وجهان أحدهما انها متعلقة بانشأناهن أي لاجل أصحاب اليمين والثاني انها متعلقة باترابا كقولك هذا ترب لهذا أي مساوله ثم بينهم بقوله تعالى (ثلة من الاولين) أي من أصحاب اليمين (وثلة) أي منهم (من الآخرين) فلم يبين فيهم قلة ولا كثرة قال البقاعي والظاهر ان الآخرين أكثر فان وصف الاولين بالكثرة لا ينافي كون غيرهم أكثر ليتفق مع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة ثلثا أهل الجنة فانهم عشرون ومائة صف هذه الامة منهم ثمانون صفا وأربعون من سائر الامم وعن عروة بن رويم قال لما نزل قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر وقال يا نبي الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال عمر رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الا السودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه قال عرضت علي الامم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد ورفع الي سواد عظيم فقلت انهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أما نحن فولدنا في الشرك ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء هم أبناؤنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة ابن محصن فقال ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فقال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة والرهط دون العشرة وقيل الى الاربعين وعن عبد الله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الانبياء الليلة باتباعها حتى أتى على موسى في كبكبة بني اسرائيل فلما رأيتهم أعجبوني فقلت أي رب من هؤلاء قيل هو اخوك موسى ومن معه من بني اسرائيل قلت يا رب وأين أمتي قيل انظر عن يمينك فنظرت فاذا ظراب

وجودها فيه ومثله قوله تعالى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل

مكة قد سد بوجوه الرجال فقال هؤلاء أمتك أرضيت فقلت رضيت رب قيل انظر عن يسارك
فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال فقيل هؤلاء أمتك أرضيت قلت رب رضيت فقيل إن
مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة لا حساب عليهم فقال صلى الله عليه وسلم إن استطعتم أن
تكونوا من السبعين فكونوا وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب فإن عجزتم فكونوا
من أهل الأفق فإني قد رأيت أناسا يتهاوشون كثيرا وعن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحوا من أربعين فقال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا
نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفسي بيده إني لأرجو أن
تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك
إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر
وتقدم في الحديث المار أنهم ثلثا أهل الجنة ولا منافاة لأنه صلى الله عليه وسلم أخبر أولا
بالقليل ثم أطلعه الله تعالى على الزيادة * ولما أتم وصف أصحاب الجنة تبعه أضدادهم بقوله
تعالى (وأصحاب الشمال) أي الجهة التي تتشاءم العرب بها وتعبر بها عن الشيء الأخس
والحظ الأنقص قال البقاعي والظاهر أنهم أدنى أصحاب المشأمة كما أن أصحاب اليمين
دون السابقين من أصحاب الميمنة ثم عظم ذمهم وعصابهم فقال تعالى (ما أصحاب الشمال)
أي أنهم بحال من الشؤم هو جدير بأن يسأل عنه وسماهم بذلك لأنهم يأخذون كتبهم
بشمالهم ثم بين متقلبهم وما أعد لهم من العذاب فقال تعالى (في سموم) أي ريح حارة من النار
تنفذ في المسام (وحميم) أي ماء حار بالغ في الحرارة إلى حد يذيب اللحم (وظل من يحموم) أي
دخان أسود كالحمم أي الفحم شديد السواد وقيل النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود
وقيل اليحموم اسم من أسماء النار قال الرازي وفي الأمور الثلاثة إشارة إلى كونهم في العذاب
دائما لأنهم إن تعرضوا لمهب الهواء أصابهم السموم وإن استكنوا كما يفعل الذي يدفع عن
نفسه السموم بالاستكنان بالكن يكونون في ظل من يحموم وإن أرادوا التبرد بالماء من حر
السموم يكون الماء من حميم فلا انفكاك لهم من العذاب أو يقال إن السموم تضربه فيعطش
وتلتهب نار السموم في أحشائه فيشرب الماء فيقطع أمعاءه فيريد الاستظلال بظل فيكون
ذلك الظل اليحموم وذكر السموم والحميم دون النار تنبيها بالأدنى على الأعلى كأنه قال أبرد
الأشياء في الدنيا حار عندهم فكيف أحرها وقوله تعالى (لا بارد) أي لا يروح النفس (ولا كريم)
أي لا يؤنس به ويلجأ إليه صفتان للظل كقوله تعالى من يحموم وقال الضحاك لا بارد أي كغيره
من الظلال بل حار لأنه من دخان شفير جهنم ولا كريم عذب وقال سعيد بن المسيب ولا حسن
منظره وكل شيء لا خير فيه ليس بكريم فسماه ظلا ونفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوي
إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحو ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه والمعنى أنه ظل
حار ضار إلا أن للنفي في نحو هذا شأنا ليس للإثبات وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم
لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة * ثم بين استحقاقهم لذلك بقوله
تعالى (إنهم كانوا) أي في الدنيا (قبل ذلك) أي الأمر العظيم الذي وصلوا إليه (مترفين) أي
أنهم إنما استحقوا هذه العقوبة لأنهم كانوا في الدنيا في سعة من العيش متمكنين في الشهوات
مستمتعين بها متمكنين منها (وكانوا يصرون) أي يقيمون ويديمون على سبيل التجديد لما لهم من

فثبت أنه ليس حالا في شيء من ذلك بل هو كلام الله تعالى وكلامه صفة قديمة

الميل الجبلي الى ذلك (على الحنث) أى الذنب و يعبر بالحنث عن البلوغ ومنه قولهم لم يبلغوا الحنث وانما قيل ذلك لان الانسان عند بلوغه اليه يؤاخذ بالحنث أى الذنب وتحنث فلان أى جانب الحنث وفي الحديث كان يتحنث بغار حراء أى يتعبد لمجانبة الاثم فهو تحرج فتفعل في هذه كلها للسلب ولما كان ذلك قد يكون من الصغائر التي تغفر قال تعالى (العظيم) أى وهو الشرك قاله الحسن والضحاك وقال مجاهد هو الذنب الذي لا يتوبون منه وقال الشعبي هو اليمين الغموس وهو من الكبائر يقال حنث في يمينه اى لم يبرها ورجع فيها وكانوا يقسمون أن لا بعث وان الاصنام أنداد الله تعالى فذلك حنثهم (فان قيل) ترفههم هو التنعم وذلك لا يوجب ذما (اجيب) بان الذم انما حصل بقوله تعالى وكانوا يصرون على الحنث العظيم فان صدور المعاصي ممن كثرت النعم عليه أقبح القبائح وفي الآية مبالغات لان قوله تعالى يصرون يقتضي ان ذلك عادتهم والاصرار مداومة المعصية ولان الحنث ابلغ من الذنب لان الذنب يطلق على الصغيرة و يدل على ذلك قولهم بلغ الحنث اى بلغ مبلغا تلحقه فيه الكبيرة ووصفه بالعظيم يخرج الصغائر فانها لا توصف بذلك قال الرازي والحكمة في ذكره سبب عذابهم ولم يذكر في اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك تنبيه على ان الثواب منه فضل والعقاب منه عدل والفضل سواء ذكر سببه أو لم يذكر لا يتوهم بالتفضل نقص وظلم وأما العدل ان لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلما و يدل على ذلك أنه تعالى لم يقل في حق أصحاب اليمين جزاء بما كانوا يعملون كما قال في السابقين لان اصحاب اليمين نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته يحسن اطلاق الجزاء في حقه (وكانوا) اى زيادة على ما ذكر (يقولون) أى انكارا مجددين لذلك دائما عنادا (أئذا) اى انبعث اذا (متنا وكنا) أى كونا ثابتا (ترابا وعظاما) ثم أعادوا الاستفهام تأكيدا للانكار هم فقالوا (أئنا لمبعوثون) اى كائن وثابت بعثنا ساعة من الدهر وأكدوا ليكون انكارهم لما دون ذلك بطريق الاولى وقرأ قالون أئذا بتحقيق الهمزة الاولى المفتوحة وتسهيل الثانية المكسورة وادخال الف بينهما وكسر الميم من متنا وهمزة واحدة مكسورة في أئنا وقرأ ورش بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية ولا ادخال بينهما وكسر ميم متنا وهمزة واحدة مكسورة في أئنا مع النقل على اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالاستفهام فيهما مع تسهيل الثانية الا ان ابا عمرو يدخل بينهما الفا والباقون ... ابن كثير لا يدخل الفا وضم ميم متنا (او آباؤنا) أى اوتبعث آباؤنا (الاولون) أى الذين قد بليت مع لحومهم عظامهم فصاروا كلهم ترابا ولا سيما ان حملتهم السيول ففرقت اعضاءهم وذهبت بها في الآفاق (فان قيل) كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن (أجيب) بانه حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا الفصل لا المؤكدة للنفي وقرأ قالون وابن عامر بسكون الواو من أو والباقون بفتحها ورد الله تعالى عليهم قولهم ذلك بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أى لهم ولامثالهم من كان مثلهم تأكيدا لانكارهم (ان الاولين) أى الذين جعلتم الاستبعاد فيهم وهم الآباء (والآخرين) وهم الابناء (لمجموعون) أى في المكان الذي يكون فيه الحساب (الى ميقات يوم) اى زمان (معلوم) اى معين عند الله تعالى وهو يوم القيامة وهو من شأنه ان يعلم ما عليه من

قوله فيه لا تفارقه (فان قيل) اذا لم تفارقه فكيف ذلك (قلت) ...

الامارات والميقات ما وقت به الشيء من زمان أو مكان أو حد (ثم إنكم) أي بعد هذا الجمع
(أيها الضالون) أي الذين غلبت عليهم الغباوة فهم لا يفهمون فضلوا عن الهدى ثم أتبع ذلك ما
أوجب الحكم عليهم بالضلال فقال تعالى (المكذبون) بالبعث والخطاب لأهل مكة ومن
في مثل حالهم (لآكلون من شجر من زقوم) وهو من أخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله
تعالى في الجحيم فهو في غاية الكراهة وبشاعة المنظر ونتن الرائحة وقدم الكلام على ذلك في
الصافات * (تنبيه) * من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر (فمالؤن) أي ملأ هو في
غاية الشبات وأنتم في غاية الإقبال عليه مع ما هو عليه من عظيم الكراهة (منها) أي الشجر
وأنثه لأنه جمع شجرة وهو اسم جنس قال البقاعي وهم يكرهون الإناث فتأنيثه والله أعلم زيادة
في تنفيرهم وقال الزمخشري أنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله منها وعليه
وهو لف ونشر مرتب (البطون) أي يضطركم إلى تناول هذا الكريه حتى تملؤا بطونكم
منه ثم لما بين مأكلهم أتبعه مشربهم فقال تعالى (فشاربون عليه) أي الأكل أو الزقوم (من
الحميم) لأجل مرارته وحرارته يحتاجون إلى شرب الماء فيشربون من الماء الحار (فشاربون)
أي منه (شرب الهيم) أي الإبل العطاش وهو جمع هيمان للذكر وهيمى للأنثى كعطشان
وعطشى والهيام داء معطش تشرب الإبل منه إلى أن تموت أو تسقم سقما شديدا وقيل إنه جمع
هائم وهائمة من الهيام أيضا إلا أن جمع فاعل وفاعلة على فعل قليل نحو نازل ونزل وعائذ وعوذ
وقيل إنه جمع هيام بفتح الهاء وهو الرمل غير المتماسك الذي لا يروى من الماء أصلا فيكون
مثل سحاب وسحب بضمتين ثم خفف بإسكان عينه ثم كسرت فاؤه لتصح الياء كما فعل بالذي قبله
والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ملؤا منه
البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربون منه
شرب الهيم (فإن قيل) كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان
متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه (أجيب) بأنهما ليستا متفقتين من حيث إن كونهم
شاربين الحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع أمعائهم أمر عجيب فشربهم له على ذلك كما
يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين وقرأ نافع وعاصم وحمزة بضم الشين
والباقون بفتحها (هذا) أي هذا المذكور (نزلهم) أي ما يعد لهم أول قدومهم مكان ما يعد للضيف
أول حلوله كرامة له (يوم الدين) أي الجزاء الذي هو حكمة إقامة وإذا كان هذا نزلهم فما
ظنك بما يأتي بعد ما استقروا في الجحيم وفي هذا تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم فإن
النزل ما يعد للنازل تكرمة له ثم استدل على منكري البعث بقوله تعالى (نحن) أي لا غيرنا
(خلقناكم) أي بما لنا من العظمة (فلولا) تحضيض أي فهلا (تصدقون) أي بالبعث لأن
الإعادة أسهل من الابتداء وقيل نحن خلقناكم ورزقناكم فهلا تصدقون أن هذا طعامكم إن
لم تؤمنوا ومتعلق التصديق محذوف تقديره فلولا تصدقون بخلقنا (أفرأيتم) أي أخبروني هل
رأيتم بالبصر والبصيرة (ما تمنون) أي تصبون من المني في أرحام النساء (أأنتم تخلقونه) أي
توجدونه مقدرا على ما هو عليه من الاستواء والحكمة بعد خلقه من صورة النطفة إلى
صورة العلقة ثم من صورة العلقة إلى صورة المضغة ثم منها إلى صورة العظام والأعصاب (أم

انزاله تعالى له أنه على جبريل وأمره ان يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم

نحن) أي خاصة (الخالقون) أي الثابت لنا ذلك وقرأ أفرأيتم في الثلاثة مواضع نافع بتسهيل الهمزة التي هي عين الكلمة ولورش وجه ثان وهو ابدالها ألفا وأسقطها الكسائي والباقون بالتحقيق وقرأ أأنتم في الثلاثة مواضع نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وأدخل بينهما ألفا قالون وأبو عمرو وهشام ولم يدخل بينهما ورش وابن كثير ولورش وجه ثان وهو ابدال الثانية ألفا والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال بينهما ولما كان الجواب قطعا أنت الخالق وحدك أكد ذلك بقوله تعالى (نحن) أي بما لنا من العظمة لا غيرنا (قدرنا) أي تقديرا عظيما لا يقدر سوانا على نقص شيء منه (بينكم الموت) أي قسمناه عليكم لم نترك أحدا منكم بغير حصة منه وأقتنا موت كل بوقت معين لا يتعداه فقصرنا عمر هذا وربما كان في الاوج من قوة البدن وصحة المزاج فلو اجتمع الخلق كلهم على اطالة عمره ما قدروا ان يؤخروه لحظة واطلنا عمر هذا وربما كان في الحضيض من ضعف البدن واضطراب المزاج فلو تمالؤا على تقصيره طرفة عين لعجزوا وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال والباقون بالتشديد (وما نحن) أي على ما لنا من العظمة (بمسبوقين) أي بالموت أي لا عاجزين ولا مغلوبين (على) أي عن (ان نبدل) أي تبديلا عظيما (امثالكم) أي صوركم وأشخاصكم (وننشئكم) أي انشاء جديدا بعد تبديل ذواتكم (في ما لا تعلمون) فان بعضكم تأكله الحيتان او السباع او الطيور فتنشئ ابدانه منها او بعضهم يصير ترابا فربما انشأ منه نبات فأكلته الدواب فنشأت منه ابدانها وربما صار ترابه من معادن الارض الذهب والفضة والحديد والنحاس والحجر ونحو ذلك وقد لمح الى ذلك قوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديدا الى آخرها ويكون المعنى كما قال البغوي نأت بخلق مثلكم بدلا منكم ونخلقكم فيما لا تعلمون من الصور اي بتغيير اوصافكم وصوركم الى صور اخرى بالمسخ ومن قدر على ذلك قدر على الاعادة وقال الطبري معنى الآية نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم بعد موتكم بآخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين في آجالكم أي لا يتقدم متأخر ولا يتأخر متقدم وننشئكم فيما لا تعلمون من الصور والهيآت قال الحسن أي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فيجمل المؤمن ببياض وجهه ويقبح الكافر بسواد وجهه (فائدة) في ما مقطوعة في الرسم (ولقد علمتم النشأة الاولى) اي الترابية لابيكم آدم عليه السلام واللحمية لامكم حواء رضي الله عنها والنطفية لكم وكل منها تحويل من شيء الى آخر غيره فما الذي شاهدتم قدرته على ذلك لا يقدر على تحويلكم بعد ان تصيروا ترابا الى ما كنتم عليه اولا من الصور ولهذا سبب عما تقدم قوله تعالى (فلولا) اي فهلا ولم لا (تذكرون) اي تذكرا عظيما تكرهون انفسكم عليه فتعلمون ان من قدر على النشأة الاولى يقدر على الثانية فانها أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والنشاءة بفتح الشين وبعدها ألف قبل الهمزة والباقون بسكونها ولا ألف بعدها فاذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة الى الشين وحذف فالتذكرون حمزة والكسائي وحفص وشددها الباقون

وأمره ان يعلمه امته مع انه لم يزل ولا يزال صفة لله تعالى قائمة به لا تفارقه

ثم ذكر لهم حجة أخرى بقوله تعالى (أفرأيتم) اى اخبرونى هل رأيتم بالبصر والبصيرة مانبهنا كم عليه فيما تقدم فتسبب عن تنبيهكم لذلك انكم رأيتم (ماتحرثون) اى تجددون حرثه على الاستمرار من أرضكم فتطرحون فيه البذر (أأنتم تزرعونه) اى تنشئونه بعد طرحكم وتجعلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب (أم نحن) خاصة (الزارعون) أى المنبتون له والحافظون روى انه عليه الصلاة والسلام قال لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة أرأيتم الى قوله تعالى أفرأيتم الآية ولما كان الجواب قطعا أنت الفعال لذلك وحدك قال تعالى موضحا لانه ما زرعه غيره (لونشاء) اى لو عاملنا كم بصفة العظمة (لجعلناه) اى بتلك العظمة (حطاما) اى مكسورا مفتتا لاحب فيه قبل النبات حتى لا يقبل الخروج او بعده ببرد مفرط اوحر مهلك اوغير ذلك فلا ينتفع به (فظلتم) اى فاقمتم بسبب ذلك نهارا فى وقت الاشغال العظيمة وتركتم ما يهمكم (تفكهون) حذفت منه احدى التاءين فى الاصل تخفيفا اى تتعجبون مما نزل بكم فى زرعكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصى التى أوجبت تلك العقوبة [٣] قال الزمخشرى ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقى قوم يتفكهون اى يتندمون وقال الكسائى التفكه التلهف على مافات من الاضداد تقول العرب تفكهت اى تنعمت وتفكهت اى حزنت وتقولون (انا لمغرمون) بحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض من الغرام وهو الهلاك ومن مجىء الغرام بمعنى الهلاك قول القائل

ان يعذب يكن غراما وان يعـ ـط جزيلا فانه لا يبالى

وقال ابن عباس الغرام العذاب اى عذبوا بذهاب أموالهم والمعنى انا غرمنا الحب الذى بذرناه فذهب بغير عوض ومن الغرام بمعنى العذاب قول القائل

وثقت بان الحلم منك سجية * وأن فؤادى مبتلى بك مغرم

وقرأ شعبة أئنا بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة على الاستفهام والباقون بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (بل نحن) اى خاصة (محرومون) اى ممنوعون رزقنا حرمنا من لا يرد قضاؤه فلا حظ لنا فى الاكتساب فلو كان الزارع ممن له حظ لافلح زرعه ثم ذكر تعالى لهم حجة أخرى بقوله تعالى (أفرأيتم الماء) اى أخبرونى هل رأيتم بالبصر والبصيرة مانبهنا عليه فيما مضى من المطعم وغيره فرأيتم الماء (الذى تشربون) فتصيرا به أنفسكم وتسكنوا به عطشكم ذكرهم بنعمه التى أنعم بها عليهم بانزال المطر الذى لا يقدر عليه أحد الا الله عز وجل (أأنتم أنزلتموه من المزن) أى السحاب وهو اسم جنس واحده مزنة قال القائل

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

وعن ابن عباس والثورى المزن السماء والسحاب وقال أبو زيد المزنة السحابة البيضاء اى خاصة وهى أعذب ماء والجمع مزن والمزنة المطرة (أم نحن) اى خاصة (المنزلون) اى له بمالنا من العظمة (لونشاء) اى حال انزاله و بعده قبل أن ينتفع به (جعلناه) اى بما تقتضيه صفة العظمة (أجاجا) اى ملحا مرا محرقا كانه فى الأحشاء لهيب النار المؤجج فلا يبرد عطشا ولا

(سورة الحديد)

(قوله سبح لله) عبرهنا وفى الحشر والصف بالماضى وفى

[٣] قوله قال الزمخشرى عبارته وقرئ تفكنون ومنه الحديث الى أن قال وبقى قوم يتفكنون اى يتندمون اهـ مصححه

ينبت نبتا ينتفع به وقال ابن عادل الاجاج المالح الشديد الملوحة (فلولا) اى فهلا ولم لا
(تشكرون) أى تجددون الشكر على سبيل الاستمرار باستعمال ما أفادكم ذلك من القوى فى
طاعة الله الذى أوجده لكم ومكنكم منه ثم ذكر تعالى لهم حجة أخرى بقوله تعالى (أفرأيتم
النار) أى أخبرونى هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما تقدم فرأيتم النار (التى تورون) أى
تخرجون من الشجر الاخضر (أأنتم أنشأتم) أى اخترعتم وأوجدتم وأحييتم وربيتم ورفعتم
(شجرتها) أى التى يقدح منها النار وهى المرخ والعفار وهما شجرتان يقدح منهما النار وهما
رطبتان وقيل أراد جميع الشجر الذى توقد به النار (أم نحن) اى خاصة وأكد بقوله تعالى
(المنشؤن) اى لها بما لنا من العظمة على تلك الهيئة فمن قدر على ايجاد النار التى هى أيبس
ما يكون فى الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها كان أقدر على اعادة الطراوة فى
تراب الجسد الذى كان غضا طريا فيبس * ولما كان الجواب قطعا أنت وحدك قال تعالى دالا
على ذلك تنبيها على عظم هذا الخبر (نحن) اى خاصة (جعلناها) اى لما لنا من العظمة
(تذكرة) اى شيأ يتذكر به تذكرا عظيما جليلا كما أخبرنا به من البعث وعذاب النار الكبرى
وما ينشأ فيها من شجرة الزقوم وغير ذلك وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن وعن أبى هريرة رضى
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار
جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ
كلها مثل حرها (ومتاعا) اى بلغة ومنفعة (للمقوين) اى المسافرين والمقوى النازل فى
أرض القواء بالكسر والقصر والمد وهى القفر البعيدة من العمران والمعنى أنه ينتفع بها
أهل البوادى والاسفار فان منفعتهم بها أكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع
ويهتدى الضال الى غير ذلك من المنافع وقال مجاهد للمقوين اى المنتفعين بها من الناس
أجمعين يستضيؤن بها فى الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز الى غير
ذلك من المنافع ويتذكر بها نار جهنم فيستجار بالله تعالى منها وقال ابن زيد للجائعين فى اصلاح
طعامهم يقال أقويت منذ كذا وكذا اى ما أكلت شيأ قال الشاعر

واني لأختار القوى طاوى الحشى * محافظة من أن يقال لئيم

وقال قطرب المقوى من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغنى مقو لقوته على
ما يريد والمعنى فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء لا غنى لاحد عنها وقال المهدوى الآية تصلح
للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم والغنى والفقير * ولما ذكر تعالى ما يدل على
وجوب وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم أو كل أحد
من الناس بقوله تعالى (فسبح) اى اوقع التنزيه العظيم من كل شائبة نقص من ترك البعث
وغيره ولا سيما بعد بلوغ هذه الادلة (باسم) أى ملتبسا بذكر اسم (ربك) أى المحسن اليك بهذا
البيان الاعظم * (فائدة) * أثبتوا ألف الوصل هنا فى اسم ربك لانه لم يكثر دور كثرته فى البسملة
وحذفوها منها لكثرة دورها وهم من شأنهم الايجاز وتقليل الكثير اذا عرف معناه وهذا معروف
لا يجهل واثبات ما أثبت من أشكاله مما لا يكثر دليل على الحذف منه ولذلك فافهم غير

الجمعة والتغابن بالمضارع وفى الاسراء
الاعلى بالامر وفى
بالمصدر استيعابا للجهات

الباء في اسم الله ولا مع الباء في غير الجلالة الكريمة من الاسماء وقد أوضحت ذلك في مقدمتي على البسملة والحمدلة ولما كان المقام للعظمة قال الله تعالى (العظيم) اى الذى ملأ الاكوان كلها عظمة فلا شئ منها الا وهو مملوء بعظمته تنزيها عن أن يلحقه شائبة نقص أو يفوته شئ من كمال فالعظيم صفة للاسم أو الرب والاسم قيل بمعنى الذات وقيل زائد أى فسبح ربك واختلف في لا في قوله تعالى (فلا أقسم) فقال أكثر المفسرين معناه فأقسم ولا صلة مؤكدة بدليل قوله تعالى بعد ذلك وانه لقسم ومثلها في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب والتقدير ليعلم وقال بعضهم انها حرف نفي وان المنفي بها محذوف وهو كلام الكافر الجاحد والتقدير فلا حجة بما يقوله الكافر ثم ابتدأ أقسم بما ذكر وضعف هذا بان فيه حذف اسم لا وخبرها قال أبو حيان ولا ينبغي فان القائل بذلك مثل سعيد بن جبير تلميذ حبر القران وهو عبد الله بن عباس ويبعد أن يقوله سعيد الا بتوقيف وقال بعضهم انها لام الابتداء والاصل فلأقسم فاشبعت الفتحة فتولد منها ألف كقول بعضهم أعوذ بالله من العقراب قال الزمخشري ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لامرين أحدهما أن حقها أن تقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثانى ان لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال واختلف أيضا في معنى قوله عز وجل (بمواقع النجوم) فقال أكثر المفسرين بمساقطها بالغروب وبها قال الزمخشري ولعل لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب أفعالا عظيمة مخصوصة وللملائكة عبادات موصوفة أولانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله تعالى (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وقال عطاء بن أبي رباح أراد بمواقعها منازلها قال الزمخشري وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقال الحسن مواقعها انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقال ابن عباس والسدي المراد نجوم القرآن اى اوقات نزولها وقال الضحاك هى الانواء التى كانت الجاهلية تقول اذا مطروا مطرنا بنوء كذا وقال القشيري هو قسم ولله أن يقسم بما يريد وليس لنا أن نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة (فان قيل) لو تعلمون جوابه ماذا (أجيب) بانه مقدر تقديره لعظمتموه أى لو كنتم من ذوى العلم لعلمتم عظم هذا القسم ولكنكم ما علمتموه فعلم انكم لا تعلمون وقرأ حمزة والكسائي بسكون الواو ولا ألف بعدها والباقون بفتح الواو وألف بعدها وقوله تعالى (انه) أى القرآن الذى أنهمته النجوم بعموم انوائها (لقرآن) أى جامع سهل ذو أنواع جليلة (كريم) أى بالغ الكرم منزه عن كل شائبة لوم ودناءة هو المقسم عليه وفى الكلام اعتراضان أحدهما الاعتراض بقوله تعالى وانه لقسم بين القسم والمقسم عليه والثانى الاعتراض بقوله تعالى لو تعلمون بين الصفة والموصوف

(تنبيه) من كرم هذا القرآن العظيم كونه من الملك الاعلى الى خير الخلق بسفارة روح القدس مشتملا على أصول العلوم المهمة فى اصلاح المعاش والمعاد بلسان العرب الذين اتفقت علماء الفرق على ان لسانهم أفصح الالسن وعلى وجه أعجز العرب كافة وبقية الخلق أجمعين واختلف فى معنى قوله تعالى (فى كتاب) أى مكتوب (مكنون) أى مصون فالذى عليه الاكثر أنه المصحف الذى نقرأ نا لقرب الجوار على الاتساع ولان النبى صلى الله عليه وسلم نهى

المشهورة لهمزة الكلمة وبدأ بالمصدر فى الاسراء لانه الاصل ثم بالماضى

ان يسافر بالقرآن الى أرض العدو وأراد به المصحف وقوله تعالى (لا يمسه) خبر بمعنى النهي ولو كان باقيا على خبريته لزم منه الخلف لان غير المطهر يمسه وخبر الله تعالى لا يقع فيه خلف لان المراد بقوله تعالى (الا المطهرون) لا المحدثون وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي رضي الله عنهما وقال ابن عادل والصحيح ان المراد بالكتاب المصحف الذي بايدينا لما روى مالك وغيره ان كتاب عمرو بن حزم لا يمس القرآن الا طاهر وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمس القرآن الا وأنت طاهر وقالت أخت عمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعا بالمصحف لا يمسه الا المطهرون فقام فاغتسل وأسلم وعلى هذا قال قتادة وغيره معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والانجاس انتهى وقال ابن عباس مكنون محفوظ عن الباطل والكتاب هنا كتاب في السماء وقال جابر هو اللوح المحفوظ اي لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال عكرمة التوراة والانجيل فيهما ذكر القرآن وقال السدي الزبور وقيل لا من لا يمسه نافية والضمة في لا يمسه ضمة اعراب وعلى هذا في الجملة وجهان أحدهما ان محلها الجر صفة لكتاب والمراد به اما اللوح المحفوظ والمطهرون حينئذ الملائكة أو المراد به المصحف والمراد بالمطهرين الملائكة كلهم والثاني محلها رفع صفة لقرآن والمراد بالمطهرين الملائكة فقط أي لا يطلع عليه لان نسبة المس الى المعاني متعذرة وقيل انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه أدغم ولما أدغم حرك بالضم لاجل هاء ضمير المذكر الغائب وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم بضم الدال وان كان القياس يقتضي جواز فتحها تخفيفا وبهذا ظهر فساد رد من رد بان هذا لو كان نهيا كان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء في هذا النحو بل لا يجوز سيبويه غيره ❊ واختلفوا في المس المذكور في الآية فقال أنس وسعيد بن جبير لا يمس ذلك الا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة وقال ابو العالية وابن زيد هم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بني آدم وقال الكلبي هم السفرة الكرام البررة وهذا كله قول واحد وهو اختيار مالك وقال الحسن هم الملائكة الموصوفون في سورة عبس في قوله تعالى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة وقيل معنى لا يمسه لا ينزل به الا المطهرون أي الا الرسل من الملائكة على الرسل من الانبياء ولا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون الا الملائكة المطهرون ولو كان المراد طهارة الحدث لقال المتطهرون أو المطهرون بتشديد الطاء ومن قال بالاول قال المطهرون يعني المتطهرون

ﻫ (تنبيه) اختلف العلماء في مس المصحف وحمله على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسه على [illegible] عملا بظاهر حديث عمرو بن حزم وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد ابن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي

ﻫ واما الحمل فلانه أبلغ من المس [illegible] نفس الاسطر أم ما بينها أم الحواشي أم البياض أم الجلد أم العلاقة أم الظرف [illegible] اذا كان المصحف فيهما

لسبق زمنه ثم بالمضارع لشموله الحال والمستقبل ثم بالامر لخصوصه بالحال

وسواء

وسواء مس بأعضاء الوضوء أم بغيرها وقال جماعة بجواز مسه وحمله واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل كتابا فيه قرآن وهرقل محدث يمسه هو وأصحابه وبأن الصبيان يحملون الالواح محدثين بلا انكار وبانه اذا لم تحرم القراءة فالحمل والمس أولى وبانه يجوز حمله في أمتعة وأجيب عن الاول بان ذلك الكتاب كان فيه آيتان ولا يسمى مصحفا ولا ما في معناه وبانه لو كان كتابا قد تضمن مع القرآن دعاء الى الاسلام فلم يكن القرآن بانفراده مقصودا فجاز تغليبا للمقصود فيه وعن الثاني بانه أبيح للصبيان للضرورة لانهم غير مكلفين وعن الثالث بأن القراءة أبيحت للحاجة وعسر الوضوء لها كل وقت وبانا لا نسلم الاولوية المذكورة بدليل أن الكافر لا يمنع من القراءة ويمنع من حمل المصحف ومسه وعن الرابع بان جواز حمل المصحف في الامتعة محله اذا لم يكن المصحف مقصودا بالحمل وقال آخرون بحرمة المس دون الحمل واحتجوا بان المحرم يحرم عليه مس الطيب دون حمله وأجيب عنه بانه غير صحيح لان حمل المصحف أبلغ في الاستيلاء عليه من مسه فلما حرم الادنى كان تحريم الاعلى أولى ولان تحريم المصحف انما هو لحرمته فاستوى فيه مسه وحمله بخلاف طيب المحرم فان تحريمه مقصور على الاستمتاع به وليس في حمله استمتاع به ولو لف كمه على يده وقلب به أوراق المصحف حرم عليه لان القلب يقع باليد لا بالكم بخلاف قلب ذلك بعود ويحرم كتب شيء من القرآن أو من أسمائه تعالى بنجس أو على نجس ومسه به اذا كان غير معفو عنه ولو خاف على المصحف من حرق أو غرق أو وقوع نجاسة عليه أو وقوعه في يد كافر جاز حمله مع الحدث بل يجب ذلك صيانة للمصحف ولو لم يجد من يودعه المصحف وعجز عن الوضوء فله حمله مع الحدث ويلزمه أن يتيمم ان وجد التراب ولا تجوز المسافرة بالمصحف الى أرض الكفار اذا خيف وقوعه في أيديهم للنهي عنه في الصحيحين وخرج بالمصحف غيره نحو كتب الفقه والحديث وكتب التفسير فلا يحرم حملها ولا مسها الا أن يكون القرآن أكثر من التفسير أو مساويا له فيحرم الحمل والمس لانه حينئذ في معنى المصحف وفي ذلك زيادة ذكرتها في شرح المنهاج وغيره وقوله تعالى (تنزيل) أي منزل الحكم بالتدريج بحسب الوقائع والتقريب للافهام والتأني والترقية من حال الى حال وحكم الى حكم بوسائط الرسل من الملائكة (من رب العالمين) أي الخالق العالم بتربيتهم صفة للقرآن أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة كقوله تعالى هذا خلق الله وأوثر المصدر لان تعلق المصدر بالفاعل أكثر وفي ذلك رد على قول من قال بان القرآن شعر أو سحر أو كهانة (أفبهذا الحديث) أي القرآن الذي تقدمت أوصافه العالية وهو يتجدد الحكم انزاله وقتا بعد وقت (أنتم مدهنون) أي متهاونون كمن يدهن في الامر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به قال ابن برجان الادهان والمداهنة الملاينة في الامور والتغافل والركون الى التهاون اهـ قال البقاعي فهو على هذا انكار على من سمع أحدا يتكلم في القرآن بما لا يليق ثم لا يجاهره بالمعاداة وأهل الاتحاد كابن عربي الطائي صاحب الفصوص وابن الفارض صاحب التائية أول من صوبت اليه هذه الآية فانهم تكلموا في القرآن على وجه يبطل الدين أصلا ورأسا بحله عروة عروة وقفهم أضر الناس على هذا الدين ممن تأول لهم أو ينافح عنهم أو يعتذر لهم أو يحسن الظن بهم مخالف للاجماع

مع تأخره في النطق به في قولهم فعل يفعل افعل (قوله ما في السموات

الامة أنجس حالا منهم فان مراده ابقاء كلامهم الذى لا أفسد للاسلام منه من غير أن يكون
لابقائه مصلحة ما بوجه من الوجوه اهـ وجرى ابن المقرى فى روضه على كفر من شك
فى كفر طائفة ابن العربى الذين ظاهر كلامهم عند غيرهم الاتحاد وهو بحسب ما فهموه من
ظاهر كلامهم ولكن كلام هؤلاء جار على اصطلاحهم اذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة فى
معناه الاصطلاحى مجاز فى غيره والمعتقد منهم لمعناه معتقد لمعنى صحيح وأما من اعتقد ظاهره
من جهلة الصوفية الذين لا علم عندهم بل أكثرهم يدعى ان العلم حجاب ومدعى ذلك هو
المحجوب فانه يعرف فان استمر على ذلك بعد معرفته صار كافرا فنسأل الله تعالى التوفيق
والعصمة ولما كان هذا القرآن متكفلا بسعادة الدارين قال تعالى (وتجعلون رزقكم)
أى حظكم ونصيبكم وجميع ما تنتفعون به من هذا الكتاب وهو نفعكم كله (انكم تكذبون)
فتضعون الكذب مكان الشكر كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
أى لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة قال القرطبى وفيه
بيان ان ما اصاب العباد من خير فلا ينبغى ان يروه من قبل الوسائط التى جرت العادة بان تكون
اسبابا بل ينبغى ان يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلونه بشكر ان كان نعمة او صبر ان كان
مكروها تعبدا له وتذللا وعن ابن عباس ان المراد به الاستسقاء بالانواء وهو قول العرب
مطرنا بنوء كذا ورواه على بن ابى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى صحيح مسلم عن ابن
عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم
اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر فقال بعضهم هذه رحمة الله تعالى وقال بعضهم لقد صدق نوء
كذا قال فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
وفيه ايضا ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج فى سفر فعطشوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم
أرأيتم ان دعوت الله تعالى لكم فسقيتم لعلكم ان تقولوا هذا المطر بنوء كذا فقالوا يا رسول
الله ما هذا بحين الانواء فصلى ركعتين ودعا الله تعالى فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا
فمر النبى صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من أصحابه برجل يغترف بقدح له وهو يقول سقينا بنوء
كذا ولم يقل هذا من رزق الله تعالى فنزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى شكر الله
على رزقه اياكم أنكم تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنوء كذا كقول القائل جعلت احسانى
اليك اساءة منك الى وجعلت انعامى لديك ان اتخذتنى عدوا قال الشافعى لا احب لاحد
ان يقول مطرنا بنوء كذا وان كان النوء عندنا الوقت لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا يحبس شيأ
من المطر والذى أحب أن يقول مطرنا وقت كذا كما يقول مطرنا شهر كذا ومن قال مطرنا بنوء
كذا وهو يريد ان النوء أنزل الماء كما يقول أهل الشرك فهو كافر حلال دمه ان لم يتب
وحاصله ان اعتقد أن النوء هو الفاعل حقيقة فهو كافر والا فيكره له ذلك كراهة تنزيه وسبب
الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية ومن
سلك مسلكهم ثم بين سبحانه انه لا فاعل لشئ فى الحقيقة غيره بقوله تعالى (فلولا) وهى أداة
تفهيم طلما بزجر وتوبيخ وقريع بمعنى هلا (اذا بلغت الحلقوم) أى الروح منكم
.... لاحتضار الحلقوم .... كرتها .... دلالة ظاهرة

الارض) قاله هنا بعد
موافقة لقوله بعد
خلق السموات والارض

وفي الحديث ان ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى تنتهي الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت والحلقوم مجرى الطعام في الحلق والحلق مساغ الطعام والشراب معروف فكان الحلقوم أدنى الحلق الى جهة اللسان (وانتم) أي والحال أنكم أيها العاكفون حول المحتضر المتوجعون له (حينئذ) أي بلغت الروح ذلك الموضع (تنظرون) أي الى أمري وسلطاني أو الى الميت ولا حيلة لكم ولا فعل بغير النظر ولم يقل تبصرون لئلا يظن انهم ادركوا بالبصر شيئا من البواطن من حقيقة الروح ونحوها (ونحن) أي والحال أنا نحن بما لنا من العظمة (أقرب اليه) أي المحتضر بعلمنا وقدرتنا (منكم) على شدة قربكم منه قال عامر بن قيس مانظرت الى شيء الا رأيت الله أقرب الي منه (ولكن لا تبصرون) من البصيرة أي لا تعلمون ذلك (فلولا) أي فهلا (ان كنتم) أيها المكذبون بالبعث (غير مدينين) أي مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم أو مقهورين أو كين مجزيين بما عملتم في دار البلاء التي أقامكم فيها أحكم الحاكمين من دانه اذا أذله واستعبده وأصل تركيب دان للذل والانقياد قاله البيضاوي (ترجعونها) أي الروح الى ما كانت عليه (ان كنتم) كونا ثابتا (صادقين) فيما زعمتم فلولا الثانية تأكيد للاولى واذا ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان والمعنى أنكم في جحودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء ان أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان أرسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد * ثم ذكر تعالى طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال عز من قائل (فاما ان كان) المتوفى (من المقربين) السابقين الذين اجتذبهم الحق من أنفسهم فقربهم منه فكانوا مرادين قبل أن يكونوا مريدين وليس القرب قرب مكان لانه تعالى منزه عنه وانما هو بالتخلق بالصفات الشريفة على قدر الطاقة البشرية بتصيير الانسان روحانيا كالملائكة لا سبيل الى الحظوظ والشهوات عليه وقوله تعالى (فروح) مبتدأ خبره مقدر قبله أي فله روح أي راحة ورحمة وما ينشأ من نسيم الريح وقال سعيد بن جبير فله فرج وقال الضحاك مغفرة ورحمة (وريحان) أي رزق عظيم ونبات حسن بهيج وأزاهير طيبة الرائحة وقال مقاتل هو بلسان حمير رزق يقال خرجت أطلب ريحان الله أي رزقه وقيل هو الريحان الذي يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه وقال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار (وجنت) أي بستان جامع الفواكه والرياحين (نعيم) أي ذات تنعم ليس فيها غيره وأهله مقصورة عليهم *(تنبيه)* جنت هنا مجرورة التاء ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فالكسائي بالامالة في الوقف على أصله والباقون بالتاء على المرسوم (واما ان كان) المتوفى (من اصحاب اليمين) أي الذين هم في الدرجة الثانية من أصحاب الجنة (فسلام لك) أي يا صاحب اليمين من اخوانك (أصحاب اليمين) أي يسلمون

وله ملك السموات والارض
وقاله في الحشر والصف
والجمعة والتغابن باثباتها

عليك كقوله تعالى الا قيلا سلاما سلاما وقال القرطبى فسلام لك من أصحاب اليمين أى لست
ترى منهم الا ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم فانهم يسلمون من عذاب الله تعالى وقيل المعنى
سلام لك منهم أى أنت سالم من الاغتمام لهم والمعنى واحد وقيل أصحاب اليمين يدعون لك
يا محمد بأن يصلى الله عليك ويسلم وقيل معناه سلمت أيها العبد مما تكره فانك من أصحاب
اليمين فحذف انك وقيل انه يحيا بالسلام تكرما وعلى هذا فى محل السلام ثلاثة أقوال احدها
عند قبض روحه فى الدنيا يسلم عليه ملك الموت قاله الضحاك وقال ابن مسعود اذا جاء ملك
الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام الثانى عند مسئلته فى القبر يسلم
عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه فى القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله اليها قال
القرطبى ويحتمل أن يسلم عليه فى المواطن الثلاثة ويكون ذلك اكراما بعد اكرام * ولما ذكر
تعالى الصنفين الناجيين اتبعهما الهالكين باعمالهم فى صنف واحد لان من اريد له
السعادة يكفيه ذلك ومن ختم له بالشقاوة والعياذ بالله تعالى لا ينفعه الاغلاظ والاكثار
فقال تعالى (واما ان كان) المتوفى (من المكذبين) الذى أخذناه من اصحاب المشأمة
وانتم حوله تتقطع اكبادكم له ولا تقدرون له على شئ مما (الضالين) أى عن الهدى
وطريق الحق (فنزل من حميم) كما قال تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون الى أن قال
فشاربون شرب الهيم وقال تعالى ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم أى ماء متناه فى الحرارة بعد
ما نالوا من العطش كما يرد أصحاب الميمنة الحوض كما يبادر به للقادم ليبرد به غلة عطشه ويغسل
به وجهه ويديه (وتصلية جحيم) أى ونزل من تصلية جحيم والمعنى ادخال فى النار وقيل اقامة
فى الجحيم ومقاساة لانواع عذابها يقال اصلاه النار وصلاه أى جعله يصلاها والمصدر هنا
مضاف الى المفعول كما يقال لفلان اعطاء المال أى يعطى المال (ان هذا) أى الذى ذكر فى هذه
السورة من امر البعث الذى كذبوا به فى قولهم أئنا لمبعوثون ومن قيام الادلة عليه (لهو حق
اليقين) اى حق الخبر اليقين اى الثابت من الادلة القطعية المشاهدة كأنه مشاهد بالبصر وقيل
انما جاز اضافة الحق الى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظيهما وذلك من باب اضافة المترادفين
ولما حقق الله تعالى هذا اليقين سبب عنه أمره لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتنزيه عما وصفوه به مما
يلزم منه وصفه بالعجز فقال تعالى (فسبح) أى أوقع التنزيه كاملا عن كل شائبة نقص بالاعتقاد
والقول والفعل بأن لا تزال مجدا بالتعبد بكل ما يدعو نسبته من الاسماء الحسنى ويتنزه عن
كل ما تنزه نفسه عنه (باسم ربك) اى المحسن اليك بما خصك به مما لم يعطه احدا غيرك واذا كان
هذا الاسم فكيف بما هو له (العظيم) الذى لا تعظمه بجميع الاقدار ولا تحويه ذات
على ذلك جميع الاعتقاد فى العلم سواه لان من له هذا الاطلاق على هذا الوجه الا هو ومن هذا الكلام
الاعز الاكرم لا ينبغى لشائبة نقص أن تلم بجنابه وتقدم من فضائلها عن عقبة بن عامر قال
لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت
سبح اسم ربك الاعلى قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم خرجه ابو داود وعن
ابى ذر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك باحب الكلام الى الله سبحان الله
وبحمده وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان

علا بالاصل (قوله بملك السموات والارض)

ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث آخر حديث في البخاري وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة وروى أبو طيبة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا ورواه البيهقي وغيره وكان أبو طيبة لا يدعها أبدا وأخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه

سورة الحديد مكية او مدنية

وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي أحاطت هيبته بجميع الموجودات (الرحمن) الذي وسعهم جوده في جميع الحركات والسكنات (الرحيم) الذي خص أهل ولايته بما يرضيه من العبادات ولما ختمت الواقعة بالامر بتنزيهه عما أنكره الكفرة من البعث جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه فقال تعالى (سبح لله) أي الملك المحيط بجميع صفات الكمال (ما في السموات) أي الاجرام العالية والذي فيها (والارض) والذي فيها أي نزهه كل شيء فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليبا للاكثر (وهو) أي وحده (العزيز) الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء (الحكيم) أي الذي أتقن كل شيء صنعه وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها (له) أي وحده (ملك السموات والارض) وما فيهما وما بينهما ظاهرا وباطنا فالملك الظاهر ما هو الآن موجود في الدنيا من أرض مدحية وسماء مبنية وكواكب مضيئة وأفلاك ورياح وسحاب مرتبة وغير ذلك مما يحيط به علمه تعالى والملك الباطن الغائب عنا وأعظمه المضاف الى الآخرة وهو الملكوت (يحيي) أي له صفة الاحياء فيحيي ما شاء من الخلق بأن يوجده على صفة الحياة كيف شاء في أطوار يقلبها كيف شاء وما شاء (ويميت) أي له هاتان الصفتان على سبيل الاختيار والتجدد والاستمرار فهو قادر على البعث بدليل ما ثبت له من صفة الاحياء (وهو على كل شيء) أي من الاحياء والاماتة وغيرهما من كل ممكن (قدير) أي بالغ القدرة (هو) أي وحده (الاول) بالازلية قبل كل شيء فلا أول له والقديم الذي منه وجود كل شيء وليس وجوده من شيء لان كل ما نشاهده متأثر لانه متغير وكل ما كان كذلك فلا بد له من موجد غير متأثر ولا متغير (والآخر) أي بالابدية الذي ينتهي اليه وجود كل شيء في سلسلة الترقي وهو بعد فناء كل شيء باق فلا آخر له لانه يستحيل عليه نعت العدم لان كل ما سواه متغير وكل ما تغير بنوع من التغير جاز اعدامه وما جاز اعدامه فلا بد له من معدم يكون بعده ولا يمكن اعدامه (والظاهر) أي الغالب العلي على كل شيء (والباطن) أي العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقال يمان هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقال السدي هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك التوبة على ما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذ عصيته فستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر

ذكره مرتين وليس تكرارا لان الاول في الدنيا والثاني عقبه يحيي ويميت

وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شئ عليم) أى لكون الاشياء عنده على حد سواء والبطون والظهور انما هو بالنسبة الى الخلق وأما هو سبحانه وتعالى فلا باطن من الخلق عنده بل هم فى غاية الظهور لديه لانه الذى أوجدهم (فان قيل) مامعنى هذه الواوات (أجيب) بان الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى انه الجامع بين الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود فى جميع الاوقات الماضية والحاضرة والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس قال الزمخشرى وفى هذا حجة على من جوّز ادراكه فى الآخرة بالحاسة وهذا على رأيه الفاسد وهو على رأى المعتزلة المنكرين رؤية الله تعالى فى الآخرة وأما أهل السنة فانهم يثبتون الرؤية للاحاديث الدالة على ذلك من غير تشبيه ولا تكييف تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا وعن سهل قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات والارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين وأغننا من فضلك وكان يروى ذلك عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم (هو) أى وحده (الذى خلق السموات) وجمعها لعلم العرب بتعددها (والارض) أى الجنس الشامل للكل وأفردها لعدم توصلهم الى العلم بتعددها وقال تعالى (فى ستة أيام) أى من أيام الدنيا أولها الاحد وآخرها الجمعة سنا للتأنى فى الامور وتقديرا للايام التى أوترها سابعها الذى خلق فيه الانسان الذى دل يوم خلقه باسمه الجمعة على أنه المقصود بالذات وبأنه السابع نهاية المخلوقات وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) أى السرير كناية عن انفراده بالتدبير واحاطة قدرته وعلمه كما يقال فى الملوك جلس فلان على سرير الملك بمعنى أنه انفرد بالتدبير وقد لا يكون هناك سرير فضلا عن جلوس وأتى باداة التراخى تنبيها على عظمته (يعلم ما يلج) أى يدخل دخولا يغيب فيه (فى الارض) اى من النبات وغيره من أجزاء الاموات وغيرها وان كان ذلك فى غاية البعد فان الاماكن كلها بالنسبة اليه تعالى على حد سواء فى القرب والبعد (وما يخرج منها) كذلك * (تنبيه) * فى التعبير بالمضارع دلالة على ما أودع فى الخافقين من القوى فصارا بحيث يتجدد منهما ذلك بخلقه تجددا مستمرا الى حين خرابهما (وما ينزل من السماء) من الوحى والامطار والحر والبرد وغيرها من الاعيان والمنافع التى يوجدها سبحانه وتعالى من مقادير أعمار بنى آدم وأرزاقهم وغيرها من جميع شؤنهم (وما يعرج) أى يصعد ويرقى ويغيب (فيها) كالابخرة والانوار والكواكب والاعمال وغيرها ولم يجمع السماء لان المقصود حاصل بالواحد مع افهام التعبير بها الجنس الشامل للكل (وهو معكم) بالعلم والقدرة أيها الخلق (اينما كنتم) لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال فهو عالم بجميع أموركم وقادر عليكم تعالى الله عن اتصال بالعالم ومماسة أو انفصال عنه بغيبة أو مسافة (والله) أى المحيط بجميع صفات الكمال (بما تعملون) أى على سبيل التجدد والاستمرار (بصير) أى عالم

قوله لا يستوى منكم من انفق
الله ترجع الامور
فى العقبى اقوله عقبه والى

بجلبله وحقيره فيجازى كلا به وقدم الجار لمزيد الاهتمام والتنبيه على تحقيق الاحاطة (له) أى وحده (ملك السموات) وجمع لاقتضاء المقام له (والارض) وأفردها لخفاء تعددها عليهم مع ارادة الجنس ودل على ارادة ملكه واحاطته بقوله تعالى (والى الله) أى الملك الذى لا كفء له وحده (ترجع) بكل اعتبار على غاية السهولة (الامور) أى كلها حسا بالبعث ومعنى بالابتداء والافناء ودل على ذلك بقوله تعالى (يولج) أى يدخل ويغيب بالنقص والمحو (الليل فى النهار) فاذا هو قد قصر بعد طوله وقد انمحى بعد شخوصه وحلوله وزاد النهار وملأ الضياء الاقطار بعد ذلك الظلام (ويولج النهار) الذى عم الكون ضياؤه (فى الليل) الذى كان قد غاب فى علمه فاذا الظلام قد طبق الآفاق فيزيد الليل والطول الذى كان فى النهار قد صار نقصا (وهو) أى وحده (عليم) أى بالغ العلم (بذات الصدور) أى بما فيها من الاسرار والمعتقدات على كثرة اختلافها وتغيرها وان خفيت على أصحابها ولما قامت الادلة على تنزيهه سبحانه قال تعالى آمرا بالاذعان له ولرسوله صلى الله عليه وسلم (آمنوا) أى أيها الثقلان (بالله) أى الملك الاعظم الذى لا مثل له (ورسوله) الذى عظمته من عظمته ونزل فى غزوة العسرة وهى غزوة تبوك (وأنفقوا) أى فى سبيل الله (مما جعلكم مستخلفين فيه) أى من الاموال التى فى أيديكم فانها أموال الله تعالى لانها بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم بالاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى باموالكم فى الحقيقة وما أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فأنفقوا منها فى حقوق الله تعالى وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى أيديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها أنفسكم ولما أمر الله تعالى بالانفاق ووصفه بما سهله سبب عنه ما رغب فيه فقال تعالى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) من أموالهم فى الوجوه التى ندب اليها على وجه الاصلاح على ما دل عليه التعبير بالانفاق (لهم أجر كبير) أى لا تبلغ عقولكم حقيقة كبره فاغتنموا الانفاق فى أيام استخلافكم قبل عزلكم وانخلافكم وخصهم بالذكر بقوله تعالى منكم اضيق فى زمانهم وقيل ان ذلك اشارة الى عثمان فانه جهز جيش العسرة وقوله تعالى (وما) أى وأى شئ (لكم) من الاعذار أو غيرها فى أنكم أو حال كونكم (لا تؤمنون بالله) اى تجددون الايمان تجديدا مستمرا بالملك الاعلى اى الذى له الملك كله والامر كله خطاب للكفار اى لا مانع لكم بعد سماعكم ما ذكر (والرسول) اى والحال ان الذى له الرسالة العامة (يدعوكم) فى الصباح والمساء (لتؤمنوا) اى لاجل أن تؤمنوا (بربكم) الذى احسن تربيتكم بان جعلكم من أمة هذا النبى الكريم فشرفكم به (وقد) اى والحال انه قد (أخذ ميثاقكم) اى وقع أخذه فصار فى غاية القباحة ترك التوثق بسبب نصب الادلة والتمكين من النظر بابداع العقول وذلك كله منضم الى أخذ الذرية من ظهر آدم عليه السلام حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وقرأ أبو عمرو بضم الهمزة وكسر الخاء ورفع القاف على البناء للمفعول ليكون المعنى من اى آخذ كان من غير نظر الى معين وقرأ الباقون بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف على البناء للفاعل والآخذ هو الله القادر على كل شئ

من قبل الفتح وقاتل) تقديره
من أنفق وقاتل قبل الفتح
ومن أنفق وقاتل بعده

العالم بكل شئ والحاصل انهم نقضوا الميثاق فى الايمان فلم يؤاخذهم حتى أرسل الرسل (ان كنتم مؤمنين) اى مريدين الايمان فبادروا اليه (هو) أى لاغيره (الذى ينزل) اى على سبيل التدريج والموالاة بحسب الحاجة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى (على عبده) الذى هو أحق الناس بحضرة جماله واكرامه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (آيات) أى علامات هى من ظهورها حقيقة أن يرجع اليها ويتعبد بها (بينات) أى واضحات وهى آيات القرآن الكريم (ليخرجكم) اى الله بالقران أوعبده بالدعوة (من الظلمات) التى أنتم منغمسون فيها من الحظوظ والنقائص التى جبل عليها الانسان والغفلة الكاملة على تراكم الجهل فمن امنه الله تعالى العلم والايمان فقد أخرجه من هذه الظلمات التى طرأت عليه (الى النور) الذى كان له وصف الروح وفطرته الاولى السامية (وان الله) اى الذى له صفات الكمال (بكم لرؤف رحيم) اى حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على مانصب لكم من الحجج العقلية وقرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائى بقصر الهمزة والباقون بالمد وورش على أصله بالمد والتوسط والقصر وليس قصره كقصر أبى عمرو ومن معه وانما قصره كمد قالون ومن وافقه (وما) اى وأى شئ يحصل (لكم) فى (ألا تنفقوا) اى توجدوا الانفاق للمال (فى سبيل الله) اى فى كل مايرضى الملك الاعظم الذى له صفات الكمال ليكون لكم به وصلة فيخصكم بالرأفة التى هى أعظم الرحمة فانه مابخل أحد عن وجه خير الاسلط الله عليه غرامة فى وجه شر (ولله) أى الذى له صفات الكمال لاسيما صفة الارث المقتضية للزهد فى الموروث (ميراث السموات والارض) أى يرث كل شئ فيهما فلا يبقى لاحد مال فمن تأمل أنه زائل هو وكل مافى يده والموت من ورائه وطوارق الحوادث مطبقة به وعما قليل ينقل مافى يده الى غيره هان عليه الجود بنفسه وماله ثم بين تعالى التفاوت بين المنفقين منهم فقال تعالى (لايستوى منكم من أنفق) اى أوجد الانفاق فى ماله وجميع قواه ومايقدر عليه (من قبل الفتح) اى الذى هو فتح جميع الدنيا فى الحقيقة وهو فتح مكة الذى كان سببا لظهور الدين الحق على الدين كله (وقاتل) سعيا فى انفاق نفسه لمن آمن به قبل الاسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوحه ودلالة مابعده عليه وفضل الاول لما ناله اذ ذاك بالانفاق من كثرة المشاق لضيق المال حينئذ وفى هذا دليل على فضل أبى بكر فانه أول من أنفق لم يسبقه فى ذلك أحد وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا شديدا أشرف منه على الهلاك روى محمد بن فضيل عن الكلبى ان هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها بخلال فقال انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض انت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربى انى عن ربى راض انى عن ربى راض (أولئك) اى المنفقون المقاتلون وهم السابقون الاولون من المهاجرين

لان الاستواء انما يكون بين اثنين فاكثر وانما حذفه لدلالة مابعده عليه

والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه لمبادرتهم الى الجود بالنفس والمال (أعظم درجة) وتعظيم الدرجة يكون لعظم صاحبها (من الذين أنفقوا من بعد) أي من بعد الفتح (وقاتلوا) أي من بعد الفتح (وكلا) أي وكل واحد من الفريقين (وعد الله) أي الذي له الجلال والاكرام (الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرأ ابن عامر برفع اللام على الابتداء أي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والباقون بنصبها أي وعد كلا (والله) أي الذي له الاحاطة الكاملة بجميع صفات الكمال (بما تعملون) أي تجددون عمله على الاوقات (خبير) أي عالم بباطنه وظاهره علما لا مزيد عليه بوجه فهو يجعل جزاء الاعمال على قدر النيات التي هي أرواح صورها * (تنبيه) * التقدم والتأخر قد يكون في أحكام الدين وقد يكون في أحكام الدنيا فأما التقدم في أحكام الدين فقالت عائشة أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم وأعظم المنازل مرتبة الصلاة وقد قال صلى الله عليه وسلم في مرضه مروا أبا بكر فليصل بالناس وقال يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وقال فليؤمكما أكبركما وأما في أحكام الدنيا فهي مرتبة على أحكام الدين فمن قدم في الدين قدم في الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا وفي الحديث ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه * ثم رغب في الانفاق بقوله تعالى (من) وأكد بالاشارة بقوله تعالى (ذا) لاجل ما للنفوس من الشح (الذي يقرض الله) أي يعطي الذي له جميع صفات الجلال والاكرام شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا أعطى المستحق ماله لوجه الله تعالى فكأنه أقرضه اياه (قرضا حسنا) أي طيبا خالصا مخلصا فيه متحريا به أفضل الوجوه من غير من وكدر بتسويف وغيره (فيضاعفه له) أي يؤتي أجره من عشرة الى أكثر من سبعمائة كما ذكره في البقرة الى ما شاء الله تعالى من الاضعاف وقيل القرض الحسن أن يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال زيد بن أسلم هو النفقة على الاهل وقال الحسن التطوع بالعبادات وقرأ ابن عامر وعاصم بنصب الفاء بعد العين والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر بغير ألف بعد الضاد وتشديد العين والباقون بالف بعد الضاد وتخفيف العين (وله) أي للمقرض زيادة على ذلك (أجر) لا يعلم قدره الا الله تعالى وهو معنى وصفه بقوله تعالى (كريم) أي حسن طيب زاك تام وقوله تعالى (يوم) ظرف لقوله تعالى وله أجر كريم أو منصوب باضمار اذكر أي واذكر يوم (ترى) أي بالعين (المؤمنين والمؤمنات) أي الذين صار الايمان لهم صفة راسخة (يسعى نورهم) أي ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة (بين أيديهم وبأيمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى معهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما والاول نور الايمان والمعرفة والاعمال المقبولة والثاني نور الانفاق لانه بالايمان نبه عليه الرازي وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود

(قوله أولئك هم الصديقون والشهداء) سماهم شهداء تغليبا أو المراد أن لهم أجر

يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويتقد أخرى ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة (بشراكم اليوم) أي بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم من الزمان * (تنبيه) * بشراكم اليوم مبتدأ واليوم ظرف وقوله تعالى (جنات) خبره على حذف مضاف أي دخول جنات وهو المبشر به ثم وصفها بما لا تكمل اللذة الا به بقوله (تجري من تحتها الانهار) ثم آمنهم من خوف الانقطاع بقوله تعالى (خالدين فيها) أي خلودا لا آخر له لان الله تعالى أورثهم ذلك فلا يورث عنهم لان الجنة لا موت فيها (ذلك) أي هذا الامر العظيم المتقدم من النور والبشرى بالجنات الخالدة (هو الفوز العظيم) أي الذي ملأ بعظمته جميع جهاتهم * ولما شرح تعالى حال المؤمنين في موقف القيامة أتبع ذلك بشرح حال المنافقين بقوله (يوم يقول المنافقون والمنافقات) وهم المظهرون الايمان المبطنون الكفر * (تنبيه) * يوم بدل من يوم ترى أو منصوب باذكر (للذين آمنوا) أي ظاهرا وباطنا (انظرونا) أي انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيؤن به وقرأ حمزة بقطع الهمزة في الوصل وكسر الظاء والباقون بوصل الهمزة ورفع الظاء وأما الوقف على آمنوا والابتداء بانظرونا فحمزة على حاله كما يقرأ في الوصل والباقون بضم همزة الوصل في الابتداء والظاء على حالها من الضم (نقتبس) أي نستضئ (من نوركم) أي هذا الذي نراه لكم ولا يلحقنا منه شئ كما كان في الدنيا نرى ايمانكم بما نرى من ظواهركم ولا نتعلق من ذلك بشئ جزاء وفاقا وذلك لان الله تعالى يعطي المؤمنين نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين أيضا نورا خديعة لهم وهو قوله تعالى وهو خادعهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله تعالى ريحا وظلمة فاطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه الآية مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين والقبس الشعلة من النار أو السراج قال ابن عباس وأبو امامة يغشى الناس يوم القيامة ظلمة قال الماوردي أظنها بعد فصل القضاء ثم يعطون نورا يمشون فيه وقال الكلبي بل يستضئ المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل) لهم جوابا لسؤالهم قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون أي قول رد وتوبيخ وتهكم وتنديم (ارجعوا وراءكم) أي ارجعوا الى الموقف حيث أعطينا النور (فالتمسوا نورا) هنالك ثم يقتبس أي ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا والتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا أن لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم وقال قتادة تقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها ولما كان التقدير فرجعوا وتمادوا في الالتماس عنه وعقبه قوله تعالى (فضرب بينهم) أي بين المؤمنين والمنافقين (بسور) أي حائط حائل بين شق الجنة وشق النار (له) أي لذلك السور (باب) موكل به حجاب لا يفتحون الا لمن أذن له الله تعالى من المؤمنين لما يهديهم اليه من نورهم الذي بين ايديهم بشفاعة أو نحوها

الشهداء والانبياء هم لم يقتل حتى يكون شهيدا (قوله ما اصاب من مصيبة)

باطنه

(باطنه) أي ذلك السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة من جهة الذين آمنوا جزاء لايمانهم الذي هو غيب (فيه الرحمة) وهي ما لهم من الكرامة لانه يلي الجنة التي هي ساترة تبطن من فيها باشجارها وباستارها كما كانت بواطنهم ملأى رحمة (وظاهره) اي ما ظهر لاهل النار (من قبله) اي من عنده ومن جهته (العذاب) وهو الظلمة والنار لانه يليها الاقتصار أهلها على الظواهر من غير أن يكون لهم نفوذ الى باطن وروى عن عبد الله بن عمر أن السور الذي ذكر الله تعالى في القرآن هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن سريج كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية وقيل السور عبارة عن منع المنافقين عن طلب المؤمنين (ينادونهم) اي ينادي المنافقون الذين آمنوا ويترفقون لهم (الم نكن معكم) اي في الدنيا نصلي ونصوم فنستحق المشاركة فيما صرتم اليه بسبب ذلك الذي كنا معكم فيه (قالوا) اي الذين آمنوا (بلى) اي كنتم معنا في الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة (وتربصتم) اي بالايمان والتوبة وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه (وارتبتم) اي شككتم في الدين وفي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفيما أوعدكم به (وغرتكم الاماني) اي ما تمنون من الارادات التي معها شهوة عظيمة من الاطماع الفارغة التي لا سبب لها غير شهوة النفس اياها بما كنتم تتوقعون لنا من دوائر السوء (حتى جاء امر الله) اي قضاء الله المتصف بجميع صفات الكمال فلا كفء له ولا خلف وقرأ قالون وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية وايضا لهما ابدالها والباقون بتحقيقهما واما امال الالف بعد الميم حمزة وابن ذكوان والباقون بالفتح واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الثانية مع المد والتوسط والقصر (وغركم بالله) اي الملك الذي له جميع العظمة (الغرور) اي من لا صنعة له الا الكذب وهو الشيطان فانه يزين لكم غروره التسويف و يقول ان الله غفور رحيم وعفو كريم وما داعمي ان تكون ذنوبكم عنده وهو عظيم محسن وحليم ونحو ذلك فلا يزال حتى يوقع الانسان فاذا اوقعه واصل عليه مثل ذلك حتى يتمادى فاذا تمادى صار الباعث له حينئذ من قبل نفسه فصار طوع يده (فاليوم) اي بسبب انهما لكم تلك (لا يؤخذ منكم فدية) اي نوع من انواع الفداء وهو البدل والعوض النفس على حال كان من قلة او كثرة لان الاله غني وقد فات محل العمل الذي شرعه لكم لا تمادا نفسكم وقرأ ابن عامر بالتاء الفوقية على التأنيث والباقون بالتحتية على التذكير (ولا من الذين كفروا) اي الذين اظهروا كفرهم ولم يستروه كما سترتموه انتم لما دواءكم انهم في [illegible] وا عطف الكافر على المنافق وان كان المنافق كافرا لما حقيقة ما في باطن الكافر ولا كافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق (ماواكم النار) اي منزلكم ومسكنكم لا مقر لكم غيرها تحرقكم كما كنتم تحرقون قلوب اولياء الله بالاقبال على الشهوات واضاعة حقوق ذوي الحاجات وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين الفتح وبين اللطيف والباقون بالفتح وورش لا يبدل هذه الهمزة لما كان ذلك بقوله تعالى (هي) اي لا غيرها

في الارض ولا في أنفسكم الا ما اصاب من مصيبة الا بإذن الله وقال في التغابن

(مولاكم) اى هى اولى بكم وانشد قول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب انه • مولى المخافة خلفها وأمامها

والشاهد فى مولى المخافة فولى بمعنى أولى والفرجان الجانبان وهو الخلف والقدام وهو وصف بقرة وحشية أى غدت على حالة كلا جانبيها المخوف وحقيقته فى الآية محرا كم بجاه مهملة وراء أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم أى مكان كقول القائل انه لكريم ويجوز أن يراد هى ناصركم أى لا ناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على البتات وقيل تتولاكم كما توليتم فى الدنيا أعمال اهل النار ولما كان التقدير بئس المولى هى عطف عليه قوله تعالى (وبئس المصير) أى هذه النار واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (ألم يأن) أى يحن ويدرك ويفتنه الى الغاية (للذين آمنوا) أى أقروا بالايمان (أن تخشع) أى تلين وتسكن وتخضع وتذل وتطمئن قلوبهم (لذكر الله) أى الملك الاعظم الذى لا خير الا منه فيصدق فى ايمانه من كان كاذبا ويقوى فى الدين من كان ضعيفا فيعرض عن الفانى ويقبل على الباقى ولا يطلب لدائه منه دواء ولا لمرض قلبه شفاء فى غير القران فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن الحسن أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القران أقل ما تقرؤن فانظروا فى طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وقيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن أبى بكر رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم وقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقال الشاعر

ألم يان لى يا قلب أن تترك الجهلا • وأن يحدث الشيب المنير لنا عقلا

وقوله تعالى (وما نزل من الحق) أى القرآن عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر لان القرآن جامع للامرين للذكر والموعظة أو أنه حق نازل من السموات ويجوز أن يراد بالذكر أن يذكر الله تعالى وقرأ نافع وحفص بتخفيف الزاى والباقون بالتشديد وقوله تعالى (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) اى قبل ما نزل اليكم وهم اليهود والنصارى معطوف على تخشع والمراد النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله تعالى (وطال عليهم الامد) اى الاجل لطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم (فقست) اى بسبب الطول (قلوبهم) اى صلبت واعوجت بحيث لا تنفعل بالطاعات والخير فكانوا كل حين فى تعنت جديد على انبيائهم عليهم السلام يسألونهم المقترحات واما بعد انبيائهم فابعدوا فى القساوة فملوا الى دار الكدر واعرضوا عن دار الصفاء فانجروا الى الهلاك باتباع الشهوات قال القشيرى وقسوة القلب انما تحصل باتباع الشهوة فان الشهوة والصفوة لا يجتمعان وعن ابى موسى الاشعرى انه بعث الى قراء البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاقرؤه ولا تطاولوا عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب

باذن الله فصل هنا واجل
ثم موافقة لما قبلها
لانه فصل هذا بقوله اعلموا

من كان قبلكم (وكثير منهم) أخرجته قساوته عن الدين أصلا ورأسا فهم (فاسقون) أى عريقون فى صفة الاقدام على الخروج من دائرة الحق التى حدها لهم الكتاب حتى تركوا الايمان بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقوله تعالى (اعلموا أن الله) أى الملك الاعظم الذى له الكمال كله فلا يعجزه شئ (يحيى) أى على سبيل التجديد والاستمرار كما تشاهدونه (الارض) أى بالنبات (بعد موتها) أى يبسها تمثيل لاحياء الاموات بجميع أجسادهم وافاضة الارواح عليها كما فعل بالنبات وكما فعل بالاجسام أول مرة ولاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة فاحذروا سطوته واخشوا غضبه وارجوا رحمته لاحياء القلوب فانه قادر على احيائها بروح الوحى كما أحيا الارض بروح الماء لتصير باحيائها بالذكر خاشعة بعد قسوتها كما صارت الارض بالماء رابية بعد خشوعها وموتها * ولما انكشف الامر بهذه غاية الانكشاف أنتج قوله تعالى (قد بينا) أى على مالنا من العظمة (لكم الآيات) أى العلامات النيرات (لعلكم تعقلون) أى لتكونوا عند من يعلم ذلك ويسمعه من الخلائق على رجاء من حصول العقل لكم بما يتجدد لكم من فهمه على سبيل التواصل الدائم بالاستمرار وقرأ (ان المصدقين) اى العريقين فى هذا الوصف من الرجال (والمصدقات) أى من النساء ابن كثير وشعبة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق بالايمان والباقون بالتشديد فيهما من التصدق أدغمت التاء فى الصاد أى الذين تصدقوا وقوله تعالى (وأقرضوا الله) أى الذى له الكمال كله عطف على معنى الفعل فى المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا وأقرضوا الله (قرضا حسنا) أى بغاية ما يكون من طيب النفس واخلاص النية والنفقة فى سبيل الخير وحسنه كما قاله الرازى أن يصرف بصره عن النظر الى فعله والنفقة والامتنان به وطلب العوض عليه (يضاعف) اى ذلك القرض (لهم) من عشرة الى سبعمائة كما مر لان الذى كان له القرض كريم وقرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين ولا ألف بينها وبين الضاد والباقون بتخفيف العين وبينها وبين الضاد ألف (ولهم) اى مع المضاعفة (اجر كريم) أى ثواب حسن وهو الجنة والنظر الى وجهه الكريم * ثم بين سبحانه وتعالى الحامل على الصدقة ترغيبا فيه وهو الايمان فقال تعالى (والذين آمنوا) اى اوجدوا هذه الحقيقة العظيمة فى أنفسهم (بالله) أى الملك الاعلى الذى له الجلال والاكرام (ورسله) أى كلهم لاجل ما لهم من النسبة اليه فمن كذب واحدا منهم لم يكن مؤمنا بالله تعالى (أولئك) أى هؤلاء العالو الرتبة (هم الصديقون) أى الذين هم فى غاية الصدق والتصديق لما يحق له أن يصدقه من سمعه وقال القشيرى الصديق من استوى ظاهره وباطنه ويقال هو الذى يحمل الامر على الاشق ولا ينزل الى الرخص ولا يجنح للتأويلات وقال مجاهد كل من آمن بالله تعالى ورسله عليهم السلام فهو صديق وتلا هذه الآية وقال الضحاك الآية خاصة فى ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا أهل الارض فى زمانهم الى الاسلام أبو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ألحقه الله تعالى بهم لما عرف من صدق نيته صلى الله عليه وسلم وعلى آله واختلف فى نظم قوله تعالى (والشهداء عند ربهم) اى الحسن اليهم بالتربية لنيل تلك الرتبة العالية فمنهم من قال هى منفصلة عما قبلها والواو للنسق وأراد

انما الحيوة الدنيا الآية بخلافه ثم (قوله لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا

بالشهداء المؤمنين المخلصين وقال الضحاك هم التسعة الذين سميناهم رضي الله عنهم وقال مجاهد كل مؤمن صديق وشهيد وتلا هذه الآية وقال قوم تم الكلام عند قوله تعالى هم الصديقون ثم ابتدأ بقوله تعالى والشهداء فهو مبتدأ وخبره (لهم أجرهم) أي جعله ربهم لهم (ونورهم) أي الذي زادهموه من فضله برحمته فالواو للاستئناف وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ومسروق وجماعة ثم اختلفوا فيهم فمنهم من قال هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين يشهدون على الأمم يروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول مقاتل ابن حيان وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا في سبيل الله عز وجل * ولما ذكر تعالى أهل السعادة جعلنا الله تعالى ووالدينا ومحبينا منهم جامعاً الأصناف هم أتبعهم أهل الشقاوة كذلك بقوله تعالى (والذين كفروا) أي ستروا ما دلت عليه الأدلة (وكذبوا بآياتنا) أي على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا (أولئك) أي هؤلاء البعداء من كل خير (أصحاب الجحيم) أي النار التي هي غاية في توقدها وفي ذلك دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث أن التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفاً وأما غيرهم من العصاة فقد خرجوا منها بالنص على وجه الصحبة الدالة على الملازمة * ولما ذكر تعالى حال الفريقين في الآخرة حقر أمر الدنيا بقوله تعالى (اعلموا) أي أيها العباد المبتلون بحب الدنيا (إنما الحياة الدنيا) أي الحاضرة التي رغب في الزهد فيها والخروج عنها بالصدقة والقرض الحسن وما مزيدة للتأكيد أي الحياة في هذه الدار (لعب) أي لعب لا ثمرة له فهو باطل كلعب الصبيان (ولهو) أي شيء يفرح به الإنسان فيلهيه أي يشغله عما يعنيه ثم ينقضي كلهو الفتيان ثم أتبع ذلك أعظم ما يلهي في الدنيا بقوله تعالى (وزينة) أي شيء يبهج العين ويسر النفس كزينة النسوان وأتبعها ثمرتها بقوله تعالى (وتفاخر بينكم) أي كتفاخر الأقران يفتخر بعضهم على بعض ويجر ذلك إلى الحسد والبغضاء وأتبع ذلك ما يحصل به الفخر بقوله تعالى (وتكاثر) أي من الجانبين كتكاثر الدهقان (في الأموال) أي التي لا يفتخر بها إلا الأحمق لكونها مائلة (والأولاد) أي التي لا يفتخر بها إلا السفيه لأنها زائلة وآفاتها هائلة وإنما هي فتنة وابتلاء يظهر بها الشاكر من غيره ثم ذلك كله قد يكون ذهابه عن قريب فيكون على أضداد ما كان عليه فيكون أشد في الحسرة ثم في آخر ذلك يموت فإذا هو قد اضمحل أمره ونسي عما قليل ذكره وصار ماله لغيره وزينته مقتسمة من بعده سواء فالدنيا حقيرة وأحقر منها طالبها لأنها جيفة وطالب الجيفة ليس له خطر وأخسهم من بخل بها وقال علي لعمار لا تحزن على الدنيا فإن الدنيا ستة أشياء مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة وأكثر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وأفضل مشمومها المسك وهو دم فأرة وأفضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال وأما المنكوح فهو النساء وهو مبال في مبال والله إن المرأة لتزين أحسنها فيراد منها أقبحها اهـ ويناسب بعض ذلك قول الشاعر

خير لباسهم انسجات دودة ... وخير شرابهم قيء الذباب
وأشهى ما ينال المرء فيها ... مبال في مبال مستطاب

المراد به الانتهاء عن الحزن والفرح الذين لا ينفك

قال القشيري وهذه الدنيا المذمومة هي ما يشغل العبد عن الآخرة فكل ما يشغله عن الآخرة فهو الدنيا اهـ اي وأما الطاعات وما يعين عليها فمن امور الآخرة * ثم ضرب الله للدنيا مثلا بقوله تعالى (كمثل) أي هذا الذي ذكرته من أمرها يشبه مثل (غيث) اي مطر حصل بعد جدب وسوء حال (أعجب الكفار) اي الزراع الذين حصل منهم الحرث والبذر الذي يستره الحارث كما يستر الكافر حقيقة أنوار الايمان بما يحصل منه من الجحد والطغيان (نباته) اي نبات ذلك الغيث كما يعجب الكافر في الغالب بسط الدنيا له استدراجا من الله تعالى (ثم يهيج) اي ييبس فيتم جفافه فيحين حصاده (فتراه) أي عقب كل ذلك وبالقرب منه (مصفرا) أي على حالة لا غرو بعدها (ثم) أي بعد تناهي الجفاف (يكون) أي كونا كأنه مطبوع عليه (حطاما) أي فتاتا يضمحل بالرياح * ولما ذكر تعالى الظل الزائل ذكر اثره الثابت الدائم مقسما له الى قسمين فقال تعالى (وفي الآخرة عذاب شديد) أي على من آثر الدنيا وأخذها بغير حقها وصد بها عن ذكر الله تعالى وعن الآخرة هذا أحد القسمين وأما القسم الآخر فهو ما ذكره بقوله تعالى (ومغفرة) أي ولمن أقبل على الآخرة ورفض الدنيا ولم تشغله عن ذكر الله تعالى مغفرة (من الله) اي الملك الاعظم (ورضوان) اي في جنة عالية تفضلا منه تعالى ورحمة * وقوله جل وعلا (وما الحيوة الدنيا) اي لكونها تشغل بزينتها مع انها زائلة (الا متاع الغرور) أي هو في نفسه غرور لا حقيقة له الا الذل لانه لا يبصر بقدر ما ينشر تأكيد لما سبق قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور اذا ألهتك عن طلب الآخرة فأما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة * ثم أرشدهم الله تعالى الى المسابقة الى الخيرات لان الدنيا خيال ومحال والآخرة بقاء وكمال بقوله تعالى (سابقوا) أي سارعوا مسارعة السابقين في المضمار (الى مغفرة) أي ستر لذنوبكم عينا وأثرا (من ربكم) أي المحسن اليكم بانواع الخيرات التي توجب المغفرة لكم من ربكم وقال الكلبي سارعوا بالتوبة لانها تؤدي الى المغفرة وقال مكحول هي التكبيرة الاولى مع الامام وقيل الصف الاول (وجنة) أي وبستان هو من عظم أشجاره واطراد انهاره بحيث يستر داخله (عرضها كعرض السماء والارض) أي السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في عرضها جميعها وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقال مقاتل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها الى بعض لكانت عرض جنة واحدة من الجنان وسأل عمر ناس من اليهود اذا كانت الجنة عرضها ذلك فاين النار فقال لهم أرأيتم اذا جاء الليل اين يكون النهار واذا جاء النهار اين يكون الليل فقالوا انه لمثلها في التوراة ومعناه انه حيث شاء الله وهذا عرضها ولا شك ان الطول ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل العباد بما يعقلونه ويقع في أنفسهم وأفكارهم واكثر ما يقع في أنفسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بما عرفه الناس (أعدت) اي هيئت هذه الجنة الموعود بها وفرغ من امرها بما امر (للذين آمنوا) اي اوقعوا هذه الحقيقة (بالله) اي الذي له جميع العظمة لاجل ذاته مخلصين له الايمان (ورسله) فلم يفرقوا بين احد منهم وفي هذا اعظم رجاء واقوى امل

عزما الانسان بطبعه بل
المراد الحزن المخرج
لصاحبه الى الذهول عن

لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيأ آخر يدل عليه قوله تعالى في سياق الآية (ذلك) اى الفضل العظيم جدا (فضل الله) اى الملك الذى لا كفء له فلا اعتراض عليه (يؤتيه من يشاء) فبين انه لا يدخل احد الجنة الا بفضل الله لا بعمله لما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة احد منكم عمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضل رحمته ولا ينافى ذلك قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون لان الباء فى الحديث عوضية وفى الآية سببية (فان قيل) يلزم على هذا ان يقطع بحصول الجنة لجميع العصاة وان يقطع بانه لا عقاب عليهم (اجيب) بانا نقطع بحصول الجنة ولا نقطع بنفى العقاب عنهم لانهم اذا عذبوا مدة ثم نقلوا الى الجنة بقوا فيها ابد الآباد فكانت معدة لهم (والله) اى والحال ان الملك المختص بجميع صفات الكمال فله الامر كله (ذو الفضل العظيم) اى الذى جل أن يحيط بوصفه العقول (ما اصاب من مصيبة فى الارض) أى من قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمرات وغلاء الاسعار وتتابع الجوائح وغير ذلك (ولا فى أنفسكم) أى من الامراض والفقر وذهاب الاولاد وضيق العيش وغير ذلك (الا فى كتاب) أى مكتوبة فى اللوح المحفوظ مثبتة فى علم الله تعالى (من قبل ان نبرأها) أى نخلق ونوجد ونقدر المصيبة فى الارض والانفس وهذا دليل على ان اكتساب العباد بخلقه سبحانه وتعالى وتقديره (ان ذلك) أى الامر الجليل وهو علمه بالشئ وكتبه له على تفاصيله قبل أن يخلقه (على الله) أى الملك من الاحاطة بصفات الكمال (يسير) لان علمه محيط بكل شئ فقدرته شاملة لا يعجزها شئ ثم بين ثمرة اعلامه بذلك بقوله تعالى (لكيلا) أى اعلمناكم بانا على ما لنا من العظمة قد فرغنا من التقدير فلا يتصور فيه تقديم ولا تأخير ولا تبديل ولا تغيير لا الحزن يدفعه ولا السرور يجلبه ويجمعه كما قال صلى الله عليه وسلم يا معاذ اقلل همك ما قدر يكن لاجل أن لا (تأسوا) اى تحزنوا حزنا كبيرا زائدا على ما فى أصل الجبلة فربما جر ذلك الى السخط وعدم الرضا بالقضاء (على ما فاتكم) أى من المحبوبات الدنيوية (ولا تفرحوا) أى تسروا سرورا يوصلكم الى البطر بالتمادى على ما فى أصل الجبلة وقوله تعالى (بما آتاكم) قرأه أبو عمرو بقصر الهمزة أى جاءكم منه والباقون بالمد أى اعطاكم قال جعفر الصادق رضى الله عنه مالك تاسف على مفقود ولا يرده عليك الفوت ومالك تفرح بموجود ولا يتركه فى يدك الموت اه ولقد عزى الله تعالى المؤمنين رحمة بهم فى مصائبهم وزهدهم فى رغائبهم بان اسفهم على فوت المطلوب لا يعيده وفرحهم بحصول المحبوب لا يفيده وبان ذلك لا مطمع فى بقائه الا بادخاره عند الله تعالى وذلك بان يقول المصيبة قدر الله تعالى وما شاء فعل ويصبر وفى النعمة هكذا اقضى وما أدرى ما آله هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر فلا يزال خائفا عند النعمة قائلا فى الحالين ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن وأكمل من هذا أن يكون مسرورا بذكر ربه فى كلتا الحالتين وقيمة الرجال انما تعرف بالواردات المغيرة فمن لم يتغير بالمضار ولم يتأثر بالمسار فهو سيد وقته كما اشار اليه القشيرى وقال ابن عباس رضى الله عنهما ليس من احد الا وهو يحزن ويفرح ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبرا وغنيمته شكرا والحزن والفرح المنهى عنهما هما اللذان يتعدى فيهما الى ما لا يجوز (والله) اى الذى له صفات الكمال (لا يحب) أى لا يفعل فعل المحب

بان

...اه بحر والتسليم لامر الله
...والفرح الملهى عن
...الشكر نعوذ بالله منهما

بان يكرم (كل مختال) أى متكبر ناظرا الى ما فى يده من الدنيا (فخور) أى به على الناس قال القشيرى الاختيال من بقايا النفس ورؤيتها والفخر من رؤية خطر ما به يفضو وقوله تعالى (الذين يبخلون) بدل من كل مختال فخور فان المختال بالمال يضن به غالبا (ويأمرون الناس) ى كل من يعرفونه (بالبخل) ارادة أن يكونوا لهم رفقاء يعملون باعمالهم الخبيثة او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله تعالى (ومن يتول) أى يكلف نفسه الاعراض ضد ما فى فطرته من محبة الخير والاقبال على الله تعالى (فان الله) الذى له جميع صفات الكمال (هو) أى وحده (الغنى الحميد) لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى أى عن ماله وعن انفاقه وكل شئ مفتقر اليه وهو مستحق للحمد سواء أحمده الحامدون أم لا (لقد ارسلنا) أى بما لنا من العظمة (رسلنا) أى الذين لهم نهاية الجلال بما لهم بنا من الاتصال من الملائكة الى الانبياء على جميعهم أفضل الصلاة والسلام ومن الانبياء الى الامم (بالبينات) اى الحجج القواطع (وأنزلنا) اى بعظمتنا التى لا شئ اعلى منها (معهم الكتاب) أى الكتب المتضمنة للاحكام وشرائع الدين (والميزان) أى العدل وقيل الآلة روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به (ليقوم الناس بالقسط) أى ليتبعوا ما أمرتهم به [illegible] (وأنزلنا) أى خلقنا خلقا عظيما بما لنا من القوة (الحديد) أى المعروف على وجه من القوة والصلابة والـ[illegible] فالذلة هى ايجاده انزالا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال نزل آدم عليه السلام [illegible] ومعه خمسة أشياء من حديد وروى من آلة الحدادين [illegible] والمطرقة [illegible] والابرة وحكاه القشيرى قال والميقعة [illegible] الحديدة [illegible] اصحاح الميقعة الموضع الذى يألفه البازى فيقع عليه وخشبة القصار التى يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وروى ومعه المبرد والمسحاة وعن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى أنزل اربع بركات من السماء الى الارض أنزل الحديد والنار والماء والملح وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أنزل الله ثلاثة أشياء مع آدم عليه السلام الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس طولها عشرة أذرع مع طول موسى والحديد [illegible] قوله تعالى [illegible] من الانعام وسلاسات أزواج [illegible] (فيه بأس) أى [illegible] (شديد) [illegible] قوة [illegible] والسلاح [illegible] (ومنافع للناس) [illegible] مواقف [illegible] جنة وقيل انتفاع الناس بالماعون [illegible] في يوم الثلاثاء [illegible] اراقة الدماء [illegible] لانه يوم يجرى فيه الدم [illegible] قوله تعالى (وليعلم الله) أى [illegible] فيكون الجزء على العمل لاعلى العلم [illegible] الناس [illegible] وليعلم الله (من ينصره) [illegible] من الحديد [illegible] وقوله تعالى (ورسله) عطف على مفعول ينصر أى [illegible] قوله تعالى

(قوله وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) المراد بالميزان العدل أو العقل

(بالغيب) حال من هاء ينصره أي غائبا عنهم في الدنيا قال ابن عباس رضي الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه (إن الله) أي الذي له العظمة كلها (قوي) أي فهو قادر على إهلاك جميع أعدائه وتأييد من ينصره من أوليائه (عزيز) فهو غير مفتقر إلى نصرة أحد وإنما دعا عباده إلى نصرة دينه ليقيم الحجة عليهم فيرحم من أراد بامتثال المأمور ويعذب من يشاء بارتكاب المنهي لبناء هذه الدار على حكمة ربط المسببات بالأسباب * ولما أجمل الرسل في قوله تعالى لقد أرسلنا رسلنا فصل هنا ما أجمل من إرسال الرسل بالكتب فقال تعالى (ولقد أرسلنا) أي بما لنا من العظمة (نوحا) وهو الأب الثاني وجعلنا الأغلب على رسالته مظهر الجلال (وإبراهيم) وهو أبو العرب والروم وبني إسرائيل الذي أكثر الأنبياء من نسله وجعلنا الأغلب على رسالته تجلي الإكرام (وجعلنا) أي بما لنا من العظمة (في ذريتهما النبوة) فلا يوجد نبي إلا من نسلهما (والكتاب) أي الكتب الأربعة وهي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكتاب الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة والضمير في قوله تعالى (فمنهم مهتد) يعود على الذرية لتقدم ذكرها لفظا وقيل يعود على المرسل إليهم لدلالة أرسلنا أي هو بعين الرضا أو هو من بعض طريقة الأصفياء وإن كان من أولاد الأعداء (وكثير منهم) أي المذكورين (فاسقون) أي هم بعين السخط وإن كانوا من أولاد الأصفياء والمراد بالفاسق هنا الكافر لأنه جعل الفساق ضد المهتدين وقيل هو الذي ارتكب الكبيرة سواء أكان كافرا أم لم يكن لإطلاق هذا الاسم وهو يشمل الكافر وغيره (ثم قفينا) أي أتبعنا بما لنا من العظمة (على آثارهم) أي الأبوين المذكورين ومن مضى قبلهما من الرسل أو عاصرهما منهم (برسلنا) أي [illegible] كموسى وإلياس وداود وغيرهم ولا يعود الضمير على الذرية لأنها لا تتبع الرسل وبعدهم وإنما الرسل المقفى بهم من الذرية (وقفينا) أي أتبعنا بما لنا من العظمة على آثارهم قبل أن تدرس (بعيسى ابن مريم) وهو من ذرية إبراهيم من جهة أمه وهو آخر من جاء قبل النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام فأمته أولى الأمم باتباعه صلى الله عليه وسلم (وآتيناه) أي بما لنا من العظمة (الإنجيل) كتابا ضابطا لما جاء به مقيما [illegible] (وجعلنا) أي بما لنا من العظمة (في قلوب الذين اتبعوه) أي على دينه بغاية جهدهم فكانوا على منهاجه (رأفة) أي أشد رقة على من كان يتسبب إلى الاتصال بهم (ورحمة) أي رقة وعطفا على من لم يكن له سبب في الاتصال بهم كما كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين رحماء بينهم حتى كانوا أذلة على المؤمنين مع أنهم في غاية الصلابة فهم أعزة على الكافرين متوادين بعضهم لبعض وقوله تعالى (ورهبانية) منصوب بفعل مقدر يفسره الظاهر وهو قوله تعالى (ابتدعوها) قال أبو علي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها فتكون المسألة من باب الاشتغال وإلى هذا نحا الفارسي والزمخشري وأبو البقاء وجماعة إلا أن هذا يقال إنه إعراب المعتزلة وذلك أنهم يقولون ما كان من فعل الإنسان فهو مخلوق له فالرحمة والرأفة لما كانتا من فعل الله تعالى نسب خلقهما إليه والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها إليه [illegible] ابتدعوها على

وقيل هو الميزان المعروف أنزله جبريل عليه السلام فدفعه إلى نوح

هذا صفة الرهبانية وانما خصت بذكر الابتداع لان الرأفة والرحمة في القلب أمر غريزي لا تكلف للانسان فيهما بخلاف الرهبانية فانها أفعال البدن وللانسان فيها اكتساب لكن أبو البقاء منع هذا بان ما جعله الله تعالى لا يبتدعونه وجوابه ما تقدم من انه لما كانت مكتسبة صح ذلك فيها والمراد من الرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين كانها زائدة على العبادات التي كانت واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال عن النساء والتعبد في الكهوف والغيران روى ان ابن عباس رضي الله عنهما قال في أيام الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم غير الملوك التوراة والانجيل فساح قوم وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا قال الضحاك ان ملوكا بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلثمائة سنة فانكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى فقتلوهم فقال قوم بقوا بعدهم نحن اذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع وقال قتادة الرهبانية التي ابتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع وفي خبر مرفوع هي لحوقهم بالبراري والجبال وقوله تعالى (ما كتبناها) صفة لرهبانية ويجوز أن يكون استئناف اخبار بذلك قال ابن زيد معناه ما فرضناها (عليهم) ولا أمرناهم بها في كتابهم ولا على لسان رسولهم وقوله تعالى (الا ابتغاء رضوان الله) أي الملك الاعظم استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل [illegible] من أجله والمعنى ما كتبناها عليهم لشيء من الأشياء الا لابتغاء مرضاة الله ويكون كتب بمعنى قضى فصار المعنى كتبناها عليهم ابتغاء مرضاة الله (فما رعوها حق رعايتها) أي ما قاموا بها حق القيام بل ضموا اليها التثليث وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملوكهم وبقي على دين عيسى كثير منهم وآمنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم (فآتينا) أي [illegible] (الذين آمنوا) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم (منهم أجرهم) أي اللائق بهم وهو الرضوان [illegible] (وكثير منهم) أي من هؤلاء الذين ابتدعوها فضيعوها (فاسقون) أي [illegible] عن الحدود التي حدها الله تعالى وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه السلام [illegible] بسنده عن ابن مسعود أنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم فرقة غزت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعوهم الى دين الله [illegible] لله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال [illegible] وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها [illegible] مسعود أيضا قال كنت رديف [illegible] تدري من أين اتخذت بنو اسرائيل الرهبانية [illegible] بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الايمان [illegible] منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء قتلونا ولم يبق في الدين أحد [illegible] الارض الى أن يبعث الله تعالى النبي الذي وعدنا عيسى عليه السلام يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا

عليه السلام وقال لهم قومك يزوابه (قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله

قوله فرقة غزت الملوك الخ هكذا النسخ التي بأيدينا وليس فيه الفرقة الثالثة [illegible]

هذه الآية ورهبانية ابتدعوها الى قوله تعالى فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني من ثبت عليها أجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله تعالى وعن ابن عباس قال كانت ملوك بني اسرائيل بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله تعالى فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منهما فقالوا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا بارض فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم ففعلوا بهم ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى عليه السلام وخلف قوم من بعدهم ممن غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ابتدعها هؤلاء الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضاة الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاؤا من بعدهم قال فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا وصدقوه فقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي بموسى وعيسى عليهما السلام ايمانا صحيحا (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه أي المالك الاعظم (وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم ايمانا مضموما الى ايمانكم بمن تقدمه هذا اذا كان خطابا لمؤمني أهل الكتاب وأما اذا كان خطابا للمؤمنين من أهل الكتاب وغيرهم فالمعنى آمنوا برسوله ايمانا مضموما الى ايمانكم بالله تعالى فانه لا يصح الايمان بالله الا مع الايمان برسوله صلى الله عليه وسلم (يؤتكم) أي يعطكم على اتباعه (كفلين) أي نصيبين ضعفين (من رحمته) يحصنانكم من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من الوقوع وهو كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على العجز وهذا التضعيف لاجل ايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن تقدمه مع خفة العمل ورفع الآصار ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم وقال أبو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة وقال ابن زيد كفلين أجر الدنيا وأجر الآخرة وعن أبي موسى الاشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد أحسن عبادة الله ونصح سيده (ويجعل لكم) أي مع ذلك (نورا) مجازيا في الدنيا من العلوم والمعارف الالهامية وحقيقيا في الآخرة بسبب العمل (تمشون به) أي مجازا في الدنيا بالتوفيق للعمل وحقيقة

قوله والا ما بدلوا هكذا بالنسخ التي معنا والذي في حاشية العلامة الجمل نقلا عن الخازن الا ما بدلوا بغير واو وفاء فليتأمل اه مصحح

(قوله وآمنوا برسوله) ان قلت كيف قال ذلك مع انهم المؤمنون يؤمنون برسوله

فى الآخرة بسبب العمل وقال مجاهد النور هو البيان والهدى وقال ابن عباس هو القرآن وقال الزمخشرى هو النور المذكور فى قوله تعالى نورهم يسعى وقيل يمشون فى الناس يدعونهم الى الاسلام فيكونون رؤساء فى دين الاسلام لا تزول عنكم رياستكم فيه وذلك أنهم خافوا ان تزول رياستهم لو آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما كان يفوتهم أخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف أحكام الله تعالى لا الرياسة الحقيقية فى الدين (ويغفر لكم) اى ما فرط منكم من سهو وعمد وهزل وجد (والله) اى المحيط بجميع صفات الكمال (غفور) اى بليغ المحو للذنوب عينا وأثرا (رحيم) أى بليغ الاكرام لمن يغفر له ويوفقه للعمل بما يرضيه ولما بلغ من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لايمانه بكتابكم وبكتابنا ومن لم يؤمن منا فله أجره كأجوركم فما فضلكم علينا فانزل الله تعالى (لئلا يعلم) اى ليعلم ولا زائدة للتأكيد (أهل الكتاب) الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (أن) مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشان والمعنى انهم (لا يقدرون على شئ) فى زمن من الازمان (من فضل الله) أى الملك الاعلى فلا أجر لهم ولا نصيب فى فضله ان لم يؤمنوا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة حسد الذين لم يؤمنوا من اهل الكتاب المؤمنين منهم فنزلت هذه الآية وقال مجاهد قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبى يقطع الايدى والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فنزلت الآية وروى ان مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقيل المراد من فضل الله الاسلام وقيل الثواب وقال الكلبى من رزق الله وقيل نعم الله تعالى التى لا تحصى (وان) اى وليعلموا أن (الفضل) اى الذى لا يحتاج اليه من هو عنده (بيد الله) الذى له الامر كله (يؤتيه من يشاء) لانه قادر مختار فآتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين (والله) اى الذى احاط بجميع صفات الكمال (ذو الفضل العظيم) اى مالكه ملكا لا ينفك ولا ملك لاحد فيه معه ولا تصرف بوجه أصلا فلذلك يخص من يشاء بما يشاء روى البخارى عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على المنبر انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس أعطى اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم أعطى أهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين قال أهل التوراة ربنا هؤلاء أقل عملا واكثر أجرا قال هل ظلمتكم من اجركم شيأ قالوا لا قال فذلك فضلى اوتيه من أشاء وفى رواية فغضبت اليهود والنصارى وقالوا ربنا الحديث وفى رواية انما أجلكم فى أجل من كان قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس

(قلت) معناه يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم

ألا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله تعالى هل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانه فضلي أوتيه من شئت وعن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يوما الى الليل على أجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين من بعدهم فقال اكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فان ما بقي من النهار شيء يسير فأبوا فاستأجر آخرين على ان يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كلاهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور ‌ه وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله حديث موضوع

سورة المجادلة مدنية

في قول الجميع الا رواية عن عطاء الا العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وهي ثنتان وعشرون آية وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة وألف وسبعمائة واثنان وسبعون حرفا (بسم الله) الذي تمت قدرته وكملت جميع صفاته (الرحمن) الذي شمل الخلائق جودا بالايجاد وارسال الهداة (الرحيم) الذي خص اصفياءه فتمت عليهم نعمة مرضاته ونزل في خولة بنت ثعلبة وكانت تحت أوس بن الصامت وكان قد ظاهر منها (قد سمع الله) أي اجاب بعظيم فضله الذي أحاط بجميع صفات الكمال فوسع سمعه الاصوات (قول التي تجادلك) أي تراجعك أيها النبي (في زوجها) المظاهر منها روي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مر بها في خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الموقف فقال والله لو حبستني من اول النهار الى آخره لازلت الا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله تعالى قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وعن عائشة تبارك الذي وسع سمعه كل شيء اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني أشكو اليك فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية وروي أنها كانت حسنة الجسم وأن زوجها ساءه ذلك فخاطبها فأبت فغضب عليها قال عروة وكان امرأ به لمم فأصابه بعض لممه فقال لها أنت علي كظهر أمي وكان الايلاء والظهار من الطلاق في الجاهلية فسألت النبي صلى

فيكون خطابا لاهل الكتاب خاصة او بمعناه يا أيها الذين آمنوا يوم

قوله الا رواية عن عطاء الا العشر كذا في النسخ التي بأيدينا وفي حاشية الجمل الا رواية عن عطاء ان اه فلعل ما هنا تحريف اهـ من السراج اه مصححه

الله عليه وسلم فقالت ان أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب في فلما علا سني ونثرت بطني أي كثر
ولدي جعلني عليه كأمه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت والله ما ذكر
طلاقا وانه أبو ولدي وأحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت
أشكو الى الله فاقتي ووحدتي فقد طالت صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما أراك الا حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة
حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها
الى السماء وتقول اللهم اني أشكو اليك فأنزل على لسان نبيك وكان هذا أول ظهار في الاسلام
فأنزل الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية فأرسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت قال الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرأ
عليه الأربع آيات وقال له هل تستطيع العتق قال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال
لا والله اني ان أخطأني أن آكل في اليوم مرة أو مرتين لكل بصري واظننت اني أموت قال
فاطعم ستين مسكينا قال ما أجد الا أن تعينني منك بعون وصلة فأعانه رسول الله صلى الله عليه
وسلم بخمسة عشر صاعا وأخرج أوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا وروي أنه
صلى الله عليه وسلم قال لها مريه أن يعتق رقبة فقالت أي رقبة والله لا يجد رقبة وما له خادم
غيري فقال مريه أن يصوم شهرين فقالت والله ما يقدر على ذلك انه ليشرب في اليوم كذا كذا
مرة فقال مريه فليطعم ستين مسكينا فقالت أنى له ذلك (وتشتكي) أي تتعمد بتلك المجادلة
الشكوى منتهية (الى الله) أي سؤال الملك الأعظم الرحمة الذي أحاط بكل شيء علما (فان قيل)
ما معنى قد في قوله تعالى قد سمع (أجيب) بأن معناها التوقع لأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله تعالى مجادلتهما وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج
عنها الشدة وأي شكر ساره طاع رجاءها أي كشف ما بها من غم الله ان الله تعالى يكشف كربتها
(والله) أي الملك الأعلى الذي وسعت رحمته كل شيء لان له الامر كله (يسمع تحاوركما) أي
تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب (ان الله) أي الذي حاط بجميع صفات الكمال
(سميع) أي بالغ السمع لكل مسموع (بصير) أي بالغ البصر محيط بكل مبصر [illegible] كالعلم
[illegible] ثم
تعالى الخبير عن احاطة علمه [illegible] حكم الاظهار [illegible] فقال تعالى
(الذين يظاهرون منكم من نسائهم) [illegible] (منكم) أي أيها العرب
[illegible]
على أن الاليق بهم أن يكونوا أبعد الناس عن هذا الكلام لان [illegible]
[illegible] (ما هن أمهاتهم) [illegible]
الله تعالى عليهم ظهور امهاتهم والظهار [illegible] الاصلية أن يقول
لزوجته أنت علي كظهر أمي وخصوا الظهر دون البطن والفخذ وغيرهما لانه موضع الركوب
والمرأة مركوب الزوج وقيل من الصلوة قال تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه أي

المنافق آمنوا بالله ورسوله
اليوم او آمنوا في العلانية
باللسان اتقوا الله وآمنوا

يملوه وكان طلاقا فى الجاهلية وقيل فى اول الاسلام ويقال كان فى الجاهلية اذا كره احدهم امرأته ولم يرد ان تتزوج بغيره آلى منها أو ظاهر فتبقى لا ذات زوج ولا خلية تنكح غيره فغير الشارع حكمه الى تحريمها بعد العود ولزوم الكفارة كما سيأتى وحقيقته الشرعية تشبيه الزوجة غير البائن بانثى لم تكن حلاله وسمى هذا المعنى ظهارا لتشبيه الزوجة بظهر الام وله اركان أربعة مظاهر ومظاهر منها وصيغة ومشبه به وشرط فى المظاهر كونه زوجا يصح طلاقه وشرط فى المشبه به كونه كل انثى محرم أو جزء انثى محرم لم تكن حلاله كبنته واخته وشرط فى الصيغة لفظ يشعر بالظهار صريح كانت أو رأسك أو بدنك كظهر أمى أو كجسمها أو بدنها أو كناية كانت أمى أو كعينها أو غيرها مما يذكر للكرامة كرأسها أو روحها ويصح تأقيته وتعليقه وأصل يظهرون يتظهرون أدغمت التاء فى الظاء وقرأ الذين يظاهرون والذين يظاهرون عاصم بضم الياء وتخفيف الظاء وبعدها ألف وتخفيف الهاء مكسورة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح الياء وتشديد الظاء وتخفيف الهاء مع قصرها وبين الظاء والهاء الف والباقون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء ولا ألف بينهما (ما هن) اى نساؤهم (امهاتهم) أى على الحقيقة (ان) أى ما (امهاتهم) اى حقيقة (الا اللائى ولدنهم) ونساؤهم لم يلدنهم فلا يحرمن عليهم حرمة مؤبدة للاكرام والاحترام ولا هن ممن ألحق بالامهات بوجه يصح كأزواج النبى صلى الله عليه وسلم فانهن امهات لما لهن من حق الاكرام والاحترام والاعظام لان النبى صلى الله عليه وسلم أعظم فى أبوة الدين من أبى النسب وكذا المرضعات لما لهن من حق الرضاع الذى هو وظيفة الام بالاصالة وأما الزوجة فمباينة لجميع ذلك وقرأ قالون وقنبل بالهمزة المكسورة ولا ياء بعدها وقرأ ورش والبزى وابو عمرو بتسهيل الهمزة مع المد والقصر وللبزى وأبى عمرو ايضا وضع الهمزة ياء ساكنة مع المد والباقون بهمزة مكسورة وبعدها ياء وهم على مراتبهم فى المد (وانهم) اى المظاهرين (ليقولون) اى فى هذا التظهر على كل حالة (منكرا من القول) اذا الشرع أنكره وهو حرام اتفاقا كما نقل عن الرافعى فى باب الشهادات (وزورا) اى قولا مائلا عن السداد منحرفا عن القصد لان الزوجة معدة للاستمتاع الذى هو فى الغاية من الامتهان والام فى غاية البعد عن ذلك (فان قيل) المظاهر انما قال أنت على كظهر أمى فشبهها بامه ولم يقل انها أمه فما معنى أنه منكر من القول وزورا والزور الكذب وهذا ليس بكذب (أجيب) بان قوله هذا ان كان خبرا فهو كذب وان كان انشاء فهو كذلك لانه جعله سببا للتحريم والشرع لم يجعله سببا لذلك وايضا فانما وصف بذلك لان الام مؤبدة التحريم والزوجة لا يتأبد تحريمها بالظهار فهو زور محض (فان قيل) قوله تعالى الا اللائى ولدنهم يقتضى ان لا أم الا الوالدة وهذا مشكل بقوله تعالى وامهاتكم اللاتى أرضعنكم وقوله تعالى وازواجه امهاتهم (أجيب) بان الشارع ألحقهن بالوالدات لما مر (وان الله) اى الملك الاعظم الذى لا امر لاحد معه فى شرع ولا غيره (لعفو) اى من صفاته ان يترك عقاب من شاء (غفور) اى من صفاته ان يمحو عين الذنب وأثره ثم بين احكام الظهار بقوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) والعود فى ظهار غير موقت من غير رجعية ان يمسكها بعد ظهاره مع علمه بوجود الصفة فى المعلق زمن امكان فرقة ولم يفارق لان العود للقول مخالفته

برسوله فى السر بتصديق القلب

(سورة المجادلة)

يقال قال فلان قولا ثم عاد له وعاد فيه اى خالفه ونقضه وهو قريب من قولهم عاد فى هبته ومقصود الظهار وصف المرأة بالتحريم وامساكها يخالفه فلو اتصل بظهاره جنونه أو اغماؤه أو فرقة بموت أو فسخ من احدهما بمقتضيه كعيب باحدهما أو بطلاق بائن أو رجعى ولم يراجع فلا عود والعود فى ظهار غير موقت من رجعية سواء أطلقها عقب الظهار أم قبله ان يراجع ولو ارتد متصلا بالظهار بعد الدخول ثم أسلم فى العدة فلا عود بالاسلام بل بعده والفرق ان الرجعة امساك فى ذلك النكاح والاسلام بعد الردة تبديل للدين الباطل بالحق والحل تابع له فلا يحصل به امساك وانما يحصل بعده والعود فى ظهار موقت يحصل بتغييب حشفة أو قدرها من فاقدها فى المدة و يجب فى العود به ان حصل نزع لما غيبه كما لو قال ان وطئتك فانت طالق لحرمة الوطء قبل التكفير كما سيأتى وانقضاء المدة واستمرار الوطء وطء ولما كان المبتدأ الموصول يتضمن معنى الشرط أدخل الفاء فى خبره ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه فقال عز من قائل

(فتحرير) اى فعليهم بسبب هذا الظهار والعود تحرير (رقبة) مؤمنة فلا تجزئ كافرة قال تعالى فى كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة وألحق بها غيرها قياسا عليها بجامع حرمة سببيهما من القتل والظهار أو حملا للمطلق على المقيد كما حمل المطلق فى قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم على المقيد فى قوله تعالى واشهدوا ذوى عدل [illegible] بلا عيب يخل بعمل فيجزئ صغير ولو ابن يوم وأقرع وأعرج يمكنه تباع مشى [illegible] وأعور لم يضعف عوره بصر عينه السليمة ضعفا يخل بالعمل [illegible] الاشارة وتفهم عنه واخشم وفاقد أنفه واذنيه وأصابع رجليه لا فاقد رجل أو خنصر وبنصر من يد أو انملتين من كل منهما أو فاقد انملتين من اصبع غيرهما أو فاقد انملة ابهام لاخلال كل من الصفات المذكورة بالعمل ولا يجزئ مريض لا يرجى برؤه ولم يبرأ كمن به سل وهرم بخلاف من يرجى برؤه ومن لا يرجى برؤه اذا برئ ولا مجنون افاقته اقل من جنونه تغليبا للاكثر ويجزئ معلق عتقه بصفة بان ينجز عتقه عن الكفارة أو يعلقه كذلك بصفة أخرى [illegible] الاولى ويجزئ نصفا رقبتين أعتقهما عن كفارة باقيهما أو فى احدهما كما [illegible] ويجزئ اعتاق رقبتيه عن كفارته [illegible] وجود الصفة ولا مستحق عتق كام ولد [illegible] (من قبل أن يتماسا) اى [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] من امرأته وواقعها [illegible]

لانه [illegible]

[illegible] على الوطء [illegible]

[illegible]

اخيرة [illegible] امرأة [illegible]

(ذلكم) اى ذلك الحكم بالكفارة [illegible] الظهار ولا تعاودوه (والله) [illegible] (خبير) اى عالم بظاهره وباطنه فهو عالم [illegible]

[illegible] الاعتاق عن الكفارة من ملك رقبة أو ثمنها فاضلا عن كفاية ممونه من نفسه وغيره قال

(قوله الذين يظهرون منكم من نسائهم) قال ذلك هنا وقال بعده والذين يظهرون

قوله باقيهما او فى أحدهما كذا بالنسخ التى بايدينا والصواب باقيهما او احدهما كما فى كتب الفقه اه مصححه

الرافعي وسكتوا عن تقدير مدة ذلك ويجوز أن تقدر بالعمر الغالب وان تقدر بسنة اه
والذي عليه الجمهور هو الاول ولا يلزمه بيع عقار ورأس تجارة وماشية لا يفضل دخلها عن
غلة العقار وربح مال التجارة وفوائد الماشية من نتاج وغيره عن كفاية مؤنه ولا بيع مسكن
ورقيق نفيسين الفهما ولا يلزمه شراء بغبن (فمن لم يجد) اى الرقبة بان عجز المكفر عن الاعتاق
حسا أو شرعا وقت اداء الكفارة (فصيام) أى فعليه صيام (شهرين متتابعين) عن كفارته
فالرقيق لا يكفر الا بالصوم لانه معسر لا يملك شيأ وليس لسيده منعه من الصوم ان ضره وانما
يعتبر العجز وقت الاداء لا وقت الوجوب قياسا على سائر العبادات ولو ابتدأ الصوم ثم وجد الرقبة
لم يلزمه الانتقال عنه لانه أمر به حيث دخل فيه وقال أبو حنيفة يعتق قياسا على الصغيرة
المعتدة بالشهور اذا رأت الدم قبل انقضاء عدتها فانها تستأنف الحيض اجماعا ويكفيه نية
صوم الكفارة ثم ان بدأ في اول الشهر اعتبر الشهر بالاهلة والا فالشهر الاول أتمه من الثالث ثلاثين لتعذر الرجوع
فيه الى الهلال وينقطع التتابع بفوات يوم ولو بعذر كمرض أو سفر فيجب الاستئناف ولو كان
لفوات اليوم لا يختار والمرض ثم يجب قال الشيخ ... بخلاف ما اذا فات بجنون أو اغماء
مستغرق لمنافاتهما للصوم (من قبل أن يتماسا) كما مر في العتق فان جامع بالليل عصى ولم ينقطع
التتابع لانه ليس محلا للصوم بخلافه نهارا وقال ابو حنيفة ومالك يبطل بكل حال ويجب عليه
ابتداء الكفارة لقوله تعالى من قبل ان يتماسا (فمن لم يستطع) بان عجز عن صوم ولاء لمرض يدوم
شهرين بالظن المستفاد من العادة في مثله أو من قول الاطباء أو لمشقة شديدة تلحقه بالصوم أو
بولائه ولو كانت المشقة لشدة شهوة الوطء أو خوف زيادة مرض (فاطعام) أى فعليه اطعام
(ستين مسكينا) أى من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد بان يملك كل مسكين من اهل
الزكاة مدا من جنس الفطرة من بر وشعير وقمح ولبن لا يجزئ طعام ودقيق وسويق وخروج باهل
الزكاة غيرهم لا يجزي فيهم الكافر ... ولا الهاشمي ولا المطلبي ولا من تلزمه مؤنته ولا الرقيق
... (ذلك) اى الترخيص العظيم لكم والرفق بكم
... الذي هو مراعى للحنيفية السمحة ملة أبيكم ابراهيم عليه السلام
(لتؤمنوا) ... (بالله) اى الملك الذي لا امر لاحد معه فتطيعوه ... الانسلاخ من
... (ورسوله) اى ... ولما رغب في هذا الحكم رهب في التهاون
به ... تعالى (وتلك) أى هذه الاحكام الشريفة المذكورة (حدود الله) أى أوامر الملك
الاعظم ... التي يجب امتثالها ... حتى ... فلا تتعدوها
ولا تقدموها ... (وللكافرين) أى المريقين
... (عذاب أليم) اى بما آمن المؤمنين به من الاعتداء فان عجز عن
جميع خصال الكفارة لم تسقط الكفارة عنه بل هي باقية في ذمته الى ان يقدر على شيء منها فاذا
قدر ... ولا يبعض العتق ولا الصوم بخلاف الاطعام حتى لو وجد
... لانه لا بدل له ويبقى الباقي في ذمته قال الزمخشري فان قلت فاذا امتنع
المظاهر من الكفارة هل للمرأة ان ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر
... من الكفارات بعد ... ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها

الاول لان لسانهم من وكان خطاب للعرب خاصة ظهارهم في الجاهلية

فى ترك التكفير والانتفاع بحق الاستمتاع فيلزم ابداحدهما (فان قلت) فان مس قبل ان يكفر (قلت) عليه ان يستغفر ولايعود حتى يكفر لما روى أن سلمة بن صخر البياضى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتى ثم أبصرت خلخالها فى ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه الصلاة والسلام استغفر ربك ولاتعد حتى تكفر اه والمراد بالاستغفار هنا التوبة ولما ذكر تعالى المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها بقوله تعالى (ان الذين يحادون الله) أى يعاندون الملك الاعلى على حدوده ليجعلوا لها حدودا غيرها وذلك صورته صورة العداوة لان المحادة المعاداة والمخالفة فى الحدود وهو كقوله تعالى ومن يشاقق الله (ورسوله) أى الذى عزه من عزه وقيل يحادون الله أى أولياء الله كما فى الخبر من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة والضمير فى قوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله يحتمل ان يرجع الى المنافقين فانهم كانوا يوادون الكافرين ويظاهرونهم على النبى صلى الله عليه وسلم فاذلهم الله تعالى ويحتمل ان يرجع لجميع الكفار فاعلم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم انهم (كبتوا) أى أذلوا وقال أبو عبيدة والاخفش أهلكوا وقال قتادة أخذوا وقال أبو زيد عذبوا وقال السدى لعنوا وقال الفراء أغيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر (كما كبت الذين من قبلهم) اى المحادين المخالفين رسلهم كقوم نوح ومن بعدهم ممن اصر على العصيان قال القشيرى ومن ضيع لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو أحدث فى دينه بدعة انخرط فى هذا السلك (وقد انزلنا) أى بمالنا من العظمة عليكم وعلى من قبلكم (آيات بينات) أى دلالات [illegible] غاية البيان لذلك ولكل ما يترتب عليها الايمان [illegible] (وللكافرين) اى الراسخين فى الكفر بالآيات أو بهذا [illegible] الله تعالى [illegible] واعتدوا على أولياء الله تعالى [illegible] العذاب [illegible] ويقرن به محادتهم وقوله تعالى (يوم) منصوب باذكر كما قاله الزمخشرى قال غيره أو باهم اى بالاستقرار الذى تضمنه قوله فهو خبر أو بفعل [illegible] أو يعذبون أو استقر ذلك يوم (يبعثهم الله) اى الملك الاعظم (جميعا) اى كلهم [illegible] الكافرين [illegible] والمؤمنين [illegible] الحال [illegible] احد [illegible] فى حال واحد (فينبئهم) أى يخبرهم [illegible] (بما عملوا) [illegible] الظالم [illegible] (احصاه الله) [illegible] صفات الكمال [illegible] (ونسوه) لانهم [illegible] بالمعاصى [illegible] (والله) [illegible] (شهيد) أى حفيظ [illegible] المعلومات فقال [illegible] (ألم تر) [illegible] صفات الكمال كلها (يعلم ما فى السموات) [illegible] لا يغيب عنه شئ منه بدليل أن تدبيره محيط بذلك على [illegible] وما [illegible] من الاجرام القاصية والدانية [illegible]

قوله والثانى فى بيان أحكام الظهار للناس عامة (قوله وللكافرين

قوله أو بأن يسم كذا بالنسخ التى بأيدينا والصواب أو بقوله للكافرين اه

وقوله تعالى (ما يكون من نجوى) يكون فيه من كان التامة ومن نجوى فاعلها ومن مزيدة فيه اى ما يقع من تناجى (ثلاثة) ويجوز أن يقدر مضاف اى أهل نجوى فيكون ثلاثة صفة لأهل وان يراد بنجوى متناجين جعلوا نجوى مبالغة فيكون ثلاثة صفة لنجوى واشتقاقها من النجوة وهى ما ارتفع من الارض فان السر يرتفع الى الذهن لا يتيسر لكل أحد أن يطلع عليه وقوله تعالى (الا هو رابعهم) استثناء من أعم الاحوال اى ما يوجد شئ من هذه الاشياء فى حال من الاحوال الا وهو يعلم نجواهم كأنه حاضر معهم وشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذى يكون معهم (ولا خمسة) اى من نجواهم (الا هو سادسهم) اى يعلم نجواهم كما مر (فان قيل) ما الداعى الى تخصيص الثلاثة والخمسة (اجيب) بوجهين احدهما أن قوما من المنافقين تحلقوا للتناجى فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما تراهم يتناجون (ولا أدنى من ذلك) اى من عددهم (ولا أكثر) اى من ذلك (الا هو معهم) يسمع ما يقولون (أينما) أى فى اى مكان (كانوا) فانه لا مسافة بينه وبين شئ فقد روى عن ابن عباس أنها نزلت فى ربيعة وحبيب ابنى عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم أترى ان الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضه فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والوجه الثانى انه قصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبين لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طائفة مجتباة من اولى النهى والاحلام ورهط من اهل الرأى والتجارب واول عددهم اثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكمه لا ستصوابه ألا ترى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وجل الثلاثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يلى هذا العدد ويقاربه وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال فى خطبته الكبرى اخرجه الحرث بن أبى أسامة رقى المنبر وقال يا أيها الناس تنحوا واسمعوا لمن خلفكم ثلاث مرات فدنا الناس وانضم بعضهم الى بعض والتفتوا فلم يروا أحدا فقال رجل منهم بعد الثالثة لمن نسمع يا رسول الله الا الملائكة قال لا انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا بين أيديكم ولا خلفكم ولكن عن ايمانكم وعن شمائلكم وعلى ذلك فليسوا فى مكان الايمان هنا والشمائل بل فى المكانة من ذلك فالله جل جلاله أعلى واجل وأعز مكانة واكرم استواء (ثم ينبئهم) اى يخبر اصحاب النجوى اخبارا عظيما (بما عملوا) دقيقه وجليله (يوم القيامة) الذى هو المراد الاعظم من الوجود لظهار الصفات العلا فيه أتم ظهار (ان الله) الذى له الكمال كله (بكل شئ) اى مما ذكر وغيره (عليم) اى بالغ العلم فهو كل على شئ شهيد وهذا تحذير من المعاصى وترغيب فى الطاعات واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (ألم تر) اى تعلم علما هو كالرؤية (الى الذين نهوا عن النجوى) فقيل فى اليهود وقيل فى المنافقين وقيل فى فريق من الكفار وقيل فى فريق من المسلمين الماوردى أبو سعيد الخدرى قال كنا ذات ليلة نتحدث اذ خرج علينا

عذاب أليم) ختمه هنا بالاسم وبعده بصيغتين

قوله وروى انه الخ غير مستقيم اه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه النجوى فقلنا تبنا الى الله تعالى يا رسول الله انا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال فرقا منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أخبركم بما هو أخوف عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل ذكره الماوردي وقال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك عليهم وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم فانزل الله تعالى ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى (ثم يعودون) اى على سبيل الاستمرار لأنه وقع مرة وبادروا الى التوبة منها أو فلتة مغفورة (لما نهوا عنه) أي من غير أن يعتدوا بما يتوقع من جهة الناهي من الضرر عنده (ويتناجون) أي يقبل بعضهم على المناجاة اقبالا واحدا فيفعل كل منهم ما يفعله الآخر مرة بعد أخرى على سبيل الاستمرار وقرأ حمزة بعد الياء نون ساكنة وبعدها تاء فوقية مفتوحة ولا ألف قبل الجيم وضم الجيم والباقون تاء فوقية مفتوحة وبعدها نون مفتوحة وبعد النون ألف وفتح الجيم (بالاثم) أي بالشيء الذي يثبت عليهم به الذنب وبالكذب وبالباطل (والعدوان) أي العدوان الذي هو نهاية في قصد الشر بالافراط في مجاوزة الحدود (ومعصيت الرسول) أي مخالفة النبي الذي جاءهم من الملك الاعلى وهو كامل في الرسالة لكونه مرسلا الى جميع الخلق وفي كل الازمان فلا نبي بعده فهو لذلك مستحق غاية الاكرام * (فائدة) * رسمت معصية في الموضعين بالتاء المجرورة فاذا وقف عليها ابو عمرو وابن كثير والكسائي بالهاء في الوقف والكسائي بالامالة في الوقف على أصله ووقف الباقون بالتاء على الرسم واتفقوا في الوصل على التاء (واذا جاؤك) أي يا أشرف الخلق (حيوك) أي واجهوك بما يعدونه تحية (بما لم يحيك به الله) أي الملك الاعلى الذي لا أمر لاحد معه وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمون انهم يقولون السلام عليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد عليهم فيقول وعليكم فقالت السيدة عائشة السام عليكم ولعنة الله وغضبه عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش فقالت أولم تسمع ما قالوا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت فانزل الله تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم بالواو فقال بعض العلماء ان الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه أن ندخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت أو من سآمة ديننا وهو الملال يقال سئم يسأم سآمة وسآما وقال بعضهم الواو زائدة كما زيدت في قول الشاعر * فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى *
أي لما أجزنا انتحى فزاد الواو وقال آخرون هي للاستئناف كأنه قيل والسام عليكم وقال

لان أولا ول متصل بضده و
الايمان فقد وعدهم على
الكفر بالعذاب الاليم الذي

آخرون هي على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة * (تنبيه) * اختلف العلماء في رد السلام على أهل الذمة فقال ابن عباس والشعبي وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك وقال مالك ليس بواجب فان رددت فقل وعليك وعندنا يجب أن يقول له وعليك كما مر في الحديث وقال بعضهم يقول في الرد علاك السلام أي ارتفع عنك وقال بعض المالكية يقال في الرد السلام عليك بكسر السين أي الحجارة * ولما كانوا يخفون ذلك جهدهم ويظنون بامهال الله تعالى لهم أنه صلى الله عليه وسلم لا يطلع عليه وان اطلع عليه لم يقدر أن ينتقم منهم عبر عن ذلك بقوله تعالى (ويقولون في أنفسهم) من غير أن يطلع عليه أحد (لولا) أي هلا والا (يعذبنا الله) أي الذي له الاحاطة بكل شيء (بما نقول) أي لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول وقيل قالوا انه يرد علينا ويقول وعليكم السام فلو كان نبيا لاستجيب له فينا ومتنا وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا أهل الكتاب وكانوا يعلمون ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يغضبون فلا يعاجلون من يغضبهم بالعذاب (حسبهم) أي كافيهم في الانتقام (جهنم) أي الطبقة التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة والغلاظة فان حصل لهم في الدنيا عذاب كان زيادة على الكفاية فاستعجالهم بالعذاب محض رعونة (يصلونها) أي يقاسون عذابها دائما فاذا أعددناها لهم (فبئس المصير) أي مصيرهم (يا أيها الذين آمنوا) أي ادعوا أنهم أوجدوا هذه الحقيقة (اذا تناجيتم) أي اطلع كل منكم الكلام من نفسه فرفعه وكشفه لصاحبه سرا (فلا تتناجوا) أي توجدوا هذه الحقيقة (بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) أي الكامل في الرسالة كفعل المنافقين واليهود وقال مقاتل أراد تعالى بقوله آمنوا المنافقين آمنوا بلسانهم وقال عطاء يريد الذين آمنوا بزعمهم وقيل يا أيها الذين آمنوا بموسى (وتناجوا بالبر والتقوى) أي الطاعة والعفاف عما نهى الله تعالى عنه (واتقوا الله) أي اقصدوا واقصدوا ابتداء العمل بان تجعلوا بينكم وبين سخط الملك الاعظم وقاية (الذي اليه) خاصة (تحشرون) أي تجمعون بايسر أمر وأسهله بقهر وكره وهو يوم القيامة فيجلي فيه سبحانه للحكم بين الخلائق والانصاف بينهم بالعدل ومحاسبتهم على النقير والقطمير لا تخفى عليه خافية ولا تقي منه واقية (انما النجوى) أي المعهودة وهي المنهي عنها (من الشيطان) أي مبتدأة وناشئة من المحترق بطرده عن رحمة الله تعالى فانه الحامل عليها بتزيينها ففاعلها تابع لاعدى أعدائه مخالف لاعظم أوليائه (ليحزن) أي الشيطان (الذين آمنوا) أي ليوهمهم أنهم أصيبوا بشيء مع ما يؤذيهم والحزن هم غليظ وتوجع رقيق يقال حزنه وأحزنه بمعنى قال في القاموس أو أحزنه جعله حزينا وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من أحزنه والباقون بفتح الياء وضم الزاي من حزن والقراءة الاولى أشد في المعنى على ما في القاموس (وليس) أي الشيطان أو ما حمل عليه من التناجي (بضارهم) أي الذين آمنوا (شيئا) من الضرر وان قل (الا باذن الله) أي بمشيئة الملك المحيط علما وقدرة (فان قيل) كيف لا يضرهم ذلك ولا يحزنهم الا باذن الله (أجيب) بانهم كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان أقاربهم قتلوا فقال تعالى لا يضرهم الشيطان والحزن بذلك الموهم الا باذن الله تعالى أي بمشيئته وهو أن يقضي الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة (وعلى الله) أي

لم يخص الثلاثة والخمسة بالذكر (قلت) لان قوما من المنافقين تخلفوا

الملك

الملك الذي لا كفء له لا على أحد غيره (فليتوكل المؤمنون) أي الراسخون في الايمان في جميع أمورهم فانه القادر وحده على اصلاحها وافسادها فلا يحزنوا من أحد أن يكيدهم بسره ولا بجهره فانهم توكلوا عليه وفوضوا أمورهم اليه وخص الراسخين لامكان ذلك منهم في العادة وأما أصحاب البدايات فلا يكون ذلك منهم الا خرق عادة روى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه وعن عبد الله ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه فبين في هذا الحديث غاية المنع وهو أن يجد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر وذلك أنه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد أن يناجيه فلم يناجه حتى دعا رابعا فقال له وللاول تأخرا وناجى الرجل الطالب للمناجاة خرجه في الموطا ونبه على العلة بقوله من أجل أن يحزنه أي يقع في نفسه ما يحزن لاجله وعلى هذا يستوي في ذلك كل الاعداد فلا يتناجى أربعة دون واحد ولا عشرة ولا ألف مثلا لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده في العدد الكثير أمكن وأوقع فيكون بالمنع أولى وانما خص الثلاثة بالذكر لانه أول عدد يتأتى ذلك فيه قال القرطبي وظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال وذهب اليه ابن عمر ومالك والجمهور وسواء أكان التناجي في واجب أو مندوب أو مباح فان الحزن ثابت به وقد ذهب بعض الناس الى أن ذلك كان في أول الاسلام لان ذلك كان حال المنافقين فيتناجى المنافقون دون المؤمنين فلما فشا الاسلام سقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر وفي المواضع التي لا يأمن الرجل فيها صاحبه فأما في الحضر وبين العمارة فلا لانه يجد من يعينه بخلاف السفر فانه مظنة الاغتيال وعدم الغوث ولما نهى المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر أمرهم الآن بما يصير سببا لزيادة المحبة والمودة بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي الذين اتصفوا بهذا الوصف (اذا قيل لكم) أي من أي قائل كان قال الخير يرغب فيه لذاته (تفسحوا) أي توسعوا أي كانوا أنفسكم في اتساع المواضع (في المجالس) أي الجلوس ومكانه لاجل من يأتي فلا يجد مجلسا يجلس فيه قال قتادة ومجاهد كانوا يتنافسون في مجالس النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس المراد بذلك مجالس القتال اذا اصطفوا للحرب قال الحسن ويزيد بن أبي حبيب كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتل المشركين تشاح أصحابه على الصف الاول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون كقوله تعالى مقاعد للقتال وقال مقاتل بن حيان كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصفة وكان في المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا الى المجالس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير أهل بدر قم يا فلان بعدد القائمين من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقال المنافقون والله ما عدل على هؤلاء ان قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب منه فأقامهم وأجلس من أبطأ فنزلت الآية يوم الجمعة وروى عن ابن عباس قال نزلت الآية في ثابت بن

العذاب بجهل ذلك فقال مهين (قوله ما يكون من نجوى ثلاثة) الآية (ان قلت)

قيس بن شماس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقر الذي الصمم الذي كان في أذنيه فوسعوا له حتى قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه وبينهم كلام فنزلت وقد تقدمت قصته في سورة الحجرات وقرأ عاصم بفتح الجيم وألف بعدها جمعا لأن لكل جالس مجلسا أي فليفسح كل واحد في مجلسه والباقون بسكون الجيم ولا ألف افرادا قال البغوي لأن المراد منه مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وقال القرطبي الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير وللأجر سواء أكان مجلس حرب أو ذكر أو مجلس يوم الجمعة وان كل واحد أحق بمكانه الذي سبق اليه قال صلى الله عليه وسلم من سبق الى ما لم يسبق اليه فهو أحق به ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق من موضعه فيكون المراد بالمجلس الجنس ويؤيده قراءة الجمع (فافسحوا) أي وسعوا فيه عن سعة صدر (يفسح الله) أي الذي له الأمر كله (لكم) في كل ما تكرهون ضيقه من الدارين وقال الرازي هذا مطلق فيما يطلب الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة قال ولا ينبغي للعاقل أن يقيد الآية بالتفسح في المجلس بل المراد منه ايصال الخير الى المسلم وادخال السرور في قلبه (واذا قيل) أي من أي قائل كان كائنا من كان اذا كان يريد الاصلاح والخير (انشزوا) أي ارتفعوا وانهضوا الى الموضع الذي تؤمرون به أو يقتضيه الحال للتوسعة أو غيرها من الأوامر كالصلاة والجهاد (فانشزوا) أي فارتفعوا وانهضوا (يرفع الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (الذين آمنوا) وان كانوا غير علماء (منكم) أي أيها المأمورون بالتفسح السامعون للأوامر المبادرون اليها بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامهم في مجلسهم وتوسعهم لاخوانهم (والذين أوتوا العلم درجات) يجوز أن يكون معطوفا على الذين آمنوا فهو من عطف الخاص على العام فان الذين أوتوا العلم بعض المؤمنين ويجوز أن يكون والذين أوتوا العلم من عطف الصفات أي تكون الصفتان لذات واحدة كأنه قيل يرفع الله المؤمنين العلماء ودرجات مفعول ثان وقال ابن عباس تم الكلام عند قوله تعالى منكم وينتصب الذين أوتوا بفعل مضمر أي ويخص الذين أوتوا العلم درجات أو ويرفع درجات قال المفسرون في هذه الآية ان الله تعالى رفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم قال ابن مسعود مدح الله تعالى العلماء في هذه الآية والمعنى أن الله تعالى يرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات في دينهم اذا فعلوا بما أمروا به وقال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى وقل رب زدني علما وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والآيات في ذلك كثيرة معلومة وأما الاحاديث فكثيرة مشهورة منها من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وروي أن عمر رضي الله عنه كان يقدم عبد الله بن عباس على الصحابة رضي الله تعالى عنهم فكلموه في ذلك فدعاهم ودعاه فسألهم عن تفسير اذا جاء نصر الله والفتح فسكتوا فقال ابن عباس هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله اياه فقال عمر ما أعلم منها الا ما تعلم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها والمراد بالحسد الغبطة وهي أن تتمنى مثله ومنها أنه صلى الله

هو جزاء الكافرين والثاني متصل بقوله كبتوا وهو وصف الاذلال والاهانة

عليه

عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال من جاءه أجله وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام لم يفضله النبيون إلا بدرجة واحدة ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وفي رواية كفضلي على أدناكم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام إني عليم أحب كل عليم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده أحد المجلسين يدعون الله تعالى ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله عز وجل ويرغبون إليه وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمونه الجاهل فهؤلاء أفضل وإنما بعثت معلما ثم جلس فيهم والأحاديث في ذلك كثيرة جدا وأما أقوال السلف فلا تنحصر فمنها ما قاله ابن عباس إن سليمان عليه السلام خير بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه وما قاله بعض الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فات من أدرك العلم وما قاله الأحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل ما يصير وما قاله الزبيري العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال وما قاله أبو مسلم الخولاني مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا برزت للناس اهتدوا بها وإذا خفيت عنهم تحيروا وما قاله معاذ تعلم العلم فإن تعلمه لك حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وما قاله علي العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق وما قاله ابن عمر مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة وما قاله الشافعي رضي الله تعالى عنه من أن طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وقال ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم وقال من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم فإنه يحتاج إليه في كل منهما وقد ذكرت في أول شرح المنهاج من الأحاديث ومن أقوال السلف ما يسر الناظر الراغب في الخير وفيما ذكرته هنا كفاية لأولي الأبصار (والله) أي والحال أن المحيط بكل شيء علما وقدرة (بما تعملون) أي حال الأمر وغيره (خبير) أي عالم بظاهره وباطنه فإن كان العلم مزينا بالعمل بامتثال الأوامر واجتناب النواهي وتصفية الباطن كانت الرفعة على حسبه وإن كان على غير ذلك فكذلك واختلف في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي ادعوا أنهم أوجدوا هذه الحقيقة أغنياء كانوا وفقراء (إذا ناجيتم الرسول) أي أردتم مناجاته الذي لا أكمل منه في الرسالة الآية فقال ابن عباس إن المسلمين كانوا أكثروا من المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكف كثير من الناس وقال الحسن إن قوما من المسلمين كانوا يستخلون النبي صلى الله عليه وسلم يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النجوى فشق عليهم ذلك فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن أسلم إن المنافقين واليهود

للتناجي وكانوا بعدة العدد المذكور مغايظة للمؤمنين فنزلت الآية

كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه أذن يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع أحدا من مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين لان الشيطان كان يلقي في أنفسهم أنهم يناجون أن جموعا اجتمعت لقتال فنزلت يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول أي أردتم مناجاته (فقدموا) أي بسبب هذه الارادة وقوله تعالى (بين يدي نجواكم) استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم التي هي سركم الذي تريدون أن ترفعوه (صدقة) لقول عمر من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته والصدقة تكون لكم برهانا على اخلاصكم كما ورد ان الصدقة برهان فهي مصدقة لكم في دعوى الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به عن الله تعالى

* (تنبيه) * ظاهر الآية يدل على ان تقديم الصدقة كان واجبا لان الامر للوجوب ويؤكد ذلك قوله تعالى بعده فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وقيل كان مندوبا لقوله تعالى (ذلك) أي التصدق (خير لكم وأطهر) أي لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا انما يستعمل في التطوع لا في الواجب ولانه لو كان واجبا لما أزيل وجوبه والكلام متصل به وهو قوله تعالى فان لم تجدوا الآية وأجيب عن الاول بان المندوب كما يوصف بانه خير وأطهر فكذلك أيضا يوصف بهما الواجب وعن الثاني بانه لا يلزم من اتصال الآيتين في التلاوة كونهما متصلتين في النزول كما قيل في الآية الدالة على وجوب الاعتداد بأربعة أشهر وعشرا انها ناسخة للاعتداد بحول وان كان الناسخ متقدما في التلاوة وعن علي أنه قال لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة أو شعيرة قال انك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا أما الفقير فلعسرته وأما الغني فلشحه واختلف في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ في هذه الآية فقال الكلبي ما بقي ذلك التكليف الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال مقاتل بن حيان بقي ذلك التكليف عشرة أيام ثم نسخ لما روي عن علي أنه قال ان في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وفي رواية فاشتريت به عشرة دراهم وكلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها احد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه احد الا علي تصدق بدينار وعدم عمل غيره لا يقدح فيه لاحتمال ان يكون لم يجد عند المناجاة شيئا او ان لا يكون احتاج الى المناجاة ثم نزلت الرخصة وعن ابن عمر رضي الله عنهما كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى واختلف في الناسخ لذلك فقيل هي منسوخة بالزكاة وأكثر المفسرين انها منسوخة بالآية التي بعدها وهي أأشفقتم كما سيأتي وكان علي يقول بي خفف عن هذه الامة (فان لم تجدوا) أي ما تتصدقون به (فان الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (غفور رحيم) أي له صفتا الستر لمساوي [illegible] على الدوام فهو يغفر ويرحم فلا يؤاخذ بعدم [illegible] وتارة [illegible] بقوله تعالى (أأشفقتم) أي خفتم [illegible] (أن تقدموا) أي [illegible]

بصدقة سالهم نعم يفهاجم
أولان العدد الفرد أشرف
من الزوج لان الله

وهم أخوانكم (بين يدى نجواكم) أى للنبى صلى الله عليه وسلم (صدقات) وجمع لانه أكثر توبيخا من حيث انه يدل على أن النجوى تتكرر استفهام معناه التقرير وهو الناسخ عند الاكثر كما مر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وأدخل بينهما ألفا قالون وأبو عمرو وهشام والباقون بتحقيقهما ولا ادخال والاولى محققة بلا خلاف (فاذ) أى فحين (لم تفعلوا) أى ما أمرتكم به من الصدقة للنجوى بسبب هذا الاشفاق (وتاب الله) أى الملك الاعلى (عليكم) أى رجع بكم عنها بان نسخها عنكم تخفيفا عليكم (فأقيموا) أى بسبب العفو عنكم شكرا أى على هذا الكرم والحلم (الصلوة) التى هى طهرة لارواحكم وصلة لكم بربكم (وآتوا الزكوة) التى هى براءة لابدانكم وتطهير ونماء لاموالكم وصلة لكم باخوانكم ولا تفرطوا فى شئ من ذلك فتملوه فالصلاة نور يهدى الى المقاصد الدنيوية والاخروية ويعين على نوائب الدارين والصدقة برهان على صحة القصد فى الصلاة ثم عم بعد ان خصص أشرف العبادات البدنية واعلى المناسك المالية بقوله تعالى (واطيعوا الله) اى الذى له الكمال كله (ورسوله) اى الذى عظمته من عظمته فى سائر ما يامركم به فانه تعالى ما أمركم لاجل اكرام رسولكم صلى الله عليه وسلم الا بالحنيفية السمحة (والله) اى الذى احاط بكل شئ علما وقدرة (خبير بما تعملون) اى يعلم بواطنكم كما يعلم ظواهركم لا يخفى عليه خافية (ألم تر) اى تنظر يا اشرف الخلق (الى الذين تولوا) اى تكلفوا ابتداء بجهدهم وهم المنافقون اى جعلوا اولياءهم الذين يتولون اليهم امورهم (قوما) وهم اليهود [illegible] اقرارا بما يظهرونه منهم من القوة (غضب الله) اى الملك الاعلى الذى لا كفؤ له (عليهم) اى المتولين والمتولى لهم (ما هم) اى المنافقون (منكم) اى المؤمنين (ولا منهم) اى اليهود بل هم مذبذبون وزاد فى الشناعة عليهم باقبح الاشياء بقوله تعالى (ويحلفون) اى المنافقون يجددون الحلف على الاستمرار ودل باداة الاستعلاء على انهم فى غاية الجراءة على استقرارهم على الايمان الكاذبة بان التقدير مجترئين (على الكذب) فى دعوى الاسلام وغير ذلك مما يقعون فيه من عظائم الآثام فاذا عوتبوا عليه بادروا الى الايمان (وهم يعلمون) انهم كاذبون متعمدون روى ان عبد الله بن نبتل كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال لاصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعينى شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق العينين [illegible] قصيرا خفيف اللحية فقال له النبى صلى الله عليه وسلم [illegible] فقال النبى صلى الله عليه وسلم [illegible]

(أعد الله) أى الذى له العظمة [illegible]

(شديدا) أى لا طاقة [illegible]

مؤكدا تقبيحا على من كان [illegible] (سهم ساء) [illegible]

ذلك لهم كالجبلة بقوله تعالى (ما كانوا يعملون) أى يجددون عمله [illegible] ولا ينفكون عنه قال الزمخشرى اوهى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة (اتخذوا ايمانهم) اى الكاذبة التى لا يهون على من فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان (جنة) اى وقاية وسترة من كل ما يفضحهم

تعالى وترجيب الوترنحفص العددان المذكوران بالذكر تنبيها على انه لابد من

من النفاق كائنا ما كان (فصدوا) أى كان قبول ذلك منهم وتأخيرعقابهم سببا لايقاعهم الصد (عن سبيل الله) أى شرع الملك الاعلى الذى هو طريق الى رضوانه الذى هو سبب الفوز العظيم فانهم كانوا يثبطون من لقوا عن الدخول فى الاسلام ويوهنون امره ويحقرونه ومن رآهم قد خلصوا من المكاره بايمانهم الخائنة ودرت عليهم الارزاق استدراجا وحصلت لهم الرفعة عند الناس بما يرضونه من أقوالهم المؤكدة بالايمان غره ذلك فاتبع سنتهم فى أقوالهم وافعالهم ونسج على منوالهم غرورا بظاهر امرهم معرضا عما توعدهم الله تعالى عليه من جزاء خداعهم وامرهم واجرى الامر على اسلوب التهكم باللام التى تكون فى المحبوب فقال تعالى (فلهم) اى فتسبب عن صدهم انه كان لهم (عذاب مهين) جزاء بما طلبوا بذلك الصد اعزاز انفسهم واهانة اهل الاسلام (لن تغنى) اى بوجه من الوجوه (عنهم اموالهم) اى فى الدنيا ولا فى الآخرة بالافتداء ولا بغيره (ولا اولادهم) اى بالنصرة والمدافعة (من الله) اى اغناء مبتدأ من الملك الاعلى (شيئا) ولو قل جدا فهما اراديهم سبحانه كان ونفذ ومضى لا يدفعه شئ تكذيبا لمن قال منهم لئن كان يوم القيامة لنكونن اسعد فيه منكم كما نحن الآن ولننصرن بانفسنا واموالنا واولادنا (أولئك) اى البعداء من كل خير (اصحاب النار هم) اى خاصة (فيها) اى خاصة (خالدون) أى دائمون لازمون الى غير نهاية وقوله تعالى (يوم) منصوب باذكر أى واذكر يوم (يبعثهم الله) اى الذى له جميع صفات الكمال (جميعا) ولا يترك أحدا منهم ولا من غيرهم الا أعاده الى ما كان قبل موته (فيحلفون) أى فيتسبب عن ظهور القدرة التامة لهم ومعاينة ما كانوا يكذبون به انهم يحلفون (له) أى لله فى الآخرة انهم مسلمون فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك (كما يحلفون لكم) فى الدنيا انهم منكم وقال ابن عباس رضى الله عنهما يحلفون لله تعالى يوم القيامة كذبا كما حلفوا لاوليائه فى الدنيا وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (ويحسبون) اى فى القيامة بايمانهم الكاذبة (انهم على شئ) أى يحصل لهم به نفع بأن كانوا يحسبون ذلك وقيل يحسبون فى الدنيا انهم على شئ لانهم فى الآخرة يعلمون الحق باضطرار والاول اظهر والمعنى انهم لشدة توغلهم فى النفاق ظنوا يوم القيامة انهم [illegible] ترويج كذبهم بالايمان الكاذبة على علام الغيوب واليه الاشارة بقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينادى مناد يوم القيامة أين خصماء الله تعالى فتقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة أعينهم مائل شدقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا اتخذنا من دونك الها قال ابن عباس رضى الله عنهما صدقوا والله أتاهم الشرك من حيث لا يعلمون ثم تلا ويحسبون أنهم على شئ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها (ألا انهم هم الكاذبون) المتكاملون فى حسبانهم هذا والله القدرية مجوس هذه الامة (استحوذ) اى استولى (عليهم الشيطان) مع انه طريد ومحترق [illegible] حتى صار يده [illegible] ملكهم فى افعالهم [illegible] فصار وارعيته وصار هو محيطا بهم من كل جهة غالبا عليهم طاهرا وباطنا [illegible] من حاذ الابل وحاذها اذا استولى عليها وهذا باب من الاستحواذ [illegible] فى القياس [illegible] الاصل [illegible] الواو

(قوله رعاية الامور الالهية فى جميع الامور ثم بعد ذكرهما تزيد عليهما ما يهم غيرهما)

(قوله والله القدرية الخ) كذا فى النسخ ولعله مؤخر من تقديم فيكون من كلام ابن عباس محله بعد قوله صدقوا

دون قلبها ألقا (فأنساهم) أى تسبب عن استحواذه عليهم ان أنساهم (ذكر الله) أى الذى له الاسماء الحسنى والصفات العليا (أولئك) أى البعداء البغضاء (حزب الشيطان) أى أتباعه وجنوده وطائفته وأصحابه (الا ان حزب الشيطان) أى الطريد المحترق (هم الخاسرون) أى العريقون فى هذا الوصف لانهم لم يظفروا بغير الطرد والاحتراق (ان الذين يحادون الله) أى يفعلون مع الملك الاعظم الذى لا كفؤ له فعل من ينازع آخر فى الارض فيغلب على طائفة فيجعل لها حدا لا يتعداه خصمه (ورسوله) أى الذى عظمته من عظمته (أولئك) أى البعداء البغضاء (فى الاذلين) أى فى جملة من هو أذل خلق الله تعالى واختلف فى معنى قوله عز وجل (كتب الله) أى الملك الذى لا كفؤ له فقال أكثر المفسرين أى قضى الله عز وجل (لأغلبن) وقال قتادة كتب فى اللوح المحفوظ وقال الفراء كتب بمعنى قال وقوله تعالى (أنا) تأكيد (ورسلى) أى من بعث منهم بالحرب ومن بعث منهم بالحجة فاذا انضم الى العلبة بالحجة الغلبة بالحرب كان أغلب وأقوى وقال مقاتل قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله بن أبى ابن سلول أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليها والله انهم لا كثر عددا وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم فنزل لأغلبن أنا ورسلى ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرأ نافع وابن عامر بفتح الياء والباقون بالسكون (ان الله) أى الذى له الامر كله (قوى) أى على نصر أوليائه (عزيز) أى لا يغلب عليه فى مراده ثم نهى تعالى عن موالاة أعداء الله تعالى بقوله سبحانه (لا تجد) أى بعد هذا البيان (قوما) أى ناسا لهم قوة على ما يريدون (يؤمنون) أى يجددون الايمان ويديمونه (بالله) أى الذى له صفات الكمال (واليوم الآخر) الذى هو موضع الجزاء لكل عامل بكل ما عمل الذى هو محط الحكمة (يوادون) أى يحصل منهم ود لا ظاهرا ولا باطنا (من حاد الله) أى عادى بالمناصبة فى حدود الملك الاعلى (ورسوله) فان من حاده فقد حاد الذى أرسله بل لا تجدهم الا يحادونهم لانهم يوادونهم ثم زاد ذلك تأكيدا بقوله تعالى (ولو كانوا آباءهم) أى الذين أوجب الله تعالى على الابناء طاعتهم فى المعروف وذلك كما فعل أبو عبيدة بن الجراح حيث قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد (أو أبناءهم) أى الذين جبلوا على محبتهم ورحمتهم كما فعل أبو بكر فانه دعا ابنه يوم بدر الى البراز فقال دعنى يا رسول الله أكن فى الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم انك عندى بمنزلة سمعى وبصرى (أو اخوانهم) أى الذين هم أعضادهم كما فعل مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد وخرج سعد بن أبى وقاص غير مرة فراغ منه ومنهم ان الشأب ونها النبى صلى الله عليه وسلم وقال أتريد أن تقتل نفسك وقتل محمد بن مسلمة الانصارى أخاه من الرضاعة كعب بن الاشرف اليهودى رأس بنى النضير (أو عشيرتهم) أى الذين هم أقرب الناس اليهم كما قتل عمر خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا يوم بدر بنى عمهم عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة وعن الثورى ان السلف كانوا يرون أن الآية نزلت فيمن يصحب السلطان اه ومدار ذلك على أن الانسان يقطع رجاءه من غير الله تعالى وان لم يكن كذلك

قوله ولا أدنى من المناجين بقوله ولا أكثر تعميما من ذلك ولا أ... للفائدة (قوله ويحلفون على

قوله وخرف بعد الخ كذا بالنسخ التى بأيدينا والعرر هذه العبارة اه مصححه

لم يكن مخلصا في ايمانه * (تنبيه) * قدم الآباء أولا لانهم تجب طاعتهم على أبنائهم ثم ثنى بالابناء لانهم أعلق بالقلوب وهم حباتها ثم ثلث بالاخوان لانهم هم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع قال الشاعر

أخاك أخاك ان من لا أخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه * وهل ينهض البازي بغير جناح

ثم ربع بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد والمعنى أن الميل الى هؤلاء أعظم أنواع المحبة ومع هذا فيجب أن يكون هذا الميل مطروحا بسبب الدين قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح لما قتل اباه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قتل خاله العاصي بن هشام يوم بدر وروى انها نزلت في أبي بكر وذلك ان أبا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقطت منها اسنانه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال أو فعلت قال نعم قال لا تعد اليه فقال والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته فهؤلاء لم يوادوا أقاربهم قال القرطبي استدل مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال القرطبي وفي معنى أهل القدر جميع أهل الظلم وعن عبد العزيز بن أبي رواد أنه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلا الآية وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما أوحيت الي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية (أولئك) اى العالو الهمة (كتب) أى أثبت قاله الربيع بن انس رضي الله عنه وقيل خلق وقيل جعل كقوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين أي اجعلنا وقوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون وقيل كتب (في قلوبهم الايمان) بما وفقهم فيه وشرح له صدرهم أي على قلوبهم كقوله تعالى في جذوع النخل وخص القلوب بالذكر لانها موضع الايمان قال البيضاوي وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه (وأيدهم) أي وقواهم وشددهم وشرفهم (بروح) أي نور شريف جدا يفهمون به ما أودع في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من نور العلم والعمل (منه) أي من الله تعالى أحياهم به فلا انفكاك لذلك عنهم في وقت من الاوقات فأثمر لهم استقامة المناهج ظاهرا وباطنا فعملوا الاعمال الصالحة فكان الدنيا كالسرج والابد شيأ أدخل في الاخلاص من موالاة اولياء الله تعالى ومعاداة أعدائه بل هو عين الاخلاص ومن جنح الى منحرف عن دينه او داهن مبتدعا في عقيدته نزع الله تعالى نور التوحيد من قلبه قال الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير للايمان اى بروح من الايمان على انه في نفسه روح لحياة القلوب به وقال ابن عباس رضي الله عنهما نصرهم على عدوهم وسمى تلك النصرة روحا لان بها يحيا امرهم وقال الربيع بن انس رضي الله عنه بالقرآن وحججه وقال ابن جريج بنور وبرهان وهدى وقيل رحمة وقيل ايدهم بجبريل عليه السلام (ويدخلهم جنات) اى بساتين تستر داخلها من كثرة اشجارها واغصانها ريها قوله تعالى (تجري من تحتها) أي قصورها (الانهار) فهي بذلك كثيرة الرياض والاشجار وقال تعالى (خالدين فيها) لان ذلك لا لذة الا بالدوام ثم قال تعالى (رضي الله) أي الملك الاعظم (عنهم) لان ذلك لا يتم الا برضاه ما اكرم الذي له الكمال كله (ورضوا عنه) اى لانه

اى الكذب وهم يعلمون) اى انهم كاذبون (الا قلت) ما فائدة الاخبار عنهم بذلك

أعطاهم فوق ما يؤملون (أولئك) أى الذين هم فى الدرجات العلا من العظمة لكونهم قصروا ودهم على الله تعالى علما منهم بأنه ليس الضر والنفع الا بيده (حزب الله) أى جند الملك الذى أحاط بجميع صفات الكمال (الا ان حزب الله) اى جند الملك الاعلى وهم هؤلاء الموصوفون ومن والاهم (هم المفلحون) اى الذين حازوا الظفر بكل ما يؤملون فى الدارين وقد علم من الرضا من الجانبين والحزبية والافلاح عدم الانفكاك عن السعادة فاغنى ذلك عن تقييد الخلود بالتأبيد *(فائدة)* هذه السورة نصف القران عددا وليس فيها آية الا وفيها ذكر الجلالة الكريمة مرة أو مرتين او ثلاثا وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيامة حديث موضوع والله تعالى أعلم

(قلت) فائدة بيان ذمه بارتكابهم اليمين الغموس

(سورة الحشر)

سورة الحشر مدنية

فى قول الجميع وهى أربع وعشرون آية وأربعمائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا (بسم الله) الملك الاعظم الذى لا خلف لميعاده (الرحمن) الذى عمت نعمة ايجاده (الرحيم) الذى خص اهل وده بالتوفيق فهم أهل السعادة ولما ختمت المجادلة بانه يعز أهل طاعته ويذل أهل معصيته تنزه عن النقائص تأييدا للوعد بنصرهم فقال تعالى (سبح) اى أوقع التنزيه الاعظم عن كل شائبة نقص (لله) الذى احاط بجميع صفات الكمال (ما فى السموات) اى كلها (وما فى الارض) اى كذلك وقيل ان اللام مزيدة اى نزهه وأتى بما تغليبا للاكثر وجمع السماء لانها اجناس قيل بعضها من فضة وبعضها من غير ذلك وافرد الارض لانها جنس واحد (وهو) اى والحال انه وحده (العزيز) الذى يغلب كل شئ ولا يمتنع عليه شئ (الحكيم) الذى نفذ علمه فى الظواهر والبواطن واحاط بكل شئ فاتقن ما اراده فكل ما خلقه جعله على وحدانيته دليلا والى بيان ما له من العزة والحكمة سبيلا وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائى بسكون الهاء والباقون بضمها قال المفسرون نزلت هذه السورة فى بنى النضير وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما غزا بدرا وظهر على المشركين قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان فى اربعين وكعب فى اربعين من اليهود المسجد واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة ونزل جبريل عليه السلام واخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان فامر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالسير الى بنى النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب

وقالوا يا محمد واعية على اثر واعية وباكية على اثر باكية قال نعم قالوا اذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر أمرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب وآذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج في ثلاثين رجلا من اصحابك ويخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعون منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى اذا كانوا في براز من الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون من رجال اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون رجلا اخرج في ثلاثة من اصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا كلنا بك وصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه واشتملوا على الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم قال ابن عباس رضي الله عنهما على أن يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقال الضحاك على كل ثلاثة نفر بعيرا ووسقا من طعام ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى الشام الى اذرعات واريحاء الا أهل بيتين من آل بني الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله تعالى (هو) اى وحده من غير ايجاف خيل ولا ركاب (الذي اخرج) اى على وجه القهر (الذين كفروا) اى ستروا ما في كتبهم من الشواهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه النبي الخاتم وما في فطرتهم الاولى من اتباع الحق (من أهل الكتاب) اى الذي انزله الله تعالى على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم وهم بنو النضير وفي التعبير بكفروا شعار بانهم الذين ازالوا بالتبديل والاخفاء ما قدروا عليه مما بقي من التوراة (من ديارهم) اى مساكنهم بالمدينة عقوبة لهم لان الوطن عديل الروح لانه للبدن كالبدن للروح فكان الخروج منه في غاية العسر قال ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة عند مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان (لأول الحشر) هو حشرهم الى الشام وآخره ان اجلاهم عمر في خلافته الى خيبر وقال مرة الهمداني كان اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحاء من الشام في ايام عمر وقال القرطبي الحشر الجمع وهو على اربعة

(قوله وما أفاء الله على رسوله) قاله هنا بالواو عطف على ما قطعتم من لينة وقاله

قوله على كل الخ كذا في النسخ ولعله على ان لكل الخ

أضرب حشران فى الدنيا وحشران فى الآخرة أما الذى فى الدنيا فقوله تعالى هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر كانوا من سبط لم يصبهم جلاء وكان الله تعالى قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم فى الدنيا وكان أول حشر فى الدنيا الى الشام قال ابن عباس وعكرمة رضى الله عنهم من شك أن المحشر فى الشام فليقرأ هذه الآية وان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر قال قتادة هذا أول الحشر قال ابن عباس رضى الله عنهما هو أول من حشر من أهل الكتاب وأخرج من داره وأما الحشر الثانى فحشرهم قرب القيامة قال قتادة تأتى نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف منهم وهذا ثابت فى الصحيح وذكروا أن تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار وقال ابن العربى للحشر أول ووسط وآخر فالاول جلاء بنى النضير والاوسط جلاء خيبر والآخر حشر يوم القيامة وعن الحسن هم بنو قريظة وخالفه بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة ما حشروا ولكنهم قتلوا حكاه الثعلبى (ما ظننتم) أيها المؤمنون (أن يخرجوا) اى يوقعوا الخروج من شئ أو خشيتموه منهم لما كان لكم من الضعف ولهم من القوة لكثرتهم وشدة بأسهم وقرب بنى قريظة منهم وأهل خيبر أيضا [illegible] عنهم وكلهم أهل ملتهم والمنافقون من أنصارهم فخابت ظنونهم في جميع ذلك (وظنوا أنهم) وقوله تعالى (مانعتهم حصونهم) فيه وجهان أحدهما ان تكون حصونهم مبتدأ ومانعتهم خبرا مقدما والجملة خبر انهم الثانى ان تكون مانعتهم خبر انهم وحصونهم [illegible] كقولك ان زيدا قائم ابوه واستحسن الثانى ابو حيان لان فى نحو قائم زيد على أن يكون خبرا مقدما ومبتدأ مؤخرا خلافا والكوفيون يمنعونه فحمله على الوفاق اولى وقال الزمخشرى فان قلت أى فرق بين قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذى جاء عليه قلت فى تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفى تغيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم انهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم أو يطمع فى معازتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم اه وهذا الذى ذكره انما يتأتى على الاعراب الاول وقد تقدم انه مرجوح ودل على [illegible] قولهم بأن [illegible] بقوله تعالى (من الله) اى الملك الاعظم الذى [illegible] (فأتاهم الله) اى [illegible] الاعظم الذى لا [illegible] (من حيث لم يحتسبوا) [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] بالاسلام [illegible] ورمى بالعقر بين [illegible] (وقذف) اى [illegible] بجهارة [illegible] (فى قلوبهم الرعب) اى [illegible] الذى [illegible] اذ كان [illegible] ذلك [illegible] قلوبهم من الاطماع [illegible] وقرأ [illegible] قلوبهم الرعب وعليهم [illegible] الذين حمزة والكسائى فى الوصل بضم الهاء والميم وابو عمرو [illegible] وقرأ ابن عامر والكسائى [illegible] بالسكون [illegible] تعالى حالهم [illegible] الميم وحركة العين بالضم ابن عامر والكسائى [illegible] [illegible] هذا الرعب بقوله تعالى (يخربون بيوتهم) اى [illegible] منها من خشب وغيره وقرأ ابو عمرو بفتح الخاء وتشديد الراء والباقون بسكون الخاء وتخفيف الراء [illegible]

بعد بعضها لانه مستفاد مما قبله (قوله والذين تبوؤا الدار) اى المدينة اى

لان خرب عدّاه ابو عمرو بالتضعيف وهم بالهمزة وعن أبي عمرو انه فرق بمعنى آخر فقال خرّب بالتشديد هدم وأفسد وأخرب بالهمزة ترك الموضع خرابا وذهب عنه وهو قول الفراء قال المبرد ولا أعلم لهذا وجها وزعم سيبويه انهما متعاقبان في بعض الكلام فيجري كل واحد مجرى الآخر نحو فرحته وافرحته وقرأ ورش وابو عمرو وحفص بيوتهم بضم الباء الموحدة والباقون بكسرها (بايديهم وأيدي المؤمنين) قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشبة في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقال قتادة والضحاك كان المؤمنون يخربون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا ما خرب من حصنهم وقال مقاتل ان المنافقين أرسلوا اليهم أن لا تخرجوا ودربوا عليهم الازقة وكان المسلمون سائر الجوانب (فان قيل) ما معنى تخريبها لهم بايدي المؤمنين (أجيب) بانهم لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم اياه وقال أبو عمرو بن العلاء بايديهم في تركهم لها وبايدي المؤمنين في اجلائهم عنها * ولما كان في غاية الغرابة أن يعمل الانسان في نفسه كما يفعل فيه عدوه تسبب عن ذلك قوله (فاعتبروا) اى احملوا أنفسكم بالامعان في التأمل في عظيم قدرة الله تعالى والاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شيء الى شيء ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمي علم التعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعاني عن لسان القائل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره ولهذا قال القشيري الاعتبار هو النظر في حقائق الاشياء وجهات دلالاتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها ثم بين ان الاعتبار لا يحصل الا للاكمل بقوله تعالى (يا أولي الابصار) بالنظر بابصارهم وبصائرهم في غريب هذا الصنع لتحققوا به ما وعدكم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من اظهار دينه واعزاز نبيه ولا تعتمدوا على غير الله تعالى كما اعتمد هؤلاء على المنافقين فان من اعتمد على مخلوق أسلمه ذلك الى صغاره ومذلته (ولولا أن كتب الله) اى فرض فرضا حتما الملك الذي له الامر كله (عليهم الجلاء) اى الخروج من ديارهم والجولان في الارض فاما معظمهم فاجلاهم بختنصر من بلاد الشام الى العراق وأما هؤلاء فحماهم الله تعالى بمهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الجلاء وجعله على يده صلى الله عليه وسلم فاجلاهم فذهب بعضهم الى خيبر وبعضهم الى الشام مرة بعد مرة (تنبيه) قال الماوردي الجلاء أخص من الخروج لانه لا يقال الا للجماعة والاخراج يكون للجماعة والواحد وقال غيره الفرق بينهما ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد بخلاف الاخراج فانه لا يستلزم ذلك (لعذبهم) أي بالقتل والسبي (في الدنيا) كما فعل بقريظة من اليهود (ولهم) اى على كل حال ان اجلوا او تركوا (في الآخرة) التي هي دار البقاء (عذاب النار) وهو العذاب الاكبر (ذلك) اى الامر العظيم الذي فعله بهم من الجلاء ومقدماته في الدنيا وفعله بهم في الآخرة (بانهم شاقوا الله) اى الملك الاعلى الذي له الاحاطة التامة فكانوا في شق غير شقه بان صاروا في شق لاعدائه المحاربين بعدما كانوا الموادعين (و) شاقوا (رسوله) اى الذي اجلاله من اجلاله

العقد وهما منزلا قوله بعد والايمان منصوب بتبوؤا

(ومن)

(ومن يشاق الله) اى يوقع فى الباطن مشاقة الملك الاعلى الذى لا كفؤ له فى الماضى والحال والاستقبال (فان الله) اى المحيط بجميع العظمة (شديد العقاب) وذلك كما فعل ببنى قريظة بعد هذا حيث نقضوا عهدهم وأظهروا المشاقة فى غزوة الاحزاب وكما فعل باهل خيبر وقوله تعالى (ما) شرطية فى موضع نصب بقوله تعالى (قطعتم) وقوله تعالى (من لينة) بيان له واختلف فى معنى قوله تعالى من لينة فاكثر المفسرين على انها هى النخلة مطلقا كأنهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة

كأن قتودى فوقها عش طائر * على لينة سوقاء تهفو جنوبها

وقال الزهرى هى النخلة ما لم تكن عجوة ولا برنية وقال جعفر بن محمد هى العجوة خاصة وذكر ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح عليه الصلاة والسلام فى السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة أصل الاناث كلها فلذلك شق على اليهود قطعها حكاه الماوردى وقال سفيان هى ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس النخلة منها احب اليهم من وصيف وقيل هى النخلة الكريمة أى القريبة من الارض وقيل هى الفسيلة أى بالفاء هى صغار النخل لانها ألين من النخلة وقيل هى الاشجار كلها للينها بالحياة وقال الاصمعى هى الدقل قال ابن العربى والصحيح ٣ ما قاله الازهرى ومالك وجمع اللينة لين لانه من باب اسم الجنس كتمرة وتمر وقد تكسر على ليان وهو شاذ لان تكسير ما يفرق بتاء التأنيث شاذ كرطبة ورطب وأرطاب والضمير فى قوله تعالى (أو تركتموها قائمة) عائد على معنى ما ولما كان الترك يصدق ببقائها مغروسة أو مقطوعة قال تعالى (على أصولها فباذن الله) أى فقطعها بتمكين الملك الاعظم روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع أعداء الله تعالى عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه أنزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله تعالى هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله وعن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع واللام فى قوله تعالى (وليخزى الفاسقين) متعلقة بمحذوف أى وأذن فى قطعها ليخزى اليهود فى اعتراضهم بان قطع الشجر المثمر فساد وليسر المؤمنين ويعزهم وليخزى الفاسقين (فان قيل) لم خصت اللينة بالقطع (أجيب) بانه ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد واحتجوا بهذه الآية على ان حصون الكفرة وديارهم يجوز هدمها وتحريقها وتغريقها وان ترمى بالمجانيق وكذا اشجارهم وعن ابن مسعود انهم قطعوا منها ما كان موضعا للقتال وروى ان رجلين كانا يقطعان أحدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضور النبى صلى الله عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من

بتضمينه لزموا او يعتقد اى واعتقدوا او واخلصوا او واختاروا الايمان لان

٣ قوله ما قاله الازهرى كذا بالنسخ التى بايدينا ولعل الصواب الزهرى ولينظر ما قول مالك ولعله موافق للزهرى اه مصححه

يقول كل مجتهد مصيب وقال الكيا الطبري وان كان الاجتهاد يبعد في مثله مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ذلك وسكت فتلقوا الحكم من تقريره فقط قال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا اجتهاد مع حضوره صلى الله عليه وسلم وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه أخذا بعموم الادلة للكفار ودخولا للاذن في الكل بما يقضي عليهم بالبوار وذلك قوله تعالى وليخزي الفاسقين (وما أفاء الله) أي رد الملك الذي له الامر كله ردا سهلا بعد أن كان في غاية العسر والصعوبة (على رسوله) فصيره في يده بعد ان كان خروجه عنها بوضع أيدي الكفرة عليه ظلما وعدوانا كما دل عليه التعبير بالفيء الذي هو عود الظل الى الناحية التي كان ابتدأ منها (منهم) أي ردا مبتدأ من الفاسقين فبين تعالى ان هذا فيء لا غنيمة ويدخل في الفيء أموال من مات منهم بلا وارث وكذا الفاضل عن وارث له غير حائز وكذا الجزية وعشر تجاراتهم وما جلوا أي تفرقوا عنه ولو لغير خوف كضر أصابهم وأما الغنيمة فهي ما حصل لنا من الحربيين مما هو لهم بايجاف حتى ما حصل بسرقة أو التقاط وكذا ما انهزموا عنه عند التقاء الصفين ولو قبل شهر السلاح أو اهداه الكافر لنا والحرب قائمة ولم تحل الغنائم لاحد قبل الاسلام بل كانت الانبياء اذا غنموا مالا جمعوه فتأتي نار من السماء فتأخذه ثم أحلت للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت في صدر الاسلام له خاصة لانه كالمقاتلين كلهم نصرة وشجاعة بل أعظم ثم نسخ ذلك واستقر الامر على ما هو في سورة الانفال في قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء الآية وأما الفيء فهو مذكور هنا بقوله تعالى (فما أوجفتم) أي اسرعتم يا مسلمين (عليه) ومن في قوله تعالى (من خيل) مزيدة أي خيلا وأكد باعادة النافي دفعا لظن من ظن انه غنيمة لاحاطتهم به بقوله تعالى (ولا ركاب) والركاب الابل غلب ذلك عليها من بين المركوبات واحدها راكبة ولا واحد لها من لفظها وقال الرازي العرب لا يطلقون لفظ الراكب الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا والمعنى لم تقطعوا اليها شقة ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة فانها كانت من المدينة على ميلين قاله الفراء فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا اليها خيلا ولا ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم ركب جملا وقيل حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا قال الرازي ان الصحابة طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقسم الفيء بينهم كما قسم الغنيمة بينهم فذكر الله تعالى الفرق بين الامرين وأن الغنيمة هي التي أتعبتم أنفسكم في تحصيلها وأما الفيء فلم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكان الامر مفوضا فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (ولكن الله) أي الذي له العز كله فلا كفء له (يسلط رسله) أي له هذه السنة في كل زمن (على من يشاء) بجعل ما آتاهم سبحانه من الهيبة رعبا في قلوب أعدائه (والله) أي الملك الذي له الكمال كله (على كل شيء) يصح أن تتعلق المشيئة به وهو كل ممكن من التسليط وغيره (قدير) أي بالغ القدرة الى أقصى الغايات فلا حق لكم فيه ويختص به النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه في الآية الثانية من الاصناف الاربعة على ما كان عليه القسمة من ان لكل منهم خمس الخمس وله صلى الله عليه وسلم الباقي يفعل فيه ما يشاء ثم بين تعالى مصرف الفيء بقوله تعالى (ما أفاء الله) أي الذي اختص بالعز والقدرة والحكمة

الايمان لا يتخذ منزلا انه هو على الثاني من باب * علفتها تبنا وماء باردا *

على

(على رسوله من اهل القرى) اى قرية بنى النضير وغيرها من وادى القرى والصفراء وينبع وما هنالك من قرى العرب التى تسمى قرى عربية فيخمس ذلك خمسة أخماس وان لم يكن فى الآية تخميس فانه مذكور فى آية الغنيمة فحمل المطلق على المقيد وكان صلى الله عليه وسلم يقسم له أربعة أخماسه وخمس خمسه ولكل من الاربعة المذكورين معه خمس خمس وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح فقوله تعالى (فلله) أى الملك الاعلى الذى كله بيده ذلك للتبرك فان كل أمر لا يبدأ فيه به فهو أجذم (وللرسول) اى الذى عظمته من عظمته تعالى وقد تقدم ما كان له صلى الله عليه وسلم وأما بعده صلى الله عليه وسلم فيصرف ما كان له من خمس الخمس لمصالح المسلمين وسد ثغور وقضاة وعلماء بعلوم تتعلق بمصالح المسلمين كتفسير وقراءة والمراد بالقضاة غير قضاة العسكر أما قضاته وهم الذين يحكمون لاهل الفىء فى مغزاهم فيرزقون من الاخماس الاربعة لا من خمس الخمس يقدم وجوبا الاهم فالاهم وأما الاربعة المذكورة معه صلى الله عليه وسلم فاولها المذكور فى قوله تعالى (ولذى القربى) أى منه وهم مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب لاقتصاره صلى الله عليه وسلم فى القسم عليهم مع سؤال غيرهم من بنى عميهم نوفل وعبد شمس له ولقوله صلى الله عليه وسلم أما بنو هاشم وبنو المطلب فشىء واحد وشبك بين أصابعه فيعطون ولو أغنياء لانه صلى الله عليه وسلم أعطى العباس وكان غنيا ويفضل الذكر على الانثى كالارث فله سهمان ولها سهم لانه عطية من الله تعالى يستحق بقرابة الاب كالارث سواء الكبير والصغير والعبرة بالانتساب الى الآباء فلا يعطى أولاد البنات من بنى هاشم والمطلب شيأ لانه صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير وعثمان مع ان أم كل منهما كانت هاشمية وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين وأبو عمرو بين بين والباقون بالفتح وخالفهم أبو عمرو فى واليتامى ثانيها المذكور فى قوله تعالى (واليتامى) أى الفقراء منا لان لفظ اليتيم يشعر بالحاجة لانه سال أو نحوه أخذ من الكفار فاختص كسهم المصالح واليتيم صغير ولو أنثى لخبر لا يتم بعد احتلام رواه أبو داود وحسنه النووى وان ضعفه غيره لا أب له وان كان له أم وجد واليتيم فى البهائم من فقد أمه وفى الطير من فقد أباه وأمه ومن فقد أمه فقط من الآدميين يقال له منقطع ثالثها المذكور فى قوله تعالى (والمساكين) الصادقين بالفقراء وهم أهل الحاجة منا وتقدم تعريفهم فى سورة الانفال وكذا تعريف الرابع المذكور فى قوله تعالى (وابن السبيل) أى الطريق الفقير منا ذكورا كانوا أو إناثا ولو اجتمع فى واحد من هذه الاصناف يتم ومسكنة أعطى باليتم فقط لانه وصف لازم والمسكنة زائلة وللامام التسوية والتفضيل بحسب الحاجة ويعم الامام ولو بنائبه الاصناف الاربعة الاخيرة بالاعطاء وجوبا لعموم الآية فلا يخص الحاضر بموضع حصول الفىء ولا من فى كل ناحية منهم بالحاصل فيها نعم لو كان الحاصل لا يسد مسدا بالتعميم قدم الاحوج فالاحوج ولا يعم للضرورة ومن فقد من الاربعة صرف نصيبه للباقين منهم وأما الاخماس الاربعة فهى للمرتزقة وهم المرصدون للجهاد بتعيين الامام لهم بعمل الاولين به بخلاف المتطوعة فلا يعطون من الفىء بل من الزكاة عكس المرتزقة ويشرك المرتزقة قضاتهم وأئمتهم ومؤذنوهم وعمالهم ويجب على الامام أن يعطى كلا من المرتزقة بقدر حاجة ممونه

ومنه وبه ينتفعوا إلا أنهم على أنه مجاز جعله منزلا منزلتهم لمهم [illegible] فيه

من نفسه وغيرها كزوجاته ليتفرغ للجهاد ويراعى في الحاجة الزمان والمكان والرخص والغلاء وعادة الشخص مروأة وضدها ويزاد ان زادت حاجته بزيادة ولد أو حدوث زوجة فأكثر ومن لا عبد له يعطى من العبيد ما يحتاجه للقتال معه أو لخدمته ان كان ممن يخدم ويعطى مؤنته ومن يقاتل فارسا ولا فرس له يعطى من الخيل ما يحتاجه للقتال ويعطى مؤنته بخلاف الزوجات يعطى لهن مطلقا لانحصارهن في أربع ثم ما يدفعه اليه لزوجته وولده الملك فيه لهما حاصل من الفيء وقيل يملكه هو ويصير اليهما من جهته فان مات أعطى الامام أصوله وزوجاته وبناته الى أن يستغنوا ويسن أن يضع الامام ديوانا وهو الدفتر الذي يثبت فيه أسماء المرتزقة وأول من وضعه عمر رضي الله عنه وأن ينصب لكل جمع عريفا وأن يقدم في اسم واعطاء قريشا لشرفهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ولخبر قدموا قريشا وأن يقدم منهم بني هاشم وبني المطلب فبني عبد شمس فبني عبد العزى فسائر بطون العرب الاقرب فالاقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم فسائر العرب فالعجم ولا يثبت في الديوان من لا يصلح ومن مرض فكصحيح وان لم يرج برؤه ويمحى اسم كل من لم يرج وما فضل عنهم وزع عليهم بقدر مؤنتهم وللامام صرف بعضه في ثغور وسلاح وخيل ونحوها وله وقف عقار في أو بيعه وقسم غلته أو ثمنه كقسم المنقول أربعة أخماسه للمرتزقة وخمسه للمصالح وله أيضا قسمه كالمنقول لكن خمس الخمس الذي للمصالح لا سبيل الى قسمته ولما احكم سبحانه هذا الحكم في الفيء المخالف لما كانوا عليه في الجاهلية من اختصاص الاغنياء به بين علته المظهرة لعظمته بقوله تعالى (كي لا يكون) أي الفيء الذي يسره الله تعالى بقوته من قذف الرعب في قلوب أعدائه ومن حقه ان يعطاه الفقراء (دولة) أي متداولا (بين الاغنياء منكم) أي يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية فانهم كانوا يقولون من عزيز ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به وقرأ هشام بخلاف عنه تكون بالتأنيث دولة بالرفع والباقون بالتذكير والنصب فاما الرفع فعلى ان كان تامة وأما التأنيث والتذكير فواضحان لانه تأنيث مجازي وأما النصب فعلى انها الناقصة واسمها ضمير عائد على الفيء والتذكير واجب لتذكير المرفوع ودولة خبرها وقيل دولة عائد على ما اعتبارا بلفظها وكي لام ما مقطوعة في الرسم (وما آتاكم الرسول) أي وكل شيء أحضره لكم الكامل في الرسالة من قسمه أو مال الفيء أو غيره (فخذوه) أي فاقبلوه لانه حلال لكم وتمسكوا به فانه واجب الطاعة (وما نهاكم عنه) أي من جميع الاشياء (فانتهوا) لانه لا ينطق عن الهوى ولا يقول ولا يفعل الا ما أمره به ربه عز وجل *(تنبيه)* هذه الآية تدل على أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله تعالى لان الآية وان كانت في الغنائم فجميع أوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخل فيها قال عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل تقرأ علي بهذا آية من كتاب الله تعالى قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبد الله بن محمد بن هرون الفريابي سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول سلوني عما شئتم أخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له أصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور قال فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى

في المدينة فيه تبوّؤ أي جمع بين قبيعة والجماز وهو جائز عند الشافعي رضي الله عنه

قوله وقيل دولة عائد الخ كذا بالنسخ بايدينا ولعل الصواب اسقاط دولة اه مصححه

وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك ابن عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس ابن أسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب انه أمر بقتل الزنبور وهذا الجواب في غاية الحسن أفتى بقتل الزنبور في الاحرام وبين انه يقتدي فيه بعمر وان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بالاقتداء به وان الله تعالى أمر بقبول ما يقوله صلى الله عليه وسلم فجواز قتله من الكتاب والسنة وسئل عكرمة عن أمهات الاولاد هل هن أحرار فقال في سورة النساء في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله تعالى فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لئن كنت قرأتيه فقد وجدتيه أما قرأت وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث *(فائدة)* الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بالكحل والمستوشمة هي التي تطلب أن يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما بين ثناياها بصناعة وقيل تفلج في مشيها في كل شئ منهي عنه وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح والهمزة ممدودة بلا خلاف لانها بمعنى الاعطاء (واتقوا الله) أي واجعلوا لكم بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاية من عذاب الملك الاعظم المحيط علما وقدرة وعلل ذلك بقوله تعالى (ان الله) أي الذي له الجلال والاكرام على الاطلاق (شديد العقاب) أي العذاب الواقع بعد الذنب قال البقاعي ومن زعم ان شيأ مما في هذه السورة نسخ بشئ مما في سورة الانفال فقد أخطأ لان الانفال نزلت في بدر وهي قبل هذه بمدة وقوله تعالى (للفقراء) أي الذين كان الانسان منهم يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويتخذ الحفرة في الشتاء لتقيه البرد وماله دثار غيرها بدل من لذي القربى وما عطف عليه قاله الزمخشري والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أخرج رسوله صلى الله عليه وسلم من الفقراء في قوله تعالى وينصرون الله ورسوله وأنه تعالى يترفع برسوله صلى الله عليه وسلم عن تسميته بالفقير وقال غيره نعت خبر لمبتدأ محذوف أي ولكن الفئ للفقراء وقيل تقديره ولكن يكون للفقراء وقيل تقديره اعجبوا للفقراء وقد تعقب على هذا التقدير ابدال لذي وانما جعله الزمخشري بدلا من لذي القربى لانه حنفي والحنفية يشترطون الفقر في اعطاء ذوي القربى من الفئ ولذا قال البيضاوي ومن أعطى أغنياء ذوي القربى أي كالشافعي خصص الابدال بما بعده أو الفئ بفئ بني النضير اهـ أو انهم كانوا عند نزول الآية كذلك ثم خصص بالوصف بقوله تعالى (المهاجرين) وقيد ذلك بقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم) لان الهجرة

(قوله ولئن نصروهم) ان قلت ان الشرطية انما تدخل على ما يحتمل وجوده

قد تطلق على من هجر أهل الكفر من غير مفارقة الوطن وقوله تعالى (وأموالهم) اشارة الى أن المال لما كان يستر الانسان كان كأنه ظرف له * ولما كان طلب الدنيا من النقائص بين انه اذا كان من الله لم يكن كذلك وأنه لا يكون قادحا في الاخلاص فقال تعالى (يبتغون) اى أخرجوا حال كونهم يطلبون على وجه الاجتهاد وبين انه لا يجب عليه سبحانه لاحد شئ بقوله تعالى (فضلا من الله) اى الملك الاعظم الذى لا كفء له لانه المختص بجميع صفات الكمال فيغنيهم بفضله عمن سواه (ورضوانا) بان يوفقهم لما يرضيه عنهم ولا يجعل رغبتهم في العوض منه قادحا في الاخلاص فيوصلهم الى دار كرامته وقرأ شعبة بضم الراء والباقون بكسرها (وينصرون) أى على سبيل التجديد والاستمرار (الله) أى دين الملك الاعظم (ورسوله) الذى عظمته من عظمته بأنفسهم وأموالهم ليضمحل حزب الشيطان (أولئك) أى العالو الرتبة في الاخلاق الفاضلة (هم الصادقون) أى العريقون في هذا الوصف لان مهاجرتهم لما ذكر وتركهم لما وصف دل على كمال صدقهم فيما ادعوه من الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث نابذوا من عاداهما ووالوا أولياءهما وان بعدت دارهم وشط مزارهم ثم اتبع ذكر المهاجرين بذكر الانصار الذين كانوا في كل حال معه صلى الله عليه وسلم كالميت بين يدى الغاسل مهما شاء فعل ومهما أراد منهم صاروا اليه بقوله تعالى (والذين تبوؤا) أى جعلوا بغاية جهدهم (الدار) أى الكاملة في الدور التى جعلها الله تعالى في الازل للهجرة وهيأها للنصرة وجعلها محل اقامتهم وفي قوله تعالى (والايمان) أوجه أحدها أنه ضمن تبوؤا معنى لزموا فيصح عطف الايمان عليه اذ الايمان لا يتبوأ ثانيها أنه منصوب بمقدر أى واعتقدوا أو وألفوا أو وأحبوا أو وأخلصوا كقول القائل * علفتها تبنا وماء باردا * وقول الآخر * ومتقلدا سيفا ورمحا * ثالثها انه يجوز في الايمان فيجعل لاختلاطهم وثباتهم عليه كالمكان المحيط بهم فكأنهم نزلوه وعلى هذا فيكون جمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وفيه خلاف مشهور رابعها أن يكون الاصل دار الهجرة ودار الايمان فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه خامسها أن يكون سمى المدينة به لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان قال هذين الوجهين الزمخشرى وليس فيه الا قيام ال مقام المضاف اليه وهو محل خلاف وهو ان أل هل تقوم مقام الضمير المضاف اليه فالكوفيون يجوزونه كقوله تعالى فان الجنة هى المأوى أى مأواه والبصريون يمنعونه ويقولون الضمير محذوف أى المأوى له وأما كونها عوضا عن المضاف اليه فقال ابن عادل لا نعرف فيه خلافا سادسها انه منصوب على المفعول معه أى مع الايمان قال وهب سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق فقال ان المدينة تبوئت بالايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرأ والذين تبوؤا الدار والايمان (من قبلهم) أى وهم الانصار (يحبون) أى على سبيل التجديد والاستمرار (من هاجر) وزادهم مدحة فيهم بقوله تعالى (اليهم) لان القصد الى الانسان في بيته فيه دليل على انه لولا كمال محبته له ما تجشم المشقة بالقصد اليه (ولا يجدون في صدورهم)

وعدمه فكيف قال تعالى ذلك مع اخباره بانهم لا ينصرون (قلت) معناه

قوله وليس فيه الا كذا بالاصل الطبع وفي بعض النسخ اسقاط الا واحرر

أى التى هى مساكن قلوبهم فضلا عن أن تنطق ألسنتهم (حاجة) قال الحسن حسدا وحزازة وغيظا (مما أوتوا) أى آتى النبى المهاجرين من أموال بنى النضير وغيرهم وأطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحزازة لان هذه الاشياء لا تنفك عن الحاجة فأطلق اسم اللازم على الملزوم على سبيل الكناية فعلى هذا يكون الضمير الاول للجائين بعد المهاجرين وفى أوتوا للمهاجرين وقيل ان الحاجة هنا على بابها من الاحتياج الا انها واقعة موقع المحتاج اليه والمعنى ولا يجدون طلب محتاج اليه مما أوتى المهاجرون من الفىء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة تقول خذ منه حاجتك وأعطاه من ماله حاجته قاله الزمخشرى والضميران على ما تقدم وقال أبو البقاء مس حاجة أى انه حذف المضاف للعلم به وعلى هذا فالضميران للذين تبوؤا الدار والايمان قال القرطبى كان المهاجرون فى دور الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين فى انزالهم اياهم منازلهم واشراكهم فى الاموال ثم قال صلى الله عليه وسلم ان أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بنى النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم وان أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة ولما أخبر تعالى عن تخليهم عن الرذائل أتبعه الاخبار بتحليهم بالفضائل فقال عز من قائل (ويؤثرون على أنفسهم) فيبدؤن بغيرهم كائنا من كان مما فى أيديهم فان الايثار تقديم الغير على النفس [illegible] الدنيوية رغبة فى الحظوظ الاخروية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة وترك الفص دليل على انهم فى غاية النزاهة عن الرذائل فان النفس اذا طهرت كان القلب [illegible] أكد ذلك بقوله تعالى (ولو كان) أى كونا هو فى غاية المكنة (بهم) أى خاصة لا بالمؤثر (خصاصة) أى فقر وحاجة الى ما يؤثرون به روى عن أبى هريرة ان رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته نومى الصبية وأطفئى السراج وقربى للضيف ما عندك فنزلت هذه الآية وعنه أيضا قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فأرسل الى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال أنا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شىء قالت لا الا قوت صبيانى قال فعلليهم بشىء فاذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وذكر نحو الحديث الاول وفى رواية فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة فانطلق به الى رحله وذكر المهدوى أنها نزلت فى ثابت بن قيس ورجل من الانصار يقال له أبو المتوكل ولم يكن عنده الا قوته وذكر القشيرى قال أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخى [illegible] وعياله أحوج الى هذا منا فبعثها اليهم فلم يزل يبعث بها واحد الى آخر حتى تداولها سبعة أبيات حتى رجعت الى الاول فنزلت الآية وذكر القرطبى عن أنس قال اهدى لرجل من

ولئن نصروهم فرضا وتقديرا كقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

الصحابة رأس شاة وكان مجهودا فوجه بها الى جاره فتداولها سبعة أنفس فى سبعة أبيات ثم عادت الى الاول فنزلت (فان قيل) قد صح فى الخبر النهى عن التصدق بجميع ما يملكه المرء (أجيب) بان محل النهى فيمن لا يوثق منه بالصبر على الفقر وخاف أن يتعرض للمسئلة اذا فقد ما ينفقه فاما الانصار الذين أثنى الله تعالى عليهم بالايثار على أنفسهم فكانوا كما قال تعالى والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس فكان الايثار فيهم أفضل من الامساك والامساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسئلة أولى من الايثار كما روى أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها وقال يأتى أحدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس والايثار بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد الى النفس ومن الامثال * والجود بالنفس أعلى غاية الجود * وأفضل من الجود بالنفس الجود على حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى الصحيح ان أبا طلحة ترس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له أبو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك نحرى دون نحرك ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت وقال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى فاذا برجل يقول آه آه فاشار الى ابن عمى ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاصى فقلت أسقيك فاشار ان نعم فسمع آخر يقول آه آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئت اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات وقال أبو يزيد البسطامى ما غلبنى أحد ما غلبنى شاب من أهل بلخ قدم الينا حاجا فقال لى يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ فقلت وما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وسئل ذو النون ما حد الزهد قال ثلاث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت وحكى عن أبى الحسن الانطاكى انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الرى وبينهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم يأكل أحد منهم شيأ ايثارا لصاحبه على نفسه (ومن يوق شح نفسه) أى يجعل بينه وبين اخلاقها الذميمة المشار اليها بالنفس وقاية تحول بينه وبينها فلا يكون ممانعا لما عنده حريصا على ما عند غيره حسدا قال ابن عمر الشح أن تطمح عين الرجل فيما ليس له قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال القرطبى الشح والبخل سواء وجعل بعض أهل اللغة الشح أشد من البخل وفى الصحاح الشح البخل مع حرص والمراد بالشح فى الآية الشح بالزكاة وما ليس بفرض من صلة ذوى الارحام والضيافة وما شاكل ذلك وليس بشحيح ولا بخيل من أنفق فى ذلك وان أمسك عن نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق فيما ذكر من الزكاة والطاعات فلم يوق شح نفسه وروى الاسود عن ابن مسعود ان رجلا أتاه فقال انى اخاف ان أكون قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت الله يقول ومن يوق شح نفسه وأنا رجل شحيح لا أكاد أخرج من يدى شيأ فقال ابن مسعود ليس ذلك الذى ذكر الله تعالى انما الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل ففرق بين الشح والبخل وقال طاوس البخل أن يبخل

(قوله لأنتم أشد رهبة) أى خوفا فى صدورهم من الله أشركت انضباطهم [illegible]

الانسان بما في يده والشح أن يشح بما في أيدي الناس يحب أن يكون له ما في أيديهم بالحل والحرام فلا يقنع وقال بعضهم ليس الشح أن يمنع الرجل ماله انما الشح أن تطمح عين الرجل فيما ليس له وقال ابن جبير الشح منع الزكاة وادخار الحرام وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث ترك الفرائض وانتهاك المحارم وقال ابن عباس رضي الله عنهما من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح وقال ابن زيد من لم يأخذ شيأ نهاه الله تعالى عنه ولم يمنع شيأ أمره الله تعالى باعطائه فقد وقاه الله تعالى شح نفسه وعن انس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بريء من الشح من أدى الزكاة وأقرى الضيف وأعطى في النائبة وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني أعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووساوسها وقال ابن الهياج الاسدي رأيت رجلا في الطواف يدعو اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم اقتل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف قال القرطبي ونزل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وعن ابي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا وقال كسرى لاصحابه أي شيء أضر بابن آدم قالوا الفقر فقال الشح أضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع أبدا (فأولئك) أي العالو المنزلة (هم المفلحون) أي الكاملون في الفوز بكل مراد قال القشيري وتجرد القلب من الاعراض والاملاك صفة السادة والاكابر لا من اسرته الاخطار ولما أثنى سبحانه وتعالى على المهاجرين والانصار عقبهم عليه واهله اتبعهم ذكر التابعين لهم باحسان الى يوم الدين فقال تعالى (والذين جاؤا) اى من اى طائفة كانوا (من بعدهم) اى بعد المهاجرين والانصار وهم من آمن بعد انقطاع الهجرة بالفتح وبعد ايمان الانصار الذين اسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة (يقولون) على سبيل التجديد والاستمرار تصديقا لايمانهم بدعائهم (ربنا) أي أيها المحسن الينا بايجاد من مهد الدين قبلنا (اغفر لنا) أي أوقع ستر النقائص آثارها واعيانها (ولاخواننا) اى في الدين فانهم اعظم اخوة وبينوا الدلالة بقولهم (الذين سبقونا بالايمان) قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاثة منازل المهاجرين والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد أن لا تخرج من هذه المنازل وقال بعضهم كن مهاجرا فان قلت لا أجد فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل باعمالهم فان لم تستطع فاحبهم واستغفر لهم كما امرك الله تعالى وقال مصعب ابن سعد الناس على ثلاث منازل فمضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما انتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه جاءه رجل فقال له يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول في عثمان فقال له يا أخي أنت من قوم قال الله تعالى فيهم للفقراء المهاجرين الآية قال لا قال فانت من قوم قال الله تعالى فيهم والذين تبوؤا الدار والايمان الآية قال لا قال فوالله ان لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الاسلام وهي قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم الآية وروى ان نفرا من أهل العراق جاؤا الى محمد بن علي بن

الله أي في صدور المنافقين واليهود وظاهره لانهم أشد خوفا من الله (فان قلت)

المسلمين فسبوا أبا بكر وعمر وعثمان فاكثروا فقال لهم أمن المهاجرين الاولين أنتم فقالوا لا فقال أمن الذين تبوؤا الدار والايمان قالوا لا قال فقد تبرأتم من هذين الفريقين أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى والذين جاؤا من بعدهم قوموا فعل الله بكم وفعل

*(تنبيه) هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين لانه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ومن ابغضهم أو واحدا منهم أو اعتقد فيهم شرا انه لا حق له في الفيء قال مالك من كان يبغض احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه لهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم قرأ والذين جاؤا من بعدهم الآية وهي عامة في جميع التابعين الآتين بعدهم الى يوم القيامة يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وددت لو رأيت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا اخوانك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنتم أصحابي واخواننا الذين لم يأتوا بعد وانا فرطهم على الحوض فبين صلى الله عليه وسلم ان اخوانه كل من اتى بعدهم كما قال السدي والكلبي انهم الذين هاجروا بعد ذلك وعن الحسن ايضا ان الذين جاؤا من بعدهم من قصد الى النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد انقطاع الهجرة وانما بدؤا في الدعاء بأنفسهم لقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك وقال الشعبي تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا أصحاب عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا بالاستغفار لهم فسبوهم وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها اولها اعاذنا الله تعالى وحبيبنا من الاهواء المضلة (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي ضغنا وحسدا وحقدا وهو حرارة وغليان يوجب الانتقام (للذين آمنوا) اي اقروا بالايمان وان كانوا في ادنى درجاته وقيدوا بالقلب لان رذائل النفس قل ان تنفك وانما الشأن كانت مع صحة القلب أوسك ان لا تؤثر (ربنا) اي ايها المحسن الينا بتعليم ما لم نكن نعلم واكدوا اعلاما بانهم يعتقدون ما يقولون بقولهم (انك رؤف) اي راحم اشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة بفعل من أفعال الخير (رحيم) مكرم غاية الاكرام لمن أردت وان لم يكن له وصلة فانت جدير بان تجيبنا لانا بين ان نكون اساؤا لهم فنكون من اهل الرأفة أولا فنكون من أهل الرحمة فقد افادت هذه الآية ان من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة فليس ممن عنى الله تعالى بهذه الآية وقرأ ابو عمرو وورش وحفص وحمزة والكسائي بكسر الهمزة وقرأ الباقون بعدها

ولما ذكر حال المؤمنين اتبعهم بذكر حال المنافقين فقال تعالى (ألم تر) اي تعلم علما هو في غاية الجزم كالمشاهدة يا اعلى الخلق وبين بعدهم عن جنابه العالي ومنصبه السامي بالانتهاء فقال تعالى (الى الذين نافقوا) اي اظهروا غير ما اضمروا بالقرآن اخفاء عقائدهم وهم عبد الله بن أبي ابن سلول واصحابه قالوا والنفاق لفظ اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبله وهو استعارة من النفق في نافقاء اليربوع وقاصعائه ورسالتهم بقوله تعالى (يقولون لاخوانهم الذين كفروا) اي غطوا انوار المعارف التي دلتهم على الحق (من اهل الكتاب)

ان علق قوله من الله باشد لزم ثبوت الخوف لله وهو

وهم اليهود من بني قريظة والنضير والاخوان هم الاخوة وهي هنا تحتمل وجوها أحدها الاخوة في الآخرة لان اليهود والمنافقين اشتركوا في عموم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وثانيها الاخوة بسبب المصادقة والموالاة والمعاونة وثالثها الاخوة بسبب اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لليهود (لئن أخرجتم) أي من مخرج ما من المدينة (لنخرجن معكم) أي منها (ولانطيع فيكم) أي في خذلانكم (أحدا) أي يريد خذلانكم من الرسول والمؤمنين وأكدوا بقولهم (أبدا) أي مادمنا نعيش وبمثل هذا العزم يستحق الكافر الخلود الابدي في العذاب (وان قوتلتم) أي من أي مقاتل كان يقاتلكم ولم تخرجوا (لننصرنكم) أي لنعيننكم ولنقاتلن معكم * ولما كان قولهم هذا كلاما يقضي عليه سامعه بالصدق من حيث كونه مؤكدا مع كونه مبتدأ من غير سؤال فيه بين حاله سبحانه بقوله تعالى (والله) أي يقولون ذلك والحال ان المحيط بكل شئ قدرة وعلما (يشهد انهم) أي المنافقين (لكاذبون) أي فيما قالوا ووعدوا وهذا من أعظم دلائل النبوة لانه اخبار بغيب بعيد عن العادة ثم أخبر تعالى عن حال المنافقين بقوله تعالى (لئن أخرجوا) أي بنو النضير من أي مخرج كان (لايخرجون) أي المنافقون (معهم) أي حمية لهم لاسباب يعلمها الله تعالى (ولئن قوتلوا) أي اليهود من أي مقاتل كان فكيف بأشجع الخلق وأعلاهم صلى الله عليه وسلم (لا ينصرونهم) أي المنافقون ولقد صدق الله تعالى وكذبوا في الامرين معا القتال والاخراج لانصروهم ولاخرجوا معهم فكان ذلك من أعلام النبوة وعلم به من كان شاكا فضلا عن الموقنين (ولئن نصروهم) أي المنافقون في وقت من الاوقات (ليولن) أي المنافقون ومن ينصرونه وحقرهم بقوله تعالى (الادبار) أي ولو قدر وجود نصرهم لولوا الادبار منهزمين (ثم لا ينصرون) أي لايتجدد لفريقيهم ولا لواحد منهما نصرة في وقت من الاوقات ولم يزل المنافقون واليهود في الذل (لانتم) أيها المؤمنون (أشد رهبة) أي خوفا (في صدورهم) أي اليهود ومن ينصرهم (من الله) أي لتأخير عذابه وأصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى أنهم يرهبونكم ويخافون منكم أشد الخوف وأشد من رهبتهم من الله لما أمر (ذلك) أي الامر الغريب وهو خوفهم الثابت اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف لرؤيتهم له وعدم خوفهم من الخالق على ماله من العظمة في ذاته ولكونه غيبا عنهم (بأنهم قوم) أي على مالهم من القوة (لايفقهون) أي لايتجدد لهم بسبب كفرهم واعتمادهم على مكرهم في وقت من الاوقات فهم تشرح صدورهم ليدركوا به أن الله تعالى هو الذي ينبغي أن يخشى لاغيره بل هم كالانعام لانظر لهم الى الغيب انما هم مع المحسوسات والفقه هو العلم بفهوم الكلام ظاهره الجلي وغامضه الخفي بسرعة فطنة وجودة قريحة (لايقاتلونكم) أي اليهود والمنافقون (جميعا) اي قتالا تقصدونه مجاهرة وهم مجتمعون كلهم في وقت من الاوقات ومكان من الاماكن (الا في قرى محصنة) أي ممتنعة بحفظ الدروب وهي السكك الواسعة بالابواب والخنادق ونحوها (أو من وراء جدار) اي محيط بهم سواء كان بقرية أم بغيرها لشدة خوفهم وقد أخرج هذا ما حصل من بعضهم عن ضرورة كالاسير ومن كان ينزل

محال أو بالرهبة لزم كو...
... أشد خو...
المؤمنين
من المذكورين وليس

من أهل خيبر من الحصن يبارز ونحو ذلك فإنه لم يكن عن اجتماع أو يكون هذا خاصا ببني النضير في هذه الكرة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الجيم وفتح الدال وألف بعدها وأمال الألف أبو عمرو والباقون بضم الجيم والدال (بأسهم) أي حربهم (بينهم شديد) أي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فإذا خرجوا إليكم فهم أجبن خلق الله تعالى (تحسبهم) أي اليهود والمنافقين يا أعلى الخلق أو يا أيها الناظر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي بكسر السين والباقون بفتحها (جميعا) لما تراهم عليه من اجتماع الأشباح (وقلوبهم شتى) أي متفرقة أشد افتراق وموجب هذا الشتات اختلاف الأهواء التي لا جامع لها من نظام العقل كالبهائم وإن اجتمعوا في عداوة أهل الحق كاجتماع البهائم في الهرب من الذئب قال القشيري اجتماع النفوس مع تنافر القلوب واختلافها أصل كل فساد وموجب كل تخاذل ومقتضى تجاسر العدو واتفاق القلوب والاشتراك في الهمة والتساوي في القصد موجب كل ظفر وكل سعادة وأمال شتى محضا حمزة والكسائي بالإمالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين وأبو عمرو بين بين والباقون بالفتح وهي على وزن فعلى (ذلك) أي الأمر البعيد من الافتراق مع الاجتماع الذي يحصل للاجتماع (بأنهم قوم) أي مع شدتهم (لا يعقلون) فلا دين لهم يثبتون به [illegible] (كمثل الذين من قبلهم قريبا) أي بزمن قريب منهم كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بنو قينقاع من أهل دينهم من اليهود أظهروا بأسا شديدا عند ما قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم في أثر غزوة بدر فوعظهم وحذرهم أمر الله تعالى فقالوا لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الله تعالى

اذا (قلت) الرهبة [illegible] رهب بالبناء [illegible] للمفعول هنا فالمعنى أشد

كمثل الذين من قبلهم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له الشيطان
راهب نزلت عنده امرأة أصابها الم ليدعو لها فزين له الشيطان فوطئها فحملت ثم قتلها خوفا
من أن يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاؤا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه
الشيطان فوعده ان سجد له أنجاه منهم فسجد له فتبرأ منه وروى عطاء وغيره عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال كان راهب يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله
تعالى فيها طرفة عين وان ابليس أعياه في أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال ألا
أحد منكم من يكفيني برصيصا فقال له الابيض وهو صاحب الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل عليه السلام ليوسوس اليه
على وجه الوحي فدفعه جبريل عليه السلام الى أقصى ارض الهند فقال الابيض لابليس
أنا أكفيك [illegible] فانطلق فتزيا بزي الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه
فلم يجبه وكان لا ينفتل من صلاته الا في كل عشرة أيام [illegible] ولا يفطر الا في كل عشرة أيام مرة
فلما رأى الابيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في اصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع من
صومعته فرأى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة [illegible]
[illegible] فقال له [illegible] حاجتك [illegible]
[illegible] بعبادتك [illegible]
[illegible] فقال برصيصا [illegible]
للمرضى [illegible] الابيض [illegible] ثم
[illegible] الى برصيصا اربعين يوما فلما انفتل بعد اربعين [illegible] برصيصا
[illegible] الابيض فقال له ما حاجتك قال حاجتي ان تأذن لي ان ارفع اليك فأذن له فارتفع اليه
في صومعته فأقام معه يتعبد [illegible] لا يفطر الا في كل اربعين يوما مرة ولا ينفتل من صلاته الا كذلك
[illegible] الابيض [illegible] برصيصا [illegible] اليه [illegible] الابيض فلما
[illegible] الابيض [illegible] فظننت انك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الى برصيصا [illegible] الا كان [illegible]
[illegible] فكان الابيض [illegible] ذلك [illegible] برصيصا [illegible]
[illegible] فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل وكان لها ثلاثة اخوة
[illegible] فلما ماتت استخلف اخاه فكان عم [illegible] بني اسرائيل [illegible]

مرهوبية يعني انكم في صدورهم اهيب من سكون الله تعالى

ثم جاء اليهم فى صورة رجل متطبب فقال أنا عالجها قالوا نعم قال ان الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تثقون به تدعونها عنده اذا جاءها شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت فتردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا كيف لنا ان يجيبنا الى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك قال ابنوا صومعة الى جنب صومعته ولتكن لزيق صومعته حتى يشرف عليها فان قبلها والا فتضعونها فى صومعتها ثم قولوا له هى أمانة عندك فاحتسب أمانتك فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فأبى فبنوا صومعة على ما أمرهم به الابيض ووضعوا الجارية فى صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا من صلاته عاين الجارية وما هى عليه من الجمال فوقعت فى قلبه ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاء الشيطان وقال له ويحك واقعها لم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك ويتم لك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها ولم أقو عليه فدخل فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها الليلا فأخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته وأقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعهدون أختهم وكانوا يجيئون فى بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فلما لم يجدوها قالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا مكروبين جاء الشيطان الى أكبرهم فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها فى موضع كذا وكذا فقال الاخ هذا حلم وهو من عمل الشيطان برصيصا خير من ذلك فتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط له ما قال الاكبر ولم يخبر به أحدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط أنا والله رأيت مثله وقال الاكبر أنا والله رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا وقالوا له ما فعلت باختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها فكأنكم قد اتهمتمونى فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها مدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا فى النوم فذهبوا اليه ومعهم غلمانهم ومواليهم بالفؤوس والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكتفوه ثم أتوا به الى الملك فأقر على نفسه وذلك أن الشيطان أتاه فقال تقتلها ثم تكابر ويجتمع عليك أمران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا أتعرفنى قال لا قال أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات فاستجيب لك ويحك أما اتقيت الله تعالى فى الامانة خنت أهلها وانك زعمت انك أعبد بنى اسرائيل أما استحييت فلم يزل يعيره ثم قال ألم يكفك ما صنعت حتى اقررت على نفسك وفضحت نفسك وأشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظائرك قال فكيف أصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه فآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك قال وما هى قال تسجد لى قال افعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذى اردت منك صارت عاقبة أمرك الى ان كفرت بربك انى برىء منك

فيها ونظيره قولك زيدا أشد ضربا فى الدار من عمرو يعنى مضروبية

(انى أخاف الله) أى الملك الذى لا أمر لأحد معه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها (رب العالمين) أى الذى أوجدهم من العدم ورباهم بما يدل على جميع الاسماء الحسنى والصفات العليا فلا يغنى أحد من خلقه عن أحد شيأ الا باذنه (فكان) أى فتسبب عن قوله ذلك انه كان (عاقبتهما) اى الغار والمغرور (انهما فى النار) حال كونهما (خالدين فيها) لانهما ظلما ظلما لا افلاح معه (وذلك) أى العذاب الاكبر (جزاء الظالمين) أى كل من وضع العبادة فى غير موضعها أوهم الكافرون لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ضرب الله تعالى هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة فدس المنافقون اليهم وقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم اليه ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم فاجابوهم وان أخرجوكم خرجنا معكم فاجابوهم فدربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر المنافقين فناصبوهم الحرب فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين فى النار قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكانت الرهبان بعد ذلك فى بنى اسرائيل لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفسوق فى الاحبار ورموهم بالبهتان حتى كان أمر جريج الراهب فلما برأه الله تعالى مما رموه به انبسطت بعده الرهبان وظهروا للناس وكانت قصة جريج ما روى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتت أمه وهو يصلى فقالت يا جريج فقال رب امى وصلاتى وأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقال مثل مقالته الاولى فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر فى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان يأوى الى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فحملت منك فقال أين الصبى فجاؤا به فقال دعونى حتى أصلى فلما انصرف من صلاته أتى الصبى وطعن فى بطنه وقال يا غلام من أبوك فقال فلان الراعى قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبنى لك صومعتك من ذهب قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا والثالث كلم أمه وهى ترضعه فى قصة مشهورة (يا أيها الذين آمنوا) أى أقروا بالايمان باللسان (اتقوا الله) أى اجعلوا لكم وقاية تقيكم سخط الملك الاعظم باتباع أوامره واجتناب نواهيه واحذروا عقوبته بسبب التقصير فيما حده لكم من أمر أو نهى (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى فى يوم القيامة لان هذه الدنيا كلها كيوم واحد يجئ فيه ناس ويذهب آخرون والموت والآخرة لا بد من كل منهما وكل ما لا بد منه فهو فى غاية القرب والعرب تكنى عن المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد تنبيها على أن الساعة قريبة كقول القائل

وان غدا للناظره قريب * وقال الحسن وقتادة قرب الساعة حتى جعلها كغد لان كل آت قريب والموت لا محالة آت ومعنى ما قدمت أى من خير أو شر ونكر النفس لاستقلال الانفس التى تنظر فيما قدمت للآخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة فى ذلك ونكر الغد لتعظيمه

(قوله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ختم هنا بقوله لا يفقهون وبعده

وإبهام أمره كأنه قال الغد لا تعرف كنهه لعظمته وقوله تعالى (واتقوا الله) أي الجامع لجميع
صفات الكمال تأكيد وقيل كرر لتغاير متعلق التقويين فمتعلق الأولى أداء الفرائض لاقترانه
بالعمل والثانية ترك المعاصي لاقترانه بالتهديد والوعيد قال معناه الزمخشري (إن الله) أي الذي
له الأسماء الحسنى والصفات العليا (خبير) أي عظيم الاطلاع على ظواهركم وبواطنكم
والإحاطة (بما تعملون) فلا تعملون عملا إلا كان بمرأى منه ومسمع فاستحيوا منه (ولا تكونوا)
أيها المحتاجون إلى التحذير وهم الذين آمنوا (كالذين نسوا الله) أي أعرضوا عن أوامر
ونواهي الملك الأعظم وتركوها ترك الناسي لها بزينته مع ماله من صفات الجلال والإكرام
(فأنساهم) أي فتسبب عن ذلك أن أنساهم بماله من الإحاطة بالظواهر والبواطن (أنفسهم)
أي أن يقدموا لها ما ينفعها وأن يعملوا بها أو كان مشوبا بالمفسدات من الرياء والعجب
ونحو ذلك كما قال فيه تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة الآية لأنهم لم يدعوا بابا من أبواب
الفسق وإن رأس الفسق الجهل بالله وأس العلم به مفتاح الحكمة معرفة النفس فأعرف
الناس بنفسه أعرفهم بربه (أولئك) أي البعداء من كل خير (هم الفاسقون) أي العريقون
في المروق من دائرة الدين (لا يستوي) أي بوجه من الوجوه (أصحاب النار) أي التي هي محل
الشقاء الأعظم (وأصحاب الجنة) أي التي هي دار النعيم الأكبر لا في الدنيا ولا في الآخرة
واستدل بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر (أصحاب الجنة هم الفائزون) أي الناجون
من كل مكروه المدركون لكل محبوب وأصحاب النار هم الهالكون في الدارين كما وقع في
هذه الغزوة لفريقي المؤمنين وبني النضير ومن والاهم من المنافقين فشتان ما بينهما (لو أنزلنا)
أي بعظمتنا التي أبانها هذا التنزيل (هذا القرآن) أي الجامع لجميع العلوم الفارق بين كل
ملتبس المميز لجميع الحكم (على جبل) أي جبل كان أو جعل فيه تمييز كالإنسان (لرأيته)
يا أشرف الخلق مع أنه أثبت الأشياء وأصلبها بالرؤية (خاشعا) أي متذللا باكيا (متصدعا) أي
متشققا غاية التشقق (من خشية الله) أي من الملك العظيم ذي الكمال كله وفي هذا حث
على تأمل مواعظ القرآن وتدبر آياته (وتلك الأمثال) أي التي لا يضاهيها شيء (نضربها للناس
لعلهم يتفكرون) فيؤمنون والمعنى أنا لو أنزلنا هذا القرآن على الجبل لخشع لوعده وتصدع
لوعيده وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده والغرض
من هذا الكلام التنبيه على قساوة قلوب هؤلاء الكفار وغلظ طباعهم ونظيره ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وقيل إنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي لو أنزلنا
هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت وتصدع من نزوله عليه وقد أنزلناه عليك وثبتناك له
فيكون ذلك امتنانا عليه أن ثبته لما لم تثبت له الجبال وقيل إنه خطاب للأمة والمعنى لو أشعر
بهذا القرآن الجبل لتصدع من خشية الله تعالى والإنسان أقل قوة وأكثر ثباتا فهو يقوم
بحقه إن أطاع ويقدر على رده إن عصى لأنه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب ولما
وصف سبحانه القرآن بالعظم ومعلوم أن عظم الصفة تابع لعظم الموصوف أتبع ذلك بوصف
عظمته تعالى فقال عز من قائل (هو) أي الذي وجوده من ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه
فلا شيء يستحق الوصف بهو غيره لأنه الموجود دائما أزلا وأبدا فهو حاضر في كل ضمير غائب

بقوله لا يعقلون لأن الأول متصل بقوله لأنتم أشد رهبة في صدورهم من

بعظمته عن كل حس فلذلك تصدع الجبل من خشيته * ولما عبر عنه بأخص اسم له انما عبر عنه لطفا بنا وتنزلا الينا باشهرها الذى هو مسمى الاسماء كلها بقوله تعالى (الله) أى المعبود الذى لا تنبغى العبادة والالوهية الا له (الذى لا اله الا هو) فانه لا يجانسه ولا يليق ولا يصح ولا يتصور أن يكافئه أو يدانيه شئ والاله أول اسم لله تعالى فلذلك لا يكون أحد مسلما الا بتوحيده فتوحيده فرض وهو أساس كل فريضة (عالم الغيب) اى الذى غاب عن جميع خلقه (والشهادة) اى الذى وجد فكان يحسه ويطلع عليه بعض خلقه وقال ابن عباس معناه عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون وقال سهل عالم بالآخرة والدنيا وقيل استوى فى علمه السر والعلانية والموجود والمعدوم وقوله تعالى (هو الرحمن الرحيم) معناه ذو الرحمة ورحمة الله تعالى ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان رحمن أشد مبالغة من رحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لانه تعالى باحسانه فى الدنيا يعم المؤمن والكافر وفى الآخرة يختص انعامه واحسانه بالمؤمنين (هو الله) أى الذى لا يقدر على تعميم الرحمة لمن أراد وتخصيصها بمن شاء الا هو (الذى لا اله) اى لا معبود بحق (الا هو الملك) أى فلا ملك فى الحقيقة الا هو لانه لا يحتاج الى شئ لانه مهما أراد كان فهو متصرف بالامر والنهى فى جميع خلقه فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) أى البليغ فى النزاهة عن كل وصم يدركه حس أو يتصوره خيال او يسبق اليه وهم أو يختلج به ضمير ونظيره السبوح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السلام) أى الذى سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فهو بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم [illegible] مبالغة [illegible] كونه سليما من النقائص أو فى اعطائه السلامة (المؤمن) قال ابن عباس هو الذى أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما أوعد الكافرين من العذاب وقال مجاهد ومن الذى وحد نفسه لقوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو قال ابن عباس اذا كان يوم القيامة أخرج أهل التوحيد من النار وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبى حتى اذا لم يبق [illegible] وفى اسمه اسم نبى قال الله تعالى لباقيهم أنتم المسلمون وأنا السلام وأنتم المؤمنون وأنا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين (المهيمن) قال ابن عباس [illegible] بأعمالهم الذى لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه [illegible] لكل شئ [illegible] (العزيز) أى الذى لا يوجد له نظير [illegible] الغالب القاهر (الجبار) الذى [illegible] صفة التعظيم [illegible] (المتكبر) اى الذى تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصا وقيل [illegible] فى صفة الخلق [illegible] ليس له تكبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا أظهر الكبر كان كاذبا فى فعله (سبحان الله) أى تنزه الله الاعلى [illegible] بجميع صفات الكمال تنزيها لا تدركه العقول [illegible] فلا يدانيه شئ من نقص تعالى (عما يشركون) اى [illegible] المخلوقات

القه أى لانه سم [illegible] هو ظاهر الشئ دون باطنه والفقه معرفة الظاهر

من الاصنام وغيرها مما في الارض أو في السماء من صغير وكبير وجليل وحقير (هو) أي الذي لا شئ يستحق أن يطلق عليه هذا الضمير غيره لان وجوده من ذاته ولا شئ غيره الا وهو ممكن * ولما ابتدأ بهذا الغيب المحض الذي هو أظهر الاشياء أخبر عنه بأشهر الاشياء الذي لم يقع فيه شركة بوجه فقال تعالى (الله) الذي ليس له سمي فلا كفء له فهو المعبود بالحق فلا شريك له بوجه (الخالق) أي المقدر للاشياء على مقتضى حكمته (البارئ) أي المخترع المنشئ للاشياء من العدم الى الوجود بريأ من التفاوت وقوله تعالى (المصور) أي الذي يخلق صور الاشياء على ما يريد بكسر الواو ورفع الراء اما صفة واما خبر واحترزت بهذا الضبط عن قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن فانهما قرآ بفتح الواو ونصب الراء وهي قراءة شاذة وانما تعرضت لها لابين وجهها وهو ان تخرج هذه القراءة على ان يكون المصور منصوبا بالبارئ والمصور هو الانسان اما آدم واما هو وبنوه وعلى هذه القراءة يحرم الوقف على المصور بل يجب الوصل ليظهر النصب في الراء والا فقد يتوهم منه في الوقف ما لا يجوز (له) أي خاصة (الاسماء الحسنى) التسعة والتسعون الوارد فيها الحديث وقد ذكرتها في سورة الاسراء والحسنى تأنيث الاحسن (يسبح) أي يكرر التنزيه الاعظم عن كل شئ من شوائب النقص على سبيل التجدد والاستمرار (له) أي على وجه التخصيص (ما في السموات) أي السموات وما فيها (والارض) وما فيها (وهو) أي والحال انه وحده (العزيز) أي الذي يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) أي الجامع للكمالات بأسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم * وعن معقل بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قاله حين يمسي كان كذلك اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن أبي هريرة انه قال سألت خليلي أبا القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر سورة الحشر فاكثر قراءتها فأعدت عليه فاعاد علي وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الآية وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر حديث موضوع

والباطن فناسب أن الفقه عنهم والثاني متصل بقوله تسبح له جميعها

سورة الممتحنة مدنية

وهي ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف

(بسم الله) الذي من تولاه أغناه عمن سواه (الرحمن) الذي شمل برحمة البيان من حاطه بالعقل ورعاه (الرحيم) الذي خص بالتوفيق من أحبه وارتضاه * ونزل في حاطب بن أبي بلتعة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي) أي وأنتم تدعون موالاتي (وعدوكم) أي العريق في عداوتكم ما دمتم على مخالفته في الدين (أولياء) وذلك ما روي ان مولاة لأبي عمرو بن صيفي يقال لها سارة أتت النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت

قالت

قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الأهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني فقال صلى الله عليه وسلم فأين أنت عن شباب أهل مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب على اعطائها فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا لأهل مكة نسخته من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وقد توجه اليكم بجيش كالليل وأقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لأظفره الله تعالى بكم وأنجز له وعده فيكم فالله وليه وناصره فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها ثم جحدت وحلفت ما معها كتاب ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال أخرجي الكتاب والا والله لأجردنك ولأضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من عقاص شعرها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم الفتح الا أربعة هي أحدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وروى عزيزا فيهم أي غريبا ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيري فخشيت على أهلي فاردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل عليهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم واضافة العدو الى الله تعالى تغليظا في جرمهم وهذه السورة أصل في النهي عن موالاة الكفار وتقدم نظيره في قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم وروى أن حاطبا لما سمع يا أيها الذين آمنوا غشى عليه من الفرح بخطاب الايمان ثم انه تعالى استأنف بيان هذا الاتخاذ بقوله تعالى مشيرا الى غاية الاسراع والمبادرة الى ذلك بالتعبير بقوله تعالى (تلقون) أي جميع ما هو في حوزتكم مما لا تطمعون فيه القاء الشيء الثقيل من علو (اليهم) على بعدهم منكم حسا ومعنى (بالمودة) أي بسببها قال القرطبي تلقون اليهم بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أما صاحبكم فقد صدق وهذا نص في اسلامه وسلامة فؤاده وخلوص اعتقاده وقرأ حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها وقوله تعالى (وقد كفروا) أي غطوا جميع ما لكم من الادلة (بما) أي بسبب ما (جاءكم من الحق) أي الأمر الثابت الكامل في الثبات الذي

وقلوبهم شتى أي لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا فناسب نفي العقل

من فاعل تلقون اى لا تتولوهم ولا توادوهم وهذه حالهم وقوله تعالى (يخرجون الرسول) يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون تفسيرا لكفرهم فلا محل له على هذين وان يكون حالا من فاعل كفروا وقوله تعالى (واياكم) عطف على الرسول وقدم عليهم تشريفا له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أن تؤمنوا) اى توقعوا حقيقة الايمان مع التجدد والاستمرار (بالله) اى الذى اختص بجميع صفات الكمال (ربكم) اى المحسن اليكم تعليل ليخرجون والمعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم من مكة لأن تؤمنوا بالله اى لاجل ايمانكم بالله قال ابن عباس وكان حاطب ممن أخرج مع النبى صلى الله عليه وسلم وفى ذلك تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان (ان كنتم خرجتم) اى عن أوطانكم وقوله تعالى (جهادا فى سبيلى) اى بسبب ارادتكم تسهيل طريق التى شرعتها لعبادى أن يسلكوها (وابتغاء مرضاتى) اى ولاجل تطلبكم أعظم الرغبة لرضاى علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا وقرأ الكسائى بالامالة محضة والباقون بالفتح وقوله تعالى (تسرون) اى توجدون جميع ما يدل على مناصحتكم اياهم والتودد (اليهم بالمودة) اى بسببها بدل من تلقون قاله ابن عطية قال ابن عادل ويشبه أن يكون بدل اشتمال لان القاء المودة يكون سرا وجهرا أو استئناف واقتصر عليه الزمخشرى (وأنا) اى والحال أنى (أعلم) اى من كل أحد حتى من نفس الفاعل وقرأ نافع بمد الالف بعد النون (بما أخفيتم وما أعلنتم) قال ابن عباس بما أخفيتم فى صدوركم وما أظهرتم بألسنتكم اى فاى فائدة لاسراركم ان كنتم تعلمون انى عالم به وان كنتم تتوهمون أنى لا أعلمه فهى القاصمة (ومن يفعله) اى يوجد اسرار خبر اليهم ويكاتبهم (منكم) اى فى وقت من الاوقات (فقد ضل) اى عمى ومال وأخطأ (سواء السبيل) اى قويم الطريق الواسع الموصل الى القصد قويمه وعدله قال القرطبى هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قال القائل

اذا ذهب العتاب فليس ود ✽ ويبقى الود ما بقى العتاب

وقرأ قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الضاد والباقون بالادغام (ان يثقفوكم) اى يظفروا بكم فى وقت من الاوقات ومكان من الاماكن (يكونوا لكم أعداء) اى ولا ينفعكم القاء المودة اليهم (ويبسطوا اليكم) اى خاصة وان كان هناك فى ذلك الوقت من غيركم من قبل أعز الناس عليهم (أيديهم) اى بالضرب وان استطاعوا (وألسنتهم) اى بالشتم مضمومة الى فعل أيديهم فعل من ضاق صدره بما تجرع من آخر من الغصص حتى أوجب له غاية السفه (بالسوء) اى بكل ما من شأنه أن يسوء (وودوا) اى تمنوا قبل هذا (لو تكفرون) لان مصيبة الدين أعظم فهم اليها أسرع لان دأب العدو القصد لى أعظم ضرر اعدوه وعبر بما يفهم التمنى لذى يكون فى المحالات ليكون المعنى انهم أحبوا ذلك غاية الحب وهو رفيه بشرى بانه من قبيل المحال وقدم الاول لانه أبين فى العداوة وان كان الثانى أنكى ✽ ولما كانت عداوتهم معروفة وانما ظنوا ظاهر ة القرابات لان الحب للشئ يعمى ويصم نفعا أوثهم فهو الاتهم بما

قوله ان قلت كيف يستقيم التفضيل باشدية الرهبة مع انهم لا يرهبون

قوله وان كان هناك الخ المناسب وان كنتم من قبل أعز الناس عليهم اه

أعلم به من حالهم فقال تعالى مستأنفا اعلاما بأنهم اخطأوا على كل حال (لن تنفعكم) بوجه من
الوجوه (أرحامكم) اى قراباتكم الحاملة لكم على رحمتكم والعطف عليهم (ولا أولادكم)
اى الذين هم أخص أرحامكم ان والبتم أعداء الله تعالى لاجلهم فينبغى أن لا تعدوا اقربهم
منكم بوجه أصلا ثم علل ذلك وبينه بقوله تعالى (يوم القيامة) اى القيام الاعظم (يفصل)
اى يوقع الفصل وهو الفرقة العظيمة بانقطاع جميع الأسباب وقرأ عاصم بفتح الياء واسكان
الفاء وكسر الصاد مخففة وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح الفاء وفتح الصاد مشددة وحمزة
والكسائى كذلك الا أنهما يكسران الصاد والباقون بضم الياء وسكون الفاء (بينكم) اى أيها
الناس فيدخل من يشاء من أهل طاعته الجنة ومن يشاء من أهل معصيته النار فلا ينفع
أحد أحدا منكم بشىء من الاشياء الا ان كان قد أتى الله تعالى بقلب سليم فيأذن الله تعالى فى
اكرامه بذلك (والله) اى الذى له الاحاطة التامة (بما تعملون) اى من كل عمل فى كل وقت
(بصير) فيجازيكم عليه فى الدنيا والآخرة * ولما نهى تعالى عن موالاة الكفار ذكر قصة
ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأن من سيرته التبرى من الكفار بقوله تعالى (قد كانت) اى
وجدت وجودا تاما وكان تأنيث الفعل اشارة الى الرضا بها ولو كانت على أدنى الوجوه (لكم)
اى أيها المؤمنون (اسوة) اى موضع اقتداء وتأسية فى ابراهيم وطريقة مرضية وقرأ اسوة
فى الموضعين عاصم بضم الهمزة والباقون بكسرها (حسنة) اى يرغب فيها (فى ابراهيم) اى
فى قول أبى الانبياء عليهم الصلاة والسلام (والذين معه) اى ممن كان قبله من الانبياء قاله
القشيرى وممن آمن به فى زمانه كابن أخيه لوط عليه الصلاة والسلام وهم قدوة أهل الجهاد
والهجرة وقيل المراد بمن معه أصحابه من المؤمنين وقرأ هشام بفتح الهاء وألف بعدها والباقون
بكسر الهاء وبعدها ياء اى فاقتدوا به الا فى استغفاره لأبيه قال القرطبى الآية نص فى الامر
بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام فى فعله وذلك يدل على أن شرع من قبلنا شرع لنا فيما
أخبر الله ورسوله وقيل انه شرع لنا اذا ورد فى شرعنا ما يقرره وقيل ليس بشرع لنا مطلقا وهو
الاصح عندنا (اذ) اى حين (قالوا) وقد كان من آمن به أقل منكم وأضعف (لقومهم) اى
الكفرة وقد كانوا أكثر من عدوكم وأقوى وكان لهم فيهم أرحام وقرابات وا ... فيهم رجاء
بالقيام والمحاولات (انا برآء) اى متبرؤن براءة عظيمة (منكم) وان كنتم أقرب الناس الينا
ولا ناصر لنا منكم غيركم (ومما تعبدون) اى توجدون عبادته فى وقت من الاوقات (من دون
الله) اى الملك الاعظم (كفرنا بكم) اى جحدناكم وأنكرنا دينكم (وبدا) اى ظهر ظهورا
عظيما (بيننا وبينكم العداوة) وهى المباينة فى الافعال بأن يعدو كل أحد على الآخر
(والبغضاء) وهى المباينة بالقلوب بالبغض العظيم * ولما كان ذلك قد يكون سريع الزوال
قالوا (أبدا) اى على الدوام وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فى الوصل بابدال الهمزة الثانية
المفتوحة بعد المضمومة واوا خالصة والباقون بتحقيقها وهم على مراتبهم فى المد واذا وقف
حمزة وهشام ابدلا الهمزة ألفا مع المد والتوسط وا قصر ولهما ايضا التسهيل مع المد والقصر
والروم معهما * ولما كان ذلك موئسا من صلاح الحال وقد يكون لحظ النفس بينوا غايته

لتركوا الله لاجلهم لوده بوده (قلت) النفاق والكفر فى معناه ان رهبتهم

بقولهم (حتى تؤمنوا بالله) اى الملك الذى له الكمال كله (وحده) اى فتكونوا مكذبين بكل ما يعبد دون الله تعالى وقوله تعالى (الا قول ابراهيم لابيه) فيه أوجه أحدها انه استثناء متصل من قوله تعالى فى ابراهيم ولكن لا بد من حذف مضاف ليصح الكلام تقديره فى مقالات ابراهيم الا قوله كيت وكيت ثانيها انه مستثنى من اسوة حسنة واقتصر على ذلك الجلال المحلى وجاز ذلك لان القول أيضا من جملة الاسوة لان الاسوة الاقتداء بالشخص فى أقواله وأفعاله فكانه قيل لكم فيه اسوة فى جميع أحواله من قول وفعل الا قوله كذا وهو أوضح لانه غير محوج الى تقدير مضاف وغير مخرج للاستثناء من الاتصال الذى هو أصله الى الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشرى غيره ثالثها قال ابن عطية ويحتمل أن يكون الاستثناء من التبرى والقطيعة التى ذكرت اى لم تبق صلة الا كذا رابعها أنه استثناء منقطع اى لكن قول ابراهيم وهذا بناء من قائله على أن القول لم يندرج تحت قوله اسوة وهو ممنوع قال القرطبى معنى قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه (لأستغفرن لك) اى فلا تتأسوا به فى الاستغفار فتستغفروا للمشركين فانه كان عن موعدة وعدها اياه قاله قتادة ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثناء ان ابراهيم هجر قومه وباعدهم الا فى الاستغفار لابيه ثم بين عذره فى سورة التوبة وفى هذا دلالة على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء لانا حين أمرنا بالاقتداء به أمرنا أمرا مطلقا فى قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين أمرنا بالاقتداء بابراهيم استثنى بعض أفعاله وهذا انما جرى لانه ظن أنه أسلم فلما بان أنه لم يسلم تبرأ منه وعلى هذا فيجوز الاستغفار لمن يظن انه أسلم وأنتم لم تجدوا مثل هذا الظن فلم توالونهم وقوله (وما أملك لك من الله) اى من عذاب أو ثواب الملك الاعلى المحيط بنعوت الجلال (من شئ) من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أحواله وقوله (ربنا) أى أيها المحسن الينا (عليك) اى لا على غيرك (توكلنا) اى فوضنا أمرنا اليك يجوز أن يكون من مقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه فهو من جملة الاسوة الحسنة وفصل بينهما بالاستثناء ويجوز أن يكون منقطعا عما قبله على اضمار قول وهو تعليم من الله تعالى لعباده كانه قال لهم قولوا ربنا عليك توكلنا (واليك) اى وحدك (أنبنا) اى رجعنا بجميع ظواهرنا وبواطننا (واليك) اى وحدك (المصير) اى الرجوع فى الآخرة (ربنا) اى أيها المربى لنا والمحسن الينا (لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) اى بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله أو فيظنوا انهم على حق فيفتتنوا بذلك وقيل لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك وقيل لا تبسط عليهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم (واغفر لنا) اى استر ما وقع منا من الذنوب وامح عينه وأثره (ربنا) اى أيها المحسن الينا وأكدوا الابتهال بشدة رغبتهم فى حسن الثناء عليه فقالوا (انك أنت) اى وحدك لا غيرك (العزيز) اى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) اى الذى يضع الاشياء فى أوفق محالها ولا يستطاع نقضها ومن كان كذلك فهو حقيق بان يعطى من أمله ما طلب وقوله تعالى (لقد كان لكم) اى يا أمة محمد جواب قسم مقدر (فيهم) اى ابراهيم ومن معه من الانبياء

أشد من الشر منكم وهيبتهم من الله تعالى وكانوا يظهرونه لكم

والاولياء

والاولياء (اسوة حسنة) اى فى التبرى من الكفار وقرابتهم كرر تأكيدا وقيل نزل الثانى بعد الاول
بمدة قال القرطبى وما أكثر المكررات فى القرآن على هذا الوجه وقوله تعالى (لمن كان
يرجو الله) اى الملك المحيط بجميع صفات الكمال (واليوم الآخر) اى الذى يحاسب فيه على
النقير والقطمير بدل من الضمير فى لكم بدل بعض من كل وفى ذلك بيان أن هذه الاسوة لمن يخاف
الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) اى يوقع الاعراض عن أوامر الله تعالى فيوالى
الكفار (فان الله) اى الذى له الاحاطة الكاملة (هو) اى خاصة (الغنى) اى عن كل شئ
(الحميد) اى الذى له الحمد المحيط لاحاطته باوصاف الكمال فهو حميد فى نفسه وصفاته أو حميد
الى أوليائه وأهل طاعته * ولما نزلت الآية الاولى عادى المسلمون أقرباءهم من المشركين
فعلم الله تعالى شدة وجد المسلمين فى ذلك فنزل (عسى الله) اى أنتم جديرون بان تطمعوا فى
الملك الاعلى المحيط بكل شئ قدرة وعلما (أن يجعل) اى باسباب لا تعلمونها (بينكم وبين الذين
عاديتم منهم) اى كفار مكة (مودة) اى بان يلهمهم الايمان فيصيروا لكم أولياء وقد جعل
ذلك عام الفتح تحقيقا لما رجاه سبحانه لان عسى من الله تعالى وعد وهو لا يخلف الميعاد
(والله) اى الذى له كمال الاحاطة (قدير) اى بالغ القدرة على كل ما يريده فهو يقدر على
تقليب القلوب وتيسير العسير (والله) اى الذى له جميع صفات الكمال (غفور) اى محاء
لاعيان الذنوب وآثارها (رحيم) يكرم الخاطئين اذا أراد التوبة عليهم بالجزاء غاية الاكرام
فيغفر لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل وما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم وقوله تعالى
(لا ينهاكم الله) اى الذى اختص بالجلال والاكرام (عن الذين لم يقاتلوكم) اى بالفعل
(فى الدين) الآية رخصة من الله تعالى فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم قال ابن
زيد هذا كان فى أول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسخها
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال ابن عباس نزلت فى خزاعة وذلك أنهم صالحوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا فرخص الله تعالى فى برهم
وقال أكثر أهل التأويل انها محكمة واحتجوا بان أسماء بنت أبى بكر قدمت أمها وهى
مشركة عليها المدينة بهدايا فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا تدخلى على بيتى حتى استأذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن تدخل منزلها وأن تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها وفى ذلك اشارة الى
الاقتصاد فى العداوة والولاية كما قال صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى أن
يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما وروى عامر بن
عبد الله بن الزبير عن أبيه أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه طلق امرأته قتيلة فى الجاهلية
وهى أم أسماء بنت أبى بكر فقدمت عليهم فى المدة التى كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبين كفار قريش فأهدت الى أسماء بنت أبى بكر قرطا وأشياء فكرهت
أن تقبل منها حتى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله تعالى لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين (ولم يخرجوكم من دياركم أن) اى لا ينهاكم عن أن (تبروهم)
بنوع من أنواع البر الظاهرة فان ذلك غير صريح فى قصد المودة (وتقسطوا اليهم) اى تعطوهم

يظهرون للمؤمنين رهبة شديدة من الله تعالى (قوله واتنظر نفس ما قدمت

قسطا من أموالكم على وجه الصلة قال ابن العربي وليس يريد به من العدل فان العدل
واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل وحكى أن القاضي اسمعيل بن اسحق دخل عليه ذمي فأكرمه
فأخذ عليه الحاضرون في ذلك فتلا عليهم هذه الآية (ان الله) اى الذى له الكمال كله (يحب)
اى يثيب (المقسطين) اى الذين يزيلون الجور ويوقعون العدل (انما ينهاكم الله) اى الذى
له الاحاطة الكاملة علما وقدرة (عن الذين قاتلوكم) اى جاهدوكم متعمدين لقتالكم (في
الدين) اى عليه فليس شئ من ذلك خارجا عنه (وأخرجوكم من دياركم) اى بانفسهم لبغضكم
وهم عتاة أهل مكة (وظاهروا) اى عاونوا غيرهم (على اخراجكم) وهم مشركو مكة وقوله
تعالى (أن تولوهم) بدل اشتمال من الذين اى تتخذوهم أولياء وقرأ البزي بتشديد التاء
والباقون بالتخفيف ولما كان التقدير فمن أطاع فاولئك هم المفلحون عطف عليه قوله تعالى
(ومن يتولهم) اى يكلف نفسه الحمل على غير ما تدعو اليه الفطرة الاولى من المنابذة وأطلق
ولم يقيده بكم ليعم المهاجرين وغيرهم والمؤمنين وغيرهم (فاولئك) اى الذين أبعدوا عن
العدل (هم الظالمون) اى العريقون في ايقاع الاشياء في غير مواضعها ولما أمر المسلمين بترك
موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين من بلاد الشرك الى بلاد الاسلام وكان
التناكح من أوكد أسباب الموالاة بين أحكام مهاجرة النساء بقوله تعالى (يا أيها الذين
آمنوا) اى أقروا بالايمان (اذا جاءكم المؤمنات) اى بانفسهن (مهاجرات) اى من الكفار
بعد الصلح معهم في الحديبية (فامتحنوهن) اى بالحلف انهن ما هاجرن الا رغبة في الاسلام
لا بغضا لأزواجهن الكفار ولا عشقا لرجال من المسلمين كذا كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحلفهن قيل ان سبب الامتحان انه كان من أرادت منهن اضرار زوجها قالت سأهاجر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بامتحانهن (الله) اى
المحيط بكل شئ قدرة وعلما (أعلم) اى منكم ومن أنفسهن (بايمانهن) هل هو كائن أم لا على
وجه الرسوخ أم لا لانه المحيط بما غاب كاحاطته بما شوهد وانما وكل الامر اليكم في ذلك سترا
للناس (فان علمتموهن مؤمنات) اى العلم الممكن لكم وهو الظن المؤكد بالامارات الظاهرات
بالحلف وغيره (فلا ترجعوهن) اى بوجه من الوجوه (الى الكفار) وان كانوا أزواجا قال
ابن عباس جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية على ان من أتاه من أهل مكة رده
اليهم فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم
بالحديبية بعد فأقبل زوجها وكان كافرا وكان صيفي بن الراهب وقيل مسافر المخزومي فقال
يا محمد اردد على امرأتي فانك شرطت ذلك وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله تعالى هذه
الآية وروى ان أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء أهلها
يسألونه أن يردها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها أخواها عمارة والوليد فرد
رسول الله صلى الله عليه وسلم أخويها وحبسها فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ردها علينا للشرط
فقال صلى الله عليه وسلم كان الشرط في الرجال لا في النساء فانزل الله تعالى هذه الآية وعن
عروة انه كان مما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية أن لا يأتيك

(لغد) اى ليوم القيامة
وفائدة تنكير النفس
بيان ان الانفس الناظرة

منا أحد وان كان على دينك الارددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ أبا جندل الى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال الارده في تلك المدة وان كان مسلما حتى أنزل الله تعالى في المؤمنات ما أنزل وهذا يومئ الى ان الشرط في رد النساء نسخ بذلك وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن وقال بعض العلماء كله منسوخ بالقرآن وقالت طائفة لم يشترط ردهن في العقد لفظا وانما أطلق العقد في رد من أسلم فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن عن عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لامرين أحدهما انهن ذوات فروج تحرم عليهن الثاني انهن أرق قلوبا وأسرع تقلبا منهم فاما المقيمة منهن على شركها فمردودة عليهم (لا هن) اى المؤمنات (حل) اى موضع حل ثابت (لهم) اى الكفار باستمتاع ولا غيره وقوله تعالى (ولا هم) اى رجال الكفار (يحلون لهن) اى المؤمنات تاكيد للاول لتلازمهما وقال البيضاوى والتكرير للمطابقة والمبالغة والاولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستئناف وقيل أراد استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ماداموا مشركين وهن مؤمنات والمعنى لم يحل الله تعالى مؤمنة لكافر في حال من الاحوال وهذا أدل دليل على ان الذى أوجب فرقة المسلمة من زوجها الكافر اسلامها لا هجرتها وقال أبو حنيفة الذى فرق بينهما هو اختلاف الدارين والصحيح كما قال ابن عادل الاول لان الله تعالى بين العلة وهو عدم الحل بالاسلام لا باختلاف الدار ولما نهى عن [illegible] الى [illegible] الاقساط اليهم فقال تعالى (وآتوهم) اى اعطوا الازواج (ما أنفقوا) اى عليهن من المهور فان المهر في نظير أصل العشرة ودوامها وقد فوتتها الهاجرة فلا يجمع عليه خسارتان الزوجية والمالية وأما الكسوة والنفقة فانهما لما يتجدد من الزمان *(تنبيه)* أمر الله تعالى برد ما أنفقوا الى الازواج وان المخاطب بهذا الامام وهل يجب ذلك أو يندب ظاهر الآية الوجوب ولكن رجح الندب وعليه الشافعى لان البضع ليس بمال فلا يشمله الامان كما لا يشمل زوجته والآية وان كان ظاهرها الوجوب محتملة للندب الصادق بعدم الوجوب الموافق للاصل وقال مقاتل يرد المهر للذى يتزوجها من المسلمين وليس لزوجها الكافر شئ وقال قتادة الحكم في رد الصداق انما هو في نساء أهل الذمة فاما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا رد عليهم الصداق قال القرطبى والامر كما قال (ولا جناح) اى حرج عليكم (ايها المؤمنون بالخطاب (ان تنكحوهن) اى تجددوا [illegible] كان أزواجهن من الكفار لم يطلقوهن لزوال العلق عنهن لان الاسلام فرق بينهم [illegible] تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا [illegible] كان قد أمر برد [illegible] فكان ربما ظن انه مغن عن تجديد مهورهن اذا نكحهن المسلم نفى ذلك بقوله (اذا آتيتموهن) اى لاجل النكاح (أجورهن) اى مهورهن وفي شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذان بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) [illegible] هنا عقد النكاح اى من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمتها

فى معادها انا بله جدا كله قيل وانتظر نفس واحدة فى ذلك وأين تلك النفس

فلا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية والكوافر جمع كافرة كضوارب في ضاربة قال النخعي المراد بالآية هي المرأة المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون المسلمات والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الآية فطلق عمر بن الخطاب حينئذ امرأتين له بمكة مشركتين قريبة بنت أبي أمية فتزوجها معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة وأم كلثوم بنت عمرو الخزاعية أم عبد الله بن المغيرة فتزوجها أبو جهم بن حذافة وهما على شركهما بمكة فلما ولي عمر قال أبو سفيان لمعاوية طلق قريبة فلا يرى عمر سلبه في بيتك فأبى معاوية وكانت عند طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق الاسلام بينهما ثم تزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص وكانت ممن فر الى النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية وقال الشعبي كانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أبي العاص بن الربيع أسلمت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة وأسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم روى أبو داود عن عكرمة عن ابن عباس بالنكاح الاول ولم يحدث شيأ قال محمد بن عمرو في حديث بعد ست سنين وقال الحسن بن علي بعد سنتين قال أبو عمر فان صح هذا فلا يخلو من وجهين اما انها لم تحض حتى اسلم زوجها واما ان الامر فيها منسوخ بقوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن في ذلك يعني في عدتهن وهذا مما لا خلاف فيه انه عني به العدة قال الزهري في قصة زينب هذه كانت قبل أن تنزل الفرائض وقال قتادة كان هذا قبل ان تنزل سورة براءة بقطع العهود بينهم وبين المشركين

(تنبيه) المراد بالكوافر هنا عبدة الاوثان ومن لا يجوز ابتداء نكاحها وقيل هي عامة نسخ منها نساء أهل الكتاب فعلى الاول اذا أسلم وثني أو مجوسي ولم تسلم امرأته فرق بينهما وهو قول بعض أهل العلم منهم مالك والحسن وطاوس وعطاء وعكرمة وقتادة لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقال بعضهم ينتظر بها تمام العدة وهو قول الزهري والشافعي واحمد واحتجوا بان أبا سفيان بن الحرث أسلم قبل هند بنت عتبة امرأته وكان اسلامه بمر الظهران ثم رجع الى مكة وهند بها كافرة مقيمة على كفرها فأخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم أسلمت بعده بايام فاستقرا على نكاحهما لان عدتها لم تكن انقضت قالوا ومثله حكيم بن حزام أسلم قبل امرأته ثم أسلمت بعده فكانا على نكاحهما قال الشافعي ولا حجة لمن احتج بقوله تعالى بعصم الكوافر لان نساء المؤمنين محرمات على الكفار كما ان المسلمين لا تحل لهم الكوافر الوثنيات ولا المجوسيات لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة ان مراد الله تعالى من قوله هذا أنه لا تحل بعضهم لبعض الا ان أسلم الثاني منهما في العدة وقال ابو حنيفة واصحابه في الكافرين الذميين اذا أسلمت المرأة عرض على الزوج الاسلام فان أسلم والا فرق بينهما قالوا ولو كانا حربيين فهي امرأته حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا في دار الحرب او في دار الاسلام وان كان احدهما في دار الحرب والآخر في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما وقد تقدم

وفائدة تنكير الغد تعظيمه وابهام أمره كأنه قيل لغد لا تعرف النفس كنهه

أن

ان اعتبار الدار ليس بشئ وهذا الخلاف عما هو فى المدخول بها فاما غير المدخول بها فلا نعلم خلافا فى انقطاع العصمة بينهما اذ لا عدة عليها وكذا يقول مالك فى المرأة ترتد وزوجها مسلم تنقطع العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو قول الحسن البصرى والحسن بن صالح وقال الشافعى وأحمد ينتظر بها تمام العدة فان كان الزوجان نصرانيين فاسلمت الزوجة فمذهب مالك والشافعى وأحمد الى تمام العدة وهو قول مجاهد وكذا الوثنى تسلم زوجته ان أسلم فى عدتها فهو أحق بها كما كان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل احق بزوجتيهما لما أسلما فى عدتهما كما ذكره مالك فى الموطأ قال بعض العلماء كان بين اسلام صفوان وبين اسلام امرأته نحو من شهر قال ولم يبلغنا ان امرأة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها كافر مقيم بدار الحرب الا فرقت هجرتها بينهما او بين زوجها الا أن يقدم زوجها مهاجرا قبل ان تنقضى عدتها وقال بعضهم ينفسخ النكاح بينهما الماوردى يزيد بن علقمة قال أسلم جدى ولم تسلم جدتى ففرق بينهما عمر وهو قول طاوس وعطاء والحسن وعكرمة قالوا لا سبيل له عليها الا بخطبة (واسئلوا) اى ايها المؤمنون الذين ذهبت زوجاتهم الى الكفار مرتدات (ما انفقتم) أى من مهور نسائكم (وليسئلوا) أى الكفار (ما انفقوا) اى من مهور أزواجهم اللاتى أسلمن قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدات الى الكفار من أهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين اذا جاء أحد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين (ذلكم) أى الحكم الذى ذكر فى هذه الآيات البعيد المنزلة فى الرتبة من كل [illegible] (حكم الله) أى الملك الذى له صفات الكمال فلا تلحقه شائبة نقص (يحكم) اى الله [illegible] على سبيل المبالغة (بينكم) أى فى هذا الوقت وفى غيره على هذا المنهاج البديع [illegible] لاجل الهدنة التى كانت وقعت بين النبى صلى الله عليه وسلم وبينهم وأما قبل الحديبية فكان النبى صلى الله عليه وسلم يمسك النساء ولا يرد الصداق (والله) أى الذى له الاحاطة التامة (عليم) أى بالغ العلم لا يخفى عليه شئ (حكيم) أى فهو لقيام علمه يحكم كل أمره [illegible] الاحكام [illegible] [illegible] أحد نقض شئ منها [illegible] قالوا رضينا [illegible] حكم الله [illegible] المشركين [illegible] فنزل قوله تعالى (وان فاتكم شئ من أزواجكم) [illegible] أحد منهن [illegible] مهورهن بالذهاب (الى الكفار) [illegible] (فعاقبتم) [illegible] الكفار [illegible] الى [illegible] [illegible] فاتكم [illegible] [illegible] (فآتوا) أى فأعطوا [illegible] [illegible] [illegible] (مثل ما انفقوا) [illegible]

[illegible] وعن عائشة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] انفقوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] اصداقها وان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ان كان لكم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ابن عباس [illegible] [illegible] حكم الله أى بين المسلمين [illegible]

عظمته وهو له فالتنكير فيه للتعظيم وفى النفس للتعليل (ان قلت) الغد

من أهل مكة يرد بعضهم على بعض قال الزهري ولولا العهد لامسك النساء ولم يرد عليهم صداقا وقال قتادة ومجاهد انما أمروا ان يعطوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من الفيء والغنيمة وقالا هي فيمن بيننا وبينه عهد وقالا معنى فعاقبتم فاقتصصتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا اي من المهور وقال ابن عباس معنى الآية ان لحقت امرأة مؤمنة بكفار أهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد ولها زوج مسلم قبلكم فغنمتم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة قبل ان تخمس وقال الزهري يعطى من مال الفيء وعنه يعطى من صداق من لحق بنا * (تنبيه) * محصل مذهب الشافعي في هذه الآية ان الهدنة لو عقدت بشرط ان يردوا من جاءهم منا مرتدا صح ولزمهم الوفاء به سواء أكان رجلا أو امرأة حرا او رقيقا فان امتنعوا من رده فناقضون للعهد لمخالفتهم الشرط أو عقدت على ان لا يردوه جاز ولو كان المرتد امرأة فلا يلزمهم رده لانه صلى الله عليه وسلم شرط ذلك في مهادنة قريش حيث قال لسهيل بن عمرو وقد جاء رسولا منهم من جاءنا منكم رددناه ومن جاءكم منا فسحقا سحقا ومثله مالو أطلق العقد كما فهم بالاولى ويغرمون فيهما مهر المرتدة (فان قيل) لم غرموا مهر المرتدة ولم نغرم نحن مهر المسلمة على ما تقدم من الخلاف (أجيب) بانهم قد فوتوا عليه الاستتابة الواجبة علينا وأيضا المانع جاء من جهتها والزوج غير متمكن منها بخلاف المسلمة الزوج متمكن منها بالاسلام وكذا يغرمون قيمة رقيق ارتد دون الحر فان عاد الرقيق المرتد الينا بعد أخذنا قيمته رددناها عليهم بخلاف نظيره في المهر لان الرقيق بدفع القيمة يصير ملكا لهم والنساء لا يصرن زوجات (فان قيل) كونه يصير ملكا لهم مبني على جواز بيع المرتد للكافر والصحيح خلافه (أجيب) بان هذا ليس مبنيا عليه لان هذا ليس بيعا حقيقة فاغتفر ذلك لاجل المصلحة شرطا عدم الرد (فان قيل) هل يغرم الامام لزوج المرتدة ما أنفق من صداقها لانا بعقد الهدنة حلنا بينه وبينها ولولا الهدنة لقاتلناهم حتى يردوها (أجيب) بان هذا مبني على ان الامام هل يغرم لزوج المسلمة المهاجرة ما أنفق وتقدم عدم الغرم فكذا هنا * (فائدة) * روى عن ابن عباس انه قال لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر ان يهاجر أبت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاصي بن وائل وأم كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة ولما كان الحرج في مثل ذلك عسرا فان المهور تتفاوت تارة وتتساوى أخرى قال تعالى (واتقوا) اي في الاعطاء والمنع وغير ذلك (الله) الذي له صفات الكمال وقد أمركم بالتخلق بصفاته على قدر ما تطيقون (الذي أنتم به مؤمنون) اي متمكنون في رتبة الايمان ولما خاطب المؤمنين الذين هم موضع الحماية والنصرة للدين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بما يكملهم بما يعلنون به ايمانهم بقوله تعالى (يا أيها النبي) مخاطبا له بالوصف المقتضي للعلم (اذا جاءك المؤمنات) بعد الفتح ليبايعنك على الاسلام كما جاءك صلى الله عليه وسلم ثم بعد ما صلح الحديبية نسوة مهاجرات

قوله فاطمة الخ كذا بالنسخ والذي تقدم انها قريبة فاعل في اسمها خلافا وقوله بنت جرول الذي تقدم انها بنت عمرو فليحرر اه مصححه

اليوم الذي يعقب ليلته فكيف أطلق على يوم القيامة (قلت) الغد له

لاطلاق الهجرة عليهن (يبايعنك على ان لايشركن) اى كل واحدة منهن تبايعك على عدم الاشراك فى وقت من الاوقات (بالله) اى الملك الذى لا كفء له (شيأ) اى من اشراك على الاطلاق (ولا يسرقن) اى يأخذن مال الغير بغير استحقاق فى خفية (ولا يزنين) اى يمكن أحدا من وطئهن بغير عقد صحيح (ولا يقتلن اولادهن) اى بالوأد كما كان يفعل فى الجاهلية من وأد البنات اى دفنهن احياء خوف العار والفقر (ولا يأتين ببهتان) اى بولد ملقوط اوشبهة بان (يفترينه) اى يتعمدن كذبه بان ينسبنه للزوج و وصفه بصفة الولد الحقيق بقوله تعالى (بين ايديهن) اى بالحمل فى البطون لان بطونهن التى تحمل فيها الولد بين يديها (وارجلهن) اى بالوضع من الفروج لان فرجها الذى تلده به بين رجليها اولان الولد اذا وضعته سقط بين يديها ورجليها وقيل بين أيديهن السنتهن بالنميمة ومعنى بين ارجلهن فروجهن وقيل ما بين ايديهن من قبلة أوجسة و بين ارجلهن الجماع و روى ان هندا لما سمعت ذلك قالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمر الا بالارشد ومكارم الاخلاق (ولا يعصينك) أى على حال من الاحوال (فى معروف) وهو ما وافق طاعة الله تعالى كترك النياحة وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيب وخمش الوجه (فبايعهن) أى التزم لهن بما وعدت على ذلك من اعطاء الثواب فى نظير ما التزمن أنفسهن من الطاعة فبايعهن صلى الله عليه وسلم بالقول [illegible] واحدة منهن قالت عائشة رضى الله عنها والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على [illegible] قط الا بما أمره الله عز وجل وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة [illegible] وروى انها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ان لايشركن بالله شيأ الى آخرها قالت وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة الا امرأة يملكها وقالت أميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة [illegible] فيما استطعتن وأطقتن فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم بنا من انفسنا وقالت يارسول الله صافحنا فقال انى لا أصافح النساء انما قولى لامرأة [illegible] امرأة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء [illegible] ثوب [illegible] وقالت [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

معنيان ماذكرتم ومطلق الزمان المستقبل كما ان للامس معنيين مقابلين

من ماله قوتنا فلا أدرى أيحل لى أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وما غبر فهو
لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت
نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك وروى انها قالت يارسول الله ان أبا سفيان رجل مسيك
فهل على حرج ان أخذت ما يكفينى وولدى قال لا الا بالمعروف فخشيت هند ان تقتصر
على ما يعطيها فتضيع او تأخذ أكثر من ذلك فتكون سارقة ناكثة للبيعة المذكورة فقال لها
النبى صلى الله عليه وسلم ذلك أى لا حرج عليك فيما أخذت بالمعروف يعنى من غير استطالة الى
أكثر من الحاجة ثم قال ولا يزنين فقالت هند أو تزنى الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن أى
بالوأد ولا يسقطن الاجنة فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا وأنت وهم أعلم
وكان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قال ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وأرجلهن فقالت والله ان البهتان
لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت والله
ما جلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شئ قال أكثر المفسرين معناه لا يلحقن
بازواجهن ولدا من غيرهن وكانت المرأة تلتقط ولدا تلحقه بزوجها وتقول هذا ولدى منك
فكان هذا من البهتان والافتراء وهذا عام فى الاتيان بولد والحاقه بالزوج وان سبق النهى عن
الزنا *(تنبيه)* ذكر تعالى فى هذه الآية لرسوله صلى الله عليه وسلم فى صفة البيعة
خصالا ستا صرح فيهن باركان النهى ولم يذكر أركان الامر وهى ست أيضا الشهادة والصلاة
والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهى دائم فى كل زمان وكل
الاحوال فكان التنبيه على اشتراط الدائم آكد وقيل ان هذه المناهى كانت فى النساء كثيرا
من يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر لهذا ونحو هذا قوله صلى الله عليه
وسلم لوفد عبد القيس وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت فنبههم على ترك المعصية فى
شرب الخمر دون سائر المعاصى لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا ترك المرء شهوته من المعاصى
هان عليه ترك سائرها مما لا شهوة له فيها ولما كان الانسان محل النقصان لاسيما النسوان
رجاهن سبحانه بقوله تعالى (واستغفر) اى اسأل (لهن الله) اى الملك الاعظم ذا الجلال
والاكرام فى الغفران ان وقع منهن تقصير وهو واقع لانه لا يقدر أحد أن يقدر الله تعالى حق
قدره (ان الله) اى الذى له صفات الكمال (غفور) اى بالغ الستر للذنوب عينا وأثرا (رحيم)
اى بالغ الاكرام بعد الغفران تفضلا منه واحسانا وروى ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا
يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
لا تتولوا) اى لا تعالجوا أنفسكم ان تتولوا (قوما) اى ناسا لهم قوة على ما يحاولونه فغيرهم من
باب أولى (غضب الله) اى اوقع الملك الاعلى الغضب (عليهم) لاقبالهم على ما أحاط بهم من
الخطايا وهو عام فى كل من اتصف بذلك فيتناول اليهود تناولا أوليا (قد يئسوا) اى تحققوا
عدم الرجاء (من الآخرة) اى من ثوابها مع ايقانهم بها لعنادهم النبى صلى الله عليه وسلم مع
علمهم أنه الرسول المبعوث فى التوراة (كما يئس الكفار من اصحاب القبور) اى من موتاهم
أن يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان الكفار اى كما يئس الكفار الذين

قبروا

...نا وقيل انما اطلق
...على يوم القيامة
...ا لقوله تعالى وما

قدر وامن خير الآخرة اذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون اليه
من النار فيتبين لهم قبح حالهم وسوء منقلبهم وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى
الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة
حديث موضوع

سورة الصف مدنية

في قول الاكثرين وذكر النحاس عن ابن عباس انها مكية وهي أربع
عشرة آية وما ئتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف

(بسم الله) الملك الاعظم الذي لا كفء له (الرحمن) الذي عم بفضله كل أحد من خلقه
(الرحيم) الذي خص من شاء من عباده فهيأه لعبادته وأهله (سبح لله) أي اوقع التنزيه
الاعظم للملك الاعظم (ما في السموات) من جميع الاشياء من الملائكة وغيرها كالافلاك
والنجوم (وما في الارض) كذلك من الآدميين وغيرهم كالشجر والثمار وقيل اللام مزيدة
أي نزه الله وأتى بما دون من قال الجلال المحلي تغليبا للاكثر اه (فان قيل) ما الحكمة في انه
تعالى قال في بعض السور سبح لله بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع وفي بعضها
سبح بلفظ الامر (اجيب) بان الحكمة في ذلك تعليم العبد ان يسبح الله تعالى على الدوام
كما ان الماضي يدل عليه في الماضي من الزمان والمستقبل يدل عليه في المستقبل من الزمان
والامر يدل عليه في الحال (فان قيل) هلا قيل سبح لله السموات والارض وما فيهما وهو أكثر
مبالغة (أجيب) بان المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها وبالارض جهة السفل
فيشمل الارض وما فيها (وهو) أي وحده (العزيز) اى الغالب على غيره اى شئ كان ذلك الغير
ولا يمكن ان يغلب عليه غيره (الحكيم) اى الذي يضع الاشياء في اتقن مواضعها روى الدارمي
في مسنده قال أنبأنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله
ابن سلام قال قعدنا مع نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي
الاعمال أحب الى الله تعالى لعملناه فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو
العزيز الحكيم (يا أيها الذين آمنوا) أي ادعوا الايمان (لم تقولون ما لا تفعلون) حتى ختمها
قال عبد الله فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها قال أبو سلمة فقرأها علينا
عبد الله بن سلام حتى ختمها قال يحيى فقرأها علينا أبو سلمة فقرأها علينا أبو يحيى فقرأها
علينا الاوزاعي فقرأها علينا محمد فقرأها علينا الدارمي انتهى ولي بقراءتها اسناد متصل الى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن عباس قال عبد الله بن رواحة لو علمنا احب الاعمال
الى الله تعالى لعملناه فلما نزل الجهاد كرهوه وقال الكلبي قال المؤمنون يا رسول الله لو علمنا أحب
الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزل هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فمكثوا
زمانا يقولون لو نعلمها لاشتريناها بالاموال والانفس والاهلين فدلهم الله تعالى عليها بقوله
تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله الآية فابتلوا يوم أحد ففروا فنزلت هذه
الآية تعييرا لهم بترك الوفاء وقال محمد بن كعب لما أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم

أمر الساعة الا كلمح البصر فكأنه لقربه اشبه اليوم الذي يعقب

بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد
فعيرهم الله تعالى بذلك وقال قتادة والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وأبلينا ولم
يفعلوا وقيل قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب
أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله
صهيب قال كذلك يا أبا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وقال ابن زيد نزلت في المنافقين ونداؤهم
بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وكانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان خرجتم وقاتلتم
خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا وقال القرطبي هذه الآية توجب على
كل من الزم نفسه عملا فيه طاعة ان يفي به وفي صحيح مسلم عن أبي موسى أنه بعث الى قراء أهل
البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم
فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من قبلكم وانا كنا نقرأ
سورة فشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير اني قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان
من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب وكنا نقرأ سورة نشبهها باحدى
المسبحات فأنسيتها غير اني حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة
في أعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة قال ابن العربي وهذا كله ثابت في الدين لفظا ومعنى
في هذه السورة واما قوله شهادة في أعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة فمعنى ذلك ثابت في
الدين فان من التزم شيأ لزمه شرعا وقال القرطبي ثلاث آيات منعتني ان أقضي على الناس
أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وما أريد ان أخالفكم الى ما انهاكم عنه ويا أيها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت
ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت قلت من هؤلاء
يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤن كتاب الله ولا يعملون به
(تنبيه) قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون استفهام على وجه الانكار والتوبيخ على ان يقول
الانسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله اما في الماضي فيكون كذبا واما في المستقبل فيكون خلفا
وكلاهما مذموم قال الزمخشري لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها
غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما
والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا
والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن أسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع
ثلاثة أربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة اهـ ووقف البزي لمه بهاء السكت بخلاف
عنه (كبر) أي عظم وقوله تعالى (مقتا) تمييز والمقت أشد البغض وزاد في تشنيعه زيادة في التنفير
منه بقوله تعالى (عند الله) أي الملك الأعظم الذي يحتقر عنده كل متعاظم وقيل ان كبر من أمثلة
التعجب وقد عدها ابن عصفور في التعجب المبوب له في النحو فقال صيغة ما أفعله وأفعل به وفعل
نحو كرم الرجل والمعنى قال الزمخشري هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه قصد في كبر
التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب
السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله وقوله تعالى (ان تقولوا)

(قوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل) الآية إى لو جعلنا في جبل على تمييز

أي عظم من تلك الجهة ان يقع في وقت من الاوقات أو حال من الاحوال قولكم (ما لا تفعلون) فاعل كبر قال الرازي وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو ان في السورة التي قبلها بين الخروج الى الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته بقوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي وفي هذه السورة بين ما يحمل المؤمن ويحثه على الجهاد بقوله تعالى (ان الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (يحب) أي يفعل فعل المحب مع (الذين يقاتلون) أي يوقعون القتال (في سبيله) أي بسبب تسهيل طريقه الموصلة الى رضاه وقوله تعالى (صفا) حال أي مصطفين حتى كأنهم في اتحاد المراد على قلب واحد كما كانوا في التساوي في الاصطفاف كالبدن الواحد (كأنهم) من شدة التراص والمساواة بالصدور والمناكب والثبات في المركز (بنيان) وزاد في التأكيد بقوله تعالى (مرصوص) أي ملزوق بعضه الى بعض ثابت كثبوت البناء وقال ابن عباس يوضع الحجر على الحجر ثم يرص باحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسميه أهل مكة المرصوص وقال الرازي يجوز أن يكون المعنى على أن يستوي شأنهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص قال القرطبي استدل بعضهم بهذه الآية على ان قتال الراجل أفضل من قتال الفارس لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة قال المهدوي وذلك غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس من الاجر والغنيمة ولا يخرج [illegible] الآية لانه مقاد [illegible] [illegible] الصف [illegible] [illegible] من مضيق [illegible] الى [illegible] [illegible] أو كثيرة فيجوزا [illegible] القتال وبجوز المبارزة [illegible] وندب للقوي أذن له الامام أو [illegible] صلى الله عليه وسلم عليها [illegible] فهو [illegible] من [illegible] للقتال من العجز [illegible] فان طلبها كافر [illegible] للقوي [illegible] في خبر أبي داود ولانه في ترك [illegible] اضعاف [illegible] الا كرهت * [illegible] تعالى [illegible] قصة موسى وعيسى عليهما السلام تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم [illegible] على [illegible] فقصة موسى عليه السلام [illegible] فقال تعالى (واذ) أي واذكر [illegible] (قال موسى لقومه) أي بني اسرائيل وقوله (يا قوم) [illegible] [illegible] (لم تؤذونني) أي تجددون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (وقد) [illegible] [illegible] بالمعجزات والكتاب [illegible] [illegible] (اليكم) ورسوله [illegible] ويحترم [illegible] [illegible] [illegible] (فلما زاغوا) أي [illegible] عن الحق [illegible] وامر الله تعالى [illegible]

ساوى تقديرا كما في الانسان ثم أنزلنا عليه القرآن لتشقق خشية من الله

وقرأ حمزة بالامالة والباقون بالفتح (أزاغ الله) أى الملك الذى له الامر كله (قلوبهم) أى أمالها عن الهدى على وفق ما قدره فى الازل (والله) أى الذى له الحكمة البالغة لانه المستجمع لصفات الكمال (لا يهدى) أى بالتوفيق بعد هداية البيان (القوم الفاسقين) أى العريقين فى الفسق الذين لهم قوة المحاولة فلم يحملهم على الفسق ضعف فاحذروا ان تكونوا امثالهم فى العزائم فتساووهم فى عقوبات الجرائم وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان اذاهم يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى ثم ذكر القصة الثانية بقوله تعالى (واذ) أى واذكر يا أشرف المرسلين اذ (قال عيسى) ووصفه بقوله (ابن مريم) ليعلم أنه من غير أب وثبتت نبوته بالمعجزات (يا بنى اسرائيل) فذكرهم بما كان عليه أبوهم من الدين وما أوصى به بنيه من التمسك بالاسلام ولم يقل يا قوم كما قال موسى عليه السلام لانه لا أب له فيهم وان كانت أمه منهم فان النسب انما هو من جهة الاب وأكد لانكار بعضهم فقال (انى رسول الله) أى الملك الاعظم (اليكم) أى لا الى غيركم (مصدقا لما بين يدى) أى قبلى (من التوراة) التى تعلمون ان الله تعالى أنزلها على موسى عليه السلام وهى أول الكتب التى نزلت بعد الصحف وحكم بها النبيون فتصديقى لها مع تأييدى بها مؤيد لان ما أقف من الدلائل حق ومبين انها دليلى فيما أرسخه منها كما يستدل بما قدامه من الاعلام ويراعيه ببصره وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائى بالامالة محضة وقرأ حمزة ونافع بين بين بخلاف عنه عن قالون والباقون بالفتح (ومبشرا) فى حال تصديقى للتوراة (برسول) أى الى كل من شملته الربوبية (يأتى من بعدى) أى يصدق بالتوراة فكانه قبل ما اسمه قال (اسمه أحمد) والمعنى أرسلت اليكم فى حال تصديقى ما تقدمنى من التوراة وفى حال تبشيرى برسول يأتى من بعدى أى ان دينى التصديق بكتب الله تعالى وأنبيائه جميعا من تقدم وتأخر (فان قيل) بم انتصب مصدقا ومبشرا أبما فى الرسول من معنى الارسال أم باليكم (أجيب) بانه بمعنى الارسال لان اليكم صلة الرسول فلا يجوز ان تعمل شيأ لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن أين تعمل وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة [illegible] حكماء علماء أبرار أتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل وعن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء انا محمد وانا أحمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب الذى ليس بعدى نبى وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيما وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اسمى فى التوراة أحيد لانى أحيد أمتى عن النار واسمى فى الزبور الماحى محا الله بى عبدة الاوثان واسمى فى الانجيل احمد وفى القرآن محمد لانى محمود فى اهل السماء والارض بل ذكر بعض العلماء أن له ألف اسم قال البغوى والالف فى احمد للمبالغة فى الحمد وله وجهان احدهما انه مبالغة من الفاعل اى [illegible] الانبياء حمدا لله تعالى [illegible] والثانى انه [illegible] المفعول اى [illegible] [illegible]

وخوفا ان لا يؤدى حقه فى تعظيم القرآن والمقصود تنبيه الانسان على قسوة

أكثر مبالغة وأجمع للفضائل والمحاسن والأخلاق التي يحمد بها اهـ وعلى كلا الوجهين
منعه من الصرف للعلمية والوزن الغالب إلا أنه على الاحتمال الأول يمتنع معرفة وينصرف
نكرة وعلى الثاني يمتنع تعريفا وتنكيرا لأنه يخلف العلمية الصفة وإذا نكر بعد كونه علما
جرى فيه خلاف سيبويه والأخفش وهي مسألة مشهورة بين النحاة وأنشد حسان بمدحه
وصرفه

صلى الإله ومن يحف بعرشه * والطيبون على المبارك أحمد

أحمد بدل أو بيان المبارك وأما محمد فمنقول من صفة أيضا وهو في معنى محمود ولكن في معنى
المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة قال القرطبي كما أن المكرم من أكرم مرة
بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك واسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه قبل أن
يسمي به نفسه فهذا علم من أعلام نبوته وكان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا بما هدى
إليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي
اللفظ ثم إنه لم يكن محمدا حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم
الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه أحمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك أمة
أحمد فقال اللهم اجعلني من أمة محمد فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد لأن حمده لربه كان قبل
حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي
يفتحها عليه فيكون أحمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته [illegible] ذلك على [illegible] صلى الله
عليه وسلم [illegible] الأنبياء [illegible] هم [illegible] ابن كثير [illegible]
[illegible] (فلما جاءهم) [illegible]
الكفار واقتصر [illegible] ذلك الجلال [illegible] عيسى أي جاء بني إسرائيل (بالبينات)
أي من المعجزات الظاهرة التي لا يسع العاقل إلا التسليم لها ومن الكتاب المبين (قالوا) أي
عنادا [illegible] بغير [illegible] التأمل (هذا) أي المأتي به من البينات أو الآتي بها على القراءتين (سحر)
[illegible] (مبين) أي في غاية البيان في
[illegible]
[illegible] (ومن) أي
[illegible] أي [illegible] (الكذب) أي
[illegible]
[illegible]
[illegible] (والله [illegible] الأمر [illegible]
[illegible]
[illegible] (الظالمين) أي الذين [illegible] (يريدون) أي
[illegible] لرسالته بافترائهم (ليطفئوا) أي لأجل أن يطفئوا (نور الله) أي الملة التي
[illegible] (بأفواههم) أي [illegible] بالأفواه لأنه لا حقيقة لها [illegible]
[illegible]) * الإطفاء [illegible] في النار وفيما يجري مجراها من الضياء

قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن وإعراضه عن تدبر زواجره (قوله

والظهور ويفرق بين الاطفاء والاخماد من حيث ان الاطفاء يستعمل في القليل فيقال اطفأت السراج ولا يقال أخمدت السراج وفي هذه اللام أوجه أحدها أنها تعليلية كما مر ثانيها أنها مزيدة في مفعول الارادة وقال الزمخشري أصله يريدون أن يطفئوا كما في سورة التوبة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة توكيدا لها لما فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا أبا لك تأكيدا لمعنى الاضافة في لا أباك قال الماوردي وسبب نزول هذه الآية ما حكاه عطاء عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطأ عليه الوحي أربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر يهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم أمره فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية واتصل الوحي بعدها واختلف في المراد بالنور فقال ابن عباس هو القرآن أي يريدون ابطاله وتكذيبه وقال السدي الاسلام أي يريدون دفعه بالكلام وقال الضحاك انه محمد صلى الله عليه وسلم أي يريدون هلاكه بالاراجيف وقال ابن جريج حجج الله تعالى ودلائله يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم وقيل انه مثل مضروب أي من اراد اطفاء نور الشمس بفيه فوجده مستحيلا ممتنعا كذلك من أراد اطفاء الحق (والله) أي الذي لا مدافع له لتمام عظمته (متم نوره) فلا يضره ستر أحد له بتكذيبه ولا ارادة اطفائه وزاد ذلك بقوله تعالى (ولو كره) أي اتمامه (الكافرون) اي الراسخون في جهة الكفر المجتهدون في المحاماة عنه (هو) اي الذي ثبت أنه جامع لصفات الكمال والجلال وحده من غير ان يكون له شريك أو وزير (الذي أرسل رسوله) أي الحقيق بان يعظمه كل من بلغه أمره لان عظمته من عظمته ولم يذكر حرف الغاية اشارة الى عموم الارسال الى كل من شمله الملك كما مضى (بالهدى) أي البيان الشافي بالقرآن أو المعجزة (ودين الحق) أي والملة الحنيفية (ليظهره) أي يعليه مع الشهرة واذلال المنازع (على الدين) أي جنس الشريعة التي تجعل ليجازى من يسلكها ومن يزيغ عنها بما يشرع فيها من الاحكام (كله) فلا يبقى دين الا كان دونه وانمحق به وذل اهله ذلا لا يقاس به ذل (ولو كره) اي اظهاره (المشركون) أي المعاندون في كفرهم الراسخون في سلك المعاندة (فان قيل) قال أولا ولو كره الكافرون وقال ثانيا ولو كره المشركون فما الحكمة في ذلك (أجيب) بانه تعالى أرسل رسوله وهو من نعم الله تعالى والكافرون كلهم في كفران النعم سواء فلهذا قال ولو كره الكافرون لان لفظ الكافر أعم من لفظ المشرك فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون فلفظ الكافر اليق به واما قوله تعالى ولو كره المشركون فذلك عند انكارهم التوحيد واصرارهم عليه لانه صلى الله عليه وسلم في ابتداء الدعوة أمر بالتوحيد بلا اله الا الله فلم يقبلوها فلهذا قال ولو كره المشركون واختلف في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) اي اقروا بالايمان (هل أدلكم) أي وانا المحيط علما وقدرة فهو ايجاب في المعنى ذكر بلفظ الاستفهام تشريفا ليكون أوقع في النفس (على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) اي مؤلم فقال مقاتل نزلت في عثمان بن مظعون قال يا رسول الله لو أذنت لي طلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل أبدا ولا افطر بنهار ابدا فقال صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام انما رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله وخصاء امتي

الخالق البارئ) الخالق هو الذي يقدر ما يوجده والبارئ هو الذي يميز بعض المخلوقات عن

الصوم ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ومن سنتي أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان والله لوددت يا رسول الله أي التجارة أحب الى الله تعالى فأتجر فيها فنزلت وقيل ادلكم اي سادلكم والتجارة الجهاد قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية وهذا خطاب لجميع المؤمنين وقيل نزل هذا حين قالوا لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله تعالى لعملنا به قال البغوي وجعل هذا بمنزلة التجارة لانهم يربحون بها رضا الله تعالى ونيل جنته والنجاة من النار وقرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الجيم والباقون بسكون النون وتخفيف الجيم ثم بين سبحانه تلك التجارة بقوله تعالى (تؤمنون) أي تدومون على الايمان (بالله) أي الذي له جميع صفات الكمال وعلى هذا الاينافي ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا وقيل المراد من هذه الآية المنافقون وهم الذين آمنوا في الظاهر وقيل اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فانهم آمنوا بالكتب المتقدمة (ورسوله) الذي تصديقه آية الاذعان للعبودية (وتجاهدون) بيانا لصحة ايمانكم على سبيل التجديد والاستمرار (في سبيل الله) أي الملك الاعظم الذي لا أمر لغيره (بأموالكم وأنفسكم) وقدم الاموال لعزتها في ذلك الزمان ولانها قوام الانفس فمن بذل ماله كله لم يبخل بنفسه لان المال قوامها وقال القرطبي ذكر الاموال اولا لانها التي يبدأ بها في الانفاق (ذلكم) أي الامر العظيم من الايمان وتصديقه بالجهاد (خير لكم) أي من اموالكم وأنفسكم (ان كنتم تعلمون) أي ان كان يمكن ان يتجدد لكم علم في وقت فانتم تعلمون ان ذلك خير لكم فاذا علمتم أنه خير فبادروا اليه فكأنه لكم بامر عظيم وان كانت قلوبكم قد طمست طمسا لا رجاء لصلاحه فصلوا على أنفسكم صلاة الموت وقوله تعالى (يغفر لكم) فيه أوجه أحدها انه مجزوم على جواب الخبر بمعنى الامر أي آمنوا وجاهدوا والثاني أنه مجزوم في جواب الاستفهام كما قاله الفراء والثالث أنه مجزوم بشرط مقدر أي ان تؤمنوا يغفر لكم قال القرطبي وأدغم بعضهم فقرأ يغفر لكم والاحسن ترك الادغام فان الراء حرف متكرر قوي فلا يحسن الادغام في اللام لان الاقوى لا يدغم في الاضعف اهـ وتقدم في آخر سورة البقرة مثل ذلك للزمخشري والبيضاوي ورد عليهما (ذنوبكم) أي يمحو اعيانها وآثارها كلها (ويدخلكم) أي بعد التزكية بالمغفرة رحمة لكم (جنات) أي بساتين (تجري من تحتها) أي من تحت أشجارها وغرفها وكل منتزه فيها (الانهار) فهي لا تزال غضة زهراء ونبه بهذا الاسلوب على ذكر الانهار لاغنائها بما بعده عنه وبذل على الكثرة المفرطة في الدور بقوله في صيغة منتهى الجموع (ومساكن طيبة) روى الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن قوله تعالى ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا في كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله (في جنات عدن) أي بساتين هي أهل للاقامة بها لا يحتاج في اصلاحها الى شيء خارج يحتاج في تحصيله الى الخروج عنها قال حمزة الكرماني

بعض بالاشكال المختلفة وقيل الخالق المبدئ والبارئ المعيد

في كتابه بجوامع التفسير هي أي جنات عدن قصبة الجنان ومدينة الجنة أقربها الى العرش (ذلك) أي الامر العظيم جدا (الفوز العظيم) أي السعادة الدائمة الكبيرة واصل الفوز الظفر بالمطلوب * ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم في الآخرة بشرهم بنعمته في الدنيا بقوله تعالى (وأخرى تحبونها) أي ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة أخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وقوله تعالى (نصر من الله) أي الذي أحاطت عظمته بكل شئ خبر مبتدا مضمر أي تلك النعمة أو الخصلة الاخرى نصر من الله (وفتح قريب) أي غنيمة في عاجل الدنيا قيل فتح مكة قال الكلبي هو النصر على قريش وقال ابن عباس يريد فتح فارس والروم وقوله تعالى (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين آمنوا وبشر أو على يؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يا أشرف الرسل بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا) أي اقروا بذلك (كونوا) أي بغاية جهدكم (أنصار الله) أي لدينه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو انصارا بالتنوين وجر اللام من الاسم الجليل وتركه والباقون بغير تنوين وتفخيم اللام (كما) أي كونوا الاجل الى ندبتكم أنا بقولي من غير واسطة ولندبتكم بخطابي مثل ما كان الحواريون أنصار الله حين (قال عيسى ابن مريم) حين ارسلته الى بني اسرائيل ناسخا لشريعة موسى عليه السلام (للحواريين) اي خلص اصحابه وخاصته منهم (من انصاري الى الله) اي المحيط بكل شئ اي انصروا دين الله تعالى مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام من انصاري الى الله اي من ينصرني مع الله تعالى (قال الحواريون) معلمين انهم بادرون في ذلك الامر بدعائه لعلمهم ان اجابته اجابة الله تعالى لانه لا ينطق عن الهوى فليس كلامه الا من الله تعالى (نحن) اي بأجمعنا وكانوا اثنى عشر رجلا وهم اول من آمن بعيسى (أنصار الله) اي الملك الاعلى القادر على تمام نصرنا ولو كان عدونا كل اهل الارض * ولما كان التقدير ثم دعوا كل من خالفهم من بني اسرائيل وبارزهم تسبب عنه قوله تعالى (فآمنت) اي به (طائفة) اي ناس منهم اهل الاستدارة لما لهم من الكثرة (من بني اسرائيل) قومه (وكفرت طائفة) اي منهم واصل الطائفة القطعة من الشئ وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا) اي قوينا بعد رفع عيسى عليه السلام (الذين آمنوا) اي اقروا بالايمان الخالص (على عدوهم) اي الذين عادوهم لاجل ايمانهم (فأصبحوا) اي صاروا بعدما كانوا فيه من الذل (ظاهرين) اي عالين غالبين ناهرين في أقوالهم وافعالهم لا يخافون أحدا ولا يستخفون منه وروى المغيرة عن ابراهيم قال فاصبحت حجة من آمن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه ورسوله وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه ... موضوع

(سورة الممتحنة) (قوله تلقون اليهم بالمودة) بدأ هنا بتلقون وبعده بتسرون

سورة الجمعة مدنية

وهي احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا

روى مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب الاول من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله تعالى لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له وقال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى (بسم الله) الذي أحاط علمه بكل معلوم فتم بيانه (الرحمن) الذي تمت نعمة بيانه فهو العظيم شأنه (الرحيم) الذي خص حزبه بالتوفيق فثبت عندهم حبه وايمانه (يسبح) أي يوقع التنزيه الاعظم الانهى الاكمل (لله) أي الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلما (ما في السموات) أي من جميع الاشياء من الملائكة وغيرها كالافلاك والنجوم (وما في الارض) كذلك من الآدميين وغيرهم كالشجر والثمار وقيل اللام مزيدة أي ينزه الله واتى بما دون من قال الجلال المحلي تغليبا للاكثر ويحتمل ان يكون المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها او بالارض جهة السفل فيشمل الارض وما فيها (الملك) أي الذي ثبت له جميع الكمالات فهو ينصر من يشاء من جنده ولو كان ذليلا فيصبح ظاهرا (القدوس) أي المنزه عما لا يليق به وعن احاطة احد من الخلق بعلمه وادراك كنه ذاته فليس في ايدي الخلق الا التردد في شهود افعاله والتدبر لمفاهيم نعوته وجلاله وأحقهم بالقرب والسداد في حزبه المتخلق باوصافه على قدر اجتهاده فينبغي للمؤمن التنزه عن ان يقول ما لا يفعل او يدني شيأ من اموره على غير احكام (العزيز) اي الذي يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) أي الذي يوقع كل ما أراد في أحكم مواقعه واتمها واتقنها (هو) أي وحده (الذي بعث في الاميين) أي العرب لان أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن والامي من لا يقرأ ولا يكتب (رسولا منهم) أي من جملتهم أميا مثلهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وما من حي من العرب الا وله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه قال ابن اسحق الا بني تغلب فان الله تعالى طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم فلم يجعل لهم عليه ولادة وكان أميا لم يقرأ من كتاب ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم علمه الله ما لم يكن يعلم من غير تطلب فكانت آثار البشرية عنه مندرسة وانوار الحقائق عليه لائحة وذلك لئلا يتوهم الافتقار الى الاستعانة بالكتب لان مثلا كانه طال من بعث فيهم أقرب الى مساواتهم له لو أمكنهم فيكون معنى عدم امكان المساواة أدل على الاعجاز وبعثه الى العرب لا ينفي بعثه الى غيرهم لاجماع ما ورد فيه من صرائح الدلائل القطعية فذكر موضع البعث وابتداء فتكون الغاية مطابقة تقديرها الى عامة الخلق (يتلوا) أي يقرأ قراءة يتبع بعضها بعضا على وجه الكثرة والعلو والرفعة (عليهم) مع كونه أميا مثلهم (آياته) أي يأتيهم بها على سبيل التجدد والمواصلة وهي القرآن الذي أعجز الجن والانس ان يأتوا بسورة من مثله (ويزكيهم) أي يطهرهم من الشرك والاخلاق الرذيلة والعقائد الزائغة فكانت تزكيته لهم مدة حياته

تنبيها بالاول على دوام مودة الاعداء سرا وجهرا وبالثاني على تأكيد ذمها

بنظره الشريف اليهم وتعليمه لهم وتلاوته عليهم فربما نظر الى الانسان نظرة محبة فزكاه الله تعالى بها بحسب القابليات والامور التي قضى الله تعالى ان تكون مهيآت فكان له اعشق فكان لاتباعه ألزم فكان في كتاب الله وسنته أرسخ (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن المنزل عليه الجامع لكل خير دينى ودنيوى في الاولى والاخرى (والحكمة) وهي غاية الحكم للكتاب في قوة فهمه والعمل به فهي العمل المزين بالعلم المتقن به وقال الحسن الكتاب القرآن والحكمة السنة وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم والحكمة السنة لان الخط انما فشا في العرب بالشرع لما أمروا بالتقييد بالخط وقال مالك بن أنس الحكمة الفقه في الدين (وان) أي والحال أنهم (كانوا) أي كونا هو كالجبلة لهم (من قبل) أي قبل ارساله اليهم (لفي ضلال) أي بعد عن المقصود (مبين) أي ظاهر في نفسه مناد لغيره انه ضلال باعتقادهم الاباطيل الظاهرة وظنهم انهم على شيء وعموم الجهل لهم ورضاهم به واختيارهم له وقوله تعالى (وآخرين منهم) فيه وجهان أحدهما انه مجرور عطفا على الاميين أي وبعث في الآخرين من الاميين أي الموجودين والآتين منهم بعدهم (لما) أي لم (يلحقوا بهم) في السابقة والفضل والثاني انه منصوب عطفا على الضمير المنصوب في يعلمهم أي ويعلم آخرين لما يلحقوا بهم وسيلحقون وكل من تعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الزمان فرسول الله صلى الله عليه وسلم معلمه بالقوة لانه أصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم * (تنبيه) * الذين لم يلحقوا بهم هم الذين لم يكونوا في زمنهم وسيجيؤن بعدهم قال ابن عمر وسعيد بن جبير هم العجم وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال رجل من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجل من هؤلاء وفي رواية لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجال من فارس أو قال من أبناء فارس حتى يتناولوه وقال عكرمة هم التابعون وقال مجاهد هم الناس كلهم يعني من بعد العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد ومقاتل بن حيان هم من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وروى سهل بن سعد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في أصلاب أمتي رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال ابن عادل والقول الاول أثبت وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيتني أسقي غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا أولها يا أبا بكر قال يا نبي الله أما السود فالعرب وأما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذلك أولها الملك يعني جبريل عليه الصلاة والسلام رواه ابن ابي ليلى عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه (وهو) أي والحال انه وحده (العزيز) أي الذي يقدر على كل ما أراده ولا يغلبه شيء ويزكي من يشاء ويعلمه ما أراد من أي طائفة كان ولو كان أجهل أهل تلك الطائفة لان الاشياء كلها بيده (الحكيم) فهو اذا أراد شيأ موافقا الشرعه وأمره جعله على أتقن الوجوه وأوثقها فلا يستطاع نقضه وسهما أراده كيف كان فلا بد من انفاذه فلا يطاق رده بوجه * ولما كان

مر اوخص الاول بالعموم لتقدمه وباء بالمودة زائدة وقيل سببية والمفعول

هذا أمر باهر اعظمه بقوله تعالى على وجه الاستئثار من قدرته (ذلك) الامر العظيم الرتبة من تفضيل الرسول وقومه وجعلهم متبوعين بعد ان كان العرب اتباعا لاوزن لهم عند غيرهم من الطوائف (فضل الله) أى الذى له جميع صفات الكمال والفضل مالم يكن مستحقا بخلاف الفرض (يؤتيه من يشاء) قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقال الكلبي يعنى الاسلام فضل الله يؤتيه من يشاء وقال مقاتل يعنى الوحى والنبوة وقيل انه المال ينفق فى الطاعة لما روى أبو صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه ان فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك فقالوا يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أعلمكم شيأ تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة قال أبو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا من أهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل انه انقياد الناس الى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم ودخولهم فى دينه ونصرته (والله) الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلما (ذو الفضل العظيم) ولما تركت اليهود العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة) أى كلفوا وألزموا حمل الكتاب الذى آتاه الله تعالى لبنى اسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام بان علمهم اياها سبحانه وكلفهم حفظ ألفاظها عن التغيير والنسيان ومعانيها عن التحريف والتلبيس وحدودها وأحكامها عن الاهمال والتضييع (ثم لم يحملوها) أى بان حملوا ألفاظها ولم يعملوا بما فيها من الوصية باتباع عيسى عليه الصلاة والسلام اذا جاءهم ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا جاء فهى ضارة لهم بشهادتها عليهم فاذا لهم النار من غير نفع أصلا (كمثل) أى مثل مثل (الحمار) أى الذى هو أبلد الحيوان فهو مثل فى الغباوة حال كونه (يحمل أسفارا) أى كتبا كبارا من كتب العلم جمع سفر وهو الكتاب الكبير المسفر عما فيه فى عدم الانتفاع بها لانه يمشى ولا يدرى منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله ومثل ذلك قول الشاعر

زوامل للاسفار لا علم عندهم * بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا * باحماله أو راح ما فى الغرائر

من انشاد الشيخ ابن الخباز (بئس مثل القوم) أى الذين لهم قوة شديدة على محاولة ما يريدون (الذين كذبوا) أى عمدا على علم (بآيات الله) أى دلالات الملك الاعظم على رسله ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل (والله) أى الذى له جميع صفات الكمال (لا يهدى القوم) أى لا يخلق الهداية فى قلوب الذين تعمدوا الزيغ (الظالمين) أى الذين تعمدوا الظلم بمنابذة الهدى الذى هو البيان الذى لم يدع لبسا حتى صار الظلم لهم صفة راسخة * ولما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه نزل قوله تعالى (قل) أى

محذوف والتقدير لتقولن اليوم أخبار النبى صلى الله عليه وسلم بسبب المودة

يا أشرف الرسل (يا أيها الذين هادوا) أى تدينوا باليهودية (ان زعمتم) أى قلتم قولا هو معرض للتكذيب ولذلك أكده بقوله (انكم أولياء لله) أى الملك الاعلى الذى لا أمر لاحد معه خصكم بذلك خصوصية مبتدأة (من دون) أى أدنى رتبة من رتب (الناس) فلم تنفذ الولاية وتلك الرتبة فى الدنيا الى أحد منهم غيركم بل خصكم بذلك عن كل من فيه أهلية الحركة لا سيما الاميين (فتمنوا الموت) واخبروا عن أنفسكم بذلك للنقلة من دار البلاء الى محل الكرامة والآلاء (ان كنتم) أى كونا راسخا (صادقين) أى عريقين عند أنفسكم فى الصدق فان من علامات المحبة الاشتياق الى المحبوب ومن المقطوع به ان من كان فى كدر وكان له ولى قد وعده عند الوصول اليه الراحة التى لا يشوبها كدر تمنى النقلة الى وليه روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم والذى نفسى بيده لا يقولها أحد منكم الا غص بريقه فلم يقلها منهم احد علما منهم بصدقه صلى الله عليه وسلم فلم يقولوا ولم يؤمنوا عنادا منهم ثم أخبر الله تعالى عنهم انهم لا يتمنونه فى المستقبل أيضا بقوله تعالى (ولا يتمنونه) أى فى المستقبل (أبدا بما قدمت أيديهم) أى بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصى التى أحاطت بهم فلم تدع لهم حظا فى الآخرة *(تنبيه)* قال تعالى هنا ولا يتمنونه وفى البقرة ولن يتمنوه قال الزمخشرى لا فرق بين لا ولن فى ان كل واحدة منهما نفى للمستقبل الا أن فى لن تأكيدا وتشديدا ليس فى لا فاتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه قال أبو حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو أن لن تقتضى النفى على التأبيد الى مذهب الجماعة وهى انها لا تقتضيه قال بعضهم وليس فيه رجوع غاية ما فيه انه سكت عنه وتشريكه بين لا ولن فى نفى المستقبل لا ينفى اختصاص لن بمعنى آخر اهـ وبعد مراتب الولاية الى القول بان الجنة لا يلزم منها الا اختصاص النعيم بدليل ان الدنيا ليست خالصة للاولياء المتقين لى الولاية ... بل كونها (والله) أى الذى له الاحاطة بكل شئ قدرة وعلما (عليم) بالذات ... هكذا كان الاصل ولكنه تعالى قال (بالظالمين) تعميما وتعليقا بالوصف لا بالذات ... انه عالم بكل ... الراسخين فيه منهم ومن غيرهم فهو مجازيهم على ظلمهم (قل) أى لهؤلاء يا أشرف الرسل (ان الموت الذى تفرون منه) بالكف عن التمنى (فانه ملاقيكم) أى لا تفوتونه لاحق بكم *(تنبيه)* فى هذه الفاء وجهان أحدهما انها دخلت لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول فى ذلك قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق وههنا قال فانه ملاقيكم لما فى معنى الذى من الشرط والجزاء أى ان فررتم منه فانه ملاقيكم ويكون مبالغة فى الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه الثانى انها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور ولما كان المكث فى البرزخ أمرا لابد منه ولا بد عليه وعلى طوله بأداة التراخى فقال تعالى (ثم تردون الى عالم الغيب) اى السر (والشهادة) اى العلانية أو كل ما غاب عن الخلق وكل ما شوهد (فينبئكم) اى يخبركم اخبارا عظيما مستقصى مستوفى (بما كنتم) أى بما هو لكم كالجبلة (تعملون) اى بكل جزء منه مما برز الى الخارج وبما كان فى جبلاتكم ولو بقيتم لفعلتموه ويجازيكم (يا أيها الذين آمنوا) اى اقروا بالسنتهم بالايمان (اذا نودى) اى من اى مناد كان من اهل النداء (للصلاة) اى صلاة الجمعة (من) اى فى (يوم الجمعة) ... ماذا اختلفوا ... الارض اى

(قوله اى بينكم وبينهم) قاله ... قد كانت لكم أسوة) ... مناسبا تأنيث الفعل مع الفاصل

فى الارض والمواديم ذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن فى عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر
أذن بلال وعن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثانى
على الدور زاد فى رواية فثبت الامر على ذلك وعن أبى داود قال كان يؤذن بين يدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا جلس يوم الجمعة على المنبر على باب المسجد وروى انه كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل أقام
الصلاة ثم كان أبو بكر وعمر وعلى بالكوفة على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت
المنازل زاد أذانا آخر فامر بالتأذين الاول على داره التى تسمى زوراء فاذا سمعوا أقبلوا حتى
اذا جلس عثمان على المنبر أذن الاذان الثانى الذى كان على زمن النبى صلى الله عليه وسلم فاذا
نزل أقام الصلاة فلم يعب ذلك عليه لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتى وسنة الخلفاء
الراشدين من بعدى قال الماوردى أما الاذان الاول فمحدث فعله عثمان بن عفان ليتأهب
الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها وكان عمر أمر أن يؤذن فى السوق قبل
المسجد ليقوم الناس عن سوقهم فاذا اجتمعوا أذن فى المسجد فجعله عثمان أذانين فى المسجد
قال ابن العربى وفى الحديث الصحيح ان الاذان كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
واحدا فلما كان زمن عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء وسماه فى الحديث ثالثا لانه اضافه
الى الاقامة كقوله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة لمن شاء يعنى الاذان والاقامة ويتوهم
بعض الناس انه أذان اصلى فجعلوا المؤذنين ثلاثة قال ابن عادل فكان وهما ثم جمعوهم فى
وقت واحد فكان وهما على وهم واختلفوا فى تسمية هذا اليوم جمعة فمنهم من قال لان الله
تعالى جمع فيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام روى مالك عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وفيه
أهبط وفيه مات وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وروى أنه
صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبريل وفى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك
لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد
ومنهم من قال لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات ومنهم من قال
لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل أول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤى قال أبو سلمة
أول من قال أما بعد كعب بن لؤى وكان أول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة
وعن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان
تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وقيل ان الانصار قالوا اليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة
أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى فيه ونصلى فقالوا يوم
السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى
بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه ثم أنزل الله تعالى آية الجمعة فهى
أول جمعة كانت فى الاسلام وروى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب انه كان

اقربه وان جاز التذكير
واعاده فى قوله اقد كان
لكم فيهم أسوة بتذكيره

اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة فقلت له اذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة قال لانه أول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعين أخرجه أبو داود وأما أول جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه فقال أهل السير لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحى ومن تلك السنة يعد التاريخ فأقام بها الى يوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهي أول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفر به وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا أوصيكم بتقوى الله فان خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل بها على وجل ومخافة من ربه عنوان صدق على ما تبغون من الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وهو الذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم في كتابه وأوضح لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين وأحسنوا كما أحسن الله اليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فأكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال بعضهم قد أبطل الله تعالى قول اليهود في ثلاث افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم الله بالحمار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله تعالى لهم يوم الجمعة * (تنبيه) * سمى الله تعالى الخطبة ذكرا له قال أبو حنيفة ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان انه صعد المنبر فقال الحمد لله فارتج عليه فقال ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال

قوله أربعين كذا بالاصل الطبع وفي نسخة خط واخرى كذلك من أبي داود أربعون اهـ مصححه

مع الفاصل اكثر منه وان جاز التأنيث وانما كرر ذلك لان الاول في القول

وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه أحد وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة ولها أركان وشروط مذكورة في الفقه (فان قيل) كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله (أجيب) بان ما كان من ذكر رسوله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله وأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحق بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل فان المنصت للخطبة اذا قال لصاحبه صه فقد لغا أفلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ومن نكد الايام وقد خاطب الله تعالى المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يا أيها الذين آمنوا ثم خصه بالنداء وان كان قد دخل في عموم قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة ليدل على وجوبه وتأكد فرضه وقال بعض العلماء كون الصلاة الجمعة ههنا معلوم بالاجماع لا من نفس اللفظ وقال ابن العربي وعندي انه معلوم من نفس اللفظ بنكتة وهي قوله تعالى من يوم الجمعة وذلك يفيده لان النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة وأما غيرها فهو عام في سائر الايام ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان لتخصيصه بها واضافته اليها معنى فلا فائدة فيه واختلف في معنى قوله تعالى (فاسعوا) أي لتكونوا أولياء الله ولا تتهاونوا في ذلك فقال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية وقال الجمهور السعي العمل لقوله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله تعالى ان سعيكم لشتى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وعن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أتيت الصلاة فلا تأتوها وانتم تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا واختلفوا أيضا في معنى قوله تعالى (الى ذكر الله) أي الملك الاعظم فقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام وقال غيره الخطبة والصلاة المذكرة بالملك الاعظم الذي من انقطع عن خدمته هلك * ولما أمر بالمبادرة الى تجارة الآخرة قال تعالى ناهيا عن تجارة الدنيا التي تعوق عن الجمعة (وذروا البيع) أي اتركوا البيع والشراء لان اسم البيع يتناولهما جميعا وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء وانما خص البيع من بين الامور الشاغلة عن ذكر الله تعالى لان يوم الجمعة يوم تهبط الناس فيه من بواديهم وقراهم وينصبون الى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة للذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله (ذلكم) أي الامر العالي الذي مر من السعي وترك الاشتغال بالدنيا (خير لكم) لان الامر الذي أمرتم به الذي هو امر كاف وهو يريد تطهيركم في دياناتكم وأبدانكم وأموالكم ويريد اسعادكم واشقاؤكم (فان قيل) اذا كان البيع في هذا الوقت محرما فهل هو فاسد (أجيب) بان عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الارض

والثانى فى الفعل وقيل الاول فى ابراهيم والثانى فى محمد صلى الله عليه

المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد وزاد في الحث على ذلك بقوله تعالى (ان كنتم) أي بما هو لكم كالجبلة (تعلمون) أي يتجدد لكم علم في يوم من الايام فانتم ترون ذلك خيرا فاذا علمتموه خيرا أقبلتم عليه فكان ذلك خيرا لكم وصلاة الجمعة فرض عين تجب على كل من جمع الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورة والاقامة اذا لم يكن له عذر مما ذكره الفقهاء ومن تركها استحق الوعيد قال صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله تعالى على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله تعالى على قلبه قال ابن عادل ونقل عن بعض الشافعية ان الجمعة فرض على الكفاية أما من به عذر يتعذر به في ترك الجماعة مما يتصور هنا فلا تجب عليه وتجب على أعمى وجد قائدا وشيخ هرم وزمن وجد امركبا لا يشق ركوبه عليهما واختلف أهل العلم في موضع اقامة الجمعة وفي العدد الذي تنعقد به الجمعة وفي المسافة التي يجب أن يؤتى منها فذهب قوم الى أن كل قرية اجتمع فيها أربعون رجلا بالصفة المتقدمة تجب عليهم اقامة الجمعة فيها وهو قول عبد الله بن عمر وعمر ابن عبد العزيز وبه قال الشافعي وأحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلا على هذه الصفة وشرط عمر بن عبد العزيز مع الاربعين ان يكون فيهم وال وعند أبي حنيفة تنعقد بأربعة والوالي شرط ولا تقام عنده الا في مصر جامع وقال الاوزاعي وأبو يوسف تنعقد بثلاثة ان كان فيهم وال وقال الحسن وأبو ثور تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا تجب الجمعة على أهل البوادي الا اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي وأحمد واسحق والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت في وقت تكون الاصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال أبو حنيفة لا جمعة على أهل السواد سواء كانت القرية قريبة أم بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روى البخاري عن ابن عباس أن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين ولابي داود نحوه وفيه بجواثى قرية من قرى البحرين * (تنبيه) * فضل يوم الجمعة مشهور وأحاديثه كثيرة مشهورة تقدم بعضها ومنها ان الله يعتق في كل جمعة ستمائة عتيق من النار وعن كعب ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم قال الزمخشري وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل أول بدعة أحدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه ويقول أراك

(قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) مستثنى من قوله

رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة أي مثل غسلها ثم راح في الساعة الاولى كأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وروى النسائي في الخامسة كالذي يهدي عصفورا وفي السادسة بيضة فمن جاء في اول ساعة منها ومن جاء في آخرها اشتركا في تحصيل البدنة مثلا لكن بدنة الاول أكمل من بدنة الآخر وبدنة المتوسط متوسطة وهذا في حق غير الامام أما هو فيسن له التأخير الى وقت الخطبة اتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ويسن اكثار الدعاء يومها وليلتها أما يومها فلرجاء أن يصادف ساعة الاجابة وهي ساعة خفية وارجاها من جلوس الخطيب الى آخر الصلاة كما في خبر مسلم قال النووي وأما خبر يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة فيه ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر فيحتمل ان هذه الساعة منتقلة تكون يوما في وقت ويوما في آخر كما هو المختار في ليلة القدر وأما ليلتها فبالقياس على يومها وقد قال الشافعي بلغني ان الدعاء يستجاب في ليلة الجمعة ويسن اكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في يومها وليلتها لخبر اكثروا علي من الصلاة ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا واكثار قراءة سورة الكهف يومها وليلتها لخبر من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق وخبر من قرأها يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين وفي هذا القدر كفاية ولما حث على الصلاة وارشد الى أن وقتها لا يصلح لطلب شئ غيرها بين لهم وقت المعاش بقوله تعالى (فاذا قضيت الصلوة) أي وقع الفراغ منها على أي وجه كان (فانتشروا) أي دبوا وتفرقوا مجتهدين (في الارض) أي جميعها للتجارة والتصرف في حوائجكم ان شئتم لا جناح عليكم ولا حرج رخصة من الله تعالى لكم (وابتغوا) أي اطلبوا الرزق (من فضل الله) أي الذي له كل شئ ولا شئ لغيره وهذا أمر اباحة كقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله تعالى وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم (واذكروا الله) أي [illegible] الأمر كله (كثيرا) أي بحيث لا تغفلون عنه بقلوبكم ولا بألسنتكم حتى [illegible] وتشتغل من الاذى وقت التلبس بالذكر [illegible] (لعلكم تفلحون) أي تفوزون بالجنة [illegible] وعن جابر [illegible] أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة فجاءت عير من الشام [illegible] حتى لم يبق [illegible] الا اثنا عشر رجلا وفي رواية أنا فيهم فنزل قوله تعالى (واذا رأوا تجارة) أي [illegible] (أو لهوا) أي ما يلهي عن كل نافع (انفضوا) أي نفروا متفرقين من العجلة (اليها) أي التجارة لانها مطلوبهم دون اللهو وأما المعطوف بأو [illegible] وقال الزمخشري

وقوله اسوة حسنة
وما املك لك من الله من
شئ ليس مستثنى وانما

تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وذكر الكلبي وغيره ان الذى قدم بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عن مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج اليه الناس من برودقيق وغيره فنزل عند أحجار الزيت وضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه فخرج الناس الا اثنى عشر رجلا وقيل احد عشر رجلا وقال ابن عباس فى رواية الكلبي لم يبق فى المسجد الا ثمانية رهط وقال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا اليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا اليه فلما لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى نارا وقال مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم المدينة لم يبق بالمدينة عاتق الا أتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وغيره فينزل عند أحجار الزيت وكانت فى سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فخرج اليه الناس ليتبايعوا منه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق فى المسجد الا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لرميت عليهم الحجارة من السماء وأنزل الله تعالى هذه الآية والمراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وقال علقمة سئل عبد الله أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا فقال أما تقرأ وتركوك قائما وعن جابر بن عبد الله قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة خطبتين قائما يفصل بينهما بجلوس وذكر أبو داود فى مراسيله السبب الذى ترخصوا لانفسهم فى ترك سماع الخطبة وقد كانوا خليقا لفضلهم أن لا يفعلوا فقال حدثنا محمد بن خالد قال حدثنا الوليد قال أخبرنى أبو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل ابن حيان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الجمعة قبل الخطبة كالعيدين حتى كان يوم جمعة والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل يقال له دحية بن خليفة قدم بتجارة وكان دحية اذا قدم تلقاه أهله بالدفوف فخرج الناس فلم يظنوا الا أنه ليس فى ترك الخطبة شئ فأنزل الله تعالى هذه الآية فقدم النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة الخطبة وأخر الصلاة وكان لا يخرج أحد لرعاف أو حدث بعد النهى حتى يستأذن النبى صلى الله عليه وسلم يشير اليه باصبعه التى تلى الابهام فيأذن له النبى صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده فكان فى المنافقين من تثقل عليه الخطبة والجلوس فى المسجد فكان اذا استأذن رجل من المسلمين قام المنافق الى جنبه مستترا به حتى يخرج فأنزل الله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الآية قال السهيلى وهذا الخبر وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يوجب أن يكون صحيحا وقال قتادة و بلغنا انهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة عير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم لقدوم دحية بتجارته

ذكر الكونه تمام قول ابراهيم عليه السلام كأنه قال انما استغفر

ونظرهم

ونظرهم الى العير وهى تمر اهو ولا فائدة فيه الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع على ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الاعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرته غلظ وكبر ونزل فيه من القرآن وتهجينه باسم اللهو ما نزل، قوله تعالى (وتركوك) أى تخطب حتى بقيت فى اثنى عشر رجلا قال جابر أنا أحدهم (قائما) جملة حالية من فاعل انفضوا وقد مر قدر ما يجزئ عند بعضهم *(تنبيه)* فى قوله تعالى قائما تنبيه على مشروعيته فى الخطبتين وهو من الشروط للقادر على القيام وأما أركانهما الخمسة حمد الله تعالى وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بلفظهما ووصية بتقوى الله وهذه الثلاثة فى كل من الخطبتين وقراءة آية مفهمة ولو فى احداهما والاولى أولى ودعاء للمؤمنين والمؤمنات فى ثانية ومن الشروط كونهما عربيتين وكونهما فى الوقت وولاء وطهر وستر كالصلاة (قل) يا أشرف الخلق للمؤمنين (ما عند الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال (خير) ما موصولة مبتدأ وخير خبرها (من اللهو ومن التجارة) والمعنى ما عند الله تعالى من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم وقيل ما عند الله من رزقكم الذى قسمه لكم خير مما اقتنصتموه من لهوكم وتجارتكم (والله) أى ذو الجلال والاكرام وحده (خير الرازقين) أى خير من رزق وأعطى فاطلبوا منه واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيرى الدنيا والآخرة وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الجمعة أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها فى أمصار المسلمين حديث موضوع

سورة المنافقين مدنية

(وهى احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وستة وسبعون حرفا)

(بسم الله) الذى له الاحاطة العظمى علما وقدرة (الرحمن) الذى ستر بعموم رحمته من أراد من عباده (الرحيم) الذى وفق أهل وده لما يحبه ويرضاه (اذا جاءك) يا أيها الرسول المبشر بك فى التوراة والانجيل وقرأ حمزة وابن ذكوان بالامالة [illegible] بالفتح واذا وقف حمزة سهل الهمزة مع المد والقصر وله أيضا ابدالها الفا مع المد والقصر (المنافقون) [illegible] فى وصف النفاق وهم عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه (قالوا) [illegible] تكذيب من يسمعهم لما عندهم من الارتياب (نشهد) [illegible] (انك لرسول الله) أى الذى [illegible] وخالفوا بقلوبهم وأفعالهم [illegible] (والله يعلم) [illegible] [illegible] بحسب اعتقاد المنافقين فقال تعالى [illegible] فالشهادة بذلك حق [illegible] قوله تعالى والله يشهد [illegible] لكاذبون [illegible] ان قولهم هذا كذب [illegible] الايهام (والله) أى المحيط بجميع صفات الكمال (يشهد) [illegible] بتطابق الظاهر والباطن (ان المنافقين) أى الراسخين فى وصف النفاق (لكاذبون)

اى فى اخبارهم عن انفسهم انهم يشهدون لان قلوبهم لا تطابق السنتهم فهم لا يعتقدون ذلك ومن شرط قول الحق ان يتصل ظاهره بباطنه وسره بعلانيته ومتى تخالف ذلك فهو كذب الا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه الله تعالى كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم (اتخذوا أيمانهم) اى كلها من شهادتهم وكل يمين سواها (جنة) اى سترة عن اموالهم ودمائهم روى البخارى عن زيد بن ارقم قال كنت مع عمى فسمعت عبد الله بن أبى ابن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمى فذكره عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن أبى وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبنى فأصابنى هم لم يصبنى مثله فجلست فى بيتى فأنزل الله عز وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك وروى الترمذى عن زيد بن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا اناس من الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقونا فيسبق الاعرابى أصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجىء أصحابه قال فأتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع الاعرابى خشبة فضرب بها رأس الانصارى فشجه فأتى عبد الله بن أبى رأس المنافقين فاخبره وكان من اصحابه فغضب عبد الله بن أبى ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعنى الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله اذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمدا بالطعام فليأكل هو ومن عنده ثم قال لاصحابه لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد وأنا ردف عمى فسمعت عبد الله بن أبى فاخبرت عمى فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبنى قال فجاء عمى الى فقال ما اردت الا ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك المنافقون قال فوقع على من جرائهم ما لم يقع على أحد قال فبينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قد خفقت رأسى من الهم اذ اتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك أذنى وضحك فى وجهى فما كان يسرنى ان لى بها الخلد فى الدنيا ثم ان أبا بكر لحقنى فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما قال لى شيئا الا أنه عرك اذنى وضحك فى وجهى فقال أبشر ثم لحقنى عمر فقلت له مثل قولى لابى بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وروى انه صلى الله عليه وسلم حين اتى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهنى حليف لعبد الله بن أبى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك

(سورة الصف)

(قوله وقد تعلمون انى رسول الله اليكم) فائدة ذكر قد التأكيد والتكثير

وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم وجوهنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك
يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم
أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا
ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو
حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين
فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعني
اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله
مهاجري فأمر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه وقال صلى الله
عليه وسلم لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب
ما قلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون
يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم وروى انه صلى
الله عليه وسلم قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك
قال لا فلما نزلت لحق صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان
الله قد صدقك وكذب المنافقين *(تنبيه)* سئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال الذي
يصف الايمان ولا يعمل به وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث
اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان وروى عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من
النفاق حتى يدعها اذا اؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وروى عن
الحسن انه ذكر هذا الحديث فقال ان بني يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا
فخانوا انما هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير لهم ان
يعتادوا هذه الخصال شفقة ان تفضي بهم الى النفاق وليس المعنى أن من بدرت منه هذه
الخصال من غير اختيار واعتياد انه منافق وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن اذا حدث صدق
واذا وعد نجز واذا ائتمن وفى والمعنى المؤمن الكامل (فصدوا) أي فتسبب لهم عن اتخاذهم هذا
ان أعرضوا بانفسهم ومنعوا غيرهم [illegible] وحرارة ما في الصدور [illegible] عن الاعراض (عن
سبيل الله) أي عن طريق الملك الاعظم الذي شرعه لعباده [illegible]
الى ذلك بخداعهم ومكرهم [illegible] (انهم ساء ما كانوا) أي جبلة
وطبعا (يعملون) أي يجددون عمله [illegible]
صلى الله عليه وسلم [illegible] عباده بالايمان [illegible] القلوب
فكيف باعظمها على قوله تعالى (ذلك) [illegible] (فان قيل)
ان المنافقين لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله تعالى آمنوا ثم كفروا (أجيب)
بثلاثة أوجه أحدها آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا ما يفعله من يدخل في الاسلام
ثم كفروا أي ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين [illegible] ما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقول محمد حقا

كان يكون للتعليل (قوله
ومبشرا برسول يأتي من
بعدي اسمه احمد) ان قلت

فنحن حيد وقولهم في غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم أى وظهر كفرهم بعد ان أسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني آمنوا أى نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام بقوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله انما نحن مستهزؤن وهذا اعلام من الله تعالى بان المنافقين كفار الثالث ان يراد ان ذلك فى قوم آمنوا ثم ارتدوا (فطبع) اى ختم (على قلوبهم) أى لاجل اجترائهم على ما هو أكبر الكبائر على وجه النفاق (فهم) أى فتسبب عن ذلك انهم (لا يفقهون) أى لا يقع لهم فقه فى شئ من الاشياء فهم لا يميزون صوابا من خطا ولا حقا من باطل (واذا رأيتهم) أى أيها الرسول على ما لك من الفطنة ونفوذ الفراسة أو أيها الرائي كائنا من كان بعين البصر (تعجبك أجسامهم) لضخامتها وصباحتها فان عنايتهم كلها باصلاح ظواهرهم وترفيه أنفسهم فهم أشباح وقوالب ليس وراءها ألباب وحقائق قال ابن عباس كان ابن أبي جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين فى مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم (وان يقولوا) أى يوجد منهم قول فى وقت من الاوقات (تسمع لقولهم) أى لفصاحته فيلتذ السمع ويروق الفكر (كأنهم) أى فى حسن ظواهرهم وخبث بواطنهم وفى عدم الانتفاع بهم فى شئ (خشب) جمع كثرة لخشبة وهو دليل على كثرتهم (مسندة) أى قد قطعت من مغارسها ... [illegible]

[illegible]

أى لعنهم الله وقال أبو مالك هى كلمة ذم وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله الله ما أشعره فيضعونه موضع التعجب (أنى) أى كيف ومن أى جهة (يؤفكون) اى يصرفهم عن قبح ماهم عليه صارف مّا كائناً ما كان ليرجعوا عماهم عليه وقال ابن عباس أنى يؤفكون أى يكذبون وقال مقاتل أى يعدلون عن الحق وقال الحسن يصرفون عن الرشد وقيل معناه كيف تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلائل وهو من الافك (واذا قيل لهم) أى من أى قائل كان (تعالوا) أى ارفعوا أنفسكم مجتهدين فى ذلك بالمجىء الى أشرف الخلق الذى لايزال مكانه عاليا العلو مكانته (يستغفر لكم) أى يطلب الغفران لاجلكم خاصة من أجل هذا الكذب أى الذى أنتم مصرون عليه (رسول الله) أى أقرب الخلق الى الملك الاعظم الذى لاشبيه لوجوده (لووا رؤسهم) أى فعلوا اللى بغاية الشدة والكثرة وهو الصرف الى جهة أخرى اعراضا وعتوا واظهارا للبغض والنفرة (ورأيتهم) أى بعين البصيرة (يصدون) أى يعرضون اعراضا قبيحا عما دعوا اليه مجددين لذلك كلما دعوا اليه والجملة فى موضع المفعول الثانى لرأيت (وهم مستكبرون) أى ثابتو الكبر عما دعوا اليه وعن احلال أنفسهم فى محل الاعتذار فهم لشدة غلظهم لايدركون قبح ماهم عليه ولايهتدون الى دوائه واذا أرشدهم غيرهم ونبههم لا ينتبهون فقد روى أنه لما نزل القرآن فيهم أتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا ويحكم افتضحتم وأهلكتم أنفسكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوبوا اليه من النفاق واسألوه أن يستغفر لكم فلووا رؤسهم أى حركوها اعراضا وإباء قاله ابن عباس وعنه انه كان لعبد الله بن أبى موقف فى كل سبت يحض على طاعة الله وطاعة رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليك غضبان فأته يستغفر لك فأبى وقال لا أذهب اليه وروى ان ابن أبى رأسهم لوى رأسه وقال لهم أشرتم على بالايمان فآمنت وأشرتم على بأن أعطى زكاة مالى ففعلت ولم يبق الا أن تأمرونى بالسجود لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا الآية ولم يلبث الا أياما قلائل حتى اشتكى ومات ولما كان صلى الله عليه وسلم يحب صلاحهم فهو يحب أن يستغفر لهم وربما ندبه الى ذلك بعض أقاربهم قال تعالى منبها على أنهم ليسوا أهلا للاستغفار لانهم لا يؤمنون (سواء عليهم أستغفرت لهم) استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل (أم لم تستغفر) الله (لهم) اى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم (لن يغفر الله) اى الملك الاعظم (لهم) لرسوخهم فى الكفر (ان الله) اى الذى له كمال الصفات (لا يهدى القوم) اى الناس الذين لهم قوة فى أنفسهم على ما يريدونه (الفاسقين) أى لانهم لاعذر لهم فى الاصرار على الفسق وهو المروق من حصن الاسلام بخرقه وهتكه مرة بعد مرة والتمرن عليه حتى استحكم فهم راسخون فى النفاق والخروج عن مظنة الاصلاح (هم) أى خاصة بخالص بواطنهم (الذين يقولون) أى أوجدوا هذا القول للانصار ولا يزالون يجددونه لانهم كانوا مربوطين بالاسباب محجوبين عن شهود التقدير (لا تنفقوا) اى أيها المخلصون فى النصرة (على من) اى الذين (عند رسول الله) أى الملك المحيط بكل شئ وهم فقراء المهاجرين (حتى ينفضوا) أى يتفرقوا فيذهب كل أحد منهم الى أهله وشغله الذى كان له قبل ذلك قال البقاعى وما درى الاجلاف أنهم لو فعلوا ذلك

خصه عليه وسلم (قلت) بالذكر لانه فى الانجيل مسمى بهذا الاسم ولان

أتاح الله تعالى غيرهم للانفاق أو أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فدعا فى الشئ اليسير فصار كثيرا أو كان بحيث لا ينفد أو اعطى كالاسير من طعام على كيفية لا ينفد معها كتمر أبي هريرة وشعير عائشة وعكة أم أيمن وغير ذلك كما روى غير مرة ولكن من يضلل الله فما له من هاد ولذلك عبر فى الرد عليهم بقوله تعالى (ولله) أى قالوا ذلك واستمروا على تجديد قوله والحال ان للملك الذى لا أمر لغيره (خزائن السموات) أى كلها (والارض) كذلك من الاشياء المعدومة لداخلة تحت مقدوره انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون ومن الاشياء التى أوجدها فهو يعطى من يشاء منها حتى مما فى أيديهم لا يقدر أحد على منع شئ من ذلك لا مما فى يده ولا مما فى يد غيره ونبه على سوء غباوتهم وأنهم تقيدوا بالوهم حتى سفلوا عن رتبة البهائم كما قال بعضهم ان كان محمد صادقا فنحن شر من البهائم بقوله تعالى (ولكن المنافقين) أى العريقين فى وصف النفاق (لا يفقهون) اى لا يتجدد لهم فهم أصلا كالبهائم بل هم أضل لان البهائم اذا رأت شيأ ينفعها تومه مكان طلبته مرة أخرى وهؤلاء رأوا غير مرة ما أخرج الله تعالى من خوارق البركات على يد رسوله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ذلك ودل على عدم نفعهم بقوله تعالى (يقولون) أى يوجدون هذا القول ويجددونه مؤكدين لاستشعارهم بان أكثر قومهم ينكره (لئن رجعنا) أى أيتها العصابة المنافقة (الى المدينة) اى من غزاتنا هذه وهى غزوة بنى المصطلق حى من هذيل خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل (ليخرجن الاعز) يعنون أنفسهم (منها) اى المدينة (الاذل) يعنون النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم كاذبون فى هذا لكونهم اعتقدوا أن الكثرة والشدة سابقتهم ان العزة لهم وانهم يقدرون على اخراج المؤمنين (ولله) أى والحال ان كل من له نوع بصيرة يعلم ان الملك الاعلى هو الذى له وحده (العزة) اى الغلبة كلها (ولرسوله) لان عزته من عزته (وللمؤمنين) فعزة الله قهره من دونه وكل من عداه دونه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله تعالى اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين) اى الذين استحكم فيهم مرض القلوب (لا يعلمون) أى لا يوجد لهم علم الآن ولا يتجدد فى حين من الاحيان فلذلك هم يقولون مثل هذا الخرافات روى انه لما نزلت هذه الآية جاء عبد الله والد عبد الله بن أبى ابن سلول الذى نزلت هذه الآيات بسببه كما مر الى أبيه وذلك فى غزوة المريسيع لبنى المصطلق فأخذ بزمام ناقته وقال أنت والله الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز فلما أراد أن يدخل المدينة عبد الله بن أبى اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وأنا الاذل فلم يزل حبيسا فى يده حتى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروى أنه قال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (فان قيل) ما الحكمة فى أنه تعالى ختم الآية الاولى بقوله تعالى لا يفقهون وختم الثانية

قوله فى السماء احد فذكر معه السماوى لانه احد ناس لربه لان جده لربه

عما يقضيه الله عليه يوم القيامة من المحامد قبل شفاعته لامته انى على

بقوله تعالى لا يعلمون (أجيب) بانه ليعلم بالاولى قلة كياستهم وفهمهم و بالثانية حماقتهم وجهلهم و يفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم أو من فقه يفقه كعظم يعظم فالاول لحصول الفقه بالتكلف والثانى لا بالتكلف فالاول علاجى والثانى مزاجى ثم نهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه بالمنافقين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) اى اقروا بالايمان وقالوا بهم مذعنة كظواهرهم (لا تلهكم) أى لا تشغلكم (أموالكم ولا أولادكم) سواء كان ذلك فى اصلاحها أو التمتع بها بحيث تغفلون (عن ذكر الله) أى الملك الاعظم حذر المؤمنين اخلاق المنافقين أى لا تشتغلوا بأموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا لاجل الشح باموالهم لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله تعالى عن ذكر الله قال الضحاك أى عن الصلوات الخمس نظيره قوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال الحسن عن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله تعالى وقيل عن الحج والزكاة وقيل عن قراءة القرآن وقيل عن ادامة الذكر وقيل هو خطاب للمنافقين أى آمنتم بالقول فآمنوا بالقلب * ولما كان التقدير فمن انتهى فهو من الفائزين عطف عليه قوله تعالى (ومن يفعل) أى يوقع فى زمن من الازمان على سبيل التجديد والاستمرار فعل (ذلك) أى الامر البعيد عن أفعال ذوى الهمم من الانقطاع الى الاشتغال بالفانى والاعراض عن الباقى فأولئك البعداء عن الخير (هم الخاسرون) أى العريقون فى الخسارة فى تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى حتى كأنهم مختصون بها دون الناس وذلك ضد ما أرادوا (وأنفقوا) أى ما أمرتم به من واجب أو مندوب كما قاله بعض المفسرين وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد زكاة الاموال وهو ظاهر الامر ثم ان الله تعالى زاد فى الترغيب بالرضا منهم باليسير بقوله تعالى (مما رزقناكم) أى بعظمتنا قال الزمخشرى من فى مما رزقناكم للتبعيض والمراد الانفاق الواجب اه ثم قال تعالى محذرا من الاغترار بالتسويف فى أوقات السلامة (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى يرى دلائله وأماراته وكل لحظة مرت فهى دلائله وأماراته قال القرطبى وهذا دليل على وجوب تعجيل اخراج الزكاة ولا يجوز تأخيرها أصلا أى بلا عذر وكذا سائر العبادات اذا دخل وقتها وقال الرازى والجملة فقوله تعالى لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله تنبيه على المحافظة على الذكر قبل الموت وقوله تعالى وأنفقوا مما رزقناكم تنبيه على التمسك بالطاعات [illegible] الى الله تعالى [illegible] عن ذلك بقوله تعالى (فيقول) أى سائلا فى الرجعة [illegible] قوله (رب لولا) اى هلا وهلا (أخرتنى) أى أخرت موتى الى الا (أجل) [illegible] (قريب) [illegible] [illegible] أجل قريب (فأصدق) أى للتزود فى سفرى هذا الطويل [illegible] رضى الله عنهما تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت [illegible] ما يمنع أحدكم اذا كان له مال أن يزكى [illegible] أن يحج [illegible] ربه الكرة فلا يعطاها [illegible] أنزلت فى مانعى الزكاة والله [illegible] أما تتق الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم به آيات [illegible] وهم المنافقون [illegible] وكذا عن الحسن ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج [illegible]

وقال الضحاك لا ينزل بأحد لم يحج ولم يؤد الزكاة الموت إلا سأل الرجعة وعن عكرمة نزلت
في أهل القبلة وقيل نزلت في المنافقين ولهذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال هذه
الآية تدل على أن القوم لم يكونوا من أهل التوحيد لأنه لا يتمنى الرجوع إلى الدنيا والتأخير
فيها أحد له عند الله تعالى خير في الآخرة أي إذا لم يكن بالصفة المتقدمة قال القرطبي إلا الشهيد
فإنه يتمنى الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة وقرأ (وأكون من الصالحين) أي
العريقين في هذا الوصف بالتدارك أبو عمرو بواو بعد الكاف ونصب النون عطفا على فأصدق
والباقون بحذف الواو لالتقاء الساكنين وبجزم النون واختلفت عبارات الناس في ذلك
فقال الزمخشري عطفا على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن وقال ابن عطية
عطفا على الموضع لأن التقدير إن أخرتني أصدق وأكن هذا مذهب أبي علي الفارسي وقال
القرطبي عطفا على موضع الفاء لأن قوله فأصدق لو لم تكن الفاء لكان مجزوما أي أصدق
ثم زجر تعالى في الحث على المبادرة بالطاعات قبل الفوات بقوله تعالى مؤكدا لأجل عظم الرجاء
من هذا المحتضر بالتأخير عاطفا على ما تقديره فلا يؤخره لأنه قضى بموته ما أراد (ولن يؤخر الله)
أي الملك الأعظم الذي لا كفء له فلا اعتراض عليه (نفسا) أي نفس كانت وحقق الأجل
بقوله تعالى (إذا جاء أجلها) أي وقت موتها الذي حده الله تعالى أي إذا لا يؤخر الله تعالى نفس
هذا القائل لأنها من جملة النفوس التي شملها النفي وقرأ قالون والبزي وأبو عمرو بإسقاط
الهمزة الأولى مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية بعد تحقيق الأولى ولهما
أيضا إبدالها ألفا والباقون بتحقيقهما (والله) أي الذي له الإحاطة الشاملة علما وقدرة
(خبير) أي بالغ الخبرة والعلم بظواهر الأمور وبواطنها (بما تعملون) أي توقعون عمله في الماضي والحال
والمآل [illegible] على [illegible] عمن مات وقال هذه
المقالة [illegible] وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله
عليه وسلم قال من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق حديث موضوع

سورة التغابن مدنية

في قول الأكثرين وقال الضحاك مكية وقال الكلبي مدنية ومكية وعن ابن عباس رضي الله
عنهما أن سورة التغابن نزلت بمكة إلا آيات منها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي
شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفاء أهله وولده فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا
إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم إلى آخر السورة وهي ثماني عشرة آية ومائتان وإحدى
وأربعون كلمة وألف وسبعون حرفا

(بسم الله) مالك الملك الذي لا كفء له ولا مثيل (الرحمن) الذي وسع الخلائق بره الجليل (الرحيم)
الذي خص من شاء [illegible] لعبادته (يسبح) أي يوقع التنزيه التام مع التجديد والاستمرار (لله)
[illegible] وقيل
[illegible] إلا كفء (لله) [illegible]
[illegible] أي [illegible] الكمال

هم الله تعالى على طلبه
صلى الله عليه وسلم
الشفاعة لهم (قوله ومن

كلها فالملك نزهه بجميع مخلوقاته وقدم الظرفين ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله تعالى وذلك بان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذا الحمد لان أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده (وهو على كل شئ قدير) أى وحده (الذى خلقكم) أى أنشأكم على ما أنتم عليه (فمنكم) أى فبعضكم أو فبعض منكم (كافر) اى عريق فى صفة الكفر (ومنكم مؤمن) أى راسخ فى الايمان فى حكم الله تعالى فى الازل قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا ويعيدهم فى القيامة مؤمنا وكافرا وروى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شيأ مما يكون فقال يولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت مؤمنا أى وسكت عن القسم الآخر وهو أن يولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت كافرا اكتفاء بالمقابل وقال ابن مسعود رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى فرعون فى بطن امه كافرا وخلق يحيى بن زكريا عليهما السلام فى بطن امه مؤمنا وفى الصحيح من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ... على اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع ... [illegible]

النار ... [illegible]

فيسبق عليه الكتاب ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

اظلم ممن افترى على الله الكذب) قاله هنا بتعريف الكذب اشارة

مؤمن في العلانية والسر كعمار وزيد وقال عطاء بن أبي رباح منكم كافر بالله مؤمن
بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب يعني في شأن الأنواء كما جاء في الحديث قال
القرطبي وقال الزجاج وهو أحسن الأقوال والذي عليه الأئمة ان الله خلق الكافر وكفره
فعل له وكسب واختيار وخلق المؤمن وايمانه فعل له وكسب واختيار وكسبه واختياره
بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله تعالى اراد ذلك منه وقدره
عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدره عليه وعلمه منه
ولا يجوز ان يوجد من كل منهما غير الذي قدره عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور عجز
ووجود خلاف المعلوم جهل فلا يليقان بالله تعالى قال البغوي وهذا طريق اهل السنة من
سلكه اصاب الحق وسلم من الجبر والقدر وقال الرازي فان قيل انه تعالى حكيم وقد سبق في علمه
انه تعالى اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر فاي حكمة دعت الى خلقهم فالجواب اذا علمنا انه تعالى
حكيم علمنا ان أفعاله كلها على وفق الحكمة فيكون خلقه تعالى هذه الطائفة على وفق
الحكمة ولا يلزم من عدم علمنا بذلك ان لا يكون كذلك بل اللازم ان يكون خلقهم على وفق
الحكمة (والله) أي الذي له الاحاطة الكاملة (بما تعملون) اي توقعون عمله كسبا (بصير)
أي بالغ العلم بذلك فهو الذي خلق جميع اعمالكم التي نسب كسبها اليكم وهو خالق جميع
الاستعدادات والصفات كما خلق الذوات خلافا للقدرية لانه لا يتصور ان يخلق الخالق ما لا يعلمه
ولو سئل الانسان كم مشى في يومه من خطوة لم يدر فكيف لو سئل اين موضع مشيه ومتى زمانه
فكيف وانه ليمشي اكثر مشيه وهو غافل عنه ومن جهل افعاله كما وكيفا واينا وغير ذلك لم
يكن خالقا لها بوجه * ولما ذكر المظروف ذكر ظرفه دالا على تمام احاطته بالبواطن والظواهر
بقوله تعالى (خلق السموات) اي على علوها وكبرها (والارض) على سعتها (بالحق) اي بالامر
الذي يطابقه الواقع لما أراد (وصوركم) اي آدم عليه السلام خلقه بيده كرامة له قال مقاتل
وقيل جميع الخلائق على صور لا توافق شيأ من صور العلويات ولا السفليات ولا فيها صور
توافق الاخرى من كل وجه (فاحسن صوركم) بجعلها احسن الحيوانات كلها كما هو مشاهد
بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته
ان خلقه منتصبا غير منكب كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم كما يأتي ان شاء الله
تعالى (فان قيل) قد يوجد في افراد هذا النوع من كل مشوه الخلقة سمج الصورة (اجيب)
بانه لا سماجة لان الحسن في المعاني وهو على طبقات ومراتب فانحطاط بعض الصور عن
مراتب ما فوقه لا يمنع حسنه فهو داخل في حيز الحسن غير خارج عن حده فقبح القبيح منه
انما هو بالنسبة الى احسن منه ولذا قال الحكماء شيآن لا غاية لهما الجمال والبيان فقدرة الله
سبحانه وتعالى لا تتناهى قال البقاعي فاياك ان تصغي لما وقع في كتب الغزالي انه ليس
في الامكان ابدع مما كان فان ذلك يفضي الى انه سبحانه لا يقدر أن يخلق احسن من هذا العالم
وهذا لا يقوله احد اهـ وهو لا ينقص مقدار الغزالي فان كل احد يؤخذ من كلامه ويرد عليه
كما قال الامام مالك وعزاه الغزالي نفسه الى ابن عباس رضي الله عنهما وقال الشافعي صنفت
هذه الكتب وما ألوت فيها جهدا واني لاعلم ان فيها الخطأ لان الله تعالى يقول ولو كان من عند

الى قول اليهود هذا مصر وقاله في مواضع مبين بتكثيره جريا على الاكثر

غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴿ ولما كان التقدير فكان منه سبحانه المبدأ عطف عليه
قوله تعالى (واليه) وحده (المصير) اي المرجع بعد البعث فيجازي كلا بعمله (يعلم) أي علمه
حاصل في الماضي والحال والمآل (ما) أي كل شئ (في السموات) أي كلها (والارض)
كذلك (ويعلم) أي على سبيل الاستمرار (ما تسرون) أي تخفون (وما تعلنون) أي
تظهرون من الكليات والجزئيات (والله) أي الذي له الاحاطة التامة (عليم) أي بالغ العلم
(بذات) أي صاحبة (الصدور) من الاسرار والخواطر التي لم تبرز في الخارج سواء كان
صاحب الصدر قد علمها أم لا وعلمه لكل ذلك على حد سواء لا تفاوت فيه بين علم الخفي وعلم
الجلي نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلم ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور
ان شيأ من الجزئيات والكليات غير خاف عليه ولا عازب عنه ولا يجترأ على شئ مما يخالف
رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن
كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته (ألم يأتكم)
أيها الناس ولا سيما الكفار (نبأ) أي خبر (الذين كفروا من قبل) كقوم نوح وهود وصالح
(فذاقوا) أي باشروا مباشرة الذائق (وبال أمرهم) أي ضرر كفرهم في الدنيا وأصله الثقل
ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل المطر الثقيل القطر (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم في
البرزخ ثم يوم القيامة التي هي موضع الفصل الاعظم (ذلك) أي الامر العظيم من الوبال الدال
قطعا على أن الكفر أبطل الباطل وأنه مما يغضب الخالق (بأنه) أي بسبب ان الشان العظيم
البالغ في الفظاعة (كانت تأتيهم) على عادة مستمرة (رسلهم) أي رسل الله الذين ارسلهم اليهم
(بالبينات) أي الحجج الظاهرات على الايمان (فقالوا) أي الكل لرسلهم منكرين غاية الانكار
تكبرا وقولهم (أبشر يهدوننا) يجوز أن يرتفع بشر على الفاعلية ويكون من الاشتغال
وهو الارجح لان الاداة تطلب الفعل ويجوز أن يكون مبتدأ وخبرا وجمع الضمير في يهدوننا
اذ البشر اسم جنس وقد يأتي الواحد بمعنى الجمع فيكون اسما للجنس وقد يأتي الجمع بمعنى الواحد
كقوله تعالى ما هذا بشرا فانكروا على الملك الاعظم ارساله لهم (فكفروا) أي بهذا القول
اذ قالوه استصغارا ولم يعلموا أن الله يبعث من يشاء الى عباده (وتولوا) عن الايمان (فان قيل)
قوله تعالى فكفروا وتولوا يفهم منه التولي فما الحاجة الى ذكره (أجيب) بانهم كفروا وقالوا
أبشر يهدوننا وهذا في معنى الانكار والاعراض بالكلية وهذا هو التولي فكأنهم كفروا
وقالوا قولا يدل على التولي فلهذا قال فكفروا وتولوا وقيل كفروا بالرسل وتولوا بالبرهان
وأعرضوا عن الايمان والموعظة ونبه بقوله تعالى (واستغنى الله) أي الملك الاعظم الذي لا أمر
لاحد معه على أن هذا انما هو لصالح الخلق فهو غني عن كل شئ (فان قيل) قوله تعالى وتولوا
واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا (أجيب) بان معناه
وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك (والله) أي
المستجمع لصفات الكمال (غني) عن خلقه (حميد) اي محمود في أفعاله (زعم الذين كفروا) أي
أوقعوا الستر لما دلت عليه العقول من وحدانية الله تعالى ولو على أدنى الوجوب وزعم قال
ابن عمر هي كنية الكذب وقال الزمخشري الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام

من استعمال المصدر منكرا
(قوله يريدون ليطفؤا نور
الله) اللام زائدة للتأكيد

قوله ولو على أدنى الوجوب
لعله الوجوه اه مصححه

زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا وفى حديث ابن
مسعود رضى الله عنه عند أبى داود بئس مطية الرجل زعموا (أن لن يبعثوا) أى من أى باعث
ما بوجه من الوجوه (قل) أى يا أشرف الرسل لهؤلاء البعداء (بلى) أى لتبعثن ثم أكد بصريح
القسم فقال (وربى) اى المحسن الى بالانتقام ممن كذب بى (لتبعثن) أى بأهون شئ وأيسر أمر
(ثم لتنبؤن) أى تخبرن اخبارا عظيما بما من يقيمه الله تعالى لاخباركم (بما عملتم) أى بأعمالكم
لتجزون عليها (وذلك) أى الامر العظيم عندكم من البعث والحساب (على الله) أى المحيط
بصفات الكمال وحده (يسير) اذ الاعادة أسهل من الابتداء (فان قيل) كيف يفيد القسم
فى اخباره عن البعث وهم قد أنكروا الرسالة (أجيب) بأنهم أنكروا الرسالة لكنهم يعتقدون
انه يعتقد ربه اعتقادا جازما فيعلمون أنه لا يقدم على القسم بربه الا وأن يكون الاخبار عنده
صدقا أظهر من الشمس فى اعتقاده ثم انه أكد الخبر باللام والنون فكأنه قسم بعد قسم
ثم انه تعالى لما أخبر عن البعث والاعتراف بالبعث من لوازم الايمان قال تعالى (فآمنوا بالله)
أى الملك الذى له الاحاطة الكاملة بكل شئ (ورسوله) أى كل من أرسله ولا سيما محمدا صلى الله
عليه وسلم (والنور) أى القرآن (الذى أنزلنا) أى بما لنا من العظمة لانه نور يهتدى به من
ظلمة الضلالة كما يهتدى بالنور فى الظلمات (فان قيل) هلا قيل ونوره بالاضافة كما قال ورسوله
(أجيب) بان الالف واللام فى النور بمعنى الاضافة فكأنه قال ورسوله ونوره (والله) اى
المحيط علما وقدرة (بما تعملون خبير) أى بالغ العلم بما تسرون وما تعلنون فراقبوه فى السر
والعلانية وقوله تعالى (يوم يجمعكم) منصوب بقوله تعالى لتنبؤن عند النحاس وبخبير عند
الحوفى لما فيه من معنى الوعيد كأنه قال والله يعاقبكم يوم يجمعكم وباذكر مضمرا عند
الزمخشرى فيكون مفعولا به أو بما دل عليه الكلام أى تتفاوتون يوم يجمعكم قاله أبو البقاء
(ليوم الجمع) أى لاجل ما يقع فى ذلك اليوم وهو يوم القيامة الذى يجمع الله تعالى فيه الاولين
والآخرين من الانس والجن وجميع أهل السماء والارض وقيل يوم يجمع الله بين كل عبد
وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبى وأمته وقيل يجمع فيه ثواب
أهل الطاعة وعقاب أهل المعاصى بل هو جامع لجميع ما ذكر (ذلك) أى اليوم العظيم
(يوم التغابن) والتغابن مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول
السعداء منازل الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء
التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن ولهذا قيل التفاعل
هنا من واحد لا من اثنين وفى الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء
ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وهو
معنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظاما له وأن تغابنه هو التغابن
فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا وان جلت وعظمت وذكر فى بعض التفاسير أن التغابن هو
أن يكتسب الرجل مالا من غير وجهه فيرثه غيره فيعمل فيه بطاعة الله فيدخل الاول النار
والثانى الجنة بذلك المال فذلك هو الغبن البين والمغابن ما انثنى من البدن نحو الابطين
والفخذين والمغابن من غبن فى أهله ومنازله فى الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان

فى مفعول يريد وأصله
يريدون أن يطفئوا كما فى
براءة أو تعليلية والمفعول

وغبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وبتضييعه الايام قال الزجاج ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة بالنسبة الى من هو أعلى منزلة منه (فان قيل) فأي معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها (اجيب) بانه تمثيل للغبن في الشراء والبيع كقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فلما ذكر أن الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا ذكر أيضا انهم غبنوا وذلك ان أهل الجنة اشتروا الآخرة بترك الدنيا واشترى أهل النار الدنيا بترك الآخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا وقد فرق الله تعالى الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا للنار وقال الحسن وقتادة بلغنا أن التغابن على ثلاثة أصناف رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به فشقي به ورجل علم علما وعمل به فنجا به ورجل اكتسب مالا من وجوه يسأل عنها وشح عليه وفرط في طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لا حساب عليه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان له عبد فعمل ذلك العبد بطاعة ربه فسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقي وروى القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقيم الرجل والمرأة يوم القيامة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا ما أنتما قائلان فيقول الرجل يارب أوجبت نفقتها علي فتنفقتها من حرام ومن حلال وهؤلاء الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي ما أوفي فتقول المرأة يارب وما عسى ان يقول اكتسبه حراما وأكلته حلالا وعصاك في مرضاتي ولم أرض له بذلك فبعدا له وسحقا فيقول الله تعالى قد صدقت فيؤمر به الى النار ويؤمر بها الى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة فتقول له غبناك غبناك سعدنا بما شقيت أنت به فذلك يوم التغابن وقال بعض علماء الصوفية ان الله تعالى كتب الغبن على الخلق أجمعين فلا يلقى احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصل له استيفاء الثواب قال صلى الله عليه وسلم لا يلقى الله احد الا نادما ان كان مسيئا أن لم يحسن وان كان محسنا أن لم يزدد * (تنبيه) * استدل بعض العلماء بقوله تعالى ذلك يوم التغابن انه لا يجوز الغبن في المعاملات الدنيوية لان الله تعالى خصص التغابن بيوم القيامة فقال تعالى ذلك يوم التغابن وهذا الاختصاص يفيد ان لا غبن في الدنيا فكل من اطلع على غبن في مبيع فانه مردود اذا زاد على الثلث واختاره البغداديون واحتجوا عليه بقوله صلى الله عليه وسلم لحبان بن منقذ اذا بايعت فقل لا خلابة ولك الخيار ثلاثا ولان الغبن في الدنيا ممنوع منه بالاجماع في حكم الدين اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا في كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه فمضى في البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع ابدا لانه لا يخلو منه فاذا كان كثيرا أمكن الاحتراز عنه فوجب الرد به والفرق بين القليل والكثير اصل في الشريعة معلوم فقدر بالثلث وهذا الحد اعتبره الشارع في الوصية وغيرها ويكون معنى الآية على هذا يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل او ذلك يوم التغابن الذي لا يستدرك ابدا (ومن يؤمن) اي يوقع الايمان ويجدده على سبيل الاستمرار (بالله) اي الملك الاعظم الذي لا كفء له (ويعمل) تصديقا لايمانه (صالحا) اي عملا هو مأذون فيه على التمام تحصيله لانه لا مثل له في جلب المصالح ودفع المضار (يكفر عنه سيئاته) التي غلبه عليها النقصان الطبع وتبع ذلك الحامل الآخر وهو التوجيه بجلب المسار لان الانسان يطير الى ربه سبحانه بجناحي الخوف والرجاء والرهبة والرغبة والنذارة والبشارة (ويدخله) اي رحمة له واكراما وفضلا

محذوف تقديره يريدون ابطال القران ليطفئوا (قوله بافواهكم) مجزوم جوابا

(جنات) اى بساتين ذات أشجار عظيمة وأغصان ظليلة تستر داخلها و رياض مديدة متنوعة الأزاهير عطرة النشر بهيج ريها وأشار الى دوام ريها بقوله تعالى (تجرى من تحتها) اى من تحت قصورها وأشجارها (الانهار) وقرأ نكفر عنه وندخله نافع وابن عامر بالنون فيهما اى نحن بما لنا من العظمة والباقون بالياء التحتية اى الله الواحد القهار (خالدين) أى مقدرين الخلود (فيها) وأكده بقوله (أبدا) فلا خروج لهم منها (ذلك) اى الامر العالى جدا من الغفران والاكرام (الفوز العظيم) لانه جامع لجميع المصالح ودفع المضار وجلب المسار ومن جملة ذلك النظر الى وجه الله الكريم ۞ ولما ذكر تعالى الفائز بلزومه التقوى ترغيبا اتبعه بضده ترهيبا فقال عز من قائل (والذين كفروا) أى غطوا أدلة ذلك اليوم فكانوا فى الظلام (وكذبوا) أى أوقعوا جميع التغطية وجميع التكذيب (بآياتنا) أى بسببها مع ما لها من العظمة باضافتها الينا وهى القرآن فلم يعملوا به (أولئك) اى البعداء البغضاء (اصحاب النار خالدين) أى مقدرين الخلود (فيها وبئس المصير) هى قال الرازى فان قيل قال تعالى فى حق المؤمنين ومن يؤمن بالله بلفظ المستقبل وفى الكفار قال والذين كفروا بلفظ الماضى فالجواب ان تقدير الكلام ومن يؤمن بالله من الذين كفروا وكذبوا بآياتنا يدخله جنات ومن لم يؤمن منهم اولئك اصحاب النار اه (فان قيل) قال تعالى يؤمن بلفظ الوحدان وخالدين فيها بلفظ الجمع (اجيب) بان ذلك بحسب اللفظ وهذا بحسب المعنى (فان قيل) ما الحكمة فى قوله تعالى وبئس المصير بعد قوله تعالى خالدين فيها وذلك بئس المصير (أجيب) بان ذلك وان كان فى معناه فهو تصريح بما يؤكده كما فى قوله ابدا (ما اصاب احدا (من مصيبة) اى مصيبة كانت دينية اودنيوية فى نفس اومال اوقول اوفعل تقتضى هما او توجب عقابا آجلا او عاجلا (الا باذن الله) اى بتقدير الملك الاعظم وقال الفراء يريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل سبب نزول هذه الآية ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله تعالى عن المصائب فى الدنيا فبين الله تعالى ان ما اصاب من مصيبة الا بقضائه وقدره (فان قيل) بم يتصل قوله تعالى ما أصاب من مصيبة الا باذن الله (أجيب) بانه يتعلق بقوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله كأن من يؤمن بالله يصدق بانه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله (ومن يؤمن بالله) اى يصدق بانه لا تصيبه مصيبة الا بقضاء الله الملك الاعظم وتقديره واذنه (يهد قلبه) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو أن يجعل فى قلبه اليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه اى فيسلم لقضاء الله وقدره وقال الكلبى هو اذا ابتلى صبر واذا أنعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقيل يهد قلبه الى نيل الثواب فى الجنة وقيل يثبته على الايمان وقال ابو عثمان الحيرى من صح ايمانه يهد الله قلبه لاتباع السنة وقيل يهد قلبه عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون قاله ابن جبير (والله) اى الملك الذى لا نظير له (بكل شئ) مطلقا من غير استثناء (عليم) فلا يخفى عليه تسليم من انقاد لامره فاذا تحقق من هدى قلبه ذلك ازاح عنه كل اعتقاد باطل من كفر أو بدعة اوصفة خبيثة (وأطيعوا الله) اى الملك الاعلى الذى له الامر كله (وأطيعوا الرسول) اى هونوا على أنفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله تعالى واعملوا بكتابه واطيعوا الرسول فى العمل بسنته (فان توليتم) اى عن الطاعة

للامر المأخوذ من تؤمنون او جوابا للاستفهام فى قوله هل أدلكم او مجزوم

(فانما

(فانما على رسولنا) أضافه اليه على وجه الكمال تعظيما له وتهديدا لمن يتولى عنه (البلاغ المبين) اى الظاهر فى نفسه المظهر لكل احد انه أوضح له غاية الايضاح ولم يدع لبسا وليس اليه خلق الهداية فى القلوب (الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال (لا اله الا هو) فهو القادر على خلق الهداية فى القلوب والاقبال بها لا يقدر على ذلك غيره (وعلى الله) اى الذى له الامر لا على غيره (فليتوكل المؤمنون) أى لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى ذلك وقال الزمخشرى هذا بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوى به فى أمره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم) أى وان أظهرن غاية المودة (وأولادكم) أى وان أظهروا غاية الشفقة (عدوا لكم) فقال ابن عباس نزلت بالمدينة فى عوف بن مالك الاشجعى شكا الى النبى صلى الله عليه وسلم جفاء أهله وولده فنزلت ذكره النحاس وحكاه الطبرى عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هؤلاء الآيات يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فانها نزلت فى عوف ابن مالك الاشجعى كان ذا أهل وولد وكان اذا أراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الآية الى آخر السورة بالمدينة وروى الترمذى عن ابن عباس وسئل عن هذه الآية قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فلما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد تفقهوا فى الدين فهموا أن يعاقبوهم فانزل الله تعالى هذه الآية حديث حسن صحيح وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قعد لابن آدم فى طريق الايمان فقال له أتؤمن وتذر دينك ودين آبائك فخالفه فآمن ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له أتهاجر وتترك أهلك ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له أتجاهد فتقتل نفسك فتنكح نساؤك ويقسم مالك فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله أن يدخله الجنة وقعود الشيطان يكون بوجهين أحدهما يكون بالوسوسة والثانى أن يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وفى حكمة عيسى عليه الصلاة والسلام من اتخذ أهلا ومالا وولدا كان فى الدنيا عبدا وقال عليه الصلاة والسلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة ولا دناءة اعظم من دناءة الدينار والدرهم ولا أخس من همة ترتفع بثوب جديد ويدخل فى قوله تعالى ان من أزواجكم الذكر والانثى فكما أن الرجل تكون زوجته عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها بهذا المعنى (فاحذروهم) أى أن تطيعوهم فى التخلف عن الخير ولا تأمنوا غوائلهم (وان تعفوا) أى توقعوا المجاوزة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها فانه لا فائدة فى ذلك فان من طبع على شئ لا يرجع عنه وانما النافع الحذر الذى ارشد اليه تعالى لئلا يكون سببا للذم المنهى عنه (وتصفحوا) أى بالاعراض عن المقابلة بالتثريب باللسان (وتغفروا) أى بان تستروا ذنوبهم سترا تاما شاملا للعين والاثر بالتجاوز (فان الله) أى الجامع لصفات الكمال (غفور) أى بالغ المحو لاعيان الذنوب وآثارها جزاء لكم على غفرانكم لهم وهو جدير بان يصلحهم لكم بسبب غفرانكم (رحيم) فيكرمكم بعد ذلك الستر بالانعام

بشرط مقدر اى ان تؤمنوا يغفر لكم (قوله كونوا أنصار الله كما قال عيسى

فقطلة وابا خلاقه تعالى يزدكم من فضله (انما أموالكم) اى عامة (واولادكم) كذلك (فتنة) أى اختبار من الله تعالى لكم وهو اعلم بما فى نفوسكم منكم لكن ليظهر فى عالم الشهادة من يميل ذلك فيكون عليه نقمة ومن لا يميل فيكون عليه نعمة فربما رام الانسان صلاح ماله وولده وبالغ فافسد نفسه ثم لا يصلح ذلك ماله ولا ولده روى ابو نعيم فى الحلية فى ترجمة سفيان الثورى رضى الله عنه أنه قال يؤتى برجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات ويكفى فى فتنة المال قصة ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه قوله تعالى ومنهم من عاهد الله وعن ابن مسعود لا يقول أحدكم اللهم اعصمنى من الفتنة فانه [illegible] منكم يرجع الى مال ولا ولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم انى أعوذ بك [illegible] الفتن [illegible] فى [illegible] ان من أزواجكم واولادكم أدخل من للتبعيض [illegible] قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة لانهما لا يخلوان [illegible] الترمذى وغيره عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال [illegible] الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وعليهما [illegible] صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ثم [illegible] صدق الله [illegible] انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان [illegible] حتى قطعت حديثى ورفعتهما ثم أخذ فى خطبته * (تنبيه) * قدم الاموال على [illegible] فتنة [illegible] لازواج فى العتبة قال البقاعى لان منهن من يكون [illegible] الآخرة (والله) أى ذو الجلال (عنده) وناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله [illegible] قوله تعالى (فاتقوا الله) اى [illegible] باوامره التى امره بها وقوله تعالى [illegible] ما استطعتم أى جهدكم ووسعكم ناسخ لقوله تعالى اتقوا الله [illegible] الطبرى عن ابن زيد فى قوله تعالى يا ايها [illegible] يعرف قدر هذا و [illegible] الا الله [illegible] الآخرى فقال فاتقوا الله ما استطعتم وقال [illegible] فيجاهد واقيه حق جهاده ولا تأخذهم [illegible] انفسهم و [illegible] (فان قيل) اذا كانت [illegible] حق تقاته مطلقا من غير [illegible] بشرط الاستطاعة (اجيب) بأن قوله تعالى اتقوا [illegible] من اموالكم [illegible] عليكم من الهجرة من ارض الكفر الى [illegible] ان الله تعالى قد عذر من لم يقدر على [illegible] الملائكة ظالمى انفسهم الى قوله تعالى فأولئك [illegible] لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا بالآثام [illegible] لمن استطاع منهم الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام [illegible] ان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم

[illegible]

فقيب

عقب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ولا خلاف بين علماء التأويل في ان هذه الآيات نزلت بسبب قوم كفار تأخروا عن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك كما تقدم وهذا اختيار الطبري وقال ابن جبير قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم اي فيما تطوع به من نافلة او صدقة فانه لما نزل قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته اشتدت على اقوام فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وقرحت جباههم فانزل الله تعالى تخفيفا فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى قال الماوردي ويحتمل ان يثبت هذا النقل لان المكره على المعصية غير مؤاخذ لانه لا يستطيع اتقاءها (واسمعوا) اي سماع اذعان وتسليم لما توعظون به وجميع اوامره (واطيعوا) اي وصدقوا ذلك الاذعان بمباشرة الافعال الظاهرة في الاسلاميات من القيام بامر الله تعالى والشفقة على خلق الله في كل امر ونهي على حسب الطاقة وحذف المتعلق ليصدق الامر بكل طاعة (وانفقوا) اي اوقعوا الانفاق كما حدّ لكم فيما اوجب او ندب اليه والانفاق لا يخص نوعا بل يكون بكل ما رزق الله من الذاتي والخارجي وقوله تعالى (خيرا لانفسكم) فيه اوجه احدها قال سيبويه انه مفعول بفعل مقدر دل عليه وانفقوا تقديره قدموا خيرا لانفسكم كقوله تعالى انتهوا خيرا لكم الثاني تقديره يكن الانفاق خيرا فهو خبر كان المضمرة وهو قول ابي عبيدة الثالث انه نعت مصدر محذوف وهو قول الكسائي [illegible] لانفسكم فان الله يعطي خيرا منه في الدنيا [illegible] ويدخر [illegible] الآخرة مما لا يدري كنهه فلا يغرنكم عاجل شيء [illegible] من الخير عم في جميع الاوامر بقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه) [illegible] وثقا به مطمئنا اليه حتى يرتفع عن قلبه الاخطار [illegible] المكونات [illegible] باطني هو الداء العضال والبخل فعل ظاهر ينشأ عن الشح والنفس تارة تشح بترك الشهوات [illegible] المعاصي فتفعلها وتارة باعطاء الاعضاء في الطاعات فتتركها وتارة بانفاق المال [illegible] ما فرض عليه خرج من الشح ☼ ولما كان الواقي هو الله تعالى [illegible] (فاولئك) [illegible] رتبة (هم المفلحون) اي الفائزون [illegible] بجميع المرادات [illegible] الله فيه ثم رغب في الانفاق بقوله تعالى (ان تقرضوا الله) [illegible] الحائز لجميع صفات الكمال (قرضا حسنا) والقرض الحسن [illegible] النفس مع الاخلاص والمبادرة (يضاعفه لكم) اي لا يجعلكم [illegible] عشر الى ما لا يتناهى على حسب النيات [illegible] بذل اموالهم وعلى نفقتها في اخلاء [illegible] مراد انفسهم [illegible] في نفسك وقلبك ووقتك ☼ ولما كان [illegible] به لان الدين وان كان يسيرا فهو متين [illegible] (ويغفر لكم) اي يوقع الغفران وهو محو ما فرط عينه واثره (والله) اي الذي له تمام العظمة [illegible] الشكر لمن يعطي لاجله ولو كان قليلا فيثيبه ثواب جزيلا خارجا عن الحصر [illegible]

ال لام من انصاري الى الله وايس [illegible] (ثلاث) التشبيه محمول على المعنى

(حليم) فلا يعجل بالعقوبة على ذنب من الذنوب وان عظم بل يمهل طويلا لينذكر العبد الاحسان مع العصيان فيتوب ولا يهمل ولا يغتر بحلمه فان غضب الحليم لا يطاق وهو راجع الى الغفران (عالم الغيب) وهو ما غاب عن الخلق كلهم فيشمل ما هو داخل القلب مما تؤثره الجبلة ولا علم لصاحب القلب به فضلا عن غيره (والشهادة) وهو كل ما ظهر وكان بحيث يعلمه الخلق وهذا الوصف داع الى الاحسان من حيث انه موجب للمؤمن ترك ظاهر الاثم وباطنه وكل قصور وفتور وغفلة وتهاون فيعبد الله تعالى كانه يراه (العزيز) اى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) اى بالغ الحكمة التى يعجز عن ادراكها الخلائق وقال ابن الانبارى الحكيم هو المحكم لخلق الاشياء صرف عن مفعل الى فعيل ومنه قوله تعالى الم تلك آيات الكتاب الحكيم معناه المحكم فصرف عن مفعل الى فعيل وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة حديث موضوع

سورة الطلاق مدنية

وهى احدى عشرة آية وقيل اثنتا عشرة آية وقيل ثلاث عشرة آية ومائتان وتسع واربعون كلمة وألف وستون حرفا

(بسم الله) الذى له جميع صفات الكمال (الرحمن) الذى عم برحمته والنوال (الرحيم) الذى خص بتمام النعمة ذوى الهمم العوال وقرأ (يا أيها النبى) نافع بالهمزة وسهل الهمزة من اذا وابدلها أيضا واو اخصه صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لرآسته وانه لسان قومه والذى يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده فى حكم كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل انه على اضمار قول أى يا أيها النبى قل لامتك (اذا طلقتم النساء) أى اردتم طلاق هذا النوع واحدة منهن فاكثر وقيل انه خطاب له ولامته والتقدير يا أيها النبى وأمته فحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه كقوله اذا حذفته رجلها أى ويدها وكقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وقيل انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجمع تعظيما له كقوله

فان شئت حرمت النساء سواكم ۞ وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

قال الرازى وجه تعلق اول هذه السورة بآخر التى قبلها هو أنه تعالى أشار فى آخر التى قبلها الى كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة وفى أول هذه السورة اشارة الى كمال علمه بمصالح النساء والاحكام المخصوصة بطلاقهن فكانه بين ذلك الكلى بهذه الجزئيات وروى ابن ماجه عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعن انس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فأتت أهلها فانزل الله تعالى يا أيها النبى اذا طلقتم النساء وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهى من ازواجك فى الجنة ذكره الماوردى والقشيرى وزاد القشيرى ونزل فى خروجها الى أهلها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكلبى سبب نزول هذه الآية غضب رسول الله صلى الله عليه

تقديره كونوا انصار الله كما قال الحواريون
حين قال انصار عيسى
لهم من انصارى الى الله

وسلم على حفصة لما أمر الى احد بنا فاظهرته لعائشة فطلقها تطليقة فنزلت وقال السدى نزلت فى عبد الله بن عمر طلق امرأته حائضا تطليقة واحدة فامره النبى صلى الله عليه وسلم بان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان شاء أمسكها وان شاء طلقها قبل أن يجامع فتلك العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء وهو قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) أى فى الوقت الذى يشرعن فيه فى العدة وقد قيل ان رجالا فعلوا مثل ما فعل عبد الله ابن عمر منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان فنزلت الآية فيهم وروى الدارقطنى عن ابن عباس أنه قال الطلاق على أربعة وجوه وجهان حلالان ووجهان حرامان فاما الحلال فأن يطلقها طاهرا عن غير جماع وأن يطلقها حاملا مستبينا حملها وأما الحرام فان يطلقها حائضا أو ان يطلقها حين يجامعها لا يدرى اشتمل الرحم على ولد أم لا *(تنبيه)* الطلاق ينقسم الى سنى وبدعى ولا ولا فطلاق موطوءة ولو فى دبر تعتد باقراء سنى ان ابتدأتها الاقراء عقب الطلاق ولم يطأها فى طهر طلقها فيه أو علق طلاقها بمضى بعضه ولا وطئها فى نحو حيض قبله ولا فى نحو حيض طلق مع آخره أو علق بآخره وذلك لاستعقابه الشروع فى العدة وعدم الندم فين ذكرت والا فبدعى وان سألته طلاقا بلا عوض وطلاق غير الموطوأة المذكورة بان لم توطأ أو كانت صغيرة أو آيسة او حاملا منه وخلع زوجته فى زمن حيض بعوض لا سنى ولا بدعى والبدعى حرام للنهى عنه وقسم جماعة الطلاق الى واجب كطلاق المولى أى واجب مخير ان لم يكن عذر ومعين ان كان عذر شرعى كالاحرام ومندوب كطلاق غير مستقيمة الحال كسيئة الخلق ومكروه كمستقيمة الحال وحرام كطلاق البدعة واشار الامام الى المباح بطلاق من لا يهواها ولا تسمح نفسه بمؤنتها من غير تمتع بها وروى الثعلبى من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن على عن النبى عليه الصلاة والسلام قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله تعالى شيأ على وجه الارض احب اليه من العتاق ولا خلق الله تعالى شيأ ابغض اليه من الطلاق وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله شيأ ابغض اليه من الطلاق واختلفوا فى الاستثناء فى الطلاق والعتق فقالت طائفة بجوازه وهو مروى عن طاوس وبه قال حماد الكوفى والشافعى وابو ثور واصحاب الرأى وقال مالك والاوزاعى لا يجوز الاستثناء فى الطلاق والعتق وقال قتادة لا يجوز الاستثناء فى الطلاق خاصة قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول *ولما كان نظر الشارع الى العدة شديدا صرح بصيغة الامر فقال تعالى (واحصوا) اى اضبطوا ضبطا كانه فى اتقانه محسوس (العدة) ليعرف زمان الرجعة والنفقة والسكنى وحل النكاح لاخت المطلقة مثلا ونحو ذلك من الفوائد الجليلة (واتقوا) اى فى ذلك (الله) اى الملك الاعظم الذى له الخلق والامر (ربكم) اى لاحسانه فى تربيتكم فى حملكم على الحنيفية السمحة ورفع جميع الآصار عنكم (لا تخرجوهن) اى ايها الرجال فى حال العدة (من بيوتهن) أى المساكن التى وقع الفراق فيها وهى مساكنهن التى

(سورة الجمعة)
(قوله الذى بعث فى الاميين رسولا منهم) * ان ذاته

بسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء الموحدة والباقون بكسرها (ولا يخرجن) أى من بيوتهن حتى تنقضى عدتهن ولو وافق الزوج على ذلك وعلى الحاكم المنع منه لان فى العدة حقا لله تعالى وقد وجبت فى ذلك المسكن وقوله تعالى (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) مستثنى من الاول والمعنى الا أن تبذو على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها وقال ابن عباس الفاحشة المبينة أن تبذو على أهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقال ابن مسعود اراد بالفاحشة المبينة ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك ان يطلقها على النشوز فتحول عن بيته ويجوز ان يكون مستثنى من الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على ان خروجها فاحشة هذا كله عند عدم العذر اما العذر كان امرأة غير من لها النفقة على المفارق نحو طعام كقطن وكتان ثم اراد غزلها ونحوه كحديثها وتأنيسها عند جارتها بالليل وترجع وتبيت بيتها فانه جائز للحاجة الى ذلك وكخوف على نفس او مال من نحو هدم وغرق وفسقة مجاورين لها وشدة تأذيها بالجيران وشدة تأذيهم بها للحاجة الى ذلك بخلاف الاذى اليسير اذ لا يخلو منه احد ومن الجيران الاحماء وهم اقارب الزوج نعم ان اشتد اذاها بهم او عكسه وكانت الدار ضيقة نقلهم الزوج عنها وخرج بالجيران مالو طلبت بيت ابويها او تأذت بهما او هما بها فلا نقل لان الوحشة لا تطول بينهما ولو انتقلت لبلد او مسكن باذن زوجها فوجبت العدة ولو قبل وصولها اليه اعتدت فيه لانها مأمورة بالمقام فيه فان انتقلت لذلك بلا اذن فتعتد فى الاول وان وجبت العدة بعد وصولها الثانى لعصيانها بذلك نعم ان أذن لها بعد انتقالها أن تقيم فى الثانى فكما لو انتقلت بالاذن ولو أذن لها فى الانتقال فوجبت العدة قبل خروجها اعتدت فى الاول ولو سافرت باذن زوجها فوجبت فى الطريق فعودها أولى من مضيها فان مضت وجب عودها بعد انقضاء حاجتها ان سافرت لها أو بعد انقضاء مدة الاذن ان قدر لها مدة أو مدة اقامة المسافر ان لم تقدر لها مدة فى سفر غير حاجتها او لو خرجت فطلقها او قال ما أذنت فى الخروج أو قال وقد قالت أذنت فى نقلى أذنت لا لنقلة صدق بيمينه ولو كان المسكن ملكه ويليق بها تعين لان تعتد فيه كما مر ويصح بيعه فى عدة أشهر كالمكترى أو كان مستعارا أو مكرى وانقضت مدة الكراء انتقلت منه ان امتنع المالك وان كان ملكا لها تخيرت بين الاستمرار فيه باعارة أو اجارة والانتقال منه كما لو كان المسكن خسيسا او نفيسا ان كان نفيسا وسكنى المعتدة عن فرقة واجب على الزوج حيث تجب نفقتها عليه لو لم تفارق سواء أكانت الفرقة بطلاق أو فسخ أو وفاة لقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم وقيس به الفسخ بانواعه بجامع فرقة النكاح فى الحياة ولخبر فريعة بنت مالك فى الوفاة ان زوجها قتل فسألت النبى صلى الله عليه وسلم أن ترجع الى أهلها وقالت ان زوجى لم يتركنى فى منزل يملكه فاذن لها فى الرجوع قالت فانصرفت حتى اذا كنت فى الحجرة أو فى المسجد دعانى فقال امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا صححه الترمذى وغيره وقرأ ابن كثير وأبو بكر بفتح الياء التحتية والباقون بكسرها (وتلك) أى الاحكام العالية جدا لما فيها من الجلالة وبانتسابها

الى

ماوجه التقييد فى بعث الرسول بكونه أميا منهم (قلت) مشاكلة حاله

الى الملك الاعلى من هذا الذى ذكر فى هذه السورة وغيرها (حدود الله) أى الملك الاعظم (ومن يتعد) أى يقع منه فى وقت من الاوقات انه تعمد أن يعدو (حدود الله) أى الملك الذى لا كفء له أو بعضها كأن طلق بدعيا (فقد ظلم نفسه) أى عرضها للعقاب وقرأ قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الظاء والباقون بالادغام (لا تدرى) أى النفس أو أنت يا أيها النبى أو المطلق (لعل الله) أى الذى بيده القلوب ومقاليد جميع الامور (يحدث) أى يوجد شيأ حادثا لم يكن ايجادا ثابتا لا تقدر انت على التسبب فى زواله (بعد ذلك) أى الحادث من الاساءة والبغض (أمرا) بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها وقال أكثر المفسرين أراد بالامر هنا الرغبة فى الرجعة ومعنى الكلام التحريض على طلاق الواحدة والنهى عن الثلاث وهذا أحسن الطلاق وأحله فى السنة وأبعده عن الندم ويدل عليه ما روى عن ابراهيم النخعى ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون أن لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقون غير ذلك حتى تنقضى العدة وكان أحسن عندهم من أن يطلق الرجل ثلاثا فى ثلاثة أطهار وقال مالك بن أنس لا أعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت أو مفرقة وأما أبو حنيفة وأصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة فى طهر واحد فاما مفرقا فى الاطهار فلا لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهى حائض ما هكذا أمرك الله انما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروى أنه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء وعند الشافعى لا بأس بارسال الثلاث وقال لا أعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح ومالك يراعى فى طلاق السنة الواحدة والوقت وأبو حنيفة يراعى التفريق والوقت والشافعى يراعى الوقت وحده قال الزمخشرى (فان قلت) هل يقع الطلاق المخالف للسنة (قلت) نعم وهو آثم لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم وفى حديث ابن عمر أنه قال يا رسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذا عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر رضى الله عنه أنه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا أوجعه ضربا وأجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف السنة فى الطلاق فأوقعه فى حيض أو ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف (فان قيل) قوله تعالى اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن (أجيب) بانه لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم فى كلهن وفى بعضهن فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض * ولما حد سبحانه ما يفعل فى العدة أتبعه ما يفعل عند انقضائها بقوله تعالى (فاذا بلغن) أى المطلقات (أجلهن) أى شارفن انقضاء العدة مشارفة عظيمة (فامسكوهن)

لاحوالهم فيكون اقرب الى موافقتهم له او انتفاء سوء الظن عنه فى ان ما دعاهم

أي بالمراجعة وهذا يدل على أن الاولى من الطلاق مادون البائن لاسيما الثلاث (بمعروف) أي حسن عشرة لا لقصد المضارة بطلاق آخر لاجل ايجاب عدة أخرى أو غير ذلك (أو فارقوهن) بعدم المراجعة لتتم العدة فتملك نفسها (بمعروف) أي بايفاء الحق مع حسن الكلام وكل أمر حسنه الشرع فلا يقصد أذاها بتفريقها عن ولدها مثلا أو غيره ان كانت عاشقة له لقصد الاذى فقط من غير مصلحة وكذا ما أشبه ذلك من أنواع الضرر بالفعل والقول فقد تضمنت الآية بافصاحها الحث على فعل الطاعات وبافهامها اجتناب المنكرات *(تنبيه)* قال بعض العلماء في قوله تعالى فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف وقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان ان الزوج له حق في بدن الزوجة ولها حق في بدنه وذمته فكل من له دين في ذمة غيره سواء أكان مالا او منفعة من ثمن او مثمن او اجرة او بدل متلف او ضمان مغصوب او نحو ذلك فعليه ان يؤدي ذلك الحق الواجب باحسان وعلى صاحب الحق ان يتبع باحسان كما قال تعالى في آية القصاص فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وكذا الحق الثابت في بدنه مثل حق الاستمتاع والاجارة على عينه ونحو ذلك فالطالب يطلب بمعروف والمؤدي يؤدي باحسان * ولما كان الاشهاد اقطع للنزاع قال تعالى حاثا على الكيس واليقظة والبعد عن افعال المغفلين العجزة (وأشهدوا) اى على المراجعة او المفارقة وقيل المعنى واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا (ذوي عدل منكم) قطعا للنزاع وهذا الاشهاد مندوب اليه عند الجمهور كقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم واوجب الاشهاد في الرجعة الامام احمد في احدى الروايتين عنه والشافعي كذلك لظاهر الامر وقال مالك وابو حنيفة واحمد والشافعي في القول الآخر ان الرجعة لا تفتقر الى القبول فلم تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق واذا جامع او قبل او باشر يريد بذلك الرجعة فليس براجع وقال أبو حنيفة وأصحابه اذا قبل او باشر او لمس بشهوة فهو رجعة وكذا النظر الى الفرج رجعة وقال الشافعي وابو ثور اذا تكلم بالرجعة فهي رجعة وقيل وطؤه مراجعة على كل حال نواها او لم ينوها وهو مذهب احمد واليه ذهب الليث وبعض المالكية قال القرطبي وكان مالك يقول اذا وطئ ولم ينو الرجعة فهو وطء فاسد ولا يعود الى وطئها حتى يستبرئها من مائه الفاسد وله الرجعة في بقية العدة الاولى وليست له الرجعة في هذا الاستبراء *(تنبيه)* قوله تعالى منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم وذلك يوجب اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون الاناث لان ذوي للمذكر وقوله تعالى (وأقيموا) اى ايها المأمورون حيث كنتم شهودا (الشهادة) التي تحملتموها بادائها على اكمل أحوالها (لله) اى مخلصين لوجه الملك الاعلى لا لاجل المشهود له والمشهود عليه ولا شيء سوى وجه الله تعالى وفيه حث على اداء الشهادة لما فيه من العسر على الشاهد بترك مهماته وعسر لقاء الحاكم الذي يؤدي عنده وربما بعد مكانه وكان للعدل في الاداء عوائق ايضا (ذلكم) اى الذي ذكرت لكم ايتها الامة من هذه الامور البديعة النظام العالية المرام واولاها بذلك الاشهاد واقامة الشهادة (يوعظ) اى يلين ويرقق (به من كان) اى كونا راسخا من جميع الناس (يؤمن بالله) اى الذي له الكمال كله (واليوم الآخر) فانه المحط الاعظم للترقيق واما من لم يكن متصفا

بذلك

اليه تعليه من كتب قراها وحكم تلاها (قوله فاسعوا الى ذكر الله) المراد بالسعي

بذلك فكأنه لقساوة قلبه ما وعظ به لانه لم ينتفع به وقوله تعالى (ومن يتق الله) اي يخف الملك الاعظم فيجعل بينه وبين ما يسخطه وقاية بمبارضيه وهو اجتلاب ما أمر به واجتناب ما نهى عنه من الطلاق وغيره ظاهرا او باطنا لان التقوى اذا انفردت في القرآن عن مقارن عمت الامر والنهي وان اقترنت بغيرها نحو احسان او رضوان خصت المناهي (يجعل) اي بسبب التقوى (له مخرجا) جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على اتقائه عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله تعالى روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والشعبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة اي من طلق كما أمره الله تعالى يكن له مخرج في الرجعة في العدة وان يكون كاحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أيضا يجعل له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة وقيل المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه وقال ابو العالية مخرجا من كل شدة وقال الربيع بن خيثم مخرجا من كل شئ ضاق على الناس وقال الحسين بن الفضل ومن يتق الله في أداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة (ويرزقه) أي الثواب (من حيث لا يحتسب) أي يبارك له فيما آتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقال ابو سعيد الخدري ومن تبرأ من حوله وقوته بالرجوع الى الله تعالى يجعل له مخرجا مما كلفه الله بالمعونة له وتاول ابن مسعود ومسروق الآية على العموم وهذا هو الذي يقوى عندي وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم وتلا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال أكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك اذ شجى أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكي اليه الفاقة وقال ان العدو أسر ابني وجزعت الام فما تأمرني فقال صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وآمرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعاد الى بيته وقال لامرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى المدينة وهي أربعة آلاف شاة فنزلت الآية وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاغنام له وروى أنه جاء وقد أصاب ابلا من العدو وكان فقيرا فقال الكلبي انه أصاب خمسين بعيرا وفي رواية فافلت ابنه من الاسر وركب ناقة القوم فمر بسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل أصاب غنما ومتاعا فقال أبوه للنبي صلى الله عليه وسلم أيحل لي أن آكل مما أتى به ابني قال نعم ونزل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وروى الحسن عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال الزجاج اي اذا اتقى وآثر الحلال والصبر

هذا القضيد لا العدو كقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وقول الداعي

على أهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب (ومن يتوكل) أي يسند أموره كلها معتمدا فيها (على الله) أي الملك الذي بيده كل شيء ولا كفء له (فهو) أي الله في غيبه فضلا عن الشهادة بسبب توكله (حسبه) أي كافيه ما أهمه وحذف المتعلق للتعميم وحرف الاستعلاء للاشارة الى أنه كان حمل أموره كلها عليه سبحانه لانه القوي العزيز الذي يدفع عنه كل ضار ويجلب له كل سار الى غير ذلك من المعاني الكبار فلا يبدو له في عالم الشهادة شيء يشينه وقيل من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل وفي الحديث لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ويؤخذ من هذا أن التوكل يكون مع مباشرة الاسباب لانه صلى الله عليه وسلم قال تغدو وتروح وهي من المقامات العظيمة قال البقاعي نقلا عن المولوي والا كان اتكالا وليس بمقام بل خسة همة وعدم مروأة لانه ابطال حكمة الله التي أحكمها في الدنيا من ترتب المسببات على الاسباب اه ولما كان ذلك أمر الا يكاد يحيط به الوهم علله بقوله تعالى مؤكدا له بالتأكيد والاظهار في موضع الاضمار (ان الله) أي المحيط بكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص (بالغ أمره) أي جميع ما يريده فلا بد من نفوذه سواء حصل توكل أم لا قال مسروق يعني قاض أمره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا أن من توكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا وقرأ حفص بالغ بغير تنوين وأمره بالجر مضاف اليه على التخفيف والباقون بالتنوين وأمره بنصب الراء وضم الهاء قال ابن عادل وهو الاصل خلافا لابي حيان (قد جعل الله) أي الملك الذي لا كفء له ولا معقب لحكمه جعلا مطلقا من غير تقييد بجهة ولا حيثية (لكل شيء) كرخاء وشدة (قدرا) أي تقديرا لا يتعداه في مقداره وزمانه وجميع عوارضه وأحواله وان اجتهد جميع الخلائق في أن يتعداه فمن توكل استفاد الاجر وخفف عنه الالم وقذف في قلبه السكينة ومن لم يتوكل لم ينفعه ذلك وزاد ألمه وطال غمه بشدة سعيه وخيبة أسبابه التي يعتقد أنها هي المنجية فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط جف القلم فلا يزاد في المقادير شيء ولا ينقص منها شيء ويحكى أن رجلا أتى عمر فقال أولني عملا أولاك الله فقال أتقرأ القرآن قال لا قال انا لا نولي من لا يقرأ القرآن فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القرآن رجاء أن يعود الى عمر فيوليه فلما تعلم القرآن تخلف عن عمر فرآه ذات يوم فقال يا هذا أهجرتنا فقال يا أمير المؤمنين لست ممن يهجر ولكني تعلمت القرآن فأغناني الله عن عمر وعن باب عمر قال فأي آية أغنتك قال قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا فمن توكل على غيره سبحانه ضاع لانه لا يعلم المصالح وان علم لا يعلم كيف يستعملها وهو سبحانه المنفرد بعلم ذلك كله ولا يعلمه حق علمه غيره *(تنبيه)* الآية تفهم أن من لم يتق الله يقتر عليه وهو موافق لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وتفهم ان من لم يتوكل لم يكف شيأ من الاشياء وقال عبد الله بن رافع لما نزل قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن اذا

توكلنا

وبعضه
والـك نسى
(قوله واذا رأوا تجارة أو
لهوا انفضوا اليها) تقديره

توكلنا عليه توسل ما كان لنا ولا تحفظه فنزل ان الله بالغ أمره فيكم وعليكم وقال الربيع بن خيثم ان الله قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن أقرضه جازاه ومن وثق به نجاه ومن دعاه أجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان * ولما بين تعالى أمر الطلاق والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقراء عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم قال أبو عثمان عمر بن سليمان نزلت عدة النساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال أبي بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن شيء الصغار والكبار وذوات الحمل فنزل (واللائي يئسن) أي من المطلقات (من المحيض) أي الحيض الآية وقال مقاتل لما ذكر قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان يا رسول الله فما عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت وقيل ان معاذ بن جبل سأل عن عدة الكبيرة التي يئست فنزلت وقال مجاهد الآية واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض هو أو دم علة واختلف في سن اليأس فالذي عليه الاكثر أنه اثنتان وستون سنة وقيل خمس وخمسون وقيل ستون وقيل سبعون * ولما كان هذا الحكم خاصا بأزواج المسلمين لحرمة فرشهم وحفظ أنسابهم قال تعالى (من نسائكم) أي أيها المسلمون سواء كن مسلمات أو من أهل الكتاب (ان ارتبتم) أي شككتم في عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر) كل شهر يقوم مقام حيضة لان أغلب عوائد النساء أن يكون كل قرء في شهر (واللائي لم يحضن) أي لصغرهن أو لأنهن لا حيض لهن أصلا وان كن بالغات فعدتهن ثلاثة أشهر أيضا هذا كله في غير المتوفى عنهن أزواجهن أما هن فعدتهن ما في آية يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا وقرأ واللائي في الموضعين ابن عامر والكوفيون بالهمزة وياء بعده وقرأ قالون وقنبل بالهمزة ولا ياء بعده والبزي وأبي عمرو أيضا ابدال الهمزة ياء ساكنة مع المد اللازم ولما فرغ من ذكر المواتي أتبعه ذكر الحوامل بقوله تعالى (وأولات الاحمال) أي من جميع الزوجات المسلمات والكافرات المطلقات والمتوفى عنهن (أجلهن) أي لمنتهى العدة سواء كان لهن مع الحمل حيض أم لا (أن يضعن حملهن) وهذا على عمومه مخصص لآية يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا لان المحافظة على عمومه أولى من المحافظة على عموم ذلك في قوله تعالى أزواجا لان عموم هذه بالذات لان الموصول من صيغ العموم وعموم أزواجا بالعرض لانه بدل لا يصلح لجميع الازواج في حال واحد والحكم معلل هنا بوصف الحملية بخلاف ذلك ولان هذه الآية متأخرة النزول عن آية البقرة فتقديمها على تلك تخصيص وتقديم تلك في العمل بعمومها رفع لما في الخاص من الحكم فهو نسخ والاول هو الراجح وفاقا ولان سبيعة بنت الحرث وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليال فأذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تتزوج * (تنبيه) * اذا وضعت المرأة ما في بطنها من علقة أو مضغة حلت عند مالك وقال الشافعي وأحمد وأبو حنيفة لا تحل الا بوضع ما يتبين فيه شيء من خلق الانسان فان كانت حاملا بتوأمين لم تنقض عدتها حتى تضع

واذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول

الثانى منهما ولابد أن يكون الحمل منسوبا الى ذى العدة أما اذا كان من زنا فلا حرمة له والعدة بالحيض ❊ ولما كانت أمور النساء فى المعاشرة والمفارقة فى غاية المشقة كرر الحث على التقوى اشارة الى ذلك وترغيبا فى لزوم ما حده سبحانه فقال عاطفا على ما تقديره فمن لم يحفظ هذه الحدود عسر الله تعالى عليه اموره (ومن يتق الله) اى يوجد الخوف من الملك الاعظم ايجادا مستمرا ليجعل بينه وبين سخطه وقاية من طاعته امتثالا للمامور واجتنابا للمنهى (يجعل له) اى يوجد ايجادا مستمرا باستمرار التقوى لان الله لا يمل حتى تملوا (من أمره) اى كله فى النكاح وغيره (يسرا) اى سهولة وفرجا وخيرا فى الدارين بالدفع والنفع وذلك أعظم من مطلق المخرج المتقدم فى الآية الاولى وقال مقاتل ومن يتق الله فى اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسرا فى توفيقه لطاعته (ذلك) اى الامر المذكور من جميع هذه الاحكام العالية المراتب (أمر الله) اى الملك الاعلى الذى له الكمال كله (أنزله اليكم) وبينه لكم (ومن يتق الله) اى الذى لا أمر لاحد معه فى احكامه فيراعى حقوقها (يكفر) اى يغط تغطية عظيمة (عنه سيآته) ليتخلى عن المبعدات فان الحسنات يذهبن السيآت (ويعظم له أجرا) بان يبدل سيآته حسنات ويوفيه أجرها فى الدارين مضاعفة فيتحلى بالقربات وهذا أعظم من مطلق اليسر المتقدم (أسكنوهن) قال الرازى أسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى فى قوله تعالى ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شان المعتدات فقيل أسكنوهن وقوله تعالى (من حيث سكنتم) فيه وجهان أحدهما ان من للتبعيض قال الزمخشرى مبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أى بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أى بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد أسكنها فى بعض جوانبه قال الرازى وقال الكسائى من صلة والمعنى اسكنوهن حيث سكنتم والثانى أنها لابتداء الغاية قاله الحوفى وأبو البقاء قال أبو البقاء والمعنى تسببوا الى اسكانهن من الوجه الذى تسكنون أنفسكم ودل عليه قوله تعالى (من وجدكم) أى من وسعكم أى مما تطيقونه وفى اعرابه وجهان أحدهما أنه عطف بيان لقوله تعالى من حيث سكنتم واليه ذهب الزمخشرى وتبعه البيضاوى قال ابن عادل أظهرهما انه بدل من قوله من حيث بتكرار العامل واليه ذهب أبو البقاء كأنه قيل اسكنوهن من وسعكم (ولا تضاروهن) اى حال السكنى فى المسكن ولا فى غيره (لتضيقوا عليهن) حتى تلجؤهن الى الخروج (وان كن) اى المطلقات (اولات حمل) اى من الازواج من طلاق بائن او رجعى (فانفقوا عليهن) وان مضت الاشهر (حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات البوائن والاحاديث تؤيده قال القرطبى اختلف العلماء فى المطلقة ثلاثا على ثلاثة أقوال فمذهب مالك والشافعى ان لها السكنى ولا نفقة لها ومذهب ابى حنيفة وأصحابه ان لها السكنى والنفقة ومذهب أحمد واسحق وأبى ثور لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس قالت دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى اخو زوجى فقلت ان زوجى طلقنى وان هذا يزعم ان ليس لى سكنى ولا نفقة قال بل لك السكنى والنفقة فقال ان زوجها طلقها ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة لمن له عليها رجعة فلما قدمت الكوفة طلبنى

عليه وقرأ ابن مسعود انفقوا اليهما وعليه فلا حذف

الاسود بن يزيد ليسألني عن ذلك فان أصحاب عبد الله يقولون ان لها السكنى والنفقة وعن الشعبي قال لقيني الاسود بن يزيد فقال ياشعبي اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر كان يجعل لها السكنى والنفقة فقلت لا أرجع عن شئ حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه لو كان لها سكنى لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم وأجيب عن ذلك بما روت عائشة أنها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وقال قتادة وابن أبي ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وقوله تعالى أسكنوهن راجع لما قبله وهي المطلقة الرجعية (فان أرضعن لكم) أي بعد انقضاء علقة النكاح (فآتوهن أجورهن) أي على ذلك الارضاع وللرجل أن يستأجر امرأته للرضاع كما يستأجر اجنبية ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجار اذا كان الولد منها مالم تبن ويجوز عند الشافعي مطلقا وقوله تعالى (وائتمروا) خطاب للازواج والزوجات أي ليأمر بعضكم بعضا في الارضاع والاجر فيه وغير ذلك وليقبل بعضكم أمر بعض وقال الكسائي ائتمروا تشاوروا وتلا قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك وأنشد قول امرئ القيس * ويعدو على المرء ما يأتمر * وزادهم رغبة في ذلك بقوله تعالى (بينكم) أي ان هذا الخير لا يعدوكم وأكد ذلك بقوله تعالى (بمعروف) ونكره سبحانه تخفيفا على الامة بالرضا بالمستطاع وهو يكون مع الاخلاق بالاتصاف ومع النفس بالخلاف (وان تعاسرتم) أي طلب كل منكم ما يعسر على الآخر كان طلبت المرأة الاجرة وطلب الزوج ارضاعها مجانا (فسترضع له) أي الاب (أخرى) أي مرضعة غير الام ويغني الله تعالى عنها وليس له أن يكرهها على ذلك نعم اذا لم يقبل ثدي غيرها أولم يوجد غيرها أجبرت على ذلك بالاجرة وهذا الحكم لايختص بالمطلقة بل المنكوحة كذلك واختلفوا فيمن يجب عليه رضاع الولد فقال مالك رضاع الولد على الزوجة مادامت الزوجية الا لشرفها أو موضعها فعلى الاب رضاعه حينئذ في ماله وقال أبو حنيفة لايجب على الام بحال وقيل يجب عليها بكل حال ولو طلبت الام اجرة المثل وهناك أجنبية ترضع بدون أجرة المثل أو متبرعة تخير الاب بينهما ولا يضيق على الاب بدفع الاجرة لانه صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما أو قطيعة رحم وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين بين والباقون بالفتح (لينفق ذو سعة) أي مال واسع ولم يكلفه تعالى جميع وسعه بل قال تعالى (من سعته) أي لينفق الزوج على زوجته وولده الصغير على قدر وسعه فيوسع اذا كان موسعا عليه (ومن قدر) أي ضيق (عليه رزقه) فعلى قدر ذلك فيقدر النفقة بحسب حال المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقال صلى الله عليه وسلم لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف لكن نفقة الزوجة مقدرة عند الشافعي محدودة فلا اجتهاد للحاكم ولا للمفتي فيها وتقديرها هو بحسب حال الزوج وحده من يسار واعسار ولا اعتبار بحالها فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد لظاهر قوله تعالى

(سورة المنافقين)
(قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) اي في

لينفق ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر والعسر ولان الاعتبار بحالها يؤدى الى الخصومة لان الزوج يدعى أنها تطلب فوق كفايتها وهي تزعم أنها تطلب قدر كفايتها فقدرت قطعا للخصومة وقوله تعالى (فلينفق) أى وجوبا على المرضع وغيرها من كل ما أوجبه الله تعالى عليه (مما آتاه الله) أى الملك الذى لا يتقدمه شئ ولو من رأس المال ومتاع البيت (لا يكلف الله) اى الذى له الملك كله (نفسا) أى نفس كانت (الا ما آتاها) أى أعطاها من المال (سيجعل الله) أى الملك الذى له الكمال كله فلا خلف لوعده (بعد عسر) أى بعد كل عسر (يسرا) وقد صدق الله وعده فيمن كانوا موجودين بعد نزول الآية ففتح عليهم جميع جزيرة العرب ثم فارس والروم حتى صاروا أغنى الناس وصدق الآية دائم غير انه في الصحابة رضى الله تعالى عنهم وفيمن بعدهم آمين لان ايمانهم أتم قال القشيرى وانتظار اليسر من الله صفة المتوسطين في الاحوال الذين انحطوا عن درجة الرضا وارتقوا عن حد اليأس والقنوط ويعيشون في افناء الرجال ويتعللون بحسن المواعيد اه * ولما ذكر الاحكام والمواعظ والترغيب لمن أطاع حذر من خالف بقوله تعالى (وكأين) هى كاف الجر دخلت على أى بمعنى كم (من قرية) أى وكثير من القرى وقرأ ابن كثير بالالف بعد الكاف وبعد الالف همزة مكسورة وقفا ووصلا وقرأ الباقون في الوصل بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعد الهاء ياء مكسورة مشددة وعبر عن أهل القرية بها مبالغة فقال (عتت) أى استكبرت وجاوزت الحد في عصيانها وطغيانها عرضت عنادا (عن أمر ربها) أى الذى أحسن اليها ولا يحسن اليها غيره (ورسله) فلم تقبل منهم ما جاؤا به عن الله تعالى فان طاعتهم من طاعته (فحاسبناها) أى في الآخرة وان لم تجئ لتحقق وقوعها (حسابا شديدا) أى بالمناقشة والاستقصاء (وعذبناها عذابا نكرا) أى منكرا فظيعا وهو عذاب النار وقيل العذاب في الدنيا فيكون على حقيقته أى جازيناها بالعذاب في الدنيا وعذبناها عذابا نكرا في الآخرة وقيل في الكلام تقديم وتأخير أى فعذبناها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وسائر المصائب وحاسبناها حسابا شديدا في الآخرة وقرأ نافع وابن ذكوان وشعبة بضم الكاف والباقون بسكونها (فذاقت) أى فتسبب عن ذلك أنها ذاقت (وبال) أى عقوبة (أمرها) أى كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) أى في الدنيا بالاسر وضرب الجزية وغير ذلك وفي الآخرة بعذاب النار فان من زرع الشوك كما قال القشيرى لا يجنى الورد ومن أضاع حق الله تعالى لا يطاع في حظ نفسه ومن احترق بمخالفة أمر الله تعالى فليصبر على عقوبته ثم استأنف الجواب عمن يقول هل لها غير هذا في غير هذه الدار بقوله تعالى (أعد الله) أى الملك الاعظم (لهم) بعد الموت وبعد البعث (عذابا شديدا) وفي ذلك تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها (فاتقوا الله) أى الذى له الامر كله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (يا أولى الالباب) أى يا أصحاب العقول الصافية النافذة من الظواهر الى البواطن وقوله تعالى (الذين آمنوا) منصوب باضمار أعنى بيانا للمنادى في قوله تعالى يا أولى الالباب أو يكون عطف بيان للمنادى او نعتا له أى خلصوا من دائرة الشرك واوجدوا الايمان حقيقة (قد أنزل الله) أى الذى له صفات الكمال (اليكم ذكرا) هو القرآن وفي نصب

شهادتهم التى لا يعتقدونها بالكذب للشهادة المشهود به (قوله ذلك

(رسولا)

(رسولا) أوجه أحدها قال الزجاج والفارسي انه منصوب بالمصدر المنون قبله لانه ينحل لحرف مصدري وفعل كانه قيل أن ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله والمصدر المنون عامل كقوله تعالى أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما الثاني جعل نفس الذكر مبالغة فابدل منه ويكون محمولا على المعنى كانه قال قد أظهر لكم ذكرا رسولا فيكون من باب بدل الشيء من الشيء وهو هو الثالث أنه بدل منه على حذف مضاف من الاول تقديره أنزل ذا ذكر رسولا الرابع أنه بدل منه على حذف مضاف من الثاني أي ذكرا ذا رسول الخامس أنه منصوب بفعل مقدر أي وأرسل رسولا (يتلوا عليكم آيات الله) هي دلائل الملك الاعظم الظاهرة جدا حال كونها (مبينات) أي لا لبس فيها بوجه واختلف الناس في رسولا هل هو النبي صلى الله عليه وسلم او جبريل فالاكثر على الاول واقتصر عليه الجلال المحلي واقتصر الزمخشري على الثاني وهو قول الكلبي وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسر الياء بعد الموحدة والباقون بالفتح (ليخرج الذين آمنوا) اى اقروا بالشهادتين (وعملوا) تصديقا لما قالوه بالسنتهم وتحقيقا لانه من قلوبهم (الصالحات) اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه مؤمن (من الظلمات) اى الضلالة (الى النور) اى الهدى (ومن يؤمن بالله) اى يجدد في كل وقت على الدوام الايمان بالملك الاعلى بان لا يزال في ترق في معارج معارفه (ويعمل) على التجديد المستمر (صالحا) فمن وفقه الله فله دوام النعماء وهو معنى ادخاله الجنة كما قال تعالى (يدخله) أي عاجلا مجازا بما يفتح الله له من لذات المعارف ويفتح له من الانس وآجلا حقيقة (جنات) اى بساتين هي في غاية ما يكون من جمع جميع الاشجار وحسن الدار وبين دوام ريها بقوله تعالى (تجري من تحتها) اى من تحت غرفها (الانهار) فهي في غاية الري بحيث ان مكانها يجري في اي موضع اراد نهرا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون والباقون بالياء التحتية (خالدين فيها) وأكد معنى الخلود بقوله تعالى (ابدا) ليفهم الدوام بلا انقضاء وقوله تعالى (قد أحسن الله) أي الملك الاعلى ذو الجلال والاكرام (له) أي خاصة (رزقا) أي عظيما عجيبا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب وقال القشيري الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن أموره بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه كذلك أرزاق القلوب أحسنها أن يكون له من الاحوال ما يستقل بها من غير نقصان ولا زيادة لا يقدر على الاستمرار عليها ثم بين كمال قدرته بقوله تعالى (الله) أي الذي له جميع صفات الكمال التي اقدرة الشاملة احداها (الذي خلق) أي أوجد وحده من العدم بقدرته على وفق ما دبر بعلمه على هذا المنوال الغريب البديع (سبع سموات) أي وأنتم تشهدون عظمة ذلك وتشهدون أنه لا يقدر عليه الا تام القدرة والعلم الكامل (ومن الارض مثلهن) أي سبعا أما كون السموات سبعا بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه لحديث الاسراء وغيره وأما الارضون فقال الجمهور انها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل أرض سكان من خلق الله وقال الضحاك انها سبع أرضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول أصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري

بانهم) اى المنافقين آمنوا ثم كفروا أى آمنوا بالسنتهم وكفروا بقلوبهم

وغيره وروى أبو مروان عن أبيه أن كعبا حلف له بالله الذي فلق البحر لموسى أن صهيبا حدثه أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين انا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها وروى مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم قيد شبر من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين قال البقاعي رأيت في التعدد حقيقة حديثا صريحا لكن لا أدري حاله ذكره ابن برجان في اسمه تعالى الملك من شرحه الاسماء الحسنى قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما تحت هذه الارض قالوا الله ورسوله أعلم قال هواء أتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ارض اتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم حتى عد سبع ارضين ثم رايته في الترمذي عن ابي رزين العقيلي ولفظه هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال انها الارض ثم قال اتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا اخرى خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم رايت في الفردوس عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين السماء الى السماء خمسمائة عام وعرض كل سماء وثخانة كل سماء خمسمائة عام وما بين السماء السابعة وبين الكرسي والعرش مثل ذلك وما بين السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام والارضون وعرضهن وثخانتهن مثل ذلك اه قال الماوردي وعلى أنها سبع ارضين تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا ولا تلزم من في غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض مبسوطة الثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض كرية وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعهم السماء فعلى هذا ان لم يكن لاحد من اهل الارض وصول الى ارض اخرى اختصت دعوة الاسلام بهذه الارض وان كان لقوم منهم وصول الى ارض اخرى احتمل ان تلزمهم دعوة الاسلام لامكان الوصول اليهم لان فصل البحار اذا امكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه واحتمل ان لا تلزمهم دعوة الاسلام لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي صلى الله عليه وسلم بها مامورا وقال بعض العلماء السماء في اللغة عبارة عما علاك فالاولى بالنسبة الى السماء الثانية ارض وكذلك السماء الثانية بالنسبة الى الثالثة ارض وكذا البقية بالنسبة الى ما تحته سماء وبالنسبة الى ما فوقه ارض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الارض الواحدة سبع سموات وسبع ارضين (يتنزل) اى بالتدريج (الامر) قال مقاتل وغيره اى الوحي وعلى هذا يكون قوله تعالى (بينهن) اشارة الى ما بين هذه الارض العليا التي هي اولاها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها والاكثرون على ان الامر هو القضاء والقدر فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن اشارة الى ما بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها فيجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن وعن قتادة في كل ارض

ونشر الترغيب الاخباري لا الايجادي (قوله يحسبون كل صيحة عليهم) كل

من ارضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو مايدبر فيهن من عجائب تدبيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نافع بن الازرق سأله هل تحت الارض من خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن وقال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سماءين أرض وامر وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل مايدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها وهيآتها فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على اتساع اللغة كما يقال للموت امر الله وللريح والسحاب ونحوها وقوله تعالى (لتعلموا) متعلق بمحذوف أي اعلمكم بذلك الخلق والانزال لتعلموا (أن الله) اى الملك الاعلى الذي له الاحاطة كلها (على كل شئ) اى من غير هذا العالم يمكن ان يدخل تحت المشيئة (قدير) بالغ القدرة فيأتي بعالم آخر مثل هذا العالم وابدع منه وابدع من ذلك الى مالانهاية له بالاستدلال بهذا العالم فان من قدر على ايجاد ذرة من العدم قدر على ايجاد ماهو دونها او مثلها وفوقها الى مالانهاية له لانه لافرق في ذلك بين قليل وكثير وجليل وحقير ماترى في خلق الرحمن من تفاوت قال البقاعي واياك ان تصغي الى من قال انه ليس في الامكان ابدع مما كان فانه مذهب فلسفي خبيث والآية نص في ابطاله وان نسبه بعض الملحدين الى الغزالي فاني لاأشك انه مدسوس عليه وان مذهبه فلسفي خبيث بشهادة الغزالي كما بينت ذلك في كتابي دلائل البرهان على ان في الامكان ابدع مما كان قال ومع كونه مذهب الفلاسفة أخذه أكفر المارقين ابن عربي وأودعه في فصوصه وغير ذلك من كتبه واسنده في بعضها للغزالي والغزالي برئ منه بشهادة ماوجد من عقائده في الاحياء وغيره انتهى والبقاعي ممن يقول بكفر ابن عربي وابن المقري يقول بكفره وكفر طائفته وقد تقدم الكلام على كلامهم (وان الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (قد أحاط) لتمام قدرته (بكل شئ) مطلقا (علما) فله الخبرة التامة بما يامر به من الاحكام في العالم بمصالحه ومفاسده فلا يخرج شئ عن علمه وقدرته فعاملوه معاملة من يعلم أنه رقيب عليه تسلموا في الدنيا وتسعدوا في الآخرة *(تنبيه)* علما منصوب على المصدر المؤكد لان أحاط بمعنى علم وقيل بمعنى والله أحاط احاطة علما وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

مفعول اول ليحسب وعليهم مفعول ثان له والتقدير يحسبون كل صيحة

سورة التحريم مدنية

وهي ثنتا عشرة آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

(بسم الله) الذي له الكمال كله على الدوام (الرحمن) الذي عم عباده بعظيم الانعام (الرحيم) الذي أتم على خواصه نعمة الاسلام واختلف في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله) أي الذي لاأمر لأحد معه (لك) فقالت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند زينب بنت جحش فشرب عندها عسلا قالت فتواطيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني أجد منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك

فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزل لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله تعالى ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسائه فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت اليها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت لها اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولي ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك له وقولي له انت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت سودة والله الذي لا اله غيره لقد كدت أن أبادئه بالذي قلت وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله الا أسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه منه قالت قلت لها اسكتي ففي هذه الرواية أن التي شرب عندها النبي صلى الله عليه وسلم حفصة وفي الاولى زينب وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه شربه عند سودة وقيل انما هي أم سلمة رواه أسباط عن السدي وقاله عطاء بن أبي مسلم *(تنبيه)* شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل الحلواء بالمد والقصر قاله في الصحاح وهو كل شيء يحلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا في جملة الحلواء تنبيها على شرفه ومزيته وهو من باب الخاص بعد العام وقولها فتواطيت أنا وحفصة هكذا وقع في الرواية وأصله فتواطأت بالهمز أي اتفقت أنا وحفصة وقولها اني أجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله ريح كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق يفرش على الارض له شوكة وثمره خبيث الرائحة وقال أهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن توجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله العرفط بالجيم والراء والسين المهملة أي ومعناه أكلت نحله العرفط فصار منه العسل قال القاضي عياض والصواب أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره النووي في شرح مسلم وكذا ذكره أيضا القرطبي وقال أكثر المفسرين في سبب نزول ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقالت انما أذنت لي من أجل ذلك أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي على فراشي أما رأيت لي حرمة

واقعة عليهم وقوله هم العدو استئناف وقيل هو المفعول الثاني ليحسب

وحق

وحقاما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس هي جاريتي قد أحلها الله لي فهي حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وان الله قد أراحنا منها وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم يزل نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له أمة يطؤها فلم تزل عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فأنزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية أخرجه النسائي (فان قيل) قوله تعالى لم تحرم ما أحل الله لك يوهم أن هذا الخطاب بطريق العتاب وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم ينافي ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم (أجيب) بانه ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه على ان ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي (فان قيل) تحريم ما أحل الله غير ممكن فكيف قال لم تحرم ما أحل الله لك (أجيب) بان المراد بهذا التحريم هو الامتناع من الانتفاع بالازواج لا اعتقاد كونه حراما بعد ما أحله الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم امتنع من الانتفاع بها مع اعتقاد كونها حلالا فان من اعتقد ان هذا التحريم هو تحريم ما أحل الله فقد كفر فكيف يضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم (تبتغي) ان تريد بارادة عظيمة من مكارم أخلاقك وحسن صحبتك (مرضات ازواجك) اى الاحوال والامور والمواضع التي يرضين بها وهن اولى بان يبتغين رضاك وكذا جميع الخلق لتتفرغ لما يوحى اليك من ربك لكن ذلك للزوجات آكد (والله) اى الملك الاعلى (غفور رحيم) اى محاء ستور لما يشق على خلص عباده مكرم لهم فقد غفر لك هذا التحريم ثم علل و بين ذلك بقوله تعالى (قد فرض الله) اى قدر ذو الجلال والاكرام الذي لا شريك له ولا امر لاحد معه وعبر بالفرض حثا على قبول الرخصة اشارة الى ان ذلك لا يقدح في الورع ولا يخل بحرمة اسم الله تعالى لان أهل الهمم العوالي لا يجوزون التنقل من عزيمة الى رخصة بل من رخصة الى عزيمة او عزيمة الى مثلها

* ولما كان التخفيف على أمته تعظيما له صلى الله عليه وسلم قال تعالى (لكم) أيتها الامة التي انت رأسها (تحلة) أي تحليل (ايمانكم) بالكفارة المذكورة في سورة المائدة وقيل قد شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى بمعنى استثن في يمينك اذا أطلقتها بان تقول ان شاء الله متصلا بحلفك وتنويه قبل الفراغ منه واختلف أهل العلم في لفظ التحريم فقال قوم هو ليس بيمين فان قال لزوجته انت حرام أو حرمتك فان نوى به طلاقا فهو طلاق وان نوى به ظهارا فهو ظهار وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة يمين وان قال لطعام حرمته على نفسي فلا شئ عليه وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه واليه ذهب الشافعي وروى الدارقطني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه اتاه رجل فقال اني جعلت امرأتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام وتلا هذه الآية وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا تجب الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكله يروى ذلك عن أبي بكر وعائشة وبه قال الاوزاعي وأبو

وعليه فعليهم حال (قوله ولكن المنافقين لا يفقهون) ختمه هنا بـلا يفقهون

حنيفة وعند ابى حنيفة ان نوى الطلاق بالحرام كان بائنا وان قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى مانوى نقله الزمخشرى وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعى وعن على ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال اذا حرم الرجل امرأته فهى يمين يكفرها وقال لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة قال مقاتل فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الواقعة رقبة قال زيد بن أسلم وعاد الى مارية وقال الحسن لم يكفر عليه السلام لانه مغفور له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وكفارة اليمين فى هذه السورة انما أمر بها الامة قال ابن عادل والاول أصح وان المراد بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ثم الامة تقتدى به فى ذلك (والله) اى والحال أن المختص باوصاف الكمال (مولاكم) أى يفعل معكم فعل القريب الصديق فهو سيدكم ومتولى أموركم (وهو) أى وحده (العليم) أى البالغ العلم بمصالحكم وغيرها الى مالانهاية له (الحكيم) أى الذى يضع كل مايصدر عنه لكم فى اتقن محاله بحيث لا يقدر غيره أن يغيره ولاشيأ منه والعامل فى قوله تعالى (واذ) اذكر فهو مفعول به لا ظرف والمعنى اذكر اذ (أسر النبى) أى الذى شانه أن يرفعه الله تعالى دائما فانه ما ينطق عن الهوى (الى بعض أزواجه) وأبهمها ولم يعينها تشريفا له صلى الله عليه وسلم واياها وهى حفصة صيانة لهن لان حرمتهن من حرمته صلى الله عليه وسلم (حديثا) ليس هو من شان الرسالة ولو كان من شانها لعم به ولم يخص به ولا أسره وذلك هو تحريمه فتاته على نفسه وقوله لحفصة لاتخبرى بذلك أحدا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أسر أمر الخلافة بعده فحدثت حفصة وقال الكلبى أسر اليها ان أباك واباعائشة يكونان خليفتين على امتى من بعدى وقال ميمون بن مهران اسر أن أبا بكر خليفتى من بعدى (فلما نبأت) اى أخبرت (به) عائشة ظنا منها انه لاحرج عليها فى ذلك (وأظهره الله) أى أطلعه الملك الذى له الاحاطة بكل شئ (عليه) أى الحديث على لسان جبريل عليه السلام بأنه قد أفشى مناصحة له فى اعلامه بما يقع فى غيبته ليحذره ان كان شرا او يثبت عليه ان كان خيرا وقيل أظهر الله الحديث على النبى صلى الله عليه وسلم من الظهور (عرف) أى النبى صلى الله عليه وسلم التى اسر اليها (بعضه) أى بعض مافعلت (وأعرض عن بعض) أى اعلام بعض تكرما منه ان يستقصى فى العبارات وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام وانما عاتبها على ذكر الامامة واعرض عن ذكر الخلافة خوفا من أن ينتشر فى الناس فربما أثار حسد بعض المنافقين واورث الحسود للصديق كيدا وقال بعض المفسرين انه اسر الى حفصة شيأ فحدثت به غيرها فطلقها مجازاة على بعضه ولم يؤاخذها بالباقى وهو من قبيل قوله تعالى وماتفعلوا من خير يعلمه الله اى يجازيكم عليه وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى انه قال لها ويلك ألم أقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق نبيا ماملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله تعالى بها أباها (فلما نبأها به) اى بما فعلت على وجه لم يغادر من ذلك الذى عرفها به شيأ منه ولا من عوارضه لتزداد بصيرة روى أنها قالت لعائشة سرا فانا اعلم انها لاتظهره قاله الملوى وهو معنى قوله تعالى (قالت) اى ظنا منها ان عائشة افشت عليها (من انبأك هذا) اى من اخبرك انى افشيت السر (قال نبانى)

و بشده بلا يعلمون لان الاول متصل بقوله وقه خزائن السموات والارض

قوله وروى الخ كذا فى الاصول وهو غير مستقيم ولعله قالت فقلته لعائشة فليحرر اه

وحذف المتعلق اختصار اللفظ وتكثير المعنى بالتعميم اشارة انه اخبر بجميع ما دار بينها وبين عائشة على أتم ما كان (العليم) اى المحيط العلم (الخبير) اى المطلع على الضمائر والظواهر فهو اولى ان يحذر فلا يتكلم سرا او جهرا الا بما يرضيه وقوله تعالى (ان تتوبا الى الله) اى الملك الاعظم شرط وفى جوابه وجهان احدهما قوله تعالى (فقد صغت قلوبكما) والمعنى ان تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب فى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حب ما يحب وكراهة ما يكره وصغت مالت وزاغت عن الحق قال القرطبى وليس قوله فقد صغت قلوبكما جواب الشرط لان هذا الصغو كان سابقا فجزاء الشرط محذوف للعلم به اى ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما الثانى أن الجواب محذوف تقديره فذلك واجب عليكما أو فتاب الله عليكما قاله ابو البقاء ودل على المحذوف فقد صغت لان اصغاء القلب الى ذلك ذنب قال بعضهم وكأنه زعم أن ميل القلب ذنب وكيف يحسن ان يكون جوابا وقد غفل عن المعنى المصحح لكونه جوابا * (تنبيه) * قوله تعالى قلوبكما من افصح الكلام حيث اوقع الجمع موقع المثنى استثقالا لمجىء تثنيتين لو قيل قلباكما ومن شأن العرب اذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما لانه لا يشكل والاحسن فى هذا الباب الجمع ثم الافراد ثم التثنية كقوله

فتخالسا نفسيهما بنوافذ المشغط الذى من شأنه لم يرفع

وقال ابن عصفور لا يجوز الافراد الا فى ضرورة كقوله

حمامة بطن الواديين ترنمى * سقاك من الغر الغوادى مطيرها

وتبعه ابو حيان وغلط ابن مالك فى كونه جعل الاحسن من التثنية قال ابن عادل وليس بغلط لكراهة توالى تثنيتين مع امن اللبس وقوله تعالى ان تتوبا فيه التفات من الغيبة الى الخطاب والمراد بهذا الخطاب اما المؤمنين بنتا الشيخين الكريمين عائشة وحفصة حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل الى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهما كرهتا ما احب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان صلى الله عليه وسلم يحب العسل والنساء وقال ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما ان يحتبس عن ام ولده فسرهما ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قد مالت قلوبكما الى التوبة * روى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال مكثت سنة وانا اريد ان اسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن آية فما استطيع ان اسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع وكان ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه باداوة ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ فلما رجع قلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال تلك حفصة وعائشة قال فقلت له والله ان كنت لاريد ان اسألك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت أن عندى من علم فسلنى عنه فان كنت أعلمه اخبرتك به قال وقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهرى كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال هى عائشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنت أنا وجار لى من الانصار وكنا نتزل فى بنى امية بن زيد وهم من عوالى المدينة وكنا نتناوب النزول على النبى صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وأنزل يوما فاذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحى أو غيره واذا نزل فعل مثل ذلك وكنا معشر قريش نغلب

وفى معرفتها غموض يحتاج الى فطنة وفقه فناسب نفى الفقه عنهم والثانى متصل بقوله ولله العزة ولرسوله

النساء فلما قدمنا المدينة على الانصار اذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتأدبن من أدب نساء الانصار فصخبت على امرأتي فراجعتني فانكرت أن تراجعني قالت لم تنكر أن أراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وان احداهن لتهجره اليوم حتى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت لها اي حفصة اتغاضب احداكن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل قالت نعم فقلت قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيأ وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عائشة رضى الله عنها قال عمر وكنا قد تحدثنا ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل الانصاري يوما نوبته ثم اتاني عشاء فضرب بابي ضربا شديدا ففزعت فخرجت اليه فقال قد حدث اليوم امر عظيم قلت ما هو أجاء غسان قال لا بل أعظم من ذلك وأهول طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدرى ها هو ذا معتزل في المشربة فاتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت ثم انطلقت حتى أتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف ثم قلت وأنا قائم يا رسول الله أطلقت نساءك فرفع الى بصره وقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت وأنا قائم لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قلت يا رسول الله لو رأيتني دخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك أن كانت جارتك هي اوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عائشة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر غير أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فان فارسا والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكئا وقال أوفي هذا أنت يا ابن الخطاب ان أولئك قوم عجلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر الله لي فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك الحديث حين افشته حفصة الى عائشة تسعا وعشرين ليلة وكان قال ما أنا بداخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها فقالت له عائشة يا رسول الله انك كنت اقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وانما أصبحت من تسع وعشرين ليلة اعدها عدا فقال الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة قالت عائشة ثم أنزل الله التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته ثم خيرهن فقلن مثلها وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله ان يخير أزواجه قالت فبدأ بي

والمؤمنين وفي معرفتها غموض زائد يحتاج الى علم فناسب نفي العلم عنهم فالمعنى لا يعلمون ان الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى ذاكر لك أمرا فلا عليك ان لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت ثم قال ان الله تعالى قال يا أيها النبي قل لأزواجك الى تمام الآيتين فقلت أوفي هذا استأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفي رواية ان عائشة قالت له لا تخبر نساءك اني اخترتك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أرسلني مبلغا وفي رواية قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام الا رجوت أن الله يصدق قولي الذي أقول ونزلت هذه الآية عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه الآية وفي رواية انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فأذن له وانه قام على باب المسجد ونادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه * (شرح بعض ألفاظ هذا الحديث) * قوله فعدلت معه أي ملت معه بالاداوة أي الركوة والعوالي جمع عالية وهي اماكن بأعلى ارض المدينة وقوله لا يغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهي عائشة وأوسم منك أي أكثر حسنا وقوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو أن يفعله الانسان مرة ويفعله آخر بعده والمشربة بضم الراء وفتحها الغرفة وقوله فاذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ضفرته ونسجته والمراد أنه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير وقوله ما رأيت فيه ما يرد البصر الأهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد وقوله من شدة موجدته الموجدة الغضب وقرأ (وان تظاهرا) الكوفيون بتخفيف الظاء والباقون بتشديدها أي تتعاونا (عليه) أي النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكرهه (فان الله) أي الملك الاعظم الذي لا كفء له وقوله تعالى (هو) يجوز أن يكون فصلا وقوله (مولاه) الخبر وان يكون مبتدأ ومولاه خبره والجملة خبر ان والمعنى فان الله وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما وقوله تعالى (وجبريل وصالح المؤمنين) معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه ويجوز أن يكون جبريل مبتدأ وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع فتختص الولاية بالله واختلف في صالح المؤمنين فقال عكرمة هو أبو بكر وعمر وقال المسيب بن شريك هو أبو بكر وقال سعيد بن جبير هو عمر وعن اسماء بنت عميس هو علي بن أبي طالب وقال الطبري هو خيار المؤمنين وصالح اسم جنس كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر وقال قتادة هم الانبياء وقال ابن زيد هم الملائكة وقال السدي هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والاولى ان يشمل هذه الاقوال كلها (والملائكة) أي كلهم (بعد ذلك) أي الامر العظيم الذي تقدم ذكره (ظهير) أي ظهراء أعوان له في نصره عليكما * (تنبيه) * أخبر عن الجمع باسم الجنس اشارة الى انهم على كلمة واحدة ومنهم جبريل عليه السلام فهو مذكور خصوصا وعموما ثلاث مرات على القول بان صالح المؤمنين هم الملائكة ان قلنا بالعموم وذلك اظهار لشدة محبته وموالاته للنبي صلى الله عليه وسلم وهذه الآية عكس آية البقرة وهي قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فانه ذكر الخاص بعد العام تشريفا له وهنا ذكر العام بعد الخاص قال ابن عادل ولم يذكر الخاص الا القسم الاول وفي جبريل لغات

معزا وإماته ومذل اعدائه

* (سورة التغابن) *

(قوله يسبح لله ما في السموات وما في الارض)

تقدم ذكره في البقرة ولما كان اشد ما على المرأة ان تطلق ثم اذا طلقت ان يستبدل بها ثم يكون البدل خيرا منها قال تعالى محذرا لهن (عسى ربه) اى المحسن اليه بجميع أنواع الاحسان التي عرفتموها ومالم تعرفوه منها اكثر جدير وحقيق وسط بين عسى وخبرها اهتماما وتخويفا قوله تعالى (ان طلقكن) أى بنفسه من غير اعتراض عليه جميعكن او بعضكن قيل كل عسى في القرآن واجب الا هذه الآية وقيل هو واجب ولكن الله تعالى علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن فان طلقكن شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف او متقدم اى ان طلقكن فعسى ربه وقوله تعالى (أن يبدله) اى بمجرد طلاقه وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال (أزواجا خيرا منكن) خبر عسى والجملة جواب الشرط ولم يقع التبدل لعدم وجود الشرط (فان قيل) كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خيرا منهن لانهن أمهات المؤمنين (أجيب) بانه اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعصيانهن وايذائهن اياه كان غيرهن من الموصوف بالصفات الآتية مع الطاعة له صلى الله عليه وسلم خيرا وان هذا على سبيل الفرض وهو عام في الدنيا والآخرة فلا يقتضي وجود من هو خير منهن مطلقا وان قيل بوجوده في خديجة لما جرب من كمالها على نفسها في حقه صلى الله عليه وسلم وبلوغها في حبه والادب معه ظاهرا وباطنا الغاية القصوى ومريم أحصنت حين كانت من القانتين فذلك في الآخرة وتعليق تطليق الكل لا يدل على انه لم يطلق حفصة فقد روى أنه طلقها ولم يزدها ذلك الافضلا لان الله تعالى أمره ان يراجعها لانها صوامة قوامة * ثم بين تعالى الخيرية بقوله تعالى (مسلمات) الى آخره وهو اما نعت او حال او منصوب على الاختصاص قال سعيد بن جبير مسلمات بمعنى خاضعات وقيل مسلمات لامر الله عز وجل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خاضعات لله تعالى بالطاعات (مؤمنات) أى مصدقات بتوحيد الله تعالى وقيل مصدقات بما أمرن به ونهين عنه وقيل مسلمات مقرات بالاسلام مؤمنات مخلصات (قانتات) اى مطيعات والقنوت الطاعة وقيل داعيات (تائبات) اى راجعات من الهفوات والزلات سريعا ان وقع منهن شئ من ذلك وقيل راجعات الى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات لمحاب أنفسهن (عابدات) اى كثيرات العبادات لله تعالى وقال ابن عباس كل عبادة في القرآن فهو التوحيد (سائحات) قال ابن عباس صائمات وقال الحسن مهاجرات وقال ابن زيد وليس في أمة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة والسياحة الجولان في الارض وقال الفراء وغيره سمى الصائم سائحا لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى أن يجيء وقت افطاره وقيل ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الماء اذا ذهب (ثيبات) جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه او زالت بكارتها بوطء من غير نكاح (وأبكارا) أى عذارى جمع بكر وهي ضد الثيب وسميت بذلك لانها على أول حالها التي خلقت بها وقدم الثيبات لانهن أخبر بالعشرة التي هي المقصود الاعظم وهو سوى الواو بين الثيبات والابكار لتنافي الوصفين دون سائر الصفات (فان قيل) كيف ذكر الثيبات في مقام المدح وهن من جملة ما يقلل رغبة الرجال فيهن (أجيب) بانه يمكن ان يكون بعض الثيبات خيرا من كثير من الابكار لاختصاصهن بالمال

وفي قوله بعد كررماهنا وقوله ماتسرون وماتعلنون تأكيدا وتعميما للاختلاف فناسب ذكر

والجبال * ولما بالغ سبحانه في عتاب نساء النبي صلى الله عليه وسلم مع صيانتهن عن التشبه اكراماله صلى الله عليه وسلم أتبع ذلك أمر الامة بالتأسي به في هذه الاخلاق الكاملة فقال تعالى منبهاً لهن بالموعظة الخاصة بموعظة عامة دالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر للاقرب فالاقرب (يا أيها الذين آمنوا) أي اقروا بذلك (قوا أنفسكم) أي اجعلوا لها وقاية بالتأسي به صلى الله عليه وسلم وترك المعاصي وفعل الطاعات وفي أدبه مع الخلق والخالق (وأهليكم) من النساء والاولاد وكل من يدخل في هذا الاسم قوهم (نارا) بالنصح والتاديب ليكونوا متخلقين باخلاق أهل النبي صلى الله عليه وسلم كما روى الطبراني عن سعيد بن العاص مانحل والد ولدا أفضل من أدب حسن وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنة وقيل ان أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ قام من الليل فصلى فايقظ أهله فان لم تقم رش على وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل تصلي وأيقظت زوجها فان لم يقم رشت على وجهه من الماء وقال بعض العلماء لما قال قوا أنفسكم دخل فيه الاولاد لان الولد بعض منه كما دخلوا في قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم وقوله عليه الصلاة والسلام ان أحل ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه فلم يفرد بالذكر افرادسائر القرابات فيعلمه الحلال والحرام وقال عليه الصلاة والسلام حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ * ثم بين تعالى وصف تلك النار بقوله عز وجل (وقودها) أي الذي توقد به (الناس) أي الكفار (والحجارة) كأصنامهم منها وعن ابن عباس أنها حجارة الكبريت وهي أشد الاشياء حرا اذا أوقد عليها والمعنى أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه (عليها ملائكة) خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتي ان شاء الله تعالى في سورة المدثر (غلاظ) أي غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم أكل الطعام والشراب (شداد) أي شداد الابدان وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال يدفع واحدهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفا في النار لم يخلق الله فيهم الرحمة وقيل في أخذهم أهل النار شداد عليهم يقال فلان شديد على فلان أي قوي عليه يعذبه بانواع العذاب وقيل غلاظ أجسامهم ضخمة شداد أي أقوياء قال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقال صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين منكبي كل واحد منهم كما بين المشرق والمغرب (لا يعصون الله) أي الملك الاعلى في وقت من الاوقات وقوله تعالى (ما أمرهم) بدل من الجلالة أي لا يعصون أمر الله وقوله تعالى (ويفعلون ما يؤمرون) تاكيد هذا ما جرى عليه الجلال المحلي وقال الزمخشري (فان قلت) أليست الجملتان في معنى واحد قلت لا فان معنى الاولى أنهم يقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه وقيل لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل وصدر بهذا البيضاوي (فان قيل) انه تعالى خاطب المشركين في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة

ما بينهما لان تسبيح ما في السموات مخالف لتسبيح ما في الارض كثرة وقلة ووقوعا من حيوان وجماد

أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته المؤمنين بذلك (أجيب) بأن الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مع الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقي عن الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون قال الزمخشري ويعضد ذلك قوله تعالى على الاثر (يا أيها الذين كفروا) أي بالاخلال بالادب مع النبي صلى الله عليه وسلم فأداهم ذلك الى الاخلال بالادب مع الله تعالى وبالادب مع سائر خلقه (لا تعتذروا) أي تبالغوا في اظهار العذر وهو ايساغ الحيلة في وجه يزيل ما ظهر من التقصير (اليوم) فانه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار وقد فات زمان الاعتذار وصار الامر الى ما صار وهذا النهي لتحقق اليأس (انما تجزون) أي في هذا اليوم (ما كنتم) أي بما هو لكم كالجبلة والطبع (تعملون) في الدنيا ونظيره اليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم قال البقاعي ولا بعد على الله في أن يصور لكل انسان صورة عمله بحيث لا يشك انه عمله ثم يجعل تلك الصورة عذابه الذي يجد فيه من الالم ما علم الله تعالى انه بمقدار استحقاقه * ولما بين تعالى أن المعذرة لا تنفع في ذلك اليوم أمر بالتوبة في الدنيا بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا) أي ارجعوا رجوعا تاما (الى الله) أي الملك الذي لا نظير له (توبة) وقوله (نصوحا) صيغة مبالغة أسند النصح اليها مجازا وهي من نصح الثوب اذا خاطه فكأن التائب يرقع ما خرقه بالمعصية وقيل من قولهم ناصح أي خالص وقرأ شعبة بضم النون والباقون بفتحها * (تنبيه) * أمرهم بالتوبة وهي فرض على الاعيان في كل الاحوال وفي كل الازمان واختلفوا في معناها فقال عمر ومعاذ التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن في الضرع وقال الحسن هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه وقال الكلبي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وعن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وعن سماك أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله تعالى أمام عينيك وتتبعه نظرك وعن السدي لا تصح الا بنصيحة النفس ونصيحة المؤمنين لان من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله وقال سعيد بن المسيب توبة ينصحون فيها أنفسهم وقال القرطبي يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان وقال الفقهاء التوبة التي لا تعلق لحق آدمي فيها لها ثلاثة شروط أحدها أن يقلع عن المعصية وثانيها أن يندم على ما فعله وثالثها أن يعزم على أن لا يعود اليها فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته وان كانت تتعلق بآدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع أن يبرأ من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى مالكه وان كانت حد قذف ونحوه مكنه من نفسه أو طلب العفو منه وان كانت غيبة استحله منها قال العلماء التوبة واجبة من كل معصية كبيرة أو صغيرة على الفور ولا يجوز تأخيرها وتجب من جميع الذنوب وان تاب من بعضها صحت توبته عما تاب منه وبقي عليه الذي لم يتب منه هذا مذهب أهل السنة والجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة وعن أبي هريرة قال سمعت رسول

واسرار نامية الفة لاعلا هنا
ناسب ذكر ما فيهما
لم يكررها في قوله تعالى
ولم يكررها في قوله
ما في السموات والارض

الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة وعن أبى موسى الاشعرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن على انه سمع اعرابيا يقول اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة الاستغفار بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك فى طاعة الله كما أذبتها فى المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصى وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب من الذنب ثم يعود فيه وقوله تعالى (عسى ربكم) أى المحسن اليكم (أن يكفر) أى يغطى تغطية عظيمة (عنكم سيآتكم) أى ما بدا منكم مما يسوء بالتوبة اطماع من الله لعباده فى قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه واذا كان التائب على خطر فما ظنك بالمصر ولكن الفضل واسع * ولما ذكر نفع التوبة فى دفع المضار ذكر نفعها فى جلب المسار بقوله تعالى (ويدخلكم) أى يوم الفصل (جنات) أى بساتين كثيرة الاشجار تستر داخلها (تجرى من تحتها) أى تحت غرفها وأشجارها (الانهار) فهى لا تزال ريا وقوله تعالى (يوم لا يخزى الله) أى الملك الاعظم (النبى) أى الذى نبأه الله تعالى بما يوجب له الرفعة التامة من الاخبار التى هى فى غاية العظمة منصوب بيدخلكم او باضمار اذكر ومعنى يخزى هنا يعذب أى لا يعذبه وقوله تعالى (والذين آمنوا معه) يجوز فيه وجهان أحدهما أن يكون منسوقا على النبى أى ولا يخزى الذين آمنوا معه وعلى هذا يكون قوله تعالى (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) مستأنفا أو حالا الثانى أن يكون مبتدأ وخبره نورهم يسعى الى آخره وقوله تعالى (يقولون) خبر ثان أو حال * (تنبيه) * التقييد بالايمان لا ينفى ان لهم نورا عن شمائلهم بل لهم نور لكن لا يلتفتون اليه لانهم اما من السابقين واما من أهل اليمين فهم يمشون فى ما بين الجهتين ويؤتون صحائف أعمالهم منهما وأما اصحاب الشمال فيعطون من وراء ظهورهم ومن شمائلهم وهم عمالهم من النورات قالوا مع لهم وان شفعوا اشفعوا (ربنا) أى ايها المتفضل علينا بهذا النور وبكل خير كنا ونكون فيه (أتمم لنا نورنا) اى الذى مننت به علينا حتى يكون فى غاية التمام قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن لله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله أدناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فاولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا (واغفر لنا) أى وامح عنا كل نقص كان يميل بنا الى أحوال المنافقين عينه وأثره وهذا النور من صور اعمالهم فى الدنيا لان الآخرة تظهر فيها حقائق الاشياء وتتبع الصور معانيها وهو شرع الله الذى شرعه وهو الصراط الذى يضرب بين ظهرانى جهنم لان الصراط فى الدنيا

اعلم اختلاف علمه تعالى اذ علمه بما تحت الارض كعلمه بما فوقها وعلمه بما يكون كعلمه بما كان فناسب

متوسطة بين الرذائل فكل فضيلة يكتنفها رذيلتان افراط وتفريط فالفضيلة هي الصراط المستقيم والرذيلتان ما كان من جهتهم عن يمينه وشماله فمن كان يمشي في الدنيا على ما أمر به سواء من غير افراط ولا تفريط كان نوره تاماً ومن امالته الشهوات طفئ نوره في بعض الاوقات واختطفته كلاليب هي صور الشهوات فعيل به في النار بقدر ميله اليها والمنافق يظهر له نور اقراره بكلمة التوحيد فاذا مشى طفئ لان اقراره لا حقيقة له (انك) أى وحدك (على كل شئ) يمكن دخول المشيئة فيه (قدير) أى بالغ القدرة * ولما ذكر ما تقدم من لينه صلى الله عليه وسلم لاضعف الناس النساء وحسن أدبه وكرم عشرته لانه مجبول على الشفقة على عباد الله والرحمة لهم أمره سبحانه بالغلظة والشدة على أعدائه بقوله تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) أى بكل ما يجهدهم فيكفهم من السيف وما دونه من المواعظ الحسنة والدعاء الى الله تعالى ليعرف أن ذلك اللين لاهل الله تعالى انما هو من تمام عقلك وغزير علمك وفضلك (والمنافقين) أى جاهدهم بما يليق بهم من الحجة والسيف ان احتيج اليه ان أبدوا نوع مظاهرة وعرفهم أحوالهم في الآخرة وانهم لا نور لهم يجوزون به على الصراط مع المؤمنين وقال الحسن وجاهدهم باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) بالفعل والقول بالتوبيخ والزجر والابعاد والهجر فالغلظة عليهم من اللين لله تعالى كما ان اللين لاهل الله من خشية الله تعالى وقرأ حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها (ومأواهم) أى في الآخرة (جهنم وبئس المصير) أى هي * ولما كان للكفار قرابات بالمسلمين ربما توهموا انها تنفعهم وللمسلمين قرابات بالكفار توهموا انها تضرهم ضرب لكل مثلاً وبدأ بالاول فقال تعالى (ضرب الله) اى الملك الذى أحاط بكل شئ قدرة وعلماً (مثلاً) يعلم به من فيه قابلية العلم ويتعظ به من له أهلية الاتعاظ (للذين كفروا) أى غطوا الحق على أنفسهم وعلى غيرهم وقوله تعالى (امرأت نوح) عليه السلام الذى اهلك الله تعالى من كذبه بالغرق (وامرأت لوط) عليه السلام الذى اهلك الله تعالى من كذبه بالحصب والخسف يجوز ان يكون بدلاً من قوله مثلاً على تقدير حذف المضاف اى ضرب الله مثلاً مثل امرأة نوح وامرأة لوط ويجوز ان يكونا مفعولين وضرب الله تعالى هذا المثل تنبيهاً على انه لا يغني احد عن قريب ولا نسيب في الآخرة اذا فرق بينهما الدين قال مقاتل وكان اسم امرأة نوح والهة واسم امرأة لوط والعة وقال الضحاك عن عائشة ان جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط والهة * (تنبيه) * رسمت امرأة في الثلاثة وايفت بالتاء المجرورة فوقف عليهن بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ووقف الباقون بالتاء وقوله تعالى (كانتا) اى مع كونهما كافرتين (تحت عبدين) جملة مستأنفة كأنها مفسرة لضرب المثل ولم يأت بضميرهما فيقال تحتهما أى تحت نوح ولوط لما قصد من تشريفهما بهذه الاضافة الشريفة قال القائل

لا تدعني الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائي

ودل على كثرة عبيده تنبيهاً على غناه بقوله تعالى (من عبادنا) ووصفهما بأجل الصفات وهو قوله تعالى (صالحين) واختلف في معنى قوله تبارك وتعالى (فخانتاهما) فقال عكرمة والضحاك بالكفر وعن ابن عباس كانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به احد أخبرت الجبابرة من قومه وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه وعن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط

حذفها فيه (قوله فكفروا وتولوا واستغنى الله) ضرب على قوله ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات

وانما كانت خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل خيانتهما النميمة اذا أوحى اليهما شئ أفشتاه الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت امرأة لوط اذا نزل به ضيف دخنت لتعلم قومها انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من اتيان الرجال (فلم) أى فتسبب عن ذلك ان العبدين الصالحين لم (يغنيا عنهما) أى المرأتين بحق النكاح (من الله) أى من عذاب الملك الذى له الامر كله فلا أمر لغيره (شيأ) اى من اغناء لاجل خيانتهما (وقيل) اى للمرأتين ممن أذن له فى القول النافذ الذى لا مرد له (ادخلا النار) أى قيل لهما ذلك عند موتهما أو يوم القيامة (مع الداخلين) اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء فلم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما شيأ من عذاب الله تعالى وفى هذا المثل تعريض بأمى المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أعلى وجه وأشده وفيه تنبيه على أن العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة وقيل ان كفار مكة استهزؤا وقالوا ان محمدا يشفع لنا فبين تعالى أن الشفاعة لا تنفع كفار مكة وان كانوا أقرباء كما لا ينفع نوح امرأته ولا لوط امرأته مع قربهما لهما لكفرهما * ثم شرع تعالى فى ضرب المثل الثانى فقال تعالى (وضرب الله) أى الملك الاعلى الذى له صفات الكمال (مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) واسمها آسية وهى بنت مزاحم آمنت وعملت عملا صالحا فلم تضرها الوصلة بالكافر بالزوجية التى هى من أعظم الوصل ولا نفعه ايمانها كل امرئ بما كسب رهين وأثابها ربها تعالى أن جعلها فى الآخرة زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم فى دار كرامته بصبرها على عبادة الله تعالى وهى فى حبالة عدوه وأسقط وصفه بالعبودية دلالة على تحقيره وعدم حبه له لانه من اعدى أعدائه وقوله تعالى (اذ قالت) ظرف للمثل المحذوف أى مثلها مثلها حين قالت (رب) اى أيها المحسن الى بالهداية وأنا فى حبالة هذا الكافر الجبار (ابن لى عندك بيتا) وبينت مرادها بالعندية فقالت (فى الجنة) أى دار القرار بين وجه أجابها سبحانه بأن جعلها زوجة أكمل خلقه محمد صلى الله عليه وسلم فكانت معه فى منزله الذى هو أعلى المنازل (ونجنى من فرعون) أى فلا أكون عنده (وعمله) فلا تسلطه على بما يضرنى فى ذلك فى الآخرة فلا أعمل بشئ من عمله وهو شركه وقال ابن عباس جماعه (ونجنى) اعادت العامل تأكيدا (من القوم الظالمين) اى الناس الاقوياء المعرقين فى الذين يضعون أعمالهم فى غير مواضعها فاستجاب الله تعالى دعاءها وأحسن اليها لاجل محبتها العبودية وذكر كليم الله موسى عليه السلام كما يقال مصدق صديق داخل فى صداقتى . وذلك أن موسى عليه السلام لما غلب السحرة آمنت به فلما تبين لفرعون ايمانها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها فى الشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة وفى القصة ان فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فابصرته من مرمرة بيضاء فانتزعت روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما وقال الحسن وابن كيسان رفع الله تعالى امرأة فرعون الى الجنة فهى فيها تأكل وتشرب وقوله تعالى (ومريم ابنت عمران) عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل (التى أحصنت فرجها) أى حفظته عن الرجال وجميع وجوه الفساد فانه كانت كالحصن العظيم المانع من العدو فاستمرت على حالها الى الممات فزوجها الله تعالى فى الجنة بجزائها بخير

(فان قلت) ظاهره ان استغناءه بعد اتيان الرسل بالبينات مع انه مستغن دائما (قلت) معناه ظهر

خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعض المفسرين أراد بالفرج هنا الجيب لقوله تعالى (فنفخنا) أي بما لنا من العظمة بواسطة ملكنا جبريل عليه السلام (فيه) اى فى جيب درعها قال البقاعي أو فى فرجها الحقيق وعلى هذا فلا حاجة للتأويل (من روحنا) اى من روح خلقناه بلا توسط اصل وهو روح عيسى عليه السلام (وصدقت بكلمات ربها) اى المحسن اليها واختلف فى تلك الكلمات فقال مقاتل يعنى بالكلمات عيسى وانه نبي وعيسى كلمة الله وقال البغوي يعنى الشرائع التى شرعها الله تعالى للعباد بكلماته المنزلة وقيل هى قول جبريل عليه السلام لها انما أنا رسول ربك الآية وعلى كل قول استحقت ان تسمى لذلك صديقة وقرأ (وكتبه) أبو عمرو وحفص بضم الكاف والتاء جمعا والباقون بكسر الكاف وفتح التاء وبعدها ألف افرادا والمراد منه الكثرة فالمراد به الجنس فيكون فى معنى كل كتاب أنزله الله تعالى على ولدها أو غيره وقوله تعالى (وكانت من القانتين) يجوز فى من وجهان احدهما انها لابتداء الغاية والثاني انها للتبعيض وقد ذكرهما الزمخشري فقال من للتبعيض ويجوز أن تكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون أخى موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما وعلى سائر الانبياء وآلهم أجمعين قال الزمخشري فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه وقيل أراد من القوم القانتين ويجوز ان يرجع هذا الى أهل بيتها فانهم كانوا مطيعين لله والقنوت الطاعة وقال عطاء من المصلين بين المغرب والعشاء وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة وهى تجود بنفسها اذا قدمت على ضراتك فاقرئيهن منى السلام مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كمل من نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وروى الشيخان عن أبى موسى الاشعري كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا حديث موضوع

سورة الملك مكية

وتسمى الواقية والمنجية وتدعى فى التوراة المانعة لانها تقى وتنجى من عذاب القبر وعن ابن شهاب انه كان يسميها المجادلة لانها تجادل عن صاحبها فى القبر وهى ثلاثون آية وثلثمائة وثلاثون كلمة وألف وثلثمائة حرف

(بسم الله) الذى خضعت لجلاله عظمة الملوك (الرحمن) الذى عم بنعمة الايجاد كل من فى الوجود (الرحيم) الذى خص أولياءه بالنعيم بدار الخلود (تبارك) اى تكبر وتقدس وتعالى وتعاظم وثبت ثباتا لا مثل له مع اليمن والبركة وكل دام فهو الدائم الذى لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه (الذى بيده) اى بقدرته وتصرفه لا بقدرة غيره (الملك) أى له الامر والنهى

استغناءه عن ايمانهم حيث لم ينجهم اليهم مع قدرته على ذلك (قوله ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) الى

وملك السموات في الدنيا والآخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع قال الرازي وهذه الكلمة تستعمل لتأكيد كونه تعالى ملكا ومالكا كما يقال بيد فلان الامر والنهي والحل والعقد وذكر اليد انما هو تصوير للاحاطة ولتمام القدرة لانها محلها مع التنزه عن الجارحة وعن كل ما يفهم حاجة أو شبها (وهو على كل شيء) اي من الممكنات (قدير) اي تام القدرة *(تنبيه)* احتج أهل السنة بهذه الآية على أنه لا يؤثر الا قدرة الله تعالى وابطلوا القول بالطبائع كقول الفلاسفة وابطلوا القول بالتولدات كقول المعتزلة وابطلوا القول بكون العبد موجدا لافعال نفسه لقوله تعالى وهو على كل شيء قدير ودلت هذه الآية على الوحدانية لانا لو قدرنا الها ثانيا فاما أن يقدر على ايجاد شيء أولا فان لم يقدر على ايجاد شيء لم يكن الها وان قدر كان مقدور ذلك الاله الثاني شيأ فيلزم كون ذلك الشيء مقدورا للاله الاول لقوله وهو على كل شيء قدير فيلزم وقوع مخلوق من خالقين وانه محال لانه اذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد يلزم ان يستغني كل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا عنهما وذلك محال وقرأ وهو على كل شيء قدير وهو العزيز الغفور وهو اللطيف وما أشبه ذلك أبو عمرو وقالون والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها وخرج بقولنا من الممكنات أنه تعالى ليس قادرا على نفسه وأجاب بعضهم بان هذا عام مخصوص ودل على تمام قدرته قوله تعالى (الذي خلق) اي قدر وأوجد (الموت والحيوة) قيل خلق الموت في الدنيا والحياة في الآخرة وقدم الموت على الحياة لان الموت الى القهر أقرب كما قدم البنات على البنين فقال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقيل قدمه لانه اقدم لان الاشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطف والتراب ونحوه وقال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء وعن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت وقيل انما قدم الموت على الحياة لان من نصب الموت بين عينيه كان أقوى الدواعي الى العمل وحكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل أن الموت والحياة جسمان والموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ويجد ريحه الا مات وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء وهي التي كان جبريل عليه السلام والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا يجد ريحها الا حيي ولا تطأ على شيء الا حيي وهي التي أخذ السامري من أثرها فالقاه في العجل فحيي حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس وعن مقاتل خلق الموت يعني النطفة والعلقة والمضغة وخلق الحياة يعني خلق انسانا ونفخ فيه الروح فصار انسانا قال القرطبي وهذا حسن يدل عليه قوله تعالى (ليبلوكم) اي ليعاملكم وهو أعلم بكم من أنفسكم معاملة المختبر لاظهار ما عندكم من العمل بالاختيار (أيكم أحسن عملا) اي من جهة العمل أي عمله أحسن من عمل غيره وروي عن عمر مرفوعا أحسن عملا احسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله وقال الفضيل بن عياض أحسن عملا أخلصه وأصوبه وقال العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقال

قوله أبداه كرمثله في الطلاق لكن زاد هنا يكفر عنه سيآته لان ماهنا تقدمه ابشر بهم دون ما الآيات

الحسن أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها وقال السدي أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن استعدادا وأشد خوفا وحذرا وقيل يعاملكم معاملة المختبر فيبلو العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره وبالحياة ليبين شكره وقيل خلق الله تعالى الموت للبعث والجزاء وخلق الله الحياة للابتلاء (فان قيل) الابتلاء هو التجربة والامتحان حتى يعلم انه هل يطيع أو يعصي وذلك في حق الله تعالى العالم بجميع الاشياء محال (أجيب) بان الابتلاء من الله تعالى هو أن يعامل عبده معاملة تشبه المختبر كما مرت الاشارة اليه (وهو) اي والحال أنه وحده (العزيز) اي الذي يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الغفور) اي الذي مع ذلك يفعل في محو الذنوب عينا وأثرا فعل المبالغ في ذلك ويتلقى من اقبل اليه أحسن تلق كما قال تعالى في الحديث القدسي ومن أتاني يمشي أتيته هرولة وقوله تعالى (الذي خلق) أي أبدع على هذا التقدير من غير مثال سبق (سبع سموات) يجوز أن يكون تابعا للعزيز الغفور نعتا أو بيانا أو بدلا وأن يكون منقطعا عنه خبر مبتدأ محذوف أو معمول فعل مقدر وقوله تعالى (طباقا) صفة لسبع وفيه ثلاثة أوجه أحدها انه جمع طبق نحو جبل وجبال والثاني أنه جمع طبقة نحو رحبة ورحاب والثالث أنه مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا ثم اما أن يجعل نفس المصدر مبالغة واما على حذف مضاف اي ذات طباق واما أن ينتصب على المصدر بفعل مقدر أي طوبقت طباقا من قولهم طابق النعل أي جعله طبقة فوق طبقة أخرى وروي عن ابن عباس طباقا أي بعضها فوق بعض قال البقاعي بحيث يكون كل جزء منها مطابقا للجزء من الاخرى ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك قال وهي لا تكون كذلك الا أن تكون الارض كرة والسماء الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى أن يكون العرش محيطا بالكل والكرسي الذي هو أقربها بالنسبة اليه كحلقة ملقاة في فلاة فما ظنك بما تحته وكل سماء في التي فوقها بهذه النسبة وقد قرر أهل الهيئة انها كذلك وليس في الشرع ما يخالفه بل ظواهره توافقه ولا سيما التشبيه بالحلقة الملقاة في فلاة فسبحان اللطيف الخبير ولا شك ان من تفكر في هذه العظمة مع ما لنا بها من الاتصال النافع آثره سبحانه بالحب وافرده عن كل ما سواه وانقطع بالحب اليه ولم يعول الا عليه في كل دفع ونفع وسارع في مرضاته ومحابه في كل خفض ورفع * (تنبيه) * دلت هذه الآية على القدرة من وجوه احدها من حيث بقاؤها في جو الهواء معلقة بلا عمد ولا سلسلة ثانيها ان كلا منها اختص بحركة خاصة مقدرة بقدر معين من السرعة والبطء الى جهة معينة ثالثها كونها في ذاتها محدثة وكل ذلك يدل على اسنادها الى قادر تام القدرة وقوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن) اي للسموات ولغيرها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وكذا القول في قوله تعالى فارجع البصر ثم ارجع البصر ينقلب اليك البصر (من تفاوت) اي من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها وان اختلفت صورة وقيل المراد بذلك السموات خاصة اي ما ترى في خلق السموات من عيب واصله من الفوت وهو ان يفوت بعضها بعضا لقلة استوائها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق وقال السدي اي من اختلاف وعيب يقول الناظر لو كان كذا لكان احسن وقيل التفاوت الفطور بدليل قوله تعالى بعد ذلك فارجع

واخبر فيها عن الكفار بصفات تحتاج الى تكثير فناسب ذكر يكفر عنه سياقه بخلاف ما في

البصر هل ترى من فطور ونظيره قوله تعالى وما لها من فروج قال القفال ويحتمل أن يكون المعنى ماترى في خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكمة الصانع وأنه لم يخلقها عبثا *(تنبيه)* دلت هذه الآية على كمال علم الله تعالى وذلك ان الحس دل على ان هذه السموات السبع اجسام مخلوقة على وجه الاحكام والاتقان وكل فاعل كان فعله محكما متقنا فلابد وأن يكون عالما فدلت الآية على كونه تعالى عالما بالمعلومات فقوله تعالى ماترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة وقرأ ماترى وهل ترى أبو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بين بين والباقون بالفتح وأدغم لام هل في التاء أبو عمرو وهشام وحمزة والكسائي وقرأ من تفوت حمزة والكسائي بغير ألف بعد الفاء وتشديد الواو والباقون بالف بعد الفاء وتخفيف الواو وقوله تعالى (فارجع البصر) مسبب عن قوله تعالى ماترى وقوله تعالى (هل ترى من فطور) جملة يجوز أن تكون معلقة لفعل محذوف يدل عليه فارجع البصر أى فارجع البصر فانظر هل ترى وأن يكون فارجع البصر مضمنا معنى انظر لانه بمعناه فيكون هو المعلق والفطور جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق ومعناه شق اللحم وطلع قال المفسرون الفطور الصدوع والشقوق قال القائل

شققت القلب ثم ذررت فيه * هواك فليط فالتام الفطور

(ثم ارجع البصر) وقوله تعالى (كرتين) نصب على المصدر كرتين وهو مثنى لايراد به حقيقته بل التكثير بدليل قوله تعالى (ينقلب اليك البصر خاسئا) أى صاغرا ذليلا بعيدا عن اصابة المطلوب كأنه طرد عنه طردا بالصغار (وهو حسير) اى كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة وهذان الوصفان لايأتيان بنظرتين ولا ثلاث وانما المعنى كرات وهذا كقولهم لبيك وسعديك وحنانيك ودواليك وهذاذيك لايريدون بهذه التثنية تشفيع الواحد انما يريدون التكثير أى اجابة لك بعد اجابة والا تناقض الغرض والتثنية تفيد التكثير لقرينة كما يفيده أصلها وهو العطف لقرينة كقوله * لو عد قبر وقبر كنت أكرمهم * أى قبور كثيرة ليتم المدح وقال ابن عطية كرتين معناه مرتين ونصبهما على المصدر وقيل الاولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها وهذا بظاهره يفهم التثنية فقط وروى البغوى عن كعب أنه قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أو قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وبين السماء السابعة والحجب السبعة صحارى من نور ثم ذكر تعالى دلالة أخرى بعد تلك الدلالة تدل على تمام قدرته بقوله تعالى (ولقد زينا) بمالنا من العظمة (السماء الدنيا) أى القربى لانها أقرب السموات الى الارض وهى التى تشاهدونها (بمصابيح) جمع مصباح وهو السراج أى بنجوم متقدة عظيمة جدا تفوت الحصر ظاهرة الرؤية مضيئة ظاهرة زاهرة وهى الكواكب التى تنور الارض بالليل انارة السرج التى تنورون بها سقوف دوركم وسمى الكواكب مصابيح لاضاءتها وزينة لان الناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح فكأنه قال ولقد

الطلاق لم يتقدمه شئ من ذلك (قوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) * ان قلت كيف قال ذلك مع أ ن

زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح والتزين بها لا يمنع أن تكون مركوزة فيما فوقها من السموات وهي تتراءى بحسب الشفوف وصفاء أجرام السموات من الصفاء وتلك المصابيح من شدة الاضاءة (وجعلناها) أي المصابيح بما لنا من العظمة مع كونها زينة واعلاما للهداية (رجوما للشياطين) اى الذين يحق لهم الطرد من الجن لما لهم من الاستراق حراسة للسماء التي هي محل تنزل أمرنا بالقضاء والقدر وانزال هذا الذكر الحكيم لئلا يفسدوا باستراق السمع فيها على الناس دينهم الحق ويلبسوا عليهم امرهم بخلط الحق الذى قد ختمنا به الاديان بالباطل والرجوم جمع رجم وهو مصدر في الاصل أطلق على المرجوم به كضرب الامير ويجوز أن يكون باقيا على مصدريته ويقدر مضاف أى ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار أنواعه والشهاب المرجوم به منفصل من نار الكواكب وهو قار في فلكه على حاله كقبس النار يؤخذ منها وهي باقية لا تنقص وذلك موضع اتساع تسميتها بالنجوم فمن لحقه الشهاب منهم قتله أو ضعضع أمره وخبله وقال ابو علي جوابا لمن قال كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقى كيفية الرجم أن يؤخذ نار من ضوء الكوكب يرمى بها الشيطان والكوكب في مكانه لا يرجم به وقيل الرجوم هنا الظنون والشياطين شياطين الانس كما قال القائل * وما هو عنها بالحديث المرجم * فيكون المعنى جعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون يتكلمون بها رجما بالغيب في اشياء من عظيم الابتلاء وعن قتادة خلقت النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وتكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم (وأعتدنا) اى هيأنا في الآخرة مع هذا الذى في الدنيا بما لنا من العظمة (لهم) اى للشياطين (عذاب السعير) أى التي في غاية الاتقاد في الآخرة قال المبرد سعرت النار فهي مسعورة وسعير مثل مقتولة وقتيل وهذه الآية تدل على أن النار مخلوقة الآن لأن قوله تعالى وأعتدنا لهم خبر عن الماضي ولما أخبر تعالى عن تهيئة العذاب لهم بالخصوص أخبر عن تهيئته لكل عامل بأعمالهم على وجه العدل بجزائهم فيه فقال عز من قائل (وللذين كفروا) اى أوقعوا التغطية لما من حقه أن يظهر ويشهر من الاذعان للاله (بربهم) أى الذى تفرد بايجادهم والاحسان اليهم فانكروا ايجاده لهم بعد الموت كفرا بما شاهدوا من اختراعه لهم من العدم (عذاب جهنم) اى الدركة النارية التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة والغضب (وبئس المصير) أى هي (اذا ألقوا) أى طرح الكفار (فيها) أى في نار جهنم من أى طارح أمرناه بطرحهم كما يطرح الحطب في النار العظيمة (سمعوا لها) أى جهنم نفسها (شهيقا) أى صوتا هائلا أشد نكارة من أول صوت الحمار لشدة توقدها وغليانها قال ابن عباس الشهيق لجهنم عند القاء الكفار فيها كشهيق البغلة للشعير أولا هاء لها على حذف مضاف كما قال عطاء الشهيق للكفار أى سمعوا من أنفسهم شهيقا كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق قال القرطبي الشهيق في الصدر والزفير في الحلق وقد مضى في سورة هود (وهي تفور) اى تغلي بهم وفيه قول حسان

ربتم قدركم لا شئ فيها * وقدر القوم حامية تفور

الهداية سابقة على الايمان
(قلت) ليس المراد بهداية قلبه
للايمان بل المراد بهداية قلبه
اليقين عند نزول المصائب

قال ابن عباس تغلي بهم كغلي المرجل وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بكسرها (تكاد تميز) أي تقرب من أن ينفصل بعضها من بعض كما يقال يكاد فلان ينشق من غيظه وفلان غضب فطارت شقة منه في الارض وشقة في السماء كناية عن شدة الغضب وقرأ البزي بتشديد التاء من تميز في الوصل والسوسي على أصله بادغام الدال في التاء (من الغيظ) أي عليهم وقال سعيد بن جبير تكاد تميز من الغيظ يعني تنقطع وينفصل بعضها من بعض وقال ابن عباس تتفرق من شدة الغيظ على أعداء الله تعالى وذلك كله لغضب سيدها وتأتي يوم القيامة تقاد الى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونها به وهي من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الازمة جميعا وتحطم أهل المحشر فلا يردها عنهم الا النبي صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فترجع مع ان لكل ملك من القوة ما لو أمر أن يقلع الارض وما عليها من الجبال ويصعد بها في الجو فعل من غير كلفة وهذا كما أطفأها في الدنيا بنفخه روى أبو داود عن ابن عمر أنه قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر صلاته الى أن قال ثم نفخ في آخر سجوده فقال اف اف ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون * ولما ذكر تعالى حالها أتبعه حالهم فقال تعالى (كلما ألقي فيها) اي في جهنم بدفع الزبانية لهم (فوج) اي جماعة في غاية الاسراع والافواج الجماعات في تفرقة ومنه قوله تعالى فتأتون أفواجا والمراد هنا بالفوج جماعة من الكفار (سألهم) أي ذلك الفوج (خزنتها) أي النار وهم مالك وأعوانه سؤال توبيخ وتقريع (ألم يأتكم) أي في الدنيا (نذير) أي رسول يخوفكم هذا اليوم حتى تحذروا قال الزجاج وهذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب (قالوا بلى) قرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح والوقف عليها كاف والوصل (قد جاءنا نذير) أي محذر بليغ التحذير *(تنبيه)* في ذلك دليل على جواز الجمع بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها اذ لو قالوا بلى لفهم المعنى ولكنهم أظهروه تحسرا وزيادة في تغممهم على تفريطهم في قبول قول النذير وليعطفوا عليه قولهم (فكذبنا) أي فتسبب عن مجيئه الينا أنا أوقعنا التكذيب بكل ما قاله النذير (وقلنا) اي زيادة في التكذيب (ما نزل الله) اي الذي له الملك كله عليكم ولا على غيركم (من شيء) لا وحيا ولا غيره وما كفانا ذلك الفجور حتى قلنا مؤكدين (ان) أي ما (أنتم) اي أيها النذر المذكورون في قول المخاطبين (الا في ضلال) اي بعد عن الطريق (كبير) فما أغنانا في التكذيب وأسفهنا بالاستخفاف وقيل يحتمل أن يكون ان أنتم الا في ضلال كبير من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب (وقالوا) اي الكفار في حال توبيخهم أنفسهم (لو كنا) اي بما لنا من الغرائز (نسمع) اي كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات (أو نعقل) اي بما أودعنا الصانع سبحانه من العقل نفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين (ما كنا) اي كونا وما دام (في أصحاب السعير) اي في عداد من أعدت له النار التي هي في غاية الايقاد *(تنبيه)* في الآية أعظم فضيلة للعقل روى عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله

فيه علم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه او يهدى للرضا والتسليم عند وجود

تكون عبادته أما بعضهم قول القيار لو كنا نسمع أو نعقل الآية (فاعترفوا) أى بالغوا في الاعتراف حيث لا ينفعهم الاعتراف (بذنبهم) أى في دار الجزاء كما بالغوا في التكذيب في دار العمل والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر والمراد به تكذيب الرسل (فسحقا) اى فبعدا لهم من رحمة الله تعالى وهو دعاء عليهم مستجاب (لاصحاب السعير) اى الذين قضت عليهم اعمالهم بملازمتها وقال سعيد بن جبير وأبو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق وقرأ الكسائي بضم الحاء والباقون بسكونها ولما ذكر أصحاب السعير أتبعهم ذكر اضدادهم بقوله تعالى (ان الذين يخشون) اى يخافون (ربهم) اى المحسن اليهم خوفا أرق قلوبهم وأرق اعينهم بحيث لا يقر لهم قرار من توقعهم العقوبة كلما ازدادوا طاعة ازدادوا خشية يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة (بالغيب) اى حال كونهم غائبين عن عذابه سبحانه أو وعيده غائبا عنهم أو وهم غائبون عن اعين الناس فهم مع الناس يتكلمون وقلوبهم تتلظى بنيران الخوف وتتكلم بسيوف الهيبة يتركون المعصية حيث لا يراهم أحد من الناس ولا يكون لهم هذا الا برياضة عظيمة فعلى العاقل ان يطوع نفسه لتصير مطمئنة بان ترضى بالله ربا والدخول في رق العبودية وبالاسلام دينا لتصير تقيا فلا ينازع الملك في ردائه الكبرياء وازاره العظمة وتاجه الجلال وحلته الجمال ولا ينازعه فيما يدبره من الشرائع ويظهره من المعارف ويحكم به على عبيده من قضائه وقدره (لهم مغفرة) أى عظيمة تأتى على جميع ذنوبهم (وأجر) اى من فضل الله تعالى (كبير) يكون لهم به من الاكرام ما ينسيهم ما قاسوه في الدنيا من شدائد الايلام ويصغر في جنبه لذائذ الدنيا العظام (وأسروا) اى أيها الخلائق (قولكم) أى خيرا كان أو شرا (أو اجهروا به) فانه يعلمه ويجازى بكم به اللفظ لفظ الامر والمراد به الخبر يعنى ان أخفيتم كلامكم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم أو غيره أو جهرتم به فسواء (انه) اى ربكم (عليم) اى بالغ العلم (بذات الصدور) اى بحقيقتها وكنهها وحالها وجبلاتها وما يحدث عنها من الخير والشر وقال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فخبره جبريل عليه السلام فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كي لا يسمع رب محمد فاسروا قولكم أو اجهروا به يعنى واسروا قولكم في محمد صلى الله عليه وسلم وقال غيره انه خطاب عام لجميع الخلق في جميع الاعمال والمراد ان قولكم وعملكم على أى سبيل وجد فالحال واحد في علمه تعالى فاحذروا من المعاصي سرا كما تحذرون عنها جهرا فان ذلك لا يتفاوت بالنسبة الى علم الله تعالى ولما قال تعالى انه عليم بذات الصدور ذكر الدليل على انه عالم فقال تعالى (ألا يعلم من خلق) اى من خلق لابد وان يكون عالما بما خلقه لان الخلق هو الايجاد والتكوين على سبيل القصد والقاصد الى الشئ لابد وأن يكون عالما بحقيقة ذلك المخلوق كيفية وكمية والمعنى ألا يعلم السر من خلق السر يقول انا خلقت السر في القلب أفلا أكون عالما بما في قلوب العباد قال أهل المعانى ان شئت جعلته من أسماء الخالق تعالى ويكون المعنى ألا يعلم الخالق خلقه وان شئت جعلته من أسماء المخلوق والمعنى ألا يعلم الله من خلقه ولابد أن يكون الخالق عالما بما خلقه وما يخلقه قال ابن المسيب بينما رجل واقف بالليل في شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل أترى الله يعلم ما يسقط من هذا الورق

المصائب او للاسترجاع
عند نزولها بان يقول انا لله
وانا اليه راجعون

فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم ألا يعلم من خلق (وهو) أي والحال انه هو (اللطيف) الذي يعلم مابثه في القلوب (الخبير) أي البالغ العلم بالظواهر والبواطن فكيف يخفى عليه شئ من الاشياء وقال أبو اسحق الاسفرايني من اسماء صفات الذات ماهو للعلم منها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات ومنها الحكيم ويختص بان يعلم دقائق الاوصاف ومنها الشهيد ويختص بان يعلم الغائب والحاضر ومعناه أن لا يغيب عنه شئ ومنها الحافظ ويختص بانه لا ينسى شيأ ومنها المحصي ويختص بانه لا يشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الاوراق فيعلم عند ذلك أجزاء الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * ولما كان هذا أمرا غامضا دل عليه بامر مشاهد أبدعه بلطفه وأتقنه بخبره فقال مستأنفا (هو) اي وحده (الذي جعل لكم الارض) على سعتها وعظمها وحزونة كثير منها (ذلولا) أي مسخرة لا تمتنع لتتوصلوا الى منافعكم فيها قابلة للانقياد لما تريدون منها من مشي وزرع حبوب وغرس أشجار وغير ذلك وقيل ثبتها بالجبال لئلا تزول باهلها ولو كانت متمايلة لما كانت منقادة لنا وقيل لو كانت مثل الذهب والحديد لكانت تسخن جدا في الصيف وتبرد جدا في الشتاء * (تنبيه) * في ذكر هذه الآية بعد الآية التي قبلها تهديد للكفرة كقول السيد لعبده الذي اساء اليه سرا يا فلان أنا أعرف سرك وعلانيتك فاجلس في هذه الدار التي وهبتها لك وكل هذا الخبز الذي هيأته لك ولا تأمن مكري فكأنه تعالى يقول يا أيها الكفار أنا عالم بسركم وجهركم وضمائركم فخافوني فان الارض التي هي قراركم انا ذللتها لكم ولو شئت خسفت بكم وقوله تعالى (فامشوا) أمر اباحة وهو يتضمن مكتسبين وغير مكتسبين مشقتها غير صعوبة توحشكم وقوله أو حبوا (في مناكبها) مثل لفرط التذلل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شئ من البعير وأنباه عن ان يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك شيأ وهذا أمر اباحة وفيه اظهار الامتنان وقيل خبر بلفظ الامر أي لكي تمشوا في أطرافها ونواحيها وآكامها وجبالها وقال ابن عباس وبشير بن كعب وقتادة في مناكبها جبالها وتذليلها أدل على تذليل غيرها وليمكنكم فيها وتصرفاتكم فيها ذل واخبات وسكون استصغار لانفسكم وشكر المليك لكم بذلك وروى ان بشير بن كعب كانت له سرية فقال لها ان اخبرتيني ما مناكب الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فقال لها صرت حرة فاراد ان يتزوجها فسأل ابا الدرداء فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال مجاهد في أطرافها وعنه أيضا في طرقها وفجاجها وهو قول السدي والحسن وقال الكلبي في جوانبها ومنكبا الرجل جانباه * (فائدة) * حكى قتادة عن أبي الجلد ان الارض أربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنا عشر ألفا وللروم ثمانية آلاف وللفرس ثلاثة آلاف وللعرب ألف ثم ذكرهم تعالى بانه سهلها لاخراج البركات بقوله تعالى (وكلوا) ودل على ان الرزق فوق الكفاية بقوله تعالى (من رزقه) الذي أودعه لكم فيها قال الحسن مما احل لكم وقيل مما خلقه الله لكم رزقا في الارض (واليه) أي وحده (النشور) وهو اخراج جميع الحيوانات التي أكلتها الارض وغيبتها يخرجها باحيائه في الوقت الذي يريده على ما كان كل منها عليه عند الموت

(سورة الطلاق)
(قوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) * ان قلت كيف أفرد النبي بالخطاب مع انه

كما أخرج تلك الارزاق لافرق بين هذا وذاك الشعر انكم لاتتأملون فيا فوز من شكر ويا هلاك من كفر فعود وا انفسكم بالخيرات اعلها تنقاد كما قيل * هي النفس ما عودتها تتعود * ولما كان لم يكن بعد الاستعطاف الا الانذار قال تعالى مهددا للمكذبين (أأمنتم) قرأ قنبل في الوصل بابدال الهمزة بعد راء النشور واوا وسهل الهمزة الثانية نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه وحققها الباقون وأدخل بينهما ألفا قالون وأبو عمرو وهشام والباقون بغير ادخال وقوله تعالى (من في السماء) فيه وجوه أحدها من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها ينزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه والثاني أن ذلك على حذف مضاف اى أأمنتم خالق من في السماء والثالث ان في بمعنى على أى على السماء كقوله ولأصلبنكم في جذوع النخل أى على جذوع النخل وانما احتاج القائل بهذين الوجهين الى ذلك لانه اعتقد ان من واقعة على البارى تعالى شانه وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي انه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم ولا حاجة الى ذلك فان من هنا المراد بها الملائكة سكان السماء وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة والرابع انهم خوطبوا بذلك على اعتقادهم فان القوم كانوا مجسمة مشبهة وأنه في السماء وان الرحمة والعذاب نازلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من في السماء أى من تزعمون أنه في السماء قال الرازى هذه الآية لايمكن اجراؤها على ظاهرها باجماع المسلمين لان ذلك يقتضي احاطة السماء به من جميع الجوانب فيكون أصغر منها والعرش أكبر من السماء بكثير فيكون حقيرا بالنسبة الى العرش وهو باطل بالاتفاق ولانه تعالى قال قل لمن ما في السموات والارض فلو كان فيها لكان مالكا لنفسه فالمعنى امامن في السماء عذابه واما ان ذلك بحسب ما كانت العرب تعتقده وأمامن في السماء سلطانه وملكه وقدرته كما قال تعالى وهو الله في السموات وفي الارض فان الشئ الواحد لا يكون دفعة في مكانين والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله سبحانه وتعظيم قدرته والمراد الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام وقوله تعالى (أن يخسف بكم الارض) بدل من من في السماء بدل اشتمال وقال القرطبي يحتمل أن يكون المعنى أأمنتم خالق من في السماء أن يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون وقرأ من في السماء ان نافع وابن كثير وأبو عمرو بابدال الهمزة الثانية المفتوحة بعد الكسرة ياء في الوصل والباقون بتحقيقهما (فاذا هي) أى الارض التي انتم عليها (تمور) اى تضطرب وهي تهوي بكم وتجري هابطة في الهواء وتتكفأ الى حيث شاء سبحانه قال في القاموس المور الاضطراب والجريان على وجه الارض والتحرك وقال الرازى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها يذهبون والارض فوقهم تمور وتقلبهم الى اسفل السافلين وقال القرطبي قال المحققون أأمنتم من فوق السماء كقوله تعالى فسيحوا في الارض اى فوقها الابالمماسة والتحيز بل بالقهر والتدبير والاخبار في هذا صحيحة كثيرة منتشرة مشيرة الى العلو لايدفعها الا ملحد او جاهل او معاند والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالاماكن والجهات والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع الايدي بالدعاء الى السماء لان السماء مهبط الوحي ومنزل القطر

جمعه مع غيره عقبه (قلت) أفرده به أولا لانه امام امته وسادهم او معناه يا أيها النبي قل لامتك

ويحل

ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملائكة واليها ترفع أعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله تعالى الكعبة قبلة للصلاة ولانه تعالى خلق الامكنة وهو غير متحيز وكان فى ازله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان وقوله تعالى (أم أمنتم) اى ايها المكذبون (من فى السماء ان يرسل) بدل من من فى السماء بدل اشتمال (عليكم) اى من السماء (حاصبا) قال ابن عباس رضى الله عنهما اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هى سحاب فيها حجارة (فستعلمون) اى عن قريب بوعد لا خلف فيه عند معاينة العذاب (كيف نذير) اى انذارى البليغ اذا شاهدتم العذاب وهو بحيث لا يستطاع ولا تتعلق الاطماع بكشفه ولا دفاع قال البقاعى وحذف الياء منه ومن نكير اشارة الى انه وان كان خارجا عن الطوق ليس منتهى مقدوره بل لديه مزيد لا غاية له بوجه ولا تحيز اى على قراءة اكثر القراء فقد قرأ ورش بالياء فى الوصل فيهما دون الوقف والباقون بغير ياء وقفا ووصلا (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم لما أصبتهم به من العذاب * ولما ذكر تعالى ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان على كمال قدرته بقوله تعالى (اولم يروا) اجمع القراء على القراءة بالغيب لان السياق للرد على المكذبين بخلاف ما فى النحل واشار الى بعد الغاية بحرف الغاية فقال تعالى (الى الطير) وهو جمع طائر (فوقهم) اى فى الهواء وقوله تعالى (صافات) اى باسطات أجنحتهن يجوز ان يكون حالا من الطير وان يكون حالا من فوقهم اذا جعلناه حالا فتكون متداخلة وفوقهم ظرف لصافات على الاول اوليروا وقوله تعالى (ويقبضن) عطف الفعل على الاسم لانه بمعناه اى وقابضات فالفعل هنا مؤول بالاسم عكس قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا فان الاسم هناك مؤول بالفعل وقال ابو حيان وعطف الفعل على الاسم لما كان فى معناه ومثله قوله تعالى فالمغيرات صبحا فاثرن عطف الفعل على الاسم لما كان المعنى فاللاتى اغرن فاثرن ومثل هذا العطف فصيح وكذا عكسه الا عند السهيلى فانه قبيح وقال الزمخشرى صافات باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن (فان قلت) لم قال ويقبضن ولم يقل قابضات (قلت) لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح اه وقال ابو جعفر النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحيه صاف واذا ضمهما اصابا جنبيه قابض لانه يقبضهما وقيل ويقبضن أجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن عن الطيران (ما يمسكهن) أى عن الوقوع فى حال البسط والقبض (الا الرحمن) أى الملك الذى رحمته عامة لكل شئ بان هيأهن بعد ان افاض عليهن رحمة الايجاد على اشكال مختلفة وخصائص مفرقة هيأهن للجرى فى الهواء (انه) اى الرحمن سبحانه (بكل شئ بصير) أى بالغ البصر والعلم بظواهر الاشياء وبواطنها فيهما أراد كان والمعنى أولم يستدلوا بثبوت الطير فى الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم

اذا طلقتم أى اردتم طلاق نسائكم فطلقوهن الى آخره (قوله ومن يتق الله) ذكره ثلاث مرات وختم

ما تقدم وغيره من العذاب وقوله تعالى (أمن) مبتدأ وقوله تعالى (هذا) خبر وقوله تعالى (الذي) بدل من هذا وقوله تعالى (هو جند) أي أعوان (لكم) صلة الذي وقوله تعالى (ينصركم) صفة جند (من دون الرحمن) أي غير يدفع عنكم عذابه أي لا ناصر لكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما جند لكم أي حزب ومنعة لكم ولفظ الجند يوحد ولذلك قال تعالى هذا الذي هو جند لكم وهو استفهام انكاري اي لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن أي من سوى الرحمن وقرأ أبو عمرو بسكون الراء وللدوري اختلاس الضمة أيضا والباقون بالرفع (ان الكافرون) أي ما الكافرون (الا في غرور) أي من الشيطان يغرهم بان لا عذاب ولا حساب قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الايمان ويعاندون النبي صلى الله عليه وسلم معتمدين على شيئين أحدهما قوتهم بمالهم وعددهم والثاني اعتقادهم أن الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله تعالى عليهم الاول بقوله تعالى أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم الآية ورد عليهم الثاني بقوله تعالى (أمن هذا الذي يرزقكم) أي على سبيل التجدد والاستمرار (ان أمسك رزقه) بامساك الاسباب التي ينشأ عنها كالمطر ولو كان الرزق موجودا وكثيرا سهل التناول فوضع الاكل في فمه فأمسك الله تعالى عنه قوة الازدراد عجز أهل السموات والارض عن أن يسوغوه له الا هو وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فمن يرزقكم أي لا رازق لكم غيره (بل لجوا) أي تمادوا سفاهة لا احتياطا وشجاعة قال الرازي في اللوامع واللجاج تقحم الامر مع كثرة الصوارف عنه (في عتو) أي تكبر وطغيان وعناد وتكبر عن الحق وخروج الى فاحش الفساد (ونفور) أي تباعد عن الحق واستولى ذلك عليهم حتى أحاط بهم مع انه لا قوة لاحد منهم في جلب سار ودفع ضار والداعي الى ذلك الشهوة والغضب (أفمن يمشي مكبا) أي واقعا (على وجهه أهدى أمن يمشي سويا) أي معتدلا (على صراط) أي طريق (مستقيم) وخبر من الثانية محذوف دل عليه خبر الاولى أي أهدى والمثل في المؤمن والكافر أي أيهما أهدى وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل المكب هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة وقال ابن عباس والكلبي رضي الله عنهم عني بالذي يمشي مكبا على وجهه أبا جهل وبالذي يمشي سويا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أبو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر قاله عكرمة وقيل عام في الكافر والمؤمن أي ان الكافر لا يدري أعلى حق هو أم على باطل أي أهذا الكافر أهدى أم المسلم الذي يمشي سويا معتدلا يبصر الطريق وهو على صراط مستقيم وهو الاسلام وقرأ قنبل بالسين وقرأ خلف بالاشمام أي بين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة (قل) أي يا أشرف الخلق وأشفقهم عليهم مذكرا لهم بما رفع عنهم من المفسدات وجمع لهم من المصلحات ليرجعوا اليه ولا يعولوا في حال من الاحوال الا عليه (هو) أي الذي شرفكم بهذا الذكر وبين لكم هذا البيان (الذي أنشأكم) أي أوجدكم ودرجكم في مدارج التربية حيث طوركم في اطوار الخلقة في الرحم ويسر لكم بعد الخروج اللبن حيث كانت المعدة ضعيفة عن الكثيف منه (وجعل لكم السمع) أي السمع والاستماع له فلو بكم فيه ديكم ووحده لقلة التفاوت فيه فيظهر سر تصرفه سبحانه

الاول بقوله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب والثاني بقوله يجعل له من أمره يسرا والثالث بقوله

في القلوب بغاية المفاوتة مع أنه أعظم الطرق الموصلة للمعاني اليها (والابصار) لتنظروا
صنائعه فتعتبروا وتزجروا عما يرديكم (والافئدة) أي القلوب التي جعلها سبحانه في غاية
التوقد بالادراك لما لا يدركه بقية الحيوان فتتذكروا فتقبلوا على ما ينفعكم وجمعها جمع الكثرة
التفاوت في نور الابصار وادراك الافئدة (قليلا ما تشكرون) أي باستعمالها فيما خلقت لاجله
وما مزيدة والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدا على هذه النعم وهم يدعون أنهم أشكر
الناس للاحسان وأعلاهم في العرفان (قل هو) أي وحده (الذي ذرأكم) أي خلقكم وبثكم
ونشركم وكثركم وأنشأكم بعد ما كنتم كالذر اطفالا ضعفاء (في الارض) التي تقدم انه ذللها
لكم ورزقكم منها النبات وغيره (واليه) أي وحده بعد موتكم (تحشرون) شيئا فشيئا الى
البرزخ ودفعة واحدة يوم البعث للحساب فيجازي كلا بعمله (ويقولون) أي يجددون هذا
القول تجديدا مستمرا استهزاء وتكذيبا (متى هذا) وزادوا في الاستهزاء بقولهم (الوعد) أي يوم
القيامة والعذاب الذي توعدونا به (ان كنتم صادقين) أي في أنه لا بد لنا منه وانكم مقربون
عند الله فلو كان لهم ثبات الصبر لما كانوا فرطوا هذا الطيش بابراز هذا القول القبيح ثم انه
تعالى أجاب عن هذا السؤال بقوله عز وجل (قل) أي يا أكرم الخلق لهؤلاء البعداء (انما العلم
اي علم وقت قيام الساعة ونزول العذاب (عند الله) أي الذي له الاحاطة بجميع صفات
الكمال فهو الذي يكون عنده ويده جميع ما يراد منه لا يطلع عليه غيره (وانما أنا نذير) أي
كامل في أمر النذارة التي يلزم منها البشارة لمن أطاع انذارا وظيفتي عند الملك الاعظم غير
ذلك ولا وصول الى سؤاله عما لا يؤذن لي في السؤال عنه (مبين) أي بين الانذار باقامة الادلة
حتى يصير ذلك كأنه مشاهد لمن له قبول العلم (فلما رأوه) أي العذاب بعد الحشر (زلفة) أي
ذا قرب عظيم منهم (سيئت) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي اسودت (وجوه) وأظهر في
موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال تعالى (الذين كفروا) أي اظهروا السوء
وغاية الكراهة في وجوه من أوقع هذا الوصف * (تنبيه) * الاصل ساء أي أحزن وجوههم
العذاب ورؤيته ثم بني للمفعول وساء هنا ليست المرادفة لبئس وأشم كسرة السين نافع وابن
عامر والكسائي والباقون باخلاص الكسرة (وقيل) أي قال لهم الخزنة تقريعا وتوبيخا
(هذا الذي كنتم) اي جبلة وطبعا (به) أي بسببه ومن اجله (تدعون) أي تتمنون وتسألون
وتزعمون أنكم لا تبعثون وهذه حكاية حال تأتي عبر عنها بطريق المضي لتحقق وقوعها وقرأ
هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها (قل) أي يا أكرم الخلق لهؤلاء الذين طال
تضجرهم منك وهم يتمنون هلاكك كما قال تعالى أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
(أرأيتم) أي أخبروني خبرا أنتم في الوثوق به على ما هو كالرؤية (ان أهلكني الله) اي اماتني
بعذاب أو غيره الذي له من الجلال والاكرام ما يعصم به وليه ويقصم عدوه وقرأ قالون أرأيتم
في الموضعين نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء ولورش أيضا ابدالها ألفا واسقطها الكسائي
والباقون بالتحقيق واذا وقف حمزة سهل الهمزة وقرأ ان أهلكني الله حمزة باسكان الياء
والباقون بفتحها ومن سكن الياء رقق اللام من الاسم الجليل ومن فتحها فخم (ومن معي) أي
من المؤمنين (أو رحمنا) اي بالنصر واظهار الاسلام كما نرجو فانجانا بذلك من كل سوء وقانا

بكفرهم نعمه سبحانه ويعظم
اجرا اشارة الى تعداد
النعم المرتبة على التقوى
من ان الله يجعل لمن اتقاه

كل محذور وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص بفتح الياء والباقون بالسكون (فمن يجير الكافرين) أى العريقين فى الكفر بأن يدفع عنهم ما يدفع الجار عن جاره (من عذاب أليم) أى لا مجير لهم منه (قل) اى يا خير الخلق (هو) اى الله وحده (الرحمن) اى الشامل الرحمة (آمنا به) أى أنا ومن معى (وعليه) أى وحده (توكلنا) أى لانه لا شئ فى يد غيره والا لرحم من يريد عذابه أو عذب من يريد رحمته فكل ما يجرى على أيدى خلقه من رحمة أو نقمة فهو الذى أجراه لانه الفاعل بالذات المستجمع لما يليق به من الصفات فنحن نرجو خيره ولا نخاف غيره (فستعلمون) أى عند معاينة العذاب عما قليل بوعد لا خلف فيه (من هو فى ضلال مبين) أى بين أنحن أم أنتم وقرأ الكسائى بعد السين بياء الغيبة نظرا الى قوله الكافرين والباقون بتاء الخطاب اما على الوعيد واما على الالتفات من الغيبة المرادة فى قراءة الكسائى وهو تهديد لهم (قل) أى يا أعظم خلقه او اعلمهم بنا (أرأيتم) اى اخبرونى اخبار الآمن فيه (ان أصبح ماؤكم) اى الذى تعدونه فى ايديكم مما بنيت عليه الاضافة (غورا) اى غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الدلاء ركانت وهم من يقرب بئر زمزم وتزعمونه (فمن يأتيكم) على ضعفكم حينئذ وانخلاع قلوبكم واضطراب أفكاركم (بماء معين) أى دائم لا ينقطع وظاهر للاعين سهل المأخذ وقال ابن عباس رضى الله عنهما بماء معين أى ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من معن الماء أى كثر فهو على هذا فعيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا أن المعنى فمن يأتيكم بماء عذب أى لا يأتيكم به الا الله فكيف تنكرون ان يبعثكم ويستحب ان يقول القارئ عقب معين الله رب العالمين كما فى الحديث وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتى به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه وعمى نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من كتاب الله ما هى الا ثلاثون آية شفعت لرجل يوم القيامة فاخرجته من النار وادخلته الجنة وهى سورة تبارك وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال اذا وضع الميت فى قبره يؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل لانه قد كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل راسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل كان يقرأ بى سورة الملك ثم قال هى المانعة من عذاب الله وهى فى التوراة سورة الملك من قرأها فى ليلة فقد اكثر واطيب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت ان تبارك الملك فى قلب كل مؤمن واما ما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الملك فكأنما احيا ليلة القدر فحديث موضوع

سورة ن وتسمى القلم مكية

ن قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة رضى الله عنهم من اولها الى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم مكى ومن بعد ذلك الى قوله تعالى يعلمون مدنى ومن بعد ذلك الى قوله تعالى فهم يكتبون مكى ومن بعد ذلك الى قوله تعالى من الصالحين مدنى وباقيها مكى قاله الماوردى وهى اثنتان وخمسون آية وثلثمائة كلمة والف ومائتان وستة وخمسون حرفا

قوله والباقون بتاء الخطاب
...خ عبارة الجلال بالتاء اى
...سر الخطاب فى قوله قل
...أيتم اه

...دنياه مخرجا من كرب
...الدنيا والآخرة ويرزقه
...من حيث لا يخطر بباله
...يجعل له فى دنياه وآخرته

(بسم الله) اى الذى له الاحاطة الكاملة فهو بكل شئ عليم (الرحمن) الذى عمت نعمة ايجاده لاهل معاده البرىء منهم والسقيم (الرحيم) الذى اتم تلك النعمة على من وفقه لطاعته فالزمه صراطه المستقيم وقوله تعالى (ن) كقوله تعالى ص والقرآن وجواب القسم الجملة المنفية بعدها واختلفوا فى تفسير ذلك فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو الحوت الذى على ظهره الارض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدى والكلبى وروى ابو ظبيان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اول ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ابن عباس ن الآية واختلفوا فى اسمه فقال الكلبى ومقاتل يهموت وقال الواقدى ليوثا وقال كعب لوثا وقال على تلهوت وقال الرواة لما خلق الله تعالى الارض وفتقها بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله عز وجل من الفردوس ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فاخذ الله تعالى ياقوتة خضراء من اعلى درجة الفردوس غلظها خمسمائة عام ووضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخره فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه فتكن فى صخرة ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم ووضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة ثقل الدنيا كلها بما عليها حرفان قال لها الجبار كونى فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له اتدرى ما على ظهرك يا لوثيا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم القيتهم عن ظهرك فهم لوثيا ان يفعل فبعث الله تعالى دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن الله تعالى لها فخرجت فو الذى نفسى بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت اليه كما كانت وقال بعضهم نون آخر حروف الرحمن وهى رواية عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال الحسن وقتادة والضحاك النون الدواة وهو مروى ايضا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال القرطبى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهى الدواة ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بى اليهم ✽ ألقت النون بالدمع السجام

ويكون على هذا أقسم بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة فان التفاهم يحصل تارة بالنطق وتارة بالكتابة وقيل النون لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يؤمرون به رواه معاوية بن قرة مرفوعا وقيل النون هو المداد الذى تكتب به الملائكة وقال عطاء وابو العالية هو افتتاح اسمه تعالى نصير ونور وناصر وقال محمد بن كعب أقسم الله تعالى بنصرة المؤمنين وقال الزمخشرى هذا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما ادرى أهو وضع لغوى

من امر دينهم او يكفرونه في آخر شيء ... ويعظم له اجرا (اتقات) كيف قال ما ختم به في الاول مع انا نرى كثيرا من الانقياء

ام شرعى ولا بعلوا اذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع فى تاليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة (والقلم) وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما أن يراد نون من النينان أو يجعل علما لليهموت الذى يزعمون والتفسير باللوح من نور اوذهب والنهر فى الجنة نحو ذلك اه *(تنبيه)* فى القلم المقسم به قولان أحدهما أن المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به فى السماء والارض قال تعالى وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ولانه ينتفع به كما ينتفع بالنطق قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فالقلم يبين كما يبين اللسان فى المخاطبة بالكتابة للغائب والحاضر والثانى انه القلم الذى جاء فى الخبر عن ابن عباس رضى الله عنهما أول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال له اكتب قال ما أكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة قال وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض وروى مجاهد أول ما خلق الله تعالى القلم فقال اكتب المقدرة فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة وانما يجرى فى الناس على امر قد فرغ منه قال ابن عادل قال القاضى هذا الخبر يجب حمله على المجاز لان القلم آلة مخصوصة للكتابة لا يجوز أن يكون حيا عاقلا فيؤمر وينهى فان الجمع بين كونه حيوانا مكلفا وبين كونه آلة للكتابة محال بل المراد منه انه تعالى أجراه بكل ما يكون وهو قوله تعالى اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون فانه ليس هناك أمر ولا تكليف بل هو مجرد نفاذ القدرة فى المقدور من غير منازعة ولا مدافعة اه وقوله فان الجمع الى قوله محال ممنوع فان الله تعالى خلق فيه ذلك كما قال تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقال الزمخشرى أقسم بالقلم تعظيما له لما فى خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف وقيل القلم المذكور هنا هو العقل وانه شئ كالاصل لجميع المخلوقات قالوا والدليل عليه انه روى فى الاخبار أول ما خلق الله تعالى القلم وفى خبر آخر أول ما خلق الله تعالى العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا أعجب الى منك وعزتى وجلالى لأكملنك فيمن أحببت ولانقصنك فيمن أبغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الناس عقلا أطوعهم لله وأعملهم بطاعته وفى خبر آخر أول ما خلق الله تعالى جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فذابت وسخنت فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات ومن الزبد الارض قالوا وهذه الاخبار بمجموعها تدل على ان القلم والعقل وتلك الجوهرة التى هى أصل المخلوقات شئ واحد والا حصل التناقض وقال البغوى القلم هو الذى كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض ويقال أول ما خلق الله تعالى القلم ونظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وقرأ قالون وابن كثير وأبو عمرو وحفص وحمزة وورش بخلاف عنه باظهار النون عند الواو وهذا والباقون بالادغام (وما يسطرون) أى الملائكة من الخير والصلاح وقيل وما تكتبه الملائكة الحفظة من أعمال بنى آدم وقيل ما يكتبون أى الناس ويتفاهمون به وقال ابن عباس رضى الله عنهما معنى وما

يسطرون

(قلت) مضيقا عليهم رزقهم وذلك لا ينافى معناه ما مر ثم أو معناه انه تضييق الرزق يجعل الكل منه مخرجا من كل ما يضيق على من

يسطرون وما يعملون وما موصولة او مصدرية قال الزمخشري ويجوز ان يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطورهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة وقال البقاعي وما يسطرون أي قلم القدرة وجمعه وأجراه مجرى أولي العلم للتعظيم لانه فعل أفعالهم أو الاقلام على ارادة الجنس ويجوز أن يكون الاسناد الى الكاتبين به لما دل عليهم من ذكره واما الملائكة ان كان المراد ما كتب في الكتاب المبين واللوح المحفوظ وغيره مما يكتبونه واما كل من يكتب منهم ومن غيرهم وقوله تعالى (ما أنت) أي يا أعلى المتأهلين لخطابنا (بنعمة) أي بسبب انعام (ربك) أي المربي لك بفضل تلك الهمم العالية والسجايا الكاملة بأن خصك بالقرآن الذي هو الجامع لكل علم وحكمة (بمجنون) جواب القسم وهو نفي قال الزجاج أنت هو اسم ما وبمجنون الخبر وقوله بنعمة ربك كلام وقع في الوسط أي انتفى ذلك الجنون بنعمة ربك كما يقال أنت بحمد ربك عاقل بل الذي وصفك به هو الحقيق باسم الجنون وقال البغوي ما أنت بنعمة ربك [illegible] ونأي انك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله تعالى عليك بالنبوة والحكمة [illegible] بنعمة ربك وقيل هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل معناه ما أنت بمجنون [illegible]

أي والحمد لله وروى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وسلم ذلك الحديث [illegible]

دخل في المصر [illegible]

أن دعوا [illegible]

رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

الله تعالى على أنه ليس بمجنون [illegible]

قوله تعالى [illegible]

كانوا يقولون [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الله تعالى [illegible]

كل عيب والاتصاف بكل مكرمة [illegible]

حصول الجنون فالله تعالى [illegible] الدلالة [illegible]

[illegible] الصفة الثانية قوله تعالى [illegible]

لا ينفي مع ان في قضيته [illegible]
الى الحق لطفا به ورحمة
[illegible] الاشتغال
[illegible]
[illegible]
[illegible] والانقياد

صبرك عليهم فيما يرمونك به وهو نسبتهم له صلى الله عليه وسلم (لأجرا) أي ثوابا (غير ممنون) أي مقطوع ولا منقوص في دنيا ولا آخرة يقال مان الشيء إذا ضعف ويقال مننت الحبل إذا قطعته وحبل منين إذا كان غير متين قال لبيد غبسا كواسب لا يمن طعامها أي لا يقطع يصف كلابا ضارية ونظيره قوله تعالى غير مجذوذ وقال مجاهد ومقاتل والكلبي غير ممنون أي غير محسوب عليك قال الزمخشري لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال انتهى وهذا قول المعتزلة فان الله تعالى لا يجب عليه شيء وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك رضي الله تعالى عنه اجرا بغير عمل واختلفوا في هذا الاجر على أي شيء حصل فقيل معناه ما مر وقيل معناه ان لك على احتمال هذا الطعن والقول القبيح أجرا عظيما دائما وقيل ان لك في اظهار النبوة والمعجزات وفي دعاء الخلق الى الله تعالى وفي بيان الشرع لهم هذا الاجر الخالص الدائم فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم فان لك بسببه المنزلة العالية الصفة الثالثة قوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) استعظم خلقه لفرط احتمال الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم قال ابن عباس ومجاهد على دين عظيم من الاديان ليس دين أحب الى الله تعالى ولا أرضى عنده منه وروى مسلم عن عائشة ان خلقه كان القرآن وقال علي هو أدب القرآن وقيل رفقه بامته واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من الله وينتهي عنه مما نهى الله تعالى عنه وقيل انك على طبع كريم وقيل هو الخلق الذي أمر الله تعالى به في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال الماوردي حقيقة الخلق في اللغة ما يأخذ به الانسان نفسه من الادب سمي خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه من الادب فهو الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي قال القرطبي ما ذكره مسلم في صحيحه عن عائشة أصح الاقوال وسئلت ايضا عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقرأت قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات قال الرازي وهذا اشارة الى ان نفسه القدسية الشريفة كانت بالطبع منجذبة الى عالم الغيب والى كل ما يتعلق به وكانت شديدة التعري عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة وقالت ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر وقال الجنيد سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال وعن أبي اسحق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسن الناس خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وعن أنس بن مالك قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عبيرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم أحسنكم

من المحيض من نسائكم (الى آخره) * ان قلت كيف قيد جعل عدة الآيسة والتي لم تحض ثلاثة أشهر بارتيابنا مع انه ليس بقيد (قلت) المراد

أخلاقا وعن أنس أن امرأة عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة فقال يا أم فلان اجلسي في اي سكك المدينة شئت أجلس اليك قال ففعلت فقعد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضت حاجتها وعن انس بن مالك قال كانت الامة من اماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وعن أنس أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صافح رجلا لم ينزع يده حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وعن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى ولا ضرب خادما ولا امرأة وعنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم وعن أنس قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه اعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ثم أمر له بعطاء وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير وهو فطيم كان اذا جاء قال يا أبا عمير ما فعل النغير [illegible] الا أنه [illegible] وعن الاسود قال سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته قالت كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة [illegible] الى الصلاة وعن عبد الله بن الحرث قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أم الدرداء تحدث عن ابي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن وان الله يبغض الفاحش البذي وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أتدرون أكثر ما يدخل الناس النار قالوا الله ورسوله أعلم قال أكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان الفرج والفم أتدرون أكثر ما يدخل الناس الجنة [illegible] أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار [illegible]

[illegible]

بالارتياب الشك بعد ف[illegible] الجهل بمقدار عدتهما واذا كان هذا عدة المرتاب فيها فغيرها أولى (قوله وأولات الحمل) الآية فائدة ذكر الغاية فيه رفع توهم

المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار اذا أحميته قال تعالى يوم هم على النار يفتنون أى يعذبون وقيل الشيطان لانه مفتون فى دينه وكانوا يقولون انه به شيطان وعنوا بالجنون هذا فقال تعالى سيعلمون غدا بايهم الشيطان الذى يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل *(فائدة)* بايكم رسمت هنا بياءين (ان ربك) أى الذى رباك أحسن تربية وفضلك على سائر الخلائق (هو) أى وحده (أعلم) اى من كل أحد (بمن ضل) أى حاد (عن سبيله) أى دينه وسلك غير سبيل القصد وأخطأ موضع الرشد (وهو) أى وحده (أعلم بالمهتدين) أى الثابتين على الهدى وهم أولوا الاحلام والنهى أى لذوى علم فى عالم *(تنبيه)* قوله تعالى وهو أعلم وهو مكظوم وهو مذموم قرأه قالون وأبو عمرو والكسائى بسكون الهاء والباقون بضمها وقوله تعالى (فلا تطع المكذبين) أى الفريقين فى التكذيب وهم مشركو مكة فانهم كانوا يدعونه الى دين آبائه فنهاه ان يطيعهم بنفج التصميم على معاداتهم (ودوا) أى تمنوا وأحبوا محبة واسعة متجاوزة للحد قديما مع الاستمرار على ذلك (لو) مصدرية (تدهن فيدهنون) قال الضحاك لو تكفر فيكفرون وقال الكلبى لو تلين لهم فيلينون لك وقال الحسن لو تصانعهم فى دينك فيصانعونك فى دينهم وقال زيد بن أسلم لو تنافق وترائى فينافقون ويراؤن وقال ابن قتيبة أرادوا أن يعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة وقال ابن العربى ذكر المفسرون فى ذلك نحو عشرة أقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى وأمثلها ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر فيكفرون وقال القرطبى كلها ان شاء الله تعالى صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى *(تنبيه)* فى رفع فيدهنون وجهان أحدهما انه عطف على تدهن فيكون داخلا فى حيز لو والثانى انه خبر مبتدا مضمر أى فهم يدهنون وقال الزمخشرى فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمنى قلت قد عدل به الى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدا محذوف أى فهم يدهنون كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك * واختلفوا فى سبب نزول قوله تعالى (ولا تطع كل حلاف) أى كثير الحلف بالباطل فقال مقاتل يعنى الوليد بن المغيرة عرض على النبى صلى الله عليه وسلم مالا وحلف له ان يعطيه ان رجع عن دينه وقال ابن عباس هو أبو جهل بن هشام وقال عطاء هو الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق فى بنى زهرة فلذلك سمى زنيما وقال مجاهد هو الاسود بن عبد يغوث (مهين) أى ضعيف حقير قيل هو فعيل من المهانة وهى قلة الرأى والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه وقال الحسن وقتادة هو المكثار فى الشر وقال الكلبى المهين العاجز (هماز) أى كثير العيب للناس فى غيبتهم وقال الحسن هو الذى يغمز بأخيه فى المجلس وقال ابن زيد الهماز الذى يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقيل الهماز الذى يذكر الناس فى وجوههم واللماز الذى يذكرهم فى غيبتهم وقال مقاتل بالعكس وقال مرة هما سواء ونحوه عن ابن عباس وقتادة (مشاء) اى كثير المشى (بنميم) أى فتان يلقى النميمة بين الناس ليفسد بينهم فينقل ما قاله الانسان فى آخر واذاعة سر لا يريد صاحبه اظهاره على وجه الافساد البين مبالغ فى ذلك (مناع) أى كثير المنع شديده (للخير) أى كل خير من المال والايمان وغيرهما من

ان النفقة تتقيد بمضى مقدار عدة الاقراء أوانه اذا طالت مدة الحمل لا تجب النفقة زمن الاطالة (قوله سيجعل الله بعد عسر يسرا) لا ينافى قوله ان مع العسر

نفسه وغيره من الدين والدنيا وقال ابن عباس مناع للخير أي الاسلام يمنع ولده وعشيرته من الاسلام وكان له عشرة من الولد يقول لئن دخل أحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبدا (معتد) أي ثابت التجاوز للحدود في كل ذلك (أثيم) أي مبالغ في ارتكاب ما يوجب الاثم فيترك الطيبات ويأخذ الخبائث يرغب في المعاصي ويتطلبها ويدع الطاعات ويزهد فيها (عتل) العتل الغليظ الجافي وقال الحسن هو الفاحش الخلق السيء الخلق وقال الفراء هو الشديد الخصومة في الباطل وقال الكلبي هو الشديد في كفره وكل شديد عند العرب عتل وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف وقال أبو عبيدة بن عمير العتل الأكول الشروب القوي الشديد الذي لا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين ألفا دفعة واحدة (بعد ذلك) أي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به (زنيم) وهو الدعي الملصق بالقوم وليس منهم وقال عطاء عن ابن عباس يريد مع هذا هو دعي في قريش وقال مرة الهمداني انما ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة وقيل الزنيم الذي له زنمة كزنمة الشاة وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال في هذه الآية نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت زنمة في عنقه يعرف بها وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وقال مجاهد زنيم كانت له ستة أصابع في يده في كل ابهام له اصبع زائدة وقال ابن قتيبة لا نعلم ان الله تعالى وصف احدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة وعن حارثة بن وهب الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو يقسم على الله لأبره الا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر وفي رواية كل جواظ زنيم متكبر الجواظ الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته وقيل القصير البطين وقال عكرمة هو ولد الزنا الملحق في النسب بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده قال الشاعر فيه

زنيم ليس يعرف من أبوه … بغي الام ذو حسب لئيم

قيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت الآية وهذا لان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال عبد الله ابن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة في صور القردة والخنازير يعني لا يراد به الدخول مع السابقين والاولين [illegible] عن الجنة وقالت ميمونة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا أوشك أن يعمهم الله بعذابه وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر قال القرطبي ومعظم المفسرين على ان هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يطعم اهل منى حيسا ثلاثة ايام وينادي الا لا يوقدن احد تحت برمة الا لا يدخلن احد بكراع الا من اراد الحيس فليأت الوليد بن المغيرة وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين الفا واكثر ولا يعطي المسكين درهما واحدا فقيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ولما كان [illegible] الدنيا كله عرضا فانيا وحظا [illegible] لا يفتخر به ولا يلتفت اليه الا من كان بهذه الاوصاف

بمعنى الان مع بمعنى بعد والاولى اجتماع الضدين وهو محال (قوله وكان من قريش) [illegible] عن أمر ربها الآية ان قلت كيف قال فيه

فاذا كان ذلك اكبرهم وبلغ علما عرفوا انه نقح على الفسوق والتكبر على العباد قال الله تعالى (أن) اى لاجل ان (كان) اى هذا الموصوف (ذا مال) اى مذكور بالكثرة (وبنين) انعمنا عليهم بما فصار يطاع لاجلهما فكان بحيث يجب عليه شكرنا بسببهما (اذا تتلى) اى تذكر على سبيل المتابعة (عليه) ولو كان ذلك على سبيل الخصوص له (آياتنا) اى العلامات الدالة دلالة هي في غاية الظهور على الملك الاعلى وعلى ما له من صفات العظمة (قال) اى مفاجأة من غير تامل ولا توقف عوضا عن شكرنا (اساطير) جمع سطور جمع سطر (الاولين) اى اشياء سطروها ودونوها وفرغوا منها فحمله دنئ طبعه على تكبره بالمال وورطه في التكذيب باعظم ما يمكن سماعه فجعل الكفر موضع الشكر ولم يستح من كونه يعرف كذبه كل من سمعه فاعرض عن الشكر ووضع موضعه الكفر فكان هذا دالا على جميع تلك الصفات السابقة مع التعليل بالاستناد الى ما هو عند العاقل اوهى من بيت العنكبوت والاستناد اليه وحده كاف في الاتصاف بالرسوخ في الدناءة وقرأ ابن عامر وشعبة وحمزة بهمزتين مفتوحتين وابن عامر يسهل الثانية وشعبة وحمزة يحققانهما وهشام على اصله يدخل بينهما الفا والباقون بهمزة واحدة مفتوحة قال القرطبي فمن قرأ بهمزة مطولة او بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له ان يقف على زنيم ويبتدئ ان كان على معنى الان كان ذا مال وبنين تطيعه ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام ومن قرأ ان كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل مضمر والتقدير يكفر لان كان ذا مال وبنين ودل على هذا الفعل اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين ولا يعمل في اذا تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف الى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزاء ولا يعمل فيما قبل الجزاء اذ حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير مقدما مؤخرا في حال واحد ويجوز ان يكون المعنى لا تطعه لان كان ذا يسار وعدد قال ابن الانباري ومن قرأ بلا استفهام لم يحسن ان يقف على زنيم لان المعنى لان كان ذا مال كان فان متعلقة بما قبلها وقال غيره يجوز ان تتعلق بقوله تعالى مشاء بنميم والتقدير يمشي بنميم لان كان ذا مال وبنين واجاز ابو علي ان تتعلق بعتل ومعنى اساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم (سنسمه) اى نجعل له سمة اى علامة يعرف بها (على الخرطوم) اى الانف يعيرها ما عاش قال ابن عباس سنسمه سنخطمه بالسيف قال وقد خطم الذي نزلت فيه يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات والتعبير عن الانف بهذا للاستهانة والاستخفاف وقال قتادة سنسمه يوم القيامة على انفه سمة يعرف بها وقال الكسائي سنكويه على وجهه وقال ابو العالية ومجاهد سنسمه على الخرطوم اي على انفه ونسود وجهه في الآخرة فيعرف بسواد وجهه قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهي علامة ظاهرة وتخشر المجرمين يومئذ زرقا وهذه علامة اخرى ظاهرة وافادت هذه الآية علامة ثالثة وهي الوسم

يحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا بلفظ الماضي مع آن الحساب والعذاب المرتبين على العتو انما هما في الآخرة (قلت) اى بذلك

على

على الانف بالنار وهذا كقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قال القرطبي والخرطوم الانف من الانسان ومن السباع موضع الشفة وخراطيم القوم ساداتهم قال الفراء وان كان الخرطوم قد خص بالسمة فانه في معنى الوجه لان بعض الشيء يعبر به عن الكل وقال القرطبي سنبين أمره تبيانا واضحا فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة ولا شك ان المبالغة العظيمة في ذمه بقيت على وجه الدهر ولا نعلم أن الله تعالى بلغ من ذكر عيوب أحد ما بلغ منه فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة كالوسم على الخرطوم وقيل ما ابتلاه الله تعالى به في الدنيا في نفسه وأهله وماله من سوء وذل وصغار وقال النضر بن شميل المعنى سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه خراطيم قال الرازي كالزمخشري وهذا تعسف اه وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب أو لانها تطير في الخياشيم *(تنبيه)* الانف أكرم موضع في الوجه لتقدمه ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذلال فكيف بها على أكرم موضع منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها ولما ذكر تعالى في اول الملك انه خلق الموت والحياة للابتلاء في الاعمال وختم هنا بمعيب من بطر بالمال والبنين وهو يعلم ان الموت وراءه أعاد ذكر الابتلاء وأكده بقوله تعالى (انا) أي بما لنا من القهر والعظمة (بلوناهم) أي عاملنا أهل مكة بما وسعنا عليهم به معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر والباطن فغرهم ذلك وظنوا انهم أحباب ومن قترنا عليهم من أوليائنا أعداء واستهانوا بهم ونسبوهم لاجل تقللهم من الدنيا الى السفه والجنون وكان ابتلاؤنا لهم بالقحط الذي دعا عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا الجيف (كما بلونا) أي اختبرنا (أصحاب الجنة) بان عاملناهم معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر وحاصله انه استخراج ما في البواطن ليعلمه العباد في عالم الشهادة كما يعلم الخالق في عالم الغيب أو أنه كناية عن الجزاء وعرف الجنة لانها كانت شهيرة عندهم وهي بستان عظيم كان دون صنعاء بفرسخين يقال له الضروان يطؤه أهل الطريق كان صاحبه ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل او ألقته الريح أو بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة وكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات شح بنوه بذلك وقالوا ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن ذوو عيال فحلفوا على ان يجذوها قبل الشمس حتى لا تأتي الفقراء الا بعد فراغهم وذلك معنى قوله تعالى (اذ) أي حين (أقسموا) ودل على تأكيد القسم بالتأكيد فقال (ليصرمنها) عبر به عن الجذاذ لدلالته على القطع البائن المستأصل المانع للفقراء من الصريم الذي يعرض على فم الجدي لئلا يرضع أو من الصرماء للمفازة التي لا ماء بها والناقة القليلة اللبن (مصبحين) داخلين في أول وقت الصباح لئلا تشعر بهم المساكين فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها (ولا) أي والحال انهم لا (يستثنون) في يمينهم أي ولا يقولون ان شاء الله (فان قيل) لم سمي استثناء وانما هو شرط

على لفظ الماضي تحقيقا له وتقريرا لان المنتظر من وعد الله ووعيده آت لا محالة ونظيره قوله تعالى ونادى أصحاب النار

(سورة التحريم)

(يستثنون) بأن يقولوا إن شاء الله وإنما سمى استثناء لانه اخراج الشئ بكون حكمه غير المذكور أولا وكان الاصل فيه الا ان يشاء الله فالحق به ان شاء الله لرجوعه اليه في اتحاد الحكم (فطاف) أى فتسبب عن فعلهم هذا ان طاف (عليها) اى جنتهم (طائف) اى عذاب مهلك محيط وهو نار احرقتها بالليل لم تدع منها شيأ والطائف غلب في الشر وقال الفراء هو الامر الذي يأتي ليلا ورد عليه بقوله اذا مسهم طائف من الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار وقوله تعالى (من ربك) يجوز ان يتعلق بطاف وان يتعلق بمحذوف صفة لطائف (وهم) أى والحال ان أصحاب الجنة المقسمين (نائمون) وقت ارسال الطائف (فأصبحت) أى فتسبب عن هذا الطائف الذى ارسله القادر الذى لا يغفل ولا ينام على حال من لا يزال أسير العجز والنوم فعلا أو قوة (كالصريم) أى كالاشجار التى صرم عنها ثمرها أو كالليل المظلم الاسود لانه يقال الصريم لسواده والصريم أيضا النهار وقيل الصبح لانه انصرم من الليل قاله الاخفش وهو من الاضداد وقيل كالرماد الاسود بلغة خزيمة قاله ابن عباس لان ذلك الطائف أتلفها لم يدع فيها شيأ لانهم طلبوا الكل فلم يزكوه بما يمنع عنه الطوارق اضد ما كان لابيهم من ثمرة عمله الصالح من الدفع عن ماله والبركة في جميع أحواله قال القرطبي والآية دليل على ان العزم مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وهذا محمول على العزم المصمم أما ما يخطر بالبال من غير عزم فلا يؤاخذ به (فتنادوا مصبحين) أى في حال أول دخولهم في الاصباح وقوله تعالى (أن اغدوا) أى بكروا جدا مقبلين ومستولين وقادرين ويجوز أن تكون ان المفسرة لانه تقدمها ما هو بمعنى القول (على حرثكم) اى محل فائدتكم الذى أصلحتموه وتعبتم فيه فلا يستحقه غيركم قال مقاتل لما أصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم يعنى بالحرث الثمار والزروع والاعناب ولذلك قال صارمين لانهم أرادوا قطع الثمار من الاشجار قال الزمخشري (فان قلت) هلا قال اغدوا الى حرثكم وما معنى على (قلت) لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو وقال الزمخشري ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال أى فاقبلوا على حرثكم (ان كنتم صارمين) أى مريدين القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله أى فاغدوا ويجوز أن تكون أن المصدرية أى تنادوا بهذا الكلام *(تنبيه)* مقتضى كلام الزمخشري ان غدا متعد في الاصل بالى فاحتاج الى تأويل فقدره بعلى قال ابن عادل وفيه نظر لورود تعديه بعلى في غير موضع كقوله

وقد أغدوا على ثبة * نشاوى واجدين لما نشاء

واذا كانوا قد عدوا مرادفه بعلى فليعدوه وقرأ ان اغدوا أبو عمرو وعاصم وحمزة في الوصل بكسر النون والباقون بضمها واتفقوا على الابتداء بالهمزة بالضم (فانطلقوا) أى فتسبب عن هذا الحث عقبه كأنهم كانوا متهيئين (وهم) اى والحال انهم (يتخافتون) اى يقولون في حال انطلاقهم قولا هو في غاية السر كأنهم ذاهبون الى سرقة من دار هي في غاية الحراسة من

(قوله وصالح المؤمنين) ان كان المراد به الفرد فاى فرد هو مع انه لا يناسب جمع الائمة (ان قلت) فهلا كتب بعده او الجمع في المصحف بالواو (قلت)

قوله وقد اغدوا على الخ كذا بالنسخ بايدينا والبيت ناقص تفعلة فليحرر اه مصححه

الخفوت

الخفوت وهو الهمود وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ثم فسر ما يتخافتون به بقوله تعالى (أن لا يدخلنها) وأن لا ههنا مقطوعة كما ترى وأكدوه لأنه لا يصدق إن أحداً يصل إلى هذه الوقاحة وأن جداً إذا يخلو من سائل (اليوم) أي في جميع النهار بما دل عليه نزع الخافض اتكزوا عليه مراراً وتفتشوه فلا تدعوا به ثمرة واحدة ولا موضعاً يطمع فيه أحد في قصدكم (عليكم) وأنتم بها (مسكين) وهي نهي للمسكين في اللفظ للمبالغة في نهي أنفسهم أن لا يدعوه يدخل عليهم أي لا يمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا أرينك ههنا فقال لهم أوسطهم سناً وخيرهم نفساً وأعدلهم طبعاً بما يدل عليه ما يأتي لا تقولوا هكذا واصنعوا من الإحسان ما كان يصنع أبوكم قال البقاعي وكأنه طواه سبحانه لأنه مع الدلالة عليه بما يأتي لم يؤثر شيئاً (وغدوا) أي ساروا إليها غدوة (على حرد) أي منع للمساكين قال أبو عبيدة على حرد أي منع من حاردت الإبل حراداً أي قل لبنها والحرود من النوق القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها أو خيرها وقال الشعبي وسفيان على حنق وغضب من المساكين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على قدرة (قادرين) عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها أحد أي بدليل عدم استثنائهم فإن الجزم على الفعل في المستقبل فضلاً عن أن يكون مع الحلف فعل من لا كفء له وقال الحسن وقتادة على جد وجهد وقال القرطبي وعكرمة على أمر مجتمع ودل على قربها من منزلتهم بالفاء فقال تعالى (فلما رأوها) أي بعد مسير يسير وليس للزرع ولا للثمر بها أثر (قالوا إنا لضالون) عن طريق جنتنا لأنها صارت لسوء حالها من ذلك الطائف بعيدة عن حال ما كانت عليه عند توعدهم وتغير نياتهم فأدهشهم منظرها وحيرهم خبرها وأكدوا الآن ضلالهم لا يصدق مع قرب عهدهم وكثرة ملابستهم لها وقوة معرفتهم بها * ولما انجلى ما أدهشهم في الحال قالوا مضربين عن الضلال (بل نحن محرومون) أي ثابت حرماننا ما كان فيه من الخير الذي لم نغب عنه إلا سواد الليل حرمنا الله تعالى إياه بما عزمنا عليه من حرمان المساكين إن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقرأ الكسائي بإدغام اللام في النون والباقون بالإظهار (قال أوسطهم) أي رأياً وعقلاً وسناً وفضلاً منكراً عليهم (ألم أقل لكم) أي ما فعلتموه لا ينبغي وإن الله تعالى بالمرصاد لمن غير ما في نفسه وحاد (لولا) أي هلا ولم لا (تسبحون) أي تستثنون فكان استثناؤهم تسبيحاً قال مجاهد وغيره وهذا يدل على أن هذا الأوسط كان يأمرهم بالاستثناء فلم يطيعوه قال أبو صالح كان استثناؤهم سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون الله أي تقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم وقال النحاس أصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح في موضع إن شاء الله لأن المعنى تنزيه الله أن يكون شيء إلا بمشيئته وقال الرازي التسبيح عبارة عن تنزيهه عن كل سوء فلو دخل شيء في الوجود على خلاف إرادة الله تعالى لنسب النقص إلى قدرة الله تعالى فقولك إن شاء الله يزيل هذا النقص فكان ذلك تسبيحاً وقيل المعنى هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون إليه من خبث نيتكم قيل إن القوم لما عزموا على منع الزكاة اغتروا بالمال والقوة قال لهم أوسطهم توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب فلما رأوا العذاب ذكرهم أوسطهم كلامه الأول وقال ألم أقل لكم

هو مفرد أريد به الجمع كقوله تعالى والملك على أرجائها وقوله ثم يخرجكم طفلاً أو هو جمع لكنه كتب في المصحف بغير واو على اللفظ كما جاءت ألفاظ كثيرة في المصحف على اللفظ دون اصطلاح الخط (قوله والملائكة

لولا تسبحون فحينئذ اشتغلوا بالتوبة بأن (قالوا) أي من غير تلعثم بما عاد عليهم من بركة أبيهم (سبحان ربنا) أي تنزه المحسن إلينا التنزيه الأعظم أن يكون وقع منه فيما فعل بنا ظلم وأكدوا قباحة فعلهم هذه بالأنفسهم وخضوعا لربهم وتحقيقا التوبتهم بقولهم (انا كنا) أي بما في جبلاتنا من الفساد (ظالمين) أي مجاوزين الحدود فيما فعلنا من التقاسم على منع المساكين وعلى جذها في الصباح من غير استثناء (فأقبل بعضهم) أي في الحال مبادرة في الخضوع (على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا يقول هذا لهذا أنت أشرت علينا بهذا الرأي ويقول ذاك لهذا أنت الذي خوفتنا بالفقر ويقول الثالث لغيره أنت رغبتني في جمع المال ثم نادوا على أنفسهم بالويل بأن (قالوا) منادين لما شغلهم قربه منهم وملازمته لهم عن كل شيء (ياويلنا) أي هذا وقت حضورك أيها الويل إيانا ومنادمتك لنا فانه لا نديم لنا الآن غيرك والويل الهلاك والاشراف عليه (انا كنا) أي جبلة وطبعا (طاغين) أي عاصين بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء وقال ابن كيسان طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا) أي الذي أحسن الينا بتربية هذه الجنة واهلاك ثمرها الآن تأديبا لنا (أن يبدلنا) من جنتنا شيأ (خيرا منها) يقيم لنا أمر معايشنا وتنقلب أحوالنا هذه التي نحن فيها من الهموم والبذاذة بسرور ولذاذة وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال (انا الى ربنا) أي المحسن الينا والمربي لنا بالايجاد ثم الابقاء خاصة لا الى غيره (راغبون) أي ثابتة رغبتنا ورجاؤنا الخير والاكرام وقد قيل ان الله تعالى قبل رجوعهم وأخلف عليهم فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان كان العنقود الواحد منها يحمله وحده من كبره البغل رواه البغوي عن ابن مسعود وقال أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم وقال الحسن قول أهل الجنة انا الى ربنا راغبون لا أدري ايمانا كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من المشركين اذا أصابتهم الشدة فتوقف في كونهم مؤمنين وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتني تعبا والأكثرون يقولون انهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيري * ولما كان المقام مرهبا من ركن الى ماله واحتقر أحدا من عباد الله تعالى ولم يجلهم بجلال الله طوى ذكر ما أنعم به عليهم وذكر ما يخيفهم فقال تعالى مرهبا (كذلك) أي مثل هذا الذي بلونا به أصحاب الجنة من الهلاك ما كان عند أنفسهم في غاية القدرة على ما هو المقصود به من الاستحصاد لفعلهم والاستصواب وسداد نابه أهل مكة ان لم يبادروا الى المتاب (العذاب) أي الذي نحذرهم منه ونخوفهم به في الدنيا فاذا تم الأجل الذي قدرناه أخذناهم به غير مستعجلين لأنه لا يعجل الا ناقص يخاف الفوت (ولعذاب الآخرة) أي الذي يكون فيها بعد الموت (أكبر) أي من كل ما يتوهمونه (لو كانوا) أي الكفار (يعلمون) أي لو كان لهم علم بشيء من الأشياء في وقت من الأوقات لرجعوا عما هم فيه ... ولما ذكر ما للمجرمين الذين لا يعرفون الا المكذبات ذكر تعالى أضدادهم فقال تعالى مؤكدا لأجل انكارهم (ان للمتقين) أي العريقين في صفة التقوى (عند ربهم) أي المحسن اليهم في موضع ندم أولئك وخيبة آمالهم (جنات) جمع جنة وهي البستان الجامع ... مكان اجتمع فيه جميع السرور ... والتقى

بعد ذلك ظهير) وضع فيه المفرد موضع الجمع أي ظهراء أو أن فعيلا يستوي فيه الواحد وغيره كقعيد (قوله عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن)

عنه جميع الشرور (النعيم) أي جنات ليس فيها الا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وأن يفضلنا عليكم في الآخرة فان لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة فأجابهم الله تعالى بقوله سبحانه (أفنجعل المسلمين) أي الذين هم عريقون في الانقياد لأوامرنا والصلة لما أمرنا بوصله طلبا لمرضاتنا فلا اختيار لهم معنا في نفس ولا غيرها لحسن جبلاتهم (كالمجرمين) أي الراسخين في قطع ما أمرنا به أن يوصل وأنتم لا تقرون بفضل هذا وفي ذلك انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون أيضا ان صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون أحسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا وقوله تعالى (ما لكم) أي أي شيء يحصل لكم من هذه الأحكام الجائرة البعيدة عن الصواب (كيف تحكمون) أي أي عقل دعاكم الى هذا الحكم الذي يتضمن التسوية من السيد بين المحسن من عبيده والمسيء مع التفاوت فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بأنه صادر عن اختلال فكر واعوجاج رأي (أم) أي بل أ(لكم كتاب) أي سماوي معروف أنه من عند الله خاص بكم (فيه) أي لا في غيره من أساطير الأولين (تدرسون) أي تقرؤون قراءة أتقنتموها (ان لكم) أي خاصة على وجه التأكيد الذي لا رخصة في تركه (لما تخيرون) أي ما تختارونه وتشتهونه وكسرت وكان حقها الفتح لولا اللام لأن ما بعدها هو المدروس ويجوز أن تكون الجملة حكاية للمدروس وأن تكون استئنافية (أم لكم أيمان) أي عهود ومواثيق (علينا) قد حلفنا لكم بها (بالغة) أي واثقة نعت لأيمان وقوله تعالى (الى يوم القيامة) متعلق بما تعلق به لكم من الاستقرار أي ثابتة لكم الى يوم القيامة أي مبالغة أي تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهي اليه وقوله تعالى (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أي أقسمنا لكم * ولما عجب منهم وتهكم بهم في ذلك بتهكم أعلى منه يكشف عوارهم غاية الكشف فقال تعالى (سلهم) يا أشرف الرسل (أيهم بذلك) أي الأمر العظيم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين (زعيم) أي كفيل وضامن أو سيد أو رئيس أو متكلم بحق أو باطل لازم لمن ادعى صحة ذلك (أم لهم شركاء) أي وافقوهم في هذا القول يكفلونه لهم فان كانوا كذلك (فليأتوا بشركائهم) أي الكافلين لهم به (ان كانوا صادقين) أي عريقين في هذا الوصف كما يدعونه وقوله تعالى (يوم) منصوب بقوله فليأتوا أي فليأتوا بشركائهم يوم (يكشف) أي يحصل الكشف فهو مبني للمفعول لأن المخوف وقوع الكشف الذي هو كناية عن تفاقم الأمر وخروجه عن حد الطوق لا كونه من معين مع أنه من المعلوم أنه لا فاعل لذلك غيره سبحانه وتعالى (عن ساق) أي يشتد فيه الأمر غاية الاشتداد لأن من اشتد عليه الأمر وجد في فعله شمر عن ساقه لأجله وشد حزمه عنه وقيل غير ذلك من المتشابهات فهو كناية عن هذا ولذلك نكره تهويلا له وتعظيما ونقل هذا التأويل عن ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما وعن انكشاف جميع الخلائق وظهور الجلال بين الدقائق من الأهوال وغيرها كما كشفت هذه الآيات جميع الشبه فتركت السامع لها في مثل ضوء النهار ويجوز أن يكون منصوبا باضمار اذكر فيكون على هذا مفعولا به وعلى الأول لا يوقف على صادقين * (تنبيه) * لما

الآية (ان قلت) كيف أثبت الخيرية لهن بالصفات المذكورة بقوله مسلمات الى آخره مع اتصاف أزواجه صلى الله عليه وسلم بها أيضا (قلت)

تقرر ان كشف الساق كناية عن الشدة قال الراجز

عجبت من نفسي ومن إشفاقها * ومن طرادي الطير عن أرزاقها

في سنة قد كشفت عن ساقها * حمراء تبري اللحم عن عراقها

وقال الطائي

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال آخر

قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا

وقال أبو عبيدة اذا اشتد الامر أو الحرب قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة وقال القرطبي وأما ما روي ان الله تعالى يكشف عن ساقه فانه تعالى متعال عن الاعضاء والابعاض وان ينكشف و يتغطى [illegible] ان يكشف عن [illegible] قيل يكشف [illegible] نوره عز وجل وروى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عن ساق قال يكشف عن نور عظيم يخرون له سجدا وروى أبو بردة بن ابي موسى [illegible] سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل [illegible] فيذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويبقى اهل التوحيد [illegible] يقولون ان [illegible] لم نره قال أو تعرفونه [illegible] فيكشف لهم عن ساقه فيخرون له سجدا [illegible] فينظرون الى الله تعالى [illegible] يستطيعون فذلك قوله تعالى يوم يكشف عن ساق (ويدعون) [illegible]

[illegible] (خاشعة ابصارهم) [illegible] (ترهقهم ذلة) [illegible] (وقد كانوا يدعون) [illegible] لهم [illegible] فقد جاءت [illegible] قال أبو بردة فحدثت هذا الحديث [illegible] الذي لا اله الا هو [illegible] الحديث [illegible] فقال ما سمعت في اهل التوحيد حديثا هو أحب الي من هذا الحديث [illegible] الساجدين [illegible] ابن مسعود [illegible] أي ترد [illegible] وفي الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أي فقارة واحدة [illegible] حال من مرفوع يدعون وقوله تعالى (أبصارهم) فاعل [illegible] القلب [illegible] في العين [illegible] الذين يرغمون [illegible] من السجود [illegible]

[illegible] والمنافقين [illegible] (ترهقهم) [illegible]

[illegible] (وقد كانوا يدعون الى السجود) [illegible]

[illegible]

اراد خبرا منكرا في حفظ [illegible] مع [illegible] الصفات [illegible] مشتركة [illegible] (فانفقات) لذكر الواو في [illegible] ابكارا وحذفها في بقية

أصحابها حال من مرفوع يدعون الثانية وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الأحبار والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات ❊ ولما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في التخويف بما عنده وفي قدرته فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (فذرني) أي اتركني على أي حالة اتفقت (ومن يكذب) أي يوقع التكذيب لمن يتلو ما جددت انزاله من كلامي القديم على أي حالة كان ايقاعه وأفرد الضمير نصا على تهديد كل واحد من المكذبين (بهذا الحديث) أي القرآن أي خل بيني وبينهم لا تشغل قلبك به فاني أكفيك أمره لأنه لا مانع منه فلا تهتم به أصلا (سنستدرجهم) أي سنأخذهم بعظمتنا على التدريج لا على غرة الى عذاب لا شك فيه (من حيث) أي من جهات (لا يعلمون) أي لا يتجدد لهم علم ما في وقت من الأوقات فعذبوا يوم بدر وقال أبو روق كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه وكم مفتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه وقال ابن عباس سنمكر بهم وروى أن رجلا من بني اسرائيل قال يا رب كم أعصيك وأنت لا تعاقبني فأوحى الله الى نبي زمانهم أن قل له كم من عقوبة لي عليك وأنت لا تشعر ان جمود عينيك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت والاستدراج ترك المعاجلة وأصله النقل من حال الى حال كالتدرج ومنه قيل درجات وهي منزلة بعد منزلة واستدرج فلان فلانا أي استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال درجه الى كذا واستدرجه بمعنى أدناه منه على التدريج فتدرج ومعنى الآية أنا لما أنعمنا عليهم اعتقدوا أن ذلك الانعام تفضيل لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة والواقع سبب لهلاكهم (وأملي لهم) أي أمهلهم وأطيل المدة كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما والملاوة المدة من الدهر وأملى الله له أي أطال له والملوان الليل والنهار وقيل لا أعاجلهم بالموت والمعنى واحد والملا مقصورا الأرض الواسعة سميت به لامتدادها (ان كيدي) أي ستري لأسباب الهلاك عمن أريد اهلاكه وادنائي ذلك منه في ملابس الاحسان (متين) أي قوي شديد فلا يفوتني أحد وسمى احسانه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد ووصفه بالمتانة لقوة أثره في التسبب للهلاك (أم تسألهم) أي أنت يا أعف الخلق وأعلاهم همة (أجرا) على تبليغ الرسالة (فهم) أي فتسبب عن ذلك وتعقب أنهم (من مغرم) أي غرامة تطلبها منهم (مثقلون) أي فهم لحمل الغرامات عليهم في غاية الثقل فثبطهم ذلك عن الايمان والمعنى ليس عليهم كلفة بل يستولون بالاتباع على خزائن الأرض ويصلون الى جنات النعيم (أم عندهم) أي خاصة (الغيب) أي علم ما غاب من اللوح المحفوظ أو غيره (فهم) أي بسبب ذلك (يكتبون) أي ما يريدون منه ليكونوا قد اطلعوا على أن هذا الذكر ليس من عند الله أو أنهم لا دركة عليهم في التكذيب فقد علم أن هذا أمر لا شبهة لهم في ذلك عادية ولا شبهة وانما كيدهم مجرد حسد بالعرض لما خصصناك به من أنوار النبوة وأسرار (فاصبر) أي أوقع الصبر الجميل على كل ما يقولون فيك وعلى غيره مما يعرض من مشقة تبليغهم ومن غير ذلك من مر القضاء (لحكم ربك) أي القضاء الذي قضاه وقدره المحسن اليك الذي كرمك بما أكرمك به من الرسالة وألزمك بما ألزمك من البلاغ وخذلهم بالتكذيب وقضاهم على

الصفات (قلت) لان ابكارا مباين للثيبات فذكر بالواو لامتناع اجتماعهما في ذات واحدة بخلاف بقية الصفات لا تباين فيها فذكرت بلا واو (انتهت)

ذلك في الأجل وأسبغ عليهم النعم وأخر ما وعدك به من النصر وقال ابن بحر فاصبر لنصر ربك
وقيل ان ذلك منسوخ بآية السيف وقال قتادة ان الله تعالى يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم
ويأمره بالصبر ولا يعجل (ولا تكن) أي ولا يكن حالك يا أشرف الخلق في الضجر والعجلة
(كصاحب) أي كحال صاحب (الحوت) وهو يونس عليه السلام وقوله تعالى (اذ) منصوب
بمضاف محذوف اي ولا يكن حالك كحاله او قصتك كقصته حين (نادى) اي ربه في الظلمات من
بطن الحوت وظلمة ما يحيط به من اللجة وظلمة الليل لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين
ويدل على المحذوف ان الذوات لا ينصب عليها النهي انما ينصب على أحوالها وصفاتها
وقوله تعالى (وهو مكظوم) جملة حالية من الضمير في نادى والمكظوم الممتلئ حزنا او غيظا
ومنه كظم السقاء اذا ملأه قال ذو الرمة

وأنت من حب مي مضمر حزنا * عاني الفؤاد قريح القلب مكظوم

وقال القرطبي ومعنى وهو مكظوم اي مملوء غما وقيل كربا فالاول قول ابن عباس ومجاهد والثاني
قول عطاء وأبي مالك قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس وقيل
مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم كظم غيظه اي حبس غضبه والمعنى لا يوجد منك
ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه ولما تشوف السامع الى ما كان من أمره بعد
هذا الامر العجيب قال تعالى (لولا أن تداركه) اي ادركه ادراكا عظيما (نعمة) اي عظيمة جدا
(تنبيه) حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه (من ربه) اي الذي أحسن اليه بارساله
وتهذيبه للرسالة النبوة [illegible] والرحمة وقال الضحاك النعمة هنا النبوة وقال ابن جبير عبادته
التي سلفت وقال ابن زيد نداؤه بقوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال ابن
بحر اخراجه من بطن الحوت وقوله تعالى (لنبذ) أي لولا هذه الحالة الحسنة التي أنعم الله تعالى
عليه بها لطرح طرحا هينا (بالعراء) أي الارض الفضاء الواسعة التي لا نبات بها ولا جبال
ولا نبات المعهودة عن الانس جواب لولا وقيل جوابها مقدر اي لولا هذه النعمة لبقي في بطن
الحوت (وهو) اي والحال انه (مذموم) اي ملوم على الذنب وقيل مبعد من كل خير وقال
الرازي وهو محمول على كونه فاعلا للذنب قال والجواب من ثلاثة أوجه الاول ان كلمة لولا دالة
على ان هذه المذمومية لم تحصل الثاني لعل المراد من المذمومية ترك الافضل فان حسنات
الابرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى (فاجتباه) أي
اختاره للرسالة (ربه) والفاء للتعقيب قيل ان هذه الآية نزلت بأحد حين حل برسول الله
صلى الله عليه وسلم ما حل فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين أراد ان يدعو على
[illegible] ثم سبب عن اجتبائه قوله تعالى (فجعله من الصالحين) أي الذين رسخوا في رتبة الصلاح
فصلحوا [illegible] النبوة والرسالة وصلح [illegible] غيرهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (تنبيه) [illegible]

أي مدح في كونهن ثيبات (ذات) الثيب مدح من جهة انها أكثر تجربة وعقلا وأسرع حبلا غالبا والبكر مدح من جهة انها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة

تعالى بقوله سبحانه فجعله من الصالحين لان الصلاح انما حصل بجعل الله تعالى وخلقه وقال الجبائى يحتمل أن يكون معنى جعله أنه أخبر بذلك ويحتمل أن يكون لطف به حتى صلح اذ الجعل يستعمل فى اللغة فى هذه المعانى والجواب ان ذلك مجاز والاصل فى الكلام الحقيقة (وان) هى المخففة اى وانه (يكاد الذين كفروا) اى ستروا ما قدروا على ستره مما جئت به من الدلائل واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف * ولما كانت ان مخففة أتى باللام التى هى علمها فقال (ليزلقونك بابصارهم) اى ينظرون اليك نظرا شديدا يكاد ان يصرعك من قامتك الى الارض كازلاق الانسان فينطرح لما يتراءى فى عيونهم أو يهلكونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى ويكاد يأكلنى اى لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعل قال القائل

يتقارضون اذا التقوا فى موطن * نظرا يزل مواطئ الاقدام

وقيل ارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين فى بنى اسرائيل فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام ولا يمر به شئ فيقول لم ار كاليوم مثله الا عانه حتى ان البقرة السمينة او الناقة السمينة تمر باحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذى المكتل والدرهم فأتينا من لحم هذه الناقة فما تبرح الناقة حتى تقع للموت فتنحر وقال الكلبى كان رجل من العرب يمكث لا يأكل شيأ يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الابل او الغنم فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فلا تذهب الا قليلا حتى تسقط منها طائفة هالكة فسأل الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم فلما مر النبى صلى الله عليه وسلم انشد

قد كان قومك يحسبونك سيدا * واخال انك سيد معيون

فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الآية وذكر الماوردى ان العرب كانت اذا اراد احدهم ان يصيب احدا بعين فى نفسه او ماله يجوع ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكثر منه ولا أحسن فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله فانزل الله تعالى هذه الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وعن أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم قال نعم فلو كان شئ يسبق القدر لسبقته العين قال الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية وقرأ نافع بفتح الياء والباقون بضمها وهما لغتان يقال زلقه يزلقه زلقا وأزلقه يزلقه ازلاقا وقال ابن قتيبة ليس يريد انهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وانما اراد أنهم ينظرون اليك (لما سمعوا الذكر) اى القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك وقال الزجاج يعنى من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك (ويقولون) اى قولا لا يزالون يجددونه حسدا او تعاميا لانه لم يزدهم تمادى الزمان الا حنقا (انه لمجنون) اى ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن فأجابهم الله تعالى بقوله سبحانه (وما هو) اى القرآن (الا ذكر للعالمين) قال ابن عباس موعظة للمؤمنين

وهلا عينه غالبا (قوله ويقولون ما يقولون) فائدة ذكره بعد لا يبصرون اقله ما امرهم التأكيد لاتحادهما صدقا او لاختلافهما التأسيس

قال الجلال اهل الانس والجن وظاهره اخراج الملائكة وهو ما جرى عليه في شرحه على جمع الجوامع وظاهر الآية انه ارسل لجميع الخلائق وهو كما قال بعض المتأخرين الظاهر ويدل له قول البيضاوي لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لايدركه ولا يتعاطاه الامن كان اكمل الناس عقلا واثبتهم رأيا وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم حديث موضوع

سورة الحاقة مكية

وهي اثنتان وخمسون آية وألف واربعة وستون حرفا

(بسم الله) اى الذى له الكمال كله (الرحمن) الذى عم العالمين جوده (الرحيم) الذى خص اهل وده بالوقوف عند حدوده وقوله تعالى (الحاقة) مبتدأ وقوله تعالى (ما الحاقة) مبتدأ وخبر والجملة خبر الاول والاصل الحاقة ماهي اى اى شئ هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها والحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجئ التى هى آتية لاريب فيها والتى فيها حواق الامور من البعث والحساب والثواب والعقاب او التى تحق فيها الامور اى تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اى لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وقيل سميت القيامة بذلك لانها احقت لاقوام الجنة ولاقوام النار وقوله تعالى (وما ادراك) اى اى شئ اعلمك (ما الحاقة) زيادة تعظيم لشأنها فما الاولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها فى محل المفعول الثانى لادرى يعنى انك لاعلم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لاتبلغه دراية احد ولا وهمه والنبى صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن لاعلم له بكنهها وصفتها فقيل له ذلك تفخيما لشأنها كأنك لست تعلمها اذ لم تعاينها وقال يحيى بن سلام بلغنى ان كل شئ فى القرآن وما ادراك فقد دراه وعلمه وكل شئ قال وما يدريك فانه مما لم يعلمه وقال سفيان بن عيينة كل شئ قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وكل شئ قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به وقرأ ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائى وابن ذكوان بخلاف عنه بالامالة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح ولما ذكر الساعة وفخمها اتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم فقال تعالى (كذبت ثمود) قدمهم لان بلادهم اقرب الى قريش وواعظ القرب أكبر واهلاكهم بالصيحة وهى اشبه بصيحة النفخ فى الصور المبعثرة لما فى القبور (وعاد بالقارعة) اى القيامة سميت بذلك لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة ولانها تقرع الناس بأهوالها يقال اصابتهم قوارع الدهر اى اهواله وشدائده وقوارع القرآن الآيات التى يقرؤها الانسان اذا فزع من الانس او الجن نحو آية الكرسى كأنه يقرع الشيطان بها وقال المبرد القارعة مأخوذة من القرعة من رفع قوم وحط آخرين وقوارع القيامة انفطار السماء بانشقاقها والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع فى الحاقة زيادة فى وصف شدتها وقيل عنى بالقارعة العذاب الذى

مقدورها او المراد بالامر الاول الامر بالعبادات والطاعات وبالثانى الامر بتعذيب أهل النار (قوله توبة نصوحا) لم يقل نصوحة لان فعولا يستوى فيه

نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز قال ابن اسحق وهو وادي القرى وكانوا عربا وأما عاد فقوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف رمل بين عمان الى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي بسطة في الخلق (فأما ثمود فأهلكوا) أي بأيسر أمر من أوامرنا (بالطاغية) أي الواقعة التي جاوزت الحد في الشدة فرجفت منها القلوب واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله تعالى عليهم صيحة فأهمدتهم وقال مجاهد بالذنوب وقال الحسن بالطغيان فهو مصدر كالكاذبة والعاقبة أي أهلكوا بطغيانهم وكفرهم قال الزمخشري وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله تعالى بريح صرصر لكن قال ابن عادل ويوضحه كذبت ثمود بطغواها أهلكوا بها ولاجلها قال والباء سببية على الاقوال كلها الا على قول قتادة فانها فيه للاستعانة كعملت بالقدوم (وأما عاد فأهلكوا) أي بأشق ما يكون عليهم وبأيسر ما يكون علينا (بريح صرصر) أي شديد الصوت لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها وقال مجاهد هي الشديدة السموم (عاتية) أي مجاوزة للحد في شدة عصفها والعتو استعارة أو عتت على عاد فقدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما أرسل الله تعالى سفية من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية (سخرها) أرسلها (عليهم) وقال مقاتل رضي الله عنه سلطها عليهم (سبع ليال) أي لا تفتر فيها الريح لحظة (وثمانية أيام) كذلك قال وهب هي الايام التي تسميها العرب العجوز ذات برد وريح شديدة قيل سميت عجوزا لانها في عجز الشتاء وقيل سميت بذلك لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب (حسوما) قال مجاهد وقتادة رضي الله عنهما متتابعة ليس فيها فترة فعلى هذا هو من حسم الكي وهو أن يتابع على موضع الداء المكواة حتى يبرأ ثم قيل لكل شيء يقطع حاسم وجمعه حسوم مثل شاهد وشهود وقال الكلبي حسوما دائمة وقال النضر بن شميل حسمتهم قطعتهم وأهلكتهم والحسم القطع والمنع ومنه حسم الداء وقال عطية حسوما شؤما كأنها حسمت الخير عن أهلها (تنبيه) في اعراب حسوما أوجه أحدها أن ينتصب نعتا لما قبله ثانيها أن ينتصب على الحال أي ذات حسوم ثالثها أن ينتصب على المصدر بفعل من لفظها أي تحسمهم حسوما واختلفوا في أولها فقال السدي غداة يوم الاحد وقال الربيع ابن أنس رضي الله عنه غداة يوم الجمعة وقال يحيى بن سلام ووهب بن منبه رضي الله عنهم غداة يوم الاربعاء وهو اليوم النحس المستمر قيل كان آخر أربعاء في السنة وآخرها يوم الاربعاء وقال البقاعي وهي من صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال لغروب الاربعاء الآخر وهو آخر الشهر وقد لزم من زيادة عدد الايام أن الابتداء كان بها قطعا والا لم تكن الليالي سبعا فتأمل ذلك اهـ وهو ظاهر ولما كان الحاسم المهلك تسبب عنه قوله تعالى مصورا لحالهم الماضية (فترى القوم)

كقولهم المذكر والمؤنث (قوله امرأة صبور وشكور) (قوله كانتا تحت عبدين من عبادنا) فائدة قوله من عبادنا بعد عبدين مدحهما والثناء عليهما باضافتهما

أى الذين هم غاية فى القدرة على ما يحاولونه (فيها) أى تلك المدة من الايام والليالى لم يتأخر أحد منهم عنهم (صرعى) اى مجندلين على الارض موتى جمع صريع وهى حال نحو قتيل وقتلى وجريح وجرحى والضمير فيها للايام والليالى كما مر أو للبيوت أو للريح قال ابن عادل والاول أظهر لقربه (كأنهم أعجاز) اى أصول (نخل) قد شاخت وهرمت فهى فى غاية العجز (خاوية) أى متآكلة الاجواف ساقطة من خوى النجم اذا سقط للغروب ومن خوى المنزل اذا خلا من قطانه قالوا كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما فى أجوافهم من الحشو من أدبارهم والوصف بذلك لعظم اجسامهم وتقطيع الريح لهم وقطعها رؤسهم وخلوهم من الحياة وتسويدها لهم (فهل ترى) اى أيها المخاطب المعبر بالناس فى جميع الاقطار (لهم) أى خصوصا وأكد النفى وعبر بالمصدر الملحق بالهاء مبالغة فقال تعالى (من باقية) فيكون المراد بالباقية البقاء كالطاغية بمعنى الطغيان أى من باق والاحسن أن تكون صفة لفرقة أو طائفة أو نفس أو بقية أو نحو ذلك وقيل فاعل بمعنى المصدر كالعاقبة والعافية ثم قال المفسرون والمعنى هل ترى لهم أحدا باقيا قال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء فى [illegible] من الريح فلما أمسوا فى اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فألقتهم فى البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وقوله تعالى ناصية والاترى [illegible] كلهم وشرى القصة [illegible] عليه السلام ومن آمن به من بنى هود ولم تضرهم الصاعقة هود عليه السلام ومن آمن به [illegible] ولم يبق منهم أحد فدل ذلك دلالة واضحة على أنه تعالى عالم العالم بالغيب [illegible] الاحاطة بالكليات وعلى قدرته واختياره وحكمته فلا يجعل المسلم كالمجرم ولا [illegible] هل لم يبق منهم أحد (وجاء فرعون) أى الذى [illegible] من الارض [illegible] بأسمائه [illegible] المرحمة أى ومن [illegible] طرحه أى ومن [illegible] المؤتفكات [illegible] ذات [illegible] وغيره [illegible] أنواع الفسق [illegible] الاعمال [illegible] الكثير بإرادة الجنس (فعصوا) أى خالفوا (رسول ربهم) أى [illegible] المحسن اليهم [illegible] باحسانه ولم يحوزوا [illegible] على الصبر [illegible] على [illegible] أى [illegible] أخذة [illegible] ب[illegible] أحذة [illegible] [illegible] على [illegible] المؤمنين [illegible] [illegible] الكافرين [illegible] الأخذ [illegible]

[illegible]

٢ قوله والباقية كذا فى النسخ ولعله والعاقبة اه

[illegible] اضافة التشريف والتخصيص كما فى قوله تعالى وعباد الرحمن وفى قوله فادخلى فى عبادى وفى ذلك مبالغة فى المعنى المقصود وهو ان الانسان عادة

وعلى عذاب الامم يقال ربا الشيء يربو اذا زاد ومنه الربا اذا أخذ في الذهب والفضة أكثر مما أعطى والمعنى أنها كانت زائدة في الشدة على عقوبات سائر الكفار كما ان افعالهم كانت زائدة في القبح على أعمال سائر الكفار وقيل لان عقوبة آل فرعون متعلقة بعذاب الآخرة لقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وعقوبة الآخرة أشد من عقوبة الدنيا فتلك العقوبة كانت كأنها تنمو وتربو ثم ذكر تعالى قصة قوم نوح عليه السلام وهي قوله تعالى (انا) اى على عظمتنا (لما طغى الماء) أى زاد على الحد حتى علا على أعلى جبل في الارض بقدر ما يغرق من كان عليه حين أغرقنا قوم نوح عليه السلام بما لم يطق قوة ضبطه ولا قدره بوجه من الوجوه وقال صلى الله عليه وسلم طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه تعالى فلم يقدروا على حبسه قال المفسرون زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعا وقال ابن عباس رضى الله عنهما طغى الماء زمن نوح عليه السلام على خزانه فكثر عليهم فلم يدروا كم خرج وليس من الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك اليوم والمقصود من ذكر قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول ثم من الله تعالى عليهم بأن جعلهم ذرية من نجى من الغرق بقوله تعالى (حملناكم) أى في ظهور آبائكم (في الجارية) أى السفينة التي جعلناها بحكمتنا عريقة في الجريان حتى كأنه لا جارية غيرها في الماء الذى جعلناه لشأن الاغراق والحمول في الجارية آباؤكم نوح عليه السلام وأولاده وكل من على وجه الارض من نسل أولئك والجارية من أسماء السفينة ومنه قوله تعالى وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام وغلب استعمال الجارية في السفينة كقول بعض العشاق

رأيت جارية في بطن جارية * في جارية [illegible]

ونوح عليه السلام أول من صنع السفينة وانما صنعها بوحى من الله تعالى اليه بحفظه له قال [illegible] انما كهيئة صدر الطائر ليكون ما يجرى في الماء مقاربا لما يجرى في الهواء وأغرقنا من عدا من كان في تلك السفينة من جميع اهل الارض من آدمى وغيره (لنجعلها) أى هذه الفعلة التى هى انجاء المؤمنين بحيث لا يهلك منهم أحد بالعذاب واهلاك الكافرين بحيث لا ينجو منهم أحد وكذا السفينة التي حمل فيها نوح عليه السلام ومن معه (لكم) أى [illegible] (تذكرة) [illegible] (وتعيها) [illegible] (أذن) [illegible] (واعية) أى [illegible] والاسرار الربانية [illegible] لارادة الرسل والبركة [illegible] في انواع الرجم [illegible] الوعاء [illegible] الناس [illegible] الاذن الواعية [illegible] قات من الله تعالى [illegible] الاعلام [illegible] القراءة [illegible] قرأ نافع بسكون الدال والباقون بضمها ولما ذكر تعالى القيامة وهول

لا ينفعه الاصلاح نفسه لاصلاح غيره وان كان ذلك الغير في أعلى مراتب الصلاح والقرب من الله تعالى (قوله وكانت من القانتين) عبارة قال القياس من القانتات

أمرها بالتعبير بلـ

بقوله تعالى (فاذا

لا يتوقف على نافخ

الذى ينفخ فيه اسر

عنه تارة اعدام الـ

واحدة) للفصل بين الخلائق قال الزمخشري فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى فى وقتها ثم قال فان قلت فاى النفختين هى قلت الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد روى عنه انها الثانية اه قال البقاعى وظاهر السياق أنها الثانية التى بها البعث وخراب ماذكر بعد قيامهم انسب لانه أهيب وكونها الثانية احدى الروايتين عن ابن عباس رضى الله عنهما اه واقتصر البيضاوى على أنها الاولى والجلال المحلى على أنها الثانية وهو الانسب كما قاله البقاعى ثم ان الزمخشرى سأل سؤالا على انها النفخة الاولى بقوله فان قلت أما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذى تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئتك عام كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من أوقاته اه ● ولما ذكر التأثير فى الاحياء اتبعه التأثير فى الجمادات وبدأ منها بالسفليات لانها الانسب بالانسان فتكون عبرته بها أكثر فقال تعالى (وحملت الارض والجبال) اى التى بها ثباتها حملتهما الريح أو الملائكة أو القدرة من أماكنهما (فدكتا) اى صدمت الجملتان الارض وأوتادها وبسطت ودق بعضها ببعض (دكة واحدة) اى فصارتا كثيبا مهيلا بايسر أمر فلم يتميز شئ منهما عن الآخر بل صارتا فى غاية الاستواء ومنه اندك سنام البعير اذا انفرش فى ظهره وقال الفراء لم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والارض كالجملة الواحدة ومثله ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ولم يقل كن وهذا الدك كالزلزلة لقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وقوله تعالى (فيومئذ) منصوب بوقعت وقوله تعالى (وقعت الواقعة) لا بد فيه من تأويل وهو ان تكون الواقعة صارت علما بالغلبة على القيامة أو الواقعة العظيمة والا فقيام القائم لا يجوز اذ لا فائدة فيه والتنوين فى يومئذ للعوض من الجملة تقديره يوم اذ نفخ فى الصور ونوع تعالى اسماء القيامة بالحاقة والواقعة والقارعة تهويلا لها ● ولما ذكر تأثير العالم السفلى ذكر العلو بقوله تعالى (وانشقت السماء) اى ذلك الجنس لشدة هول ذلك اليوم اى انصدعت وتفطرت وقيل انشقت لنزول الملائكة بدليل قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (فهى يومئذ واهية) اى ضعيفة ساقطة ضعيفة لا تماسك كالعهن المنفوش بعدما كانت محكمة يقال وهى البناء يهى وهيا فهو واه اذا ضعف جدا ويقال كلام واه اى ضعيف وقيل واهية أى متخرقة مأخوذ من قولهم وهى السقاء اذا تخرق ومن أمثالهم

خل سبيل من وهى سقاؤه ● ومن هريق بالفلاة ماؤه

أى من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه وقرأ ابو عمرو وقالون والكسائى بسكون الهاء

والباقون

ثم عدل عنه الى القانتين
(قانت) رعاية للفواصل
أومعناه من القوم القانتين

● (سورة الملك) ●

(قوله الذى خلق الموت
والحياة) قدم الموت لانه

والباقون بكسرها (والملك) أى هذا النوع (على أرجائها) أى نواحى السماء وأطرافها وحواشى مالم ينشق منها قال الضحاك يكونون بها حتى يأمرهم الله تعالى فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه المعنى والملك على حافات الدنيا أى ينزلون الى الارض ويحرسون أطرافها وقيل اذا صارت السماء قطعا تقف الملائكة على تلك القطع التى ليست متشققة فى أنفسها والارجاء فى اللغة النواحى والاقطار بلغة هذيل واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان مثل عصا وعصوان قال القائل

فلا ترمى بى الرجوان انى * أقل القوم من يغنى مكانى

قال ابن عادل ورجاهنا يكتب بالالف عكس رحى لانه من ذوات الواو (فان قيل) الملائكة يموتون فى الصعقة الاولى لقوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض فكيف يقال انهم يقفون على ارجاء السماء (أجيب) من وجهين الاول انهم يقفون لحظة على أرجاء السماء ثم يموتون والثانى المراد الذين استثنوا فى قوله تعالى الا من شاء الله وقيل ان الناس اذا رأوا جهنم هالهم أمرها فيندون كما تند الابل فلا يأتون قطرا من أقطار الارض الا رأوا الملائكة فيرجعون من حيث جاؤا وقيل على ارجائها ينظرون ما يؤمرون به فى أهل النار من السوق اليها وفى أهل الجنة من التحية والكرامة وهذا كله يرجع الى قول ابن جبير رضى الله عنه ويدل عليه قوله تعالى ونزل الملائكة تنزيلا قال الزمخشرى فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة قلت الملك أعم من الملائكة ألا ترى أن قولك ما من ملك الا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة اه قال أبو حيان ولا يظهر أن الملك أعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالالف واللام فصاراه أن يكون مرادا به الجمع المحلى ولذلك صح الاستثناء منه ثم قال ولان قوله على أرجائها يدل على الجمع لان الواحد لا يمكن أن يكون على ارجائها فى وقت واحد بل فى أوقات والمراد والله أعلم ان الملائكة على أرجائها الا انه ملك واحد ينتقل على أرجائها فى أوقات * ولما كان الملك يظهر فى يوم العرض سرير ملكه ومحل عزه قال تعالى (ويحمل عرش ربك) أى المحسن اليك بكل ما تريد لا سيما فى ذلك اليوم بما يقع من رفعتك على سائر الخلق والضمير فى قوله تعالى (فوقهم يومئذ) أى فى يوم وقعت الواقعة يجوز أن يعود على الملك لانه بمعنى الجمع كما تقدم وأن يعود على الحاملين فى قوله تعالى (ثمانية) وقيل يعود على جميع العالم أى ان الملائكة تحمل عرش الله تعالى فوق العالم كله واختلف فى هذه الثمانية فقال ابن عباس رضى الله عنهما ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال ابن زيد هم ثمانية أملاك وعن الحسن رضى الله عنه الله أعلم كم هم أثمانية أم ثمانية آلاف أم ثمانية صفوف وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى باربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال وفى رواية ثمانية أوعال من أظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وفى حديث آخر لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسأل الله الرزق لذلك الجنس (فان قيل) اذ لم يكن فيهم صورة الوعل فكيف سموا أوعالا (أجيب) بان وجه الثور اذا كانت له قرون اشبه الوعل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه

هو المخلوق أولا لقوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم (قوله ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) أى من خلل وعيب والا فالتفاوت

مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود باسناد صحيح وعن ابن عباس رضى الله عنهما حملة العرش ما بين أخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته خمسمائة ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال الذين يحملون العرش ما بين موق أحدهم الى مؤخر عينه خمسمائة عام وفى الخبران فوق السماء السابعة ثمانية أوعال بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء الى سماء وفوق ظهورهن العرش وفى حديث مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على صورة الاوعال ما بين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطائر المسرع وروى أن أرجلهن فى الارض السابعة واضافة العرش الى الله تعالى كاضافة البيت اليه وليس البيت للسكنى فكذلك العرش ليس للجلوس تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فانه الخالق العرش ولحملة العرش ولا تحيط به جهة وهو العلى العظيم وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ❊ ولما بلغ تعالى النهاية فى تحذير العباد من يوم التناد وكان لهم حالتان عامة وخاصة فالعامة العرض والخاصة التقسيم الى محسن ومسئ زاده عظما بقوله تعالى (يومئذ) أى اذ كان جميع ما تقدم (تعرضون) على الله للحساب كما يعرض السلطان الجند لينظر فى أمرهم ليختار منهم المصلح للتقريب والاكرام والمفسد للابعاد والتعذيب عبر بالعرض عن الحساب الذى هو جزؤه والمحسن لا يكون له غير ذلك والمسئ يناقش (لا تخفى منكم) أى فى ذلك اليوم على أحد بوجه من الوجوه وقرأ حمزة والكسائى بالياء التحتية لان التأنيث مجازى والباقون بالتاء وهو ظاهر (خافية) أى من السرائر التى كان من حقها أن تخفى فى دار الدنيا فانه عالم بكل شئ من اعمالكم ونظيره قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شئ قال الرازى والعرض للمبالغة فى التهديد يعنى تعرضون على من لا تخفى عليه خافية قال القرطبى هذا هو العرض على الله تعالى ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عرضا ليعلم ما لم يكن عالما به بل ذلك العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة وتقرير الاعمال عليهم للمجازاة قال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله قال تعالى (فأما من أوتى كتابه بيمينه) أى الذى أثبتت فيه أعماله (فيقول) لما رأى من سعادته تبجحا بحاله واظهارا للنعمة به لان الانسان مطبوع على أن يظهر ما آتاه الله تعالى من خير تكميلا للذته قيل انه تكتب سيئاته فى باطن صحيفته وحسناته فى ظاهرها فيقرأ الباطن ويقرأ الناس الظاهر فاذا انتهاه قيل له قد غفرها الله تعالى اقلب الصحيفة فحينئذ يكون قوله (هاؤم اقرؤا) أى خذوا اقرؤا (كتابيه) يقول ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجاته لان اليمين عند العرب من دلائل الفرح قال الشاعر

اذا ما راية رفعت لمجد ❊ تلقاها عرابة باليمين

قال ابن عباس رضى الله عنهما أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس قيل فاين أبو بكر قال هيهات زفته الملائكة الى الجنة وقال ابن زيد معنى هاؤم تعالوا ابتدئ بالى وقال مقاتل هلم وقال غيره خذوا ومنه الحديث

بين المخلوقات بالصغر والكبر وغيرهما كنير (قوله فارجع البصر) قال بعده ثم ارجع البصر كرتين قبل أى مع الكرة الاولى فتصير ثلاث مرات

في الرياء لا ها وها أي يقول كل أصحابه خذوا هذا هو المشهور ولذلك فسرت به الآية الكريمة وقيل هي كلمة وضعت لاجابة الداعي عند الفرح والنشاط وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم ناداه أعرابي بصوت عال فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم هاؤم بصوله صوته وقيل معناها اقصدوا وزعم هؤلاء انها مركبة من ها التنبيه وأموا أمر من الام وهو القصد فصيره التخفيف والاستعمال الى هاؤم وقيل الميم ضمير جماعة الذكور وزعم القتبي أن الهمزة بدل من الكاف قال ابن عادل فان عنى أنها تحل محلها فصحيح وان عنى البدل الصناعي فليس بصحيح * (تنبيه) * كتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه أقرب العاملين والاصل كتابي فادخل الهاء لتتبين حركة الياء والهاء في كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه للسكت وكان حقها أن تحذف وصلا وتثبت وقفا وانما أجرى الوصل مجرى الوقف أو وصل بنية الوقف في كتابيه وحسابيه اتفاقا فاثبت الهاء وكذا في ماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة عند القراء كلهم الا حمزة فانه حذف الهاء من هذه الكلم الثلاثة وصلا وأثبتها وقفا لانها في الوقف يحتاج اليها لتحصين حركة الموقوف عليه وفي الوصل مستغنى عنها (فان قيل) فلم يفعل ذلك في كتابيه وحسابيه (أجيب) بانه جمع بين اللغتين (اني ظننت) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي أيقنت وعلمت وقيل ظننت بان يؤاخذني الله بسيآتي فقد تفضل علي بعفوه ولم يؤاخذني بها وقال الضحاك كل ظن من المؤمن في القرآن فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد رضي الله عنه ظن الآخرة يقين وظن الدنيا شك وقال الحسن رضي الله عنه في هذه الآية ان المؤمن أحسن الظن بربه فاحسن العمل وان المنافق أساء بربه الظن فاساء العمل (أني ملاق) أي ثابت لي ثباتا لا ينفك أني ألقى (حسابيه) أي في الآخرة ولم ينكر البعث يعني انه ما نجا الا بخوفه من يوم الحساب لانه تيقن ان الله تعالى يحاسبه فعمل للآخرة فحقق الله تعالى رجاءه وأمن خوفه فعلم الآن انه لا يناقش الحساب وانما حسابه بالعرض وهو الحساب اليسير فضلا من الله تعالى ونعمة (فهو في عيشة) أي حالة من العيش وقوله تعالى (راضية) فيه ثلاثة أوجه أحدها انه على النسب أي ذات رضا نحو لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر أي ثابت لها الرضا ودائم لها لانها في غاية الحسن والكمال والعرب لا تعبر عن أكبر السعادات باكثر من العيشة الراضية بمعنى ان أهلها راضون بها والمعتبر في كمال اللذة الرضا الثاني انه على اظهار جعل العيشة راضية لمحلها وحصولها في مستحقها وانه لو كان للعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها الثالث قال أبو عبيدة والفراء ان هذا مما جاء فيه فاعل بمعنى مفعول نحو ماء دافق بمعنى مدفوق كما جاء مفعول بمعنى فاعل كما في قوله تعالى حجابا مستورا أي ساترا وقال صلى الله عليه وسلم انهم يعيشون فلا يموتون أبدا ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون بأسا أبدا ويشبون فلا يهرمون ابدا (في جنة) أي بساتين جامعة لجميع ما يرادمنها (عالية) أي مرتفعة في المكان والمكانة والابنية والدرجات والاشجار وكل اعتبار وقوله تعالى (قطوفها) جمع كثرة لقطف بالكسر وهو فعل بمعنى مفعول كالذبح وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار وأما القطف بالفتح فالمصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف (دانية) أي قريبة المأخذ سهلة التناول يجدها الراكب والقائم والقاعد والمضطجع كل ذلك على حد سواء دائما من غير انقطاع

والمشهور ان المراد بهذه النفخة النفخة الثانية بدليل

قوله ينقلب اليك البصر خاسئا أي ذليلا وهو حسير أي كليل وهذان الوصفان لا يأتيان بنظرتين ولا

لا كلفة على أحد في تناوله شيأ من ذلك ونقول تعالى (كلوا واشربوا) على اضمار القول أي يقال لهم ذلك وجمع الضمير للمعنى لان قوله تعالى فاما من أوتي كتابه يتضمن معنى الجمع وهذا أمر امتنان لا أمر تكليف (هنيئا) أي أكلا طيبا لذيذا شهيا مع البعد عن كل أذى وسلامة العاقبة بكل اعتبار ولا فضلة هنالك من بول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا عرق ولا وهن ولا صداع ولا ثقل والباء في قوله تعالى (بما أسلفتم) سببية وما مصدرية أو اسمية أي بما قدمتم من الاعمال الصالحة (في الايام الخالية) أي الماضية في الدنيا التي انقضت وذهبت واسترحتم من تعبها وعن مجاهد رضي الله عنه أيام الصيام أي كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى وروي يقول الله تعالى يا أوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية * ولما كانت العادة جارية بان أهل العرض ينقسمون الى مقبول ومردود وذكر سبحانه المقبول بادئا به تشويقا الى حاله وتغبيطا بعاقبته وحسن حاله اتبعه المردود تنفيرا عن أعماله بما ذكر من قبائح أحواله فقال تعالى (وأما من أوتي كتابه) أي صحيفة حسابه (بشماله فيقول) أي لما يرى من سوء عاقبته التي كشف له عنها الغطاء حتى لم يشك فيها لما رأى من قبائحه التي قدمها (يا ليتني) تمنيا للمحال (لم أوت) أي من أي مؤت ما (كتابيه) أي هذا الذي ذكرني خبائث أعمالي وعرفني جزاءها (ولم) أي ويا ليتني لم (أدر ما) حقيقة (حسابيه) من ذكر العمل وذكر جزائه بل استمريت جاهلا لذلك كما كنت في الدنيا ثم يتمنى الموت ويقول (يا ليتها) أي الموتة الاولى وان لم تكن مذكورة الا أنها لظهورها كانت كالمذكورة (كانت القاضية) أي القاطعة لحياتي بان لا أبعث بعدها ولم ألق ما وصلت اليه قال قتادة رضي الله عنه يتمنى الموت ولم يكن في الدنيا عنده شيء أكره من الموت وشر من الموت ما يطلب منه الموت قال الشاعر

وشر من الموت الذي ان لقيته * تمنيت منه الموت والموت أعظم

والمعنى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي وقوله (ما أغنى عني ماليه) يجوز أن يكون نفيا متأسفا على فوات ما كان يرجو من نفعه والمفعول على هذا التقدير محذوف للتعميم ويجوز أن يكون استفهام توبيخ لنفسه سيقت لما أثر له كل سوء وكل محال أي أي شيء أغنى ما كان لي من اليسار الذي منعت منه حق الفقراء وتعظمت به على عباد الله تعالى (هلك عني سلطانيه) أي ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في الاسود بن عبد الاشد وعن فناخسرة الملقب بعضد الدولة لما قال

عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطق لسانه الا بهذه الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا وذكر الضحاك أن الآية الاولى في أخي الاسود عبد الله بن عبد الاسد المخزومي * ولما كان كأنه قيل هذا ما قال فما يقال له أجيب بانه يقال للزبانية على رؤس الاشهاد (خذوه) أي أيها الزبانية الذين كانوا يستهزئ بهم عنده ما ذكرهم (فغلوه) أي اجمعوا يديه الى عنقه ورجليه الى ورائه وقفاه الى ناصيته (ثم الجحيم)

(بثلاث فالمعنى كرات كثيرة كنظيره في قولهم لبيك وسعديك وحنانيك ودواليك وهذاذيك (قوله أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض)

قوله فناخسرة كذا بالفسخ والكشاف وكتب بهامشه ضبط بالقلم بفتح الفاء وتشديد النون وضم الخاء وسكون السين وفتح الراء وبعدها هاء وفي نسخة بواو بدلها والتلاعب بالالفاظ الاعجمية معروف قال المتنبي فما يسمى كفناخسر مسمى * ولا يكنى كفنا خسر كافي اه كتبه المصحح

أى النار العظمى التى تجحم على من يريد دفاعها و يحجم عنها من رآها الا انها فى غاية الحر والتوقد والتغيظ والتشدد (صلوه) أى بالغوا فى تصليته اياها وكرروها بغمسه فى النار كالشاة المصلية مرة بعد أخرى لانه كان يتعاظم على الناس فناسب أن يصلى أعظم النيران وعبر أيضا باداة التراخى لعلو رتبة مدخولها فقال مؤذنا بعدم الخلاص وتقديم المفعول يفيد الاختصاص عند بعضهم ولذلك قال الزمخشرى ثم لا تصلوه الا الجحيم قال أبو حيان وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا لحذاق النحاة اه لكن كلام النحاة لا يأبى ما قاله (ثم فى سلسلة) أى عظيمة جدا وقوله تعالى (ذرعها سبعون ذراعا) يحتمل أن يكون هذا العدد حقيقة وعلى هذا قال ابن عباس رضى الله عنهما سبعون ذراعا بذراع الملك فتدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل من فيه وتخرج من دبره وقال نوف البكالى سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن رضى الله عنه الله أعلم أى ذراع هو و يحتمل أن يكون مبالغة كما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق أشد والذى يدل على هذا ما رواه الترمذى وقال اسناده حسن عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها وعن كعب رضى الله عنه أنه قال لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها أجارنا الله تعالى ومحبينا منها وجميع المسلمين فأشار سبحانه الى ضيقها على ما تحيط به من بدنه بتعبيره بالسلك فقال تعالى (فاسلكوه) أى أدخلوه بحيث يكون كأنه السلك أى الحبل الذى يدخل فى ثقب الخرزة بعسر لضيق ذلك الثقب اما بانطباقها بعنقه أو بجميع بدنه بان تلف قال الزمخشرى والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية أى لا تسلكوه الا فى هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الارهاق فى الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك فى السلسلة لا على تراخى المدة اه ولما ذكر سبحانه على الاجمال عقابه أتبعه أسبابه فقال تعالى (انه كان) أى جبلة وطبعا وان أظهر شيأ يلبس به على الضعفاء و يدلس على الاغبياء (لا يؤمن) أى الآن ولا فى مستقبل الزمان (بالله) أى الملك الاعلى الذى يعلم السر وأخفى (العظيم) أى الكامل العظم وهذا تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد أجيب بذلك وفى قوله تعالى (ولا يحض) أى يحث (على) بذل (طعام المسكين) دليلان قويان على عظم الجرم فى حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثانى ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما أحسن قول القائل

اذا نزل الاضياف كان عذورا * على الحى حتى تستقل مراجله

يريد حضهم على القرى واستعجالهم وعن أبى الدرداء رضى الله عنه انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع نصفها الثانى بالطعام وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه والمعنى على بذل طعام

ليس بتكرار مع قوله أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا لان الاول فى تخويفهم بخسف الارض بهم والثانى فى تخويفهم بالحصب من السماء

المسكين * ولما وصفه سبحانه بأقبح العقائد وأشنع الرذائل تسبب عنه قوله تعالى (فليس له اليوم ههنا) أي في مجمع القيامة كله (حميم) أي صديق خالص يحميه من العذاب لانهم كانوا له أعداء كما أنه كان لا يرق على الضعفاء المحتاجين من الاقلال من حطام الاموال (ولا طعام الا من غسلين) أي غسالة أهل النار صديدهم وقيحهم فعلين من الغسل (لا يأكله الا الخاطئون) أي أصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون لا من الخطا المضاد للصواب وهذا الطعام يقابل ما في طومارهم من الاعمال والمعاني التي بها قوام صلاحها وهو بمنزلة ما كانوا يشحون من أموالهم التي أبدانهم بها وادخروها في خزائنهم واستأثروا بها على الضعفاء (فلا أقسم) أي لا يقع مني اقسام (بما تبصرون) من المخلوقات (وما لا تبصرون) منها أي بكل الموجودات [illegible] ظاهرها و[illegible] الاسم الاعظم [illegible] وقيل الدنيا والآخرة والاجساد والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة لا [illegible] الامر أظهر [illegible] يحتاج الى قسم وان كانت أقسم في هذا الموضع [illegible] ولو [illegible] ذلك الجليل الجليل (انه) أي القرآن (لقول) أي تلاوة (رسول) [illegible] وليس [illegible] كله رسالة واضحة [illegible] (كريم) أي على الله [illegible] في غاية الكرم [illegible] بالطهارة [illegible] النفس وشرف الآباء وهو محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] اجتماع الكمالات [illegible] وقيل هو جبريل عليه السلام [illegible] رسول [illegible]

[illegible]

وقدم الاول لان الارض التي جعلها الله مقرا لهم وعدوا فيها أقرب [illegible] اليوم من السماء البعيدة عنهم (انه لقول) كيف قال [illegible] من في السماء انه تعالى

بقوله تعالى (من رب العالمين) أي موجدهم ومدبرهم بالاحسان اليهم عليهم كل منهم من هذا الذكر الذي رباهم به ورتب سبحانه نظامه على وجه سهل على كل منهم يكفي في هدايته اهـ وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم أرسل للملائكة وهو الذي مشى وان لم يكونوا مكلفين تشريفا لهم وزيادة في شرف رسالته صلى الله عليه وسلم اليهم (ولو تقول) أي كلف نفسه أن يقول مرة من الدهر كذبا (علينا) أي على ما لنا من العظمة (بعض الاقاويل) أي التي لم نقلها أو قلناها ولم نأذن له فيها قال الزمخشري التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كأنها جمع افعولة من القول والمعنى لو نسب الينا قولا لم نقله أو لم نأذن له في قوله (لاخذنا) أي لنلنا (منه) أي عقابا (باليمين) أي بالقوة والقدرة (تنبيه) الباء على أصلها غير مزيدة والمعنى لاخذناه بقوة منا فالباء للحال ... وتكون منه في حكم الزائدة واليمين هنا مجاز عن القوة ... قال ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم ومنه قول الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

وقال أبو جعفر [illegible]

[illegible]

فقال (من أحد عنه) أي القتل (حاجزين) أي لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه أو الرسول صلى الله عليه وسلم أي لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه *(تنبيه)* من أحد اسم ما ومن زائدة لتأكيد النفي ومنكم حال من أحد وعنه حاجزين خبر ما وجمع لان احدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للقتل أو النبي كما مر (وانه) أي القرآن (لتذكرة للمتقين) أي لانهم المنتفعون به لاقبالهم عليه اقبال مستفيد (وانا) أي بما لنا من العظمة (لنعلم) أي علما عظيما محيطا (أن منكم) اى أيها الناس (مكذبين) بالقرآن ومصدقين فانزلنا الكتب وأرسلنا الرسل لنظهر منكم الى عالم الشهادة ما كنا نعلم في الازل غيبا من تكذيب وتصديق فتستحقون بذلك الثواب والعقاب فلذلك وجب في الحكمة أن نعيد الخلق الى ما كانوا عليه من أجسامهم قبل الموت لنحكم بينهم فنجازي كلا بما يليق به اظهارا للعدل (وانه) أي القرآن (لحسرة) أي ندامة (على الكافرين) أي اذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به (وانه) أي القرآن أو الجزاء يوم الجزاء (لحق اليقين) اى الامر الثابت الذى لا يقبل الشك فهو يقين مؤكد بالحق من اضافة الصفة الى الموصوف وهو فوق علم اليقين وقال ابن عباس رضى الله عنهما انما هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين (فسبح) اى أوقع التنزيه الكامل عن كل شائبة نقص (باسم) اى بسبب علمك بصفات (ربك) اى الموجد والمربي لك والمحسن اليك بانواع الاحسان (العظيم) اى الذى ملأت الاقطار كلها عظمته وزادت على ذلك بما شاء سبحانه مما لا تسعه العقول وقال ابن عباس رضى الله عنهما اى فصل لربك العظيم وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع

سورة المعارج مكية

وهي أربع وأربعون آية ومائتان وست عشرة كلمة وألف وأحد وستون حرفا

(بسم الله) اى الذى تنقطع الاعناق والآمال دون علياته (الرحمن) الذى لا مطمع لاحد فى حصر أوصافه (الرحيم) الذى اصطفى من عباده من وفقه فكان من أوليائه (سأل سائل) اى دعا داع (بعذاب واقع) فضمن سأل معنى دعا فلذلك عدى تعديته وقيل الباء بمعنى عن كقوله تعالى فاسأل به خبيرا اى عنه اى سأل سائل عن عذاب واقع والاول أولى لان التجوز فى الفعل أولى منه فى الحرف لقوته واختلف فى هذا الداعى فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر بن الحرث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزل سؤله وقتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن أبي معيط ولم يقتل صبرا غيرهما وقيل هو الحرث بن النعمان وذلك انه لما بلغه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى على من كنت مولاه فعلى مولاه ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلناه منك وأن نصلى خمسا فى كل يوم فقبلناه منك وان نصوم شهر رمضان فى كل عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا أفهذا شئ منك أم من الله تعالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحرث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا

بعذاب

الحفوظ وفيها تنزل أقضيته
وكتبه
(سورة ن)
(قوله ن والقلم) يأتي فيهما ما صرف ... ورنص لكن جواب القسم هنا فكون

بعذاب أليم فوالله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت وقال الربيع هو أبو جهل وقيل انه قول جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سأل العذاب على الكافرين وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب الكافرين ويدل عليه قوله تعالى بعد ذلك فاصبر صبرا جميلا أي لا تستعجل فانه قريب وقرأ نافع وابن عامر بغير همز بعد السين والباقون بهمزة مفتوحة بعد السين * (تنبيه) * ما تقدم من الوجهين في كون سأل ضمن أو أن الباء بمعنى عن هو على القراءة بالهمز وأما على عدمه ففيه وجهان أحدهما أنه لغة في السؤال يقال سال يسال كخاف يخاف وعين الكلمة واو وقال الزمخشري وهي من لغة قريش والثاني انه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من أودية جهنم وقوله تعالى (للكافرين) فيه أوجه أحدها أنه يتعلق بسأل مضمنا معنى دعا كما مر أي دعا لهم بعذاب واقع الثاني انه يتعلق بواقع واللام للعلة أي نازل لاجلهم الثالث أن يتعلق بمحذوف صفة ثانية لعذاب أي كائن للكافرين الرابع أن يكون جوابا للسائل فيكون خبر مبتدا مضمر أي هو للكافرين الخامس أن تكون اللام بمعنى على أي واقع على الكافرين (ليس له) أي بوجه من الوجوه ولا حيلة من الحيل (دافع) يرده وقوله تعالى (من الله) أي الملك الاعلى الذي لا كفؤ له يجوز أن يتعلق بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته اتعلق ارادته به وأن يتعلق بواقع وبه بدأ الزمخشري أي واقع من عنده (ذي المعارج) أي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح أو يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم أو في دار ثوابهم أو مراتب الملائكة او السموات قال ابن عباس رضي الله عنهما أي ذي السموات سماها معارج لانها معارج الملائكة لان الملائكة يعرجون فيها فوصف نفسه بذلك أو ذي العلو والدرجات الفواضل والنعم لانها تصل الى الناس على مراتب مختلفة قاله ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم فالمعارج مراتب انعامه على الخلق وقيل ذي العظمة والعلا وقيل المعارج الغرف أي انه ذو الغرف أي جعل لاوليائه الجنة غرفا وقرأ (تعرج الملائكة) الكسائي بالياء التحتية والباقون بالتاء الفوقية وأدغم جيم المعارج في تاء تعرج هنا السوسي واستضعف بعضهم ذلك من حيث ان مخرج الجيم بعيد من مخرج التاء وأجيب عن ذلك بان الادغام يكون لمجرد الصفات وان لم يتقاربا في المخرج والجيم تشارك التاء في الاستفال والانفتاح والشدة والجملة من تعرج مستأنفة وقوله تعالى (والروح) من عطف الخاص على العام ان أريد بالروح جبريل عليه السلام كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما لقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك أو ملك آخر من جنسهم عظيم الخلقة وقال أبو صالح انه خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس وقال قبيصة بن ذؤيب انه روح الميت حين يقبض (اليه) أي مهبط أمره من السماء وقيل هو كقول ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربي أي الى الموضع الذي أمرني به وقيل الى عرشه وعلق بالعروج أو بواقع قوله تعالى (في يوم) أي من أيامكم وبين عظمه بقوله تعالى (كان) أي كونا هو في غاية الثبات (مقداره) أي لو كان الصاعد فيه آدميا (خمسين ألف سنة) أي من سني الدنيا وذلك أن تصعد من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الارض السابعة روي عن مجاهد رضي الله عنه أن مقدار هذا خمسين ألف سنة وقال محمد بن

وهو الجملة المنفية وفي جوابه خلاف يعرف مما مر (قوله ويدعون الى السجود) اي توبيخا وتعنيفا لهم على تركه في الدنيا لا تكليفا وتعبدا

ايصعد لو سار بنو آدم من الدنيا الى منتهى العرش ساروا خمسين ألف سنة وقال عكرمة وقتادة رضى الله عنهما هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سنى الدنيا ليس يعنى به أن مقدار طوله هكذا دون غيره لان يوم القيامة ليس له أول وليس له آخر لانه يوم ممدود ولو كان له آخر لكان منقطعا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقيل معناه لو ولى محاسبة العباد فى ذلك اليوم غير الله تعالى لم يفرغ منه فى خمسين ألف سنة قال عطاء رضى الله عنه ويفرغ الله تعالى فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا وقيل فيه خمسون موطنا على الكافر كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر وروى عن الكلبى انه قال يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك الملائكة والانس والجن وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه فى خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منه فى ساعة من النهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وفيه تقديم وتأخير كانه قال ليس له دافع من الله ذى المعارج فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح اليه (فان قيل) كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فى سورة السجدة فى يوم كان مقداره ألف سنة (أجيب) بانه يحتمل أن من أسفل العالم الى أعلى العرش خمسين ألف سنة ومن أعلى سماء الدنيا الى الارض ألف سنة لان عرض كل سماء خمسمائة سنة وما بين أسفل الى قرار الارض خمسمائة فقوله فى يوم من أيام الدنيا وهو مقدار ألف سنة لو صعدوا فيه الى سماء الدنيا ومقدار خمسين ألف سنة لو صعدوا الى أعلى العرش وقوله تعالى (فاصبر صبرا جميلا) متعلق كما قال الرازى بسأل سائل لان استعجالهم بالعذاب كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر والمعنى جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر على أذى قومك والصبر الجميل هو الذى لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله تعالى وقيل أن يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يدرى من هو وقال ابن زيد والكلبى رضى الله عنهم هذه الآية منسوخة بالامر بالقتال (انهم) أى الكفار (يرونه) أى ذلك اليوم الطويل أو عذابه (بعيدا) أى زمن وقوعه لانهم يرونه غير ممكن أو يفعلون أفعال من يستبعده (ونراه) أى لما لنا من العظمة التى قضت بوجوده وهو علينا هين (قريبا) سواء أريد بذلك قرب الزمان أو قرب المكان فهو هين على قدرتنا وهو آت لا محالة وكل آت قريب والقريب والبعيد عندنا على حد سواء وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بين بين والباقون بالفتح وقوله تعالى (يوم تكون السماء) متعلق بمحذوف أى يقع فيه من الاهوال (كالمهل) أى كدردى الزيت وعن ابن مسعود رضى الله عنه كالفضة البيضاء فى تلونها (وتكون الجبال) أى التى هى أشد الارض وأثقل ما فيها (كالعهن) أى كالصوف فى الخفة والطيران بالريح وقيل أول ما تتفرق الجبال تصير رملا ثم عهنا منفوشا ثم هباء منثورا منبثا (ولا يسئل) أى من شدة الاهوال (حميم حميما) أى قريب فى غاية القرب والصداقة قريبا مثله عن شئ من الاشياء لفرط الشواغل ولانه قد كشفت

(قوله وقد كانوا يدعون الى السجود) اى الصلاة وهم سالمون اى صحيحون (ان قلت) العبارة ليست نصا فى وجوب الصلاة إذ لا تكليف فى الآخرة

لهم انه لاتغنى نفس عن نفس شيأ وانه قد تقطعت الاسباب وتلاشت الانساب وعلم انه لاعز الا بالتقوى (يبصرونهم) أى يبصر الاحماء بعضهم بعضا فلا يخفى أحد على أحد وان بعد مكانه (يود المجرم) أى يتمنى الكافر أو هذا النوع سواء كان كافرا أم مسلما عاصيا علم أنه يعذب بعصيانه (لو) بمعنى أن (يفتدى) أى يفدى نفسه (من عذاب يومئذ) أى يوم إذ كانت هذه المخاوف وقرأ نافع والكسائى بفتح الميم والباقون بكسرها (ببنيه) أى بأقرب الناس اليه وأعلقهم بقلبه لشدة ما يرى * ولما ذكر ألصق الناس بالفؤاد وأعز من يلزمه نصره والذب عنه أتبعه ما يليه فى الرتبة والمودة بقوله تعالى (وصاحبته) أى زوجه التى يلزمه الذب عنها لانها عند العرب من أقبح العار ولكونه دائما معها * ولما ذكر الصاحبة لما لها من تمام الوصلة أتبعها الشقيق الذى هو عليه شفيق بقوله تعالى (وأخيه) أى الذى له به النصرة على من يريد قال الشاعر

أخاك أخاك ان من لا أخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح

* ولما كان من بقى من الاقارب بعد ذلك متقاربين فى الرتبة ذكر أقربهم بقوله تعالى (وفصيلته) أى عشيرته الذين هم أقرب من فصل عنه وقال ثعلب الفصيلة الآباء الادنون وقال أبو عبيدة رضى الله عنه الفخذ وقال مجاهد وابن زيد رضى الله عنهم عشيرته الاقربون (التى تؤويه) أى تضمه اليها عند الشدائد وتحميه لانه أقرب الناس اليها وأعزهم عليها * ولما خص عم بقوله تعالى (ومن فى الارض) أى من الثقلين وغيرهم سواء كان فيهم صديق لا صبر عنه ولا بد فى كل حال منه أم لا ثم أكد ذلك بقوله تعالى (جميعا) وقوله تعالى (ثم ينجيه) أى ذلك الافتداء عطف على يفتدى وقوله تعالى (كلا) رد وردع وزجر لما يوده وقال القرطبى وانها تكون بمعنى حقا وبمعنى لا وهى هنا تحتمل الامرين فاذا كانت بمعنى حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها اذ ليس من عذاب الله افتداء * ولما كان الاضمار قبل الذكر لتعظيم ذلك المضمر أشار الى أنه مستحضر فى الذهن لا يغيب قال تعالى (انها) أى النار وان لم يجر لها ذكر لدلالة لفظ عذاب عليها وقيل الضمير للقصة وقيل مبهم يفسره قوله تعالى (لظى) أى ذات اللهب الخالص المتناهى فى الحر اسم لجهنم تتلظى أى تتوقد وتتأكل بسبب بعضها بعضا ان لم تجد ما تأكله وتأكل كل ما وجدته كائنا ما كان وقوله تعالى (نزاعة للشوى) جمع شواة وهى جلدة الرأس أى شديدة النزع لجلود الرؤس وقال فى القاموس اليدان والرجلان والاطراف وقحف الرأس وما كان غير مقتل اه وقرأ حفص بالنصب على الاختصاص والحال المؤكدة والمستقلة على ان لظى متلظية والباقون بالرفع على أنها خبر ان (تدعو من أدبر وتولى) عن الايمان تقول الى يا مشرك الى يا منافق ونحو هذا ثم تلتقطهم التقاط الطير للحب * ولما كانت الدنيا والآخرة ضرتين فكان لا اقبال على احداهما الا على الاعراض عن الاخرى قال تعالى دالا على ادباره بقلبه (وجمع) أى كل ما كان منسوبا الى الدنيا (فأوعى) أى جعل ما جمعه فى وعاء وكنزه حرصا وطول أمل ولم يعط حق الله تعالى منه فكان همه الاعطاء لا اعطاء ما وجب من الحق اقبالا على الدنيا واعراضا عن الآخرة وقرأ لظى وللشوى وتولى فأوعى حمزة والكسائى بالامالة محضة وورش وأبو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح (ان الانسان) أى الجنس عبر به لما له من الانس بنفسه والرؤية لمحاسنها والنسيان لربه ولدينه (خلق هلوعا) أى جبل جبلة هو فيها بليغ الهلع وهو أفحش الجزع مع شدة الحرص

المراد الخروج الى الصلاة فى جماعة مشروط بالصحة

(سورة الحاقة)

(قوله بريح صرصر) انما لم يقل صرصرة كما قال عاتية مع ان الريح مؤنثة

وقلة الصبر والشح على المال والسرعة فيما لا ينبغي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه الحريص
على ما لا يحل له وروى عنه أن تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى (اذا مسه) اى ادنى مس (الشر)
اى هذا الجنس وهو ما نطاير شرره من الضرر (جزوعا) اى عظيم الجزع وهو ضد الصبر بحيث
يكاد صاحبه ينقد نصفين ويتفتت (واذا مسه) كذلك (الخير) أى هذا الجنس وهو ما يلائمه
فيجمعه من السعة فى المال وغيره من انواع الرزق (منوعا) اى مبالغا فى الامساك عما يلزمه
من الحقوق للانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليه وقوفا مع المحسوس لغلبة الجمود
والبلادة وهذا الوصف ضد الايمان لانه نصفان شكر وصبر (فان قيل) حاصل هذا الكلام انه
نفور عن المضار طالب للراحة وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه الله تعالى عليه (اجيب) بانه انما
ذمه عليه لقصور نظره على الامور العاجلة والواجب عليه أن يكون شاكرا راضيا فى كل حال
وقوله تعالى (الا المصلين) استثناء للموصوفين بالصفات الآتية من المطبوعين على الاحوال
المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق
والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار العاجل
على الآجل وتلك ناشئة عن الانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليها (الذين هم) اى
بكلية ضمائرهم وظواهرهم (على صلاتهم) اى التى هى معظم دينهم وهى النافعة لهم لا لغيرهم
عما افادته الاضافة والمراد الجنس الشامل لجميع الانواع الا أن معظم المقصود الفرض ولذلك
عبر بالاسم الدال على الثبات فى قوله تعالى (دائمون) اى لا فتور لهم عنها ولا انفكاك لهم منها
وقال عقبة بن عامر هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدائم الساكن ومنه نهى عن
البول فى الماء الدائم اى الساكن وقال ابن جريج والحسن هم الذين يكثرون فعل التطوع منها
(فان قيل) كيف قال تعالى على صلاتهم دائمون وقال تعالى فى موضع آخر على صلواتهم
يحافظون (اجيب) بان دوامهم عليها أن لا يتركوها فى وقت ومحافظتهم عليها ترجع الى الاهتمام
بحالها حتى تأتى على اكمل الوجوه من المحافظة على شرائطها والاتيان بها فى الجماعة وفى
المساجد الشريفة وفى تفريغ القلب عن الوسواس والرياء والسمعة وان لا يلتفت يمينا ولا شمالا
وان يكون حاضر القلب فاهما للاذكار مطلعا على حكم الصلاة متعلق القلب بدخول اوقات
الصلاة * ولما ذكر تعالى زكاة الروح اتبعه زكاة عديلها فقال تعالى مبينا للرسوخ
فى الوصف بالعطف بالواو (والذين فى اموالهم) التى من الله سبحانه بها عليهم (حق معلوم)
اى من الزكوات وجميع النفقات الواجبة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من
ادى زكاة ماله فلا جناح عليه ان لا يتصدق (للسائل) اى الذى يسأل (والمحروم) اى الذى
لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم فهو يتلظى بناره فى ليله ونهاره ولا مفزع له بعد ربه الا المالك
لعلانيته وسره الا ان افاضة مدامعه بذلة وانكسار وهذا من الله تعالى حث على تفقد
ارباب الضرورات ممن لا كسب له ومن افتقر بعد الغنى وقد كان للسلف الصالح فى هذا قصب
السبق حكى عن زين العابدين انه لما مات وجد فى ظهره آثار سواد كانها السيور فعجبوا منها
فقال بعضهم انه نسوة ارامل كان شخص يأتى اليهن ليلا بقرب الماء على ظهره وباجربة
الدقيق ففقدناه واحتجنا فعلموا انه هو وان تلك السيور من ذلك وحكى عن عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنهما انه صار رآه ماشيا فى زمن خلافته فى الليل فتبعه فجاء الى بيت

ن الصبر صبر وصف مختص
لريح فاشبه باب حائض
طامث وحامل بخلاف
اتية فان غير الريح من
لاسماء المؤنثة يوصف به
وله تجرى القوم فيها صرعى)

نسوة أرامل فقال أعندك من ماء والاملاء لكن فاعطته جرة فاخذها وذهب فلأها على كتفه وأتى بها اليهن والحكايات عنهم فى هذا كثيرة (والذين يصدقون) اى يوقعون التصديق لمن يخبرهم و يجددونه كل وقت (بيوم الدين) اى الجزاء الذى ما مثله يوم وهو يوم القيامة الذى يقع الحساب فيه على النقير والقطمير والتصديق به حق التصديق الاستعداد له بالاعمال الصالحة فالذين يعملون لذلك اليوم هم العمال وأما المصدقون بمجرد الاقوال فلهم الوبال وان أنفقوا أمثال الجبال (والذين هم) اى بجميع ضمائرهم وظواهرهم (من عذاب ربهم) اى المحسن اليهم لا من عذاب غيره فان المحسن أولى بان يخشى ولو من قطع احسانه (مشفقون) اى خائفون فى هذه الدار خوفا عظيما هو فى غاية الثبات من أن يعذبهم فى الآخرة أو فى الدنيا أو فيما فهم لذلك لا يفعلون الا ما يرضيه سبحانه (ان عذاب ربهم) اى الذى هم مغمورون باحسانه وهم عارفون بانه قادر على الانتقام ولو بقطع الاحسان (غير مأمون) اى لا ينبغى لاحد أن يأمنه بل يجوز أن يحل به وان بالغ فى الطاعة لان الملك مالك وهو تام الملك له أن يفعل ما يشاء ومن جوز وقوع العذاب أبعد عن موجباته غاية الابعاد ولم يزل مترجحا بين الخوف والرجاء (والذين هم) اى ببواطنهم الغالبة على ظواهرهم (لفروجهم) اى سواء أكانوا ذكورا أم اناثا (حافظون) اى حفظا ثابتا دائما عن كل ما نهى الله تعالى عنه (الا على أزواجهم) اى من الحرائر بعقد النكاح وقدمهن لشرفهن وشرف الولد بهن ثم أتبعه قوله تعالى (أو ما ملكت أيمانهم) اى من السرارى اللاتى هى محل الحرث والنسل واللاتى هن أقل عقلا من الرجال ولهذا عبر بما التى هى فى الاغلب لغير العقلاء وفى ذلك اشارة الى اتساع النطاق فى احتمالهن (فانهم) اى بسبب اقبالهم بالفروج عليهن وازالة الحجاب من أجل ذلك (غير ملومين) اى فى الاستمتاع بهن من لائم ما كما نبه عليه البناء للمفعول فهم يصبحونهن للتعفف وصون النفس وابتغاء الولد للتعاون على طاعة الله تعالى وا كتفى فى مدحهم بنفى اللوم لاقباله على تحصيل ماله من المرام (فمن ابتغى) اى طلب وعبر بصيغة الافتعال لان ذلك لا يقع الا عن اقبال عظيم من النفس واجتهاد فى الطلب وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح و بين اللفظين والباقون بالفتح (وراء ذلك) اى شيأ من هذا خارجا عن هذا الامر الذى أحله الله تعالى له والذى هو أعلى المراتب فى أمر النكاح وقضاء اللذة وأحسنها وأجلها (فاولئك) اى الذين هم فى الحضيض من الدناءة وغاية البعد عن مواطن الرحمة (هم) اى بضمائرهم وظواهرهم (العادون) اى المختصون بالخروج عن الحد المأذون فيه (والذين هم لاماناتهم) اى من كل ما ائتمنهم الله تعالى عليه من حقه وحق غيره وقرأ ابن كثير بغير ألف بعد النون على التوحيد والباقون بالالف على الجمع (وعهدهم) اى ما كان من الامانات بربط وتوثيق (راعون) اى حافظون لها معترفون بها على وجه نافع غير ضار (والذين هم) اى بغاية ما يكون من توجه القلوب (بشهاداتهم) التى شهدوا بها أو يستشهدون بها بطلب أو غيره وتقديم المعمول اشارة الى أنهم فى فرط قيامهم ومراعاتهم لها كأنهم لا شاغل لهم سواها (قائمون) اى يتحملونها ويؤدونها على غاية التمام والحسن أداء من هو متهيئ لها واقف فى انتظارها وقرأ حفص بالف بعد الدال على الجمع اعتبارا بتعدد الانواع والباقون بغير ألف

فيها اى فى تلك الليالى والايام متعلق بصرعى والرؤية علمية لا بصرية لانه صلى الله عليه وسلم ما أبصرهم صرعى فيها ولا يراهم فصار المعنى لا ترى

على التوحيد اذ المراد الجنس قال الواحدي والافراد أولى لانه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وان أضيف الى الجمع كصوت الحمير قال أكثر المفسرين يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب وبعيد يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بشهادتهم أن الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله (والذين هم على صلاتهم) اي من الفرض والنفل (يحافظون) اي يبالغون في حفظها ويجددونه حتى كانهم يبادرونها الحفظ ويسابقونها فيه فيحفظونها بحفظهم ويسابقون غيرهم في حفظها وتقدم ان المداومة غير المحافظة فدوامهم عليها محافظتهم على أوقاتها وشروطها وأركانها ومستحباتها في ظواهرها وبواطنها من الخشوع والمراقبة وغير ذلك من خلال الاحسان التي اذا فعلوها كانت ناهية لفاعلها لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فتحمل على جميع هذه الاوامر وتبعد عن اضدادها فالدوام يرجع الى نفس الصلاة والمحافظة الى أحوالها ذكره القرطبي * ولما ذكر تعالى خلالهم أتبعه ما أعطاهم فقال عز من قائل مستأنفا أو منتجا من غير فاء اشارة الى أن رحمته هي التي أوصلتهم الى ذلك من غير سبب منهم في الحقيقة (أولئك) اي الذين في غاية العلو لما لهم من الاوصاف العالية (في جنات) اي في الدنيا والآخرة أما في الآخرة فواضح وأما في الدنيا فلانهم لما جاهدوا أنفسهم باتعاب أنفسهم في هذه الاوصاف حتى تخلقوا بها أعطاهم عيا شرتهم لذاذات من أنس القرب وحلاوة المناجاة لا يساويها شئ أصلا والجنة محل اجتمع فيه جميع الراحات والمستلذات والسرور وانتفى عنه جميع المكروهات والشرور وضدها النار وزادهم على ذلك بقوله تعالى (مكرمون) معبرا باسم المفعول اشارة الى عموم الاكرام من الخالق والخلق الناطق وغيره لانه سبحانه قضى بان يعلي مقدارهم فيكرمهم بانواع الكرامات فيتلقاهم بالبشرى حين الموت وفي قبورهم وحين قيامهم من قبورهم الى دخولهم منازلهم قصورهم هذا حال المؤمنين وأما حال الكافرين فقال الله تعالى في حقهم (فمال الذين كفروا) ووقف أبو عمرو على الالف بعد الميم والكسائي يقف على الالف وعلى اللام ووقف الباقون على اللام وأما الابتداء فالجميع يبتدؤن أول الكلمة أي أي شئ من السعادات للذين ستروا ما في عقولهم عن الاقرار بمضمون هذا الكلام الذي هو أوضح من الشمس حال كونهم (قبلك) اي نحوك أيها الرسول الكريم وفيما أقبل عليك (مهطعين) اي مسرعين مع مد الاعناق وادامة النظر اليك في غاية التعجب ونهاية الدهشة من يسعى الى أمر لا حياة له بدونه (عن) اي متجاوزين اليك مكانا من جهة (اليمين) اي منك حيث يتيمنون به (وعن الشمال) اي منك وان كانوا يتشاءمون به وقوله تعالى (عزين) حال من الذين كفروا وقيل من الضمير في مهطعين فتكون حالا متداخلة اي جماعات حلقا حلقا وجماعات متفرقين فرقا شتى أنواعا لا يتهالكون ليأتوا جميعا بجمعهم وأصلها عزوة لان كل فرقة تعتزي الى غير ما تعتزي اليه الاخرى فهم متفرقون قال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا * كتائب جندل شتى عزينا

أي جماعات في تفرقة وقيل كان المستهزؤن خمسة أرهط روي ان المشركين كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزؤن به ويكذبونه ويقولون ان

فيه ايهام صريح فيها بأن الامة كانك تشاهدهم حتى (قوله فاذا نفخ في الصور الى قوله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) ان قلت كيف قال ذلك مع ان المراد

دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فرد الله تعالى عليهم بقوله عز من قائل (أيطمع) اى هؤلاء البعداء البغضاء وعبر بالطمع اشارة الى أنهم بلغوا الغاية فى السفه لكونهم طلبوا أعز الاشياء من غير سبب تعاطوه ولما كان اتيانهم على هيئة التفرق من غير انتظار جماعة لجماعة قال تعالى (كل امرئ منهم) اى على انفراده (أن يدخل) اى وهو كافر من غير ايمان يزكيه كما يدخل المسلم فيستوى المسىء والمحسن (جنة نعيم) اى لا شئ فيها غير النعيم وقوله تعالى (كلا) ردع لهم عن طمعهم ودخولهم الجنة اى لا يكون ما طمعوا فيه اصلا لان ذلك تمن فارغ لا سبب له ودل عليه التعبير بالطمع دون الرجاء ثم علل ذلك بقوله تعالى (انا خلقناهم) اى بالقدرة التى لا يقدر أحد أن يقاومها (مما يعلمون) اى انهم يعلمون أنهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق سائر جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما تستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل كانوا يستهزؤن بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم فقال تعالى انا خلقناهم مما يعلمون اى من القذر وهو منصبهم الذى لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفى اشعارا بانه منصب يستحيا من ذكره فلا يليق بهم هذا التكبر ويدعون التقدم ويقولون ندخل الجنة قبلهم قال قتادة فى هذه الآية انما خلقت يا ابن آدم من قذر فاتق الله وروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبى صفرة يتبختر فى مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التى يبغضها الله تعالى فقال له أتعرفنى قال نعم أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته * (فائدة) * قال ابن عربى فى الفتوحات خلق الله الناس على أربعة أقسام قسم لا من ذكر ولا من أنثى وهو آدم عليه السلام وقسم من ذكر فقط وهو حواء وقسم من أنثى فقط وهو عيسى عليه السلام وقسم من ذكر وأنثى وهو بقية الناس (فلا) زيدت فيه لا (أقسم برب) اى سيد ومبدع ومدبر (المشارق) اى التى تشرق الشمس والقمر والكواكب السيارة كل يوم فى موضع منها على المنهاج الذى دبره والطريق والقانون الذى أتقنه وهى ستة أشهر صاعدة وستة أشهر هابطة (والمغارب) كذلك وهى التى ينشأ عنها الليل والنهار والفصول الاربعة فكانت بها اصلاح العالم بمعرفة الحساب واصلاح المآكل والمشارب وغير ذلك من المآرب فمن جعل كلا من الملوين بعد ان لم يكن والنبات من النجم والشجر كذلك عادة مستمرة دالة على انه تعالى قادر على الايجاد والاعدام لكل ما يريده كما يريد [illegible] كما قال تعالى (انا) اى على ما لنا من العظمة (لقادرون على أن نبدل) اى تبديلا عظيما [illegible] عوضا عنهم (خيرا منهم) اى بأن نخلق أو نحول الوصف [illegible] وأكثر أموالا وأولادا وأعلى قدرا وأكثر حشما وجاها [illegible] سماع قولك وقبوله [illegible] والتصفيق والصفير [illegible] بالمهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان بالسعة فى الرزق بأخذ أموال الجبارين من كسرى وقيصر والتمكين فى الارض حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما يوجب لهم ملك الآخرة ففرجوا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا فى مرضاته الانفس والاموال (وما نحن بمسبوقين) اى

بهذه النفخة النفخة الاولى وهى نفخة الصعق والعرض انما يكون بعد النفخة الثانية وبين النفختين زمن طويل (قال) المراد باليوم الوقت الواسع

لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر نريده بوجه من الوجوه (فذرهم) أي اتركهم ولو على أسوأ أحوالهم (يخوضوا) أي في باطلهم من مقالهم وفعالهم (ويلعبوا) أي يفعلوا في دنياهم فعل اللاعب الذي لا فائدة لفعله إلا ضياع الزمان واشتغل أنت بما أمرت به (حتى يلاقوا) أي يلقوا (يومهم الذي يوعدون) وهو يوم كشف الغطاء الذي أول مجيئه عند الغرغرة وتناهيه النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين في داره ومحل استقراره وهذه الآية منسوخة بآية السيف كما قاله البقاعي وابن عادل وقوله تعالى (يوم يخرجون) يجوز أن يكون بدلا من يومهم أو منصوبا بإضمار أعني (من الأجداث) أي القبور التي صاروا بتغييبهم فيها تحت وقع الحوافر والخف فهم بحيث لا يدفعون شيئا يفعل بهم بل هم كالدم في فم ماضغ فإن الجدث القبر والجدثة صوت الحافر والخف ومضغ اللحم وقوله تعالى (سراعا) أي نحو صوت الداعي ذاهبين إلى المحشر حال من فاعل يخرجون جمع سريع كظراف في ظريف وقرأ قوله تعالى (كأنهم إلى نصب) ابن عامر وحفص بضم النون والصاد والباقون بفتح النون وإسكان الصاد على أنه مصدر بمعنى المفعول كما تقول هذا نصب عيني وضرب الأمير والنصب كل ما نصب فعبد من دون الله (يوفضون) أي يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إلى نصب أي إلى غاية وهي التي ينتصب إليها بصرك وقال الكلبي هو شيء منصوب علم أو راية وقال الحسن كانوا يبتدرون إذا طلعت الشمس إلى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى لا يلوي أولهم على آخرهم وقوله تعالى (خاشعة) حال إما من فاعل يوفضون وهو أقرب أو من فاعل يخرجون وفيه بعد منه وفيه تعدد الحال لذي حال واحدة وفيه الخلاف المشهور وقوله تعالى (أبصارهم) فاعل والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله تعالى (ترهقهم) أي تغشاهم فتعمهم وتحمل عليهم فتكلفهم كل عسر وضيق على وجه الإسراع عليهم (ذلة) أي ضد ما كانوا عليه في الدنيا لأن من تعزز في الدنيا على الحق ذل في الآخرة ومن ذل للحق في الدنيا عز في الآخرة (ذلك) أي الأمر الذي هو في غاية ما يكون من علو الرتبة في العظمة (اليوم الذي كانوا يوعدون) أي يوعدون في الدنيا أن لهم فيه العذاب وأخرج الخبر بلفظ الماضي لأن ما وعد الله تعالى به فهو حق كائن لا محالة وهذا هو العذاب الذي سألوا عنه أول السورة فقد رجع آخرها على أولها وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون حديث موضوع

سورة نوح عليه السلام مكية

وهي سبع وعشرون ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

(بسم الله) ذي الجلال والإكرام (الرحمن) الذي عم بإنعامه من ظاهر الإنعام (الرحيم) الذي حفظ أولياءه من الابتداء إلى الختام ولما ختمت سأل بالإنذار للكفار وكانوا عباد أوثان بعذاب الدنيا والآخرة أتبعها أعظم عذاب كان في الدنيا على تكذيب الرسل بقصة نوح

الذي يقع فيه النفختان وما بعدهما (قوله إني ظننت أني ملاق حسابيه) (إن قلت) كيف عبر بأنه يظن ذلك مع أنه يعلمه (قلت) الظن يطلق بمعنى العلم كما في قوله تعالى الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون (قوله

عليه السلام فقال تعالى (إنا) أي بما لنا من العظمة البالغة (أرسلنا نوحاً إلى قومه) أي الذين كانوا في غاية القوة على القيام بما يحاولونه وهم بصدد أن يجيبوه ويكرموه لما بينهم من القرب بالنسب واللسان وكانوا جميع أهل الأرض من الآدميين روى قتادة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول نبي أرسل نوح عليه السلام وأرسل إلى جميع أهل الأرض ولذلك لما كفروا أغرق الله تعالى أهل الأرض جميعاً وهو نوح ابن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس بن يرد بن مهلاييل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام قال وهب وكل مؤمنون أرسل إلى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو ابن أربعين سنة وقال عبد الله بن شداد بعث وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة ويجوز في قوله تعالى (أن أنذر) أي حذر تحذيراً عظيماً (قومك) أي الاستقرار على الكفر أن تكون أن مفسرة فلا يكون لها موضع من الاعراب لأن في الارسال معنى الأمر فلا حاجة إلى اضمار ويجوز أن تكون المصدرية أي أرسلناه بالانذار وقال الزمخشري والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر قومك أي أرسلناه بالأمر بالانذار اهـ وهذا الذي قدره جواب عن سؤال وهو أن قولهم إن أن المصدرية يجوز أن توصل بالأمر مشكل لأنه ينسبك منها ومما بعدها مصدر وحينئذ تفوت الدلالة على الأمر ألا ترى أنك إذا قدرت كتبت اليه بأن قم كتبت اليه القيام تفوت الدلالة على الأمر حال التصريح بالمصدر فينبغي أن يقدر كما قاله الزمخشري أي كتبت اليه بأن قلت له قم أي كتبت اليه بالأمر بالقيام وقال القرطبي أي بأن أنذر قومك (من قبل أن يأتيهم) أي على ما هم عليه من الأعمال الخبيثة (عذاب أليم) أي عذاب الآخرة أو الطوفان (قال) أي نوح عليه السلام (يا قوم) فاستعطفهم بتذكيرهم أنه أحدهم يهمه ما يهمهم (إني لكم نذير) أي مبالغ في انذاركم (مبين) أي أمري بين في نفسه بحيث إنه صار في شدة وضوحه كأنه مظهر لما يتضمنه مناد بذلك القريب والبعيد والفطن والغبي ويجوز في قوله تعالى (أن اعبدوا الله) أي الملك الأعظم الذي له جميع الكمال أن تكون أن تفسيرية لنذير وأن تكون مصدرية والكلام فيها كما تقدم في أن أنذر وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة في الوصل بكسر النون والباقون بالضم والمعنى وحدوا الله (واتقوه) أي اجعلوا بينكم وبين غضبه وقاية تمنعكم من عذابه بالانتهاء عن كل ما يكرهه فلا تتحركوا حركة ولا تسكنوا سكنة إلا في طاعته وهذا هو العمل الواقي من كل سوء (وأطيعون) أي لأعرفكم ما تقصر عنه عقولكم من صفات معبودكم ودينكم ودنياكم وما يصلحكم وأدلكم على اجتلاب آداب تهذبكم واجتناب شبه تردكم في مهاوي الهلاك فتبعدكم عن ربكم وقوله (يغفر لكم) جواب الأمر وفي من في قوله (من ذنوبكم) أوجه أحدها أنها تبعيضية الثاني أنها لابتداء الغاية الثالث أنها مزيدة قال ابن عطية وهو مذهب كوفي ورد بأن مذهبهم ليس ذلك لأنهم يشترطون تنكير مجرورها ولا يشترطون غيره والأخفش لا يشترط شيئاً فالقول بزيادتها ماش على قوله لا على قولهم قاله القرطبي وقيل لا يصح كونها زائدة لأن من لا تزاد في الموجب وإنما هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين (ويؤخركم) أي بلا عذاب تأخيراً ينفعكم (إلى أجل مسمى) أي قد سماه

(قلت) ليس له اليوم ههنا حميم (ولا طعام إلا من غسلين) ما التوفيق بينه (إن قلت) وبين قوله في محل آخر ليس لهم طعام إلا من ضريع وفي آخر إن شجرة الزقوم

الله تعالى وعلمه قبل ايجادكم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه فيكون موتكم على العبادة أو بأشد كم جميعا فالامور كلها قد قدرت وفرغ من ضبطها الاحاطة العلم والقدرة فلا يزاد فيها ولا ينقص ليعلم أن الارسال انما هو مظهر لما قدره في الازل ولا يظن أنه قالب للاعيان بتغيير ماسبق به القضاء من الطاعة والعصيان وقرأ ويؤخركم ولا يؤخر ورش بابدال الهمزة واوا وقفا ووصلا وحمزة في الوقف دون الوصل والباقون بالهمز (ان أجل الله) اى الذى له الكمال كله فلا راد لامره (اذا جاء لايؤخر) اى اذا جاء الموت لايؤخر بعذاب كان أو بغير عذاب واضاف الاجل اليه سبحانه لانه الذى أثبته وقد يضاف الى القول كقوله تعالى اذا جاء أجلهم لانه مضروب لهم (لو كنتم تعلمون) اى لوكنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك ولكنهم لانهما كهم في حب الدنيا كانهم شاكون في الموت ولما كان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وكان قد طال نصحه لهم ولم يزدادوا الا طغيانا وكفرا (قال) مناديا لمن أرسله لانه تحقق أن لا قريب منه غيره (رب) اى يا سيدى وخالق (انى دعوت) اى أوقعت الدعاء الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة (قومى) اى الذين هم جديرون باجابتى لمعرفتهم بي وقربهم منى وفيهم قوة المحاولة لما يريدون (ليلا ونهارا) اى دائما متصلا لا أفتر عن ذلك وقيل معناه سرا وجهرا (فلم يزدهم دعائى) اى شيأ من أحوالهم التى كانوا عليها (الا فرارا) اى بعدا واعراضا عن الايمان كانهم حمر مستنفرة واستثناء مفرغ وهو مفعول ثان وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بسكون الياء والباقون بفتحها وهم على مراتبهم في المد (وانى كلما) اى على تكرار الاوقات وتعاقب الساعات (دعوتهم) اى الى الاقبال اليك بالايمان بك والاخلاص لك (لتغفر لهم) اى ليؤمنوا فتمحو ما فرطوا فيه في حقك فافرطوا الاجلة في التجاوز في الحد محوا بالغا فلا يبقى لشئ من ذلك عين ولا أثر حتى لاتعاقبهم عليه ولا تعاتبهم (جعلوا أصابعهم) كراهة منهم واحتقارا للداعى (في آذانهم) حقيقة لئلا يسمعوا الدعاء اشارة الى أنا لا نريد أن نسمع ذلك منك فان أبيت الا الدعاء فانا لا نسمع لسد أسماعنا ودل على الافراط في كراهة الدعاء بما ترجم عنه قوله (واستغشوا ثيابهم) اى أوجدوا التغطية لرؤسهم بثيابهم لئلا يبصروه كراهة للنظر الى وجه من ينصحهم في دين الله تعالى وهكذا حال النصحاء مع من ينصحونه دائما (وأصروا) اى أكبوا على الكفر وعلى المعاصى من أصر الحمار على العانة وهى القطيع من حمر الوحش اذا صر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها (واستكبروا) اى أوجدوا الكبر طالبين له راغبين فيه وأكد ذلك بقوله (استكبارا) تنبيها على أن فعلهم مخالف للحكمة وقد أفادت هذه الآيات بالتصريح في غير موضع انهم عصوا نوحا عليه السلام وخالفوه مخالفة لا أقبح منها ظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار وباطنا بالاصرار والاستكبار (ثم انى دعوتهم جهارا) اى معلنا بالدعاء قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بأعلى صوتى (ثم انى أعلنت لهم) اى كررت لهم الدعاء معلنا وقرأ نافع وابن كثير بفتح الياء والباقون بسكونها (وأسررت لهم اسرارا) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد الرجل بعد الرجل أكلمه سرا بينى وبينه أدعوه الى عبادتك وتوحيدك (فقلت) اى في دعائى لهم (استغفروا ربكم) اى اطلبوا من المحسن اليكم المبدع لكم المدبر لاموركم أن يمحو ذنوبكم أعيانها وآثارها بأن تؤمنوا بالله وتتقوه (انه

كان)

طعام الاثيم وفى آخر أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار (فقلت) لا منافاة اذ يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك أو ان العذاب أنواع والمعذبين طبقات

كان) اى أزلاوأبداوداثماسرمدا (غفارا) اى متصفابصفة الستر على من رجع اليه (يرسل السماء) اى المظلة لان المطرمنها او يجوز أن يراد السحاب والمطر (عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين) اى و يكثر أموالكم وأولادكم وذلك أن قوم نوح عليه السلام لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله تعالى عنهم المطر وعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم نوح استغفروا ربكم من الشرك اى استدعوا المغفرة بالتوحيد يرسل السماء عليكم مدرارا روى الشعبي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار فلما نزل قيل يا أمير المؤمنين مارأيناك استسقيت فقال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التى بها يستنزل القطر ثم قرأ هذه الآية شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التى لا تخطئ وعن الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية وقال القشيرى من وقعت له حاجة الى الله تعالى فان يصل الى مراده الا بتقديم الاستغفار وقال ان عمل قوم نوح كان بضد ذلك كلما ازداد نوح عليه السلام فى الضمان ووجوه الخير والاحسان ازدادوا فى الكفر والنسيان (ويجعل لكم) اى فى الدارين (جنات) اى بساتين عظيمة وأعاد العامل للتأكيد فقال (ويجعل لكم أنهارا) اى يخصكم بذلك ومن لم يفعل ذلك فان من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وقال تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال تعالى وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا (ما لكم لا ترجون لله) اى الملك الذى له الامر كله (وقارا) اى ما لكم لا تأملون له توقيرا أى تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة الوقار فان بالمعرفة تزكو الاعمال وتصلح الاقوال انما سبق أبو بكر رضى الله عنه بشئ وقر فى صدره وانما يصح تعظيمه سبحانه بان لا ترى لك عليه حقا ولا تنازع له اختيارا وتعظم أمره ونهيه بعدم المعارضة (وقد) اى والحال أنه قد أحسن اليكم مرة بعد مرة بما لا يقدر عليه غيره فدل ذلك على تمام قدرته ثم لم يقطع احسانه عنكم فاستحق أن تؤمنوا به لانه هل جزاء الاحسان الا الاحسان ورجاء لدوام احسانه وخوفا من قطعه لانه (خلقكم) أى أوجدكم من العدم مقدرين (أطوارا) اى تارات عناصر أولا ثم مركبات تغذى الحيوانات ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما وأعصابا ودماء ثم خلقا آخر ناطقا ذكرانا واناثا الى غير ذلك من الامور الدالة على قدرته على كل مقدور ومن قدر على هذا الابتداء كان على الاعادة أعظم قدرة (ألم تروا) اى أيها القوم (كيف خلق الله) اى الذى له العلم التام والقدرة البالغة والعظمة الكاملة (سبع سموات) هن فى نهاية العلو والسعة والاحكام والزينة (طباقا) أى متطابقة بعضها فوق بعض وكل واحدة فى التى تليها محيطة بها مالها من فروج ولا يكون تمام المطابقة كذلك الا بالاحاطة من كل جانب (وجعل القمر) اى الذى ترونه (فيهن نورا) اى لامعا منتشرا كاشفا للمرئيات أحد وجهيه يضئ

فهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع ومنهم أكلة الزقوم ومنهم جزء النار لكل باب منهم جزء مقسوم (قوله وما هو بقول شاعر) الآيتين ان قلت

لاهل الارض والثانى لاهل السموات قال الحسن يعنى فى السماء الدنيا كما تقول أتيت بنى فلان وانما أتيت بعضهم وفلان متوار فى دور بنى فلان وهو فى دار واحدة وبدأ به لقربه وسرعة حركته وقطعه جميع البروج فى كل شهر وغيبوبته فى بعض الليالى ثم ظهوره وذلك أعجب فى القدرة ولما كان نوره مستفادا من نور الشمس قال تعالى (وجعل) اى فيها (الشمس) اى فى السماء الرابعة (سراجا) اى نورا عظيما كاشفا لظلمة الليل عن وجه الارض وهى فى السماء الرابعة كاصر وقيل فى الخامسة وقيل فى الشتاء فى الرابعة وفى الصيف فى السابعة روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وابن عمر أن الشمس والقمر وجوههما الى السماء وأقفيتهما الى الارض وجعلهما سبحانه آية على رؤية عباده المؤمنين له فى الجنة (والله) اى الملك الاعظم الذى له الامر كله (أنبتكم) اى بخلق أبيكم آدم عليه السلام (من الارض) اى كما ينبت الزرع وعبر بذلك تذكيرا بأنما كان من خلق أبينا آدم عليه السلام لانه أدل على الحدوث والتكون من الارض (نباتا) اى أنشأ كم منها انشاء فاستعير الانبات لانه أدل على الحدوث والتكون وأصله أنبتكم فنبتم [illegible] نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية (ثم يعيدكم) على التدريج (فيها) اى الارض بالموت [illegible] الاقبار وان طالت الآجال (ويخرجكم) اى منها بالاعادة وأكد بالمصدر الجارى على الفعل اشارة الى شدة العناية به وتحتم وقوعه لانكارهم له فقال تعالى (اخراجا) اى غريبا ليس هو كما تعلمون بل تنكرونه فى غاية ما يكون من الحياة الباقية تلابس أرواحكم بها أجسادكم ملابسة لا انفكاك بعدها لاحدهما عن الآخر (والله) اى المتصف بجميع الجلال والاكرام [illegible] (لكم) اى لنفعكم [illegible] باقدار كم (الارض بساطا) اى سهل عليكم التصرف [illegible] التقلب عليها [illegible] التصرف فى البساط ثم علل ذلك بقوله تعالى (لتسلكوا) أى متخذين [illegible] (سبلا) اى طرقا واضحة سالكة كثيرة (فجاجا) اى [illegible] [illegible] الانتفاع بجميع البقاع فالذى قدر [illegible] على الاسر [illegible] قادر على اخراجكم من أجداثكم [illegible] ولما أكثروا مع نوح عليه السلام الجدال ونسبوه الى الضلال [illegible] الافعال (قال نوح) اى بعد دعوتهم [illegible] (رب) اى أيها المحسن الى المدبر لى المتولى لجميع أمرى (انهم) اى قومى الذين دعوتهم اليك [illegible] (عصونى) اى فيما أمرتهم به ودعوتهم اليه فأبوا ان [illegible] واستمروا على عنادهم وخالفونى أقبح مخالفة (واتبعوا) اى بغاية جهدهم [illegible] (من) اى رؤساءهم البطرين بأموالهم المغترين بأولادهم [illegible] (لم يزده) اى شيئا من الاشياء (ماله) اى كثرته (وولده) كذلك (الا خسارا) اى [illegible] فى الدنيا والآخرة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح الواو واللام [illegible] لم [illegible] كان الاثم (ومكروا) اى هؤلاء الرؤساء فى [illegible] والناس عن [illegible] [illegible] فى المبالغة بقوله (كبارا) فانه أبلغ من كبار المخفف [illegible] [illegible] عظيما وقال الضحاك

لم يختم الاولى بقلة الايمان والثانية بقلة التذكر (قلت) لان من نسب النبى صلى الله عليه وسلم الى انه شاعر وأن ما أتى به شعر فهو كافر وان من نسبه

افتروا على الله تعالى وكذبوا رسله وقيل منع الرؤساء أتباعهم عن الايمان بنوح عليه السلام فلم يدعوا أحدا منهم بذلك المكر يتبعه وحرشوهم على قتله (وقالوا) أى لهم (لا تذرن) اى لا تتركن (آلهتكم) اى عبادتها على حالة من الحالات لا قبيحة ولا حسنة وأضافوها اليهم تحببا فيها ثم خصوا بالتسمية زيادة فى الحث وتصريحا بالمقصود فقالوا مكررين النهى والعامل تأكيدا (ولا تذرن ودا) قرأ نافع بضم الواو والباقون بفتحها وأنشدوا بالوجهين قول الشاعر

حياك ود فانا لا يحل لنا ٭ لهو النساء وان الدين قد عزما

وقال القرطبى قال الليث ودا بفتح الواو صنم كان لقوم نوح وودا بالضم صنم لقريش وبه سمى عمرو بن ود وفى الصحاح والود بالفتح الوتد فى لغة أهل نجد كأنهم سكنوا التاء وأدغموها فى الدال اه ثم أعادوا النفى تأكيدا فقالوا (ولا سواعا) وأكدوا هذا التأكيد وأبلغوا فيه فقالوا (ولا يغوث) ولما بلغ التأكيد نهايته وعلم ان القصد النهى عن كل فرد فردا لا عن المجموع تركوا التأكيد فى قولهم (ويعوق ونسرا) للعلم بارادته واختلف المفسرون فى هذه الاسماء فقال ابن عباس وغيره هى أصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدها غيرهم وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فلذلك خصوها بالذكر بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقال عروة بن الزبير اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكان ود أكبرهم وأبرهم به قال محمد ابن كعب كان لآدم عليه السلام خمسة بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره فى المسجد من صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم وتناقصت الاشياء كما تتناقص اليوم الى أن تركوا عبادة الله تعالى بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيئا قالوا وما نعبد قال آلهتكم وآلهة آبائكم ألا ترونها فى مصلاكم فعبدوها من دون الله تعالى حتى بعث الله نوحا عليه السلام فقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية وقال محمد بن كعب أيضا ومحمد بن قيس بل كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح عليهما السلام وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس أن يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا بالنظر اليها فصوروهم فلما ماتوا جاء آخرون فقالوا ليت شعرى ما هذه الصور التى كان يعبدها آباؤنا فجاءهم الشيطان فقال كان آباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها فابتدئ عبادة الاوثان من ذلك الوقت وبهذا المعنى فسر ما جاء فى الصحيحين من حديث عائشة ان أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بأرض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولئك كانوا اذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة وروى عن ابن عباس أن نوحا عليه السلام كان يحرس جسد آدم عليه السلام على جبل الهند فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان ان هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم وانما هو جسد وأنا أصور لكم مثله تطوفون به فصور لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على عبادتها فلما كان أيام الطوفان دفنها

الى الكهانة فانه انسب به الجاهلية تذكره فى الفاظ ٣ القرآن اذ كلام الكهنة نثر لا شعر فناسب ختمه بقوله تذكرون وختم الاول بقوله الايمان

٣ (قوله بالهامش اذ كلام الكهنة) الخ كذا بالاصل وفى الكرمانى وخص ذكر الكهانة بقوله ما تذكرون لان من ذهب الى أن القرآن كهانة وان محمدا كاهن فهو ذاهل عن كلام الكهان فانه اسجاع لا معانى تحتها واوضاع تنبو الطباع عنها ولا يكون فى كلامهم ذكر الله تعالى اه مصححه

الطين والتراب والماء فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب وكان للعرب أصنام أخر فاللات كانت لقديد وإساف ونائلة وهبل كانت لأهل مكة وكان إساف حيال الحجر الأسود ونائلة حيال الركن اليماني وكان هبل في جوف الكعبة وقال الماوردي أما ود فهو أول صنم معبود سمي ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم وقال الرازي وسواع لهمدان وأما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجرف من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان وقال أبو عثمان النهدي رأيت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل أجرد ويسيرون معه لا يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك فإذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل وأما يعوق فكان لهمدان وقيل لمراد وأما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير قال البقاعي ولا يعارض هذا أنهم صور لناس صالحين لأن تصويرهم لهم يمكن أن يكون منتزعا من معانيهم فكان ود لكامل في الرجولية وكان سواع امرأة كاملة في العبادة وكان يغوث شجاعا وكان يعوق سابقا قويا وكان نسر عظيما طويل العمر اهـ ولما ذكر مكرهم [illegible] من قولهم عطف عليه ما توقع السامع من أمرهم فقال تعالى (وقد أضلوا) أي الرؤساء أو الأصنام وجمعهم جمع العقلاء معاملة لهم معاملة العقلاء كقوله رب إنهن أضللن (كثيرا) من عبادك الذين خلقتهم على الفطرة السليمة من أهل زمانهم ومن أتى بعدهم فإنهم أول من سن هذه السنة السيئة فعليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ثم قال نوح عليه السلام (ولا تزد الظالمين) أي الراسخين في الظلم [illegible] (إلا ضلالا) أي طبعا على قلوبهم حتى يعموا عن الحق عطف على قد أضلوا [illegible] لا يؤمنون [illegible] من قومك إلا من قد آمن [illegible] (مما خطيئاتهم) [illegible] [illegible] ساكنة [illegible] همزة مفتوحة بعدها ألف [illegible] مكسورة [illegible] (أغرقوا) أي بالطوفان [illegible] الكلام [illegible] (فأدخلوا) [illegible] البرزخ [illegible] (نارا) أي [illegible] يكون من عذابها في البرزخ قال [illegible] وقال الضحاك في حالة واحدة كانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب [illegible] (فلم يجدوا لهم) [illegible] واحد [illegible] (من دون الله) أي الملك الأعظم الذي [illegible] (أنصارا) [illegible] سبحانه من إغراقهم [illegible]

(سورة المعارج)

(قوله إن الإنسان خلق هلوعا) فسره هلوعا بقوله إذا مسه الشر الآية (إن قلت) الإنسان في حال خلقه لم يكن موصوفا بذلك (قلت)

نبيه عليه السلام ومن آمن معه على ضعفهم وقلتهم لم يفقد منهم أحد لكونهم أولياءه كأنه لم يسلم ممن اراد اغراقهم أحد على كثرتهم وقوتهم قال البقاعى فمن قال من عوج ما تقوله القصاص فهو ضلال أشد ضلال قال وقائل ذلك هو ابن عربى صاحب الفصوص الذى لم يرد بتصنيفه الاهدم الشريعة وزاد فى الحط عليه وعلى ابن الفارض وعلى الحلاج وعلى من شابههم وأمر هؤلاء الى الله تعالى فانه العالم بحقائق الامور ومخفيات الصدور (وقال نوح) وأسقط الاداة كما هو عادة اهل الحضرة فقال (رب لا تذر) أى لا تترك (على الارض) أى كلها (من الكافرين) أى الراسخين فى الكفر (ديارا) أى أحدا يدور فيها وهو من ألفاظ العموم التى تستعمل فى النفى فيعال من الدور أو الدار والاصل ديوار فأعل بالادغام وقيل دوارا قال قتادة دعا عليهم بعد ان أوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فاجاب الله تعالى دعوته وأغرق أمته وهذا كقول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب دعائه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح عليه السلام فقال احذر هذا فانه يضلك فقال يا أبت أنزلنى فانزله فرماه فشجه فحينئذ غضب ودعا عليهم (فان قيل) ما فعل صبيانهم حين أغرقوا (أجيب) بانهم أغرقوا معهم لا على وجه العقاب بل لكن كما يموتون بالانواع من أسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة فى عذاب الآباء والامهات اذا أبصروا أطفالهم يغرقون ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله تعالى براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقال محمد بن كعب ومقاتل انما قال هذا حين أخرج الله تعالى كل مؤمن من اصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام امهاتهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة فاخبر الله تعالى نوحا عليه السلام انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا كما قال تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبى وقت العذاب لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال وقال ابن عرفة دعا نوح عليه السلام على الكافرين اجمعين ودعا النبى صلى الله عليه وسلم على من تحزب على المؤمنين وكفى بهذا اصلا فى الدعاء على الكفار [illegible] أما كافرو زماننا [illegible]

[illegible] واصحابه [illegible]

الا [illegible]

اى تتركهم [illegible]

عبادك) أى الذين آمنوا بك [illegible]

فاجرا (الا فاجرا) اى مائلا عن الحق [illegible]

[illegible] من آيات [illegible]

[illegible] بانه [illegible]

[illegible] ويقول هذا فانه كذاب [illegible]

هلوعا حال مقدرة اى مقدرا فى خلقه الهلع كما فى قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام محلقين رؤسكم اى ادخلان المسجد الحرام مقدرين حلق رؤسكم اه قوله والذين

على ذلك وقد أخبر الله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لم يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه * ولما دعا على أعداء الله تعالى دعا لاوليائه وبدأ بنفسه فقال مسقط الاداة على عادة أهل الخصوص (رب) أى أيها المحسن الى باتباع من اتبعنى وتجنب من تجنبنى (اغفر لى) اى فانه لا يسعنى وان كنت معصوما الا حلمك وعفوك ومغفرتك (ولوالدى) وكانا مؤمنين يريد أبويه اسم أبيه ملك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش وعن ابن عباس لم يكفر لنوح عليه السلام أب فيما بينه وبين آدم عليه السلام وقيل هما آدم وحواء وأعاد الجار اظهارا للاهتمام فقال (ولمن دخل بيتى) أى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى (مؤمنا) أى مصدقا بالله تعالى فمؤمنا حال وعن ابن عباس اى دخل فى دينى (فان قيل) على هذا يصير قوله مؤمنا تكرارا (اجيب) بان من دخل فى دينه ظاهرا قد يكون مؤمنا وقد لا يكون فالمعنى ولمن دخل دخولا مع تصديق القلب (وللمؤمنين والمؤمنات) خص نفسه أولا بالدعاء ثم من يتصل به لانهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة قاله الضحاك وقال الكلبى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والاول أولى وأظهر ثم ختم الكلام مرة أخرى بالدعاء على الكافرين فقال (ولا تزد الظالمين) اى العريقين فى الظلم فى حال من الاحوال (الا تبارا) اى هلاكا مدمرا والمراد بالظالمين الكافرون فهى عامة فى كل كافر ومشرك وقيل أراد مشركى قومه وتبارا مفعول ثان والاستثناء مفرغ وقيل الهلاك الخسران وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام حديث موضوع

سورة الجن وتسمى سورة قل أوحى مكية

وهى ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

(بسم الله) المحيط بالكمال (الرحمن) الذى عم برحمته الناس بالارسال (الرحيم) الذى خص من بين أهل الدعوة من شاء بمحاسن الاعمال * ولما كان نوح عليه السلام أول رسول أرسله الله تعالى الى المخالفين من أهل الارض وكان نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فهو آخر رسول بعثه الله الى أهل الارض وغيرهم ناسب ذكره بعد نوح فقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) اى يا أشرف الرسل للناس (أوحى لى) وقال ابن عباس قل يا محمد لامتك أوحى الى على لسان جبريل عليه السلام (أنه استمع نفر من الجن) والنفر الجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة قال البغوى وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل كانوا سبعة وفى هذه العبارة دليل على أنه صلى الله عليه وسلم ما رآهم ولا قرأ عليهم وانما اتفق حضورهم عند قراءته ففى صحيح مسلم عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب فقالوا ما ذاك الا من شئ حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا

يضربون

(دائمون)
هم على صلاتهم دائمون
خصه هنا بقوله دائمون
وبعد بقوله يحافظون لان
المراد بدوامهم عليها ان
لا يتركوها فى وقت من
من أوقاتها وبمحافظتهم عليها

يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو وأصحابه بنخلة قاصدين سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء وهل هذا الاستماع هو المذكور في الاحقاف أو غيره قال أبو حيان المشهور أنه هو وقيل غيره والجن الذين أتوه جن نصيبين والذين أتوه بنخلة جن نينوى والسورة التي استمعوها قال عكرمة اقرأ وقيل الرحمن ولم يذكر هنا ولا في الاحقاف انه رآهم وعن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أتلو القرآن على الجن فمن يذهب فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت أنا أذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب ابن أبي ذئب خط على خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه أمثال الحجل كأنهم رجال الزط قال ابن الاثير في النهاية الزط قوم من السودان والهنود وكان وجوههم المكاكي يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت فأومأ الى بيده ان اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع واصقوا بالارض حتى صرت لا أراهم وفي رواية أخرى قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا نبي قالوا فمن يشهد لك على ذلك فقال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه فقال على ماذا تشهدين قالت أشهد أنك رسول الله قال اذهبي فرجعت كما جاءت حتى صارت كما كانت قال ابن مسعود فلما عاد الى قال اردت أن تأتيني قلت نعم يا رسول الله قال ما كان ذلك لك هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ثم ولوا الى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن اي يستنجي أحدكم بعظم ولا ببعر وفي رواية أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ وضع رأسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال هل من وضوء قال لا الا أن معي اداوة نبيذ فقال هل هو الا تمر وماء فتوضأ منه قال الرازي وطريق الجمع بين رواية ابن عباس ورواية ابن مسعود من وجوه أحدها ان ما ذكره ابن عباس وقع أولا فأوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم أمر بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى عن ابن مسعود اي فالواقعة متعددة ثانيها انها واقعة واحدة الا أنه صلى الله عليه وسلم ما رآهم ولا عرف ماذا قالوا ولاي شيء فعلوا فالله تعالى أوحى اليه انه كان كذا وكذا وفعلوا كذا وكذا ثالثها أنها كانت واحدة وأنه صلى الله عليه وسلم رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به ثم رجعوا الى قومهم قالوا لهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرآنا عجبا وكان كذا وكذا فأوحى الله تعالى الى نبيه صلى الله عليه وسلم ما قالوا لقومهم قال ابن عربي ابن مسعود أعرف من ابن عباس لانه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة وقال القرطبي ان الجن أتوا النبي صلى الله عليه وسلم دفعتين احداهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس وقال البيهقي الذي حكاه ابن مسعود انما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه ابن عباس ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه ابن مسعود وقال القشيري لما رجم ابليس بالشهب فرق ابليس جنوده لعلم ذلك فأتى سبعة منهم ببطن نخلة فاستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا ثم أتوا قومهم فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يعني

ان يأتوا بها على أكمل أحوالها من الاتيان بها بجميع واجباتها وسننها ومنها الاجتهاد في تفريغ القلب عن الوسوسة والرياء والسمعة

ولم يرجعوا الى ابليس لما علموا من كذبه وسفاهته وجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين من قومه فاسلموا فذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا الآيات (فقالوا) أي فتسبب عن استماعهم ان قالوا (انا سمعنا) أي حين تعمدنا الاصغاء وألقينا اليه أفهامنا (قرآنا) أي كلاما هو في غاية الانتظام في نفسه والجمع لجميع ما يحتاج اليه وقرأ ابن كثير بالنقل وقفا ووصلا وحمزة في الوقف دون الوصل والباقون بغير نقل وقفا ووصلا ثم وصفوا القرآن بالمصدر مبالغة في أمره فقالوا (عجبا) أي بديعا خارجا عن عادة أمثاله من جميع الكتب الالهية فضلا عن جميع الناس في جلالة النظم واعجاز التركيب (يهدى) أي يبين غاية البيان (الى الرشد) أي الحق والصواب (فآمنا) أي كل من استمع منا لم يتخلف منا أحد ولا توقف بعد الاستماع (به) أي القرآن أي ذاعنين لبيانه وصدقنا انه من عند الله (ولن نشرك بربنا أحدا) أي لا نرجع الى ابليس ولا نطيعه ولا نعود الى ما كنا عليه من الاشراك وهذا يدل على أن أولئك الجن كانوا مشركين قال الرازي واعلم أن قوله تعالى قل أوحي الى يدل على أنه صلى الله عليه وسلم ما رآهم وانما اوحى اليه في رؤية الجن ونفعه [illegible] أن يعرفوا بذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن كما بعث الى الانس ثانيها أن تعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا اعجازه آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ثالثها أن يعلم القوم ان الجن مكلفون كالانس رابعها أن يعلم ان الجن يستمعون كلامنا ويفهمون لغتنا خامسها ان يظهر المؤمن منهم يدعو غيره من الجن الى الايمان وفي هذه الوجوه مصالح كثيرة اذا عرفها الناس *(تنبيهات)* أحدها اختلف العلماء في أصل الجن فروى عن الحسن البصري ان الجن ولد ابليس والانس ولد آدم ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون وهم شركاء في الثواب والعقاب فمن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان وروى الضحاك عن ابن عباس ان الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين ومنهم المؤمن ومنهم الكافر والشياطين ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس وروى أن ذلك النفر كانوا يهودا وذكر الحسن ان فيهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين ثانيها اختلفوا في دخول الجن الجنة على حسب الاختلاف في أصلهم فمن زعم انهم من الجان لا من ذرية ابليس قال يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية ابليس فلهم فيهم قولان أحدهما وهو قول الحسن يدخلونها والثاني وهو رواية مجاهد لا يدخلونها ثالثها قال القرطبي قد انكر جماعة من كفرة الاطباء والفلاسفة الجن وقالوا انهم بسائط ولا يصح طعامهم اجتراء على الله تعالى والقرآن والسنة يردان عليهم وليس في المخلوقات بسيط مركب من زوجين الا الواحد سبحانه وغيره مركب ليس بواحد وليس يمتنع ان يراهم النبي صلى الله عليه وسلم في صورهم كما يرى الملائكة وانما يتصورون لنا في صور الناس ثم عطفوا على قولهم انا سمعنا (وانه) أي الشأن العظيم قال الجن (تعالى) [illegible] (جد) [illegible] عظمة سلطانه وكمال غناه (ربنا) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(سورة نوح)

(قوله ويؤخركم الى اجل مسمى) خطاب لقوم نوح (ان قلت) ان كان المراد تأخيرهم عن الاجل المقدر

الطاعة وقال ابن عباس قدرة ربنا وقال الضحاك فعله وقال القرطبي آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقال الاخفش علا ملك ربنا والاولى جميع هذه المعانى وقرأوانه تعالى جد ربنا وما بعده الى قوله تعالى وانا منا المسلمون وهي اثنا عشر موضعا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بفتح الهمزة في الجميع والباقون بالكسر * ولما وصفه وبهذا التعالى الاعظم المستلزم للغنى المطلق والتنزه عن كل شائبة نقص بينه وبنفي ما ينافيه من قولهم ابطالا للباطل (ما اتخذ صاحبة) أى زوجة لان الصاحبة لابد أن تكون من نوع صاحبها ومن له نوع فهو مركب تركيبا عقليا من صفة مشتركة وصفة مميزة (ولا ولدا) لان الولد لابد أن يكون جزأ منفصلا عن والده ومن له أجزاء فهو مركب تركيبا حسيا ومن المقطوع به ان ذلك لا يكون الا محتاج وان الله تعالى متعال عن ذلك من تركيب حسي أو عقلي قال القشيري ويجوز اطلاق لفظ الجد في حق الله تعالى اذ لولم يجز لما ذكر في القرآن غير انه لفظ موهم فتجنبه أولى أى لانه قيل انهم عنوا بذلك الجد الذي هو أبو الاب ويكون ذلك من قول الجن قال ابن جعفر الصادق ليس لله تعالى جد وانما قاله الجن للجهالة فلم يؤاخذوا به وقال القرطبي معنى الآية وأنه تعالى جد ربنا أن يتخذ صاحبة للاستئناس بها أو الحاجة اليهما والرب تعالى عن ذلك كما تعالى عن الانداد والنظراء (وانه) أى وقالوا ان الشان هذا على قراءة الكسر وآمنا بانه على قراءة الفتح (كان يقول) أى قولا هو في عراقته في الكذب بمنزلة الجبلة (سفيهنا) هو للجنس فيتناول ابليس رأس الجنس تناولا اوليا وكل من تبعه ممن لم يعرف الله تعالى لان ثمرة العقل العلم وثمرة العلم معرفة الله تعالى فمن لم يعرفه فهو الذي يقول (على الله) الذي له صفات الكمال المنافية لقول هذا السفيه (شططا) أى كذبا وعدوانا وهو وصفه بالشريك والولد والشطط والاشطاط الغلو في الكفر وقال أبو مالك هو الجور وقال الكلبي هو الكذب وأصله البعد فعبر به عن الجور لبعده عن العدل وعن الكذب لبعده عن الصدق (وانا) اى معشر المسلمين من الجن (ظننا) اى حسبنا لسلامة فطرتنا (أن) اى أنه وزادوا في التأكيد فقالوا (ان تقول) وبدؤا بافضل الجنسين فقالوا (الانس) وأتبعوهم قرناءهم فقالوا (والجن على الله) اى الملك الاعلى الذي بيده النفع والضر (كذبا) اى قولا هو اعراقته في مخالفة الواقع نفس الكذب وانما كانظنهم صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن وتبيننا به الحق قبل القطع الاخبار عن الجن ههنا (وانه) اى الشان (كان رجال) اى ذوو قوة وبأس (من الانس) اى النوع الظاهر في عالم الحس (يعوذون) اى يلتجؤن ويعتصمون خوفا على أنفسهم وما معهم اذا نزلوا واديا (برجال من الجن) اى القبيل المستتر عن الابصار وذلك ان القوم منهم كانوا اذا نزلوا واديا أو غيره من القفر تعبث بهم الجن في بعض الاحيان لانه لا مانع لهم منهم من ذكر الله ولا دين صحيح ولا كتاب من الله تعالى صريح فحملهم ذلك على أن يستجيروا بعظمائهم فكان الرجل يقول عند نزوله أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في أمن وفي جوار منهم حتى يصبح فلا يرى الا خيرا وربما هدوه الى الطريق وردوا عليه ضالته قال مقاتل كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله تعالى وتركوهم وقال كردم بن أبي السائب الانصاري خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة

أزلا فهو امتثال لقوله تعالى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها أو تأخيرهم الى مجيء أجلهم المقدر فهم كغيرهم سواء امنوا أم لا (قال)

وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف النهار جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فكان ذلك فتنة للانس باعتقادهم في الجن غير ما هم عليه فتبعوهم في الضلال وفتنة للجن بأن يغتروا بأنفسهم ويقولون سدنا الانس والجن فيضلوا ويضلوا وذلك سبب [illegible] قوله تعالى (فزادوهم) اى الانس والجن باستعاذتهم (رهقا) اى [illegible] أحوال الضلال التى يلزمها الضيق والشدة وقال مجاهد الرهق الاثم وغشيان المحارم [illegible] رهق اذا كان كذلك ومنه قوله تعالى وترهقهم ذلة وقال الاعشى

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها * هل يشتفي عاشق ما لم يصب رهقا

يعني [illegible] قال مجاهد أيضا [illegible] الانس [illegible] حتى قالت [illegible] الانس والجن [illegible] من الانس [illegible] برجال من الانس [illegible] هذا الوادي قال [illegible] (وانهم) اى الانس (ظنوا) [illegible] (كما ظننتم) [illegible] (احدا) [illegible]

[illegible]

معناه يؤخركم عن العذاب الى منتهى آجالكم على تقدير الايمان ولا يعذبكم في الدنيا ان وقع منكم ذنب كما عذب غيركم من الامم الكافرة فيها

الملائكة مما أمروا بتدبيره وقد جاء في الخبر أن صفة قعودهم هو ان يكون الواحد منهم فوق الآخر حتى يصلوا الى السماء فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها الى الكهان فيزيدون معها الكذب (فمن يستمع الآن) أى في هذا الوقت وفيما يستقبل لأنهم أرادوا وقت قولهم فقط (يجد له) أى لاجله (شهابا) أى شعلة من نار ساطعة تحرقه (رصدا) أى أرصد به ليرمى به ❊ (تنبيه) ❊ اختلفوا هل كانت الشياطين تقذف قبل البعث أو ذلك أمر حدث بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة عام وانما كان من أجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذى نبئ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين ورموا بالشهب قال الزمخشري والصحيح انه كان قبل البعث وقد جاء شعره في أهل الجاهلية ٣ قال بشر بن أبي حازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها ❊ ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الاحوال فلما بعث صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وازداد ازديادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا وعن معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد قال غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن على بن الحسين عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم فقال صلى الله عليه وسلم انه لا ترمى لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى أمرا في السماء سبح حملة العرش ثم سبح أهل كل سماء حتى ينتهى التسبيح الى هذه السماء ثم سأل أهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء حتى ينتهى الخبر الى أهل هذه السماء وهذا يدل على أن هذه الشهب كانت موجودة قال ابن عادل وهذا قول الاكثرين (فان قيل) كيف تتعرض الجن لاحتراق أنفسها بسبب سماع خبر بعد أن صار ذلك معلوما لهم (أجيب) بان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة قال القرطبي والرصد قيل من الملائكة أى ورصدا من الملائكة والرصد الحافظ للشئ والجمع أرصاد وقيل الرصد هو الشهاب أى شهاب قد أرصد له ليرجم به فهو فعل بمعنى مفعول ❊ واختلف فيمن قال (وانا لا ندرى) أى بوجه من الوجوه (أشر أريد) أى بعدم استراق السمع (بمن في الارض أم أراد بهم ربهم) أى المحسن اليهم المدبر لهم (رشدا) أى خيرا فقال ابن زيد معنى الآية أن ابليس قال لا ندرى هل أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الارض عقابا أو يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اى لا ندرى أشر أريد بمن في الارض بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الامم أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الكفر والايمان وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراءته علموا أنهم منعوا من السماء حراسة للوحي وقيل قالوه لقومهم بعد ان انصرفوا اليهم منذرين أى لما آمنوا

او يؤخرهم وتركهم ان كان قضى الله بتعميرهم الف سنة ان آمنوا وبخمسمائة سنة ان لم يؤمنوا (قوله فقلت

٣ وقد جاء شعره الخ الذى في الكشاف الذى بايدينا وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية اه مصححه

أشفقوا أن لا يؤمن كثير من أهل الارض فقالوا انا لاندرى أيكفر أهل الارض بما آمنا به أم يؤمنون قال الجن (وانا منا الصالحون) أى العريقون فى صفة الصلاح قال الجلال المحلى بعد استماع القرآن (ومنا دون ذلك) أى قوم غير صالحين (كنا) أى كوناهو كالجبلة (طرائق قددا) أى جماعات متفرقين واصنافا مختلفة قال سعيد بن المسيب معنى الآية كنا مسلمين ويهودا ونصارى ومجوسا وقال الحسن والسدى الجن أمثالكم فنهم قدرية ومرجئة ورافضة وخوارج وشيعة وسنية وقال ابن كيسان شيعا وفرقا لكل فرقة هوى كاهواء الناس وقال سعيد بن جبير ألوانا شتى وقال أبو عبيدة اصنافا وقيل منا الصالحون ومنا المؤمنون لم يتناهوا فى الصلاح قال القرطبى والاول أحسن لانه كان فى الجن من آمن بموسى وعيسى وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وهذا يدل على ايمان قوم منهم بالتوراة (تنبيه) القدد جمع قدة والمراد بها الطريقة وأصلها السيرة يقال قدة فلان حسنة اى سيرته وهو من قد السير أى قطعه فاستعير للسيرة المعتدلة قال الشاعر

القابض الباسط الهادى بطلعته * فى فتنة الناس اذ أهواؤهم قدد

وقال لبيد يرثى اخاه

لم تبلغ العين كل نهمتها * يوم تمشى الجياد بالقدد

والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال ماله قد ولا قحف فالقد اناء من جلد والقحف اناء من خشب (وانا ظننا أن لن نعجز الله) اى وانا علمنا وتيقنا لتفكرنا والاستدلال فى آيات الله انا فى قبضة الملك وسلطانه ان نفوته بهرب ولا غيره لما له من الاحاطة بكل شئ علما وقدرة لانه واحد لا مثل له * (تنبيه) * أطلقوا الظن على العلم اشارة الى ان العاقل ينبغى له أى يجتنب ما يخشى ضرارا ولو بأدنى أنواع الظن فكيف اذا تيقن وقولهم (فى الارض) حال وكذلك هربا فى قولهم (ولن نعجزه) اى بوجه من الوجوه (هربا) فانه مصدر فى موضع الحال تقديره لا نفوته كائنين فى الارض او هاربين منها الى السماء فليس لنا مهرب الا فى قبضته فاين أم الى أين المهرب (وانا لما سمعنا) اى من النبى صلى الله عليه وسلم (الهدى) اى القرآن الذى له من العراقة التامة فى صفة البيان والدعاء الى الخير ما سوغ ان يطلق عليه نفس الهدى (آمنا به) وبالله وصدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم على رسالته وكان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الانس والجن قال الحسن بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن ولم يبعث الله تعالى قط رسولا من الجن ولا من أهل البادية ولا من النساء وذلك لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم من أهل القرى وفى الصحيح وبعثت الى الاحمر والاسود أى الانس والجن وفى ارساله الى الملائكة خلاف قدمنا الكلام عليه (فمن يؤمن بربه) اى المحسن اليه منا ومن غيرنا (فلا) اى فهو خاصة لا (يخاف بخسا ولا رهقا) قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد فى سيئاته لان البخس النقصان والرهق العدوان وغشيان المحارم (وانا منا) اى الجن (المسلمون) اى المخلصون فى صفة الاسلام (ومنا القاسطون) اى الجائرون اى وانا بعد سماع القرآن مختلفون فمنا من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر لانه عدل عن الحق والمقسط العادل الى الحق قسط اذا جار واقسط اذا عدل

استغفروا ربكم) أى من الشرك بالتوحيد (قوله ولاتزد الظالمين الاضلالا) (ان قلت) كيف دعا نوح

قوله اطلقوا كذا بالاصل الطبع وفى بعض النسخ الاطلاق اه مصححه

فقسط الثلاثى بمعنى جار وأقسط الرباعى بمعنى عدل وعن سعيد بن جبير أن الحجاج قال له حين اراد قتله ماتقول فى قال قاسط عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انما سمانى ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (فمن أسلم) أى أوقع الاسلام كاملا بان أسلم ظاهره وباطنه من الجن وغيرهم (فأولئك) أى العالو الرتبة (تحروا) أى توخوا وقصدوا مجتهدين (رشدا) أى صوابا عظيما وسدادا كان لما عندهم من النقائص شاردا عنهم فما لجوا أنفسهم حتى ملكوه فجعلوه لهم منزلا (وأما القاسطون) أى العريقون فى صفة الجور عن الصواب من الانس والجن فأولئك اهملوا أنفسهم فلم يتحروا الهداية فلما أبعدوا عن الطريق القويم فوقعوا فى المهالك التى لا منجى منها (فكانوا لجهنم) أى النار البعيدة القعر التى تلقاهم بالتجهم والكراهة والعبوسة (حطبا) أى توقد بهم النار فهى فى اتقاد مادام وا أحياء مادامت تتقد لا يموتون فيستريحون ولا يحيون فينتعشون *(تنبيه)* قوله تعالى فكانوا أى فى علم الله عز وجل (فان قيل) لم ذكروا عقاب القاسطين ولم يذكروا ثواب المسلمين (أجيب) بأنهم فى مقام الترهيب فذكروا ما يحذر وطووا ما يحب للعلم به لان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا بل لا بد ان يزيد عليه تسعة اضعافه وعنده المزيد أو انهم ذكروه بقولهم تحروا رشدا أى تحروا رشدا عظيما لا يعلم كنهه الا الله تعالى ومثل هذا لا يتحقق الا فى الثواب (فان قيل) ان الجن مخلوقون من النار فكيف يكونون حطبا للنار (أجيب) بانهم وان خلقوا منها لكنهم يغيرون عن تلك الكيفية فيصيرون لحما ودما هكذا قيل وهذا آخر كلام الجن وأن فى قوله تعالى (وأن) هى المخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وأنهم وهو معطوف على انه استمع أى وأوحى الى أن الشان العظيم (لو استقاموا على الطريقة) أى طريقة الاسلام (لأسقيناهم) أى لجعلنا لهم بما لنا من العظمة (ماء غدقا) أى لو آمن هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم فى الدنيا ولبسطنا لهم فى الرزق وضرب الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله فى المطر كما قال تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم الآية وقال تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم الآية وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية وقال تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين الآية (لنفتنهم) أى نعاملهم معاملة المختبر بما لنا من العظمة (فيه) اى فى ذلك الماء الذى تكون عنده انواع النعم لينكشف حال الشاكر والكافر قال الرازى وهذا بعد ما حبس عنهم المطر سنين اهـ قال الجلال المحلى سبع سنين وقال عمر رضى الله تعالى عنه أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة وقال الحسن وغيره كانوا سامعين مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر ففتنوا بها فوثبوا بامامهم فقتلوه يعنى عثمان رضى الله تعالى عنه قال البقاعى ويجوز ان يكون مستعار اللعلم وانواع المعارف الناشئة عن العبادات التى هى للنفوس كالنفوس للابدان وتكون الفتنة بمعنى التخليص من الهموم والرذائل فى الدنيا والنعم فى الآخرة من فتنت الذهب اذا خلصته من غشه (ومن يعرض) اى اعراضا مستمرا الى الموت (عن ذكر ربه) اى مجاوزا عن عبادة المحسن اليه المربى له الذى

على قوم ... بذلك مع انه
أرسل اليهم ليهديهم
ويرشدهم (قلت) اعادها
عليهم بذلك بعد ان أعلمه

لا احسان عنده من غيره وقيل المراد بالذكر القرآن وقيل الوحي وقيل الموعظة (نسلكه) أي ندخله (عذابا) يكون مظروفا فيه كالخيط في ثقب الخرزة في غاية الضيق (صعدا) أي شاقا شديدا يعلوه ويغلبه ويصعد عليه ويكون كل يوم أعلى مما قبله جزاء وفاقا وقال ابن عباس هو جبل في جهنم قال الخدري كلما جعلوا أيديهم عليه ذابت وعن ابن عباس أن المعنى مشقة من العذاب لان الصعد في اللغة هو المشقة تقول تصعدني الامر اذا شق عليك ومنه قول عمر ما تصعدني شئ ما تصعدني في خطبة النكاح يريد ما شق علي وما غلبني والمشي في الصعود يشق وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى أعلاها حدر الى جهنم وقال الكلبي يكلف الوليد بن المغيرة أن يصعد جبلا في النار من صخرة ملساء يجذب من أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها ولا يبلغ في أربعين سنة فاذا بلغ أعلاها أحدر الى أسفلها ثم يكلف أيضا الصعود فذلك دأبه أبدا وهو قوله تعالى سأرهقه صعودا وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالياء التحتية على الغيبة لاعادة الضمير على الله تعالى والباقون بالنون على الالتفات وهذا كما في قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ثم قال باركنا حوله لنريه من آياتنا واتفقوا على فتح الهمزة في قوله تعالى (وأن) أي وأوحي الي أن (المساجد لله) أي مختصة بالله تعظيما والمساجد قيل جمع مسجد بالكسر وهو موضع السجود وقال الحسن أراد بها كل البقاع لان الارض جعلت كلها مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم يقول أينما كنتم فصلوا وأينما صليتم فهو مسجد وقيل انه جمع مسجد بالفتح مرادا به الاعضاء الواردة في الحديث الجبهة والانف والركبتان واليدان والقدمان وهو قول سعيد بن المسيب وابن حبيب والمعنى أن هذه الاعضاء انعم الله تعالى بها عليك فلا تسجد لغيره فتجحد نعمة الله تعالى بها عليك قال عطاء مساجدك أعضاؤك التي أمرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها قال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة أعظم وذكر الحديث وقال صلى الله عليه وسلم اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب قال ابن الاثير الآراب الاعضاء وهذا القول اختاره ابن الانباري وقيل بل جمع مسجد وهو مصدر بمعنى السجود ويكون الجمع لاختلاف الانواع وقال القرطبي المراد بها البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة قال سعيد بن جبير قالت الجن كيف لنا أن نأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت وأن المساجد لله أي بنيت لذكر الله تعالى وطاعته وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت مكة مساجد لان كل أحد يسجد اليها قال القرطبي والقول بانها البيوت المبنية للعبادة أظهر الاقوال ان شاء الله تعالى وهو مروى عن ابن عباس واضافة المساجد الى الله تعالى اضافة تشريف وتكريم وخص منها المسجد العتيق بالذكر فقال تعالى وطهر بيتي وهي وان كانت لله ملكا وتشريفا فقد تنسب الى غيره تعريفا قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وفي رواية أن صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي هذا قال القرطبي وهذا حديث صحيح وفي حديث سابق صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الى مسجد بني زريق ويقال مسجد فلان لانه حبسه ولا خلاف بين الامة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك (فلا تدعوا) أي فلا تعبدوا أيها

الله تعالى انهم لا يؤمنون (قوله قال نوح رب) قاله هنا بلا واو وقاله بعد بواو لان الاول استئناف والثاني

المخلوقون (مع الله) الذي له جميع العظمة (أحدا) وهذا توبيخ للمشركين في دعواهم مع الله تعالى غيره في المسجد الحرام وقال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فامر الله تعالى نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما أو غيره مما يعبد وقيل المعنى أفردوا المساجد لذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله تعالى فيها نصيبا وفي الصحيح من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا وقال الحسن من السنة اذا دخل رجل المسجد أن يقول لا اله الا الله لان قوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا في ضمنه أمر بذكر الله تعالى ودعائه وروى الضحاك عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا اللهم عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور فاسألك برحمتك أن تفك رقبتي من النار فاذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب على الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني ابدا ولا تجعل معيشتي كدا واجعل لي في الارض جدا اي غنى وقرأ (وانه) نافع وشعبة بكسر الهمزة على الاستئناف والباقون بالفتح اي وأوحي الى أنه (لما قام عبد الله) اي عبد الملك الاعلى الذي له الجلال كله والجمال فلا موجود بذاته بل كل موجود من فائض فضله وعبد الله هو محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرأ القرآن (فان قيل) هلا قيل رسول الله او النبي (اجيب) بان تقديره واوحي فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل اولان المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى تكونوا عليه لبدا ومعنى (يدعوه) اي يعبده وقال ابن جريج يدعوه اي قام اليهم داعيا الى الله تعالى فهو في موضع الحال اي موحدا له (كادوا) اي قرب الجن المستمعون لقراءته (يكونون عليه) اي على عبد الله (لبدا) اي متراكبين بعضهم على بعض من شدة ازدحامهم حرصا على سماع القرآن وقيل كادوا يركبونه حرصا قاله الضحاك وقال ابن عباس رغبة في سماع القرآن وروى عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة وكانوا سبعين الفا وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر وعن ابن عباس أيضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم بما رأوا من طاعة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به في الركوع والسجود وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليبطلوه فابى الله تعالى الا ان ينصره ويتم نوره واختار الطبري ان يكون كادت العرب يجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم ويتظاهرون على اطفاء النور الذي جاء به وقرأ هشام بضم اللام والباقون بكسرها فالاولى جمع لبدة بضم اللام نحو غرفة وغرف وقيل بل هو اسم مفرد صفة من الصفات وعليه قوله تعالى مالا لبدا واما الثانية فجمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب واللبدة واللبدة الشيء اللابد اي المتراكب بعضه على بعض ومنه لبدة الاسد كقول زهير

لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد اظفاره لم تقلم

ومنه اللبد لتلبد بعضه فوق بعض * ولما قال كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم انك

معطوف عليه (قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) من كلام نوح (ان قلت) كيف وصفهم بالفجور والكفر

جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك (قال) صلى الله عليه وسلم مجيبا لهم (انما أدعوا ربي) أي الذي أوجدني ورباني ولا نعمة عندي الا منه وحده لا أدعو غيره حتى تجيروا مني (ولا أشرك به) أي الآن ولا في مستقبل الزمان بوجه من الوجوه (أحدا) من ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وغيرها من الصامت والناطق وقرأ عاصم وحمزة قل بصيغة الامر التفاتا أي قل يا محمد والباقون قال بصيغة الماضي والخبر اخبارا عن عبد الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال الجحدري وهو في المصحف كذلك وقد تقدم لذلك نظائر في قل سبحان ربي في آخر الاسراء وكذا في أول الانبياء وآخرها وآخر المؤمنين (قل) أي يا أشرف الخلق لهؤلاء الذين خالفوك (اني لا أملك لكم) أي الآن ولا بعده بنفسي من غير اقدار الله تعالى لي (ضرا ولا رشدا) أي لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق اليكم خيرا وقيل لا أملك لكم ضرا أي كفرا ولا رشدا أي هدى لانه لا يؤثر شيء من الاشياء الا الله تعالى وانما علي البلاغ وقيل الضر الموت والرشد الحياة (قل) أي لهؤلاء (اني) وزاد في التأكيد لان ذلك في غاية الاستقرار في النفوس فقال (لن يجيرني) أي فيدفع عني ما يدفع المجير عن جاره (من الله) اي الذي له الامر كله ولا أمر لاحد معه (أحد) أي كائن من كان ان أرادني سبحانه بسوء (ولن أجد) أي أصلا (من دونه) أي الله تعالى (ملتحدا) أي معدلا وموضع ميل وركون ومدخلا وملتجأ وحيلة وان اجتهدت كل الجهد والملتحد الملجأ وأصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقوله (الا بلاغا) فيه أوجه أحدها انه استثناء منقطع أي لكن ان بلغت عن الله رحمني لان البلاغ عن الله لا يكون داخلا تحت قوله ولن أجد من دونه ملتحدا لانه لا يكون من دون الله بل يكون من الله تعالى وباعانته وتوفيقه الثاني انه متصل وتأويله أن الاجارة مستعارة من البلاغ اذ هو سببها وسبب رحمته تعالى والمعنى لن أجد شيئا أميل اليه واعتصم به الا أن أبلغ وأطيع فيجيرني واذا كان متصلا جاز نصبه من وجهين أرجحهما أن يكون بدلا من ملتحدا لان الكلام غير موجب وهو اختيار الزجاج الثاني انه منصوب على الاستثناء الثالث انه مستثنى من قوله لا أملك فان التبليغ ارشاد وانتفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة وقوله (من الله) اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما فيه وجهان احدهما ان من بمعنى عن لان بلغ يتعدى بها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الا بلغوا عني والثاني انه متعلق بمحذوف على انه صفة لبلاغا قال الزمخشري من ليست بصلة للتبليغ وانما هي بمنزلة من في قوله تعالى براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله وقوله (ورسالاته) فيه وجهان احدهما انه منصوب نسقا على بلاغا كأنه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات ولم يقل الزمخشري غيره والثاني انه مجرور نسقا على الجلالة اي الا بلاغا عن الله تعالى وعن رسالاته كذا قدره ابو حيان وجعله هو الظاهر ويجوز فيه جعل من بمعنى عن والتجوز في الحروف مذهب كوفي ومع ذلك فغير منقاس عندهم (ومن يعص الله) أي الذي له العظمة كلها (ورسوله) الذي ختم به النبوة والرسالة فجعل رسالته محيطة بجميع الملل في التوحيد وغيره على سبيل الجحد (فان له) اي خاصة (نار جهنم) اي التي تلقاه بالعبوسة والغيظ وقوله تعالى (خالدين) حال مقدرة من الهاء في له والمعنى مقدر خلودهم والعامل الاستقرار الذي تعلق به هذا الجار وحمل على معنى من فعل ذلك فوحد أولا

للفظ

قال ولادتهم وكيف علم انهم لا يلدون الا فاجرا كفارا (قلت) وصفهم بما يؤولون اليه من الفجور والكفر

للفظ وجمع للمعنى وأكد بقوله تعالى (فيها أبدا) ردا على من يدعي الانقطاع قال البقاعي وأما من يدعي أنه الاقصر في وان عذابها عذوبة فليس احد أجن منه الا من تابعه على ضلاله وغيه ومحاله وليس لهم دواء الا السيف في الدنيا والعذاب في الآخرة بما سموه عذوبة وهم صائرون اليه وموقوفون عليه وحتى في قوله تعالى (حتى اذا رأوا) ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها أي لا يزالون على كفرهم الى أن يروا (ما يوعدون) من العذاب في الآخرة أو في الدنيا كوقعة بدر (فسيعلمون) أي في ذلك اليوم بوعد لا خلف فيه (من أضعف ناصرا) أي من جهة الناصر أنا وان كنت في هذا الوقت وحيدا مستضعفا أو هم (وأقل عددا) وان كانوا الآن بحيث لا يحصيهم عددا الا الله تعالى فيالله ما أعظم كلام الرسل حيث يستضعفون أنفسهم ويذكرون قوتهم من جهة مولاهم الذي بيده الملك وله جنود السموات والارض بخلاف الجبابرة فانهم لا كلام لهم الا في تعظيم أنفسهم وازدراء غيرهم قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا قال النضر بن الحرث متى يكون هذا الذي توعدنا به قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء في جوابهم باتيانهم العذاب وسألوا استهزاء عن وقت وقوعه (ان) أي ما (أدري) بوجه من الوجوه (أقريب ما توعدون) أي فيكون الآن أو قريبا من هذا الاوان بحيث يتوقع عن قرب وقوله (أم يجعل) أي أم بعيد يجعل (له) أي لهذا الوعد (ربي) أي المحسن الي ان قدمه أو اخره (أمدا) أي اجلا مضروبا فلا يتوقع دون ذلك الامد فهو في كل حال متوقع فكونوا على غاية الحذر لانه لا بد من وقوعه لا كلام فيه وانما الكلام في تعيين وقته وليس الي (فان قيل) أليس انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا أدري أقريب أم بعيد (أجيب) بان المراد بقرب وقوعه هو أن ما بقي من الدنيا أقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم فاما معرفة مقدار القرب المرتب وعدم ذلك فغير معلوم *(تنبيه)* أقريب خبر مقدم وما توعدون مبتدأ مؤخر ويجوز أن يكون قريب مبتدأ لاعتماده على الاستفهام وما توعدون فاعل به أي أقريب الذي توعدون نحو أقائم أبواك وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها وقوله تعالى (عالم الغيب) بدل من ربي أو بيان أو خبر مبتدا مضمر أي هو عالم الغيب كله وهو ما لم يبرز الى عالم الشهادة فهو مختص بعلمه سبحانه فلذلك سبب عنه قوله تعالى (فلا يظهر) أي بوجه من الوجوه في وقت من الاوقات (على غيبه) الذي غيبه عن غيره فهو مختص به (أحدا) لعزة علم الغيب ولانه خاصة الملك (الا من ارتضى) وقوله تعالى (من رسول) تبيين لمن ارتضى أي الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب وتارة يكون ذلك الرسول ملكا وتارة يكون بشرا وتارة يظهره على ذلك بواسطة ملك وتارة بغير واسطة كموسى عليه السلام في أوقات المناجاة ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في العالم الاعلى في حضرة قاب قوسين أو ادنى وقال القرطبي المعنى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يظهره على ما يشاء من غيبه لان الرسل مؤيدون بالمعجزات ومنها الاخبار عن بعض المغيبات كما ورد في التنزيل في قوله تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم وقال الزمخشري في هذه الآية ابطال الكرامات لان الذين

وعلم ذلك باعلام الله اياه (قوله ولا تزد الظالمين الا تبارا) ختمه بقوله تبارا موافقة لقوله قبل لا تذر على الارض

تضاف اليهم وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما أبعد شئ من الارتضاء وأدخله في السخط اه وانكار الكرامات مذهب المعتزلة وأما مذهب أهل السنة فيثبتونها فانه يجوز أن يلهم الله تعالى بعض أوليائه وقوع بعض الوقائع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد كان فيمن قبلكم من الامم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء وان يكن في أمتي أحد فانه عمر أخرجه البخاري قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي منهم أحد فان عمر ابن الخطاب منهم ففي هذا اثبات كرامات الاولياء فان قيل لو جازت الكرامة للولي لما تميزت معجزة النبي من غيرها ولانسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره (أجيب) بان معجزة النبي أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقترن بالتحدي ولا يجوز للولي أن يدعي خرقا للعادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة واما الكهانة وما ضاهاها فقال القرطبي ان العلماء قالوا لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأعلمهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ومن يضرب بالحصا وينظر في الكواكب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه قال بعض العلماء وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف انسان مختلفي الاحوال والرتب فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والغني والفقير والكبير والصغير مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة فان قال قائل انما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون على مقتضى ذلك ان هذا الطالع ابطل احكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما يقتضيه طالعه المخصوص به فلا فائدة اذا في عمل المواليد ولا دلالة فيها على شقي وسعيد ولم يبق الا معاندة القرآن الكريم ولقد أحسن القائل

حكم المنجم أن طالع مولدي * يقضي على بميتة الغرق

قل للمنجم صبحة الطوفان هل * ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لعلي رضي الله عنه لما اراد لقاء الخوارج تلقاهم والقمر في العقرب فقال فاين قمرهم وكان ذلك في آخر السنة فانظر الى هذه الكلمة التي اجاب بها وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالنجم وقال له مسافر بن عوف يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر بعد ثلاث ساعات يمضين من النهار فقال له علي ولم قال له انك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب أصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظهرت وظفرت واصبت ما طلبت فقال علي ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ثم قال فمن صدقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون اتخذ من دون الله ندا أو ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ثم

قال

(قوله وانه لما قام عبد الله) اى النبي صلى الله عليه

(سورة الجن) من الكافر بن ديارا

قال للمنجم كذبت وخالفته وسار في الساعة التي نهاه عنها ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر إنما المنجم كالكافر والكافر في النار والمنجم كالساحر والساحر في النار والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم أو تعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت ولأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثابتة في صحيح مسلم ثم قال لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل إنما كان ذلك بتنجيم المنجم وما لمحمد منجم وما لنا بعده وقد فتح الله تعالى علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان ثم قال يا أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي عمن سواه (فإنه) أي الله سبحانه يظهر ذلك الرسول على ما يريد من ذلك الغيب وذلك أنه إذا أراد إظهاره عليه (يسلك) أي يدخل إدخال السلك في الجوهرة في قومه ونفوذه من غير أدنى تعويج إلى غير المراد (من بين يديه) أي الجهة التي يعلمها ذلك الرسول (ومن خلفه) أي الجهة التي تغيب عن علمه فصار ذلك كناية عن كل جهة قال البقاعي ويمكن أن يكون ذكر الجهتين دلالة على الكل وخصهما لأن العدو متى أعريت واحدة منهما أتى منها ومتى حفظتا لم يأت من غيرهما لأنه يصير بين الأولين والآخرين (رصدا) أي حرسا من جنوده يحرسونه ويحفظونه من الشياطين أن يسترقوا السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن أن يسمعوا الوحي فيلقوه إلى الكهنة قبل الرسول فيطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم حتى يبلغ ما يوحى إليه وقال ابن عباس وغيره كان الله إذا بعث رسولا أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله تعالى من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فاحذره وإذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك وعن الضحاك ما بعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك (ليعلم) أي الله علم ظهور كقوله تعالى حتى نعلم المجاهدين (أن) مخففة من الثقيلة أي أنه (قد أبلغوا) أي الرسل (رسالات ربهم) وحد أولا على اللفظ في قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله تعالى فإن له نار جهنم خالدين فيها والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم أن جبريل قد بلغ رسالات ربه وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم (وأحاط بما لديهم) أي بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها (وأحصى) أي الله سبحانه وتعالى (كل شيء) أي من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحر وغير ذلك (عددا) ولو على أقل مقادير الذر فيما لم يزل وفيما لا يزال فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وقال ابن جبير رضي الله عنه ليعلم الرسل أن ربهم قد أحاط بما لديهم فيبلغوا رسالاته *(تنبيه)* هذه الآية تدل على أنه تعالى عالم بالجزئيات وبجميع الموجودات وعددا يجوز أن يكون تمييزا منقولا من المفعول به والأصل أحصى عدد كل شيء كقوله تعالى وفجرنا الأرض عيونا أي عيون الأرض وأن يكون منصوبا على الحال أي وضبط كل شيء معدودا محصورا وأن يكون مصدرا في معنى الإحصاء وقول البيضاوي تبعا

وسلم وإنما عدل عنه
إلى عبد الله تواضعا لأنه
واقع موقع كلامه عن نفسه

(سورة المزمل)

للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا أو كذب به عتق رقبة حديث موضوع

سورة المزمل مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس رضي الله عنهما الا آيتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليه ذكره الماوردي وقال الثعلبي ان ربك يعلم أنك تقوم الى آخر السورة فانه نزل بالمدينة وهي تسع عشرة أو عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذي من توكل عليه كفاه في جميع الاحوال (الرحمن) الذي عم بنعمة الايجاد المهتدي والضال (الرحيم) الذي خص حزبه بالسداد في الافعال والاقوال وقوله تعالى (يا أيها المزمل) أصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي يقال تزمل يتزمل تزملا فاذا أريد الادغام اجتلبت همزة الوصل وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة أقوال الاول قال عكرمة يا أيها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة وعنه يا أيها الذي زمل هذا الامر أي حمله ثم فتر والثاني قال ابن عباس رضي الله عنهما يا أيها المزمل بالقرآن والثالث قال قتادة رضي الله عنه يا أيها المزمل بثيابه قال النخعي كان متزملا بقطيفة عائشة بمرط طوله أربعة عشر ذراعا قالت عائشة رضي الله عنها كان نصفه علي وأنا نائمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزي ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا ذكره الثعلبي ولحمة الثوب بفتح اللام وضمها والفتح أفصح ولحمة النسب كذلك والضم أفصح ولحمة البازي بالضم لا غير لانها كاللقمة قال القرطبي وهذا القول من عائشة رضي الله عنها يدل على ان السورة مدنية فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة والقول بانها مكية لا يصح وقال الضحاك تزمل لمنامه وقيل بلغه من المشركين قول سوء فيه فاشتد عليه فتزمل وتدثر فنزلت يا أيها المزمل ويا أيها المدثر وقيل كان هذا في ابتداء ما أوحي اليه فانه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحي في غار حراء رجع الى خديجة رضي الله عنها زوجته يرجف فؤاده فقال زملوني زملوني لقد خشيت على نفسي أي أن يكون هذا مبادي شعر أو كهانة وكل ذلك من الشيطان أو أن يكون الذي ظهر له بالوحي ليس الملك وكان صلى الله عليه وسلم يبغض الشعر والكهانة غاية البغضة فقالت له وكانت وزيرة صدق رضي الله تعالى عنها كلا والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ونحو هذا من الكلام الذي يثبت وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان نائما في الليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن تلك الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للنوم يا أيها المزمل (قم الليل) أي الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر فصل لنا في كل ليلة دون هذا الجنس وقف بين يدينا بالمناجاة والانس بما أنزل عليك من كلامنا فانا نريد اظهارك واعلاء قدرك في البر والبحر والسر والجهر وقيام الليل في الشرع معناه الصلاة فلذلك لم يقيده وهي جامعة لانواع الاعمال الظاهرة والباطنة وهي عمادها فذكرها دالا على ما عداها ولما كان للبدن حظ في الراحة قال تعالى مستثنيا من الليل (الا قليلا) أي من كل ليلة من الاوقات بالاعمال ...

(قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) وصف القرآن بالثقل لثقل نزول الوحي على نبيه حتى كان يعرق في

لايهمه أمر ولا يعنيه شأن الاترى الى قول ذى الرمة

وكائن تخطت ناقتى من مفازة * ومن نائم عن ليلها متزمل

يريد الكسلان المتقاعس الذى لاينهض فى معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه * سهدا اذا مانام ليل الهوجل * ومن أمثالهم

أوردها سعد وسعد مشتمل * ماهكذا توردياسعد الابل

فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجاد والكيس وأمر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة فى الله لاجرم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر وأقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيما فى وجوههم وتراقى أمرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقال الكلبى انما تزمل صلى الله عليه وسلم بثيابه ليتهيأ للصلاة وهو اختيار الفراء فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التى كان عليها وأمر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عكرمة رضى الله عنه أن المعنى يا أيها الذى زمل أمرا عظيما اى حمله والزمل الحمل قال البغوى قال الحكماء كان هذا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فى أول الوحى قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبى والرسول وقال السهيلى ليس المزمل من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه فى أسمائه صلى الله عليه وسلم وانما المزمل اسم مشتق من حاله التى كان عليها حين الخطاب وكذلك المدثر وفى خطابه بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى حين غاضب فاطمة رضى الله تعالى عنهما فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم أباتراب اشعارا له بانه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة قم يانومان وكان نائما ملاطفة له واشعارا بترك العتب والتأنيب فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها المزمل قم فيه تأنيس له وملاطفة ليستشعر أنه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله أن يتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة والليل مدته من غروب الشمس الى طلوع الفجر قال القرطبى واختلف هل كان قيامه فرضا أو نفلا والدلائل تقوى أن قيامه كان فرضا لان المندوب لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصا بوقت دون وقت * واختلف هل كان فرضا على النبى صلى الله عليه وسلم وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبياء او عليه وعلى أمته على ثلاثة أقوال الاول قول سعيد بن جبير رضى الله عنه لتوجه الخطاب اليه الثانى قول ابن عباس رضى الله عنهما قال كان قيام الليل فريضة على النبى صلى الله عليه وسلم والانبياء قبله الثالث قول عائشة وابن عباس رضى الله عنهم أيضا أنه كان فرضا عليه وعلى أمته لما روى مسلم أن هشام بن عامر قال لعائشة رضى الله عنها أنبئينى عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ألست تقرأ يا أيها المزمل فقلت بلى فقالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل

(اليوم الثانى أو اثقل العمل فيه او اثقله فى الميزان او اثقله على المنافقين (قوله السماء منفطر به)

فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا وأمسك الله عز وجل
خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء حتى أنزل الله عز وجل فى آخر هذه السورة التخفيف فصار
قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقيل عسر عليهم تمييز القدر الواجب فقاموا الليل كله وشق
عليهم فنسخ بقوله تعالى آخرها فاقرؤا ما تيسر من القرآن وكان بين الوجوب ونسخه سنة
وقيل نسخ التقدير بمكة وبقى التهجد حتى نسخ بالمدينة وروى وكيع ويعلى عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال لما نزلت يا أيها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم فى شهر رمضان
حتى نزل آخرها وكان بين نزول أولها وآخرها نحو من سنة وقال سعيد بن جبير رضى الله
عنه مكث النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزلت بعد عشر سنين
ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل فخفف الله تعالى عنهم وقيل كان قيام الليل واجبا
ثم نسخ بالصلوات الخمس والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم بعث يوم الاثنين فى رمضان وهو ابن
أربعين سنة وقيل ثلاث وأربعين وآمنت به خديجة رضى الله عنها ثم بعدها قيل على رضى
الله عنه وهو ابن تسع سنين وقيل ابن عشر وقيل ابو بكر وقيل زيد بن حارثة ثم أمر بتبليغ
قومه بعد ثلاث من مبعثه فاول ما فرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد الانذار والدعاء الى
التوحيد من قيام الليل ما ذكر فى أول السورة ثم نسخ بما فى آخرها ثم نسخ بايجاب الصلوات
الخمس ليلة الاسراء الى بيت المقدس بمكة بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر ليلة سبع
وعشرين من رجب هذا ما ذكره النووى فى روضته وقال فى فتاويه بعد النبوة بخمس
او ست وجعل الليلة من ربيع الاول وخالفهما فى شرح مسلم وجزم بانها من ربيع الآخر
وقلد فيها القاضى عياضا والذى عليه الاكثر ما فى الروضة واستمر يصلى الى بيت المقدس مدة
اقامته بمكة وبعد الهجرة ستة عشر شهرا أو سبعة عشر ثم أمر باستقبال الكعبة ثم فرض
الصوم بعد الهجرة بسنتين تقريبا وفرضت الزكاة بعد الصوم وقيل قبله وفى السنة الثانية
قيل فى نصف شعبان وقيل فى رجب حولت القبلة وفيها فرضت صدقة الفطر وفيها ابتدأ صلى
الله عليه وسلم صلاة عيد الفطر ثم عيد الاضحى ثم فرض الحج سنة ست وقيل سنة خمس ولم يحج
صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة الا حجة الوداع واعتمر أربعا وتوفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين
لاثنتى عشرة خلت من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة * (فائدة) الانبياء
عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون قبل النبوة من الكفر وفى المعاصى خلاف وبعدها
من الكبائر وكذا من الصغائر ولو سهوا عند المحققين وقوله تعالى (نصفه) بدل من قليلا
وقلته بالنظر الى الكل (او انقص منه) اى من النصف (قليلا) اى الثلث (او زد عليه) اى 11
على النصف الى الثلثين واو للتخيير فكان صلى الله عليه وسلم مخيرا بين هذه المقادير الثلاثة وكان
صلى الله عليه وسلم يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب وكذا بعض أصحابه
واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم وتقدم أن ذلك نسخ بايجاب الصلوات الخمس
فصار قيام الليل تطوعا فينبغى للمتهجد المواظبة عليه خصوصا فى الوقت الذى يتجلى الله
تعالى بالتجلى فيه فانه صح أنه ينزل سبحانه عن ان تشبه ذاته شيئا او يزول ولا نزول غيره بل هو كناية
عن فتح باب السماء الذى هو كناية عن وقت استجابة الدعاء حين يبقى ثلث الليل وفى رواية حتى

اى بذلك اليوم لشدته وانما لم يؤنث صفة السماء مع انها مؤنثة لانها بمعنى السقف تقول هذا سماء

يبقى شطر الليل الآخر الى سماء الدنيا فيقول سبحانه هل من سائل فأعطيه هل من تائب فأتوب عليه هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر ولما أمر بالقيام وقدر وقته وعينه أمر بهيئة التلاوة التى هى روح الصلاة على وجه عام فقال تعالى (ورتل القرآن) أى اقرأه على ترسل وتؤدة وتبيين حروفه واشباع حركاته بحيث يتمكن السامع من عدها ويجىء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وأن لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة وقال ابن مسعود رضى الله عنه ولا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر ولكن قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم آخر السورة وقوله تعالى (ترتيلا) تأكيد فى الامر به وأنه لابد منه للقارئ وعن ابن عباس رضى الله عنهما اقرأه على هينتك ثلاث آيات أو أربعا أو خمسا وروى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية والآية إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وسئلت عائشة رضى الله عنها عن قراءته صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع ان يعد حروفها لعدها وسئل أنس رضى الله عنه كيف كانت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وجاء رجل الى ابن مسعود رضى الله عنه فقال قرأت المفصل الليلة فى ركعة فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل كل سورتين فى ركعة وروى الحسن رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرأ آية ويبكى فقال ألم تسمعوا الى قول الله عز وجل ورتل القرآن ترتيلا هذا الترتيل وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن عوف قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يرقى بقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف فى أول درج الجنة ويقال له اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها وندب اصغاء اليه وبكاء عند القراءة وتحسين صوت بها وتعوذ بها جهرا واعادته لفصل طويل وجلوس لها واستقبال وتدبر وتخشع وكرهت بفم نجس وجازت بحمام وهى نظرا فى المصحف أفضل منها عن ظهر قلب نعم ان زاد خشوعه وحضور قلبه فى القراءة عن ظهر قلب فهى أفضل فى حقه وهى أفضل من ذكر لم يخص بمحل ويحرم توسد مصحف وندب كتبه وايضاحه ونقطه وشكله ويحرم كتبه بنجس ومسه بنجس غير معفو عنه وتحرم القراءة بالشواذ وهى ما نقل آحادا وبعكس الآى بتريب كسى السور والاولى تعليم وندب ختم القرآن أول نهار وأول ليل وختمه فى الصلاة أفضل من ختمه خارجها وندب صيام يوم الختم الا أن يصادف يوما نهى الشرع عن صيامه وندب الدعاء بعده وحضوره والشروع بعده فى ختمة أخرى وندب كثرة تلاوته ونسيانه كبيرة وكذا نسيان شىء منه ويحرم تفسيره بلا علم (انا) أى بما لنا من العظمة (سنلقى) أى بوعد لا خلف فيه (عليك) وقوله (قولا) أى قرآنا واختلف فى معنى قوله تعالى (ثقيلا) فقال قتادة رضى الله عنه ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد رضى الله عنه حلاله وحرامه وقال محمد بن كعب رضى الله عنه ثقيلا على المنافقين لانه يهتك أسرارهم ويبطل أديانهم وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم

البيت اى سقفه قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا أولاهما اتذكر وتؤنث أوجاء منفطر على

والبيان لفظا لاوهم وسب آلهتهم قال السدى رضى الله عنه ثقيلا بمعنى كريم مأخوذ من قولهم فلان ثقل على أى كرم على وقال الفراء ثقيلا أى رزينا وقال الحسين بن الفضل ثقيلا أى لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل فى الدنيا ثقل فى الميزان يوم القيامة وقيل ثقيل أى ثابت كثبوت الثقيل فى محله ومعناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه أبدا وقيل ثقيلا بمعنى ان العقل الواحد لا يفى بادراك فوائده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا فى بحار معقولاته والفقهاء بحثوا فى احكامه وكذا أهل اللغة والنحو وأرباب المعانى ثم لا يزال كل متأخر يفوز منه بفوائد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان الانسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله فصار كالجبل الثقيل الذى يعجز الخلق عن حمله والاولى ان تحمل هذه المعانى كلها فيه وقيل المراد هو الوحى كما جاء فى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها أى صدرها على الارض فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه وعن الحرث بن هشام أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى فقال النبى صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول قالت عائشة رضى الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا أى يجرى عرقه كما يجرى الدم من الفاصد وقوله فيفصم عنى أى ينفصل عنى ويفارقنى وقد وعيت أى حفظت ما قال وقال القشيرى القول الثقيل هو قول لا اله الا الله لانه ورد فى الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان وقال الزمخشرى هذه الآية اعتراض ثم قال واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التى ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه يعنى فلا اعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة وذلك لأن قوله تعالى (ان ناشئة الليل) اى القيام بعد النوم (هى أشد وطأ) أى [illegible] هى أشد وطأ وأدوم [illegible] بالليل فكأنه شابه الاعتراض من حيث دخوله بين المتناسبين والمعنى متعلق [illegible] باعتراض صلاة الليل [illegible] ثقيلا يثقل حمله لان الليل للمنام فمن أمر بقيامه [illegible] لا يتحمل مشقة شديدة على النفس ومجاهدة الشيطان [illegible] على البدن [illegible] واعمل [illegible] (و قوم قيلا) أى [illegible] الاصوات هادئة [illegible] وقال قتادة [illegible] رضى الله عنهما أصوب للقراءة وأثبت للقول [illegible] وتجلى الرب [illegible] البركات وأخص [illegible] صلاة الليل [illegible] صلاة النهار [illegible] صلاة الليل بالقراءة فيها [illegible] أعظم الأجر وأجلب للثواب كان على بن الحسين رضى الله عنه يصلى [illegible] [illegible] وقال ابن عباس

النسب أى ذات انقطاع كامرأة مرضع وحائض اى ذات ارضاع وذات حيض (قوله فمن شاء اتخذ الى ربه

ومجاهد وغيرهما هي الليل كله لانه ينشأ بعد النهار وهو اختيار مالك قال ابن عربي وهو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة وقالت عائشة وابن عباس أيضا ومجاهد رضي الله عنهم انما الناشئة القيام بالليل بعد النوم ومن قام قبل النوم فما قام ناشئة وقال يمان وابن كيسان هو القيام من آخر الليل وأما قوله تعالى أشد وطأ أي أثقل على المصلي من ساعات النهار لان الليل وقت منام وراحة فاذا قام الى صلاة الليل فقد تحمل المشقة العظيمة هذا على قراءة كسر الواو وفتح الطاء وبعدها ألف ممدودة وهمزة منونة وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وقرأ الباقون بفتح الواو وسكون الطاء وبعدها همزة منونة فهي مصدر واطأت وطأ ومواطأة اي وافقت على الامر من الوفاق تقول فلان يواطئ اسمه اسمي اي يوافقه فالمعنى أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الاصوات والحركات قاله مجاهد وغيره قال تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر وقيل أشد مهادا للتصرف في الفكر والتدبر وقيل أشد ثباتا من النهار فان الليل يخلو فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل والوطء الثبات تقول وطأت الارض بقدمي وفي الجملة عبادة الليل أشد نشاطا وأتم اخلاصا وأكثر بركة وأبلغ في الثواب (ان لك) أي أيها المتعبد أو يا أكرم الخلق ان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الذي هو محل السعي في مصالح الدنيا (سبحا طويلا) أي تصرفا وتقلبا [illegible] في حوائجك وأشغالك والسبح مصدر سبح [illegible] في الحوائج [illegible] فيه وقال القرطبي السبح [illegible] وفرس سابح شديد الجري وقيل السبح الفراغ [illegible] رضي الله عنهما سبحا طويلا [illegible] ناشئة الليل لعبادتك وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه (واذكر اسم ربك) اي الحسن الجميل والمدبر لك بكل ما يكون ذكرا من [illegible] وتسبيح وتحميد وصلاة وقراءة [illegible] وادب [illegible] ودم على ذلك في ليلك ونهارك واحرص عليه [illegible] بالتوحيد والاخلاص [illegible] على [illegible] الآخرة [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] التسبيح والتحميد [illegible] والاخلاص في جميع [illegible] ذلك [illegible] رعاية الفواصل [illegible] لان معنى تبتل نفسه [illegible] الانقطاع ومنه امرأة بتول أي منقطعة عن النكاح [illegible] يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة [illegible] في الآية الكريمة الانقطاع الى عبادة الله تعالى [illegible]

(سبيلا) وان قلت ان جعل اتخذ الى ربه سبيلا جوابا فاين الشرط اذ شاء لا يصلح شرطا له ولذكر مفعوله

الانقطاع عن الناس والجماعات وقيل ان اصله عند العرب التفرد قاله ابن عرفة وقال ابن العربي هذا فيما مضى واما اليوم فقد مرجت عهود الناس وخفت أماناتهم واستولى الحرام على الحطام فالعزلة خير من الخلطة والعزبة أفضل من التأهل ولكن معنى الآية وانقطع عن الاوثان والاصنام وعن عبادة غير الله تعالى وكذلك قال مجاهد رضي الله عنه معناه أخلص له العبادة ولم يرد التبتيل فصار التبتل مأمورا به في القرآن منهيا عنه في السنة ومتعلق الامر غير متعلق النهي فلا يتناقضان وانما بعث ليبين ما أنزل اليهم فالتبتل المأمور به الانقطاع الى الله تعالى باخلاص العبادة كما قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل المنهي عنه هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهب في الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن * ولما كان الواجب على كل أحد شكر المنعم بين سبحانه الذي انعم بسكن الليل الذي أمرنا بالتهجد فيه وبمنتشر النهار الذي أمر بالسبح فيه فقال تعالى (رب المشرق) أي موجد محل الانوار التي بها يمحى هذا الليل الذي أنت قائم فيه ويضيء بها الصباح وعند الصباح يحمد القوم السرى قال العلامة تقي الدين بن دقيق العيد

كم ليلة فيك وصلنا السرى * لا نعرف الغمض ولا نستريح

واختلف الاصحاب ماذا الذي * يزيل من شكواهم أو يريح

فقيل تعريسهم ساعة * وقلت بل ذكراك وهو الصحيح

(والمغرب) أي الذي يكون عنده الليل الذي هو موضع السكن ومحل الخلوة بلذيذ المناجاة ولا مغرب لشمس ولا قمر ولا نجم الا بتقديره (لا اله) أي لا معبود بحق (الا هو) أي ربك الذي دلت تربيته لك على مجامع العظمة وأسمى صفات الكمال والتنزه عن كل شائبة نقص وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وحمزة والكسائي بكسر الباء على البدل من ربك وعن ابن عباس رضي الله عنهما على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول لا احد في الدار الا زيد والباقون برفعها على انه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره لا اله الا هو (فاتخذه) أي خذه بجميع جهدك لذلك بافرادك اياه بكونه (وكيلا) أي عليك من كافلك بان تفوض جميع أمورك اليه فانه يكفيكها كلها فانه المنفرد بالقدرة عليها ولا شيء في يد غيره فلا تهتم بشيء أصلا قال البقاعي وليس ذلك بان يترك الانسان كل عمل فان ذلك طمع فارغ بل بالاجمال في طلب كل ما ندب الانسان الى طلبه ليكون متوكلا في السبب لا من دون سبب فانه يكون حينئذ كمن يطلب الولد من غير زوجة وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الاسباب ولو لم يكن في افراده بالوكالة الا انه يفارق الوكلاء بالعظمة والشرف والرفق من جميع الوجوه فان وكيلك من الناس دونك وانت تتوقع أن يكاملك كثيرا في مصالحك وربك أعظم العظماء وهو يأمرك بان تكلمه كثيرا في مصالحك وتسأله ليلا ونهارا وكل احد من الناس اذا حصل مالك سألك الاجرة وهو سبحانه يوفر مالك ويعطيك الاجر وكل احد من الناس ينفق عليك من مالك وهو سبحانه رزقك وينفق عليك من ماله ومن عمل بهذه الاية عاش حرا كريما ومات خالصا شريفا ولقي الله تعالى عبدا صافيا مختارا نقيا ومن شرط الموحد أن يتوجه الى

الواحد

أو جعل المجموع شرطا فاين الجواب (قلت) معناه فمن شاء النجاة اتخذ الى ربه سبيلا أو فمن شاء ان

الواحد ويقبل عليه ويذل له نفسه ويفوض اليه أمره ويترك التدبير ويثق به ويركن اليه ويتذلل لربوبيته ويتواضع لعظمته (واصبر على ما يقولون) أى المخالفون الفهوم موت من الوكالة من الاذى والسب والاستهزاء ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع من دعواهم وفوض أمرهم الى فانى اذا كنت وكيلك أقوم باصلاح أمرك أحسن من قيامك بأمور نفسك (واهجرهم) أى أعرض عنهم (هجرا جميلا) أى لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافأتهم فان ذلك ترك للدعاء الى الله تعالى وكان هذا قبل الامر بالقتال فانه صلى الله عليه وسلم منع فى أول الاسلام من قتال الكفار وأمر هو وأصحابه بالصبر على اذاهم بقوله تعالى لتبلون فى أموالكم الآية ثم أمر به اذا ابتدؤا بقوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ثم أبيح له ابتداؤه فى غير الاشهر الحرم ثم أمر به مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم (وذرنى) أى اتركنى (والمكذبين) أى لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا أن تخلى بينى وبينهم بأن تكل أمرهم الى وتستكفينيه فان فى ما يفرغ بالك ويجلى همك وليس ثم منع حتى تطلب اليه ان تذره واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كأنه اذا لم يكل اليه أمره فكأنه منعه منه فاذا وكله اليه فقد أزال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفاء بأقصى ما تدور حوله أمنية المخاطب وبما يزيد عليه واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال مقاتل نزلت فى المطعمين يوم بدر وهم عشرة فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقال يحيى بن سلام انهم بنوا لمغيرة وقال سعيد بن جبير أخبرت انهم اثنا عشر رجلا وقال البغوى نزلت فى صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين وقوله تعالى (أولى النعمة) نعت للمكذبين أى أصحاب التنعم والترفه *(فائدة)* النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة (ومهلهم) أى اتركهم برفق وتأن وتدريج ولا تهتم بشأنهم وقوله تعالى (قليلا) نعت لمصدر أى تمهيلا قليلا أو ظرف زمان محذوف أى زمانا قليلا فقتلوا بعد يسير ببدر وقوله تعالى (ان لدينا أنكالا) جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل الذى لا ينفك أبدا وقال الكلبى أغلالا من حديد (وجحيما) أى نارا حامية جدا شديدة الاتقاد مما كانوا يتقلبون به من تبريد الشراب والتنعم برقيق اللباس وتكلف أنواع الراحة (وطعاما ذا غصة) أى يغص به فى الحلق وهو الزقوم أو الضريع أو الغسلين أو الشوك من نار لا يخرج ولا ينزل (وعذابا أليما) أى مؤلما ومعنى الآية ان لدينا فى الآخرة ما يضاد تنعمهم فى الدنيا وهى هذه الامور الاربعة النكال والجحيم والطعام الذى يغص به والعذاب الاليم والمراد به سائر أنواع العذاب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البنانى ويزيد الضبى ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق وقوله تعالى (يوم ترجف) منصوب بالاستقرار المتعلق به لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة فتزلزل (الارض) أى كلها (والجبال) أى التى هى أشدها (وكانت) أى وتكون (الجبال) التى هى مراسى الارض وأوتادها وعبر عن شدة الاختلاط والتلاشى بالتوحيد فقال

تخذ الى ربه سبيلا
يتخذ الى ربه سبيلا كقوله فمن
شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر اى فمن شاء الايمان

تعالى (كثيبا) أي رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ومنه الكثبة من اللبن (مهيلا) قال ابن عباس رملا سائلا يتناثر وقال الكلبي هو الذي اذا أخذت منه شيأ تبعك ما بعده قال القرطبي وأصله مهيول وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب أهيله اهالة وهيلا اذا صببته يقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون ومعين ومعيون قال الشاعر

قد كان قومك يحسبونك سيدا ✽ واخال انك سيد معيون

وقال عليه الصلاة والسلام حين شكوا اليه الجدوبة اتكيلون أم تهيلون قالوا نهيل قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه وأصل مهيل مهيول استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الهاء فالتقى ساكنان فسيبويه واتباعه حذفوا الواو وكانت أولى بالحذف لانها زائدة وان كانت القاعدة أن ما يحذف لالتقاء الساكنين الاول ثم كسروا الهاء لتصح الياء ووزنه حينئذ مفعل والكسائي ومن تبعه حذفوا الياء لان القاعدة حذف الاول كما مر ولما خوف تعالى المكذبين أولى النعمة باهوال يوم القيامة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال تعالى (انا) أي بما لنا من العظمة (ارسلنا اليكم) يا أهل مكة شرفا لكم خاصة والى كل من بلغته الدعوة عامة (رسولا) أي عظيما جدا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وامامهم وأجلهم وأفضلهم قدرا (شاهدا عليكم) أي بما تصنعون ابؤدي الشهادة عند طلبها منه يوم نتزع من كل أمة شهيدا وهو يوم القيامة (كما ارسلنا) أي بما لنا من العظمة (الى فرعون) أي ملك مصر (رسولا) وهو موسى عليه الصلاة والسلام وهذا تهديد لاهل مكة بالاخذ الوبيل قال مقاتل وانما ذكر موسى وفرعون دون سائر الرسل لان أهل مكة ازدروا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفوا به لانه ولد فيهم كما أن فرعون ازدرى بموسى عليه السلام لانه رباه ونشأ فيما بينهم كما قال تعالى حكاية عن فرعون ألم نربك فينا وليدا وذكر الرازي السؤال والجواب قال ابن عادل وهو ليس بالقوي لان ابراهيم عليه السلام ولد ونشأ فيما بين قوم نمروذ وكان آزر وزير نمروذ على ما ذكره المفسرون وكذا القول في هود ونوح وصالح ولوط لقوله تعالى في قصة كل واحد منهم لفظة أخاهم لانه من القبيلة التي بعث اليها انتهى وقد يقال الجامع بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام التربية فان أبا طالب تربى عنده النبي صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام تربى عند فرعون ولم يكن ذلك لغيرهما (فعصى فرعون الرسول) انما عرفه لتقدم ذكره وهذه أل العهدية والعرب اذا قدمت اسما ثم أتوا به ثانيا أتوا به معرفا بال أو أتوا بضميره لئلا يلتبس بغيره نحو رأيت رجلا فاكرمت الرجل أو فاكرمته ولو قلت فاكرمت رجلا لتوهم أنه غير الاول وقال المهدوي ودخلت الالف واللام في الرسول لتقدم ذكره ولذا اختير في أول الكتب سلام عليكم وفي آخرها السلام عليكم ثم تسبب عن عصيانه قوله تعالى (فاخذناه) أي فرعون بما لنا من العظمة وبين انه أخذ قهر وغضب بقوله تعالى (أخذا وبيلا) أي ثقيلا شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل أي شديد قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل أي شديد قاله الاخفش وقال الزجاج اي ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقيل مهلكا والمعنى عاقبناه عقوبة غليظة وفي ذلك تخويف لاهل مكة ثم خوفهم بيوم

فليؤمن ومن شاء الكفر
فليكفر (قوله فاقرؤا
ما تيسر من القرآن) اي في
الصلاة بان تصلوا ما تيسر

القيامة فقال تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم) اى توجدون الوقاية التى تقى انفسكم اذا كفرتم فى الدنيا والمعنى لاسبيل لكم الى التقوى اذا رايتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيامة اذا كفرتم فى الدنيا وقوله تعالى (يوما) مفعول تتقون اى عذابه اى باى حصن تتحصنون من عذاب الله يوم (يجعل الولدان) وقوله تعالى (شيبا) جمع أشيب والاصل فى الشين الضم وكسرت لمجانسة الياء ويقال فى اليوم الشديد يوم يشيب نواصى الاطفال وهو مجاز ويجوز أن يراد فى الآية الحقيقة والمعنى يصيرون شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك وفى رواية والخير فى يديك فينادى بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يارب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها و يشيب الوليد وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ثم قال انتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الابيض او كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار وهى بفتح الراء وسكون القاف الاثر الذى فى بطن عضد الحمار وانى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبر القوم ثم قال ثلث اهل الجنة فكبروا ثم قال شطر اهل الجنة فكبروا وفى هذا اشارة الى الاعتناء بهم لان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفى هذا ايضا حملهم على تجدد شكر الله تعالى وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة ثم وصف هول ذلك اليوم بقوله تعالى (السماء منفطر) أى ذات انفطار اى انشقاق (به) اى بسبب ذلك اليوم لشدته فالباء سببية وجوز الزمخشرى ان تكون للاستعانة فانه قال والباء فى به مثلها فى قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به وقال القرطبى معنى به اى فيه اى فى ذلك اليوم وقيل به اى بالامر اى السماء منفطر بما يجعل الولدان شيبا وقيل منفطر بالله اى بامره *(تنبيه)* انما لم تؤنث الصفة لوجوه منها قال ابو عمرو بن العلاء لانها بمعنى السقف تقول هذا سماء البيت قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا ومنها انها على النسبة اى ذات انفطار نحو امرأة مرضع وحائض اى ذات ارضاع وذات حيض ومنها انها تذكر وتؤنث انشد الفراء

فلو رفع السماء اليه قوما * لحقنا بالسماء وبالسحاب

ومنها انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء فيقال سماءة واسم الجنس يذكر ويؤنث ولهذا قال ابو على الفارسى هو كقوله تعالى منتشر واعجاز نخل منقعر فجاء على احد الجائزين او لان تانيثها ليس بحقيقى وما كان كذلك جاز تذكيره قال الشاعر والهاء بالابعد الجبرى كقول والضمير فى قوله تعالى (كان وعده مفعولا) يجوز ان يكون لله وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا لفاعله و يجوز ان يكون لليوم فيكون مضافا لمفعوله

من الصلاة بما تيسر من القرآن وهذا يرجع الى قول بعضهم ان المراد بالفرق صلوا وان عبر

والفاعل وهو الله تعالى مقدر قال المفسرون كان وعده بالقيامة والحساب والجزاء مفعولا كائنا لا شك فيه ولا خلف وقال مقاتل كان وعده بان يظهر دينه على الدين كله (ان هذه) أى الآيات الناطقة بالوعيد الشديد أو السورة (تذكرة) أى تذكير عظيم هو أهل لان يتعظ به ويعتبر به المعتبر ولاسيما ذكر فيها لاهل الكفر من العذاب * ولما كان سبحانه قد جعل للانسان عقلا يدرك به الحسن والقبيح واختيارا يتمكن به من اتباع ما يريده لم يبق له مانع من جهة اختيار الاصلح والاحسن الا قهر المشيئة التى لا اطلاع له عليها ولا حيلة له فيها ادب عن ذلك قوله تعالى (فمن شاء اتخذ) أى بغاية جهده (الى ربه) أى المحسن اليه خاصة لا الى غيره (سبيلا) أى طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد أمكن له لانه أظهر له الحجج والدلائل قيل نسخت بآية السيف وكذلك قوله تعالى فمن شاء ذكره قال الثعلبى والاشبه أنه غير منسوخ (ان ربك) أى المدبر لامرك على ما يكون احسانا اليك ورفقا بك (يعلم انك تقوم) أى فى الصلاة كما أمرت به أول السورة (ادنى) أى زمانا أقل والادنى مشترك بين الاقرب والادون الانزل رتبة لان كلا منهما يلزم عنه قلة المسافة (من ثلثى الليل) وقرأ (ونصفه وثلثه) ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائى بنصب الفاء بعد الصاد ونصب المثلثة بعد اللام ورفع الهاء فيهما عطف على أدنى والباقون بكسر الفاء والمثلثة وكسر الهاء فيهما ٣ عطف على ضمير تقوم وقيامه كذلك مطابق لما وقع التضمير فيه أول السورة من قيام النصف بتمامه أو الناقص منه وهو الثلث أو الزائد عليه وهو الثلثان أو الاقل من النصف وهو الربع وقوله تعالى (وطائفة من الذين معك) عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تاكيد للفصل وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتاسى به ومنهم من كان لا يدرى كم يصلى من الليل وكم بقى منه فكان يقوم الليل كله احتياطا فقاموا حتى انتفخت اقدامهم سنة واكثر فخفف عنهم بقوله تعالى (والله) أى المحيط بكل شئ قدرة وعلما (يقدر) أى تقديرا عظيما هو فى غاية التحرير (الليل والنهار) أى هو العالم بمقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذى تقومون من الليل والذى تنامون منه (علم ان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى انه (لن تحصوه) أى الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه الا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم (فتاب عليكم) أى رجع بكم الى التخفيف بالترخيص لكم فى ترك القيام المقدر أول السورة وقوله تعالى (فاقرؤا ما تيسر) أى سهل (من القرآن) فيه قولان أحدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة فى الصلاة وذلك ان القراءة احد اجزاء الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم قال الحسن يعنى فى صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن ابى حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ فى اول ركعة بالحمد واول آية من البقرة ثم ركع ثم قام فى الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا فقال ان الله تعالى يقول فاقرؤا ما تيسر منه قال القشيرى والمشهور ان نسخ قيام الليل كان فى حق الامة وبقيت الفريضة فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه بل نسخ بالكلية فلا تجب صلاة الليل اصلا واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن معناه اقرؤا ان تيسر عليكم ذلك وصلوا ان شئتم والقول الثانى ان المراد بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن دراسته وتحصيل حفظه وان لا يعرض للنسيان سواء أكان فى صلاة ام غيرها قال كعب من قرأ فى ليلة

٣ قوله عطف على ضمير تقوم سهو أو سبق قلم وفى الجلال الجر عطف على ثلثى الليل بالجر عطف على ثلثى اه مصححه

فالقراءة عن الصلاة التى هى بعض واجباتها فهو من اطلاق الجزء على الكل وقوله بعد فاقرؤا ما تيسر

مائة آية كتب من القانتين وقال سعيد خمسين آية قال القرطبي قول كعب أصح اه وله صلى الله عليه وسلم من قام بعشر آيات من القرآن لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين خرجه أبو داود والطيالسي وروى أنس ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر فقوله من المقنطرين أي أعطى قنطارا من الاجر وجاء في الحديث أنه ألف ومائتا أوقية والاوقية خير مما بين السماء والارض وقال ابو عبيدة القناطير واحدها قنطار ولا تجد العرب تعرف وزنه ولا واحد للقنطار من لفظه وقال ثعلب المعول عليه عند العرب أنه أربعة آلاف دينار فاذا قالوا قناطير مقنطرة فهي اثنا عشر ألف دينار وقيل ان القنطار ملء جلد ثور ذهبا وقيل ثمانون ألفا وقيل هو جملة كثيرة مجهولة من المال نقله ابن الاثير قال القرطبي والقول الثاني أصح حملا للخطاب على ظاهر اللفظ والقول الاول مجاز لانه من تسمية الشئ ببعض ما هو من أعماله واذا كان ذلك على قيام لا في قدر القراءة فلا دليل فيه على أن الفاتحة لا تتعين في الصلاة بل هي متعينة في كل ركعة لخبر الصحيحين لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب ولخبر لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب رواه ابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما ولفعله صلى الله عليه وسلم كما في مسلم مع خبر البخاري صلوا كما رأيتموني أصلي ويحمل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه مع خبر ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن على الفاتحة أو على العاجز عنها جمعا بين الادلة ولما كان هذا التخفيف لما كان واجبا من قيام الليل اول السورة لعلمه سبحانه بعدم احصائه فسر ذلك العلم المجمل بعلم مفصل بيانا للحكمة أخرى للنسخ فقال تعالى (علم أن) هي مخففة من الثقيلة أي أنه (سيكون) أي بتقدير لابد منه (منكم مرضى) جمع مريض وهذه السورة من أول ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ففي ذلك اشارة بأن أهل الاسلام يكثرون جدا (وآخرون) غير المرضى (يضربون) أي يوقعون الضرب (في الارض) أي يسافرون لان الماشي يجد ويضرب برجله في الارض (يبتغون) أي يطلبون طلبا شديدا (من فضل الله) أي بعض ما أوجده الملك الاعظم لعباده بالتجارة وغيرها (وآخرون) أي منكم أيها المسلمون (يقاتلون) أي يطلبون ويوقعون قتل أعداء الله تعالى ولذلك بينه بقوله تعالى (في سبيل الله) أي الملك الاعظم وكل من الفرق الثلاث يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل وسوى سبحانه في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال لنفقته على نفسه وعياله والاحسان فكان هذا دليلا على ان كسب المال بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن مسعود أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء وقرأ وآخرون الآية وقال ابن عمر ما خلق الله تعالى موتة أموتها بعد الموت في سبيل الله أحب الي من الموت بين

منه تأكيد حثا على قيام الليل بما تيسر

(سورة المدثر)

(قوله غير يسير) فائدة

شعبى رجل ابتغى من فضل الله ضاربا فى الارض وقال طاوس الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وأعاد قوله تعالى (فاقرؤا ما تيسر منه) أى من القرآن للتأكيد (وأقيموا الصلوة) أى المكتوبة وهى خمس بجميع الامور التى تقوم بها من أركانها وشروطها وأبعاضها وهيآتها (وآتوا الزكوة) أى زكاة اموالكم وقال عكرمة وقتادة صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل فعل خير وقال ابن عباس طاعة الله تعالى والاخلاص (وأقرضوا الله) أى الملك الاعلى الذى له جميع صفات الكمال التى منها الغنى المطلق من أبدانكم وأموالكم فى أوقات صحتكم ويساركم (قرضا حسنا) من نوافل الخيرات كلها برغبة تامة وعلى هيئة جميلة فى ابتدائه وانتهائه وقال زيد بن أسلم القرض الحسن النفقة على الاهل وقيل صلة الرحم وقرى الضيف وقال عمر بن الخطاب هو النفقة فى سبيل الله (وما تقدموا لانفسكم) أى خاصة سلفا لاجل ما بعد الموت حيث لا تقدرون على الاعمال (من خير) أى خير كان من عبادات البدن والمال (تجدوه) أى ثوابه وجزاءه لكم (عند الله) أى المحيط بكل شئ قدرة وعلما (هو) أى لا غيره (خيرا) اى لكم وجاز ضمير الفصل بين غير معرفتين لان أفعل منه كالمعرفة ولذلك يمتنع دخول أداة التعريف عليها والمعنى هو خير من الذى تدخرونه الى الوصية عند الموت قاله ابن عباس وقال الزجاج خيرا لكم من متاع الدنيا وروى البغوى باسناده عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيكم ماله أحب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا من أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال انما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر (وأعظم أجرا) قال أبو هريرة يعنى الجنة ويحتمل أن يكون أعظم أجرا الاعطائه بالحسنة أجرا ولما كان الانسان اذا عمل ما يمدح عليه ولا سيما اذا كان المادح له وربما أدركه الاعجاب بنزله أنه لا يقدر بوجه على أن يقدر الله تعالى حق قدره فلا يزال مقصرا فلا يسعه الا العفو فقال عز من قائل (واستغفروا الله) أى اطلبوا أو أوجدوا ستر الملك الاعظم الذى لا تحيطون بمعرفته فكيف باداء حق خدمته لتقصيركم عينا وأثرا بفعل ما يرضيه واجتناب ما يسخطه (ان الله) اى الملك الاعظم (غفور) أى بالغ الستر لاعيان الذنوب وآثارها حتى لا يكون عنها عقاب ولا عتاب (رحيم) اى بالغ الاكرام بعد الستر افضالا واحسانا وتشريفا وامتنانا وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة حديث موضوع

ذكره بعد قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين رفع توهم ان يراد بعسير عسير يرجى تيسيره كما يرجى

سورة المدثر مكية

(وهى خمس او ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف وعشرة أحرف)

(بسم الله) الملك الواحد القهار (الرحمن) الذى عم برحمته الابرار والفجار (الرحيم) الذى خص أصفياءه بجناتهم وصلهم الى دار القرار ولما ختمت المزمل بالبشارة لارباب البشارة بعد ما بدئت بالاجتهاد فى الخدمة المهيئ للقيام باعباء الدعوة افتتحت هذه بمحط حكمة الرسالة

وهي النذارة فقال تعالى (يا أيها المدثر) روى عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق قال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ذلك الذي قلت فقال لي جابر لا أحدثك الا مثل ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت عن خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا على ماء باردا قال فنزل يا أيها المدثر الآية وذلك قبل ان تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه وفيه فاذا هو قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل عليه السلام فأخذتني رجفة شديدة وعن جابر من رواية الزهري عن أبي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر الى قوله فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى أهلي وذكره ثم حمي الوحي وتتابع (فان قيل) ان هذا الحديث دال على أن سورة المدثر اول ما نزل ويعارضه حديث عائشة المخرج في الصحيحين في بدء الوحي وسيأتي في موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث (أجيب) بان الذي عليه العلماء ان أول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرأ باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة ومن قال ان سورة المدثر أول ما نزل من القرآن فضعيف وانما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر ويدل عليه ما في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الى أن قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر ويدل عليه قوله أيضا فاذا الملك الذي جاءني بحراء وحاصله ان أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك وان أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر وبهذا يحصل الجمع بين الحديثين قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي أي احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول وقوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي بثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناهما فزعت منه ورعبت وقوله حمي الوحي وتتابع أي كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرها وقوله وصبوا على ماء باردا فيه انه ينبغي لمن فزع أن يصب عليه الماء ليسكن فزعه واصل المدثر المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ بها وأجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا في معنى مدثر على وجوه أحدها قوله صلى الله عليه وسلم دثروني وثانيها أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما متدثرا بثيابه فجاءه جبريل عليه السلام وايقظه صلى الله عليه وسلم وقال يا أيها المدثر (قم فأنذر) اي حذر الناس من العذاب ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك واترك التدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله عز وجل له

تقسيم العمر من امور الدنيا وقيل فائدته التوكيد (قوله انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم

وثالثها ان الوليد بن المغيرة وابا جهل وابا لهب والنضر بن الحرث اجتمعوا وقالوا ان وفود العرب يجتمعون في ايام الحج وهم يسألون عن امر محمد وقد اختلفتم في الاخبار عنه فمن قائل هو مجنون ومن قائل ساحر وقائل كاهن وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فيستدلون باختلاف الاجوبة على انها اجوبة باطلة فسموا محمدا باسم واحد تجتمعون عليه وتسميه العرب به فقام رجل منهم فقال انه شاعر فلما سمع صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة فانزل الله تعالى يا ايها المدثر وقيل انه ليس المراد التدثر بالثياب وعلى هذا ففيه وجوه ايضا احدها قال عكرمة المعنى يا ايها المدثر بالنبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى وزينه برداء العلم قال ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا بعد اي على القول بانها اول سورة نزلت واما على انها نزلت بعد فترة الوحي فليس ببعيد وثانيها ان المدثر بالثوب يكون كالمختفي فيه وهو صلى الله عليه وسلم كان في جبل حراء كالمختفي من الناس فكأنه قال يا ايها المدثر بدثار الاختفاء قم بهذا الامر واخرج من زاوية الخمول واشتغل بانذار الخلق والدعوة الى معرفة الحق وثالثها انه تعالى جعله رحمة للعالمين فكأنه قيل له يا ايها المدثر باثواب العلم العظيم والخلق الكريم والرحمة الكاملة قم فانذر عذاب ربك وعلى كلا القولين في ندائه بذلك ملاطفة في الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصفته ولم يقل يا محمد (وربك) اي خاصة (فكبر) اي عظمه عما يقول عبدة الاوثان ووصفه بانه اكبر من ان تكون له صاحبة او ولد وفي الحديث انهم قالوا بم تفتتح الصلاة فنزل وربك فكبر اي صفه بانه اكبر قال ابن العربي وهذا القول وان كان يقتضي بعمومه تكبير الصلاة فانه يراد به تكبير التقديس والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه ولا يتخذوا وليا غيره ولا يعبدوا سواه وروي ان ابا سفيان قال يوم احد اعل هبل وهو اسم صنم كان لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلى واجل وقد صار هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة وذكرا بقول الله اكبر وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق في موارد منها قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه ومن موارده اوقات الاهلال بالله تعالى تخليصا له من الشرك واعلاما باسمه بالنسك وافراد الماشرع من امره بالسك والمنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم في التكبير في الصلاة هو لفظ الله اكبر وقال المفسرون لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر فكبرت خديجة رضي الله تعالى عنها وفرحت وعلمت انه وحي من الله تعالى ذكره القشيري قال مقاتل هو ان يقال الله اكبر وقيل المراد منه التكبير في الصلاة (واستشكل) ذلك على القول بانها اول سورة نزلت فانه الصلاة لم تكن فرضت (واجيب) بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان له صلوات تطوع فامر ان يكبر فيها * (تنبيه) * دخلت الفاء في قوله تعالى فكبر وفيما بعده لافادة معنى الشرط كانه قيل وما يكن فكبر ربك او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به (وثيابك فطهر) اي من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة لا تصح الا بها وهي

قيل كيف قدر) ذكر وقدر ثلاث مرات وقيل كيف قدر مرتين لان المعنى ان الوليد فكر في شان النبي

الاولى والاحب فغير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا قال الرازي اذا حملنا التطهير على حقيقته ففي الآية ثلاثة احتمالات الاول قال الشافعي المقصود من الآية الاعلام بأن الصلاة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس وثانيها روى انهم القوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلى شاة فشق عليه فرجع الى بيته حزينا وتدثر في ثيابه صلى الله عليه وسلم فقيل يا أيها المدثر قم فانذر ولا تمنعك تلك السفاهة عن الانذار وربك فكبر عن ان لا ينتقم منهم وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات وثالثها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان المشركون لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فأمره الله تعالى أن يصون ثيابه عنها وقيل هو أمر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة قال صلى الله عليه وسلم ازار المؤمن الى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من ذلك ففي النار فجعل صلى الله عليه وسلم الغاية في لباس الازار الكعب وتوعد على ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون أذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بأيديهم وهذه حالة الكبر وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء وفي رواية من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ان أحد شقي ازاري يسترخي الا أن أتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكنى به عنه الا ترى الى قولهم أعجبني زيد ثوبه كما تقول أعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب أن من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وأبى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شئ وقال عكرمة سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا على غدر قال أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

واني بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء طاهر الثياب ويقولون في غادر انه لدنس الثياب وقال أبي بن كعب لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على اثم البسها وأنت بر طاهر وقال الحسن والقرطبي وخلقك فحسن وقال سعيد بن جبير وقلبك وبيتك فطهر وقال مجاهد وابن زيد وعملك فاصلح وروى منصور عن أبي رزين قال يقول وعملك أصلح قال واذا كان الرجل خبيث العمل قالوا انه لنجس الثياب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات عليهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي وقيل المراد بالثياب الاهل أي طهرهم من الخطايا بالموعظة والتأديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا قال تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وقيل المراد به الدين أي ودينك فطهر جاء في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال رأيت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك ورأيت عمر بن الخطاب

صلى الله عليه وسلم وما أتى به وقدر ماذا عليكم ان يقول فيما قال الله فقيل كيف قدر أي على أي حال كان تقديره فالتقدير الاول مغاير

وعليه ازار يجره قالوا يارسول الله فما بال ذلك قال الدين وقوله تعالى (والرجز) فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالاوثان (فاهجر) أى دم على هجره وقيل الزاى فيه منقلبة عن السين والعرب تعاقب بين السين والزاى لقرب مخرجيهما ودليل هذا التأويل قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وروى عن ابن عباس ان معناه اترك المآثم وقرأ حفص بضم الراء والباقون بكسرها وهما لغتان ومعناهما واحد وقال أبو العالية الرجز بضم الراء الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية وقال الضحاك يعنى الشرك وقال الكلبى يعنى العذاب قال البغوى ومجاز الآية اهجر ما أوجب لك العذاب من الاعمال وقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) مرفوع منصوب المحل على الحال أى لا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا واجعله خالصا لله تعالى ولا تطلب عوضا أصلا ومعنى تستكثر أى طالبا للكثرة كارها أن ينقص المال بسبب العطاء فيكون الاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض كيف كان ليكون عطاؤه صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس اليه وقيل لا تعط شيأ طالبا للكثير نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ وهو يطمع أن يعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر الآية لان الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الاخلاق والثانى أنه نهى تنزيه لا تحريم له ولامته وقيل انه تعالى لما أمره بأربعة أشياء انذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجر الرجز ٣ ثم قال ولا تمنن تستكثر أى لا تمنن على ربك بهذه الاعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله (ولربك فاصبر) أى على الاوامر والنواهى متقربا بذلك اليه غير ممتن به عليه وقال الحسن بحسناتك تستكثرها وقال ابن عباس ولا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم من أمر الدين والوحى مستكثرا بذلك الانعام فانك انما فعلت ذلك بأمر الله تبارك وتعالى فلا منة لك به عليهم ولهذا قال تعالى ولربك فاصبر وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك لتستكثر أى لتأخذ منهم أجرا على ذلك تستكثر به مالك وقال مجاهد والربيع لا تعظم عملك فى عينك أن تستكثر من الخير فانه مما أنعم الله تعالى به عليك وقال ابن كيسان لا تستكثر عملك فتراه من نفسك انما عملك منة من الله تعالى عليك اذ جعل لك الله تعالى سبيلا الى عبادته وقال زيد بن اسلم اذا أعطيت عطية فاعطها لربك لا تقل دعوت فلم يستجب لى وقيل لا تفعل الخير لترائى به الناس ولما ذكر تعالى ما يتعلق بارشاد النبى صلى الله عليه وسلم ذكر بعده وعيد الاشقياء بقوله تعالى (فاذا نقر) أى نفخ (فى الناقور) أى فى الصور وهو القرن النفخة الثانية فاعول من النقر أى التصويت وأصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال تعالى اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك وأعداؤك عاقبة ضرهم واذ ظرف لما دل عليه قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير وقرأ على الكافرين واصحاب النار ابو عمرو والدورى عن الكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين والباقون بالفتح ولما كان العسر قد يطلق على

للثانى والثالث لاختلاف المقدر وقوله ثم قتل كيف قدر كرره للمبالغة فهو تأكيد ولزم منه ان قدر الثالث تأكيد للثانى وان قيل

٣ قوله ثم قال الظاهر اسقاط ثم اه مصححه

الشئ وفيه يسر من بعض الجهات أو يعالج ثم يرجع يسيرا بين أنه ليس كذلك بقوله تعالى (غير يسير) فجمع فيه بين اثبات الشئ ونفي ضده تحقيقة الامر ودفعا للمجاز عنه وتقييده بالكافرين يشعر بيسره على المؤمنين فانهم لا يناقشون الحساب ويحشرون بيض الوجوه ثقال الموازين قال الرازي ويحتمل أنه عسير على المؤمنين والكافرين الا أنه على الكافرين أشد *(تنبيه)* قال الحليمي سمي الصور باسمين فان كان هو الذي ينفخ فيه النفختان فان نفخة الاصعاق بخلاف نفخة الاحياء وجاء في الاخبار أن في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانما تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى (ذرني) أي اتركني على أي حالة اتفقت (ومن خلقت) معطوف على المفعول أو مفعول معه وقوله تعالى (وحيدا) فيه أوجه أحدها انه حال من الياء في ذرني اى ذرني وحدي معه فانا أكفيك في الانتقام منه الثاني أنه حال من التاء في خلقت أي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد فانا أهلكه الثالث أنه حال من عائد المحذوف أي خلقته وحيدا فوحيدا على هذا حال من ضمير المفعول المحذوف أي خلقته في بطن أمه وحيدا لا مال له ولا ولد ثم أعطيته بعد ذلك ما أعطيته قاله مجاهد الرابع أن ينتصب على الذم لانه يقال ان وحيدا كان لقبا للوليد بن المغيرة المخزومي ومعنى وحيدا ذليلا قيل انه كان يزعم انه وحيد في فضله وماله وليس في ذلك ما يقتضي صدق مقالته لان هذا اللقب له شهرة به وقد يلقب الانسان بما لا يتصف به واذا كان لقبا تعين نصبه على الذم قال ابن عباس كان الوليد يقول أنا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي المغيرة نظير قال الرازي ورد هذا القول بعضهم بانه تعالى لا يصدقه في دعواه تلك بانه وحيد لا نظير له ذكره الواحدي وهو ضعيف من وجوه ثلاثة لانه قد يكون الوحيد علما فيزول السؤال لان اسم العلم لا يفيد في المسمى صفة بل هو قائم مقام الاشارة الثاني أن يكون ذلك بحسب ظنه واعتقاده كقوله عز وجل ذق انك أنت العزيز الكريم الثالث أنه وحيد في كفره وعناده وخبثه لان لفظ الوحيد ليس فيه أنه وحيد في العلو والشرف الرابع قال أبو سعيد الوحيد الذي لا أب له كما تقدم في الزنيم (وجعلت له) أي باسباب أوجدتها أنا وحدي لا بحول منه ولا قوة بدليل أن غيره أقوى منه بدنا وقلبا وأوسع فكرا وعقلا وهو دونه في ذلك (مالا ممدودا) أي مالا واسعا كثيرا قال ابن عباس هو ما كان للوليد بمكة والطائف من الابل والبقر والغنم والخيول والجنان والعبيد والجواري واختلفوا في مبلغه فقال مجاهد وسعيد بن جبير ألف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثوري مرة أربعة آلاف دينار ومرة الف ألف دينار وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وقال الرازي الممدود هو الذي يكون له مدد يأتي منه الجزء بعد الجزء دائما ولذلك فسره عمر بغلة شهر بشهر وقال النعمان الممدود بالزيادة كالزروع والضروع وانواع التجارات وقال مقاتل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا (وبنين) اى وجعلت له بنين (شهودا) اى حضورا معه لغناهم عن الاسفار بكثرة المال وانتشار الخدم وقوة الاعوان وهم مع حضورهم في الذروة من الحضور بتمام العقل وقوة الحذق فهم في غاية المعرفة ومع ذلك

الثانى تأكيد للاول وثم للدلالة على ان مدخولها ابلغ مما قبلها وقيل المراد بالقتل الاول لعن الوليد وتعذيبه فهو مغاير للثانى

فهم أعيان المجالس وصدور المحافل كأنه لا شاهد به غيرهم قال مجاهد وقتادة كانوا عشرة وقال السدي والضحاك كانوا اثني عشر رجلا وعن الضحاك سبعة ولدوا بمكة وخمسة بالطائف وقال مقاتل كانوا سبعة والله اقتصر على من ولد بمكة وعلى كل قول اسلم منهم ثلاثة خالد الذي من الله تعالى على المسلمين باسلامه فكان سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم وهشام وعمارة (ومهدت) اى بسطت (له) العيش والعمر والولد والتمهيد عند العرب التوطئة والتهيئة ومنه مهد الصبي وقال ابن عباس اى وسعت له ما بين اليمن الى الشام وعن مجاهد انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش فلم يرع هذه النعمة العظيمة وقوله تعالى (تمهيدا) تأكيد (ثم) اى بعد الامر العظيم الذي ارتكبه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (يطمع) اى بغير سبب يدلى به مما جعلناه سبب المزيد من الشكر (ان أزيد) اى فيما آتيته في دنياه او في آخرته وهو يكذب رسولنا صلى الله عليه وسلم وقال الحسن ثم يطمع أن ادخله الجنة وكان الوليد يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي فقال الله تعالى ردا عليه وتكذيبا له (كلا) اى وعزتنا وجلالنا لا تكون له زيادة على ذلك أصلا وأما النقصان فسيرى ان استمر على تكذيبه فليرتدع عن هذا الطمع ولينزجر ولم يتجع فانه حق محض وزخرف بحت وغرور صرف قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك فقيرا *(تنبيه)* كلا قطع للرجاء عما كان يطمع فيه من الزيادة فيكون متصلا بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا ويبتدأ بقوله تعالى (انه) اى هذا الموصوف (كان) اى بخلق كأنه جبلة له وطبع لا يقدر على الانفكاك عنه (لآياتنا) على ما لها من العظمة خاصة لكونها هادية الى الوحدانية لا الى غيرها من الشبه القائدة الى الشرك (عنيدا) قال قتادة اى جاحدا وقال مقاتل معرضا وقال مجاهد انه المجانب للحق وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف والعنيد بمعنى المعاند والعناد كما قال الملوي من كبر في النفس ويبس في الطبع وشراسة في الاخلاق او خبل في العقل وقد جمع ذلك كله ابليس لعنه الله تعالى لانه خلق من نار وهي من طبعها اليبوسة وعدم الطواعية *(تنبيه)* في الآية اشارة الى ان الوليد كان معاندا في امور كثيرة منها انه كان يعاند في دلائل التوحيد وصحة النبوة وصحة البعث ومنها ان كفره كان عنادا لانه كان يعرف هذه الاشياء بقلبه وينكرها بلسانه وكفر العناد أفحش انواع الكفر ومنها ان قوله تعالى كان يدل على ان هذه حرفته من قديم الزمان (سأرهقه) اى اكلفه (صعودا) اى مشقة من العذاب لا راحة له فيها وروى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي وفي رواية انه كلما وضع يده في معالجة الصعود ذابت فاذا رفعها عادت وكذا رجله وقال الكلبي انه صخرة ملساء في النار يكلف ان يصعدها يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها في اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها اسقط الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها فذلك دأبه أبدا (انه) اى هذا العنيد (فكر) اى ردد فكره وادارة تابعا لهواه لاجل الوقوع على شئ يطعن به في القرآن او النبي صلى الله عليه وسلم (وقدر) اى اوقع تقدير الامور التي يطعن بها وقاسها في نفسه لعلمه أنها أقرب الى القبول وذلك ان الله تعالى لما أنزل

(قوله لا تبقى ولا تذر) قيل معناهما واحد اى لا تبقى لهم لحما ولا تذر الا كذا من لحم ولا عصب الا اهلكته ثم يعود

على النبي صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله تعالى المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالى اراك حزينا يا ابن اخي قال وما يمنعني أن لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وأنك داخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة تنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم انى من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع ابي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن فقالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو ففكر في نفسه وقدر ما أمر قال الله تعالى (فقتل) اى هلك وطرد ولعن في دنياه هذه (كيف قدر) اى على اى كيفية اوقع تقديره هذ (ثم قتل) اى هلك ولعن هذا العنيد هلاكا ولعنا هو في غاية العظمة فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة (كيف قدر) فثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله

ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ومعنى قول القائل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره للاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك واما ثم المتوسطة بين الافعال التي بعدها فهي للدلالة على انه تأنى في التأمل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد وقوله تعالى (ثم نظر) عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما والنظر اما في وجوه قومه واما فيما يقدح به في القرآن (ثم عبس) اى قبض وجهه وكلحه ونظر مع تقبض جلد وما بين العينين بكراهة شديدة كالمهتم للتفكر في شيء وهو لا يجد فيه فرجا لانه ضاقت عليه الحيل لكونه لم يجد فيما يجاب به النبي صلى الله عليه وسلم مطعنا وقيل عبس وجهه في وجوه المؤمنين وذلك انه لما قال لقريش ان محمدا ساحر مر على جماعة من المسلمين تدعوه الى الاسلام فعبس في وجوههم وقيل عبس على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه (وبسر) اى زاد في القبض والكلح يقال وجه باسر اى منقبض اسود كالح متغير اللون قاله قتادة (ثم) اى بعد هذا التروي العظيم (ادبر) اى عما ادّاه اليه فكره من الايمان بسلامة المقاورنيه وعلوه عن المطاعن فحاد عن وجوه الافكار الى اقفيتها (واستكبر) اى اوجد الكبر عن الاعتراف بالحق ايجاد من هو في غاية الرغبة فيه (فقال) اى عقب ما جره اليه طبعه الخبيث من ايقاع الكبر على هذا الوجه لكونه رآه نافعا لهم في الدنيا (ان) اى ما (هذا) اى الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم (الا سحر) اى امور تخييلية لا حقائق لها رهي لدقتها بحيث تخفى اسبابها اما رأيتموه

كما كان وقيل متغايران اى لا تبقى لهم لحما ولا تذر لهم عظما ولا تبقيهم احياء ولا تذرهم أمواتا (قوله

يفرق بين الرجل وأهله وماله وولده ومواليه فما هو الا سحر (يؤثر) اى من شأنه ان ينقله السامع عن غيره فهو ينقله من مسيلمة وأهل بابل كما قال (ان) اى ما (هذا) اى القرآن (الا قول البشر) اى ليس فيه شئ عن الله تعالى فلا يغتر أحد به ولا يعرج عليه فارتج النادى فرحا ثم تفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه قيل وهذا شبيه بما قال بعضهم

لو قيل كم خمس وخمس لاغتدى * يوما وليلته يعد ويحسب
ويقول معضلة عجيب أمرها * ولئن فهمت لها الامرى أعجب
خمس وخمس ستة او سبعة * قولان قالهما الخليل وثعلب

فكان قوله هذا سبب هلاكه فكان كما قال بعضهم

احفظ لسانك ايها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقوله تعالى (سأصليه) اى أدخله (سقر) اى جهنم بوعد لا بد منه عن قريب بدل من سأرهقه صعودا وقوله تعالى (وما أدراك ما سقر) تعظيم لشأنها وقوله تعالى (لا تبقى ولا تذر) بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى شيأ يلقى فيها الا أهلكته فاذا أهلكته لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقى على شئ ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة وسميت سقر من سقرته الشمس اذا أذابته ولا تنصرف للتعريف والتأنيث قال ابن عباس سقر اسم للطبقة السادسة فان دركات النار سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير والجحيم وسقر والهاوية (لواحة) من لوح الهجير قال

تقول ما لاحك يا مسافر * يا ابنة عمى لاحنى الهواجر

(للبشر) اى محرقة لظاهر الجلد فتدعه أشد سوادا من الليل قال تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون والبشر اعالى البشرة وهو جمع بشرة وجمع البشر أبشار وعن الحسن تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقيل اللوح شدة العطش يقال لاحه العطش ولوحه اى غيره وقال الاخفش والمعنى انها معطشة للبشر اى لاهلها وأنشد

سقتنى على لوح من الماء شربة * سقاها من الله الرهام الغواديا

يعنى باللوح شدة العطش والرهام جمع رهمة بالكسر وهى المطرة الضعيفة وأرهمت السحابة أتت بالرهام (عليها تسعة عشر) اى من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر وقيل التسعة عشر نقباء وقال أكثر المفسرين تسعة عشر ملكا باعيانهم وقيل تسعة عشر الف ملك قال ابن جريج نعت النبى صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال اعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصى وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم قال عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم اكثر من ربيعة ومضر قال ابن الاثير الصياصى قرون البقر قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبى كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم يعنى الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة

عليها تسعة عشر) ان قلت لاى معنى خص عدد خزنة جهنم بتسعة عشر (قلت) لانه موافقة

جهنم فقال أبو الاشد بن كلدة بن خلف الجمحي أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني أنتم اثنين وروي أنه قال أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الأيمن وسبعة بمنكبي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة فأنزل الله عز وجل (وما جعلنا) أي بما لنا من العظمة وإن خفي وجه العظمة فيه على من عمي قلبه (أصحاب النار) أي خزنتها (إلا ملائكة) أي لم نجعلهم رجالا فتتعالوا بهم وإنما جعلناهم ملائكة لأنهم خلاف جنسي الفريقين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرحمة والرأفة ولأنهم أشد بأسا وأقوى بطشا فقوتهم أعظم من قوة الإنس والجن ولذلك جعل الرسول إلى البشر من جنسهم ليكون لهم رأفة ورحمة بهم (فإن قيل) ثبت في الأخبار أن الملائكة مخلوقون من النور فكيف تطيق المكث في النار (أجيب) بأن الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما أنه لا استبعاد في أنه يبقى الحي في مثل ذلك العذاب الشديد أبد الآباد ولا يموت فكذا لا استبعاد في إبقاء الملائكة هناك من غير ألم (وما جعلنا) أي بما لنا من العظمة (عدتهم) أي مذكورة ومحصورة (إلا فتنة) أي بلية (للذين كفروا) وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضلالة وفتنة مفعول ثان على حذف مضاف أي إلا سبب فتنة وللذين صفة فتنة وليست فتنة مفعولا له وقول البيضاوي وما جعلنا عددهم إلا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر تبعا للزمخشري قال أبو حيان إنه تحريف لكتاب الله إذ زعم أن معنى إلا فتنة للذين كفروا إلا تسعة عشر وهذا لا يذهب إليه عاقل ولا من له أدنى ذكاء وقال الرازي إنما صار هذا العدد سببا لفتنة الكفار من وجهين الأول أن الكفار يستهزؤن ويقولون لم لا يكونون عشرين وما المقتضي لتخصيص هذا العدد والثاني أن الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب أكثر العالم من الجن والإنس من أول ما خلق الله إلى قيام الساعة (وأجيب) عن الأول بأن هذا السؤال لازم على كل عدد يفرض وعن الثاني بأنه لا يبعد أن الله تعالى يرزق ذلك العدد القليل قوة تفي بذلك فقد اقتلع جبريل عليه السلام مدائن قوم لوط على أحد جناحيه ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأيضا فأحوال القيامة لا تقاس بأحوال الدنيا ولا للعقل فيها مجال وذكر أرباب المعاني في تقرير هذا العدد وجهين أحدهما ما قاله أرباب الحكمة أن سبب فساد النفس الإنسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية هي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب فهذه اثنا عشر وأما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسعة عشر فلما كانت هذه منشآت لا جرم كان عدد الزبانية هكذا ثانيها أن أبواب جهنم سبعة ستة منها للكفار وواحد للفساق ثم إن الكفار يدخلون النار لأمور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الإقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الأبواب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر وأما باب الفساق فليس هناك إلا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر وقوله تعالى (ليستيقن الذين) متعلق بجعلنا لا بفتنة وقيل بفعل مضمر أي فعلنا ذلك ليستيقن الذين (أوتوا الكتاب) أي أعطوا التوراة والإنجيل فإنه مكتوب فيهما أنه تسعة عشر فذلك موافقة

لعدد أسباب فساد النفس الانسانية وهي القوى الانسانية والطبيعة اذ القوى الانسانية اثنا عشرة الحسة الظاهرة

لما عندهم (ويزداد الذين آمنوا) أي من أهل الكتاب (ايمانا) أي تصديقا لموافقة النبي صلى الله عليه وسلم لما في كتبهم (ولا يرتاب) أي يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) في عددهم (فان قيل) قد أثبت الاستيقان لأهل الكتاب وزيادة الايمان للمؤمنين فما فائدة ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون (أجيب) بان الانسان اذا اجتهد في أمر غامض دقيق الحجة كثير الشبه فحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك فاثبات اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك ففائدة هذه الجملة نفي ذلك الشك وانه حصل لهم يقين جازم لا يحصل عقبه شك البتة (وليقول الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق وان قل ونزول هذه السورة قبل وجود المنافقين فهو علم من أعلام النبوة فانه اخبار بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة ولا ينكر جعل الله تعالى بعض الامور علة لاصلاح ناس وفساد آخرين لانه لا يسئل عما يفعل على أن العلة قد تكون مقصودة لشئ بالقصد الاول ثم يترتب عليها شئ آخر يكون قصده بالقصد الثاني تقول خرجت من البلد لمخافة الشر ومخافة الشر لا يتعلق بها الغرض (والكافرون) أي ويقول الراسخون في الكفر الجاهرون بالتكذيب الساترون لما دلت عليه الادلة من الحق (ماذا) أي أي شئ (أراد الله) أي الملك الذي له جميع العظمة (بهذا) أي العدد القليل في جنب عظمته (مثلا) قال الجلال المحلي سموه لغرابته بذلك وأعرب حالا وقال الليث المثل الحديث ومنه مثل الجنة التي وعد المتقون أي حديثها والخبر عنها وقال الرازي انما سموه مثلا لانه لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم أنه ربما لم يكن مراد الله تعالى منه ما أشعر به ظاهره بل جعله مثلا لشئ آخر وتنبيها على مقصود آخر لا جرم سموه مثلا على سبيل الاستعارة لانهم لما استغربوه ظنوا انه ضرب مثلا لغيره ومثلا تمييز أو حال وتسمية هذا مثلا على سبيل الاستعارة لغرابته * ولما كان التقدير اراد بهذا اضلال من ضل وهو لا يبالي وهداية من اهتدى وهو لا يبالي كان كأنه قيل هل يفعل مثل ذلك في غير هذا فقال تعالى (كذلك) أي مثل هذا المذكور من الاضلال والهداية (يضل الله) أي الذي له مجامع العظمة ومعاقد العز (من يشاء) بأي كلام شاء كاضلال الله تعالى أبا جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم (ويهدي) بقدرته التامة (من يشاء) بنفس ذلك الكلام او بغيره كهداية أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الآية تدل على مذهب أهل السنة لانه تعالى قال في اول الآية وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الخ ثم قال تعالى كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء (وما يعلم جنود ربك) أي المحسن اليك بانواع الاحسان المدبر لامرك (الا هو) أي الله سبحانه وتعالى قال مقاتل رضي الله عنه وهذا جواب لابي جهل حيث قال أما لمحمد اعوان الا تسعة عشر وقال مجاهد رضي الله عنه وما يعلم جنود ربك يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار ولا يعلم عدتهم الا الله تعالى والمعنى أن تسعة عشر هم خزنة النار ولهم من الاعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلم عدتهم الا الله تعالى ولو أراد لجعل الخزنة اكثر من ذلك فقد روى أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا تعود اليهم نوبة أخرى

والحسية الباطنة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية الجاذبة والماسكة والهاضمة

وروى أن الارض فى السماء كحلقة ملقاة فى فلاة وكل سماء فى التى فوقها كذلك وورد فى الخبر أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع وفى رواية موضع قدم الا وفيه ملك قائم يصلى وفى رواية ساجد وانما خص هذا العدد لحكم لا يعلمها الا هو * ثم رجع الى ذكر سقر فقال تعالى (وما هى) اى النار التى هى من أعظم جنوده (الا ذكرى للبشر) اى ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله وأنه سبحانه لا يحتاج الى أعوان وأنصار وللبشر مفعول بذكرى واللام فيه مزيدة وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بين بين والباقون بالفتح وقوله تعالى (كلا) ردع لمن أنكرها أو انكار لان يتذكروا بها قاله البيضاوى وقال البغوى هذا قسم يقول حقا وقال الجلال المحلى استفتاح بمعنى الا (والقمر) اى الذى هو آية الليل الهادية من ضل فى ظلامه (والليل اذ أدبر) اى مضى فانقلب راجعا من حيث جاء فانكشف ظلامه وقرأ نافع وحمزة وحفص بسكون الذال المعجمة والدال المهملة بعدها همزة قطع مفتوحة بين المعجمة والمهملة الساكنين والباقون بفتح الذال المعجمة وبعدها ألف وفتح المهملة بعد الالف فالقراءة الاولى اذ أدبر والثانية اذا دبر وكلاهما لغة يقال دبر الليل وأدبر اذا ولى مدبرا اذا هبا قال أبو عمرو ودبر لغة قريش وقال قطرب دبر اى أقبل تقول العرب دبرنى فلان اى جاء خلفى فالليل يأتى خلف النهار وقوله تعالى (والصبح اذا أسفر) اى أضاء وتبين وقوله تعالى (انها لاحدى الكبر) جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك القواصع فى جمع القاصعاء كأنها جمع قاصعة اى لاحدى البلايا والدواهى الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة فى العظم لا نظير لها كما تقول هو أحد الرجال وهى احدى النساء وقوله تعالى (نذيرا) تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهى انذارا كما تقول هى احدى النساء عفافا وقيل هى حال وقيل هو متصل باول السورة اى قم نذيرا (للبشر) قال الزمخشرى وهو من بدع التفاسير وقوله تعالى (لمن شاء) اى بارادته (منكم) بدل من البشر (أن يتقدم) اى الى الخير أو الى الجنة بالايمان (أو يتأخر) اى الى الشر أو النار بالكفر (كل نفس) اى ذكرا أو أنثى من العموم (بما كسبت) اى خاصة لا بما كسب غيرها (رهينة) اى مرهونة مأخوذة وليست بتأنيث رهين فى قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة

أبعد الذى بالنعف نعف كويكب ۞ رهينة رمس ذى تراب وجندل

كأنه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا أصحاب اليمين) وهم المؤمنون فانهم فكوا رقابهم بايمانهم وبما أحسنوا من أعمالهم وقيل هم الملائكة وروى عن على أنهم أطفال المسلمين وقال مقاتل رضى الله عنه هم أهل الجنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق حين قال لهم الله هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وعنه أيضا هم الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم وقال الحسن رضى الله عنه هم المسلمون المخلصون وقال القاسم كل نفس مأخوذة بكسبها

والدافعة والغاذية والنامية والمولدة والمجموع تسعة عشر

بخير أو شر الا من اعتمد على الفضل فكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ ولما أخرجهم من حكم الارتهان الذي أطلق على الاهلاك لانه سببه استأنف بيان حالهم فقال تعالى (في جنات) أي بساتين في غاية العظم لانهم أطلقوا أنفسهم وفكوا رقابهم فلم يرتهنوا (يتساءلون) أي فيما بينهم يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم (عن المجرمين) أي عن أحوالهم ويقولون لهم بعد اخراج الموحدين من النار (ما) محتملة للاستفهام والتعجب والتوبيخ (سلككم) أي أدخلكم أيها المجرمون ادخالا هو في غاية الضيق حتى كأنكم السلك في الثقب وقرأ السوسي بادغام الكاف في الكاف والباقون بالاظهار (في سقر) اجابوا بأن (قالوا لم نك من المصلين) أي صلاة يعتد بها فكان هذا تنبيها على أن رسوخ القدم في الصفة مانع من مثل حالهم وعلى أنهم معاقبون على فروع الشريعة وان كانت لا تصح منهم فلو فعلوها قبل الايمان لم يعتد بها وعلى أن الصلاة أعظم الاعمال وأن الحسنات بهاته تتم على غيرها (ولم نك نطعم المسكين) أي نعطيه مما يجب علينا عطاؤه (وكنا نخوض) أي نوجد الكلام الذي هو في غير مواقعه ولا علم لنا به ايجاد الشيء من الخائض في ماء غمر (مع الخائضين) بحيث صار لنا عادة وصفة راسخة فنقول في القرآن انه سحر وانه شعر وانه كهانة وغير هذا من الاباطيل لا نتورع عن شيء من ذلك ولا نقف مع عقل ولا نرجع الى صحيح نقل فليحذر الذين يبادرون الى الكلام في كل ما يسئلون عنه من أنواع العلم من غير تثبت منزلتهم من هنا (وكنا نكذب) أي بحيث صار ذلك وصفا ثابتا (بيوم الدين) أي يوم البعث والجزاء (حتى أتانا اليقين) أي الموت أو مقدماته الذي قطعنا عن دار العمل قال الله تعالى حتى يأتيك اليقين (فان قيل) لم أخر التكذيب وهو أخس الخصال (أجيب) بأنهم بعد اتصافهم بتلك الامور الثلاثة كانوا مكذبين بيوم الدين والغرض تعظيم الذنب كقوله تعالى كان من الذين آمنوا ولما أقروا على أنفسهم بما وجب له العذاب الدائم وكانوا ممن لا مزاجر له تسبب عنه قوله تعالى (فما تنفعهم) أي في حال اتصافهم بهذه الصفات (شفاعة الشافعين) أي لا شفاعة لهم فلا انتفاع بها وليس المراد أن ثم شفاعة غير نافعة كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذه الآية تدل على صحة الشفاعة للمذنبين من المؤمنين فهو مهالا تخصيص هؤلاء بانهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يشفع نبيكم عليه الصلاة والسلام رابع أربعة جبرائيل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم يقال لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فهؤلاء الذين في جهنم (فما لهم عن التذكرة معرضين) أي فما لأهل مكة قد أعرضوا وولوا عن القرآن قال مقاتل رضي الله عنه معرضين عن القرآن من وجهين أحدهما الجحود والانكار والثاني ترك العمل بما فيه وقيل المراد بالتذكرة العظة بالقرآن وغيره من المواعظ ومعرضين حال من الضمير المجرور الواقع خبرا عن ما الاستفهامية ومثل هذه الحال تسمى حالا لازمة وعن التذكرة متعلق به أي أي شيء حصل لهم في اعراضهم

(سورة القيامة)

(قوله فاذا قرأناه) اى بقراءة جبريل عليك (قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)* (ان قلت)

عن الاتعاظ (كأنهم) فى اعراضهم عن التذكرة من شدة النفور (حمر) اى من حمر الوحش وهى أشد الاشياء نفارا ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب فى وصف الابل بسرعة السير بالحمر عدوها اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص (مستنفرة) اى موجدة للنفار بغاية الرغبة حتى كأنها تطلبه من أنفسها لانه شأنها وطبعها وقرأ ابن عامر ونافع بفتح الفاء على انه اسم مفعول اى نفرها القناص والباقون بكسرها بمعنى نافرة (فرت من قسورة) قال مجاهد رضى الله عنه هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها لا واحد له من لفظه وهى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه هو القناص وعن زيد بن أسلم من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة وعن أبى المتوكل هى لغط القوم وأصواتهم وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حبال الصيادين وقال أبو هريرة رضى الله عنه هى الاسد وهو قول عطاء والكلبى وذلك ان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت كذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا وعن عكرمة رضى الله عنه ظلمة الليل ويقال لسواد الليل قسورة وفى تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما فى قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ✽ ولما كان الجواب ليس الاشئ مما هم فى اعراضهم هذا ضرب عنه بقوله تعالى (بل يريد) اى على دعواهم فى زعمهم (كل امرئ منهم) اى المعرضين من ادعائه الكمال فى المروءة (أن يؤتى) اى من السماء (صحفا) اى قراطيس مكتوبة (منشرة) اى مفتوحة وذلك ان أبا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين الى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك ونظيره ولن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته من النار وقال الكلبى رضى الله عنه ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا أن الرجل من بنى اسرائيل كان يصبح مكتوبا عند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه فما لنا لا نرى ذلك قال البغوى والصحف جمع الصحيفة ومنشرة منشورة قال الله تعالى (كلا) اى لا يؤتون الصحف وقيل حقا قال البغوى وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه قال ابن عادل والاول أجود لانه رد لقولهم ثم بين تعالى سبب اعراضهم بقوله تعالى (بل لا يخافون) اى فى زمن من الازمان (الآخرة) فهذا هو السبب فى اعراضهم وقوله تعالى (كلا) ردع قاله الجلال عن ... وقال البغوى وتبعه ابن عادل حقا (انه) اى القرآن (تذكرة) اى عظة عظيمة توجب ايجابا عظيما اتباعه وعلم الانسان كأنه لم يحتمل ليس لأحد ... ولم أجد منكرا ولا معرفا فان ... (فمن شاء) ان يذكره (ذكره) اى اتعظ به وجعله نصب عينيه وعمل بمقتضاه ... (وما يذكرون) ... (الا أن يشاء الله) اى الملك الاعظم لذى لا أمر لاحد معه ذكرهم ومشيئتهم وهو قوله تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله تعالى وقرأ نافع بتاء الخطاب

الذى يوصف بالنظرة بمعنى الابصار النظر بالعين لا بالوجه ٣ (قلت) أطلق الوجه فيه واراد بجزءه فنى

٣ قوله فى الهامش الذى يوصف الخ لعل الظاهر يوصف بالنظر بمعنى الذى يوصف بالنظر بمعنى الابصار العين وتأمل اهـ مصححه

وهو التفات من الغيبة الى الخطاب والباقون بياء الغيبة حملا على ما تقدم من قوله تعالى كل امرئ (هو) أى الله سبحانه وتعالى وحده (أهل التقوى) أى أن يتقيه عباده ويحذروا غضبه بكل ما تصل قدرهم اليه لما له من الجلال والعظمة والقهر وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وأبو عمرو بين بين وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين (وأهل المغفرة) أى وحقيق أن يطلب غفرانه للذنوب لا سيما اذا اتقاه المذنب لان له الجلال والاكرام والطف وهو القادر ولا قدرة لغيره فلا ينفعه شئ ولا يضره روى الترمذى وأحمد والحاكم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة يقول الله تعالى أنا أهل أن أتقى فمن اتقى أن يشرك بى غيرى فانا أهل أن أغفر له ووقف الكسائى على أهل المغفرة بالامالة على أصله وورش بترقيق الراء وقفا ووصلا على أصله وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المدثر أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به حديث موضوع

سورة القيامة مكية

وهى تسع وثلاثون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

(بسم الله) الذى له الجلال والكمال (الرحمن) الذى عم بنعمة الايجاد أهل الهدى والضلال (الرحيم) الذى سدد أهل العناية فى الافعال والاقوال * واختلف فى لا فى قوله تعالى (لا أقسم) على أوجه أحدها انها نافية لكلام المشركين المنكرين للبعث أى ليس الامر كما زعموا ثم ابتدأ أقسم (بيوم القيامة) قال القرطبى ان القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار فجاء الاقسام بالرد عليهم كقولك لا والله لا أفعل فلا رد لكلام قد مضى كقولك لا والله ان القيامة لحق كأنك أكذبت قوما أنكروه الثانى انها مزيدة مثلها فى لئلا يعلم أهل الكتاب واعترضوا هذا بانها انما تزاد فى وسط الكلام لا فى أوله وأجيب بان القرآن فى حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض يدل على ذلك انه قد يجئ ذكر الشئ فى سورة ويذكر جوابه فى سورة أخرى كقوله تعالى يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه فى سورة أخرى ما أنت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان أول هذه السورة جاريا مجرى الوسط ورد هذا بان القرآن فى حكم السورة الواحدة فى عدم التناقض لا أن تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز الثالث قال الزمخشرى ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامرى ✽ لا يدعى القوم انى أفر

وفائدتها توكيد القسم ثم قال الزمخشرى بعد ان ذكر وجه الزيادة والاعتراض والجواب كما تقدم والوجه أن يقال هى للنفى والمعنى فى ذلك انه لا يقسم بالشئ الا اعظاما له يدل عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفى يقول ان اعظامى له باقسامى به كلا اعظام يعنى انه يستاهل فوق ذلك قال بعضهم قول الزمخشرى والوجه أن يقال الى آخره تقرير لقوله ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض الى آخره

الى والنظر وجه والنظر
ناضرة وناظرة جمع بين
الحقيقة والمجاز وهو جائز
(قوله أولى لك) اى أولاك

وحاصل كلامه يرجع الى انها نافية وأن النفي تسلط على فعل القسم بالمعنى الذي شرحه وليس
فيه نفع لفظا ولا معنى وقرأ ابن كثير بخلاف عن البزي بغير ألف بعد اللام والهمزة مضمومة
والباقون بالالف ويعبر عن قراءة ابن كثير بالقصر وعن قراءة الباقين بالمد ولا خلاف في قوله
تعالى (ولا أقسم بالنفس اللوامة) في المد والكلام في لا المتقدمة وجرى الجلال المحلي على
أنها زائدة في الموضعين واختلف في النفس اللوامة فقيل هي نفس المؤمن الذي لا تراه يلوم الا
نفسه تقول ما أردت بكذا ولا تراه يعاتب الا نفسه وقال الحسن رضي الله عنه هي والله نفس
المؤمن ما ترى المؤمن الا يلوم نفسه ما أردت بكلامي ما أردت بأكلي ما أردت بحديثي والفاجر
لا يحاسب نفسه وقال مجاهد رضي الله عنه هي التي تلوم على ما فات وتلوم نفسها على الشر لم
فعلته وعلى الخير لم لا تستكثر منه وقيل تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها وقيل المراد آدم عليه
السلام لم يزل لائما نفسه على معصيته التي أخرج بها من الجنة وقيل هي الملومة فتكون صفة
ذم وهو قول من نفى أن تكون قسما وعلى الاول صفة مدح فيكون القسم بها سائغا وقال
مقاتل رضي الله عنه هي نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله
تعالى وجواب القسم محذوف اي لتبعثن دل عليه قوله تعالى (أيحسب الانسان) اي هذا
النوع الذي جبل على الانس بنفسه والنظر في عطفه وأسند الحسبان الى النوع كله لان
أكثرهم كذلك لغلبة الحظوظ على العقل الا من عصمه الله تعالى وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة
بفتح السين والباقون بكسرها (ألن) اي أنا لا (نجمع) اي على ما لنا من العظمة (عظامه) اي
التي هي قالب بدنه فنعيدها كما كانت بعد تفرقها وتفتتها للبعث والحساب وقيل نزلت في عدي بن
ربيعة حليف بني زهرة ختن الاخنس بن شريق الثقفي وذلك أن عديا أتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا محمد حدثني عن القيامة متى تقوم وكيف أمرها وحالها فأخبره النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن بك أو يجمع الله العظام بعد تفرقها
ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما نسفتها الرياح وطيرتها في أباعد الارض وكان
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء عدي بن ربيعة والاخنس بن
شريق وقيل نزلت في عدو الله أبي جهل أنكر البعث بعد الموت وذكر العظام والمراد نفسه
كلها لان العظام قالب الخلق * (تنبيه) * [illegible]
كما ترى وقوله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد النفي المنسحب اليه الاستفهام [illegible] ثم
يبتدئ بقوله تعالى (قادرين) وقيل المعنى بل نجمعها قادرين (على أن نسوي بنانه)
اي أصابعه وسلامياته وهي عظامه الصغار التي في يديه ورجليه لذكرها [illegible]
بخلقه اي نجمع بعضها الى بعض على ما كانت عليه قبل الموت فاذا قدرنا على تفصيل عظامه
وتقسيمها فنقدر على جمعها ووصلها وقدرنا على جمع صغارها فنحن على جمع كبارها أقدر
وقال ابن عباس وأكثر المفسرين على أن نسوي بنانه اي نجعل أصابع يديه ورجليه شيئا
واحدا كخف البعير أو كحافر الحمار أو كظلف الخنزير ولا يمكنه أن يعمل بها شيئا ولكنا فرقنا
أصابعه حتى يفعل بها ما شاء وقيل نقدر أن نعيد الانسان في هيئة البهائم فكيف في صورته
التي كان عليها وهو كقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا

مرارا
الله ما تكره وكرره
بقوله فأولى ثم أولى لك
فأولى مبالغة في التهديد
والوعيد وهو تهديد بعد

تعلمون وقوله تعالى (بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون استفهاما وأن يكون ايجابا لجواز أن يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام (ليفجر أمامه) أي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من زمان لا يبرح عنه ولا يتوب هذا قول مجاهد رضي الله عنه وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه يقدم الذنب ويؤخر التوبة فيقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله وقال الضحاك رضي الله عنه هو الامل يقول اعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس رضي الله عنهما يكذب بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق (يسأل) أي سؤال استهزاء واستبعاد (أيان) أي متى أي وقت يكون (يوم القيامة) * ولما كان الجواب يوم يكون كذا وكذا عدل عنه الى ما سبب عن استبعاده لانه أهول فقال تعالى (فاذا برق البصر) أي شخص ووقف فلا يطرف مما كان يكذب به هذا على قراءة نافع بفتح الراء والباقون قرؤا بكسرها فمعناه تحير ودهش مما يرى وقيل هما لغتان في التحير والدهشة (وخسف القمر) أي ذهب ضوءه وأظلم والخسوف في الدنيا للقمر والكسوف للشمس وقيل يكونان فيهما يقال خسفت الشمس وكسفت وخسف القمر وكسف وقيل الكسوف أوله والخسوف آخره ولم تلحق علامة التأنيث في قوله تعالى (وجمع الشمس والقمر) لان التأنيث مجازي وقيل لتغليب التذكير ورد بأنه لا يقال قام هند وزيد عند جمهور العرب وقال الكسائي حمل على جمع النيرين وقال الفراء لم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما قال الفراء والزجاج جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه وقال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكورين مظلمين مقرنين كأنهما ثوران عقيران وقال عطاء بن يسار رضي الله عنه يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل يجمعان في نار جهنم لانهما قد عبدا من دون الله تعالى ولا تكون النار عذابا لهما لانهما جماد وانما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكفار وحسرتهم وقوله تعالى (يقول الانسان) أي الشديد التروع جريا مع طبعه جواب اذا من قوله تعالى فاذا برق البصر (يومئذ) أي اذ كانت هذه الاشياء وقوله تعالى (أين المفر) منصوب المحل بالقول والمفر مصدر بمعنى الفرار قال الماوردي ويحتمل وجهين أحدهما أين المفر من الله تعالى استحياء منه والثاني أين المفر من جهنم حذرا منها ويحتمل هذا القول من الانسان وجهين أحدهما أن يكون من الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المؤمن لثقة المؤمن ببشرى ربه تعالى والثاني أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوه منها [illegible] وقوله تعالى (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) أي لا ملجأ ولا حصن [illegible] من الجبل قال السدي كانوا في الدنيا اذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله تعالى لا وزر يعصمكم مني يومئذ واشتقاقه من الوزر وهو الثقل (الى ربك) أي لا الى غيره (يومئذ) أي اذ كانت هذه الامور (المستقر) أي الاستقرار للخلق كلهم [illegible] زمانه الى حكمه سبحانه ومشيئته ظاهرا [illegible] في الامور لا باطنا كما في الدنيا وقال ابن مسعود

ثم يبديه ويعيده ويعيد
(سورة الانسان)
(قوله من نطفة امشاج) وصف النطفة مع انها

المصير والمرجع قال الله تعالى الى ربك الرجعى واليه المصير وقال السدي المنتهى نظيره وأن الى ربك المنتهى (ينبأ) اي يخبر خبرا عظيما (الانسان يومئذ) اي اذ كان هذا الزلزال الاكبر (بما قدم) قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم بما قدم قبل موته من عمل صالح وسيء (وأخر) بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها وقال ابن عطية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقال قتادة بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه وقال مجاهد بأول عمله وآخره وقال عطاء بما قدم في أول عمره وما أخر في آخر عمره وقال زيد بن أسلم بما قدم من أموال نفسه وما أخر خلفه للورثة والاولى أن يقال ينبأ بجميع ذلك اذ لا منافاة بين هذه الاقوال (بل الانسان) اي كل واحد من هذا النوع (على نفسه) اي خاصة (بصيرة) اي حجة بينة على أعماله والهاء للمبالغة يعني أنه في غاية المعرفة بأحوال نفسه فيشهد عليه بعمله سمعه وبصره وجوارحه قال الله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال البغوي ويحتمل أن يكون معناه بل للانسان على نفسه يعني جوارحه فحذف حرف الجر كقوله تعالى وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم اي لاولادكم ويجوز أن يكون نعتا لاسم مؤنث اي بل الانسان على نفسه عين بصيرة (ولو ألقى) اي ذكر بغاية السرعة ذلك الانسان من غير تلعثم دلالة على غاية الصدق والاهتمام والثقة وقوله تعالى (معاذيره) جمع معذرة على غير قياس فانه البدل المحلي اي لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه وقال الزمخشري المعاذير ليس بجمع معذرة وانما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر اه قال أبو حيان وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع وانما هو من أبنية جموع التكسير اه وقيل معاذير جمع معذار وهو الستر والمعنى ولو أرخى ستوره والمعاذير الستور بلغة [illegible] وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولو ألقى معاذيره اي لو تجرد من ثيابه

ولما كان صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى أن يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه أمره الله تعالى أن ينصت له ليتلقاه [illegible] [illegible] حتى يقضي الله تعالى وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى أن يرسخ فيه بقوله تعالى (لا تحرك به) اي بالقرآن (لسانك) ما دام جبريل عليه السلام يقرؤه (لتعجل به) اي لتأخذه على عجلة أي بسرعة مخافة أن ينفلت منك فان هذه العجلة وان كانت من الكمالات لانها مسابقة [illegible] الانبياء عليهم السلام كما قال موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى [illegible] مقام كامل [illegible] منه ثم علل النهي عن العجلة بقوله تعالى (ان علينا) اي بما لنا من العظمة لا على أحد سوانا (جمعه) اي في صدرك حتى تثبته وتحفظه (وقرآنه) اي قراءتك اياه حتى يتمكن جريانه على لسانك (فاذا قرأناه) عليك بقراءة جبريل عليه السلام (فاتبع) اي بغاية جهدك بالقاء سمعك واحضار قلبك (قرآنه) اي قراءته [illegible] صدرك وكرر تلاوته حتى يصير لك به ملكة عظيمة [illegible] وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله تعالى الآية التي في لا أقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك

مفرد بامشاج وهو جمع لانها في معنى الجمع كقوله تعالى رفرف خضر أو بجعل أجزائها نطفا وقيل

الآية فكان صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى قال سعيد بن جبير قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فأنزل الله عز وجل الآية (ثم إن علينا) أي بما لنا من العظمة (بيانه) أي بيان ألفاظه ومعانيه لك سواء أسمعته من جبريل عليه السلام على مثل صلصلة الجرس أم بكلام الناس المعتاد بالصوت والحرف وأظهره على لسانك وعلى ألسنة العلماء من أمتك والآية مشيرة إلى ترك مطلق العجلة لأنه إذا نهي عنها في أعظم الأشياء وأهمها كان غيره بطريق الأولى والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله تعالى وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها وقوله تعالى (كلا) استفتاح بمعنى ألا وقال الزمخشري ردع للنبي صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وقال جماعة من المفسرين حقا والأول جرى عليه الجلال المحلي وهو أظهر (بل تحبون) متجددة على تجدد الزمان (العاجلة) بدليل أنهم يقبلون غاية الإقبال عليها وحبها أوجب لهم ارتكاب ما يعلمون قبحه فإن الآخرة والأولى ضرتان من تقرب من أحدهما أبعد من تباعد عن الأخرى فإن حبك الشيء يعمي ويصم (ويذرون) أي يتركون على أي وجه كان ولو أنه غير مستحسن (الآخرة) لأنهم يبغضونها لارتكابهم ما يضرهم فيها وجمع الضمير وإن كان مبنى الخطاب مع الإنسان لمعنى وقرأ يحبون ويذرون ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بياء الغيبة فيهما حملا على لفظ الإنسان المذكور أولا لأن المراد به الجنس لأن الإنسان بمعنى الناس والباقون بتاء الخطاب فيهما المخاطب الكفار قريش أي تحبون يا كفار قريش العاجلة أي الدار الدنيا والجاه فيها وتذرون الآخرة والعمل لها إما التفاتا وإما الإخبار عن الجنس المتقدم والإقبال عليه بالخطاب ... أي الآخرة التي أعرضوا عنها إذ كرما يكون فيها بيانا لجهلهم وسفههم وقلة عقولهم ... إلى أن أقبل عليهم لطفا بهم ورحمة لهم فقال تعالى (وجوه) أي من المشرفين ... (يومئذ) أي إذ تقوم الساعة (ناضرة) من النضرة بالضاد ... النعمة والفاكهة أي ... مشرقة عليها أثر النعمة بحيث يدل ذلك على نعمة أصحابها (إلى ربها) أي المحسن إليها ... اعتبارا بأن عدم النظر إلى غيره كالعدم (ناظرة) أي دائما مستغرقون ... من ذلك إذ رفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم بدليل الندى في ذلك المظهر ... ولا أفهام ولا أوهام كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأكثر المفسرين وجميع أهل السنة وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحيحة من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة وتمكين الرؤية كاملات في ... كما ترى القمر ليلة البدر أي كل من يرى البدر ... وجه الشبه أنه ... ولا في ... تعالى الله الكريم عن التشبيه فمن تلك الأحاديث ما روي عن جرير بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال صلى الله عليه وسلم إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك

أمشاج مفرد لا جمع كبرمة أعشار وثوب أخلاق (قوله نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) * (انتهى)

قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وفى كتاب النسائى عن وهب قال ينكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر ولا أقر لأعينهم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا عز وجل حتى تنظر الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول تعالى ارفعوا رؤسكم فليس هذا يوم عبادة وقدم الجار الدال على الاختصاص اشارة الى أن هذا النظر مباين للنظر الى غيره فلا يعد ذلك نظرا بالنسبة اليه وعبر بالوجوه عن أصحابها لانها أدل ما يكون على السرور وليكون ذكرها أصرح فى أن المراد بالنظر حقيقته روى مسلم فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة كان ابن عمر يقول أكرم أهل الجنة على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم تلا هذه الآية وأنكر الرؤية المعتزلة واحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار ويقولون النظر المقرون بالى ليس اسما للرؤية بل لمقدمة الرؤية وهى تقليب الحدقة نحو المرئى التماسا لرؤيته ونظر العين بالنسبة الى الرؤية كنظر القلب بالنسبة الى المعرفة وكالاصغاء بالنسبة الى السمع ويدل على ذلك قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فأثبت النظر حال عدم الرؤية فتكون الرؤية غاية النظر وان النظر يحصل والرؤية غير حاصلة قالوا ويمكن أن يكون معنى قوله تعالى ناظرة منتظرة كقولك انا ناظر اليك فى حاجتى وأجيب عن استدلالهم بقوله تعالى لا تدركه الابصار ان لا تدركه الاحاطة والجهة فلا يكون ذلك مانعا للرؤية على هذا الوجه وعن بقية استدلالهم بما ذكروه بجوابين أحدهما أن تقول النظر هو الرؤية لقول موسى عليه السلام أرنى أنظر اليك فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئى لاقتضت الآية اثبات الجهة والمكان ولانه أخر النظر عن الاراءة فلا يكون تقليب الحدقة الجواب الثانى ان ما ذكروه من أن النظر تقليب الحدقة تعذر حمله على الحقيقة فيجب حمله على الرؤية اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهو أولى من حمله على الانتظار لعدم الملازمة لان تقليب الحدقة كالسبب للرؤية ولا تلازم بينه وبين الانتظار وأما قولهم بحمله على الانتظار فأجيب عنه أيضا بان الذى هو بمعنى الانتظار فى القرآن غير مقرون بالى كقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم هل ينظرون الا الساعة والذى ندعيه ان النظر المقرون بالى ليس الا بمعنى الرؤية لان وروده بمعنى الرؤية ظاهر فلا يكون بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك ولما ذكر تعالى أهل النعمة أتبعه أضدادهم من أهل النقمة فقال سبحانه وتعالى (ووجوه يومئذ) اى فى ذلك اليوم بعينه (باسرة) اى شديدة العبوس والكلوح والتكره لما هى فيه من الغم كانها قد غرقت فيه وقال السدى باسرة متغيرة (تظن) اى توقن أربابها بما ترى من المخايل (أن يفعل بها) اى بهم فانه اذا أصيب الوجه الذى هو أشرف ما فى الجملة كان ما عداه أولى (فاقرة) وهى الداهية العظيمة قال أبو عبيدة سميت بذلك لانها تكسر فقار الظهر يقال فقرته الفاقرة اى كسرت فقار ظهره ومنه سمى الفقير لانكسار فقاره من القل وقال قتادة الفاقرة الشر وقال السدى الهلاك وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما دخول النار وقال الكلبى هى أن تحجب عن رؤية الرب عز وجل وقوله تعالى (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى وزاد الزمخشرى كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا الى ما بين أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنقلبون

كيف عطف على تقليبه ما بعده بالفاء مع أن الابتلاء متأخر عنه (قلت) تقليبه حال مقدرة اى حين يدين

إلى الآخرة التي تبقوا فيها خالدين (إذا بلغت) النفس (التراقي) وأضمر النفس وإن لم يجر لها ذكر لأن الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى * إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء والتراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ولكل إنسان ترقوتان قال البقاعي ولعله جمع المثنى إشارة إلى شدة انتشارها بغاية الجهد لما فيه من الكرب لاجتماعها من أقاصي البدن إلى هنالك اهـ وهذا كناية عن الإشفاء على الموت ذكرهم صعوبة الموت وهو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها (وقيل) أي قال حاضرو صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض (من راق) أي أيكم يرقيه مما به ليحصل له الشفاء وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو من كلام ملائكة الموت أي أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب فالأول اسم فاعل من رقى يرقي بمعنى الرقية بالفتح في الماضي والكسر في المضارع والثاني الذي بمعنى الصعود بالكسر في الماضي والفتح في المضارع (وظن) أي أيقن المحتضر لما لاح له من أنوار الآخرة وقيل القائل من راق من أهله (أنه) أي الشأن العظيم الذي هو فيه (الفراق) أي لما كان فيه من محبوب العاجلة الذي هو الفراق الأعظم الذي لا فراق مثله قيل إن العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول السلام عليك تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة وسمى اليقين هنا بالظن لأن الإنسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فإنه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها أو أن المراد الظن الغالب إذ لم يحصل يقين الموت مع رجاء الحياة وقيل سماه بالظن تهكما قال الرازي وهذه الآية تدل على أن الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لأنه تعالى سمى الموت فراقا والفراق إنما يكون إذا كانت الروح باقية فإن الفراق والوصال صفة والصفة تستدعي وجود الموصوف (والتفت الساق بالساق) أي اجتمعت إحداهما بالأخرى إذ الالتفاف الاجتماع قال تعالى جنات ألفافا ومعنى الكلام اتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأكثر المفسرين وقال الشعبي التفت ساق الإنسان عند الموت من شدة الكرب وقال قتادة أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب برجله على الأخرى وقال سعيد بن المسيب هما ساقا الإنسان إذا التفتا في الكفن وقال زيد بن أسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقال الضحاك الناس يجهزون بدنه والملائكة يجهزون روحه وقال الحسن لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه وأبين الأقوال كما قال النحاس أن العرب لا تذكر الساق إلا في الشدائد والمحن العظام ومنه قولهم قامت الحرب على ساق قال أهل المعاني لأن الإنسان إذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للأمر الشديد ساق قال الجعدي

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها * وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ولما ورد وقت تأسفه على الدنيا وإعراضه عنها ذكر غاية ذلك فقال تعالى مفردا النبي صلى الله عليه وسلم بالخطاب إشارة إلى أنه لا يفهم هذا حق فهمه غيره (إلى ربك) أي المحسن إليك

ابتلاء حين تأهل فجعلناه سميعا بصيرا فالمعطوف عليه هو إرادة الابتلاء لا الابتلاء (قوله ويطاف

بجميع ما أنت فيه (يومئذ) اى اذ وقع هذا الامر (المساق) اى السوق الى حكمه تعالى فقد انقطعت عنه أحكام الدنيا فاما أن تسوقه الملائكة الى سعادة واما الى شقاوة والضمير فى قوله تعالى (فلا صدق) راجع للانسان المذكور فى أيحسب الانسان اى فلا صدق النبى صلى الله عليه وسلم فيما أخبره به بما كان يعمل من الاعمال الخبيثة ولا فى ماله بالانفاق فى وجوه الخير التى ندب اليها او اوجبت كانت أو مندوبة وحذف المعمول لانه أبلغ فى التعميم (ولا صلى) اى ما أمر به من فرض وغيره فلا تمسك بحبل الخالق ولا وصل حبل الخلائق وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يصدق بالرسالة ولا صلى اى دعا ربه عز وجل وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة فلا صدق بكتاب الله تعالى ولا صلى لله جل ذكره (ولكن) اى فعل ضد ما أمر به بان (كذب) اى بما أتاه به النبى صلى الله عليه وسلم من قرآن وغيره (وتولى) اى أعرض عنه وهذا الاستدراك واضح اذ لا يلزم من نفى التصديق والصلاة التكذيب والتولى وقال القرطبى معناه كذب بالقرآن وتولى عن الايمان وقيل نزلت فى أبى جهل (ثم ذهب) اى هذا الانسان أو أبو جهل (الى أهله) غير متفكر فى عاقبة ما فعل من التكذيب حالة كونه (يتمطى) اى يتبختر افتخارا بتكذيبه واعراضه وعدم مبالاته بذلك واصله يتمطط اى يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقد أبدلت الطاء الثانية ياء كراهة اجتماع الامثال وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه يتبختر فى مشيته وقوله تعالى (أولى لك) فيه التفات من الغيبة والكلمة اسم فعل واللام للتبيين اى وليك ما تكره (فأولى) اى فهو أولى بك من غيرك وقوله تعالى (ثم أولى لك فأولى) تأكيد وقيل هذه الكلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه وأصلها من الولى وهو القرب قال الله تعالى قاتلوا الذين يلونكم وقال قتادة ذكر لنا أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبى جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو جهل أتوعدنى يا محمد فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيأ انى والله لأعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله أسوأ قتلة قال وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لكل أمة فرعون وان فرعون هذه الامة أبو جهل (أيحسب) اى يجوّز لقلة عقله (الانسان) اى الذى هو عبد مربوب ضعيف عاجز محتاج بما يرى من نفسه وأبناء جنسه (أن يترك) اى يكون تركه الكلية (سدى) اى مهملا لغيا لا يكلف ولا يجازى ولا يعرض على الملك الاعظم الذى خلقه فيسأله عن شكره نعمه أى لا يترك سدى فان ذلك مناف للحكمة فانها تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن المساوى والجزاء على كل منهما وأكثر الظالمين والمظلومين يموتون من غير جزاء فاقتضت الحكمة أنه لا بد من البعث للجزاء (ألم يك) اى هذا الانسان (نطفة) اى شيأ يسيرا (من منى) اى ماء من صلب الرجل وترائب المرأة (تمنى) اى تصب فى الرحم بسبب الله تعالى للانسان الماء الدافق فى الرحم باختياره بتركيب فيه من الشهوة وجعل له من الزوج التى يسرها الله تعالى وطرق ساقها اليه وقت سهولة الرحم وتصبه منه بغير اختياره حتى كانه لا فعل له فيها أصلا (فكان) بعد قيامه بما شاء سبحانه وتعالى من مدة (علقة) بان فيه اشارة الى حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المنى الذى يجرى مجرى النجاسة فلا يليق بمثل هذا أن يتمرد من طاعة الله تعالى الا انه عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز

عليهم) ذكره بالبناء للمفعول وقال بعضهم و يطوف عليهم ولدان بالبناء للفاعل لان المقصود

كما فى قوله تعالى فى عيسى عليه السلام وأمه مريم كانا يأكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة (ثم كان) اى كونا محكما (علقة) اى دما أحمر غليظا شديد الحمرة والغلظ (فخلق) اى قدر سبحانه عقب ذلك لحمه وعظامه وعصبه وغير ذلك من جواهره وأعراضه (فسوى) أى عدل من ذلك خلقا آخر غاية التعديل شخصا مستقلا (فجعل) اى بسبب النطفة (منه) اى من المنى الذى صار علقة اى قطعة دم ثم مضغة اى قطعة لحم (الزوجين) اى النوعين (الذكر والانثى) يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر تارة قال القرطبى وقد احتج بهذه الآية من رأى اسقاط الخنثى وأجيب بأن هذه الآية وقرينتها خرجت مخرج الغالب أو أنه فى نفس الامر ذكر أو أنثى (أليس ذلك) اى الخالق المسوى الاله الاعظم الذى قدر على تمييز ما يصلح من ذلك الذكر وما يصلح منه للانثى (بقادر على أن يحيي الموتى) اى ان يعيد هذه الاجسام كهيئتها للبعث بعد البلاء روى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى رواه أبو داود والحاكم وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من قرأ سبح اسم ربك الاعلى اماما كان أو غيره فليقل سبحان ربى الاعلى ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان أو غيره وروى البغوى بسنده من طريق أبى داود عن اعرابى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى الى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله وروى أن رجلا كان يصلى فوق بيته فكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك اللهم بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا حديث موضوع

سورة الانسان

وتسمى هل أتى والامشاج والدهر مكية او مدنية وهى احدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا

واختلف فيها هل هى مكية أو مدنية فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومقاتل والكلبى مكية وجرى عليه البيضاوى والزمخشرى وقال الجمهور مدنية وقال الجلال المحلى مكية أو مدنية ولم يجزم بشئ وقال الحسن وعكرمة هى مدنية الا آية وهى قوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا وقيل فيها مكى من قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا الى آخر السورة وما تقدمه مدنى

(بسم الله) الذى له الاسماء الحسنى (الرحمن) الذى عم بنعمه الذكر والانثى (الرحيم) الذى خص منهم من شاء بالمقام الاسنى * ولما ختم الاستدلال على البعث والقدرة عليه بالاستفهام بدأ هذه بالاستفهام وهو قوله تعالى (هل أتى) قال الزمخشرى بمعنى قد فى الاستفهام خاصة والاصل

فى الاول ما يطوف به الطائفون بقرينة قوله بآنية من فضة والمقصود فى الثانى الطائفون فذكر

أهل بدليل قول الشاعر

سائل فوارس يربوع بشدتنا * أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم

فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا اى أتى (على الانسان) قبل زمان قريب (حين من الدهر لم يكن) فيه (شيأ مذكورا) اى كان شيأ منسيا غير مذكور نطفة فى الاصلاب اهـ قوله على التقرير يعنى المفهوم من الاستفهام وقوله والتقريب يعنى المفهوم من قد التى وقع موقعها هل ومعنى قوله فى الاستفهام خاصة أن هل لا تكون بمعنى قد الا ومعها استفهام لفظا كالبيت المتقدم أو تقديرا كالآية الكريمة ولو قلت هل جاء زيد بمعنى قد جاء من غير استفهام لم يجز وغيره جعلها بمعنى قد من غير هذا القيد وجرى عليه الجلال المحلى واعترض على الزمخشرى بانه لم يذكر غير كونها بمعنى قد وبقى قيد آخر وهو أن يقول فى الجمل الفعلية لانها متى دخلت على جملة اسمية استحال كونها بمعنى قد لان قد مختصة بالافعال وأجيب عنه بان هذا لا يحتاج اليه لانه تقرر ان قد لا تباشر الاسماء واختلف فى المراد من الانسان فقال قتادة وعكرمة والشعبى هو آدم عليه السلام مرت عليه أربعون سنة قبل أن تنفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى رواية الضحاك أنه خلق من طين فاقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون أربعين سنة ثم من صلصال أربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الحين المذكور هنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره وقال الحسن خلق الله كل الاشياء ما يرى وما لا يرى من دواب البر والبحر فى الايام الست التى خلق الله تعالى فيها السموات والارض وآخرها خلق آدم عليه السلام فهو قوله تعالى لم يكن شيأ مذكورا روى ان أبا بكر رضى الله عنه لما قرأ هذه الآية قال ليتها تمت فلا نبتلى اى ليت هذه المدة التى أتت على آدم عليه السلام لم يكن شيأ مذكورا تمت على ذلك فلا يلد ولا تبتلى أولاده وسمع عمر رجلا يقرأ لم يكن شيأ مذكورا فقال عمر ليتها تمت يقول ليته بقى على ما كان هذا وهما صاحباه صلى الله عليه وسلم ولكن بقدر القرب يكون الخوف (فان قيل) ان الطين والصلصال والحمأ المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والآية تقتضى أنه مضى على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه فى ذلك الحين ما كان شيأ مذكورا (أجيب) بان الطين والصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان ويكون محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صح تسميته بانه انسان روى الضحاك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى لم يكن شيأ مذكورا لا فى السماء ولا فى الارض بل كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا قال ابن سلام لم يكن شيأ لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوانا وقال الزمخشرى وتبعه جماعة من المفسرين ان المراد بالانسان جنس بنى آدم بدليل قوله تعالى (انا خلقنا الانسان) اى بعد خلق آدم عليه السلام (من نطفة) اى مادة هى شىء يسير جدا من الرجل والمرأة وكل ماء قليل فى وعاء فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه

في كل منهما يناسبه (قوله كانت قوارير) معناه تكونت لأنها كانت قبل قوارير كذا من قوله

مالى أراك تكرهين الجنة * هل أنت الا نطفة فى شنه

وعلى هذا فالمراد بالحين المدة التى هو فيها فى بطن أمه لم يكن شيأ مذكورا اذ كان علقة ومضغة لانه فى هذه الحالة جماد لا خطر له وقوله تعالى (أمشاج) اى أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين نعت لنطفة ووقع الجمع نعتا لمفرد لانه فى معنى الجمع كقوله رفرف خضر أو جعل كل جزء من النطفة نطفة فوصفت بالجمع وقال الزمخشرى نطفة أمشاج كبرمة أعشار وبرد أكياش وهى ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال أيضا نطفة مشج قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

ولا يصح امشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان فى الافراد لوصف المفرد بهما اه فقد منع أن يكون امشاجا جمع مشج بالكسر قال أبو حيان وقوله مخالف لنص سيبويه والنحويين على أن أفعالا لا يكون مفردا واجاب بعضهم بان الزمخشرى انما قال يوصف به المفرد ولم يجعل أفعالا مفردا لكنه جعل كل قطعة من البرمة برمة وكل قطعة من البرد بردا فوصفهما بالجمع والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وكل منهما مختلف الاجزاء متباين الاوصاف فى الرقة والثخن والقوام والخواص يجتمع من الاخلاط وهى العناصر الاربعة ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فايهما علا كان الشبه له وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يختلط ماء الرجل وهو أبيض غليظ بماء المرأة وهو أصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبى وقد روى هذا مرفوعا ذكره البزار وعن قتادة امشاج ألوان وأطوار يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما [illegible] عن ابن مسعود رضى الله عنه هى عروق النطفة وقال مجاهد نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء والغرض من هذا التنبيه على أن الانسان [illegible] الابد من [illegible] قادر على تصويره وتصوره على صور مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل [illegible] وقصير [illegible] ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة جعله بدنه [illegible] أعضاء وجعل بين العظام مفاصل ثم أوصلها باوتار وعروق ولحم ودوّر الرأس وشق [illegible] السمع وفى مقدمه البصر والانف والفم وشق فى البدن سائر المنافذ ثم مد اليدين والرجلين وقسم رؤسها بالاصابع وركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة فسبحان من خلق [illegible] من نطفة مهينة أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى وقوله تعالى (نبتليه) [illegible] حال من فاعل خلقنا اى خلقناه حال كوننا مبتلين له والثانى أنه حال من الانسان [illegible] لان فى الجملة ضميرين كل منهما يعود على ذى الحال ثم هذا الحال [illegible] أن [illegible] كان [illegible] نبتليه [illegible] فى بطن [illegible] نطفة ثم علقة كما قال ابن [illegible] تعالى [illegible] كان المعنى نبتليه نختبره بالتكليف لانه [illegible] والثانى [illegible] (فجعلناه) اى

تعالى كن فيكون وكذا كان من اجها كافوا (قوله [illegible] أتوا) * ان قات منشورا)

بما لنا من العظمة بسبب ذلك (سميعا بصيرا) اى عظيم السمع والبصر والبصيرة ليتمكن من مشاهدة الدلائل ببصره وسماع الآيات بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته فيصح تكليفه وابتلاؤه فقدم العلة الغائية لانها متقدمة فى الاستحضار على التابع لها المصحح لورودها وقدم السمع لانه أنفع فى المخاطبات ولان الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية وخصهما بالذكر لانهما أنفع الحواس ولان البصر يفهم البصيرة وهى تتضمن الجميع وقال بعضهم فى الكلام تقديم وتأخير والاصل انا جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه اى جعلناه ذلك للابتلاء وقيل المراد بالسميع المطيع كقولك سمعا وطاعة وبالبصير العالم يقال فلان بصير فى هذا الامر (انا) اى بما لنا من العظمة (هديناه السبيل) اى بيناه له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر بعثة الرسل وقال مجاهد رضى الله عنه بينا له السبيل الى السعادة والشقاوة وقال السدى رضى الله عنه السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه ومضاره التى يهتدى اليها بطبعه وكمال عقله قال الرازى والآية تدل على أن العقل متأخر عن الحواس قال وهو كذلك وقوله تعالى (اما شاكرا) اى لانعام ربه عليه (واما كفورا) اى بليغ الكفر بالاعراض والتكذيب نصب على الحال وفيه وجهان احدهما انه حال من مفعول هديناه اى هديناه السبيل كائنا اما شاكرا والثانى انه حال من السبيل على المجاز قال الزمخشرى ويجوز أن يكونا حالين من السبيل اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله تعالى وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازا اوروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه الحديث وعن جابر رضى الله عنه كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه اما شاكرا واما كفورا ولما قسمهم الى قسمين ذكر جزاء كل فريق [illegible] (انا) [illegible] بما لنا من العظمة (أعتدنا) اى هيأنا وأحضرنا بما لنا من [illegible] (للكافرين) اى [illegible] الكفر خاصة وقدم السلاسل فى العذاب بالسلاسل قال تعالى (سلاسلا) جمع سلسلة اى يقادون بها (وأغلالا) اى فى أعناقهم تشد فيها السلاسل تجمع أيديهم الى أعناقهم (وسعيرا) اى نارا [illegible] بالشديدة الاتقاد وقرأ نافع وهشام وشعبة والكسائى سلاسلا بالتنوين والباقون بغير تنوين وأما [illegible] الثانى [illegible] حمزة وقنبل [illegible] [illegible] على الالف والرسم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العرب [illegible] [illegible] [illegible] من يصرف كل ما لا ينصرف الا افعل [illegible] [illegible] عن بعضهم انه يقول رأيت عمرا بالالف [illegible] [illegible] جمع وان كان قليلا [illegible] [illegible] انه مرسوم فى الامام اى مصحف الحجاز والكوفة بالالف رواه أبو عبيدة وروى هارون عن نافع وروى بعضهم ذلك عن مصاحف البصرة أيضا وقال الزمخشرى فيه وجهان أحدهما أن

ما الحكمة فى تشبيههم باللؤلؤ المنثور دون المنظوم (قلت) لانه تعالى أراد تشبيههم فى حسنهم وانتشارهم

يكون هذا التنوين بدلا من حرف الاطلاق ويجرى الوصل مجرى الوقف والثانى أن يكون صاحب هذه القراءة ممن ضرى برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف اه قال بعض المفسرين وفى هذه العبارة فظاظة وغلظة لاسيما على مشايخ الاسلام وأئمة العلماء الاعلام وأما من لم ينونه فوجهه ظاهر لانه على صيغة منتهى الجموع وقولهم قد جمع نحو صواحبات لا يقدح لان المحذور جمع التكسير وهذا جمع تصحيح وأما من لم يقف بالالف فواضح ولما أوجز فى جزاء الكافر أتبعه بجزاء الشاكر وأطنب تأكيدا للترغيب فقال تعالى (ان الابرار) جمع بركأرباب جمع رب أو بار كأشهاد جمع شاهد وفى الصحاح وجمع البار البررة وهم الصادقون فى ايمانهم المطيعون لربهم الذين سمت هممهم عن المستحقرات فظهرت فى قلوبهم ينابيع الحكمة وروى ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انما سماهم الله تعالى الابرار لانهم بروا الآباء والابناء كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال الحسن رضى الله عنه البر الذى لا يؤذى الذر وقال قتادة رضى الله عنه الابرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر وفى الحديث الابرار الذين لا يؤذون احدا (يشربون من كأس) هو الشرب الخمر وهى فيه والمراد من خمر تسمية للحال باسم المحل ومن للتبعيض (كان مزاجها) اى ما تمزج به (كافورا) لبرده وعذوبته وطيب عرفه وذكر فعل الكون يدل على أن له فى المزج شأنا عظيما يكون فيه كأنه من نفس الجبلة لا كما يعهد والكافور نبت معروف وكان اشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطى الاشياء برائحته والكافور أيضا كمام الشجر الذى هو غرتها والكافر أيضا البحر والكافر الليل والكافر الساتر نعم الله تعالى والكافر الزارع لستره البذر فى الارض قال الشاعر

وشقوا قن على كفره وجنة الفردوس للكافر

والكفارة تغطية الاثم ... الفاجرة والنذور الكاذبة بالمغفرة والكافور ماء ... من الشجر مكتوم فيه ... فيجرح ... فيضربه الهوا فيجمد ... كالصمغ الجامد على الاشجار ... مزج الكافور بالشراب ... فى ذكره أجيب بأوجه احدها قال ابن عباس رضى الله عنهما الكافور اسم عين فى الجنة قال لها عين الكافور أى يمزج ماء هذه العين التى تسمى كافورا فى بياض الكافور ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته ثانيها ان رائحة الكافور عرض والعرض لا يكون الا فى جسم فخلق الله تعالى تلك الرائحة فى جرم ذلك الشراب فسمى ذلك الجسم كافورا وان كان طعمه طيبا فيكون الكافور ريحها لا طعمها ثالثها ان الله تعالى يخلق الكافور فى الجنة مع طعم طيب لذيذ ويسلب عنه ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك الشراب كما انه تعالى يسلب عن جميع المأكولات والمشروبات ما معها فى الدنيا من المضار وقال سعيد عن قتادة رضى الله عنهم يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقيل يخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وكأنها امتزجت بالكافور وقوله تعالى (عينا) فى نصبه أوجه احدها انه بدل من كافورا لان ماءها فى بياض الكافور وفى رائحته وبرده واقتصر على هذا الابدال الحلبى الثانى انه بدل من محل من كأس قاله مكى ولم يقدر حذف مضاف وقدر الزمخشرى على هذا الوجه حذف مضاف قال كأنه قيل يشربون خمرا خمر عين

في الخلاصة مالؤلؤ الذى لم يثقب وهو أشد صفاء وأحسن منظرا مما ثقب لانه اذا ثقب نقص صفاؤه

الثالث

الثالث أنه نصب على الاختصاص قاله الزمخشري الرابع أنه بإضمار أعني قاله القرطبي وقيل
غير ذلك (يشرب بها) قال ابن عادل أي منها وقال البقاعي أي بمزاجها وقال الزمخشري بها
الخمر قال كما تقول شربت الماء بالعسل والأول أوضح (عباد الله) أي أولياؤه فإن قيل الكفار
عباد الله وهم لا يشربون منها بالاتفاق (أجيب) بأن لفظ عباد الله مختص بأهل الإيمان ولكن
يشكل بقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فإنه يصح تقدير الآية ولا يرضى لعباده المؤمنين
الكفر مع أنه سبحانه لا يرضى الكفر للكافر ولغيره وقد يجاب بأن هذا أكثري لا كلي أو يقال
حيث أضيف العباد أو العبد إلى اسم الله الظاهر سواء كان بلفظ الجلالة أم لا فالمراد به المؤمن
وإن أضيف إلى ضميره تعالى فيكون بحسب المقام فتارة يختص بالمؤمن كقوله تعالى إن عبادي
ليس لك عليهم سلطان وتارة يعم كقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وقوله تعالى نبئ عبادي
أني أنا الغفور الرحيم (يفجرونها) أي يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم وإن علت (تفجيرا) سهلا
لا يمتنع عليهم * ولما ذكر جزاءهم ذكر وصفهم الذي يستحقون عليه ذلك بقوله تعالى (يوفون
بالنذر) و[illegible] يجوز أن يكون مستأنفا ويجوز أن يكون خبر لكان مضمرة قال الفراء التقدير
كانوا يوفون بالنذر في الدنيا أو كانوا يخافون وقال الزمخشري يوفون جواب من عسى يقول
ما لهم يرزقون ذلك قال أبو حيان واستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز وأتى بالمضارع بعد
عسى غير مقرون بأن وهو قليل أو في شعر [illegible] بالنذر [illegible] ووصفهم بالتوفر على أداء
الواجبات لأن من [illegible] نفسه [illegible] لوجه الله كان بما أوجبه الله تعالى عليه
أوفى وقال الكلبي [illegible] أوفوا [illegible] الله وقرأ
بالعقود أمروا [illegible] قال القرطبي والنذر
[illegible] أوجبه المكلف على نفسه من شيء [illegible] وهو واجب بالكتاب
[illegible] الطاعات [illegible] وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال من نذر أن يطيع
الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه [illegible] قال تعالى
[illegible] لأجل شيء [illegible] الطع
(ويخافون) [illegible] لا [illegible] يوم [illegible] يوم (كان)
أي كونا [illegible] (شره) أي [illegible] (مستطيرا) أي [illegible] منتشرا غاية
الانتشار من [illegible] الفجر [illegible]
في السموات [illegible] وكورت الشمس [illegible] فزعت [illegible]
الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء وفي [illegible]
واستطار [illegible] قالوا
[illegible] العرب [illegible] قال [illegible] كان شره
ولم يقل مستكبرا [illegible] (ويطعمون
الطعام) أي على حسب ما يتيسر لهم من عال ودون [illegible] (على حبه) حال أما من الطعام
أي كائنين على حبهم إياه فهو في غاية الكثرة [illegible] على [illegible] لقلته عندهم
وحاجتهم إليه [illegible] أشد [illegible]

ومانيته وما ما بقي ب لا يكون الا منثورا (قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا) * ان قلت أي شرف

قال صلى الله عليه وسلم في حق الصحابة رضى الله تعالى عنهم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه لقلة الموجود اذ ذاك وكثرته بعدوا امن الفاعل والضمير في حبه لله أى على حب الله وعلى التقديرين فهو مصدر مضاف للمفعول وقال الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام (مسكينا) اى محتاجا احتياجا يسيرا فصاحب الاحتياج الكثير أولى (ويتيما) اى صغيرا لا أب له (وأسيرا) أى في أيدى الكفار وخص هؤلاء بالذكر لان المسكين عاجز عن الاكتساب بنفسه عما يكفيه واليتيم مات من يكتسب له وبقى عاجزا عن الكسب لصغره والاسير لا يتمكن لنفسه نصرا ولا حيلة وقال مجاهد وسعيد بن جبير رضى الله عنهم الاسير المحبوس فيدخل في ذلك المملوك والمسجون والكافر الذى في أيدى المسلمين وقد نقل في غزوة بدر ان بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يؤثر أسيره على نفسه بالخبز وكان الخبز اذ ذاك عزيزا حتى كان ذلك الاسير يعجب من مكارمهم حتى كان ذلك عادعاه الى الاسلام وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لما دفعهم اليهم قال استوصوا بهم خيرا وقيل الاسير المملوك وقيل المرأة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان أى أسرى وقوله تعالى (انما نطعمكم) على اضمار القول أى يقولون بلسان المقال أو الحال انما نطعمكم أيها المحتاجون (لوجه الله) أى لذات الملك الذى استجمع الجلال والاكرام لكونه أمرنا بذلك وعبر بالوجه لان الوجه يستحى منه ويرجى ويخشى عند رؤيته (لا نريد منكم) لاجل ذلك (جزاء) أى لنا من اعراض الدنيا (ولا شكورا) اى لشئ من قول ولا فعل روى أن عائشة رضى الله تعالى عنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى ثم علل اقوالهم هذا على وجه التأكيد بقولهم (انا نخاف من ربنا) أى المحسن الينا (يوما) أى اهوال يوم هو في غاية العظمة وبينوا عظمته بقولهم (عبوسا) قال ابن عباس رضى الله عنهما ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة أهله من الاشقياء كقولك نهارك صائم روى أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس أو بالشجاع الباسل (قمطريرا) قال ابن عباس رضى الله عنهما طويلا وقال مجاهد وقتادة رضى الله عنهما القمطرير الذى يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقال الكلبي العبوس الذى لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام وأطوله في البلاد يقال يوم قمطرير وقماطير اذا كان شديدا كريها ولما كان فعلهم هذا خالصا لله تعالى سبب عنه جزاءهم فقال تعالى (فوقاهم الله) أى الملك الاعظم بسبب خوفهم (شر ذلك اليوم) اى العظيم ولابدالهم من نعيم ظاهر وباطن ومسكن يقيمون فيه وملابس وقد اشار الى الاول بقوله تعالى (ولقاهم) اى أعطاهم (نضرة) اى حسنا واضاءة في وجوههم واشار الى الثاني بقوله تعالى (وسرورا) اى فرحا في قلوبهم دائما في مقابلة خوفهم في الدنيا واشار الى الثالث بقوله تعالى (وجزاهم بما صبروا) اى بسبب ما أوجدوا من الصبر على العبادة من لزوم الطاعة واجتناب المعصية ومنع انفسهم الشهوات وبذل المحبوبات (جنة) أى ادخلوا بستانا جامعا لما تلذ منه مايشتهون جزاء لما كانوا يشتهون وان كانت مايسالكهم من ذلك دونهم في

ذلك الدار مع انه سقاهم ذلك في الدنيا قال تعالى وأسقيناكم ماء فراتا أى عذبا (قلت) المراد سقاهم

الجزاء وأشار الى الرابع بقوله تعالى (وحريرا) أى ألبسوه أى هو فى غاية العظمة ومارواه البيضاوى تبعا للزمخشرى عن ابن عباس أن الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما صوم ثلاثة أيام ان برئا فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على من شمعون اليهودى الخيبرى ثلاثة آصع من شعير وطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم فوقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير فى الثالثة ففعلوا مثل ذلك زاد فى الكشاف فلما أصبحوا أخذ على رضى الله تعالى عنه بيد الحسن والحسين فأقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد أى السورة هنأك الله فى أهل بيتك فأقرأه السورة حديث موضوع ثم بين حالهم فيها بقوله تعالى (متكئين فيها) أى الجنة واختلف فى اعراب متكئين فقال الجلال المحلى حال من مرفوع ادخلوها المقدر وقال أبو البقاء يجوز أن يكون حالا من المفعول فى جزاهم وأن يكون صفة واعترض عليه فى كونه صفة بأنه لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم الضمير فيقال متكئين هم فيها لجريان الصفة على غير من هى له وقيل انه من فاعل صبروا واعترض بأن الصبر كان فى الدنيا والاتكاء فى الآخرة وأجيب بانه يصح أن يكون حالا مقدرة لان مآلهم بسبب صبرهم الى هذه الحالة ثم أشار الى زيادة راحتهم بقوله تعالى (على الارائك) أى السرر فى الحجال ولا تكون اريكة الا مع وجود الحجلة وقيل الارائك الفرش على السرر وقوله تعالى (لا يرون فيها) اى الجنة حال ثانية على الخلاف المتقدم فى الاولى ومن جوز أن تكون الاولى صفة جوز فى الثانية وقيل انها حال من الضمير المرفوع المستكن فى متكئين فتكون حالا متداخلة (شمسا) اى حرا (ولا) يرون فيها (زمهريرا) اى بردا شديدا فالآية من الاحتباك دل بنفى الشمس اولا على نفى القمر ودل بنفى الزمهرير الذى هو سبب البرد ثانيا على نفى الحر الذى سببه الشمس فأفاده هذا ان الجنة غنية عن النيرين لانها منيرة بنفسها وان اهلها لا يحتاجون الى معرفة زمان اذ لا تكليف فيها بوجه ولا انحطاط عن رتبة فى تبخلاف الدنيا ان فيها احتياجا الى ذلك ولا حر ولا برد فيها اصلا قيل هواؤها معتدل لا حر شمس يؤذى ولا شدة برد كما فى الحديث ان النار اشتكت الى ربها قالت يارب أكل بعضى بعضا فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فشدة ما تجدونه من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدونه من الحر من سمومها وقيل الزمهرير القمر بلغة طيئ وأنشدوا

وليلة ظلامها قد اعتكر ۞ قطعتها والزمهرير ما زهر

ويروى ما ظهر (ودانية) اى قريبة مع الارتفاع (عليهم ظلالها) أى شجرها من غير أن يحصل منها مايزيل الاعتدال واختلف فى نصب دانية فقال البغوى عطف على متكئين وقال الجلال

في تلك الدار بغير واسطة وأيضا فشتان ما بين الشرابين والآنيتين والمزاجين (قوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا)

قوله فالآية من الاحتباك الخ كذا بالنسخ ولتتأمل اه مصحح

المحلى عطف على محل لا يرون وذكره البغوي بعد الاول بصيغة قيل قال البيضاوي أو عطف على جنة أي وجنة أخرى دانية لانهم وعدوا جنتين لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان (فان قيل) ان الظل انما يوجد حيث توجد الشمس والجنة لا شمس فيها فكيف يحصل الظل (أجيب) بان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظلة منها وان كان لا شمس ولا قمر كما ان امشاطهم الذهب والفضة وان كان لا وسخ ولا شعث ثم (وذللت قطوفها) جمع قطف بالكسر وهو العنقود واسم للثمار المقطوفة أي الجنية (تذليلا) اى سهل تناولها تسهيلا عظيما لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك لكل من يريد اخذها على اى حالة كانت من اتكاء وغيره فان كانوا قعودا أو مضطجعين تدلت اليهم وان كانوا قياما وكانت على الارض ارتفعت اليهم وقال البراء ذللت لهم فهم يتناولون منها كيف شاؤا فمن أكل قائما لم يؤذه ومن اكل جالسا لم يؤذه ومن أكل مضطجعا لم يؤذه وهذا جزاؤهم على ما كانوا يذللون أنفسهم لامر الله تعالى ❊ ولما وصف تعالى طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم بقوله تعالى (ويطاف عليهم) أي طائف كان بكثرة الخدم (بآنية) جمع اناء وجمع الآنية أوان وهي ظروف للمياه ومعنى يطاف أي يدور على هؤلاء الابرار الخدم اذا أرادوا الشرب ثم بين تلك الآنية بقوله تعالى (من فضة) قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء أى ان ما في الجنة أشرف وأعلى ولم يرد الآنية للتمييز بل المعنى يسقون في الاواني الفضة وقد يسقون في الاواني الذهب كما قال تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب فنبه بذكر أحدهما على الآخر ❊ ولما جمع الآنية خص فقال تعالى (وأكواب) جمع كوب وهو كوز لا عروة له ليسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج عند التناول الى ادارة (كانت) أى تلك الاكواب كونا هو من جبلتها (قوارير) أى كانت بصفة القوارير من الصفاء والرقة والشفوف والاشراق جمع قارورة وهي ما أقر فيه الشراب ونحوه من كل اناء رقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج ❊ ولما كان رأس آية وكان التعبير بالقوارير ربما أفهم انها من الزجاج وكان في الزجاج من النقص سرعة الانكسار ولا نراه الصلاب قال تعالى معيدا اللفظ اول الآية الثانية تأكيدا للاتصاف بالصالح من أوصاف الزجاج وبيانا للنوعها (قوارير من فضة) أى قد جمعت صفتي الجوهرين المتباينين صفاء الزجاج وشفوفه وبريقه وبياض الفضة وشرفها ولينها وقال الكلبي ان الله تعالى جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم وان أرض الجنة فضة فجعل منها قوارير يشربون منها (٣) وقرأ نافع وشعبة والكسائي بالتنوين فيهما ووقفوا عليهما بالالف وابن كثير في الاول دون الثاني والباقون بغير تنوين وأما الوقف فمن نون وقف بالالف ومن لم ينون وقف بغير ألف الا هشاما فانه وقف على الثاني بالالف وفي الوصل لم ينون فالقراءات حينئذ على خمس مراتب احداها تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف الثانية مقابلة وهو عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالالف الرابعة تنوين الاول دون الثاني والوقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها وأما من نونهما فلانهما وقعا في سلاسل لانه صيغة منتهى الجموع فذلك على مفاعل وذا على مفاعيل والوقف بالالف التي هي بدل

أفاد بالتعبير بأو النهي عن طاعتهما معا بالاولى ولو طاع بالواو لافهم جواز طاعة أحدهما وليس

(٣) قوله وقرأ نافع الخ واعلم أن عبارة الجمل واعلم أن القراء فيهما على خمس مراتب احداها تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف لنافع والكسائي وأبي بكر الثانية مقابلة هذه وهي عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف لحمزة وحده الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالالف لهشام وحده الرابعة تنوين الاول دون الثاني والوقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها لابن كثير وحده الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها لابي عمرو وابن ذكوان وحفص اه المراد منه وبها يتضح ما في عبارة المفسر

التنوين

التنوين فاما عدم تنوينهما وعدم الوقف بالالف فظاهر وأما من نون الاول دون الثاني فانه ناسب بين الاول وبين رؤس الآي ولم يناسب بين الثاني وبين الاول والوجه في وقفه على الاول بالالف وعلى الثاني بغير ألف ظاهر وأما من لم ينونهما ووقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها فلان الاول رأس آية فناسب بينه وبين رؤس الآي في الوقف بالالف وفرق بينه وبين الثاني لانه ليس برأس آية وأما من لم ينونهما ووقف عليهما بالالف فانه ناسب بين الاول وبين رؤس الآي وناسب بين الثاني وبين الاول وقال الزمخشري وهذا التنوين بدل من ألف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول يعني انهم يأتون بالتنوين بدلا من حرف الاطلاق الذي للترنم كقوله * ياصاح ماهاج العيون الذرفن * وقوله تعالى (قدروها تقديرا) صفة لقوارير من فضة وفي الواو في قدروها وجهان أحدهما أنه للمطاف عليهم ومعنى تقديرهم اياها انهم قدروها في انفسهم أن تكون على تقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا والثاني انه للطائفين بها دل عليه قوله تعالى ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنه ولا يعجز وعن مجاهد رضي الله عنه لا تغيض ولا تفيض وعن ابن عباس رضي الله عنهما قدروها على ملء الكف حتى لا تؤذيهم بثقل أو بافراط صغر ويجوز أبو البقاء أن تكون الجملة مستأنفة (ويسقون) أي من أرادوه من خدمهم الذين لا يحصون كثرة (فيها) أي في الجنة أو تلك الاكواب (كأسا) أي خمرا في اناء (كان مزاجها) أي ماتمزج به على غاية الاحكام (زنجبيلا) أي غاية اللذة وكانت العرب تلتذ بالشراب الممزوج به لهضمه وتطييبه الطعم والزنجبيل نبت معروف وسمي الكأس بذلك لوجود طعم الزنجبيل فيها قال الاعشى

كأن القرنفل والزنجبيـ * ـل باتا بفيها وأريا مشورا

وقال المسيب بن علس

وكأن طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر

وقوله تعالى (عينا فيها) أي الجنة بدل من زنجبيلا وكون الزنجبيل عينا فيه خرق للعوائد لان الزنجبيل عنده ناشئ يحتاج في تناوله الى علاج ويبين انه هنالك عين لا يحتاج في صيرورته زنجبيلا الى ان تخلط بالارض بتخميره بماحق يصير نهرا اليتحول عن طعم الماء الى طعم الزنجبيل (تسمى) أي تلك العين لسهولة اساغتها ولذة طعمها وعذوبة وصفها (سلسبيلا) والمعنى ان ماء تلك العين كالزنجبيل الذي تلتذ به العرب سهل المساغ في الحلق فليس كزنجبيل الدنيا يلذع في الحلق فتصعب اساغته والسلسبيل والسلسل والسلسال ما كان من الشراب غاية في السلاسة زيدت فيه الباء زيادة في المبالغة في هذا المعنى وقال مقاتل وابن حيان رضي الله عنهما سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى اهل الجنان قال البغوي وشراب الجنة في برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع وقال مقاتل رضي الله عنه يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة * ولما ذكر تعالى المطوف به لانه الغاية المقصودة وصف الطائف لما في طوافه من العظمة المشهودة بقوله تعالى (ويطوف عليهم) أي بالشراب وغيره من الملاذ والمحاب (ولدان) أي غلمان هم في سن

مرادا (قوله وشددنا أسرهم) أي خلقهم (ان قلت) كيف قال ذلك هنا وقال في النساء وخلق الانسان

من هو دون البلوغ لان الفقهاء قالوا الناس غلمان وصبيان وأطفال وذرارى الى البلوغ ثم هم بعد البلوغ شبان وفتيان الى الثلاثين ثم هم بعدها كهول الى الاربعين ثم بعدها شيوخ واستنبط بعضهم ذلك من القرآن فى حق بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى فى حق يحيى وآتيناه الحكم صبيا وفى حق عيسى يكلم الناس فى المهد وكهلا وعن ابراهيم قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وعن يعقوب ان له أبا شيخا كبيرا قالوا وأقل اهل الجنة من يخدمه ألف غلام ويعطى فى الجنة قدر الدنيا عشر مرات وقرأ حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها ثم وصف تعالى تلك الغلمان بقوله تعالى (مخلدون) أى قد حكم من لا يرد حكمه بان يكونوا كذلك دائما من غير علة ولا ارتفاع عن ذلك المقام انهم مزينون بالحلى وهو الحلق والاساور والقرط والملابس الحسنة (اذا رأيتهم) أى يا أعلى الخلق وأنت أثبت الناس نظرا وأثبتهم لرائى الشامل الكل رؤية فى اى حالة رأيتهم فيها (حسبتهم) أى من بياضهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم فى الخدمة (لؤلؤا منثورا) أى من سلكه أو من صدفه وهو أحسن منه فى غير ذلك قال بعض المفسرين هم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين وقال بعضهم أطفال المؤمنين لانهم ماتوا على الفطرة وقال ابن برجان والذى والله أعلم انهم من علم الله تعالى ايمانه من اولاد الكفار وتكون خدما لاهل الجنة كما كانوا فى الدنيا سبيا وخدما واما اولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم سرورا لهم ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى ابنه ابراهيم عليه السلام ان له ظئرا تتم رضاعه فى الجنة فانه يدل على انتقال شأنه فيما هنالك وكتنقله فى الاحوال فى الدنيا ولا دليل على خصوصيته بذلك وقرأ السوسى وشعبة بابدال الهمزة الاولى الساكنة وقفا ووصلا واذا وقف حمزة أبدل الاولى والثانية ولما ذكر المخدوم والخادم ذكر المكان بقوله تعالى (واذا رأيت) أى وجدت منك الرؤية (ثم) اى هنالك اى مكان كان فى الجنة وأى شئ كان فيها وقوله تعالى (رأيت) جواب اذا أى رأيت (نعيما) أى ليس فيه كدر بوجه من الوجوه ولا يقدر على وصفه واصف (وملكا كبيرا) أى لا يخطر على بال ما هو فيه من السعة وكثرة الموجود والعظمة قال سفيان الثورى ان الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم وقيل كون التيجان على رؤسهم كما تكون على رؤس الملوك وقال الحكيم الترمذى هو ملك التكوين اذا أرادوا شيأ قالوا له كن فيكون وفى الخبر ان الملك الكبير ان ادناهم منزلة أى وما فيهم دنى ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وان أعلاهم منزلة من ينظر الى وجه ربه سبحانه وتعالى فى يوم اى قدر يوم من ايام الدنيا مرتين ولما ذكر الدار وما كانوا فيه من مخدوم وخادم ذكر لباسهم بقوله تعالى (عاليهم) اى فوقهم (ثياب سندس) وهو مارق من الحرير (خضر واستبرق) وهو ما غلظ من الديباج فهو البطائن والسندس من الظهائر وقرأ نافع وحمزة عاليهم بسكون الياء بعد اللام وكسر الهاء والباقون بفتح الياء وضم الهاء لان الياء لما سكنت كسرت الهاء ولما تحركت ضمت الهاء فاما قراءة من سكن ففيها وجهان أظهرهما أن يكون خبرا مقدما وثياب مبتدأ مؤخر وأما قراءة الباقين ففيها أوجه أظهرها ان يكون ظرفا خبرا مقدما وثياب مبتدأ مؤخر كأنه قال فوقهم ثياب قال ابن عادل لانه ليس بمعنى فوقهم وابعد المتصل به لا ظرف عليهم أو للعادة والخبر وجميعا كانت تتفاوت

ضعيفا (قلت) قال ابن عباس وغيره المراد به ضعيف عن الصبر عن النساء فلذلك أباح الله له نكاح الامة

بحسب

بتفاوت الرتب وقرأ نافع وحفص خضر واستبرق برفعهما وقرأ حمزة والكسائي بخفضهما وقرأ أبو عمرو وابن عامر برفع خضر وجر استبرق وقرأ ابن كثير وشعبة بجر خضر ورفع استبرق وحاصل القراآت في ذلك اربع مراتب الاولى رفعهما الثانية خفضهما الثالثة رفع الاول وخفض الثاني الرابعة عكس ذلك فأما القراءة الاولى فان رفع خضر على النعت لثياب ورفع استبرق نسقا على الثياب ولكن على حذف مضاف أي وثياب استبرق وأما القراءة الثانية فيكون جر خضر على النعت لسندس ثم استشكل على هذا وصف المفرد بالجمع فقال مكي هو اسم جمع وقيل هو جمع سندسة كتمر وتمرة ووصف اسم الجنس بالجمع صحيح قال تعالى وينشئ السحاب الثقال وأعجاز نخل منقعر ومن الشجر الاخضر واذا كانوا قد وصفوا المحلى لكونه مرادا به الجنس بالجمع في قولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض وفي التنزيل أو الطفل الذين فلأن يوجد ذلك في أسماء الجموع أو أسماء الاجناس الفارق بينها وبين واحدها تاء التأنيث بطريق الاولى وجر استبرق نسقا على سندس لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق وأما القراءة الثالثة فرفع خضر نعتا لثياب وجر استبرق نسقا على سندس أي ثياب خضر من سندس ومن استبرق فعلى هذا يكون الاستبرق أيضا أخضر وأما القراءة الرابعة فجر خضر على أنه نعت لسندس ورفع استبرق على النسق على ثياب بحذف مضاف أي وثياب استبرق ثم اخبر تعالى عن تحليتهم بقوله سبحانه (وحلوا) اي المخدوم والخادم (أساور من فضة) وان كانت تتفاوت بتفاوت الرتب وهي بالغة من الصفا ما يبلغه التحجيل في الوضوء كما قال صلى الله عليه وسلم الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء ولذلك كان أبو هريرة يرفع الى المنكبين والى الساقين (تنبيه) قال هنا أساور من فضة وفي سورة فاطر يحلون فيها من أساور من ذهب وفي سورة الحج يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا فقيل لعل الرجال الفضة وللنساء الذهب وقيل تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع في يدي احدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ ليجتمع لهم محاسن الجنة قاله سعيد بن المسيب وقيل يعطى كل أحد ما رغب فيه وتميل نفسه اليه وقيل أسورة الفضة انما تكون للولدان وأسورة الذهب للنساء وقيل هذا للنساء والصبيان وقيل هذا يكون بحسب الاوقات والاعمال (وسقاهم ربهم) اي المحسن اليهم المربي لهم (شرابا طهورا) اي ليس هو كشراب الدنيا سواء كان من الخمر أو من الماء أو من غيرهما فهو بالغ الطهارة وقال علي رضي الله عنه اذا توجه أهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة تخرج من ساقها عينان فيشربون من احداهما فتجري عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم ولا تشعث شعورهم أبدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في بطونهم من الاذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعي وأبو قلابة اذا شربوه بعد أكلهم طهرهم وصار ما أكلوه وشربوه رشح مسك وضمرت بطونهم وقال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله تعالى ما كان في قلبه من غش وغل وحسد وما كان في جوفه من أذى وعلى هذا فيكون فعولا للمبالغة وقال الرازي قوله تعالى طهورا في تفسيره احتمالات أحدها أن لا يكون نجسا كخمر الدنيا وثانيها المبالغة في

وقال الزجاج معناه يغلبه هواه وشهوته فلذلك وصف بالضعف ومعنى قوله وشددنا أسرهم وربطنا أوصالهم

البعد عن الامور المستقذرة لانهم لم يعصر فقسه الايدي الوضرة وتدوسه الارجل الدنسة ولم يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها وثالثها أنه لا يؤل الى النجاسة لانه يرشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك وعلى هذين الوجهين يكون الطهور مطهرا الا انه يطهر بواطنهم من الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية (فان قيل) هل هذا نوع آخر غير ما ذكر قبل ذلك من أنهم يشربون من الكافور والزنجبيل والسلسبيل ام لا (أجيب) بانه نوع آخر لوجوه ٢ أولها ارفع ثانيها انه تعالى أضاف هذا الشراب الى نفسه بقوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وذلك يدل على فضل هذا دون غيره ثالثها ماروى انه تقدم اليهم الاطعمة والاشربة فاذا فرغوا منها أتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهر ذلك بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم مثل ريح المسك وهذا يدل على أن ذلك الشراب مغاير لتلك الاشربة ولان هذا الشراب يهضم سائر الاشربة ثم ان له مع هذا الهضم تأثيرا عجيبا وهو انه يجعل سائر الاطعمة والاشربة عرقا يفوح منه ريح كريح المسك ويطهر شاربه عن الميل الى اللذات الخسيسة والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جلاله متلذذا بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين وكل ذلك يدل على المغايرة وقوله تعالى (ان) على اضمار القول أي ويقال لهم ان (هذا كان لكم جزاء) أي على أعمالكم التي كنتم تجهدون فيها أنفسكم عن هواها الى مايرضي ربكم والاشارة الى ماتقدم من عطاء الله تعالى لهم (وكان) أي على وجه الثبات (سعيكم مشكورا) أي لا نضيع شيئا منه ونجازي بأكثر منه اضعافا مضاعفة * ولما بين تعالى بهذا القرآن العظيم الوعد والوعيد ذكر سبحانه انه من عنده وليس هو بسحر ولا كهانة ولا شعر بقوله تعالى (انا نحن) أي على مالنا من العظمة التي لا نهاية لها لا غيرنا (نزلنا عليك) وأنت أعظم الخلق انزالا على حسب صار المنزل خلقا لك (القرآن) أي الجامع لكل هدى (تنزيلا) قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة قال الرازي والمقصود من هذه الآية تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم وشرح صدره فيما نسبوه اليه صلى الله عليه وسلم من كهانة وسحر فذكر تعالى ان ذلك وحي من الله تعالى فكانه تعالى يقول ان كان هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الله تعالى الملك الحق أقول على سبيل التأكيد ان ذلك وحي حق وتنزيل صدق من عندي وفي ذلك فائدتان الاولى ازالة الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفار لان الله تعالى عظمه وصدقه الثانية تقويته على تحمل مشاق التكاليف فكان تعالى يقول له اني مانزلت القرآن عليك متفرقا الا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شئ بوقت معين وقد اقتضت تلك الحكمة تأخير الاذن في القتال (فاصبر لحكم ربك) أي المحسن اليك قال ابن عباس اصبر على أذى المشركين ثم نسخ بآية القتال وقيل اصبر لما يحكم عليك به من الطاعات أو انتظر حكم الله اذ وعدك بالنصر عليهم ولا تستعجل فانه كائن لا محالة (ولا تطع منهم) أي الكفرة الذين هم ضد الشاكرين (آثما) أي داعيا الى اثم سواء كان مجردا عن مطلق الكفر أو مصاحبا له (او كفورا) أي مبالغا في الكفر وداعيا اليه وان كان كبيرا وعظيما في الدنيا فان الحق أكبر من كل كبير وقال قتادة أراد بالآثم والكفور أبا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلي لاطأن

٢ قوله أولها ارفع هكذا في النسخ ولعله أولها أولها ارفع يعني ماتقدم في قوله وقال علي الخ اه

بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب أو المراد بالاسر عجب الذنب لانه لا يتفتت في القبر

على عنقه وقال مقاتل أراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وكانا أتيا النبي صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال والتزويج على أن يترك ذكر النبوة عرض عليه عتبة ابنته وكانت من أجمل النساء وعرض عليه الوليد ان يعطيه من الاموال حتى يرضى ويترك ما هو عليه فقرأ عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من اول حم السجدة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال أحدهما ظننت أن الكعبة ستقع علي (فان قيل) كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله آثما أو كفورا (أجيب) بان معناه ولا تطع منهم مرا كبا لما هو اثم داعيا لك اليه أو فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما أن يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم أو كفر أو غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث ثم قال (فان قيل) معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن اطاعتهما جميعا (أجيب) بانه لو قال ولا تطعهما لجاز أن يطيع أحدهما واذا قيل ولا تطع احدهما علم أن الناهي عن طاعة احدهما أنهى عن طاعتهما جميعا كما اذا نهى ان يقول لابويه أف علم أنه نهى عن ضربهما بطريق الاولى (فان قيل) انه صلى الله عليه وسلم ما كان يطيع أحدا منهم فما فائدة هذا النهي (أجيب) بان المقصود بيان ان الناس محتاجون الى التنبيه والارشاد لاجل ما تركب فيهم من الشهوة الداعية الى النساء وان الواحد لو استغنى عن توفيق الله تعالى وارشاده لكان احق الناس به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم دائما أبدا ومتى ظهر لك ذلك عرفت ان كل مسلم لا بد له من الرغبة الى الله تعالى والتضرع اليه أن يصونه عن الشهوات (واذكر) أي في الصلاة (اسم ربك) أي المحسن اليك بكل جميل (بكرة) أي الفجر (وأصيلا) أي الظهر والعصر (ومن الليل) أي بعضه والباقي للراحة بالنوم (فاسجد له) أي المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) أي صل التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه أو اذكره بلسانك بكرة عند قيامك من منامك الذي هو الموتة الصغرى وتذكر أنه يحيي الموتى ويحشرهم جميعا وأصيلا أي عند انقراض نهارك وتذكر انقراض دنياك وطي هذا العالم لاجل يوم الفصل وفي ذكر الوقتين اشارة الى دوام الذكر وذكر اسمه لازم لذكره والذي عليه أكثر المفسرين الاول قال ابن عباس وسفيان كل تسبيح في القرآن فهو صلاة لان الصلاة أفضل الاعمال البدنية لانها أعظم الذكر لانها ذكر اللسان والجنان والاركان فوظفت فيها اركان لسانية وحركات وسكنات على هيآت مخصوصة من عادتها أن لا تفعل الا بين يدي الملوك * ولما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والامر والنهي عدل سبحانه الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال تعالى (ان هؤلاء) أي الذين يغفلون عن الله من الكفار والمتمردين (يحبون) أي محبة تجدد عندهم زيادتها في كل وقت (العاجلة) لقصور نظرهم وجمودهم على المحسوسات التي الاقبال عليها منشأ البلادة والقصور وهي معدن الامراض للقلوب التي في الصدور ومن تعاطى أسباب الامراض مرض وسمي كفورا ومن تعاطى ضد ذلك شفي وسمي شاكرا (ويذرون) أي ويتركون (وراءهم) أي قدامهم على وجه الاحاطة بهم وهم عنه معرضون كما يعرض الانسان عما وراءه أو خلف ظهورهم لا يعبؤن به وقوله تعالى (يوما) مفعول يذرون لا ظرف وقوله تعالى (ثقيلا) وصف له استعير له الثقل لشدته

(سورة والمرسلات)

(قوله ويل يومئذ للمكذبين) كرر هنا عشر مرات والتكرار في مقام

وهو من الشئ الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض (نحن خلقناهم) أى بما لنا من العظمة لاغيرنا (وشددنا) أى قوينا (أسرهم) أى توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق عظامهم بالاعصاب بعد أن كانوا نطفا أمشاجا فى غاية الضعف واصل الاسر الربط والتوثيق ومنه أسر الرجل اذا وثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق (واذا شئنا) أى بما لنا من العظمة أن نبدل ما نشاء من صفاتهم أو ذواتهم (بدلنا أمثالهم) أى جئنا بأمثالهم بدلا منهم اما بأن نهلكهم ونأتى ببدلهم ممن يطيع واما بتغيير صفاتهم كما شوهد فى بعض الاوقات من المسخ وغيره وقوله تعالى (تبديلا) تأكيد قال الجلال المحلى ووقعت اذا موقع ان نحو ان يشأ يذهبكم لانه تعالى لم يشأ ذلك واذا لما يقع وفى ذلك رد لقول الزمخشرى وحقه أن يجئ بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشأ يذهبكم (ان هذه) أى السورة أو الآيات القريبة (تذكرة) أى عظة للخلق فان فى تصفحها تنبيهات للغافلين وفى تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين ممن ألقى سمعه وأحضر قلبه وكانت نفسه مقبلة على ما ألقى اليه سمعه (فمن شاء) أى بان اجتهد فى وصوله الى ربه (اتخذ) أى أخذ بجهده فى مجاهدة نفسه ومغالبة هواه (الى ربه) أى المحسن اليه الذى ينبغى له أن يحبه بجميع جوارحه وقلبه ويجتهد فى القرب منه (سبيلا) أى طريقا واضحا سهلا واسعا بأفعال الطاعة التى أمر بها لانا بينا الامور غاية البيان وكشفنا اللبس وأزلنا جميع موانع الفهم فلم يبق مانع من استطراق الطريق غير مشيئتنا (وما تشاؤن) أى فى وقت من الاوقات شيأ من الاشياء وقرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب واذا وقف حمزة سهل الهمزة مع المد والقصر وله أيضا ابدالها واوا مع المد والقصر (الا) وقت (أن يشاء الله) أى الملك الاعلى الذى له الامر كله والملك كله على حسب ما يريد ويقدر وقد صح بهذا ما قال الاشعرى وسائر أهل السنة من أن للعبد مشيئة تسمى كسبا لا تؤثر الا بمشيئة الله تعالى وانتفى مذهب القدرية الذين يقولون انا نخلق أفعالنا ومذهب الجبرية القائلين لا فعل لنا أصلا ومثل الملوى ذلك بمن يريد قطع بطيخة فحد سكينة وهيأها وأوجد فيها أسباب القطع وزال عنها موانعه ثم وضعها على البطيخة فهى لا تقطع دون أن يتحامل عليها التحامل المعروف لذلك ولو وضع عليها ما لا يصلح للقطع كخشبة مثلا لم تقطع ولو تحامل فالعبد كالسكين خلقه الله تعالى وهيأه بما أعطاه من القدرة للفعل فمن قال أنا أخلق فعلى مستقلا به فهو كمن قال السكين تقطع بمجرد وضعها من غير تحامل ومن قال الفاعل هو الله من غير نظر الى العبد أصلا كان كمن قال هو يقطع البطيخة بتحامل يده أو قصبة مثلا من غير سكين والذى يقول انه باشر بقدرته المهيأة للفعل يخلقه الله تعالى اياها فى ذلك الفعل كمن قال ان السكين قطعت بالتحامل عليها بهذا أجرى الله سبحانه وتعالى عادته فى الناس ولو شاء غير ذلك فعل ولا يخفى ان هذا هو الحق الذى لا مرية فيه ثم علل ذلك باحاطته بشئونهم بقوله تعالى (ان الله) أى المحيط علما وقدرة (كان) أى أزلا وابدا (عليما) أى بالغ العلم بما يستأهل كل أحد (حكيما) أى بالغ الحكمة فهو يمنع منعا محكما من ان يشاء غيره ما لم يأذن فيه فمن علم فى جبلته خيرا أعانه عليه ومن علم منه الشر ساقه اليه وحمله عليه وهو معنى قوله تعالى (يدخل من يشاء) أى ممن علمه من أهل السعادة (فى رحمته) أى جنته

الترغيب والترهيب
مستحسن لاسيما اذا تغايرت
الآيات السابقة على المرات
المكررة كما هنا (قوله هذا

قوله الملوى هكذا بالاصل
وليحرر

وهو

وهم المؤمنون وقوله تعالى (والظالمين) أى الكافرين منصوب بفعل يفسره قوله تعالى (أعدلهم) مثل أوعد وكافأ ليطابق الجمل المعطوف عليها (عذابا أليما) أى مؤلما فهم فيه خالدون أبد الآبدين وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا حديث موضوع

سورة والمرسلات عرفا

مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا آية منها وهى قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فمدنية

وقال ابن مسعود نزلت والمرسلات عرفا على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه نسير حتى أوينا الى غار بمنى فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وان فاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم اهـ والغار المذكور مشهور فى منى وقد زرته ولله الحمد وعن كريب مولى ابن عباس قال قرأت سورة والمرسلات عرفا فسمعتنى أم الفضل امرأة العباس فبكت وقالت والله يا بنى لقد أذكرتنى بقراءتك هذه السورة انها لآخر ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فى صلاة المغرب وهى خمسون آية واحدى وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا

(بسم الله) الملك الحق المبين (الرحمن) المنعم على الخلق أجمعين (الرحيم) الذى خص بكرامته عباده المؤمنين (والمرسلات عرفا) أى الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضها بعضا ونصبها على الحال هذا ما عليه الجمهور من أنها الرياح قال تعالى وأرسلنا الرياح وقال تعالى ويرسل الرياح وروى مسروق عن عبد الله قال هى الملائكة أرسلت بالعرف من امر الله تعالى ونهيه والخبر والوحى وهو قول أبى هريرة ومقاتل والكلبى وقال ابن عباس رضى الله عنهما هم الانبياء عليهم السلام أرسلوا بلا اله الا الله وقال أبو صالح هم الرسل ترسل بما يعرفون به من المعجزات وقيل المراد السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما أرسلت اليه ومن أرسلت اليه (فالعاصفات) أى الرياح الشديدة (عصفا) اى عظيما بما لها من النتائج الصالحة وقيل الملائكة شبهت لسرعة جريها فى امر الله تعالى بالرياح وقيل الملائكة تعصف بروح الكافر يقال عصف بالشئ اذا اباده واهلكه وناقة عصوف اى تعصف براكبها فتمضى كأنها ريح فى السرعة وعصفت الحرب بالقوم أى ذهبت بهم وقيل يحتمل انها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف (والناشرات نشرا) اى الرياح اللينة تنشر المطر وقال الحسن هى الرياح التى يرسلها الله تعالى بين يدى رحمته وقيل الامطار لانها تنشر النبات بمعنى تحييه وروى عن السدى انها الملائكة تنشر كتب الله تعالى وروى الضحاك انها الصحف تنشر على الله تعالى باعمال العباد * (تنبيه) * انما قال الله تعالى والناشرات بالواو لانه استئناف قسم آخر (فالفارقات فرقا) اى الرياح تفرق السحاب وتبدده قاله مجاهد وعن ابن عباس هى الملائكة تفرق الاقوات والارزاق والآجال وقيل هم الرسل فرقوا بين ما أمر الله تعالى به وما نهى عنه أى بينوا ذلك وقيل آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (فالملقيات ذكرا) اى الملائكة تنزل بالوحى الى الانبياء والرسل

يوم لا ينطقون) فانقلت
نفى النطق عنهم يدل على
انتفاء الاعتذار منهم اذ
الاعتذار لا يكون

عليهم الصلاة والسلام وقيل هو جبريل عليه السلام وحده سمي باسم الجمع تعظيما (فان قيل)
ما المناسبة على هذا بين الرياح والملائكة في القسم (اجيب) بان الملائكة روحانيون فهم
بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح وقيل المراد به الرسل يلقون الى اممهم ما انزل عليهم
وذكرا مفعول به ناصبه الملقيات (عذرا او نذرا) مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر
اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى
الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما اما على البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على
المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقرأ او نذرا نافع وابن
كثير وابن عامر وشعبة بضم الذال والباقون بسكونها وقوله تعالى (انما توعدون لواقع)
جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة وقال الكلبي المراد
ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع ثم بين وقت وقوعه فقال تعالى (فاذا النجوم) اي على
كثرتها (طمست) اي محي نورها او ذهب نورها ومحقت ذواتها وهو موافق لقوله تعالى انتثرت
وانكدرت قال الزمخشري ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور (واذا السماء) اي على
عظمها (فرجت) اي فتحت وشققت فكانت ابوابا والفرج الشق ونظيره اذا السماء انشقت
(واذا الجبال) اي على صلابتها (نسفت) اي ذهب بها كلها بسرعة من نسفت الشيء اذا
اختطفته او نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا
مهيلا (واذا الرسل) اي الذين انذروا الناس ذلك اليوم فكذبوا (اقتت) قال مجاهد والزجاج
المراد بهذا التأقيت تبيين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على اممهم اي جمعت لميقات يوم
معلوم وهو يوم القيامة والوقت الاجل الذي يكون عنده الشيء المؤخر اليه فالمعنى جعل لها
وقت اجل للفصل والقضاء بينهم وبين الامم كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقرأ ابو عمرو
بواو مضمومة والباقون بهمزة مضمومة وهما لغتان والعرب تعاقب بين الواو والهمزة
كقولهم وكدت واكدت وقوله تعالى (لاي يوم) اي عظيم متعلق بقوله تعالى (اجلت) وهذه
الجملة معمولة لقول مضمر اي يقال لاي يوم اجلت وهذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا
لاذا وان يكون حالا من مرفوع اقتت اي مقولا فيهم لاي يوم اجلت اي اخرت وهذا تعظيم
لذلك اليوم وتعجيب له وقوله تعالى (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وقيل اللام بمعنى الى
ذكره مكي قال ابن عباس يوم فصل الرحمن بين الخلائق كقوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم
اجمعين ثم اتبع هذا التعظيم تعظيما آخر بقوله تعالى (وما ادراك ما يوم الفصل) اي ومن اين
تعلم كنهه ولم تر مثله في شدته ومهابته وقرأ ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي وابن ذكوان
بخلاف عنه بالامالة محضة وقرأ ورش بين بين والباقون بالفتح ثم اتبعه تهويلا ثالثا بقوله تعالى
(ويل يومئذ) اي اذ يكون يوم الفصل (للمكذبين) اي بذلك قال القرطبي ويل عذاب وخزي
لمن كذب بالله تعالى وبرسله وكتبه وبيوم الفصل وهو وعيد وكرره في هذه السورة عند كل آية
كانه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم فان لكل مكذب بشيء عذابا سوى عذابه بتكذيبه بشيء آخر
ورب شيء كذب به هو اعظم جرما من تكذيبه بغيره لانه اقبح في تكذيبه واعظم في الرد على الله
تعالى وانما يقسم له من الويل على قدر ذلك وعلى قدر وفاقه وهو قوله تعالى جزاء وفاقا (فان قيل)

الا ان النطق فائدة وله عقبه ولا يؤذن لهم فيعتذرون (قلت) معناه لا ينطقون ابتداء بعذر

كوره

كرم الله وجهه معنى تكرار التخويف والوعيد وروى عن النعمان بن بشير قال ويل واد في جهنم فيه ألوان العذاب وقاله ابن عباس وغيره وروى انه عليه الصلاة والسلام قال عرضت على جهنم فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروى أيضا أنه مجمع ما يسيل من قيح أهل النار وصديدهم وانما يسيل الشئ فيما سفل من الارض وقد علم العباد في الدنيا ان شر المواضع ما استنقع فيه مياه الادناس والاقذار والغسالات والجيف وماء الحمامات فذكران الوادى مستنقع صديد أهل الكفر والشرك ليعلم العاقل انه لاشئ اقذر منه قذارة ولا أنتن منه نتنا * (تنبيه) * ويل مبتدأ وسوغ الابتداء به الدعاء ويومئذ ظرف للويل وللمكذبين خبره وقال الزمخشري فان قلت كيف وقع النكرة مبتدأ قلت هو في اصله مصدر منصوب سادمسد فعله لكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم واعترض بأن الذى ذكره ليس من المسوّغات التي ذكرها النحويون وانما المسوغ كونه دعاء وفائدة العدول الى الرفع ما ذكره (ألم نهلك) أي بما لنا من العظمة (الاولين) من لدن آدم عليه السلام الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود بتكذيبهم اى اهلكناهم (ثم نتبعهم الآخرين) أي ممن كذبوا ككفار مكة فنهلكهم كما أهلكنا الاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) اى مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل بالمجرمين) اى بكل من اجرم فيما يستقبل امابالسيف واما بالهلاك (ويل يومئذ) اى اذ يوجد ذلك الفعل (للمكذبين) اى بآيات الله وانبيائه قال البيضاوى فليس تكرارا وكذا ان أطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول بعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب (ألم نخلقكم) اى ايها المكذبون بما لنا من العظمة التى لا تغيرها عظمة (من ماء مهين) اى ضعيف حقير وهو المني وهذا نوع اخر من تخويف الكفار وهو من وجهين الاول انه تعالى ذكرهم عظيم انعامه عليهم وكلما كان نعمه عليه اكثر كان جنايته في حقه اقبح وأفحش الثاني انه تعالى ذكرهم انه قادر على الابتداء والقادر على الابتداء قادر على الاعادة فلما انكروا هذه الدلالة الظاهرة لاجرم قال تعالى في حقهم ويل يومئذ للمكذبين وهذه الآية نظيرة قوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقرأ كل القراء بادغام القاف في الكاف وابقاء الصفة وله أيضا ادغام الصفة مع الحذف ٣ (فجعلناه) اى بما لنا من القدرة والعظمة بالانزال للماء في الرحم (في قرار) أي مكان (مكين) اى حريز وهو الرحم (الى قدر معلوم) أي وهو وقت الولادة كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الى قوله ويعلم ما في الارحام (فقدرنا) أي ذلك دون غيرنا (فنعم القادرون) نحن وقرأ نافع والكسائي بتشديد الدال فيصح على هذه القراءة أن يكون المعنى فقدرناه والباقون بالتخفيف وقال على كرم الله وجهه ولا يبعد أن يكون المعنى في التخفيف والتشديد واحدا لان العرب تقول قدر وقدر عليه الموت (ويل يومئذ) أي اذ كان ذلك (للمكذبين) أي بقدرتنا على ذلك أو على الاعادة وقوله تعالى (ألم نجعل) أي نصير بما لنا من العظمة (الارض كفاتا) مصدر كفت بمعنى ضم وعاء ضامة (أحياء) اى على ظهرها في الدور وغيرها (وأمواتا) أي في بطنها في القبور وغيرها وقيل الاحياء والاموات ترجع الى الارض أي الارض منقسمة الى حي وهو

مقبول ولا يبعد أن يؤذن لهم في الاعتذار لو اذن لهم فيه اذ الظاهر عادة قد لا ينطق لسانه بعذر وجيه

٣ قوله وله أيضا ادغام الصفة الخ لعل الظاهر وله أيضا الادغام مع حذف الصفة فليحرر اه مصححه

الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا ينبت وقيل كفاتا جمع كافت كصيام وقيام جمع صائم وقائم وقال الخليل تقليب الشيء ظهرا لبطن أو بطنا لظهر ويقال انكفت القوم الى منازلهم أى انقلبوا فمعنى الكفات انهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون اليها فيدفنون فيها (وجعلنا) أى بما لنا من القدرة التامة (فيها) أى الارض (رواسى) أى جبالا لولاها لمادت باهلها ومن العجائب مراسيها من فوقها خلافا لمراسى السفن (شامخات) أى مرتفعات جمع شامخ وهو المرتفع جدا ومنه شمخ بانفه اذا تكبر جعل كناية عن ذلك كثنى العطف وصعر الخد كما قال لقمان لابنه ولا تصعر خدك للناس (وأسقيناكم) أى بما لنا من العظمة (ماء) أى من الانهار والعيون والغدران والآبار وغير ذلك (فراتا) أى عذبا تشربون منه ودوابكم وتسقون منه زرعكم وهذه الامور أعجب من البعث روى فى الارض من الجنة سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة (ويل يومئذ) أى اذ تقوم الساعة (للمكذبين) اى بامثال هذه النعم وقوله تعالى (انطلقوا) على ارادة القول أى يقال للمكذبين يوم القيامة انطلقوا (الى ما كنتم به تكذبون) من العذاب يعنى النار فقد شاهدتموه عيانا (انطلقوا الى ظل) أى ظل دخان جهنم لقوله تعالى وظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) أى تتشعب لعظمه كما يرى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش وقيل ان الشعب الثلاث هى الضريع والزقوم والغسلين لانها أوصاف النار وقوله تعالى (لا ظليل) أى كنين يظلهم من حر ذلك اليوم تهكم بهم ورد لما يوهم لفظ الظل (ولا يغنى) أى ولا يرد عنهم شيأ (من اللهب) أى لهب النار فليس كالظل الذى يقى حر الشمس وهذا تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين واللهب ما يعلو على النار اذا اضطربت من أحمر وأصفر واخضر (انها) اى النار (ترمى) أى من شدة الاشتعال (بشرر) وهو ما تطاير من النار (كالقصر) أى كل شررة كالقصر من البناء فى عظمه وارتفاعه قال ابن مسعود يعنى الحصون وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ترمى بشرر كالقصر قيل هى الخشب العظام المقطعة قال وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء فكنا نسميها القصر وقال سعيد بن جبير والضحاك هى أصول النخل والشجر العظام واحدتها قصرة مثل جمرة وجمر وقوله تعالى (كانه) أى الشرر (جمالات) قرأه حمزة والكسائى وحفص بغير ألف بعد اللام على التوحيد والباقون بالالف على الجمع جمع جمالة وهى التى قرئ بها أولا وهى جمع جمل مثل حجارة وحجر وقوله تعالى (صفر) جمع أصفر أى فى هيئتها ولونها وفى الحديث شرار النار أصفر كالقير والعرب تسمى سود الابل صفرا لشوب سوادها بصفرة فقيل صفر فى الآية بمعنى سود لما ذكر وفى شعر عمران ابن حطان الخارجى

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

قال الترمذى وهذا القول ضعيف ومحال فى اللغة أن يكون من يشوبه شىء قليل فينسب كله الى ذلك الشائب فالعجب ممن قد قال هذا وقد قال الله تعالى جمالات صفر فلا نعلم من هذا شيأ فى اللغة وقيل شبه الشرر بالجمالات لسرعة سيرها وقيل لتتابعة بعضها بعضا (ويل يومئذ) أى

قوله لكن اذا اذن له فيه نطق ففائدة ذلك فى هذا المعنى أى لا ينطقون بعذر ابتداء ولا بعد الاذن (فان

اذ يكون ذلك (للمكذبين) أى بهذه الامور العظام (هذا) أى يوم القيامة (يوم لا ينطقون) أى بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا نوع آخر من أنواع تخويف الكفار بين انه ليس لهم عذر ولا حجة فيما أتوا به من القبائح وهذا فى بعض المواقف فان يوم القيامة يوم طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت ولا ينطقون فى وقت ولذلك ورد الامران فى القرآن الكريم ففى بعضها يختصمون ويتكلمون وفى بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون وروى عكرمة أن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سأله ابن الازرق عن قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع الا همسا وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال ان الله تعالى يقول وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون فان لكل مقدار من هذه الايام لونا من هذه الالوان وقال الحسن فيه اضمار أى هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة فجعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع ومن نطق بما لا ينفع فكأنه ما نطق كما يقال لمن تكلم بكلام لا يفيد ما قلت شيأ وقيل ان هذا وقت جوابهم اخسؤا فيها ولا تكلمون (ولا يؤذن لهم) أى فى العذر وقوله تعالى (فيعتذرون) عطف على يؤذن من غير تسبب عنه فهو داخل فى حيز النفى أى لا اذن فلا اعتذار (ويل يومئذ) أى اذ كان هذا الموقف (للمكذبين) أى الذين لا تقبل منهم معذرة (هذا يوم الفصل) وهذا نوع آخر من أنواع تهديد الكفار وتخويفهم أى يقال لهم هذا اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق فيتبين المحق من المبطل (جمعناكم) أيها المكذبون من هذه الامة بما لنا من العظمة (والاولين) من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما جمع الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا النبيين من قبل وقوله تعالى (فان كان لكم كيد) أى حيلة فى دفع العذاب عنكم (فكيدون) أى فاحتالوا لانفسكم وقاووا ولن تجدوا ذلك تقريع لهم على كيدهم لدين الله تعالى وذويه وتسجيل عليهم بالعجز وقيل ان ذلك من قول النبى صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود عليه السلام فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون (ويل يومئذ) أى اذ يقال لهم هذا الكلام فيكون زيادة فى عذابهم (للمكذبين) أى الراسخين فى التكذيب فى ذلك ثم ذكر ضد المكذبين بقوله تعالى (ان المتقين) أى الذين اتقوا الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين (فى ظلال) أى تكاثف أشجار اذ لا شمس يظل من حرها (وعيون) أى من ماء وعسل ولبن وخمر كما قال تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم العين والباقون بكسرها (وفواكه مما يشتهون) فى هذا اعلام بأن المأكل والمشرب فى الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس فى الاغلب وقوله تعالى (كلوا واشربوا) فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال أى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك وقوله تعالى (هنيئا) حال أى متهنئين (بما) أى بسبب ما (كنتم تعملون) من طاعات الله تعالى (انا) أى بما لنا من العظمة (كذلك) أى كما جزينا المتقين هذا الجزاء العظيم (نجزى المحسنين) أى نثيب الذين أحسنوا فى تصديقهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وأعمالهم فى الدنيا (ويل يومئذ) أى اذ يكون هذا النعيم للمتقين المحسنين (للمكذبين) أى بعض

قال) ماذكرناه مما دل عليه قوله يوم لا ينطقون من الظالمين معذرتهم من وقوع الاعتذار منهم

لهم العذاب الخالد ضد النعيم المؤبد وقوله تعالى (كلوا وتمتعوا) خطاب للكفار في الدنيا (قليلا) أي من الزمان وغايته الى الموت وهو زمان قليل لانه زائل مع قصر مدته في زمن الآخرة وفي هذا تهديد لهم ويجوز أن يكون ذلك خطابا لهم في الآخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من أهله تذكيرا بحالهم السمجة بما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وهذا ما جرى عليه الزمخشري أولا وذكر الاول ثانيا واقتصر الجلال المحلي على ما ذكرته أولا وهو أولى قال بعض العلماء التمتع بالدنيا من افعال الكافرين والسعي لها من افعال الظالمين والاطمئنان اليها من أفعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والاخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين والاعراض عنها من أفعال الزاهدين وأهل الحقيقة أجل خطرا من أن يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها * ثم علل ذلك مؤكدا بقوله تعالى لانهم ينكرون وصفهم بذلك (انكم مجرمون) ففيه دلالة على ان كل مجرم يتمتع أياما قلائل ثم البقاء في الهلاك أبدا (ويل يومئذ) أي اذ تعذبون باجرامكم (للمكذبين) حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل (واذا قيل لهم) أي لهؤلاء المجرمين من أي قائل كان (اركعوا) أي صلوا الصلاة التي فيها الركوع كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما وأطلقوه عليها تسمية لها باسم جزئها وخص هذا الجزء لانه يقال على الخضوع والطاعة ولانه خاص بصلاة المسلمين (لا يركعون) أي لا يصلون قال الرازي وهذا ظاهر لان الركوع من أركانها فبين تعالى ان هؤلاء الكفار من صفتهم أنهم اذا دعوا الى الصلاة لا يصلون ويجوز أن يكون اركعوا بمعنى اخشعوا وتواضعوا لله بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وأن يكون بمعنى اركعوا في الصلاة اذ روى أنها نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود قال في القاموس جبى تجبية وضع يديه على ركبتيه أو على الارض أو انكب على وجهه والتجبية أن تقوم قيام الراكع واستدل بهذه الآية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وأنهم حال كفرهم يستحقون الذم والعتاب بترك الصلاة لان الله تعالى ذمهم حال كفرهم وعلى أن الامر للوجوب لان الله تعالى ذمهم بمجرد ترك المأمور به وهو يدل على أن الامر للوجوب (فان قيل) انما ذمهم لكفرهم (أجيب) بانه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه الا أنه تعالى انما ذمهم في هذه الآية لتركهم المأمور به وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها (ويل يومئذ) أي اذ يكون الفصل (للمكذبين) اي بما أمروا به قال الرازي انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من أول هذه السورة الى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين أنهم اذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل القطعية مع تجليها ووضوحها (فبأي حديث بعده) أي القرآن (يؤمنون) اي لا يمكن ايمانهم بغيره من كتب الله تعالى بعد تكذيبهم به لاشتماله على الاعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره واستدل بعض المعتزلة بهذه الآية على ان القرآن حادث لان الله تعالى وصفه بانه حديث والحديث ضد القديم والضدان لا يجتمعان فاذا كان حديثا وجب أن لا يكون

(قلت) لا ينافيه لان يوم القيامة يوم طويل فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في آخر والجواب

قديما

قد تقدم وأجيب بأن المراد منه هذه الألفاظ ولا نزاع في أنها محدثة وقول البيضاوي تبعا للزمخشري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والمرسلات كتب الله تعالى له أنه ليس من المشركين حديث موضوع

سورة عم يتساءلون

وتسمى سورة النبأ مكية وهي أربعون أو إحدى وأربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وسبعمائة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي له الملك كله (الرحمن) الذي عم الوجود بفضله (الرحيم) الذي محضت أولياؤه جنته وقوله تعالى (عم) أصله عن ما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وأدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما كقوله فيم واستعمال الأصل قليل ومنه قول حسان

على ما قام يشتمني لئيم * كخنزير تمرغ في رماد

ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أي شيء (يتساءلون) ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد أي شيء هو من الأشياء هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية ولذا ما وقف البزي ألحق الميم هاء السكت بخلاف عنه والضمير في يتساءلون لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد ويسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يتساءلون عنه أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا وأما الكافر فليزداد استهزاء * ثم ذكر أن تساؤلهم عماذا فقال تعالى (عن النبإ العظيم) قال مجاهد والأكثرون هو القرآن دليله قوله تعالى قل هو نبأ عظيم وقال قتادة هو البعث (فإن قيل) إذا كان الضمير يرجع للكافر فكيف يكون قوله تعالى (الذي هم) أي بضمائرهم مع ادعائهم أنها أقوى الضمائر (فيه مختلفون) مع أن الكفار كانوا متفقين على إنكار البعث (أجيب) بأنا لا نسلم اتفاقهم على ذلك بل كان فيهم من يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارى وأما المعاد الجسماني فمنهم من يقطع القول بإنكاره ومنهم من يشك وأما إذا كان المتساءل عنه القرآن فقد اختلفوا فيه كثيرا وقيل المتساءل عنه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (كلا) ردع للمتسائلين هزؤا (سيعلمون) ما يحل بهم على إنكارهم له وقوله تعالى (ثم كلا سيعلمون) تأكيد وجيء فيه بثم للإيذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول وقال الضحاك الأولى للكفار والثانية للمؤمنين أي سيعلم الكافرون عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم * ثم أومأ تعالى إلى القدرة على البعث بقوله تعالى (ألم نجعل) أي بما لنا من العظمة (الأرض مهادا) أي فراشا كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الأمير (والجبال) أي التي تعرفون شدتها وعظمها (أوتادا) أي تثبت بها الأرض كما تثبت الخيام بالأوتاد والاستفهام للتقرير فيستدل بذلك على قدرته على جميع الممكنات وإذا

بأن المراد بتلك الآية الظالمون من المسلمين وعبا هنا الكافرون وضعيف لتعقيب تلك الآية بقوله

ثبت ذلك ثبت القول بصحة البعث وانه قادر على تخريب الدنيا بسمواتها وكواكبها وارضها وعلى ايجاد عالم الآخرة *(تنبيه)* مهادا مفعول ثان لان الجعل بمعنى التصيير ويجوز أن يكون بمعنى الخلق فتكون حالا مقدرة (وخلقناكم) أي بما دل على ذلك من مظاهر العظمة (أزواجا) أي أصنافا ذكورا واناثا وقيل ألوانا (وجعلنا) أي بما لنا من العظمة (نومكم سباتا) أي راحة لابدانكم قال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح فيه وقيل معناه جعلنا نومكم قطعا لأعمالكم وقيل المسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم أحد التوفيتين وقوله تعالى (وجعلنا) أي بما لنا من العظمة (الليل) أي بعد ذهاب الضياء حتى كأنه لم يكن (لباسا) فيه استعارة أي يستركم عن العيون بظلمته كما اذا أردتم هربا من عدو او بياتا له أو اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور قال الشاعر

وكم لظلام الليل عندي من يد * تخبر أن المانوية تكذب

ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا فقال تعالى (وجعلنا) أي بما لنا من القدرة التامة (النهار) أي الذي آيته الشمس (معاشا) أي حياة تبعثون فيه من نومكم أو وقت معاش تتقلبون فيه في حوائجكم ومكاسبكم لتحصيل ما تعيشون به فمعاشا على هذا اسم زمان (وبنينا) اي بما لنا من الملك التام (فوقكم سبعا) اي سبع سموات وقوله تعالى (شدادا) جمع شديدة أي قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان لا فطور فيها ولا فروج ونظيره قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا (وجعلنا) أي بما لنا من العظمة بما لا يقدر عليه غيرنا (سراجا) أي منيرا متلألئا (وهاجا) أي وقادا وهي الشمس (وانزلنا) أي بما لنا من كمال الاوصاف (من المعصرات) أي السحاب اذا اعصرت أي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك أجز الزرع أي حان أن يجز واعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض وعن الحسن وقتادة هي السموات وتأويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكأن السموات تعصره وقيل من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقيل الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه (ماء ثجاجا) اي منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث أفضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته (لنخرج) اي بعظمتنا التي ربطنا بها المسببات بالاسباب (به) اي بذلك الماء (حبا) اي نجما ذا حب مما يقوت به كالحنطة والشعير والارز (ونباتا) اي ما يعتلف به كالتبن والحشيش كما قال تعالى كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان (وجنات) اي بساتين تجمع انواع الاشجار والنباتات المقتات وغيره (ألفافا) اي ملتفة بالشجر جمع لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع الجمع يقال جنة لفاء وجمعها لف بضم اللام وجمع الجمع الفاف وقيل لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف قال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر

وقال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها (ان يوم الفصل) اي بين الخلائق (كان) اي في علم الله تعالى وفي حكمه كونا لا بد منه (ميقاتا) اي وقتا

والشوائب

واهم اللعنة ولهم سوء الدار

(سورة النبأ)

(قوله كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) كررها تأكيدا أو

للثواب والعقاب او وقتا توقت به الدنيا وتنتهي عنده مع ما فيها من الخلائق وقوله تعالى (يوم ينفخ في الصور) اى القرن بدل من يوم الفصل او بيان له والنافخ اسرافيل عليه السلام او من اذن الله تعالى له في ذلك (فتأتون) اى بعد القيام من القبور الى الموقف (افواجا) اى جماعات مختلفة وعن معاذ انه سال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه باكيا وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسر هؤلاء بقوله فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ويمنعون حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء اهـ وقد تكلم في صحة هذا الحديث نعوذ بالله تعالى من هؤلاء ونسأله التوفيق لنا ولاحبابنا فانه كريم جواد لا يرد من ساله (وفتحت السماء) اى شققت لنزول الملائكة (فكانت ابوابا) فان قيل هذه الآية تقتضي ان السماء بجملتها تصير ابوابا اجيب بوجوه اولها ان تلك الابواب لما كثرت صارت كأنها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كأن كلها صارت عيونا تتفجر ثانيها انه على حذف مضاف اى فكانت ذات ابواب ثالثها ان الضمير في قوله تعالى فكانت ابوابا يعود الى مضمر والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا وقيل الابواب الطرق والمسالك اى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف التاء بعد الفاء والباقون بتشديدها (وسيرت الجبال) اى ذهب بها عن اماكنها (فكانت سرابا) اى لا شيء كما ان السراب كذلك يظنه الرائي ماء وليس بماء قال الرازي ان الله تعالى ذكر احوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بان نقول اول احوالها الاندكاك وهو قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة والحالة الثانية ان تصير كالعهن المنفوش وهو قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش والحالة الثالثة ان تصير كالهباء وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا الحالة الرابعة ان تنسف لانها مع الاحوال المتقدمة قارة في مواضعها فترسل عليها الرياح فتنسفها عن وجه الارض فتطيرها في الهواء وهو قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا الحالة الخامسة ان تصير سرابا اى لا شيء كما يرى السراب من بعد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بادغام تاء التانيث في السين والباقون بالاظهار (ان جهنم) اى النار التي تلقى اصحابها بتجهم لهم بغاية ما يكرهون (كانت

الاول توعد الكفار بما يرونه عند النزع والثاني توعدهم بما يصيرون اليه من عذاب الآخرة او الاول

مرصادا) اى ترصد الكفار او موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها فى مرورهم عليها وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان جاء بها تامة جاز الى الثانى فيسئل عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا فيقال انظروا ان كان له تطوع أكمل به أعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وأما الكافر فهو مستقر فيها كما قال تعالى (للطاغين) أى الكافرين (مآبا) اى مرجعا يرجعون اليه وقرأ حمزة (لابثين فيها) بغير ألف بين اللام والباء الموحدة والباقون بالف وهما لغتان والاولى أبلغ قاله البيضاوى وقوله تعالى (احقابا) جمع حقب والحقب الواحد ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة روى ذلك عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وقال مجاهد الاحقاب ثلاثة وأربعون حقبا وقال الحسن ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا فوالله ما هو الا أنه اذا مضى حقب دخل آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروى عن عبد الله انه قال لو علم أهل النار أنهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا وقال مقاتل بن حيان الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة قال وهذه الآية منسوخة نسختها فلن نزيدكم الا عذابا يعنى ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل وعلى تقدير عدم النسخ فهو من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ويجوز أن يراد لابثين فيها احقابا (لا يذوقون) أى غير ذائقين (فيها) أى النار (بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا) ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب ويجوز أن يكون جمع حقب من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطأ الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعنى لابثين فيها حقبين جهدين وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعنى لا يذوقون فيها بردا قال عطاء والحسن أى راحة وروحا اى تنفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما أى ماء حارا غاية الحرارة وغساقا وهو ما يسيل من صديد أهل النار فانهم يذوقونه وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان البرد النوم ومثله قال الكسائى وأبو عبيدة تقول العرب منع البرد البرد أى اذهب البرد النوم قال الشاعر

فلو شئت حرمت النساء سواكم ❊ وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

وقرأ حمزة والكسائى وحفص بتشديد السين والباقون بتخفيفها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده جوزوا بذلك (جزاء وفاقا) أى موافقا لعملهم قال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الكفر ولا عذاب أعظم من النار وقوله تعالى (انهم كانوا لا يرجون حسابا) بيان لما وافقه هذا الجزاء أى لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا أنهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) أى بما جاءت

توعد باهوال القيامة والثانى توعد بما بعدها من النار وحرها والاول ردع عن الاختلاف والثانى

قوله بتخفيفها كذا بالنسخ ومقتضاه ان حفصا قرأ بالتخفيف والمعروف خلافه وبالجملة فليحرر اهـ مصححه

به الانبياء عليهم السلام وقيل القرآن وقرأ (كذابا) غير الكسائي بالتشديد أى تكذيبا قال الفراء وهي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال وقال الزمخشري وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرأ الكسائي بالتخفيف مصدر كذب بدليل قول الشاعر

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

قال الزمخشري وهو مثل قوله أنبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا أو تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة اولانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه أقصى جهده (وكل شئ) أى من الاعمال وغيرها (احصيناه) اى ضبطناه وقوله تعالى (كتابا) فيه وجهان أحدهما انه مصدر في موضع احصاء وان الاحصاء والكتب يتشاركان في معنى الضبط ثانيهما أن يكون حالا بمعنى مكتوبا في اللوح المحفوظ كقوله تعالى وكل شئ احصيناه في امام مبين وقيل أراد ما تكتبه الملائكة الموكلون بالعباد بامر الله تعالى اياهم بالكتابة لقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين والجملة اعتراض وقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم) اى شيأ من الاشياء في وقت من الاوقات (الا عذابا) تسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات قال الرازي وفي هذه الآية مبالغات منها لن للتأكيد ومنها الالتفات ومنها اعادة قوله تعالى فذوقوا بعد ذكر العذاب قال أبو بردة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أشد آية في القرآن فقال صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وكلما خبت زدناهم سعيرا *ولما ذكر تعالى مال الكافرين أتبعه بذكر مال المؤمنين فقال تعالى (ان للمتقين مفازا) أى مكان فوز في الجنة وقوله تعالى (حدائق) أى بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال أو البعض أو بيان له وقوله تعالى (وأعنابا) اى كروما عطف على مفازا (وكواعب) اى جواري تكعبت ثديهن جمع كاعب (اترابا) اى على سن واحد جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء وقيل الاتراب اللدات (وكأسا دهاقا) اى خمرا مالئة محلها وفي القتال وانهار من خمر والدهاق المترعة وهو الحوض ملأه حتى قال قطني وقال ابن عباس مترعة مملوأة وقال عكرمة صافية (لا يسمعون فيها) اى الجنة في وقت ما عند شرب الخمر وغيره من الاحوال (لغوا) أى لغطا يستحق أن يلغى بان يكون ليس له معنى وقوله تعالى (ولا كذابا) قرأه بالتخفيف الكسائي وبالتشديد الباقون أى تكذيبا من واحد لغيره بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر (جزاء من ربك) أى المحسن اليك بما أعطاك جزاهم بذلك جزاء وقوله تعالى (عطاء) بدل من جزاء وهو اسم مصدر وجعله الزمخشري منصوبا بجزاء نصب المفعول به ورده أبو حيان بانه جعل جزاء مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة التي هي ان للمتقين قال والمصدر المؤكد لا يعمل لانه لا ينحل لحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك خلافا (حسابا) أى كافيا وافيا يقال أحسبت فلانا أى أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي وقال ابن قتيبة اى عطاء كثيرا

عن الكفر وثم للاشعار بأن الوعيد الثاني أشد (قوله ألم نجعل الارض مهادا) وجه اتصاله بما قبله انهم

وقيل جزاء بقدر أعمالهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (رب السموات والارض وما بينهما
الرحمن) برفع رب والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والآخرون بخفض الاول ورفع الثاني
أما رفعهما ففيه أوجه أحدها أن يكون رب خبر مبتدأ مضمر أي هو رب والرحمن كذلك
أو مبتدأ خبره لا يملكون ثانيها أن يجعل رب مبتدأ والرحمن خبره ولا يملكون خبرا ثانيا
أو مستأنفا ثالثها أن يكون رب مبتدأ والرحمن نعته ولا يملكون خبر رب رابعها أن يكون
رب مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر الاول وحصل الربط بتكرير المبتدا
بمعناه وهو رأي الاخفش ويجوز أن يكون لا يملكون حالا وتكون لازمة وأما جرهما فعلى
البيان والنعت أو يجعل رب السموات تابعا للاول والرحمن تابعا للثاني وأما جر الاول فعلى
التبعية للاول ورفع الثاني فعلى الابتداء والخبر الجملة الفعلية وهي (لا يملكون) أي الخلق
(منه) أي من الله تعالى (خطابا) والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض أي ليس في
أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف
الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه أو لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب
أو زيادة في الثواب الا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه وقوله تعالى (يوم) متعلق بلا يملكون
أو لا يتكلمون (يقوم الروح والملائكة) وقوله تعالى (صفا) حال أي مصطفين والروح أعظم
خلقا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو
ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا أعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام هو وحده
صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثلهم وقال الشعبي هو جبريل
عليه السلام وقيل ملك موكل على الارواح وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان الروح ملك
أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر
ألف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة ملك يجيء يوم القيامة صفا وحده وقال مجاهد وقتادة
رضي الله عنهما الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا
هؤلاء جند وهؤلاء جند وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خلق على صورة
بني آدم وما ينزل من السماء ملك الا معه واحد منهم وقال الحسن رضي الله عنه هم بنو آدم
ورواه قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال هذا مما كان يكتمه ابن عباس وقيل الروح جند
من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل يأكلون الطعام وقيل أرواح بني
آدم وقال زيد بن اسلم هو القرآن وقرأ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا فاذا كان هؤلاء
(لا يتكلمون) وهم من أفضل الخلائق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه فكيف لا يملكون
التكلم فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات والارض ويجوز رجوع الضمير للخلق أجمعين
(الا من أذن له) أي في الكلام اذنا خاصا (الرحمن) أي الملك الذي لا تكون النعمة الا منه
(وقال) قولا (صوابا) في الدنيا أي حقا من المؤمنين والملائكة أو يشترط لهما أن يكون
المتكلم مأذونا له في الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا
يشفعون الا لمن ارتضى وقيل القول الصواب لا اله الا الله (ذلك) أي المشار اليه بعد مكانته
وعظم رتبته وعلو منزلته (اليوم الحق) أي الكائن لا محالة وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ

لما اختلفوا في النبأ العظيم وهو البعث ثم أنكروه نبههم الله تعالى بما خلقه وأوجده على كمال قدرته

الى ربه) أى الحسن اليه (ما با) أى مرجعا وسبيلا لطاعته ليسلم من العذاب فى ذلك اليوم فان الله تعالى جعل لهم قوة واختيارا ولكن لا يقدر أحد منهم على مشيئة شئ الا بمشيئة الله تعالى (انا) اى على ما لنا من العظمة (أنذرنا كم) أى يا كفار مكة (عذابا قريبا) أى عذاب يوم القيامة الآتى وكل آت قريب وقوله تعالى (يوم) ظرف لعذابا بصفته (ينظر المرء) اى كل امرئ سواء كان مؤمنا أو كافرا انظار الاعتبار فيه (ما) أى الذى (قدمت يداه) اى كسبه فى الدنيا من خير وشر وقال الحسن رضى الله عنه أراد بالمرء المؤمن أى يجد لنفسه عملا واما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى أن يكون ترابا ولانه تعالى قال (ويقول الكافر) فعلم انه أراد بالمرء المؤمن وقيل هو الكافر لقوله تعالى انا أنذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم و[illegible] ما قدمت يداه من الشر كقوله تعالى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وما يجوز أن تكون استفهامية منصوبة بقدمت أى ينظر أى شئ قدمت يداه أو موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع الى الصلة محذوف وقال مقاتل رضى الله عنه نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فى أبى سلمة بن عبد الاسد المخزومى (ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا) فى أخيه الاسود بن عبد الاسد وقال الثعلبى [illegible] يا ليتنى كنت ترابا [illegible] الكافر [illegible] وذلك انه عاب آدم عليه السلام بانه خلق من تراب [illegible] وافتخر بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه من الثواب والراحة والرحمة [illegible] من الشدة والعذاب [illegible] يكون آدم [illegible] يا ليتنى كنت ترابا [illegible] فيقول التراب لا ولا كرامة [illegible] كل [illegible] أبو هريرة رضى الله عنه [illegible] الخلائق كلهم من [illegible] ثم [illegible] يكونوا ترابا فاذا [illegible] يا ليتنى كنت ترابا [illegible] وقيل معنى يا ليتنى كنت ترابا [illegible] لم أبعث [illegible] فاذا قضى بين الناس [illegible] الى الجنة [illegible] الى النار قيل لسائر الامم ومؤمنى الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا [illegible] الكافر حين يرى ذلك يا ليتنى كنت ترابا وقال ليث بن أبى سليم مؤمنو الجن [illegible] عمر بن عبد العزيز [illegible] ان مؤمنى الجن حول الجنة فى ربض [illegible] وقيل يحشر [illegible] الكافر [illegible] الزمخشرى [illegible] الله [illegible] سورة عم [illegible] الى [illegible]

وغاية قهره وان جميع الاشياء طوع ارادته ووفق مشيئته (قوله جزاء وفاقا) قال ذلك هنا وقال بعد جزاء

سورة النازعات مكية

وهى خمس او ست وأربعون آية [illegible] كلمة [illegible] حرفا

(بسم الله) الذى أحاط علمه بالكائنات (الرحمن) الذى أنعم على سائر الموجودات (الرحيم) الذى خص أولياءه بالجنات (والنازعات) أى الملائكة تنزع أرواح الكفار (غرقا) أى تنزع الروح [illegible] من أجسادهم بشدة كما يغرق النازع فى القوس ليبلغ بها غاية المد بعد ما نزعها

حتى اذا كادت تخرج ردها الى جسده فهذا عمله بالكفار وقال على وابن مسعود رضى الله عنهما هو نفس الكفار ينزعها ملك الموت من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين نزعا كالسفود ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اى يرجعها الى اجسادهم ثم ينزعها فهذا عمله فى الكفار وقال السدى رضى الله عنه والنازعات هى النفوس حين تغرق فى الصدور وقال مجاهد رضى الله عنه هى الموت ينزع النفوس وقال الحسن وقتادة رضى الله عنهما هى النجوم تنزع من افق الى افق تطلع ثم تغيب وقال عطاء وعكرمة رضى الله عنهما هى النفوس وقيل الغزاة * (تنبيه) * غرقا يجوز أن يكون مصدرا على حذف الزوائد بمعنى اغراقا وانتصابه بما قبله لملاقاته فى المعنى وأن يكون على الحال أى ذوات غراق يقال أغرق فى الشئ يغرق فيه اذا أوغل وبلغ أقصى غايته (والناشطات نشطا) أى الملائكة تنشط أرواح المؤمنين أى تسلها برفق فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل عنه وفى الحديث كأنما نشط من عقال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى أنفس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة لان الجنة تعرض عليهم قبل الموت وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه هى الملائكة تنشط أرواح الكفار مما بين الجلد والاظفار حتى تخرجها من أفواههم بالكرب والغم والنشط الجذب والنزع يقال نشط الدلو نشطا انتزعها وقال السدى رضى الله عنه هى النفس تنشط من بين القدمين أى تجذب وقال قتادة رضى الله عنه هى النجوم تنشط من أفق الى افق اى تذهب يقال نشط من بلد الى بلد اذا خرج فى سرعة ويقال حمار ناشط ينشط من بلد الى بلد وقال الجوهرى يعنى النجوم تنشط من برج الى برج كالثور الناشط من بلد الى بلد (والسابحات سبحا) أى الملائكة تسبح من السماء بأمره أى ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد يقال له سابح اذا أسرع فى جريه وقال على رضى الله عنه هى الملائكة تسبح بارواح المؤمنين قال الكلبى كالذى تسبح فى الماء فاحيانا ينغمس وأحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح وعن مجاهد رضى الله عنه السابحات الموت يسبح فى نفوس بنى آدم وقال قتادة والحسن رضى الله عنهما هى النجوم تسبح فى افلاكها وكذا الشمس والقمر قال تعالى كل فى فلك يسبحون وقال عطاء هى السفن فى الماء وقال ابن عباس رضى الله عنهما أرواح المؤمنين تسبح شوقا الى لقاء الله تعالى ورحمته حين تخرج وقيل هى خيل الغزاة قال عنترة

والخيل تعلم حين تسبح فى حياض الموت سبحا

(فالسابقات سبقا) أى الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة وقال مجاهد رضى الله عنه هى الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقال ابن مسعود رضى الله عنه هى أنفس المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها شوقا الى لقاء الله تعالى وكرامته وقد عاينت السرور وقال قتادة رضى الله عنه هى النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير وقال عطاء هى الخيل التى تسبق فى الجهاد وقيل هى ما يسبق من الارواح قبل الاجساد الى جنة أو نار قال الجرجانى ذكر السابقات بالفاء لانها مسببة عن الذى قبلها أى واللاتى يسبحن فيسبقن قال

الواحدى

من ربك عطاء حسابا الان
الاول للكفار فناسب ذكر
وفاقا أى جزاء موافقا
لاعمالهم كما قال تعالى

الواحدي وهذا غير مطرد في قوله تعالى (فالمدبرات أمرا) أي الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره قال الرازي ويمكن الجواب بأنها لما أمرت سبحت فسبقت فدبرت ما أمرت بتدبيره فتكون هذه أفعالا يتصل بعضها ببعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما المدبرات هي الملائكة وكلوا بأمور عرفهم الله تعالى العمل بها قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام فأما جبريل فوكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فوكل بقبض الارواح وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس في الملائكة أقرب منه وبينه وبين العرش خمسمائة عام وقيل هي الكواكب السبع حكي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وفي تدبيرها بالامور وجهان أحدهما تدبير طلوعها وأفولها والثاني في تدبير ما قضى الله تعالى فيها من تقلب الاحوال أقسم سبحانه وتعالى بهذه الامور على قيام الساعة والبعث وأغنى حذف الدلالة ما بعده عليه ولله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه وأما العباد فلا يصح لهم أن يقسموا بغير الله تعالى وصفاته وقوله تعالى (يوم ترجف) أي تضطرب اضطرابا كثيرا مزعجا (الراجفة) أي الصيحة منصوب بالجواب أي لتبعثن يا كفار مكة يوم ترجف الراجفة وهي النفخة الاولى بها يرجف كل شيء أي يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلائق فوصفت بما يحدث منها (تتبعها الرادفة) أي الصيحة التابعة لها وهي النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجفة واليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية وقال قتادة رضي الله عنه هما صيحتان فالاولى تميت كل شيء والاخرى تحيي كل شيء باذن الله سبحانه وتعالى وقال عطاء الراجفة القيامة والرادفة البعث روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه (قلوب يومئذ) أي اذ قام الخلائق بالصيحة التابعة للاولى (واجفة) أي خائفة قلقة مضطربة من الوجيف وهو صفة القلق [illegible] رضي الله عنهما [illegible] وقال السدي زائلة عن أماكنها نظيره اذ القلوب لدى الحناجر (أبصارها) أي أبصار أصحابها بدون الاستخدام (خاشعة) أي ذليلة من الخوف ولذا أضافها الى القلوب كقوله تعالى خاشعين من الذل (يقولون) أي أرباب القلوب والابصار في الدنيا استهزاء وانكارا للبعث (أئنا لمردودون) أي بعد الموت (في الحافرة) أي في الحالة التي كنا عليها قبل الموت وهي الحالة الاولى فنصير أحياء بعد الموت كما [illegible] حيث جاء الحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء [illegible] وقال بعضهم الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة بمعنى المحفورة كقوله تعالى عيشة راضية أي مرضية وقيل سميت حافرة لانها مستقر الحوافر أي أئنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقال ابن زيد الحافرة النار (أئذا كنا) أي كونا صار جبلة لنا (عظاما نخرة) أي بالية متفتتة نحيا بعد ذلك وقرأ أئنا واذا نافع وابن عامر والكسائي بالاستفهام في الاول والخبر في الثاني والباقون

وجزاء سيئة سيئة مثلها والثاني للمؤمنين فناسب ذكرهما بأي كانوا وافيا لاعمالهم من قولك حسبي أي كفاني

بالاستفهام فيهما وسهل نافع وابن كثير وأبو عمرو والباقون بالتحقيق وأدخل بين الهمزتين قالون وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه ألفا والباقون بغير ادخال وقرأ نخرة حمزة وشعبة والكسائي بالالف بعد النون والباقون بغير ألف وهما لغتان مثل الطمع والطامع والحذر والحاذر ومعناهما البالية وفرق قوم بينهما فقالوا النخرة البالية والنخرة الجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر أي تصوت (قالوا) أي المنكرون للبعث (تلك) أي رجعتنا العجيبة الى الحياة (اذا) اي ان صحت (كرة) أي رجعة (خاسرة) أي ذات خسران أو خاسرة أصحابها والمعنى أن صحت فنحن اذا خاسرون بتكذيبنا وهو استهزاء منهم وعن الحسن رضي الله عنه ان خاسرة بمعنى كاذبة أي ليست كائنة قال الله تعالى (فانما هي) أي الرادفة التي يتبعها البعث (زجرة) اي صيحة بانتهار تتضمن الامر بالقيام والسوق الى المحشر والمنع من التخلف (واحدة) عبر بالزجرة لانه أشد من النهي لانها صيحة لا يتخلف عنها القيام أصلا فكان كأنه بلسان قال عن تلك الصيحة أيها الاجساد البالية انتهى عن الرقاد وقومي الى الميعاد بما حكمنا به من المعاد فقصد انتهى زمن الحصاد وآن أوان الاجتماع لما قدم من الزاد فيا خسارة من ليس له زاد (فاذاهم) أي فتسبب عن تلك النفخة وهي الثانية أن كل الخلائق (بالساهرة) أي صاروا على وجه الارض بعدما كانوا في جوفها والعرب تسمي الفلاة ووجه الارض ساهرة قال بعض اهل اللغة تراهم سموها ساهرة لان فيها نوم الحيوان وسهرهم قال سفيان رضي الله عنه هي أرض الشام وقال قتادة رضي الله عنه هي جهنم (فان قيل) بم يتعلق فانما هي زجرة واحدة (أجيب) بأنه متعلق بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى فانها سهلة هينة في قدرته تعالى وقال الزمخشري الساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة أي جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس

وساهرة يضحى السراب مجللا ... لأقطارها قد جبتها متلثما

او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقال الراغب هي وجه الارض وقيل أرض القيامة وحقيقتها التي يكثر الوطء بها كأنها سهرت من ذلك والاسهران عرقان في الانف والساهور غلاف القمر الذي يدخل فيه عند كسوفه وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الساهرة أرض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حينئذ وقيل الساهرة اسم للارض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقال عثمان بن أبي العاتكة انه مكان من الارض بعينه بالشام وهو الصقع الذي بين جبل اريحا وجبل حسان يمده الله تعالى كيف شاء ثم ان الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (هل أتاك) يا أشرف الخلق (حديث موسى) أي ألم يأتك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم [illegible] بأن يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم فانه كان أقوى أهل الارض بما كان له من كثرة الجنود فلما أصر على التكذيب لم [illegible] ولا أفاده التأديب الا [illegible] ولم ينج منه احد [illegible] عدد [illegible] أن طائفة كانت على عدد بني اسرائيل [illegible] كذب به ومات الضعاف

(سورة النازعات)

(قوله والنازعات) الواو فيه للقسم وجوابه محذوف أي لتبعثن والمراد بالنازعات وما عطف عليه

وقوله تعالى (اذ) أى حين (ناداه) منصوب بحديث لا باتاك (ربه) أى المحسن اليه بالرسالة وغيرها (بالواد المقدس) أى المطهر غاية الطهر بتشريف الله تعالى له بانزال النبوة المفيضة للبركات وقوله تعالى (طوى) اسم الوادى وهو الذى طوى فيه الشر عن بنى اسرائيل ومن أراد الله تعالى من خلقه ونشر فيه بركات النبوة على جميع اهل الارض المسلم باسلامه وغيره برفع عذاب الاستئصال عنه فان العلماء قالوا ان عذاب الاستئصال ارتفع حين انزلت التوراة وهو واد بالطور بين ايلة ومصر وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بغير تنوين فى الوصل والباقون بالتنوين وقوله تعالى (اذهب الى فرعون) أى ملك مصر الذى كان يستعبد بنى اسرائيل على ارادة القول (انه طغى) أى تجاوز الحد فى الكفر وعلا وتكبر وقال الرازى لم يبين أنه طغى فى أى شئ فقيل تكبر على الله تعالى وكفر به وقيل تكبر على الخلق واستعبدهم وروى عن الحسن رضى الله عنه قال كان فرعون علجا من همذان وقال مجاهد رضى الله عنه كان من أهل اصطخر وعن الحسن أيضا كان من أصبهان يقال له ذو الظفر طوله أربعة أشبار وقوله تعالى (فقل) أى له (هل لك) أى هل لك سبيل (الى أن تزكى) اى تتطهر من الكفر والطغيان قال ابن عباس رضى الله عنهما بأن تشهد ان لا اله الا الله وقال ابو البقاء لما كان المعنى أدعوك جاء بالى وقال غيره يقال هل لك فى كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاى والاصل تتزكى والباقون بتخفيفها (وأهديك الى ربك) أى وأنبهك على معرفة المحسن اليك (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشى الله تعالى أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدأ بمخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من علوه كما أمر بذلك فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا الآية وقال الرازى سائر الآيات تدل على انه تعالى لما نادى موسى عليه السلام ذكر له اشياء كثيرة نودى أنا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى فدل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه من جملة ما ناداه به لا كل ما ناداه به وأيضا فليس الغرض انه عليه السلام كان مبعوثا الى فرعون فقط بل الى كل من كان فى الطور الا انه خصه بالذكر لان دعوته جارية مجرى دعوة كل القوم والفاء فى قوله تعالى (فأراه) عاطفة على محذوف يعنى فذهب فأراه (الآية الكبرى) كقوله تعالى اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اى فضرب فانفجرت واختلفوا فى الآية الكبرى اى العلامة العظمى وهى المعجزة فقال عطاء وابن عباس رضى الله عنهم هى العصا وقال مقاتل والكلبى رضى الله عنهما هى اليد البيضاء تبرق كالشمس لانه ليس فى اليد الا انقلاب لونها وهذا حاصل فى العصا لانها لما انقلبت حية لابد وان تغيرت الالوان الاولى فاذن كل ما فى اليد فهو حاصل فى العصا وأمور أخر وهى الحياة فى الجرم الجمادى وتزايد أجزائه وحصول القدرة الكبيرة والقوة الشديدة وابتلاعها أشياء كثيرة وزوال الحياة والقدرة عنها وذهاب تلك الاجزاء التى عظمت وزوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا بهما حية

الا انه وذكر ربالة التانيث مع انهم اليسوا اناثا لانه تعالى أقسم بطوائفها ولطائفه مؤنثة (قوله أبصارها

وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا في نفسه فعلمنا أن الآية الكبرى هي العصا وقال مجاهد رضي الله عنه هي مجموع العصا واليد وقيل فلق البحر وقيل جميع آياته التسع (فكذب) أي فتسبب عن رؤيته ذلك أن كذب موسى عليه السلام (وعصى) الله تعالى بعد ظهور الآية وتحقيق الامر وقيل كذب بالقول وعصى بالتمرد والتجبر (ثم أدبر) أي تولى وأعرض عن الايمان بعد المهل والاناة اعراضا عظيما بالتمادي على أعظم ما كان فيه من الطغيان بعد خطوب جليلة وشواهد طويلة حال كونه (يسعى) أي يعمل بالفساد في الارض أو أنه لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسعى أي يسرع في مشيته قال الحسن رضي الله عنه كان رجلا طياشا خفيفا وتولى عن موسى عليه السلام يسعى ويجتهد في مكايدته أو أريد ثم أقبل يسعى كما تقول أقبل فلان يفعل كذا بمعنى أنشأ يفعل فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالاقبال (فحشر) أي فتسبب عن ادباره أن جمع السحرة للمعارضة وجنوده للقتال (فنادى) حينئذ بأعلى صوته قال حمزة الكرماني قال له موسى عليه السلام ان ربي أرسلني اليك لئن آمنت بربك تكن أربعمائة سنة في النعيم والسرور ثم تموت فتدخل الجنة فقال حتى أستشير هامان فاستشاره فقال أتصير عبدا بعدما كنت ربا فعند ذلك جمع وبعث الشرط وجمع السحرة والجنود فلما اجتمعوا [illegible] والله على سريره (فقال أنا ربكم الاعلى) أي لا رب فوقي وقيل اراد ان الاصنام أربابكم وأنا ربها وربكم وقيل أمر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال ذلك (فأخذه الله) أي أهلكه بالغرق في الملك الاعظم الذي لا كفء له (نكال) أي عقوبة (الآخرة) أي هذه الكلمة وهي قوله أنا ربكم الاعلى (والاولى) وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري قال ابن عباس رضي الله عنهما وكان بين الكلمتين أربعون سنة والمعنى أمهله في الاولى ثم أخذه في الآخرة فعذبه بكلمتيه وقال الحسن رضي الله عنه نكال الآخرة والاولى هو أن أغرقه في الدنيا وعذبه في الآخرة وعن قتادة رضي الله عنه الآخرة هي قوله أنا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى عليه السلام ثم نبه تعالى على عظم هذه القصة بقوله تعالى (ان في ذلك) أي الامر العظيم الذي فعله فرعون والذي فعل به حين كذب وعصى (لعبرة) أي لعظة (لمن يخشى) أي لمن يخاف الله تعالى لان الخشية أساس الخير كما مرت الاشارة اليه * ثم خاطب تعالى منكري البعث بقوله تعالى (أأنتم) أي أيها الاحياء مع كونكم خلقا ضعيفا (أشد خلقا) أي أخلقكم بعد الموت أشد في تقديركم (أم السماء) أي فمن قدر على خلق السماء على عظمها من السعة والكبر والعلو والمنافع قدر على الاعادة وهذا كقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس والمقصود من الآية الاستدلال على منكري البعث ونظيره قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ومعنى الكلام التقريع والتوبيخ وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بتسهيل الهمزة الثانية والباقون بتحقيقها وأدخل بينهما الفا قالون وأبو عمرو وهشام والباقون بغير ادخال وقوله تعالى (بناها) بيان لكيفية خلقه اياها فالوقف على السماء والابتداء بما بعدها وقوله تعالى (رفع سمكها) جملة مفسرة لكيفية البناء والسمك الارتفاع أي جعل مقدار ارتفاعها [illegible] (فسواها) أي جعلها مستوية

خاشعة) أي ذليلة لما ترى (فان قلت) كيف اضاف الابصار الى القلوب مع انها لا اتصاف اليها

ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو تممها بما علم انها تتم به وأصلحها من قولك سوى فلان أمر فلان (وأغطش) اى أظلم (ليلها) أي جعله مظلما بالغياب شمسها فأخفى ضياءها بامتداد ظل الارض على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه فصار لا يهتدى معه الى ما كان في حال الضياء وأضاف الليل الى السماء لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس تضاف الى السماء ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل وقوله تعالى (وأخرج ضحاها) فيه حذف أي ضحى شمسها أو أضاف الليل والضحى لها للملابسة التي بينها وبينهما لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها واغاعبر عن النهار بالضحى لان الضحى أكمل اجزاء النهار بالنور والضوء (والارض بعد ذلك) أي بعد المذكور كله (دحاها) أي بسطها ومهدها للسكنى وبقية المنافع وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو فلا معارضة بينها وبين آية فصلت لانه خلق الارض أولا غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحا الارض قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى الارض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء فسواها سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك أي مع ذلك ومنه قولهم انت أحمق وأنت بعد هذا سيء الخلق وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أي من قبل وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال خلق الله تعالى الكعبة ووضعها على الماء على أربعة اركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت (اخرج منها) أي الارض (ماءها) اى بتفجير عيونها واضافته اليها دليل على انه مودوع فيها (ومرعاها) أي النبات الذي يرعى مما يأكله الناس والانعام من العشب والشجر والثمر والحب حتى النار والملح لان النار من العيدان قال تعالى أفرأيتم النار التي تورون الآية والملح من الماء واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله تعالى عن اخوة يوسف عليه السلام نرتع ونلعب والمرعى في الاصل موضع الرعي ＊(تنبيه)＊ اخرج حال باضمار قد أي مخرجا واضمار قد هو قول الجمهور وخالف الكوفيون والاخفش (والجبال ارساها) أي أثبتها على وجه الارض لتسكن ونظيره قوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالى (متاعا) مفعول له لمقدر أي فعل ذلك منفعة أو مصدر لعامل مقدر أي متعكم تمتيعا (لكم) وقوله تعالى (ولانعامكم) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم وذكر الانعام لكثرة الانتفاع بها (فاذا جاءت الطامة الكبرى) أي الداهية التي تطم على الدواهي أي تعلو وتغلب وفي المثل جرى الوادي فطم على القرى قال ابن عباس وهي النفخة الثانية التي يكون معها البعث وقال الحسن هي الساعة سميت بذلك لانها تطم على كل شيء تفعل وقال الحسن بن الفضل هي الساعة التي يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار ثم فسرها تعالى (يوم يتذكر) أي تذكرا عظيما (الانسان) أي الخلق الآنس بنفسه الناسي لخالقه بدلا من اذا (ما سعى) في الدنيا من خير أو شر يعني اذا رأى أعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه وما في ما سعى موصولة أو مصدرية (وبرزت الجحيم) أي أظهرت النار المحرقة اظهارا بينا مكشوفا (لمن يرى) أي لكل راء كقولهم قد تبين الصبح لذي عينين يريدون لكل من له بصر

(قوله) فيه حذف مضاف أي أبصار أو بابها (قوله فأراه الآية الكبرى) أي العصا واليد (ان قلت) كيف قال الآية الكبرى

وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على أحد لكن الناجي لا ينصرف بصره اليها فلا يراها كما قال تعالى لا يسمعون حسيسها وجواب اذا قوله (فأما من طغى) أي تجاوز الحد في العدوان حتى كفر بربه (وآثر) أي قدم واختار (الحيوة الدنيا) أي انهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (فان الجحيم) أي النار الشديدة التوقد العظيمة (هي) أي خاصة (المأوى) أي مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليست الالف واللام بدلا عن الاضافة ولكن لما علم أن الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة *(تنبيه)* هي يجوز أن تكون فصلا أو مبتدأ (وأما من خاف مقام ربه) أي قيامه بين يديه لعلمه بالمبدا وبالمعاد وقال مجاهد خوفه في الدنيا من الله تعالى عند مواقعة الذنب فيقلع عنه نظيره ولمن خاف مقام ربه جنتان (ونهى النفس) أي الامارة بالسوء (عن الهوى) وهو اتباع الشهوات وزجرها عنها وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير (فان الجنة) أي البستان لكل ما يشتهى (هي) أي خاصة (المأوى) أي ليس له سواها مأوى وحاصل الجواب أن العاصي في النار والطائع في الجنة قال الرازي هذان الوصفان مضادان لوصفين المتقدمين فقوله تعالى وأما من خاف مقام ربه ضد قوله تعالى فأما من طغى ونهى النفس عن الهوى ضد قوله تعالى وآثر الحياة الدنيا فكما دخل في ذينك الوصفين جميع القبائح دخل في هذين الوصفين جميع الطاعات وقال عبد الله بن مسعود أنتم في زمان يقود الحق الهوى وسيأتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان *(تنبيه)* اختلف في سبب نزول هاتين الآيتين فقيل نزلتا في مصعب بن عمير وأخيه روى الضحاك عن ابن عباس قال أما من طغى فهو أخو مصعب بن عمير أسر يوم بدر وأخذته الانصار فقالوا من أنت قال أنا أخو مصعب بن عمير فلم يشدوه في الوثاق وأكرموه وبيتوه عندهم فلما أصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لي بأخ شدوا أسيركم فان أمه أكثر أهل البطحاء حليا ومالا فأوثقوه حتى بعثت أمه في فدائه وأما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه والمشاقص جمع مشقص وهو السهم العريض فلما رآه صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال صلى الله عليه وسلم عند الله أحتسبك وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه لقد رأيته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب وعن ابن عباس أيضا نزلت في رجلين أبي جهل بن هشام ومصعب بن عمير وقال السدي نزلت الآية الثانية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال الكلبي هما عامتان ولما سمع المشركون أخبار القيامة ووصفها بالاوصاف الهائلة مثل الطامة الكبرى والصاخة والقارعة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء متى تكون الساعة نزل (يسألونك) يا أشرف الخلق (عن الساعة) أي البعث الآخر لكثرة ما تتوعدهم به من أمرها (أيان مرساها) أي في أي وقت ارساؤها أي اقامتها أو ادراكها حتى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكون آخر أيام الدنيا ومستقرها كما ترسو السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه فأجابهم الله تعالى بقوله سبحانه (فيم) أي في أي شيء (أنت من ذكراها) أي من أن تذكرها لهم وتعلم بها *(تنبيه)* فيم خبر مقدم وأنت مبتدأ مؤخر

مع انه أراه الآيات كلها وكل آياته كبرى (قات) الاخبار هنا عما أراه له أول ملا فانه اباه وهو العصا واليد

صحيح

وأطلق عليه ما الآية الكبرى لاتحاد معناهما أو أراد بالكبرى العصا وحدها لأنها كانت

ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر والمعنى أنت فى أى شئ من ذكراها أى ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شئ وعن عائشة رضى الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل فى أى شغل واهتمام أنت من ذكراها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لاتزال تذكرها وتسأل عنها (الى ربك) أى المحسن اليك بأنواع النعم (منتهاها) أى منتهى علمها لم يؤت علمها أحدا من خلقه كقوله تعالى إنما علمها عند ربى وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة قال القرطبى ويجوز أن يكون انكارا على المشركين فى مسئلتهم أى فيم أنت من ذلك حتى يسألونك بيانه ولست ممن يعلمه روى معناه عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل الوقف على قوله تعالى فيم وهو خبر مبتدا مضمر أى فيم هذا السؤال ثم يبتدأ بقوله تعالى أنت من ذكراها أى أرسلناك وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث فى نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولامعنى لسؤالهم عنها (انما أنت) اى ياأشرف الرسل (منذر) اى انما بعثت لانذار (من يخشاها) اى تخويف من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به أى انما ينفع انذارك من يخافها وان كنت منذرا لكل مكلف (كأنهم) قال البغوى يعنى كفار قريش (يوم يرونها) أى يعلمون قيام الساعة علما هو كالرؤية ويرون ما يحدث فيها بعد سماع الصيحة وقيامهم من القبور مع علمهم بما مر من زمانهم وما أتى فيه (لم يلبثوا) اى فى الدنيا أو فى القبور (الا عشية) أى من الزوال الى غروب الشمس (أو ضحاها) أو ضحى عشية من العشايا وهو البكرة الى الزوال والعشية بعد ذلك أضيف اليها الضحى لانهما من النهار والاضافة تحصل بادنى ملابسة وهى هنا كونهما من نهار واحد فالمراد ساعة من نهار من أوله أو آخره لم يستكملوا نهارا تاما ولم يجمعوا بين طرفيه وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة الا كما يجعل أحدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع (فان قيل) هلا قال الاعشية أو ضحى وما فائدة الاضافة (أجيب) بان ذلك للدلالة على ان مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار وحسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة *(تنبيه)* قرأ حديث موسى طوى طغى تزكى فتخشى وعصى يسعى فنادى الاعلى والاولى يخشى ماسمها طحاها الدنيا المأوى عن الهوى المأوى حمزة والكسائى بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين وقرأ فأراه الآية الكبرى الطامة الكبرى لمن يرى من ذكراها أبو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين والباقون بالفتح فى الجميع وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله تعالى فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة حديث موضوع

سورة عبس مكية وتسمى سورة السفرة

وهى اثنان وأربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وثلثمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الواحد القهار (الرحمن) الذي عم بإنعامه الابرار والفجار (الرحيم) الذي خص أولياءه برحمته في دار القرار (عبس) أي كلح وجه النبي صلى الله عليه وسلم (وتولى) اي أعرض بوجهه لأجل (أن جاءه الاعمى) وهو ابن أم مكتوم وأم مكتوم ام ابيه واسمها عاتكة بنت عامر بن مخزوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وذلك انه جاءه وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلموا ولأن اولئك الاشراف الذين كان يخاطبهم فيتأيد بهم الاسلام ويسلم باسلامهم أتباعهم فتعلو كلمة الله تعالى فقال يارسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فانزل الله تعالى هذه الآيات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه واذا رآه قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال أنس بن مالك رأيته يوم القادسية راكبا وعليه درع وله راية سوداء (وما يدريك) اي وأي شيء يجعلك داريا بحاله (لعله) اي الاعمى (يزكى) فيه ادغام التاء في الاصل في الزاي اي يتطهر من الذنوب بما يسمع منك وفي ذلك ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره (أو يذكر) فيه ادغام التاء في الذال اي يتعظ وتسبب عن تزكيته وتذكره قوله تعالى (فتنفعه الذكرى) اي العظة المسموعة منك وقرأ عاصم بنصب العين والباقون برفعها فمن رفع فهو نسق على قوله تعالى أو يذكر ومن نصب فعلى جواب الترجي كقوله تعالى في غافر فأطلع الى اله موسى وقال ابن عطية في جواب التمني لان قوله تعالى أو يذكر في حكم قوله تعالى لعله يزكى واعترض عليه أبو حيان بان هذا ليس تمنيا انما هو ترج وأجيب عنه بانه انما يريد التمني المفهوم من الترجي وقرأ الذكرى أبو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في أن يتزكى بالاسلام أو يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن (أما من استغنى) اي بالمال وقال ابن عباس رضي الله عنهما استغنى عن الله وعن الايمان بما له من المال (فأنت له) اي دون الاعمى (تصدى) اي تتعرض له بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الصاد بادغام التاء الثانية في الاصل فيها والباقون بالتخفيف (وما) اي والحال انه ما (عليك) اي وليس عليك بأس (ألا يزكى) اي في أن لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن أسلم للاشتغال بدعوته (وأما من جاءك يسعى) اي يسرع في طلب الخير وهو ابن أم مكتوم (وهو) اي والحال انه (يخشى) اي الله أو الكفار أو أذاهم في اتيانك ... وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها (فأنت عنه تلهى) فيه حذف التاء الاخرى في الاصل اي تتشاغل ...

مقدمة على الاخرى (قوله وأغطش ليلها) اضاف الليل الى السماء مع انه انما هو في الارض لانه

أمالها حمزة والكسائي بالإمالة محضة وورش وأبو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح وقوله تعالى (كلا) ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله (فإن قيل) ما فعله ابن أم مكتوم كان يستحق عليه التأديب والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على تأديبه لأنه وإن كان أعمى فقد سمع مخاطبته صلى الله عليه وسلم لأولئك الكفار وكان بسماعه يعرف شدة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشأنهم فكان إقدامه على قطع كلامه صلى الله عليه وسلم لغرض نفسه قبل تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة وأيضاً فإن الأهم يقدم على المهم وكان قد أسلم وتعلم ما يحتاج من أمر الدين وأما أولئك الكفار فلم يكونوا أسلموا وكان إسلامهم سبباً لإسلام غيرهم فكان كلام ابن أم مكتوم كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم وأيضاً فإن الله تعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات بمجرد ندائهم فهذا النداء الذي هو كالصارف للكفار عن الإيمان أولى أن يكون ذنباً وأيضاً فمع هذا الاعتناء كيف لقب بالأعمى وأيضاً للنبي صلى الله عليه وسلم أن يؤدب أصحابه بما يراه مصلحة والتعبيس من ذلك القبيل (أجيب) بأن ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالماً بأن النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وأنه يرجو إسلامهم ولكنه لم يعلم بذلك وأيضاً الله سبحانه وتعالى إنما عاتبه على ذلك حتى لا تنكسر قلوب الضعفاء وليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني الكافر وقال ابن زيد إنما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن أم مكتوم وأعرض عنه لأنه أشار إلى الذي كان يقوده أن يكفه فدفعه ابن أم مكتوم وأبى إلا أن يتكلم مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان في هذا نوع جفاء منه ومع هذا نزل في حقه ذلك وأما ذكره بلفظ الأعمى فليس للتحقير بل كأنه يقول بسبب عماه يستحق أن يزيده لطفاً وترؤفاً وتقريباً وترحيباً ولقد تأدب الناس بأدب الله تعالى في هذا تأدباً حسناً فقد روي عن سفيان الثوري رضي الله عنه أن الفقراء كانوا في مجلسه أمراء وأما كونه صلى الله عليه وسلم كان مأذوناً له في تأديب أصحابه إلا أن تقديمهم ربما يوهم ترجيح تقديم الأغنياء على الفقراء فلهذا السبب عوتب قال الحسن رضي الله عنه لما تلا جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآيات عاد وجهه كأنما أسف فيه الرماد ينتظر ما يحكم الله تعالى عليه فلما قال كلا سري عنه أي لا تفعل مثل ذلك وقد بينا نحن أن ذلك محمول على ترك الأولى ثم قال الله تعالى (إنها) أي هذه السورة وقال مقاتل رضي الله عنه آيات القرآن وقيل القرآن وأنثه لتأنيث خبره وهو قوله تعالى (تذكرة) أي عظة للخلق يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) أي كان حافظاً له غير ناس وذكر الضمير لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ ثم إن الله تعالى أخبر عن جلالة ذلك عنده فقال سبحانه (في صحف) أي منتسخة من اللوح المحفوظ وقيل هي كتب الأنبياء عليهم السلام دليله قوله تعالى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى (مكرمة) أي عند الله تعالى (مرفوعة) أي في السماء السابعة أو مرفوعة القدر (مطهرة) أي منزهة عن أيدي الشياطين لا يمسها إلا أيدي ملائكة كرام مطهرين كما قال تعالى (بأيدي سفرة) أي كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر يقال سفرت أي كتبت ومنه قيل للكتاب سفر وجمعه أسفار وقيل هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير

اول ما يظهر عند الغروب من أفق السماء (قوله فاذا جاءت الطامة الكبرى) اي الداهية العظمى التي تطم

وهو الرسول وسفير القوم هو الذي يسعى بينهم بالصلح وسفرت بين القوم اذا أصلحت بينهم ثم أثنى تعالى عليهم بقوله سبحانه (كرام) أي على الله تعالى وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في كرام قال مكرمون أن يكونوا مع ابن آدم اذا خلا بزوجته أو برز لغائط وقيل يؤثرون منافع غيرهم على منافع أنفسهم وقوله تعالى (بررة) جمع بار كساحر وسحرة وفاجر وفجرة والبار هو الصادق المطيع ومنه بر فلان في يمينه أي صدق وفلان يبر خالقه أي يطيعه فمعنى بررة مطيعين صادقين لله تعالى في أعمالهم * ولما ذكر تعالى ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين عجب عباده المؤمنين من ذلك فقال سبحانه (قتل الانسان) أي لعن الكافر وقوله تعالى (ما أكفره) استفهام توبيخ أي ما أشد تغطيته للحق وجحده له وعناده فيه لانكاره البعث واشراكه بربه وغير ذلك مما حمله على الكفر وقوله تعالى (من أي شيء خلقه) استفهام تقرير ثم بينه بقوله تعالى (من نطفة) أي ماء يسير جدا الا من غيره (خلقه) أي أوجده مقدرا على ما هو عليه من التخطيط (فقدره) أي علقة ثم مضغة الى آخر خلقه فكأنه قيل وأي سبب في هذا الترفع مع ان أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بين الوقتين حامل عذرة فان خلقة الانسان تصلح أن يستدل بها على وجود الصانع لانه يستدل بها على أحوال البعث والحشر قيل نزلت في عتبة بن أبي لهب والظاهر العموم (فان قيل) الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز فالقادر على الكل كيف يليق به ذلك والتعجب أيضا انما يليق بالجاهل بسبب الشيء فالعالم به كيف يليق به ذلك (أجيب) بان ذلك ورد على أسلوب كلام العرب لبيان استحقاقهم لاعظم العقاب حيث أتوا باعظم القبائح كقولهم اذا تعجبوا من شيء قاتله الله ما أحسنه وأخزاه الله ما أظلمه والمعنى اعجبوا من كفر الانسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل الاستفهام استفهام تحقير له فذكر أول مراتبه وهو قوله تعالى من نطفة خلقه ولاشك ان النطفة شيء حقير مهين ومن كان أصله ذلك كيف يتكبر وقوله تعالى فقدره أي أطوارا وقيل سواه كقوله تعالى ثم سواك رجلا أو قدر كل عضو في الكيفية والكمية بالقدر اللائق لمصلحته كقوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا ثم ذكر المرتبة الوسطى بقوله تعالى (ثم) بعد انتهاء المدة (السبيل) أي طريق خروجه من بطن أمه (يسره) أي سهل له أمره في خروجه بان فتح له الرحم وألهمه الخروج منه ولاشك أن خروجه من أضيق المسالك من أعجب العجائب يقال انه كان رأسه في بطن أمه من فوق ورجلاه من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب فمن الذي أعطاه ذلك الالهام المراد ومنه قوله تعالى وهديناه النجدين أي التمييز بين الخير والشر وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سبيل الشقاء والسعادة وقال ابن زيد سبيل الاسلام قال أبو بكر بن طاهر يسر على كل أحد ما خلقه له وقدره له لقوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له ثم ذكر المرتبة الاخيرة بقوله تعالى (ثم أماته) وأشار الى تعجيب المبادرة بالتجهيز بالفاء المعقبة في قوله تعالى (فأقبره) أي جعله في قبر يستره اكراما له ولم يجعله ممن يلقى على وجه الارض تأكله الطير وغيرها (ثم اذا شاء أنشره) أي أحياه بعد موته للبعث ومفعول شاء محذوف أي شاء انشاره وأنشره جواب اذا وقرأ قالون وأبو عمرو والبزي باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل الثانية ورش وقنبل ولهما أيضا ابدالها ألفا والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى (كلا) ردع

للانسان

على غيرها وهي النفخة
الثانية وخص ما هنا
الطامة موافقة لما قبله
ن داهية فرعون وهي

للانسان بما هو عليه وقيل معناها حقا قال الاول الزمخشري وتبعه البيضاوي وقال الثاني الجلال المحلي (لما يقض) أي يفعل (ما أمره) به ربه من الايمان وترك التكبر وقيل لم يوف بالميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم عليه السلام وقيل المعنى ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما أمره به من التأمل في دلائل الله تعالى والتدبر في عجائب خلقه * ولما كانت عادة الله تعالى جارية في القرآن انه كلما ذكر دلائل الانسان ذكر عقبها دلائل الآفاق بدأ من ذلك بما يحتاج اليه الانسان بقوله تعالى (فلينظر الانسان) اي يوقع النظر التام بكل شيء يقدر على النظر به من بصره وبصيرته (الى طعامه) اى الذي هو قوام حياته كيف هيأ له اسباب المعاش ليستعد بها للمعاد قال الحسن ومجاهد فلينظر الى طعامه الى مدخله ومخرجه وروى عن الضحاك انه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضحاك ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير الى ماذا قلت الى ما قد علمته قال فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا وروى عن ابن عمر ان الرجل يدخل الخلاء فينظر ما يخرج منه فيأتيه الملك فيقول انظر الى ما تحليت به الام صار وقرأ (انا صببنا) أي بما لنا من العظمة (الماء) عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة على أنه بدل اشتمال بمعنى ان صب الماء سبب في اخراج الطعام فهو مشتمل عليه بهذا التقدير أو انه على تقدير لام العلة أي فلينظر لانا ثم حذف الخافض وقال البغوي أنا بالفتح على تكرير الخافض مجازه فلينظر الى أنا وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف تعديدا لنعمه تعالى عليه وقوله تعالى (صبا) تأكيد والمراد بالماء المطر ولما كان الانسان محتاجا الى جميع ما في الوجود ولو نقص منه شيء اختل امره وبدأ اولا بالسماوي لانه اشرف وبالماء الذي هو حياة كل شيء تنبيها له على ابتداء خلقه ثنى بالارض التي هي كالانثى بالنسبة الى السماء فقال تعالى (ثم) اى بعد مهلة من انزال الماء (شققنا) أي بما لنا من العظمة (الارض) اى بالنبات الذي هو في غاية الضعف عن شق اضعف الاشياء فكيف بالارض اليابسة وقوله تعالى (شقا) تأكيد ثم سبب عن الشق ما هو كالتفسير له فقال تعالى (فانبتنا) اى بما لنا من القدرة التامة (فيها) اى بسبب الشق (حبا) اى قمحا وشعيرا وسلتا وسائر ما يحصد ويدخر وقدم ذلك لانه كالاصل في التغذية (وعنبا) وذكره بعد الحب لانه غذاء من وجه وفاكهة من وجه (وقضبا) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرطب لانه يقتضب من النخل اي يقطع ووجه بعضهم ذكره بعد العنب لانهما يقترنان كثيرا وقيل القت الرطب وقيل كل ما يقضب من البقول لبني آدم وقيل هو الرطبة والمقضاب أرضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد أخرى وقال الحسن القضب العلف للدواب (وزيتونا) وهو ما يعصر منه الزيت يكون فيه حرافة وغضاضة بها اصلاح المزاج وقوله تعالى (ونخلا) جمع نخلة وكل من هذه الاشجار مخالف للآخر في الشكل والحل وغير ذلك مع الموافقة في الارض والسقي وقوله تعالى (وحدائق غلبا) جمع أغلب وغلباء كحمر في أحمر وحمراء أي بساتين كثيرة الاشجار والاصل في الوصف بالغلب الرقاب يقال رجل أغلب وامرأة غلباء غليظا الرقبة فاستعير قال عمرو بن معديكرب

يمشي بها غلب الرجال كأنهم * بزل كسين من الكحيل جلالا

قوله أنا ربكم الاعلى ولذلك وصفت الطامة بالكبرى موافقة لقوله قبل فأراه الآية الكبرى بخلاف

وقال مجاهد ومقاتل الغلب الملتفة الشجر بعضه في بعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما الطوال وقيل غلاظ الاشجار (وفاكهة) وهي ما تأكله الناس من ثمار الاشجار كالتين والخوخ قال النووي في منهاجه ويدخل في فاكهة رطب وعنب ورمان وأترج ورطب ويابس اي كالتمر والزبيب قال قلت واليمون ونبق وبطيخ ولب فستق وبندق وغيرها في الاصح (وأبا) وهو ما تأكله الدواب لانه يؤب اي يؤم وينتجع اليه وقال عكرمة الفاكهة ما يأكله الناس والأب ما تأكله الدواب وقيل التبن وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الأب فقال اي سماء تظلني واي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا عرفناه فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده ثم قال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه (فان قيل) هذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته (أجيب) بانه لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم الذي لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد أن الآية مسوقة عندهم في الامتنان على الانسان بطعامه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أن الأب بعض ما أنبته الله تعالى للانسان متاعا له أو لانعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله تعالى على ما بين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجلية الى أن يتبين لك من مشكلات القرآن [٢] (متاعا) اي العشب [٣] اي منفعة أو تمتيعا كما تقدم في السورة قبلها (لكم) اي الفاكهة (ولانعامكم) وتقدم أيضا في السورة التي قبلها معرفة الانعام والحكمة في الاقتصار عليها * ولما ذكر تعالى هذه الاشياء وكان المقصود منها ثلاثة أولها الدلائل الدالة على التوحيد وثانيها الدلائل الدالة على القدرة والمعاد وثالثها ان هذا الاله الذي أحسن الى عبيده بهذه الانواع العظيمة من الاحسان لا يليق بالعاقل أن يتمرد على طاعته وأن يتكبر على عبيده أتبع ذلك بما يكون كالمؤكد لهذه الاغراض وهو شرح أحوال القيامة فان الانسان اذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التأمل في الدلائل والايمان بها والاعراض عن الكفر ويدعوه أيضا الى ترك التكبر على الناس والى اظهار التواضع فقال تعالى (فاذا جاءت) اي كانت ووجدت لان كل ما هو كائن كأنه لاقيك وجاء اليك (الصاخة) اي صيحة القيامة وهي النفخة الثانية التي تصخ الآذان اي تصمها الشدة وقعتها مأخوذة من صخه بالحجر اي صكه به وقال الزمخشري صخ لحديثه مثل أصاخ فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها وقال ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم وانها المسمعة وهذا من بديع الفصاحة كقوله

أصم بي سرهم أيام فرقتهم * وهل سمعتم بسر يورث الصمما

وجواب اذا محذوف دل عليه قوله تعالى فاذا جاءت الصاخة اي اشتغل كل واحد بنفسه وقوله تعالى (يوم يفر المرء) بدل من اذا (من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته) أي زوجته (وبنيه) لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيأ كقوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ فيفر الرجل من هؤلاء الذين كان يفر اليهم في دار الدنيا يستجير بهم لكثرة ما يشغله

---

[١] ما في عبس لم يتقدم له شيء من ذلك وان نفخت بالصاخة شاركت الطامة في انها النفخة الثانية لانها الصوت

[٢] (قوله الى أن يتبين لك الخ) عبارة الزمخشري الى أن يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن اهـ

[٣] (قوله أي العشب) لعل الظاهر أن يؤخر بعد قوله ولانعامكم فليتأمل

وبدأ بالاخ لانه أدناهم رتبة فى الحب والذب ثم بالام لانها كانت مشاركة له فى الالف ويلزم من حمايتها أكثر مما يلزم للاخ وهو اينها آلف وعليها أحن وعليها أرق وأعطف ثم بالاب لانه أعظم منها فى الالف لانه أقرب منها فى النوع وللولد عليه من المعاطفة ماله من مزيد النفع أكثر من قبله ثم بالصاحبة لان الزوجة التى هى اهل لان تصحب ألصق بالفؤاد وأعرق فى الوداد وكان الانسان أذب عنها عند الشدائد ثم بالولد لان له من المحبة والمعاطفة بالسرور والمشاورة فى الامر ماليس لغيره ولذلك يضيع عليه رزقه وعمره فقدم أدناهم مرتبة فى الحب والذب فادناهم على سبيل الترقى واخر الاوجب فى ذلك فالاوجب بخلاف مافى سورة سأل فكأنه قيل يفر المرء من اخيه بل من أمه بل من أبيه بل من صاحبته بل من بنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسنى بمالك والابوان قصرت فى برنا والصاحبة اطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من أخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم عليه السلام ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح ٭ ولما ذكر الفرار أتبعه سببه فقال تعالى (لكل امرئ) وان كان أعظم الناس مروءة (منهم يومئذ) اى اذ تكون هذه الدواهى العظام والشدائد والآلام (شأن) اى امر عظيم وقوله تعالى (يغنيه) حال اى يشغله عن شأن غيره وعن سودة رضى الله تعالى عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا اى بالقلفة قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان فقلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال صلى الله عليه وسلم قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقال قتيبة يغنيه اى يصرفه عن قرابته ومنه يقال أغن عنى وجهك اى اصرفه وقال أهل المعانى يغنيه اى ذلك الهم الذى حصل له قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع لهم آخر فصار شبيها بالغنى فى أنه ملك شيئا كثيرا ٭ ولما ذكر تعالى حال القيامة فى الهول بين ان المكلفين على قسمين سعداء وأشقياء فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى (وجوه يومئذ) اى اذ كان ماتقدم من الفرار وغيره (مسفرة) اى مضيئة متهللة من أسفر الصبح اذا أضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روى فى الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله تعالى (ضاحكة) اى مسرورة فرحة قال الكلبى يعنى بالفراغ من الحساب (مستبشرة) اى بما آتاها الله تعالى من الكرامة ثم وصف الشقى بقوله تعالى (ووجوه يومئذ) اى اذ وجد ماذكر (عليها غبرة) اى غبار (ترهقها) اى تعلوها (قترة) اى سواد كالدخان ولايرى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما يرى فى وجوه الزنوج اذا اغبرت (أولئك) اى البعداء البغضاء الذين يصنع بهم هذا (هم) اى خاصة (الكفرة الفجرة) جمع الكافر والفاجر وهو الكاذب والمفترى على الله تعالى فجمع تعالى الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر حديث موضوع وكان من حق البيضاوى ان لايتبع بقال بل بعين كالزمخشرى اونحوها ويأتى مثله فى نظائره

الشديد والصوت يكون ٭ بعد الطم فناسب جعل الطم للسابقة والصخ للاحقة وجواب اذا قوله

سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون آية ومائة واربع كلمات واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذي أحاط علمه بالكائنات (الرحمن) الذي عم جوده سائر البريات (الرحيم) الذي خص حزبه بنعيم الجنات واختلف في معنى قوله تعالى (اذا الشمس) اى التي هي أعظم آيات السماء الظاهرة وأوضحها للحس (كورت) فقال ابن عباس أظلمت وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير غورت وقال مجاهد اضمحلت وقال الزجاج لفت كما تلف العمامة يقال كرت العمامة على رأسي أ كورها كورا وكورتها تكويرا اذا لففتها واصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض فمعناه أن الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة (تنبيه) ارتفاع الشمس على الفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا فيها معنى الشرط (واذا النجوم) اى كلها كبارها وصغارها (انكدرت) أن انقضت وتساقطت على الارض قال تعالى واذا الكواكب انتثرت والاصل في الانكدار الانصباب قال العجاج في مدحه لعمرو بن معديكرب

اذا الكرام ابتدروا الباع ابتدر * تقضى البازي اذا البازي كسر
* أبصر خربان فضاء فانكدر *

أي فانقض وسقط والخربان جمع خرب وهو ذكر الحبارى والباع يستعمل في الكرم يقال فلان كريم الباع والمعنى ان الكرام اذا ابتدروا فعل المكرمات بدرهم عمرو اى أسرع كانقضاض البازي وروى عن ابن عباس أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بأيدي الملائكة عليهم السلام فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت تلك الكواكب من أيدي الملائكة لانه مات من كان يمسكها (واذا الجبال) التي هي في العالم السفلي كالنجوم في العالم العلوي وهي أصلب ما في الارض (سيرت) اى ذهب بها عن وجه الارض فصارت هباء منبثا وصارت الارض قاعا صفصفا (واذا العشار) اى النوق الحوامل جمع عشراء كالنفاس جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق فغض بصره فقيل له هذه أنفس أموالنا لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك الآية (عطلت) اى تركت مسيبة مهملة بلا راع أو عطلها أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم أو السحاب عطلت عن المطر والعرب تشبه السحاب بالحامل والاول على وجه المثل لان في القيامة لا تكون ناقة عشراء والمعنى أن يوم القيامة بحالة لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه (واذا الوحوش) أى دواب الارض التي لا تأنس باحد التي تظن أنها لا عبرة بها ولا التفات اليها فاظنك بغيرها (حشرت) اى جمعت بعد البعث ليقتص لبعضها من بعض ثم تصير ترابا قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص

فاما من طغى الخ وقيل محذوف تقديره فان الجحيم مأواه

وقيل

وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منه الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها يقال اذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة وقرأ (واذا البحار سجرت) اى على كثرتها ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الجيم والباقون بتشديدها قال ابن عباس أوقدت فصارت نارا تضطرم وقال مجاهد فجر بعضها فى بعض العذب والملح فصارت البحار كلها بحرا واحدا وقال القشيرى يرفع الله تعالى الحاجز الذى ذكره فاذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الارض كلها وصارت بحرا واحدا وروى أبو العالية عن أبى بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس فى أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم فى بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت اى اختلطت واذا البحار سجرت قال الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تتأجج قال فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم وعن ابن عباس قال هى اثنتا عشرة خصلة ستة فى الدنيا وستة فى الآخرة وهى ما ذكر من بعد (واذا النفوس) اى من كل ذى نفس من الناس وغيرهم (زوجت) اى قرنت باجسادها وروى ان عمر سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار وقال الحسن وقتادة ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقال عطاء زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الشياطين بالكافرين (واذا الموؤدة) اى الجارية المدفونة حية كان الرجل فى الجاهلية اذ ولدت له بنت فاراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان أراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها الى أحمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فيذهب بها الى البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالارض وقال ابن عباس كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة واذا ولدت ولدا حبسته وكانوا يفعلون ذلك لخوف لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الاملاق كما قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو أحق بهن وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد وفيه افتخر الفرزدق فى قوله

ومنا الذى منع الوائدات * واحيا الوئيد فلم يوأد

(سئلت بأى) أى بسبب اى (ذنب) يا أيها الجاهلون (قتلت) اى استحقت به عندكم القتل وهى لم تباشر سوءا لكونها لم تصل الى حد التكليف (فان قيل) ما معنى سؤالها عن ذنبها الذى قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها (أجيب) بأن سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت فى قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق وروى أن قيس بن عاصم جاء الى النبى صلى

(سورة عبس)
(قوله كلا انها) اى الآيات أو السورة (قوله فمن شاء ذكره) اى القرآن او ما ذكر من الآيات

الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى وأدت ثمان بنات كن لى فى الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم
أعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله انى صاحب ابل فقال له صلى الله عليه وسلم
أهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة التى تقتل
ولدها تأتى يوم القيامة متعلقا ولدها بيديها ملطخا بدمائه فيقول يا رب هذه أمى وهذه قتلتنى
(واذا الصحف نشرت) اى فتحت بعد أن كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التى كتبت
الملائكة فيها أعمال العباد من خير وشر تطوى بالموت وتنشر فى القيامة فيقف كل انسان على
صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وروى عن
عمر أنه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وروى أنه صلى الله عليه وسلم
قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت
وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
بتخفيف الشين والباقون بتشديدها على تكرير النشر للمبالغة فى تقريع العاصى وتبشير
المطيع وقيل لتكرير ذلك من الانسان (واذا السماء) أى هذا الجنس كله أفرده لانه يعلم
بالقدرة على بعضه القدرة على الباقى (كشطت) أى نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة
والغطاء عن الشئ قال القرطبى يقال كشطت البعير كشطا نزعت جلده ولا يقال سلخت لان
العرب لا تقول فى البعير الا كشطته أو جلدته والمعنى أزيلت عما فوقها وقال القرطبى طويت
(واذا الجحيم) أى النار الشديدة التأجج (سعرت) أى أججت فاضرمت للكفار وزيد فى احمائها
يقال سعرت النار وأسعرتها روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى
احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء
مظلمة واحتج بهذه الآية من قال النار مخلوقة الآن لانه يدل على أن سعيرها معلق بيوم
القيامة وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم بتشديد العين والباقون بتخفيفها (واذا الجنة) أى
البستان ذو الاشجار التى هى دار الرياض البهية (أزلفت) أى قربت لاهلها ليدخلوها وقال
الحسن انهم يقربون منها لا أنها تزول عن موضعها وقال عبد الله بن زيد زينت والزلفى فى
كلام العرب القربة وقوله تعالى (علمت نفس) جواب اذا أول السورة وما عطف عليها أى
علمت كل نفس من النفوس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة فالتنكير فيه مثله فى تمرة
خير من جرادة ودلالة هذا السياق المهول على ذلك يوجب اليقين فيه (ما) اى كل شئ
(أحضرت) من خير وشر روى عن ابن عباس وعمر أنهما قرآ فلما بلغا علمت نفس ما أحضرت
قالا لهذا أجريت القصة قال الرازى ومعلوم ان العمل لا يمكن احضاره فالمراد اذن
ما أحضرته فى صحائفها أو ما أحضرته عند المحاسبة وعند الميزان من آثار تلك الاعمال وعن
ابن مسعود أن قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال واانقطاع ظهراه (فلا
أقسم) لا مزيدة أى أقسم (بالخنس الجوار الكنس) هى النجوم الخمسة زحل والمشترى
والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون أى ترجع فى مجراها وراءها بينا ترى النجم
فى آخر البرج اذ كر راجعا الى أوله وتكنس بكسر النون تدخل فى كناسها أى تغيب
فى المواضع التى تغيب فيها لخنوسها برجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل

(قوله وفاكهة وأبا) الاب ما ترعاه البهائم وقيل التبن وقيل يابس الفاكهة

في جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها (والليل) أي الذي هو محل ظهور النجوم وزوال خنوسها وذهاب كنوسها (اذا عسعس) قال البغوي قال الحسن أقبل بظلامه وقال آخرون أدبر تقول العرب عسعس الليل وسعسع اذا أدبر ولم يبق منه الا القليل (والصبح اذا تنفس) أي امتد حتى يصير نهارا بينا يقال للنهار اذا زاد تنفس ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف وفي كيفية المجاز قولان الاول انه اذا أقبل الصبح أقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز فقيل تنفس الصبح الثاني أنه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي حبس بحيث لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة فههنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وقوله تعالى (انه) أي القرآن (لقول رسول كريم) هو المقسم عليه والمعنى انه لقول رسول عن الله تعالى كريم على الله تعالى أي انتفت عنه وجوه المذام كلها وثبت له وجوه المحامد كلها وهو جبريل عليه السلام وأضاف الكلام اليه لانه قاله عن الله عز وجل (ذي قوة) أي شديد القوى روى الضحاك عن ابن عباس أنه قال من قوته قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وأبصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه الى أقصى جبل بالهند وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين ويهبط من السماء الى الارض ويصعد في أسرع من الطرف (عند ذي العرش) أي الملك الاعلى المحيط عرشه بجميع الاكوان الذي لا عندية في الحقيقة الا له وهو الله سبحانه وتعالى وقوله تعالى (مكين) أي ذي مكانة متعلق به عندا أي ذي منزلة ومكانة ليست عندية جهة بل عندية اكرام وتشريف كقوله تعالى أنا عند المنكسرة قلوبهم وقيل قوي في أداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها (مطاع ثم) أي في السموات قال الحسن فرض الله تعالى على أهل السموات طاعة جبريل عليه السلام كما فرض على أهل الارض طاعة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس من طاعة جبريل عليه السلام الملائكة أنه لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنان افتح له ففتح فدخلها فرأى ما فيها (أمين) أي بليغ الامانة على الوحي الذي يجيء به وقيل الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى حينئذ ذي قوة على تبليغ الوحي مطاع أي يطيعه من أطاع الله تعالى (وما صاحبكم) أي الذي طالت صحبته لكم وأنتم تعلمون أنه في غاية الكمال حتى انه ليس له وصف عندكم الا الامين وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا عطف على انه الى آخر المقسم عليه وأغرق في النفي فقال تعالى (بمجنون) أي كما زعمتم بهتكم في قوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين فما القرآن الذي يتلوه عليكم قول مجنون ولا قول متوسط في العقل بل قول أعقل العقلاء وأكمل الكمل *(تنبيه)* استدل بذلك بعضهم على فضل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم حيث عد فضائل جبريل عليه السلام واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو كما قال البيضاوي ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر وقولهم افترى على الله كذبا وقولهم أم به جنة لا تعديد فضله والموازنة بينهما (ولقد رآه) أي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته التي خلق عليها وله ستمائة جناح (بالافق المبين) أي البين

(قوله فاذا جاءت الصاخة) جواب اذا محذوف دل عليه قوله بعد لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه

(سورة التكوير)

(قوله واذا البحار سجرت) أي أوقدت فصارت نارا

وهو الافق الاعلى الذي عند سدرة المنتهى حيث لا يكون لبس أصلا ولا يكون للشيطان على ذلك المكان سبيل فعرفه حق المعرفة وقال مجاهد وقتادة بالافق الاعلى من ناحية المشرق وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام اني أحب أن أراك على صورتك التي تكون فيها في السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء أن أتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال فبمنى قال لا تسعني قال فبعرفات قال ذلك بالحرى أن يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من جبل عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه قال فتحول جبريل عن صورته فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه في التخوم السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله تعالى حتى يصير مثل الوصع يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بالافق المبين وهو قول ابن مسعود وقد مر ذلك في سورة النجم (وما) أي و[illegible] رآه والحال انه ما (هو) أي محمد صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أي ما غاب من الوحي وخبر السماء ورؤيته جبريل وغير ذلك مما أخبره ربه (بظنين) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء المشالة من الظنة وهي التهمة أي فليس بمتهم والباقون بالضاد موافقة للمرسوم من الضن وهو البخل أي فليس يبخل بالوحي فيزوي بعضه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف أبي بالضاد وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما قال الزمخشري واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان أو يساره وكان عمر بن الخطاب أضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي أحد الاحرف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهي أحد الاحرف الذولقية أخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت فان وضع المصلي أحد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما انتهى كلامه بحروفه (وما هو) أي القرآن الذي من جملته هذه الاخبار بالمغيبات [illegible] (بقول شيطان) أي مسترق للسمع فيرميه الى الكهان كما [illegible] الى بعض الكهنة (رجيم) أي مرجوم مطرود وبعيد عن الرحمة وذلك ان قريشا كانوا يقولون ان هذا القرآن يجيء به شيطان فيلقيه على لسانه يريدون بالشيطان الابيض الذي كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريد أن يفتنه فنفى الله تعالى ذلك وقوله تعالى (فأين تذهبون) [illegible] (تذهبون) [illegible] وقال أبو البقاء أي الى أين [illegible]
[illegible]

قال ذلك هنا وقال في الانفطار واذا البحار فجرت اي سالت مياهها على الارض فصارت بحرا واحدا واختلط العذب بالملح موافقة في الاول

النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن كقولك لتارك الجادة أين تذهب (ان) أي ما (هو) أي القرآن الذي أتاكم به الرسول (الا ذكر) أي عظة وشرف (للعالمين) من انس وجن وملك وقوله تعالى (لمن شاء منكم) بدل من العالمين باعادة الجار (ان يستقيم) باتباع الحق قال أبو جهل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهذا هو القدر وهو رأس القدرية فنزل (وما تشاؤن) الاستقامة على الحق (الا أن يشاء الله) أي الا وقت أن يشاء الملك الاعظم الذي بيده كل شئ مشيئتكم الاستقامة عليه (رب العالمين) أي مالك الخلق وفي هذا اعلام بأن أحدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ونقل البغوي في أول السورة باسناده الى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن ينظر في يوم القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت واما قول البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته فحديث موضوع

سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا

(بسم الله) الذي خلق كل شئ فقدره تقديرا (الرحمن) الذي دبر الكائنات تدبيرا (الرحيم) الذي أرسل رسوله لنا نذيرا (اذا السماء) أي على شدة احكامها واتساعها وارتفاعها (انفطرت) أي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام (واذا الكواكب) أي النجوم الصغار والكبار كأنها الدرر الزاهرة المتوقدة في الدار الموسعة ترصيع المسامير (انتثرت) أي تساقطت متفرقة لان عند انتقاض تركيب السماء تنتثر النجوم على الارض (واذا البحار) المتفرقة في الارض وهي ضابطة لها أتم ضبط لنفع العباد على كثرتها (فجرت) أي فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالملح وزال البرزخ الذي بينهما فصارت البحار بحرا واحدا وروي أن الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن في قوله تعالى واذا البحار سجرت وقال هنا فجرت بعث (واذا القبور) أي مع ذلك كله (بعثرت) أي قلبت يقال بعثره وبحثره بالعين والحاء قال الزمخشري وهما مركبان من البعث والبحث مع [illegible] الى [illegible] وقلب باطنها ظاهرها وخرج ما فيها من الموتى احياء [illegible] ثم تخرج الموتى [illegible] وجواب اذا [illegible] قوله تعالى (علمت نفس) أي كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (ما قدمت) من عمل (وأخرت) أي ما [illegible] من خير أو شر [illegible] في [illegible] الذي [illegible] في أوله [illegible] في أول الامر [illegible] عند [illegible] المحاسبة وقوله تعالى (يا أيها الانسان) أي البشر الآنس بنفسه [illegible] عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في الوليد بن المغيرة [illegible] الكلبي ومقاتل نزلت في ابي الاشد [illegible] ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى في أول امره وقيل تتناول جميع العصاة لانه لا اعتبار

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (ما غرك بربك) أى ما خدعك وسوّل لك الباطل حتى تركت
ما أوجب عليك المحسن اليك وأتيت بالمحرمات (الكريم) أى الذى له الكمال كله المقتضى لان
لا يهمل الظالم ولا يسوى بين المحسن والمسئ هذا اذا حملنا الانسان على جميع العصاة فان حملناه
على الكافر وهو ظاهر الآية فالمعنى ما الذى دعاك الى الكفر وانكار الحشر والنشر (فان قيل)
كونه كريما يقتضى أن يغتر الانسان بكرمه لانه جواد مطلق والجواد الكريم يستوى عنده
طاعة المطيع وعصيان المذنب وهذا يوجب الاغترار كما روى عن على بن أبى طالب رضى الله
تعالى عنه أنه صاح بغلام له مرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لا تجيبنى فقال لثقتى
بحلمك وأمنى عقوبتك فاستحسن جوابه وأعتقه وقالوا أيضا من كرم ساء أدب غلمانه واذا ثبت
ان كرمه يقتضى الاغترار به فكيف جعله ههنا مانعا من الاغترار (أجيب) بان حق الانسان
أن لا يغتر بكرم الله تعالى عليه حيث خلقه حيا وتفضل عليه فهو من كرمه لا يعاجل بالعقوبة
بسطا فى مدة التوبة وتاخير الجزاء الى أن يجمع الناس للجزاء فالحاصل ان تاخير العقوبة لاجل
الكرم وذلك لا يقتضى الاغترار بهذا التفضيل فانه منكر خارج عن حد الحكمة ولهذا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر غره حمقه وجهله وقال الحسن غره
والله شيطانه الخبيث أى زين له المعاصى وقال له فعل ما شئت فربك الكريم الذى تفضل عليك
بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله
يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول له قال اقول غرتنى ستورك المرخاة وهذا
على سبيل الاعتراف بالخطا فى الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به
قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده
الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم وقال مقاتل غره عفو الله حيث لم يعاقبه أول مرة
وقال السدى غره رفق الله تعالى به وقال قتادة سبب غرور ابن آدم تسويل الشيطان وقال
ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله تعالى به يوم القيامة فيقول ما غرك بى يا ابن آدم ماذا
عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين (الذى خلقك) أى اوجدك من العدم مهيا
بتقدير الاعضاء (فسواك) عقب تلك الاطوار بتصوير الاعضاء والمنافع بالفعل (فعدلك)
أى جعل كل شئ من ذلك سليما مودعا فيه قوة المنافع التى خلقه الله تعالى لها * (تنبيه) * قوله
تعالى الذى يحتمل الاتباع على البدل والبيان والنعت والقطع الى الرفع والنصب * واعلم أنه
سبحانه وتعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلاثة كالدلالة على تحقيق ذلك الكرم
فقوله سبحانه الذى خلقك أى بعد ان لم تكن لا شك أنه كرم لانه وجود والوجود خير من العدم
والحياة خير من الموت كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم وقوله تعالى
فسواك أى جعلك مستوى الخلقة سالم الاعضاء فهذا من الكرم كما قال تعالى أكفرت بالذى خلقك
من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا أى معتدل الخلق والاعضاء وقال ذو النون المصرى فى
سخر لك المكونات أجمع وما جعلك مسخرا لشئ منها ثم انطق لسانك بالذكر وقلبك بالعقل
وروحك بالمعرفة وسرك بالايمان وشرفك بالامر والنهى وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلا
وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بتخفيف الدال والباقون بالتشديد فمعنى جعلك متناسب

نارا صغيرة وماء صغيرا بان يصير احدهما فى وقت والآخر فى آخر اطول يوم القيامة (قوله واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت) * ان قلت كيف

الاطراف فلم يجعل احدى يديك أو رجليك أطول ولا احدى عينيك أوسع فهو من التعديل وهو كقوله تعالى بلى قادرين على أن نسوى بنانه وقال عطاء عن ابن عباس جعلك قائما معتدلا حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية وقال أبو على الفارسى عدلك خلقك فى أحسن تقويم مستويا على جميع الحيوان والنبات وواصلا فى الكمال الى ما لم يصل اليه شئ من اجسام هذا العالم واما قراءة التخفيف فتحتمل هذا اى عدل بعض اعضائك ببعض ويحتمل ان يكون من العدول اى صرفك الى ما شاء من الهيآت والاشكال ونقل القفال عن بعضهم انهما لغتان بمعنى واحد (فى اى صورة) اى من الصور التى تعرفها والتى لا تعرفها من الدواب والطيور وغير ذلك من الحيوان وغيره وما فى قوله تعالى (ما شاء) مزيدة وفى اى متعلق بركب فى قوله تعالى (ركبك) اى ركبك فى اى صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه (فان قيل) هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها (اجيب) بانها بيان لعدلك ويجوز ان تتعلق بمحذوف اى ركبك حاصلا فى بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون فى اى معنى التعجب اى فعدلك فى صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك من التراكيب يعنى تركيبا حسنا وقوله تعالى (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى والتعلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذى هو الكفر والمعصية وقوله تعالى (بل تكذبون) اى يا كفار مكة (بالدين) اضراب الى ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء على الاعمال والاسلام (وان) اى والحال ان (عليكم) اى ممن اقمناهم من جندنا من الملائكة (لحافظين) اى على اعمالكم بحيث لا يخفى عليهم منها جليل ولا حقير (كراما) اى على الله تعالى (كاتبين) اى لهذه الاعمال فى الصحف كما تكتب الشهود بينكم العهود ليقع الجزاء على غاية التحرير * (تنبيه) * هذا الخطاب وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة اجمعت على عموم هذا الخطاب فى حق المكلفين وقوله تعالى لحافظين جمع يحتمل ان يكونوا حافظين لجميع بنى آدم من غير ان يختص واحد من الملائكة بواحد من بنى آدم ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخر ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار او كما قيل انهم خمسة واختلفوا فى الكفار هل عليهم حفظة فقيل لا لان امرهم ظاهر وعملهم واحد قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل عليهم حفظة وهو ظاهر قوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين وقوله تعالى وأما من اوتى كتابه بشماله وقوله تعالى واما من اوتى كتابه وراء ظهره فاخبر انهم كفار وان عليهم حفظة (فان قيل) فاى شئ يكتب الذى عن يمينه ولا حسنة له (اجيب) بان الذى عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون صاحبه شاهدا على ذلك وان لم يكتب وفى هذه الآية دلالة على ان الشاهد لا يشهد الا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين (يعلمون) اى على التجدد والاستمرار (ما تفعلون) فدل على انهم يكونون عالمين بها حتى انهم يكتبونها فاذا كتبوها يكونون عالمين عند اداء الشهادة وفى تعظيم الكتبة تعظيم لامر الجزاء فانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه وفيه انذار وتهويل للعصاة ولطف

قال ذلك مع ان سؤال ماذكر انما يحسن من القاتل لا من المقتول (قلت) انما سئلت لتبكيت قاتلها وتوبيخه بما يجيب به فانه اقتلت بغير ذنب

بالمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين • ولما وصف تعالى الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العاملين وقسمهم قسمين وبدأ بقسم اهل السعادة فقال تعالى (ان الابرار) اى المؤمنين الصادقين فى ايمانهم باداء فرائض الله تعالى واجتناب معاصيه (لفى نعيم) اى محيط بهم ابد الآبدين وهو نعيم الجنة الذى لا نهاية له • ثم ذكر قسم اهل الشقاوة بقوله تعالى (وان الفجار) الذين من شأنهم الخروج عما ينبغى الاستقرار فيه من رضا الله تعالى الى سخطه وهم الكفار (لفى جحيم) اى نار محرقة تتوقد غاية التوقد فهم فيها ابد الآبدين (يصلونها) اى يدخلونها ويقاسون حرها (يوم الدين) اى يوم الجزاء وهو يوم القيامة (وماهم عنها) اى الجحيم (بغائبين) اى بمخرجين ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك فى قبورهم وقيل اخبر الله تعالى فى هذه السورة ان لابن آدم ثلاث حالات حالة الحياة التى يحفظ فيها عمله وحالة الآخرة التى يجازى فيها وحالة البرزخ وهو قوله تعالى وماهم عنها بغائبين وروى ان سليمان بن عبد الملك قال لابى حازم المدنى ليت شعرى مالنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله تعالى فانك تعلم مالك عند الله تعالى قال فاين اجد ذلك فى كتاب الله قال عند قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم الآية قال سليمان فاين رحمة الله تعالى قال قريب من المحسنين • ثم عظم سبحانه وتعالى ذلك اليوم فقال تعالى (وما ادراك) اى وما اعلمك وان اجتهدت فى تطلب الدراية به (ما يوم الدين) اى اى شئ هو فى طوله وهوله وفظاعته وزلزاله ثم كرره تعجيبا لشأنه فقال تعالى (ثم ما ادراك) اى ايضا (ما يوم الدين) اى انه يوم الدين الذى بحيث لا تدرك دراية دارك كنهه فى الهول والشدة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل تعالى القول فى وصفه فقال سبحانه (يوم لا تملك) اى بوجه من الوجوه فى وقت ما (نفس) اى اى نفس كانت (لنفس شيأ) اى قل او جل وقرأ ابن كثير وابو عمرو برفع يوم على انه خبر مبتدأ مضمر اى هو يوم وجوز الزمخشرى ان يكون بدلا مما قبله يعنى يوم الدين والباقون بالفتح باضمار اعنى او اذكر (والامر) كله (يومئذ) اى اذ كان البعث للجزاء (لله) اى الملك لا امر لغيره فيه فلا يملك الله تعالى فى ذلك اليوم احدا شيأ كما ملكهم فى الدنيا وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة حديث موضوع

ونظيره قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس الآية (قوله نفس) اى كل نفس لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا

سورة المطففين مدنية

فى قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل وهى اول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة مدنية الا ثمان آيات وهى قوله تعالى ان الذين اجرموا الى آخرها فهو مكى وقال الكلبى وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة ولعل هذا سبب الاختلاف وقال ابن مسعود والضحاك مكية وهى ست وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثمانون حرفا

(بسم الله) الذى [illegible] كل علمه [illegible] (الرحمن) الذى عم [illegible] الابرار [illegible] (الرحيم) الذى [illegible] اهل طاعته [illegible] (ويل) [illegible] اولئك [illegible] فى كل حال من احوال الدنيا [illegible] او [illegible] الله تعالى؟

(للمطففين) خبره والتطفيف البخس في الكيل او الوزن لان ما يبخس شئ طفيف حقير قال الزجاج وانما قيل للذى ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق فى المكيال والميزان الا الشئ اليسير الطفيف وروى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من ابخس الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله ما خمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله تعالى عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر ولا ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر وقال السدى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يعرف بأبى جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فنزلت وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت وعن على انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كأنه امر بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين فى الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم الى أنصاف آذانهم وعن عكرمة أشهد ان كل كيال ووزان فى النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد أنه فى النار وعن أبى لا تلتمس الحوائج ممن رزقه فى رؤس المكاييل وألسن الموازين * ثم بين تعالى المطففين من هم بقوله تعالى (الذين اذا اكتالوا) أى عالجوا الكيل (على الناس) أى كائنين من كانوا لا يخافون شيأ ولا يراعون أحدا بل صارت الخيانة والوقاحة لهم ديدنا (يستوفون) أى اذا كالوا منهم وابدل على مكان من للدلالة على ان اكتيالهم من الناس اكتيال يضرهم ويتحامل فيه عليهم ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اى يستوفون على الناس خاصة واما أنفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يتعاقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك (واذا كالوهم) أى كالوا للناس أى حقهم اى ما لهم من الحق (أو وزنوهم) أى وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال القائل

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

وقال آخر والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك ويقال وزنتك حقك وكلتك طعامك أى وزنت لك وكلت لك ونصحتك ونصحت لك وكسبتك وكسبت لك والاكمؤ جمع كمأة والعساقل ضرب منها واصله عساقيل لان واحدها عسقول كعصفور فحذفت الياء للضرورة وبنات اوبر ضرب من الكمأة ردئ (يخسرون) جواب اذا وهو يتعدى بالهمزة يقال خسر الرجل وأخسرته انا فمفعوله محذوف أى يخسرون الناس متاعهم وقيل يخسرون أى ينقصون بلغة قارس أى ينقصون الكيل أو الوزن وقوله تعالى (الا يظن اولئك) أى الاخساء البعداء

الآية (ان فلت) لم ختم الآية هنا بقوله ما أحضرت أى من خير وشر وفى الانفطار بقوله ما قدمت واخرت اى ما قدمته من الاعمال وما اخرته

الارذال (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم) أى لاجله او فيه وزاد التهويل بقوله تعالى عظيم انكارا وتعجيبا من حالهم فى الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وقيل الظن بمعنى اليقين وقوله تعالى (يوم) يجوز نصبه بمبعوثون او باضمار اعنى او بدل من محل ليوم فناصبه مبعوثون (يقوم الناس) اى من قبورهم (لرب العالمين) اى الخلائق لاجل امره وجزائه وحسابه وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى انصاف اذنيه وعن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قيد ميل او اثنين قال سليم لا ادرى اى الميلين يعنى مسافة الارض او الميل الذى تكتحل به العين قال فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق بقدر اعمالهم فمنهم من يأخذه الى عقبيه ومنهم من يأخذه الى ركبتيه ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشير بيده الى فيه يقول الجمه الجاما وعن قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجوه يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان أن اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله فى المطففين أراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفى هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله تعالى خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم فى التطفيف وفيما كان فى مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على التسوية والعدل فى كل اخذ واعطاء بل فى كل قول وعمل وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده وعن بعض المفسرين ان لفظ التطفيف يتناول التطفيف فى الوزن والكيل وفى اظهار العيب واخفائه وفى طلب الانصاف والانتصاف ويقال من لم يرض لاخيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بمنصف والمعاشرة والصحبة فى هذه المادة والذى يرى عيب الناس ولا يرى عيب نفسه من هذه الجملة ومن طلب حق نفسه من الناس ولا يعطيهم حقوقهم كما يطلبه وقوله تعالى (كلا) ردع أى ليس الامر على ما هم عليه فليرتدعوا وههنا تم الكلام وقال الحسن كلا ابتداء متصل بما بعده على معنى حقا وجرى الجلال المحلى وأكثر المفسرين على الاول (ان كتاب الفجار) أى كتب اعمال الكفار واظهر موضع الاضمار ذما وتعليقا للحكم بالوصف واختلف فى معنى قوله سبحانه وتعالى (لفى سجين) فقيل هو كتاب جامع وهو ديوان الشر دون الله تعالى فيه اعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وقيل هو مكان تحت الارض السابعة وهو محل ابليس وجنوده وقال عبد الله بن عمرو سجين فى الارض السابعة السفلى فيها ارواح الكفار وعن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين أسفل سبع أرضين وعليون فى السماء السابعة تحت العرش وقال الكلبى هو صخرة تحت الارض السابعة خضراء خضرة السموات منها يجعل كتاب الفجار فيها وقال وهب هى آخر سلطان ابليس وعن كعب الاحبار ان روح

منها فلم تعلمه (قلت) رعاية للمناسبة اذ شروط الجواب هنا طالت بكثرتها فحسن اختصاره ليوقف عليه وشروطه ثم قصرت بقلتها فحسن بسطه لتيسر الوقف عليه حينئذ

الفاجر يعني الكافر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتأبى الارض ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس وذلك استهانة بها او يشهدها الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون وقال عكرمة انى سجين أى فى خسار وضلال (وما ادراك) أى جعلك داريا وان اجتهدت فى ذلك (ما سجين) وقال الزجاج أى ليس لك ذلك ما كنت تعلمه أنت ولا قومك وقوله تعالى (كتاب مرقوم) ليس تفسير السجين بل هو بيان للكتاب المذكور فى قوله تعالى ان كتاب الفجار اى هو كتاب مرقوم أى مسطور بين الكتابة مكتوب فيه أعمالهم مثبت عليهم كالرقم فى الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به او معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه وقيل الرقم الختم بلغة حمير واقتصر على هذا الجلال المحلى وقال قتادة رقم عليه بشر كانه علم بعلامة يعرف بها أنه كافر والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان وسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق فى جهنم ولانه مطروح تحت الارض كما مر (فان قيل) سجين هل هو اسم او صفة (أجيب) بانه اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف (ويل) أى أعظم هلاك (يومئذ) أى اذ تقوم الناس لما تقدم (للمكذبين) أى بذلك ثم بين المكذبين بقوله تعالى (الذين يكذبون بيوم) أى بسبب الاخبار بيوم (الدين) أى الجزاء الذى هو سر الوجود بدل او بيان للمكذبين ثم أخبر تعالى بصفة من يكذب يوم الدين بثلاث صفات ذكر أولها بقوله تعالى (وما) أى والحال انه ما (يكذب به) أى بذلك اليوم (الا كل معتد) أى متجاوز عن النظر حال فى اعتماده حتى استقصر قدرة الله تعالى على اعادته فاستحال منه الاعادة ثم ذكر الصفة الثانية بقوله تعالى (أثيم) اى منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث اشتغل عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها ثم ذكر الصفة الثالثة بقوله تعالى (اذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الاولين) أى الحكايات سطرت قديما جمع أسطورة بالضم وقيل اسطارة بالكسر جعلوا اعراضهم عن الحق انه لا ينفعه ثم هذا النقل كما لا تنفعه ولا تقل العقل وهذا عام فى كل موصوف بذلك وقال الكلبى هو الوليد بن المغيرة وقيل هو النضر بن الحرث وقوله تعالى (كلا) ردع وزجر للمعتدى الاثيم عن ذلك القول وتكذيب له فيه وقوله تعالى (بل ران) أى غلب وغطى تغطية الغيم السماء (على قلوبهم) أى كل من قال هذا القول (ما كانوا يكسبون) أى ما يرتكب من المعاصى اصرارهم على الكفر وعدم توبتهم حتى طبع على قلوبهم فلا تقبل الخير ولا تميل اليه روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا أذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز وقال ابو معاذ الران أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الران والاقفال أشد من الطبع وهو ان يقفل على القلب قال تعالى أم على قلوب اقفالها وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب ويغشى فيموت القلب قال صلى الله عليه وسلم اياكم والمحقرات من الذنوب فان الذنب على الذنب يوقد على صاحبه جحيما ضخمة وعن الحسن الذنب بعد الذنب يسوّد القلب وقال ران عليه الذنب اى غلب عليه وغلبة مثارا لغيم الغيم

* (سورة الانفطار) *
(قوله ما غرك بربك الكريم)
* ان قلت ما فائدة تخصيص ذكر صفة الكريم من سائر صفاته تعالى (قلت) فائدته الاطف بعبده وتلقينه

ويقال ران فيه النوم رسخ فيه وران به الخمر ذهبت به وقرأ حمزة وشعبة والكسائي بالامالة محضة والباقون بالفتح وسكت حفص على اللام وقفة لطيفة من غير قطع والباقون بغير سكت وقوله تعالى (كلا) ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وقيل بمعنى حقا كما مر (انهم عن ربهم) أي المحسن اليهم (يومئذ لمحجوبون) أي فلا يرونه بخلاف المؤمنين فانهم يرونه كما ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة وقال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت انفسهم في الدنيا وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وفي قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان أولياء الله يرون الله تعالى ومن نفى الرؤية كالزمخشري جعله تمثيلا للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء والمكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم وعن ابن عباس وقتادة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته (ثم انهم) أي بعد [illegible] الله تعالى من اهمالهم (لصالوا الجحيم) أي لداخلوا النار المحرقة [illegible] (ثم يقال) أي تقول لهم الخزنة (هذا) أي العذاب (الذي كنتم به تكذبون) أي في دار الدنيا وقوله تعالى (كلا) ردع عن التكذيب وقيل بمعنى حقا كما مر وقال البيضاوي تكرار ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بأن التطفيف فجور والايفاء بر وقيل ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار) أي كتب اعمال المؤمنين الصادقين في ايمانهم (لفي عليين) وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته صلحاء الثقلين منقول من جمع [illegible] من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقبلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله تعالى من سلطانه أوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه أخلص [illegible] فاجعلوه في عليين [illegible] الى ما شاء الله أوحى اليهم [illegible] على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين وعن البراء [illegible] عليون في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجد [illegible] تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش اليمنى وقال عطاء عن ابن عباس هو الجنة وقال الضحاك سدرة المنتهى وقال بعض اهل المعاني علو بعد علو وشرف بعد شرف [illegible] قال الفراء هو اسم موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه مثل عشرين وثلاثين (وما أدراك ما عليون) [illegible] (كتاب مرقوم) [illegible] (يشهده) [illegible]

[illegible] (ان الابرار لفي نعيم) [illegible] (على الارائك) أي [illegible]

[illegible] (ينظرون) أي [illegible]

[illegible]

تجنبه وعذره لقول غوى كرم الكريم (قوله وما أدراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين) كرره تعظيما للدين وقيل الاول للمؤمنين والثاني

الجبال أبصارهم عن الادراك وقال الرازي ينظرون الى ربهم بدليل قوله تعالى (تعرف) أي أيها الناظر اليهم (في وجوههم) عند رؤيتهم (نضرة النعيم) أي بهجته وحسنه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء وأهل الترفه والخطاب اما للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل ناظر وقال الحسن النضرة في الوجه والسرور في القلب وهذا هو الامر الثاني وأما الثالث فهو قوله تعالى (يسقون من رحيق) أي خمر صافية طيبة وقال مقاتل الخمر البيضاء وقال الرازي لعله الخمر الموصوف بقوله تعالى لا فيها غول (مختوم) أي ختم ومنع من أن تمسه يد الى أن يفك ختمه الابرار وقال القفال يحتمل أن يكون ختم عليه تكريما له بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان وهناك خمر أخرى تجري أنهارا لقوله تعالى وأنهار من خمر لذة للشاربين الا أن هذا المختوم أشرف من الجاري (ختامه مسك) أي آخر شربه يفوح منه مسك فالمختوم الذي له ختام أي آخر شربه وختم كل شيء الفراغ منه وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقال ابن زيد ختامه عند الله مسك وقيل طينه مسك وقيل يختم أوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة (وفي ذلك) أي الامر العظيم البعيد المتناول وهو العيش والنعيم أو الشراب الذي هذا وصفه (فليتنافس) أي فليرغب بغاية الرغبة بجميع الجهد والاختيار (المتنافسون) أي الذين من شأنهم المنافسة وهو أن يطلب كل منهم أن يكون ذلك المتنافس فيه له خاصة دون غيره لانه من [illegible] الذي تحرص عليه نفوس الناس وتتغالى فيه والمنافسة في مثل [illegible] لا في [illegible] الفانية واللذات الفانية وقال مجاهد فليعمل العاملون نظيره قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقال مقاتل بن سليمان فليسارع المتسارعون وقال عطاء فليستبق المستبقون وقال الزمخشري فليرتقب المرتقبون والمعنى في الجميع واحد وأصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أي يضن (ومزاجه) أي ما يمزج به ذلك الرحيق (من تسنيم) وهو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها تأتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في أواني أهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت أمسكت وقوله تعالى (عينا) نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال (يشرب بها) أي يشربها على ما [illegible] الممزوج منها (المقربون) و [illegible] يشربون بها صرفا [illegible] أهل الجنة (ان الذين أجرموا) [illegible] وهم [illegible] (كانوا من الذين آمنوا) أي [illegible] وغيرهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) أي استهزاء بهم (واذا مروا) أي المؤمنون (بهم) أي بالذين أجرموا (يتغامزون) أي يشير بعضهم الى بعض بالعين والحاجب استهزاء بهم وقيل يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم [illegible] على بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا [illegible] الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل أن يصل علي الى النبي صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا) أي رجع الذين أجرموا برغبتهم في الرجوع [illegible] (الى أهلهم) أي [illegible] هي عامرة بجماعتهم وقرأ حمزة والكسائي في الوصل بضم الهاء والميم وأبو عمرو بكسر الهاء

الكفار (قوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) فان قلت كيف قال ذلك مع ان النفوس المقبولة الشفاعة تملك ان شفعت شيئا وهو الشفاعة (قلت) المنفي

والباقون بكسر الهاء وضم الميم (انقلبوا) حالة كونهم (فاكهين) أى متلذذين بما كان من مكنتهم ورفعتهم التى أوصلتهم الى الاستصغار بغيرهم قال ابن برجان روى عنه عليه الصلاة والسلام ان الدين بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر وفى أخرى يكون المؤمن فيهم أذل من الامة وفى أخرى العالم فيهم أنتن من جيفة حمار فالله المستعان وقرأ حفص بغير ألف بين الفاء والكاف والباقون بالالف قيل هما بمعنى وقيل فكهين فرحين وفاكهين ناعمين وقيل فاكهين أصحاب فاكهة ومزاح (واذا رأوهم) أى رأى المجرمون المؤمنين (قالوا) أى المجرمون (ان هؤلاء) أى المؤمنين (لضالون) أى لايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم يرون أنهم على شئ وهم على ضلال فى تركهم التنعم الحاضر بسبب شئ لا يدرى هل له وجود أم لا قال الله تعالى (وما) أى والحال أنهم ما (أرسلوا) أى الكفار (عليهم) أى على المؤمنين (حافظين) أى موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم وقيل هو من جملة قول الكفار وانهم اذا رأوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم فى ذلك وقوله تعالى (فاليوم) منصوب بيضحكون ولا يضر تقديمه على المبتدا لانه لو قدم معاملة [illegible] لا يجوز فى الدار زيد قائم ومعنى عليهم أى فى الآخرة (الذين آمنوا) ولو كانوا أدنى درجات الايمان (من الكفار يضحكون) وفى سبب هذا الضحك وجوه منها أن الكفار كانوا يضحكون على المؤمنين فى الدنيا بسبب ماهم فيه من الضر والبؤس وفى الآخرة يضحك المؤمنون على الكافرين بسبب ماهم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن ألوان العذاب بعد التنعيم والترفه ومنها أنهم علموا أنهم كانوا فى الدنيا على غير شئ وانهم باعوا الباقى بالفانى ومنها أنهم يرون أنفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم ونالوا بالتعب اليسير راحة الابد ومنها قال أبو صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا وتفتح لهم أبوابها فاذا رأوها وقد فتحت أبوابها أقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى أبوابها غلقت دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فذلك سبب الضحك ومنها أنهم اذا دخلوا الجنة وأجلسوا على الارائك ينظرون الى الكفار كما قال تعالى (على الارائك) أى الاسرة العالية (ينظرون) اليهم كيف يعذبون فى النار ويرفعون أصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا *(تنبيه)* ينظرون حال من يضحكون أى يضحكون ناظرين اليهم والى ماهم فيه من الهوان وقال كعب بين الجنة والنار كوى اذا أراد المؤمن أن ينظر الى عدو له كان فى الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى كما قال تعالى فاطلع فرآه فى سواء الجحيم فاذا اطلعوا من الجنة على أعدائهم وهم يعذبون فى النار ضحكوا قال الله تعالى (هل ثوب الكفار) أى هل جوزوا (ما كانوا يفعلون) [illegible] بالمؤمنين [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ثبوت الملك بالسلطنة والشفاعة ليست بطريق السلطنة فلا تدخل فى النفى ويؤيده قوله تعالى والامر يومئذ لله

الجنة يوم القيامة حديث موضوع

سورة الانشقاق مكية

وهي ثلاث أو خمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وأربعمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذي شقق الارض بالنبات (الرحمن) الذي عم بجوده أهل الارض والسموات (الرحيم) الذي خص أهل طاعته بالجنات وقوله تعالى (اذا السماء) أي على ما لها من الاحكام والعظمة (انشقت) كقوله تعالى اذا الشمس كورت في اضمار الفعل وعدمه وفي اذا هذه احتمالان أحدهما أن تكون شرطية والثاني أن تكون غير شرطية فعلى الاول في جوابها أوجه أحدها أنه محذوف ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وهو قوله تعالى علمت نفس الثاني جوابها ما دل عليه فملاقيه الثالث أنه يا أيها الانسان على حذف الفاء وعلى كونها غير شرطية فهي مبتدأ وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة تقديره وقت انشقاق السماء وقت مد الارض أي يقع الامران في وقت قاله الاخفش وقيل انه منصوب مفعولا به باضمار اذكر وانشقاقها بالغمام وهو من علامات القيامة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي تنشق من المجرة قال ابن الاثير المجرة هي البياض المعترض في السماء والسراب من جانبها (وأذنت) أي سمعت وأطاعت في الانشقاق (لربها) أي لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد المطواع الذي ورد عليه الامر من جهة المطاع فانصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين (وحقت) أي حق لها أن تسمع وتطيع بأن تنقاد ولا تمتنع يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق (واذا الارض) أي على ما لها من الصلابة (مدت) أي زيد في سعتها كمد الاديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل كما قال تعالى فاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى (وألقت) أي أخرجت (ما فيها) من الكنوز والموتى كقوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها (وتخلت) أي خلت منها حتى لم يبق في بطنها شيء وذلك يؤذن بعظم الامر كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة ووصفت الارض بذلك توسعا والا فالتحقيق أن الله تعالى هو المخرج لتلك الاشياء من الارض وقوله تعالى (وأذنت لربها وحقت) تقدم تفسيره وهذا ليس بتكرار لان الاول في السماء وهذا في الارض وتقدم جواب اذا ومن جملة ما قيل فيه وما عطف عليه انه محذوف دل عليه ما بعده تقديره لقي الانسان عمله وذلك كله يوم القيامة واختلف في الانسان في قوله تعالى (يا أيها الانسان) أي الآنس بنفسه الناسي لامر ربه (انك كادح) فقيل المراد جنس الانسان كقولك يا أيها الرجل فكأنه خطاب خص به أحد من الناس قال القفال وهو أبلغ من العموم لانه قائم مقام التنصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام وقيل المراد منه رجل بعينه فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انك كادح في ابلاغ رسالات الله تعالى وارشاد عباده وتحمل الضرر من الكفار فابشر فانك تلقى الله تعالى بهذا العمل وقال ابن عباس هو أبي بن خلف وكدحه هو جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاصرار على الكفر والكدح جهد

(سورة المطففين)

(قوله اذا كتالوا) ان قلت هلا قال اذا كالوا واتزنوا كما قال في مقابله واذا كالوهم أو وزنوهم (قلت) لان المطففين كانت عادتهم ان لا يأخذوا ما يكال وما يوزن الا بالمكيال لان استيفاءه

النفس في العمل والكدفيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى كادح (الى ربك) أي جاهد الى لقائه وهو الموت أي هذا الكدح يستمر الى هذا الزمن وقال القفال تقديره انك كادح في دنياك (كدحا) تصير الى ربك وقوله تعالى (فملاقيه) يجوز أن يكون عطفا على كادح والسبب فيه ظاهر وان يكون خبر مبتدا مضمر أي فانت ملاقيه وقيل جواب اذا والضمير في ملاقيه اما للرب أي ملاق حكمه لامفر لك منه واما للكدح الا ان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة فالمراد جزاء كدحك من خير او شر وقال الرازي المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال ويؤكد هذا قوله تعالى بعده (فاما من أوتي كتابه) أي كتاب عمله الذي كتبته الملائكة (بيمينه) أي من امامه وهو المؤمن المطيع (فسوف يحاسب) أي يقع حسابه بوعد لاخلف فيه وان طال الامد لاظهار الجبروت والكبرياء والقهر (حسابا يسيرا) هو عرض عمله عليه كما فسر في حديث الصحيحين وفيه من نوقش الحساب هلك وفي رواية من حوسب عذب قالت عائشة اليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب وانما حوسب حسابا يسيرا لانه كان يحاسب نفسه فلا تقع له المخالفة الا ذهولا فلا يحصل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسنها ويعفى عن سيئها (وينقلب) أي يرجع بنفسه من غير مزعج برغبة وقبول (الى أهله) أي الذين أهلهم في الجنة من الحور العين والآدميات والذريات اذا كانوا مؤمنين (مسرورا) أي قد أوتي جنة وحريرا فانه كان في الدنيا في أهله مشفقا من العرض على الله يحاسب نفسه حسابا عسيرا مع ما هو فيه من نكد الاهل وضيق العيش (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) وهو الكافر تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ بها كتابه (فسوف يدعو) أي بوعد لاخلف في وقوعه (ثبورا) يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا (ويصلى سعيرا) أي يدخل النار الشديدة وقرأ أبو عمرو وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام والباقون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين واذا فتح ورش غلظ اللام واذا أمال رقق والباقون بالفتح (انه كان) أي بما هو له كالجبلة (في أهله) أي عشيرته في الدنيا (مسرورا) قال القفال أي منعما مستريحا من التعب بأداء العبادات واحتمال مشقة الفرائض من الصلاة والجهاد مقدما على المعاصي آمنا من الحساب والثواب والعقاب لايخاف الله تعالى ولا يرجوه فابدله الله تعالى بذلك السرور غما باقيا لاينقطع وقيل ان قوله تعالى انه كان في أهله مسرورا كقوله تعالى واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين أي متنعمين في الدنيا معجبين بما هم عليه من الكفر بالله تعالى والتكذيب بالبعث يضحكون ممن آمن بالله تعالى وصدق بالحساب كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (انه ظن) أي لضعف نظره (أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لن يحور) أي لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لايحور ولا يحول أي لايرجع ولا يتغير قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

الزيادة بالمكيال امكن لهم وأهون عليهم منه بالميزان واذا اعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس فيهما (قوله وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم وما أدراك

وعن ابن عباس ما كنت أدرى ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حورى أى ارجعى وقوله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد النفى فى لن يحور أى بلى ليحورن (ان ربه) أى الذى ابتدأ انشاءه ورباه (كان) اى أزلا وابدا (به بصيرا) اى من يوم خلقه الى يوم بعثه أو عالما لا ينساها وقال عطاء بصيرا بما سبق عليه فى ام الكتاب من الشقاوة * واختلفوا فى الشفق فى قوله تعالى (فلا أقسم بالشفق) فقال مجاهد هو النهار كله وقال عكرمة ما بقى من النهار وقال ابن عباس واكثر المفسرين هو الحمرة التى تبقى فى الافق بعد غروب الشمس وقال قوم هو البياض الذى يعقب تلك الحمرة * (تنبيه) سمى بذلك لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه واللام فى لا اقسم مزيدة للتأكيد (والليل) أى الذى يقلبه ويذهبه (وما وسق) أى ما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال الشاعر * مستوسقات لو يجدن سائقا * ونظيره فى وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى اليه من الدواب وغيرها (والقمر) اى الذى هو آية الليل (اذا اتسق) اى اذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة وقال قتادة استدار وهو افتعل من الوسق (تنبيه) قد اختلف اهل العلم فى القسم بهذه الاشياء هل هو قسم بها او بخالقها وقد مرت الاشارة الى ان القسم [illegible] بها اذ كان محذوفا الا انه للتعظيم [illegible] وقد [illegible] الانسان [illegible] الله [illegible] (لتركبن) اى ايها الناس اصلا تركبون حذفت نون الرفع لتوالى الامثال والواو لالتقاء الساكنين وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بفتح الباء الموحدة على خطاب الانسان والباقون بضمها على خطاب الجمع وهو معنى الانسان لان المراد به الجنس اى لتركبن ايها الانسان (طبقا) مجاوزا (عن طبق) اى حالا بعد حال قال عكرمة رضيعا ثم فطيما ثم غلاما ثم شابا ثم شيخا وعن ابن عباس الموت ثم البعث ثم العرض وعن عطاء مرة فقيرا ومرة غنيا وقال أبو عبيدة لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم ويروى انه صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن [illegible] (فما لهم) [illegible] (لا يؤمنون) [illegible] الايمان [illegible] مشروعة (واذا قرئ عليهم القرآن) اى [illegible] كل ما فيه (لا يسجدون) [illegible] لا يسجدون [illegible] المؤمنين [illegible] عليه وسلم قرأ [illegible] فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فيها فقال [illegible] رسول الله [illegible] سجد فيها حتى [illegible] هو واجب واحتج ابو حنيفة على وجوب السجود بانه تعالى ذم من سمعه ولم يسجد وعن [illegible]

قوله (وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم) ان قلت كيف فسر سجينا وعليين بكتاب مرقوم مع ان سجينا اسم للارض السابعة وعليين اسم لاعلى الجنة اولا على الامكنة

قوله قال الله تعالى فلا أقسم الخ هذا المقابل لقابل القول الذى ذكره فليتأمل اه

عباس ليس في المفصل سجدة وما روي عن أبي هريرة يخالفه وعن أنس صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان فسجدوا (بل الذين كفروا يكذبون) أي بالقرآن والبعث (والله أعلم بما يوعون) أي بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب وقوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) أي مؤلم استهزاء بهم أو أن البشارة بمعنى الإخبار أي أخبرهم وقوله تعالى (إلا) استثناء منقطع أي لكن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تحقيقا لإيمانهم (لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع ولا منقوص ولا يمنون به عليهم وقول البيضاوي تبعا للزمخشري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ إذا السماء انشقت أعاذه الله تعالى أن يعطيه كتابه وراء ظهره حديث موضوع

سورة البروج مكية

وهي اثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وثمانية وخمسون حرفا

(بسم الله) الذي أحاط علمه بالكائنات (الرحمن) الذي عم جوده سائر المخلوقات (الرحيم) الذي خص أهل السعادة بالجنات وقوله تعالى (والسماء) أي العالية غاية العلو المحكمة غاية الإحكام (ذات البروج) قسم أقسم الله تعالى به وتقدم الكلام على ذلك مرارا وفي البروج أقوال فقال مجاهد هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات وقال الحسن هي النجوم وقيل هي منازل القمر وقال عكرمة هي قصور في السماء وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل أبواب السماء وقوله تعالى (واليوم الموعود) قسم آخر وهو يوم القيامة قال ابن عباس وعد أهل السماء وأهل الأرض أن يجتمعوا فيه واختلفوا في قوله سبحانه وتعالى (وشاهد ومشهود) فقال أبو هريرة وابن عباس الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وروي مرفوعا اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه الترمذي في جامعه قال القشيري فيوم الجمعة يشهد على عامله بما عمل فيه قال القرطبي وكذا سائر الأيام والليالي لما روى أبو نعيم الحافظ عن معاوية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم يأتي على العبد إلا ينادى فيه يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك شاهد فاعمل في خيرا أشهد لك به غدا فإني إذا مضيت لم ترني أبدا ويقول الليل مثل ذلك حديث غريب وحكى القشيري عن ابن عمر أن الشاهد يوم الأضحى وقال ابن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروي عن علي الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقال مقاتل أعضاء الإنسان هي الشاهد لقوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم الآية وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم لقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا الآية وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى إنا أرسلناك شاهدا وقيل آدم وقيل الحفظة الشاهد والمشهود أولاد آدم وقيل غير ذلك

أو السماء السابعة أو السدرة المنتهى (ذات) كتاب مرقوم وصف معنوي لكتاب الفجار وكتاب الابرار لا تفسير لسجين وعليين والتقدير وهو كتاب مرقوم

صحيح * واختلف في جواب القسم فقال الجلال المحلي جواب القسم محذوف صدره أي لقد
(قتل) أي لعن (أصحاب الاخدود) وقال الزمخشري محذوف ويدل عليه قوله قتل أصحاب
الاخدود وكأنه قيل أقسم بهذه الاشياء أنهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن أصحاب
الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم
واستظهر هذا البيضاوي والاخدود هو الشق المستطيل في الارض كالنهر وجمعه أخاديد
واختلف فيهم فعن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم
وكان له ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما
وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مر
بالراهب فقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من عند الساحر قعد الى الراهب وسمع
كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكا الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي
واذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست
الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان أمر الراهب
أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى تمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس
فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني انت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى
وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من
سائر الادواء فسمع جليس الملك وكان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال هذا لك أجمع ان أنت
شفيتني فقال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله فان آمنت به دعوت الله تعالى فشفاك فآمن
بالله فشفاه الله تعالى فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك
قال ربي قال ربك ربي قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء
بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل قال اني
لا أشفي أحدا انما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقال
ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء
بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى ففعل به كالراهب ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن
دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا فاصعدوا به فاذا بلغتم
ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما
شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال
كفانيهم الله تعالى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر
فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت السفينة
بهم فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله تعالى فقال
للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد
وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل بسم الله رب الغلام
ثم ارمني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ
سهما من كنانته ووضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم

(سورة الانشقاق)
(قوله اذا السماء انشقت) جوابه اذا جعلت شرطية محذوف تقديره علمت نفس ما أحضرت او علمت نفس ما قدمت وأخرت او بعثتم او لاقى كل انسان كدحه او مذكور وهو يا أيها

فى صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام ثلاثا فاتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فامر بالاخدود بافواه السكك فخدت واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها أو قيل له اقتحم قال ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبى لها فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبى يا أماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت قال البغوى هذا حديث صحيح وقيل ان الصبى قال لها قعى ولا تقاعسى وقيل ماهى الا غميضة فصبرت وذكر محمد بن اسحق عن وهب بن منبه أن رجلا كان قد بقى على دين عيسى فوقع على نجران فاجابوه فسار اليه ذونواس اليهودى بجنود من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخاديد واحرق اثنى عشر ألفا فى الاخاديد وقيل سبعين ألفا ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذونواس هاربا واقتحم البحر بفرسه فغرق قال الكلبى وذونواس قتل عبد الله بن التامر رضى الله عنه وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبى بكر ان خربة احترقت فى زمن عمر فوجدوا عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة فى رأسه اذا اميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم من حديد فيه ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان أعيدوا عليه الذى وجدتم عليه * وعن ابن عباس قال كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذونواس بن شرحبيل فى الفترة قبل أن يولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه سلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يختلف الى المعلم وكان فى طريقه راهب حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر قريبا من معنى حديث صهيب الى أن قال الغلام للملك انك لاتقدر على قتلى الا أن تفعل ما أقول قال فكيف أقتلك قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترمينى بسهم على اسم الهى ففعل الملك فقتله فقال الناس لا اله الا اله عبد الله بن التامر لادين الا دينه فغضب الملك وأغلق باب المدينة واخذ أفواه السكك وخد أخدودا وملأه نارا ثم عرضهم رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن قال دينى دين عبد الله بن تامر ألقاه فى الاخدود وأحرقه وكان فى مملكته امرأة أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعى عن دينك والا ألقيتك وأولادك فى النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقاه فى النار ثم قال لها ارجعى فابت فاخذوا الصبى منها ليلقوه فى النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبى يا أماه لاترجعى عن الاسلام فانك على الحق ولا باس عليك فالقى الصبى فى النار والقيت أمه على اثره * وعن على أنهم حين اختلفوا فى أحكام المجوس قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس ان الله تعالى أحل لكم نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك أن الله تعالى حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فامرت بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب الاخدود وعن مقاتل كانت الاخاديد ثلاثة واحدة بنجران باليمن وأخرى بالشام وأخرى بفارس حرقوا بالنار أما التى بالشام فهو انطاموس الرومى وأما التى بفارس فبختنصر وأما

الانسان بتقدير الفاء او بتقدير ای يقال او هو فلاقيه او هو فاما من فاتت ملاقيه او فى كتابه الى آخره والعامل فيها بكل تقدير جوابها او ان جعلت غير شرطية فهى منصوبة باذكر مقدرا او مرفوعة مبتدأ خبرها اذا

التي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآنا وأنزل في التي كانت بنجران وذلك ان رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل أجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الانجيل فرأت بنت المستاجر النور يضيء من قراءة الانجيل فذكرت ذلك لابيها فرمقه فرآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والاسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون انسانا ما بين رجل وامرأة وهذا بعد ما رفع عيسى عليه السلام الى السماء فسمع ذلك يوسف ذو نواس فخدلهم في الارض وأوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى ان يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه وان امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها يا أماه اني ارى امامك نارا لا تطفأ فلما سمعت ذلك قذفا جميعا انفسهما في النار فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون انسانا فذلك قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود وقوله تعالى (النار) بدل اشتمال من الاخدود وقوله تعالى (ذات الوقود) وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس واللام في الوقود للجنس وقوله تعالى (اذ هم عليها قعود) ظرف لقتل اي لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا المكان الذي يدنو منه فكانوا يقعدون حولها على الكراسي وقال القرطبي عليها (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين) بالله من تعذيبهم بالالقاء في النار ان لم يرجعوا عن ايمانهم (شهود) أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما أمر به أو شهود بمعنى حضور روي ان الله تعالى أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار الى القاعدين فاحرقتهم قال الرازي يمكن أن يكون المراد باصحاب الاخدود القاتلين ويمكن أن يكون المراد بهم المقتولين والمشهور أن المقتولين هم المؤمنون وروي ان المقتولين هم الجبابرة روي انهم لما ألقوا المؤمنين في النار عادت النار على الكفرة فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن أنس والواحدي وتأولوا قوله تعالى فلهم عذاب جهنم أي في الآخرة ولهم عذاب الحريق أي في الدنيا فان فسر أصحاب الاخدود بالقاتلين فيكون قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره وان فسر بالمقتولين كان المعنى ان المؤمنين قتلوا بالنار فيكون ذلك خبرا لا دعاء والمقصود من هذه الآية تثبيت قلوب المؤمنين واخبارهم عما كان يلقاه من قبلهم من الشدائد وذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من أذى الكفار ليتأسوا بهذا الغلام في صبره على الاذى والصلب وبذل نفسه في اظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وكذلك صبر الراهب على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار وكذلك أكثر الناس لما آمنوا بالله تعالى (وما نقموا) أي وما انكروا وكرهوا (منهم) من الحالات وكان ذنبا ونقصا (الا ان يؤمنوا) أي يجددوا الايمان مستمرين عليه (بالله) أي الذي له الكمال كله (العزيز) في ملكه الذي يغلب من أراد ولا يغلبه شيء (الحميد) أي المحيط بجميع صفات الكمال فهو

قوله (الثانية بزيادة الواو اي وقت انشقاق السماء وقت امتداد الارض) قوله (وأذنت لربها وحقت) ذكره مرتين لان الاول متصل بالسماء والثاني بالارض ومعنى اذنت سمعت واطاعت وحق لها

قوله وقال القرطبي عليها كذا في جميع النسخ وفيه سقط فراجعه

يثيب من أطاعه أعظم ثواب و ينتقم من عصاه بأشد العذاب وهذا استثناء على طريقة قول القائل

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول (أى كسر فى حدهن) من قراع الكتائب

أى من ضرابها والكتائب بالتاء المثناة جمع كتيبة وهى الجيش وقال ابن الرقيات

مانقموا من بنى أمية الا أنهم يحلمون ان غضبوا

ونظيره قوله تعالى هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله * ولما ذكر تعالى الاوصاف التى يستحق بها أن يؤمن به و يعبد وهو كونه تعالى عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب الحمد على نعمه و يرجى ثوابه قرر ذلك بقوله تعالى (الذى له) أى خاصة (ملك السموات والارض) أى على جهة العموم مطلقا فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان مانقموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه الا مبطل منهمك فى الغى وان الناقمين أهل لانتقام الله تعالى منهم بعذاب لا يعدله عذاب (والله) الملك الاعظم الذى له الاحاطة الكاملة (على كل شئ شهيد) فلا يغيب عنه شئ وهذا الان الله علم مانقموا وهو مجازيهم عليه * ولما ذكر قصة أصحاب الاخدود أتبعها مايتفرع من أحكام الثواب والعقاب فقال تعالى (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى أحرقوهم بالنار يقال فتنت الشئ اذا أحرقته والعرب تقول فتن فلان الدرهم والدينار اذا أدخله الكور لينظر جودته ونظيره يوم هم على النار يفتنون قال الرازى ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك قال وهذا أولى لان اللفظ عام والحكم عام وا تخصيص ترك للظاهر من غير دليل * ولما كانت التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان عبر سبحانه باداة التراخى فقال تعالى (ثم لم يتوبوا) أى عن كفرهم وعما فعلوا (فلهم عذاب جهنم) أى بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) أى عذاب احراقهم المؤمنين فى الآخرة وقيل فى الدنيا بأن خرجت النار فاحرقتهم كما تقدم ومفهوم الآية أنهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد وذلك يدل على ان الله تعالى يقبل التوبة من القاتل المتعمد خلاف ما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما * ولما ذكر سبحانه وعيد المجرمين ذكر ما أعد للمؤمنين بقوله تعالى (ان الذين امنوا) اى اقروا بالايمان من المقذوفين فى النار وغيرهم من كل طائفة فى كل زمان (وعملوا الصالحات) تحقيقا لايمانهم (لهم جنات) أى بساتين تفضلا منه تعالى (تجرى من تحتها) أى تحت غرفها وأسرتها وجميع أماكنها (الانهار) يتلذذون ببردها فى نظير ذلك الحر الذى صبروا عليه فى الدنيا و يزول عنهم برؤيته ذلك مع خضرة الجنان جميع المضار والاحزان (ذلك) اى الامر العالى الدرجة العظيم البركة (الفوز) أى الظفر بجميع المطالب (الكبير) وهو رضا الله تعالى لا دخول الجنة وقال تعالى ذلك الفوز ولم يقل تلك لان ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول الجنات وتلك اشارة الى الجنة الواحدة واخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه راضيا (ان بطش ربك) أى أخذ المحسن اليك المربى لك المدبر لامرك الجبابرة والظلمة (لشديد) كقوله تعالى وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد قال المبرد ان بطش ربك جواب القسم والبطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف * ولما كان هذا البطش لا يتاتى الا بكمال القدرة دل على كمال قدرته واختصاصه

ان تسمع وتطيع (قوله بل الذين كفروا يكذبون) قاله هنا بلفظ يكذبون وفى البروج بلفظ فى تكذيب رعاية للفواصل فيهما

(سورة البروج)

(قوله وشاهد ومشهود) الشاهد يوم الجمعة

بذلك بقوله تعالى مؤكدا له من الانكار (انه هو) اى وحده (يبدئ) اى يوجد ابتداء
اى خلق اراد الى اى هيئة اراد (ويعيد) اى ذلك المخلوق عند البعث وروى عكرمة قال
عجب الكفار من احياء الله تعالى الاموات اى فنزلت وقال ابن عباس رضى الله عنهما يبدئ
لهم عذاب الحريق فى الدنيا ثم يعيده عليهم فى الآخرة وهذا اختيار الطبرى وقيل يبدئ
البطش ويعيده فيبطش بهم فى الدنيا والآخرة ودل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة
بطشه او أوعد الكفرة بان يعيدهم كما بدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا
بالاعادة (وهو) اى وحده (الغفور) اى الستور لعباده المؤمنين وقرأ قالون وابو عمرو
والكسائى بسكون الهاء والباقون بضمها وقوله تعالى (الودود) مبالغة فى الود قال ابن
عباس رضى الله عنهما هو المتودد لعباده بالمغفرة وعن المبرد هو الذى لا ولد له وانشد

واركب فى الروع عريانة * ذلول الجماع لقاحا ودودا

اى لا ولد لها تحن اليه وقيل هو فعول بمعنى مفعول كالركوب والحلوب بمعنى المركوب
والمحلوب وقيل يغفر ويود أن يغفر (ذو العرش) اى خالقه ومالكه اى ذو الملك والسلطان
كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على سرير ويقال ثل عرشه اى ذهب سلطانه
او السرير الدال على اختصاص الملك بالملك وانفراده بالتدبير والسيادة والسياسة الذى به
قوام الامور وقرأ (المجيد) حمزة والكسائى بجر الدال على انه نعت العرش او لربك فى قوله
تعالى ان بطش ربك قال مكى وقيل لا يجوز ان يكون نعتا للعرش لانه من صفات الله تعالى ه
وهذا ممنوع لان مجد العرش علوه وعظمه كما قاله الزمخشرى وقد وصف العرش بالكريم فى
آخر المؤمنين وقرأ الباقون برفع الدال على انه خبر بعد خبر وقيل هو نعت ذو واستدل
بعضهم على تعدد الخبر بهذه الآية ومن منع قال لانها فى معنى خبر واحد اى جامع بين هذه
الاوصاف الشريفة او كل منها خبر لمبتدأ مضمر والمجد هو النهاية فى الكرم والفضل والله
سبحانه موصوف بذلك وتقدم وصف عرشه بذلك (فعال) اى على سبيل التكرار والمبالغة
(لما يريد) قال القفال اى يفعل ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه احد ولا يغلبه غالب فيدخل
اولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على
ما يشاء الى ان يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء ويفعل ما يريده وعن ابى السفر
دخل ناس من الصحابة على ابى بكر الصديق رضى الله عنه يعودونه فقالوا الا نأتيك بطبيب
قال قد رآنى قالوا فما قال لك قال قال انى فعال لما اريد وقال الزمخشرى فعال خبر مبتدأ
محذوف وانما قال فعال لان ما يريد ويفعل فى غاية الكثرة وقال الطبرى رفع فعال وهو نكرة
محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود ه (تنبيه) ه دلت هذه الآية أن جميع افعال
العباد مخلوقة لله تعالى قال بعضهم ودلت على ان الله تعالى لا يجب عليه شئ لانها دالة على أنه
يفعل ما يريد (هل) اى قد (اتاك) اى يا اشرف الرسل (حديث) اى خبر (الجنود) اى
الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم وقوله تعالى (فرعون وثمود) يجوز أن يكون بدلا من
الجنود واستشكل كونه بدلا لانه لم يكن مطابقا للمبدل منه فى الجمعية وأجيب بانه على حذف
مضاف اى جنود فرعون وان المراد فرعون وقومه واستغنى بذكره عن ذكرهم لانهم اتباعه

والمشهود يوم عرفة وذكرهما دون بقية ما أقسم به لاختصاصهما من بين الايام بفضيلة ليست لغيرهما فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس وهذا جواب ايضا عما يقال لم خصهما بالذكر

ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعنى لانه لما لم يطابق ما قبله وجب قطعه والمعنى انك قد عرفت ما فعل الله تعالى بهم حين كذبوا رسلهم كيف هلكوا بكفرهم فقومك ان لم يؤمنوا بك فعل بهم كما فعل بهؤلاء فاصبر كما صبر الانبياء قبلك على أممهم (بل الذين كفروا) اى من هؤلاء الذين لا يؤمنون بك (فى تكذيب) لك لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم وانما خص فرعون وثمود لان ثمود فى بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقدمين وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم وكان من المتأخرين فى الهلاك فدل بهما على أمثالهما وقوله تعالى (والله) اى والحال ان الملك الذى له الكمال كله (من ورائهم محيط) وفيه وجوه أحدها أن المراد وصف اقتداره عليهم وأنهم فى قبضته وحصره كالمحاط اذا أحيط به من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا يقول الله تعالى فهم كذلك فى قبضتى وأنا قادر على هلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم اياك فلا تجزع من تكذيبهم اياك فليسوا يفوتونى اذا أردت الانتقام منهم ثانيها ان يكون المراد من هذه الاحاطة قرب هلاكهم كقوله تعالى وظنوا أنهم أحيط بهم فهو عبارة عن مشارفة الهلاك ثالثها أنه تعالى محيط باعمالهم اى عالم بها فيجازيهم عليها (بل هو) اى هذا القرآن الذى كذبوا به وهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (قرآن) اى جامع لكل صفة جليلة بالغ الذروة العليا فى كل شرف (مجيد) اى شريف وحيد فى اللفظ والمعنى وليس كما زعم المشركون انه شعر وكهانة (فى لوح) هو فى الهواء فوق السماء السابعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه نور معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك وقرأ (محفوظ) بالرفع نافع على انه نعت القرآن والباقون بالجر على انه نعت للوح وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقال البغوى وهو أم الكتاب ومنه نسخ الكتب محفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة البروج أعطاه الله تعالى بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون فى الدنيا عشر حسنات حديث موضوع

سورة الطارق مكية

وهى سبع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان احدى وسبعون حرفا

(بسم الله) مالك الملك العزيز (الرحمن) الذى عم بجوده المؤمنين والكافرين (الرحيم) الذى خص رحمته بعباده المؤمنين وقوله تعالى (والسماء والطارق) قسم اقسم الله تعالى به وقد أكثر الله تعالى فى كتابه العزيز ذكر السماء والشمس والقمر لان أحوالها فى أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة ولما كان الطارق يطلق على غير النجم أبهمه أولا ثم عظم القسم به بقوله تعالى (وما أدراك) اى أعلمك يا أشرف الخلق او ان حاولت معرفة ذلك وبالغت فى الفحص

عنه

دون بقية الايام وانما لم يعرفا بلام العهد لان التنكير دل على التفخيم والتعظيم بدليل قوله تعالى والحكم لواحد (قوله قتل أصحاب الاخدود) هو جواب القسم بحذف اللام او بحذفهما مع قد ان جعل

عنه (ما الطارق) وهذا مبتدأ وخبر في محل المفعول الثاني لأدرى وما بعد ما الأولى خبرها
وفيه تعظيم لشأن الطارق وأصله كل آت ليلا ومنه النجوم لطلوعها ليلا وقرأ أبو عمرو وحمزة
والكسائي وشعبة وابن ذكوان بخلاف عنه بالإمالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين والباقون
بالفتح ثم فسر الطارق بقوله تعالى (النجم الثاقب) أي المضيء لثقبه الظلام بضوئه فينفذ
فيه كما قيل دري لأنه يدرؤه أي يدفعه والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها
وقال محمد بن الحسن هو زحل وقال ابن زيد هو الثريا وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو
الجدي وقال علي هو نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فإذا أخذت النجوم
أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين
ينزل وحين يرجع وفي الصحاح الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح قال الماوردي وأصل
الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وسمي النجم طارقا لأنه يطرق الجني أي يقتله وروي أن أبا طالب
أتى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل إذ انحط نجم فامتلأت الأرض
نورا ففزع أبو طالب وقال أي شيء هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وإنه
آية من آيات الله تعالى فعجب أبو طالب فنزلت السورة وقال مجاهد الثاقب المتوهج وجواب
القسم قوله تعالى (إن كل نفس) أي من الأنفس مطلقا لا سيما نفوس الناس (لما عليها)
أي بخصوصها (حافظ) وقرأ ابن عامر وعاصم بتشديد الميم والباقون بتخفيفها فعلى تخفيفها
تكون ما مزيدة وإن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه واللام فارقة وعلى تشديدها
فإن نافية * ولما بمعنى إلا والحافظ هو المهيمن الرقيب وهو الله تعالى وكان الله على كل شيء
رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا أو ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر
وروى الزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون
عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب لو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته
الشياطين * ولما ذكر تعالى أن على كل نفس حافظا أتبعه بوصية الإنسان بالنظر في حاله فقال
تعالى (فلينظر الإنسان) أي الآنس بنفسه الناظر في عطفه نظر اعتبار في أمره ونشأته الأولى
حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ولا يملي على حافظه إلا
ما يسره في عاقبته وقوله تعالى (مم خلق) استفهام أي من أي شيء وجوابه (خلق) أي
الإنسان على أيسر وجه وأسهله بعد خلق أبيه آدم عليه السلام من تراب وأمه حواء رضي
الله تعالى عنها من ضلعه (من ماء دافق) أي مدفوق فاعل بمعنى مفعول كقوله تعالى عيشة
راضية أو دافق على النسب أي ذي دفق أو اندفاق وقال ابن عطية يصح أن يكون الماء دافقا
لأن بعضه يدفق بعضا أي يدفعه فمنه دافق ومنه مدفوق والدفق الصب أي مصبوب في الرحم
ولم يقل تعالى من ماءين فإنه من ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما لامتزاجهما في
الرحم فصارا كالماء الواحد واتحادهما حين ابتدئ في خلقه (يخرج من بين الصلب) أي
للرجل وهو عظام الظهر (والترائب) أي للمرأة جمع تريبة وهي عظام الصدر حيث تكون
القلادة وعن عكرمة الترائب ما بين ثدييها وقيل الترائب التراقي وقيل أضلاع الرجل التي
أسفل الصدر وحكى الزجاج أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من

خبرا فان جعل دعاء فجواب
القسم ان الذين فتنوا
او ان بطش ربك لشديد
او محذوف اي لتبعثن

* (سورة الطارق) *

(قوله ان كل نفس لما عليها
حافظ) هو جواب القسم
وان مخففة من الثقيلة

بسرة الصدر وقال ابن عادل جاء في الحديث ان الولد يخلق من ماء الرجل يخرج من صلبه العظم والعصب ومن ماء المرأة يخرج من ترائبها اللحم والدم وحكى القرطبي أن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الانثيين وهذا لا يعارضه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب لانه ينزل من الدماغ الى الصلب ثم يجتمع في الانثيين قال المهدوي ومن جعل يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة فالضمير للانسان والضمير في قوله تعالى (انه) للخالق المدلول عليه بخلق لانه معلوم أن لا خالق سواه سبحانه وتعالى وفي الضمير في قوله تعالى (على رجعه) وجهان أحدهما انه ضمير الانسان اي بعثه بعد موته (لقادر) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما والثاني انه ضمير الماء اي رجع المني في الاحليل او الصلب وهذا قول مجاهد وعن الضحاك أن المعنى انه على رد الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الكبر وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقال الماوردي يحتمل انه قادر على أن يعيده الى الدنيا بعد بعثه الى الآخرة لان الكفار يسألون فيها الرجعة وقوله تعالى (يوم) منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الاحليل وحاله الاولى نصب الظرف بمضمر اي واذكر يوم (تبلى) تختبر وتكشف (السرائر) اي ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الاعمال وذلك يوم القيامة وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا * سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما أغفله عما في والسماء والطارق وقال عطاء بن رباح ان السرائر فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فانها سرائر بين الله تعالى وبين العبد ولو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من اداها ممن ضيعها وقال ابن عمر يبدي الله تعالى كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني فمن اداها كان وجهه مشرقا ومن لم يؤدها كان وجهه اغبر (فما له) اي لهذا الانسان المنكر للبعث الذي اختبرت سرائره وأغرق في النفي والتعميم فقال تعالى (من قوة) اي منعة في نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) اي ينصره من عذاب الله تعالى فيدفعه عنه ثم ذكر تعالى قسما آخر فقال تعالى (والسماء) اي التي تقدم الاقسام بها ووصفها بما يؤكد العلم بالبعث فقال تعالى (ذات الرجع) اي التي ترجع بالدوران الى الموضع الذي تتحرك عنه فترجع الاحوال التي كانت وتصرمت من الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والفصول من الشتاء وما فيها من برد ومطر والصيف وما فيه من حر وصفاء وسكون وغير ذلك وقيل ذات النفع وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها باعمال العباد وقيل ذات المطر لعوده كل حين او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز أن يراد بالسماء السحاب (والارض) اي مسكنكم الذي أنتم ملابسوه ومعاينوه كل وقت (ذات الصدع) اي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار والعيون نظيره قوله تعالى ثم شققنا الارض شقا الآية والصدع بمعنى الشق لانه يصدع الارض فتنصدع به فكأنه قال تعالى والارض ذات النبات وقال مجاهد ذات الطرق التي تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث لانه

واسمها محذوف واللام فارقة وما مخففة مزيدة او ان نافية ولما بالتشديد بمعنى الا (قوله فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) كرره تاكيدا وخولف بين اللفظين طلبا للخفة

تصدعها وقيل ذات الاموات لاصداعهم عنها للنشور قال الرازي واعلم انه تعالى كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدأ والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات فقوله تعالى والسماء ذات الرجع كالاب وقوله تعالى والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء مكررا وعلى ما ينبت من الارض كذلك ثم أردف هذا القسم بالمقسم عليه وهو قوله تعالى (انه لقول فصل) وفي هذا الضمير قولان أحدهما ما قاله القفال وهو أن المعنى ان ما أخبرتكم به من قدرتي على احيائكم يوم تبلى السرائر قول فصل وحق والثاني انه عائد على القرآن اى القرآن فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان قال الرازي والاول اولى لان عود الضمير الى المذكور السالف اولى انتهى وأكثر المفسرين على الثاني والفصل الحكم الذي ينفصل به الحق من الباطل ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجزم ويقال هذا قول فصل قاطع للشر والنزاع ومعناه جد لقوله تعالى (وما هو) اى في باطنه ولا ظاهره (بالهزل) اى باللعب والباطل بل هو جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله تعالى بذلك أن يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل او يتفكه بمزاح وأن يلقي ذهنه الى أن جبار السموات والارض يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فادنى أمره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله تعالى عن المشركين ذلك في قوله تعالى وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون والغوا فيه هذا على عود الضمير للقرآن وعلى جعله للاول فيكون الشخص خائفا وجلا من ذلك الذي تبلى فيه السرائر (انهم) اى الكفار أعداء الله تعالى (يكيدون كيدا) اى يمكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكرا واختلف في ذلك الكيد فقيل القاء الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم أجعل الآلهة الها واحدا وما أشبه ذلك وقيل قصدهم قتله لقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية وأما قوله تعالى (وأكيد) اى أنا بتمام اقتداري (كيدا) فاختلف فيه أيضا فقيل معناه اجازيهم جزاء كيدهم وقيل هو ما أوقع الله تعالى بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل استدراجهم من حيث لا يعلمون وقيل كيد الله تعالى لهم بنصره واعلاء درجته تسمية لاحد المتقابلين باسم الآخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقول الشاعر

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم * ولما كان هذا اعلاما بانهم عدم لا اعتبار بهم قال تعالى مسببا عنه تهديدا لهم (فمهل الكافرين) اى فمهل يا أشرف الخلق هؤلاء البعداء ولا تستعجل بالانتقام منهم ولا بالدعاء عليهم باهلاكهم فانا لا نعجل لان العجلة وهي ايقاع الشيء في غير وقته الا ليق به نقص وقوله تعالى (أمهلهم) تأكيد حسنه مخالفة اللفظ اى أنظرهم (رويدا) اى قليلا وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل مصغر رود أو ارواد على الترخيم وقد أخذهم الله تعالى ببدر ونسخ الامهال بالامر بالجهاد والقتال وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات حديث موضوع

(سورة الاعلى)

(قوله ان نفعت الذكرى) ذكره مع انه صلى الله عليه وسلم مامور بالتذكير وان لم تنفع الذكرى لان معنى ان اذ كما في قوله وانتم

سورة الاعلى مكية

في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية قال النووي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات وهي تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وأربعة وثمانون حرفا

(بسم الله) عالم الغيب فلا تخفى عليه خافية (الرحمن) الذي عم بجوده كل انس وجن وملك ودابة (الرحيم) الذي خص أولياءه بعرفتهم احسانه *واختلف في قوله سبحانه وتعالى (سبح اسم ربك) فالاكثرون على ان المعنى نزه ربك المحسن اليك بعد ايجادك على صفة الكمال عما لا يليق به فاسم زائد كقول لبيد *الى الحول ثم اسم السلام عليكما *وقيل عظم ربك (الاعلى) والاسم زائد كامر قصد به تعظيم المسمى وذكر الطبرى ان المعنى نزه اسم ربك الاعلى عن ان تسمى به احدا سواه وقيل نزه تسمية ربك وذكرك اياه أن لا تذكره الا وأنت خاشع معظم لذكره وقال الرازى معنى سبح اسم ربك الاعلى اى نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه أما في ذاته فان تعتقد أنها ليست من الجواهر والاعراض وأما في صفاته فان تعتقد أنها ليست محدثة ولا متناهية ولا ناقصة وأما في أفعاله فان تعتقد أنه سبحانه مالك مطلق لا اعتراض لاحد عليه في أمر من الامور وأما في اسمائه فان لا تذكره سبحانه الا بالاسماء التى لا توهم نقصا بوجه من الوجوه سواء وردا الاذن فيها أم لم يرد وأما في أحكامه سبحانه فان تعلم أنه ما كلفنا لنفع يعود اليه بل لمحض المالكية قال البغوى ويحتج بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحدا لان أحدا لا يقول سبحان اسم الله وسبحان اسم ربنا انما يقول سبحان الله وسبحان ربنا فكان معنى سبح اسم ربك سبح ربك اه وكون الاسم عين المسمى أو غيره قد ذكرناه في مقدمتى على البسملة والحمدلة وعن ابن عباس رضى الله عنهما سبح اى صل بامر ربك وذهب جماعة من الصحابة والتابعين على ان المراد قل سبحان ربى الاعلى وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربى الاعلى وعن عقبة ابن عامر انه لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك وروى ان أول من قال سبحان ربى الاعلى ميكائيل *ولما أمر تعالى بالتسبيح فكأن سائلا قال الاشتغال بالتسبيح انما يكون بعد المعرفة فما الدليل على وجود الرب تعالى فقال تعالى (الذى خلق) اى اوجد من العدم فله صفة الايجاد لكل ما اراده لا يعسر عليه شئ (فسوى) اى مخلوقه وقال الرازى يحتمل ان يريد الناس خاصة ويحتمل ان يريد الحيوان ويحتمل ان يريد كل شئ خلقه الله تعالى فمن حمله على الانسان ذكر للتسوية وجوها أحدها اعتدال قامته وحسن خلقه كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وأثنى على نفسه بسبب خلقه اياه بقوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين ثانيها كل حيوان فانه مستعد لنوع واحد من الاعمال فقط وأما الانسان فانه خلق بحيث يمكنه أن يأتى بجميع الاعمال بواسطة الآلات ثالثها انه تعالى هيأه للتكليف والقيام باداء العبادات وقال بعضهم خلق في أصلاب الآباء

الاعلون ان كنتم مؤمنين او التقدير ان نفعت الذكرى اولم تنفع كما في قوله سرابيل تقيكم الحر (قوله ثم لا يموت فيها ولا يحيى) فان قلت كيف قال ذلك

وسوى فى أرحام الامهات ومن حمله على جميع الحيوانات فمعناه انه أعطى كل حيوان ما يحتاج
اليه من الآلات والاعضاء ومن حمله على جميع المخلوقات كان المراد من التسوية هو انه تعالى
قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات يخلق ما أراد على وفق ارادته موصوفا بالاحكام
والاتقان مبرأ عن النقص والاضطراب وقرأ (والذى قدر) الكسائى بتخفيف الدال
والباقون بالتشديد قال البغوى وهما بمعنى واحد اى اوقع تقديره فى أجناس الاشياء
وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها وغير ذلك من أحوالها فجعل
البطش لليد والمشى للرجل والسمع للاذن والبصر للعين ونحو ذلك (فهدى) قال مجاهد هدى
الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وهدى الانعام لمراعيها وقال مقاتل
والكلبى فى قوله تعالى فهدى عرف خلقه كيف يأتى الذكر الانثى كما قال تعالى فى سورة طه
أعطى كل شئ خلقه ثم هدى أى الذكر للانثى وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له
وقيل قدر أقواتهم وأرزاقهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا ناسا ولمراعيهم ان كانوا وحوشا وقال
السدى قدر مدة الجنين فى الرحم ثم هداه الى الخروج من الرحم ومن ذلك هدايات الانسان
الى مصالحه من أغذيته وأدويته وأمور دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض
الى معايشها ومصالحها يقال ان الافعى اذا أتى عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن
تمسح عينيها بورق الرازيانج الغض فيرد اليها بصرها فربما كانت فى برية بينها وبين الريف
مسيرة أيام فتطوى تلك المسافة على طولها وعماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة
الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها فترجع باصرة باذن الله تعالى وقيل فهدى اى دلهم بأفعاله
على توحيده وكونه عالما قادرا والاستدلال بالخلق والهداية معتمد الانبياء قال ابراهيم عليه
السلام الذى خلقنى فهو يهدين وقال موسى عليه السلام لفرعون ربنا الذى أعطى كل شئ
خلقه ثم هدى * ولما ذكر سبحانه ما يختص بالناس اتبعه ما يختص بالحيوان فقال تعالى
(والذى أخرج المرعى) اى انبت ما ترعاه الدواب وقال ابن عباس رضى الله عنهما المرعى
الكلأ الاخضر (فجعله) اى بعد أطوار من زمن اخراجه بعد خضرته (غثاء) اى جافا هشيما
(أحوى) اى أسود يابسا قال الزمخشرى ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى اى أخرجه
أحوى اى أسود من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد حويه وقال ابن زيد هذا مثل ضربه
الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها وقوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى) بشارة من الله
تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم باعطاء آية بينة وهى أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من
الوحى وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه فهو فى أخبر الله تعالى أن نبيه صلى الله
عليه وسلم لا ينسى وقيل نهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله تعالى السبيلا اى فلا تغفله
كراهة وتكريره لئلا ينساه ومنعه مكى لانه لا ينهى عما ليس باختياره (وأجيب) بان هذا
غير لازم اذ المعنى النهى عن تعاطى أسباب النسيان وهو شائع قال الرازى وهذه الآية تدل
على المعجزة من وجهين الاول انه كان رجلا أميا فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة
ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزا الثانى ان هذه السورة من اول ما نزل بمكة فهذا اخبار
عن أمر عجيب مخالف للعادة سيقع فى المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا يكون معجزا

مع ان الحيوان لا يخلو من الاتصاف باحدهما (قال) معناه لا يموت موتا يستريح به ولا يحيا حياة ينتفع بها كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف

وفي المشيئة في قوله تعالى (الاماشاء الله) اى الملك الذى له الامر كله وجوه أحدها التبرك بهذه الكلمة كقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله فكأنه تعالى يقول انى عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب الامور على التفصيل ومع ذلك لا أخبر بوقوع شئ في المستقبل الامع هذه الكلمة فانت وأمتك يا أشرف الخلق اولى بها ثانيها قال الفراء انه تعالى ماشاء أن ينسى محمدا صلى الله عليه وسلم شيأ الاان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو أراد أن يصيره ناسيا لذلك لقدر عليه كقوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم انا نقطع انه تعالى ماشاء ذلك ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه صلى الله عليه وسلم ما أشرك البتة ففائدة هذا الاستثناء ان الله تعالى يعرفه قدرته حتى يعلم ان عدم النسيان من فضل الله تعالى واحسانه لامن قوته ثالثها ان الله تعالى لما ذكر هذا الاستثناء جوّز صلى الله عليه وسلم فى كل ما ينزل عليه من الوحى أن يكون ذلك هو المستثنى فلا جرم بالغ فى التثبت والتحفظ فى جميع المواضع فكان المقصود من ذكر الاستثناء بقاءه صلى الله عليه وسلم على التيقظ فى جميع الاحوال رابعها أن ينساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلام خوف النسيان فكأنه قيل له لاتعجل بها انك لاتنسى ولا تتعب نفسك بالجهر بها (انه) اى الذى مهما شاء كان (يعلم الجهر) اى القول والفعل (ومايخفى) اى منهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما مافى قلبك ونفسك وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة واخفاءها وقيل الجهر ماحفظته من القرآن فى صدرك ومايخفى مانسخ من صدرك وقوله تعالى (ونيسرك لليسرى) عطف على سنقرئك فهو داخل فى حيز التنفيس ومابينهما من الجملة اعتراض قال الضحاك واليسرى هى الشريعة اليسرى وهى الحنيفية السهلة وقال ابن مسعود اليسرى الجنة أى نيسرك الى العمل المؤدى الى الجنة وقيل اليسرى الطريقة اليسرى وهى اعمال الخير والامر فى قوله تعالى (فذكر) للنبى صلى الله عليه وسلم اى فذكر بالقرآن (ان نفعت الذكرى) اى الموعظة وان شرطية وفيه استبعاد لتذكرهم ومنه قول القائل

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادى

ولانه صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده فى تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الاعتوا وطغيانا وكان صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جهدا فى تذكيرهم وحرصا عليه فقيل ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اى اذ كنتم مؤمنين وقيل بعده شئ محذوف تقديره ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أى والبرد قاله الفراء والنحاس وقيل ان بمعنى ما لابمعنى الشرط لان الذكرى نافعة بكل حال * ثم بين تعالى من تنفعه الذكرى بقوله سبحانه (سيذكر) أى بوعد لاخلف فيه (من يخشى) اى يخاف الله تعالى فهى كآية تذكر بالقرآن من يخاف وعيد وان كان النبى صلى الله عليه وسلم يجب عليه تذكيرهم نفعتهم الذكرى أم لم تنفعهم وقال ابن عباس نزلت فى ابن أم مكتوم وقيل فى عثمان بن عفان قال الماوردى وقد يتذكر من يرجوه الا أن تذكر الخاشع أبلغ فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء وقال القشيرى

عنهم من عذابها وقيل
معناه تصعد نفسه الى
الحلقوم ثم لا تفارقه فيموت
ولا ترجع الى موضعها من
الجسم فيحيا وثم للتراخى
بين الرتب فى الشدة

المعنى عم أنت بالتذكير والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع من يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعاء (فان قيل) التذكير انما يكون بشيء قد علم وهؤلاء لم يزالوا كفارا معاندين (أجيب) بان ذلك لظهوره وقوة دليله كأنه معلوم لكنه يزول بسبب التقليد والفساد *(تنبيه)* السين في قوله تعالى سيذكر يحتمل أن تكون بمعنى سوف وسوف من الله تعالى واجب كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى ويحتمل أن يكون المعنى ان من خشي فانه يتذكر وان كان بعد حين بما يستعمله من التدبر والنظر *ولما بين تعالى من ينتفع بالذكرى بين من لا ينتفع بها بقوله تعالى (ويتجنبها) أي الذكرى أي يتركها جانبا لا يلتفت اليها (الاشقى الذي يصلى النار) وهو الكافر (فان قيل) الاشقى يستدعي وجود شقي فكيف قال هذا القسم (أجيب) بان لفظ الاشقى من غير مشاركة كقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا وقوله تعالى وهو أهون عليه وقال الرازي الفرق ثلاثة العارف والمتوقف والمعاند فالسعيد هو العارف والمتوقف له بعض الشقاوة والاشقى هو المعاند وقال الزمخشري الاشقى هو الكافر لانه أشقى من الفاسق أو الذي هو أشقى الكفرة لتوغله في معاداة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة واختلف في قوله تعالى (الكبرى) أي العظمى على وجوه أحدها قال الحسن هي نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثانيها ان في الآخرة نيرانا ودركات متفاضلة فكما ان الكافر أشقى العصاة فكذلك يصلى أعظم النيران ثالثها ان النار الكبرى هي النار السفلى فهي نصيب الكفار كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار (فان قيل) قوله تعالى (ثم لا يموت فيها ولا يحيى) يقتضي ان ثم حالة غير الحياة والموت وذلك غير معقول (أجيب) عن ذلك بوجهين أحدهما لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه كما قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وهذا جاء على مذهب العرب يقولون للمبتلى بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو ميت ثانيهما ان نفس أحدهم في النار في حلقه لا تخرج فيموت ولا ترجع الى موضعها فيحيا *(تنبيه)* قوله تعالى ثم للتراخي بين الرتب في الشدة * ولما ذكر تعالى وعيد من أعرض عن النظر في دلائل الله تعالى أتبعه بالوعد لضده فقال تعالى (قد أفلح) أي فاز بكل مراد (من تزكى) أي تطهر من الكفر بالايمان لما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من تزكى أي شهد أن لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد أني رسول الله وقيل تطهر للصلاة أو أدى الزكاة (وذكر اسم ربه) أي بقلبه ولسانه مكبرا (فصلى) أي الصلوات الخمس قال الزمخشري وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وقال قتادة تزكى عمل صالحا وعن عطاء نزلت في صدقة الفطر قال ابن سيرين قد أفلح من تزكى قال خرج فصلى بعدما أدى زكاة الفطر وصلى صلاة العيد قال بعضهم لا أدري ما وجه هذا التأويل فان هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر وأجاب البغوي بانه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كقوله تعالى وأنت حل بهذا البلد والسورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح قال صلى الله عليه وسلم أحلت لي ساعة من نهار وقيل المراد زكاة الاعمال لا زكاة الاموال أي زكى أعماله من الرياء والتقصير وروي عن عطاء أنه قال ان

(سورة الغاشية)

(قوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة) قال ذلك هنا وقال بعده وجوه يومئذ ناعمة وليس بتكرار لان الاول في الكفار والثاني

هذه الآية نزلت في عثمان وذلك انه كان بالمدينة منافق له نخلة مائلة الى دار رجل من
الانصار اذا هبت الريح تساقط منها بسر ورطب في دار الانصاري فيأكل هو وعياله من ذلك
فخاصمه المنافق فذكر الانصاري ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فارسل خلف المنافق وهو
لا يعلم نفاقه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان أخاك الانصاري ذكر ان بسرك ورطبك يقع
في منزله فيأكل هو وعياله منه فهل لك ان أعطيك نخلة في الجنة بدلها قال أبيع عاجلا بآجل
لا أفعل فذكروا ان عثمان قد أعطاه حائطا من نخل بدل نخلته يقول فيه قد أفلح من تزكى
وفي المنافق ويتجنبها الاشقى وقال الضحاك نزلت في أبي بكر وقرأ (بل تؤثرون الحيوة الدنيا)
أبو عمرو بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب ومعناه على القراءة الاولى بل يؤثرون الاشقون
وعلى القراءة الثانية بل تؤثرون أيها المسلمون الاستكثار من الدنيا الدنية بالعز الحاضر مع
انها شر وفانية اشتغالا بها عن الآجل لحضورها كالحيوانات التي هي مقيدة بالمحسوسات على
الاستكثار من الثواب (والآخرة) أي والحال ان الدار التي هي غاية القصد المبرأة عن
العيب المنزهة عن الخروج عن الحكمة (خير) أي من الدنيا (وأبقى) لانها تشتمل على
السعادة الجسمانية والروحانية والدنيا ليست كذلك فالآخرة خير من الدنيا ولان الدنيا
لذاتها مخلوطة بالآلام والآخرة ليست كذلك ولان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير
من الفاني وعن عمر ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة أرنب وعن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية
فقال أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا أحضرت وعجل لنا
طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فأحببنا
العاجل وتركنا الآجل والاشارة في قوله تعالى (ان هذا لفي الصحف الاولى) الى قوله قد أفلح من
تزكى الى قوله خير وأبقى أي هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى باقي السورة كلها
وهو رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الضحاك ان هذا القرآن لفي الصحف الاولى ولم
يرد ان هذه الالفاظ بعينها في تلك الصحف وانما معناه ان معنى هذا الكلام في تلك الصحف ثم
بين تلك الصحف وهي المنزلة قبل القرآن بقوله تعالى (صحف ابراهيم) وقدمه لان صحفه أقرب
الى الوعظ كما نطق به حديث ابي ذر (وموسى) وختم به لان الغالب على كتابه الاحكام
والمواعظ فيه قليلة ومنها الزواجر البليغة كاللعن لمن خالف أوامر التوراة التي اعظمها
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وروي عن ابي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم كم انزل الله تعالى من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث
خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف
والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقيل في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظا
للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأ في الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وفي الوتر
بقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وقرأ الاعلى فسوى فهدى
المرعى احوى فلا تنسى وما يخفى من يخشى الاشقى ولا يحيى من تزكى فصلى
الدنيا وأبقى الاولى وموسى حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش وأبو عمرو بين

المؤمنين والمراد بالوجوه
ـما جميع الابدان لان
ذكر من الاوصاف
يختص بالوجوه فهو كقوله
الى وعنت الوجوه للحي
القيوم او المراد بها

بين والفتح عن ورش قليل أما الاعلى الذى والاشقى الذى اذا وقف عليهما فالامالة وان وصلا فلا امالة والباقون بالفتح وقرأ الذكرى الكبرى أبو عمرو والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين والباقون بالفتح وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام حديث موضوع

سورة الغاشية مكية بالاجماع

وهى ست وعشرون آية واثنان وتسعون كلمة وثلثمائة واحدى وثمانون حرفا

(بسم الله) علام الغيوب (الرحمن) كاشف الكروب (الرحيم) الذى خص أولياءه بالعفو عن الذنوب وقوله سبحانه وتعالى (هل اتاك حديث الغاشية) فيه وجهان أحدهما ان هل بمعنى قد اى قد جاءك يا اشرف الخلق حديث الغاشية كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر قاله قطرب والثانى انه استفهام على حاله وتسميه اهل البيان التشويق والمعنى ان لم يكن اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول الكلبى والغاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها وهى القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل هى النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشى الخلق وقيل الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون فيها (وجوه) اى كثيرة جدا كائنة (يومئذ) اى يوم اذ غشيت (خاشعة) اى ذليلة من الخجل والفضيحة والخوف من العذاب والمراد بالوجوه فى الموضعين اصحابها (عاملة ناصبة) اى ذات نصب وتعب قال سعيد بن جبير عن قتادة تكبرت فى الدنيا عن طاعة الله تعالى فاعملها الله تعالى وانصبها فى النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة فى العرصات فى يوم كان مقداره الف سنة وقال ابن مسعود تخوض فى النار كما تخوض الابل فى الوحل وقال الحسن لم تعمل لله فى الدنيا ولم تنصب له فاعملها وانصبها فى جهنم وقال ابن عباس هم الذين انصبوا انفسهم فى الدنيا على معصية الله تعالى على الكفر مثل عبدة الاوثان والرهبان وغيرهم لا يقبل الله تعالى منهم الا ما كان خالصا له وعن على انهم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث وقرأ (تصلى) ابو عمرو وشعبة بضم التاء الفوقية على ما لم يسم فاعله والباقون بفتحها على تسمية الفاعل والضمير على كلتا القراءتين للوجوه والمعنى تدخل (نارا حامية) اى شديدة الحر قد احميت واوقدت مدة طويلة ومنه حمى النهار بالكسر اى اشتد حره وحكى الكسائى اشتد حمى الشمس وحموها بمعنى قال صلى الله عليه وسلم اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعون فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما شوى فوق الجمر او على المقلى او فى التنور فلا يسمى مصليا * ولما بين تعالى مكانهم ذكر شرابهم بقوله تعالى (تسقى من عين آنية) اى

الاعيان والرؤساء كما يقال هؤلاء وجوه القوم ويا وجه العرب (قوله أفلا ينظرون الى الابل الخ) * ان قلت كيف ارتبط هذا بما قبله واى مناسبة بين الابل

شديدة الحرارة كقوله تعالى من حميم آن أي متناه في الحرارة روي انه لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لاذابتها * ولما ذكر تعالى شرابهم أتبعه بذكر طعامهم فقال تعالى (ليس لهم طعام الا من ضريع) قال مجاهد هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه قال الكلبي لا تقربه دابة اذا يبس وقال ابن زيد اما في الدنيا فان الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار قال أبو الدرداء والحسن ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية لا هنيئة ولا مريئة فلما أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم قال بعض المفسرين فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه ما دام رطبا ويسمى شبرقا فاذا يبس لا يأكله شيء قال ذؤيب يصف حمارا

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى * وصار ضريعا بان عنه النحائص

والنحوص من الاتن التي لا لبن لها * ولما قالوا ذلك أنزل الله تعالى تكذيبا لهم (لا يسمن ولا يغني) أي يكفي كفاية مبتدأة (من جوع) فلا يحفظ الصحة ولا يمنع الهزال فنفى السمن والشبع عنه وعلى تقدير أن يصدقوا فيكون المعنى ان طعامكم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع (فان قيل) كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين (أجيب) بان العذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم * ولما ذكر تعالى وعيد الكفار أتبعه بشرح أحوال المؤمنين فقال تعالى (وجوه يومئذ) أي يوم اذ تغشى الناس ووصفها بصفات الاولى قوله تعالى (ناعمة) أي ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم أو متنعمة قال قائل في نعمة وكرامة الصفة الثانية قوله تعالى (لسعيها) أي في الدنيا بالاعمال الصالحة (راضية) أي في الآخرة بثواب سعيها حين رأت ما أداهم اليه من الكرامة الصفة الثالثة قوله تعالى (في جنة) ثم وصف الجنة بصفات الاولى قوله تعالى (عالية) أي عالية المحل والقدر الصفة الثانية قوله تعالى (لا يسمع فيها لاغية) قرأ بالتاء الفوقية نافع مضمومة لاغية بالرفع وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء التحتية مضمومة لاغية بالرفع لقيامها مقام الفاعل والباقون بالتاء الفوقية مفتوحة لاغية بالنصب فيجوز أن تكون التاء للخطاب أي لا تسمع أنت وان تكون للتأنيث أي لا تسمع الوجوه واللغو قال ابن عباس الكذب والبهتان والكفر بالله تعالى وقال قتادة لا باطل ولا اثم وقال الحسن هو الشتم وقال الفراء الحلف الكاذب والاولى كما قيل لا يسمع في كلامهم كلمة ذات لغو وانما يتكلمون بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم وهذا احسن الاقوال قاله القفال وقال الكلبي لا يسمع في الجنة حالف بيمين لا برة ولا فاجرة الصفة الثالثة قوله

قوله من حميم آن هكذا في النسخ بايدينا والتلاوة وبين حميم آن اه مصححه

والمطوفات عليها حق جمع بينهما (قلت) اما الجواب عن الاول فلانه لما وصف الله الجنة بما وصف عجب الكفار من ذلك فذكرهم غرائب

تعالى (فيها) أي الجنة (عين جارية) قال الزمخشري يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس وقال القفال فيها عيون شراب جارية على وجه الأرض في غير أخدود وتجري لهم كما أرادوا الصفة الرابعة قوله تعالى (فيها سرر مرفوعة) أي عالية في الهواء قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السماء ما لم يجئ أهلها فإذا أرادوا أن يجلسوا عليها تواضعت ثم ترتفع إلى مواضعها الصفة الخامسة قوله تعالى (وأكواب موضوعة) جمع كوب وهي الكيزان التي لا عرى لها قال قتادة فهي دون الأباريق وفي قوله تعالى موضوعة وجوه أحدها أنها معدة لأهلها كالرجل يلتمس من الرجل شيئا فيقول هو ههنا موضوع بمعنى معد ثانيها موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشرب وجدوها مملوءة من الشراب ثالثها موضوعة بين أيديهم لاستحسانهم إياها بسبب كونها من ذهب أو فضة أو من جواهر وتلذذهم بالشرب فيها رابعها أن يكون المراد موضوعة عن حد الكبر أي هي أوساط بين الكبر والصغر كقوله قدروها تقديرا الصفة السادسة قوله تعالى (ونمارق) وهي الوسائد واحدها نمرقة بضم النون والراء وكسرهما لغتان أشهرهما الأولى وهي وسادة صغيرة قالت

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق

(مصفوفة) أي واحدة إلى جنب واحدة أخرى قال الشاعر

كهولا وشبانا حسانا وجوههم * لهم سرر مصفوفة ونمارق

الصفة السابعة قوله تعالى (وزرابي) وهي جمع زربية بفتح الزاي وكسرها لغتان مشهورتان وهي بسط عراض فاخرة وقال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل أي وبر رقيق واختلف في قوله تعالى (مبثوثة) فقال قتادة مبسوطة وقال عكرمة بعضها فوق بعض وقال الفراء كثيرة وقال القتيبي مفرقة في المجالس قال القرطبي وهذا أصح فهي كثيرة متفرقة ومنه قوله تعالى وبث فيها من كل دابة * ولما ذكر تعالى أمر الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوه وأنكروه فذكرهم الله تعالى صنعه وقدرته بقوله تعالى (أفلا ينظرون) أي المنكرون لقدرته سبحانه وتعالى على الجنة وما ذكر فيها والنار وما ذكر فيها أي نظر اعتبار (إلى الإبل) ونبه على أنه عجيب خلقها مما ينبغي أن تتوفر الدواعي على الاستفهام والسؤال عنه بأداة الاستفهام فقال تعالى (كيف خلقت) أي خلقا عجيبا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها للنهوض بالأثقال وجرها إلى البلاد النائية فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لا تعارض ضعيفا ولا تنازع صغيرا وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار وعن بعض الحكماء أنه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا إبل بها ففكر ثم قال يوشك أن تكون طوال الأعناق وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى إن ظماءها لترتفع إلى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير ...

[Margin note:] صنعه وانه لما ذكر ارتفاع سررها قالوا كيف نصعدها فنزلت هذه الآية والمعنى أفلا ينظرون إلى الإبل نظر اعتبار كيف خلقت للأثقال وحملها إلى البلاد البعيدة وبروكها لتحمل

قال لقيت شريحا القاضي فقلت له اين تريد قال أريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت ‌* (تنبيه) ‌* الابل اسم جمع واحده بعير وناقة وجمل ولا واحد لها من لفظها وقال المبرد الابل هنا القطع العظيمة من السحاب قال الثعلبي ولم أجد لذلك أصلا في كتب الائمة وقال الماوردي وفي الابل وجهان أظهرهما انها الابل والثاني انها السحاب فان كان المراد بها السحاب فلما فيها من الآيات والدلالات الدالة على قدرته والمنافع العامة لجميع خلقه وان كان المراد بها الابل فلان الابل أجمع للمنافع من سائر الحيوانات لان ضروب الحيوان أربعة حلوبة وركوبة وأكولة وحمولة والابل تجمع هذه الخلال الاربع فكانت النعمة بها أعم وظهور القدرة فيها أتم وقيل للحسن الفيل أعظم في الاعجوبة فقال العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو لا يؤكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره (والى السماء) التي هي من جملة مخلوقاتنا (كيف رفعت) أي رفعا بعيدا بلا امساك وبغير عمد على ما لها من السعة والكبر والثقل والاحكام وما فيها من الكواكب والغرائب والعجائب (والى الجبال) أي الشامخة وهي أشد الارض (كيف نصبت) نصبا ثابتا فهي راسية لا تميل ولا تزول كما قال تعالى وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بكم (والى الارض) أي على سعتها (كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للتقلب عليها واستدل بعضهم بذلك على أن الارض ليست بكرة قال الرازي وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت في غاية العظمة تكون كل قطعة منها كالسطح (فان قيل) كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة (أجيب) بان من فسرها بالسحاب فالمناسبة ظاهرة وذلك على طريق التشبيه والمجاز ومن فسرها بالابل فالمناسبة بينها وبين السماء والارض والجبال من وجهين أحدهما ان القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا ويسيرون عليها في أودية وبوادي مستوحشين ومنفردين عن الناس والانسان اذا انفرد أقبل على التفكر في الاشياء لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك ما يشغل به سمعه وبصره فلابد من أن يجعل دأبه التفكر فاذا تفكر في تلك الحال فأول ما يقع بصره على البعير الذي هو راكبه فيرى منظرا عجيبا وان نظر الى فوق لم ير غير السماء وان نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال وان نظر الى تحت لم ير غير الارض فكأنه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانفراد حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر ثانيهما ان جميع المخلوقات دالة على الصانع جلت قدرته الا أنها قسمان منها ما للشهوة فيه حظ كالوجه الحسن والبساتين النزهة والذهب والفضة فهذه مع دلالتها على الصانع قد يمنع استحسانها عن كمال النظر فيها ومنها ما لاحظ فيه للشهوة كهذه الاشياء فأمر بالنظر فيها اذ لا مانع من كمال النظر فيها وقال عطاء عن ابن عباس كأن الله تعالى يقول هل يقدر أحد أن يخلق مثل الابل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الارض غيري ‌* ولما بين تعالى الدلائل على صحة التوحيد والمعاد قال مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم (فذكر) أي بنعم الله تعالى ودلائل توحيده وعظهم بذلك وخوفهم بأشرف الخلق (انما أنت مذكر) فلا عليك ان لا ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ كما قال تعالى ان عليك الا البلاغ (لست عليهم بمسيطر) أي بمسلط فتقهرهم وتكرههم على الايمان كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار وهذا

وبنهوضها بحاملته وسخرت لكل من قادها حتى الصغير واعطيت الصبر على العطش عشرة ايام فاكثر وجعلت ترعى كل نبات في القفار دون غيرها من الدواب والانعام

قبل الامر بالجهاد وقرأ هشام بالسين وقرأ حمزة بخلاف عن خلاد باشمام الصاد كالزاى والباقون بالصاد الخالصة وقوله تعالى (الا من تولى) استثناء منقطع اى لكن من تولى عن الايمان (وكفر) أى القرآن (فيعذبه الله) اى الذى له الكمال كله بسبب تكبره عن الحق ومخالفته لامرك (العذاب الاكبر) أى عذاب الآخرة لانهم عذبوا فى الدنيا بالجوع والقحط والقتل والاسر وقيل استثناء متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط فكانه أوعدهم بالجهاد فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة وقيل هو استثناء من قوله تعالى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض (ان الينا) أى خاصة بما لنا من العظمة (ايابهم) أى رجوعهم بعد البعث (ثم ان علينا) أى خاصة بما لنا من القدرة والتنزه عن نقص العيب والجور وكل نقص لا على غيرنا (حسابهم) أى جزاءهم فلا نتركه أبدا وفى هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم فانه كان يشق عليه تكذيبهم (فان قيل) ما معنى تقديم الظرف (اجيب) بان معناه التشديد فى الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس الا عليه وهو الذى يحاسب على النقير والقطمير وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع

سورة الفجر مكية

وقيل مدنية وهى تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا

(بسم الله) الملك المعبود (الرحمن) الذى عم خلقه بالكرم والجود (الرحيم) الذى سدد أهل عنايته بفضله فهو الحليم الودود وقوله تعالى (والفجر) أى فجر كل يوم قسم كما أقسم بالصبح فى قوله تعالى والصبح اذا أسفر والصبح اذا تنفس وقال قتادة هو فجر أول يوم من المحرم تتفجر منه السنة وقال الضحاك فجر ذى الحجة وقيل ذلك على مضاف محذوف أى وصلاة الفجر وقيل ورب الفجر وتقدم ان الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته واختلف فى قوله تعالى (وليال عشر) فقال مجاهد وقتادة هو عشر ذى الحجة وقال الضحاك هو العشر الاول من رمضان وعن ابن عباس انه العشر الاخير من رمضان وعن يمان بن رباب هو العشر الاول من المحرم التى عاشرها يوم عاشوراء ولصومه فضل عظيم (فان قيل) لم نكر الليالى من بين ما أقسم به (اجيب) بان ذلك للتعظيم (والشفع) أى الزوج (والوتر) أى الفرد وقيل الشفع الخلق كلهم قال الله تعالى وخلقناكم أزواجا والوتر هو الله تعالى قاله أبو سعيد الخدرى وقال مجاهد ومسروق الشفع الخلق كله قال الله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين الكفر والايمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس والوتر هو الله تعالى قل هو الله أحد وقال قتادة هما الصلوات منها شفع ومنها وتر وروى ذلك عن عمران بن حصين مرفوعا وعن ابن عباس الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وقال الحسين بن الفضل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات

بذكر الفيل والزرافة والدر كذو غيرها لما هو أعظم من الجمل لان العرب لم يروا شيئا من ذلك ولا عرفوه وأما الجواب عن الثانى فلان الابل كانت أنفس أموالهم

النار لانها سبع دركات وسئل ابو بكر الوراق عن الشفع والوتر فقال الشفع تضاد اوصاف المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والوتر انفراد صفات الله سبحانه وتعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت وعن عكرمة الوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر واختاره النحاس وقال هو الذى صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها وقال ابن الزبير الشفع الحادى عشر والثانى عشر من أيام منى والوتر الثالث عشر وقال الضحاك الشفع عشر ذى الحجة والوتر أيام منى الثلاثة وقيل الشفع والوتر آدم عليه السلام كان وترا فشفع بزوجته حواء حكاه القشيرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقرأ حمزة والكسائى بكسر الواو والباقون بفتحها وهما لغتان الفتح لغة قريش ومن والاها والكسر لغة تميم وقوله تعالى (والليل اذا يسر) قسم خامس بعدما أقسم بالليالى العشر على الخصوص أقسم به على العموم ومعنى يسر سار وذهب كما قال الله تعالى والليل اذ أدبر وقال قتادة اذا جاء واقبل وقيل معنى يسر أى يسرى فيه كما يقال ليل قائم ونهار صائم ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقرأ نافع وأبو عمرو باثبات الياء بعد الراء وصلا لا وقفا وأثبتها ابن كثير فى الحالين وحذفها الباقون فى الحالين لسقوطها فى خط المصحف الكريم واثباتها هو الاصل لانها لام فعل مضارع مرفوع ومن فرق بين حالتى الوقف والوصل فلان الوقف محل استراحة وسئل الاخفش عن العلة فى سقوط الياء فقال الليل لا يسرى ولكن يسرى فيه فهو مصروف فلما صرفه بخسه حظه من الاعراب كقوله تعالى وما كانت امك بغيا ولم يقل بغية لانه صرفه عن باغية وهذه الاسماء كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف تقديره لتعذبن يا كفار مكة بدليل قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد وما بينهما اعتراض وقوله تعالى (هل فى ذلك) أى القسم والمقسم به (قسم) أى حلف أو محلوف (لذى حجر) استفهام بمعناه التقرير كقولك ألم أنعم عليك اذا كنت قد أنعمت والمراد منه التأكيد لما أقسم به واقسم عليه كمن ذكر حجة باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة والمعنى ان من كان ذا لب علم ان ما أقسم الله تعالى به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما يسمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها وقوله تعالى (ألم تر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به العموم والمراد بالرؤية العلم أى ألم تعلم يا أشرف رسلنا (كيف فعل ربك) أى المحسن اليك بانواع النعم (بعاد ارم) وهو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ثم انهم جعلوا لفظ عاد اسما للقبيلة كما يقال لبنى هاشم هاشم ولبنى تميم تميم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم فى قوله تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها وقوله تعالى (ذات) أى صاحبة (العماد) ينظر فيه ان كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين أهل عمد

وأكثرها وانما جمع بينها
وبين ما بعدها لانهما آيتا
على وفق عادة العرب فى ان
انتفاعهم بالابل اكثر ولا
يحصل الا بان ترعى وتشرب
وذلك بنزول المطر من السماء

وطوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات أساطين وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وقوله تعالى (التي لم يخلق مثلها في البلاد) صفة أخرى لارم فان كانت للقبيلة فلم يخلق مثل عاد في البلاد عظم أجرام وقوة قال الزمخشري كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم وروى عن مالك انه كانت تمر بهم مائة سنة لا يرون فيها جنازة وان كانت للبلدة فلم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا والمقصود من هذه الحكاية زجر الكفار فان الله تعالى بين انه أهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل مع الذي اختصوا به من هذه الوجوه فلان تكونوا مثل ذلك أيها الكفار اذا أقمتم على كفركم مع ضعفكم أولى وقد ذكر الله تعالى ثلاث قصص هذه القصة الاولى وأما الثانية فهي في قوله تعالى (وثمود الذين جابوا) أي قطعوا (الصخر) جمع صخرة وهي الحجر واتخذوها بيوتا كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا (بالواد) أي وادي القرى قيل أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وقيل سبعة آلاف مدينة كلها من الحجارة *(تنبيه)* اثبت الياء ورش وابن كثير وصلا وأثبتها وقفا ابن كثير بخلاف عن قنبل واما القصة الثالثة فهي في قوله تعالى (وفرعون) أي وفعل بفرعون (ذي الاوتاد) واختلف في تسميته بذلك على وجهين أحدهما انه سمي بذلك على كثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا والثاني انه كان يتد أربعة أوتاد ويشد اليها يدي ورجلي من يعذبه وعن عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد لأنه كانت امرأة وهي امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير أبي فقالت الهي واله أبيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت فدخلت على أبيها وهي تبكي فقال ما يبكيك فقالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك وأقري بأني الهك قالت لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت له لو عذبتني بهذا العذاب سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان

قطعها في الذكر على الابل ثم لابدالهم من حصن يتحصنون به ولا شئ في ذلك كالجبال فقطعها على انهم لابد لهم عند ما قدلها ثم لابدالهم من التنقل طول المكث من

لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها اكفرى بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من فى الارض على فى ما كفرت بالله عز وجل فاتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها وأراد ذبحها جزعت المرأة فانطق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت وهى من الاربعة الذين تكلموا أطفالا وقالت يا أماه لا تجزعى فان الله تعالى قد بنى لك بيتا فى الجنة فاصبرى فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث ان ماتت فاسكنها الله تعالى الجنة قال وبعث فى طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد رؤى فى موضع كذا فى جبل كذا فبعث رجلين فى طلبه فانتهيا اليه وهو يصلى ويليه صفوف من الوحوش خلفه يصلون خلفه فلما رأيا ذلك انصرفا فقال حزقيل اللهم أنت تعلم انى كتمت ايمانى مائة سنة ولم يظهر على أحد فأيما هذين الرجلين أظهر على فعجل عقوبته فى الدنيا واجعل مصيره فى الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما أحدهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس الملا فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعى به فقال حق ما يقول هذا قال لا ما رأيت مما قال شيأ فاعطاه فرعون فاجزل وأما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعنى أن أصبر على ما يأتى من فرعون وأنا مسلمة وهو كافر فبينما هى كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون أنت أشر الخلق وأخبثه عمدت الى الماشطة فقتلتها فقال لعل بك الجنون الذى كان بها قالت ما بى من جنون وان الهى والهها والهك واله السموات والارض واحد لا شريك له فمزق ما عليها وضربها وأرسل الى أبويها فدعاهما فقال لهما الا تريان ان الجنون الذى كان بالماشطة أصابها قالت أعوذ بالله من ذلك انى أشهد أن ربى وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال أبوها يا آسية ألست من خير نساء العماليق وزوجك اله العماليق قالت أعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له أن يتوجنى تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون أخرجاها عنى فمدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله فقبض الله تعالى روحها وأدخلها الجنة وروى عن أبى هريرة ان فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها الى السماء وقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ففرج الله تعالى عن بيتها فى الجنة فرأته وقوله تعالى (الذين طغوا) اى تجبروا (فى البلاد) فى محل نصب على الذم ويجوز أن يكون مرفوعا على هم الذين طغوا فى البلاد أو مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون فالضمير يرجع لعاد وثمود وفرعون وقيل يرجع الى فرعون خاصة (فاكثروا) اى طغاتهم (فيها الفساد) اى بالقتل والكفر والمعاصى قال القفال وبالجملة فالفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع أقسام البر فالفساد يتناول جميع أقسام الاثم فمن عمل بغير أمر الله تعالى وحكم فى عباده بالظلم فهو مفسد (فصب) اى أنزل انزالا هو فى غاية القوة (عليهم) اى فى الدنيا (ربك) اى المحسن

من أرض الى سواها انعطفه ا على ما قبلها فاذا فتش البدوى فى نفسه وجد هذه الاشياء حاضرة عنده على الترتيب المذكور بخلاف الحضرى

ربك بكل جميل (سوط) اى نوع (عذاب) وقال قتادة يعنى ألوانا من العذاب صبه عليهم
وقال أهل المعانى هذا على الاستعارة لان السوط عندهم غاية العذاب وقال الفراء هى كلمة
تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب وأصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذى يعذبون
به فجرى الى كل عذاب اذا كان فيه غاية العذاب وقال الزجاج جعل سوطهم الذى ضربهم به
العذاب وعن الحسن انه كان اذا أتى على هذه الآية قال ان الله تعالى عنده أسواط كثيرة
فاخذهم بسوط منها وقال قتادة كل شئ عذب الله تعالى به فهو سوط عذاب وشبهه بصب
السوط الذى يتواتر على المضروب فيهلكه (ان ربك) اى المحسن اليك بالرسالة (لبالمرصاد)
اى يرصد أعمال العباد لا يفوته منها شئ ليجازيهم عليها والمرصاد المكان الذى يترقب فيه
الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاد العصاة بالعقاب وانهم
لا يفوتونه وعن بعض العرب انه قيل له أين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرأ
هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه فقال ان ربك لبالمرصاد يا أبا جعفر عرض له فى هذا
النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة قال الزمخشرى فلله دره اى أسد فراس كان بين
ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع أهل الاهواء والبدع باحتجاجه وقوله تعالى (فاما الانسان)
متصل بقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فكأنه قيل ان الله تعالى يريد من الانسان الطاعة
والسعى للعاقبة وهو لا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها (اذا ما ابتلاه) اى اختبره
بالنعمة (ربه) اى الذى ابدعه وأحسن اليه بما يحفظ وجوده ليظهر شكره او كفره
(فاكرمه) اى جعله عزيزا بين الناس وأعطاه ما يكرمونه به من الجاه والمال (ونعمه) اى
جعله متلذذا مترفها بما اوسع الله تعالى عليه وقوله تعالى (فيقول) اى سرورا بذلك وافتخارا
(ربى أكرمن) اى فضلنى بما أعطانى خبر المبتدا الذى هو الانسان ودخول الفاء لما فى اما من
معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر فى تقدير التأخير كانه قيل فاما الانسان
فقائل ربى أكرمن وقت الابتلاء بالانعام فيظن ان ذلك عن استحقاق فيرتفع به وكذا قوله تعالى
(وأما اذا ما ابتلاه فقدر) اى ضيق (عليه رزقه) التقدير وأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه اى
بالفقر ليوازن قسمه (فيقول) اى الانسان بسبب الضيق (ربى أهانن) فيهتم لذلك ويضيق به
ذرعا ويكون أكبر همه وهذا فى حق الكافر لقصور نظره وسوء فكره فيرى الكرامة
والهوان بكثرة الحظ فى الدنيا وقلته وقال الكلبى ومقاتل نزلت فى أمية بن خلف الجمحى
الكافر وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى عتبة بن ربيعة وقيل أبى بن خلف (فان قيل)
كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقتيره ابتلاء (أجيب) بان كل واحد منهما اختبار
للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع
فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فان قيل) هلا قال فاهانه
وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه (أجيب) بان البسط اكرام من الله تعالى لعبده
بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة وأما التقتير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل
لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما ومهينا وغير مكرم ولا مهين
وان أهدى لك زيد هدية قلت أكرمنى بالهدية ولا تقول أهاننى ولا أكرمنى اذا لم يهد اليك (فان

(سورة الفجر)
(قوله والفجر) قسم وجوابه مع ما بعده محذوف تقديره لتعذبن يا كفار مكة (قوله وليال عشر) اى ليالى عشر ذى

(قلت) قد قال تعالى فاكرمه فصحح اكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه كما أنكر قوله أهانن وذمه عليه (أجيب) بوجهين أحدهما انما أنكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله تعالى عليه وأثبته وهو قصده الى أن الله تعالى أعطاه ما أعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله انما أوتيته على علم عندي وانما أعطاه الله تعالى على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله تعالى الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من أجلها ثانيهما ان نساق الانكار والذم الى قوله ربي أهانن يعني انه اذا تفضل عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه يسمي ترك التفضل هوانا وليس بهوان قال الزمخشري ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله تعالى فاكرمه وقرأ ما ابتلاه في الموضعين حمزة بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقرأ ربي أكرمن ربي أهانن نافع باثبات الياء فيهما وصلا لا وقفا وقرأ البزي باثباتها فيهما وقفا ووصلا وعن أبي عمرو فيهما في الوصل الاثبات والحذف عنه في الوصل أعدل والباقون بالحذف وقفا ووصلا وقرأ ابن عامر فقدر عليه رزقه بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وهما لغتان معناهما ضيق وقيل قدر بمعنى قتر وقدر أعطاه ما يكفيه ثم رد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة بقوله تعالى (كلا) اى ليس الاكرام بالغنى والاهانة بالفقر انما هما الطاعة والمعصية وكفار مكة لا ينتبهون لذلك (بل) لهم فعل أشر من هذا القول وهو انهم (لا يكرمون اليتيم) اى لا يحسنون اليه مع غناهم او لا يعطونه حقه من الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه نزلت (ولا يحضون) اى يحثون انفسهم (على طعام) اى اطعام (المسكين) فيكون اسم مصدر بمعنى الاطعام ويجوز أن يكون على حذف مضاف اى على بذل أو على اعطاء او اطعام طعامه اشارة الى انه شريك للغني في ماله بقدر الزكاة (وتأكلون) على سبيل التجدد والاستمرار (التراث) اى الميراث والتاء في التراث بدل من واو لانه من الوراثة (أكلا لما) اى ذا لم والجمع اللم الجمع الشديد يقال لممت الشئ لما اى جمعته جمعا قال الحطيئة

اذا كان لما يتبع الذم ربه ✽ فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

والجمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم ويأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك فيلمون في الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز أن يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه ويأكله أكلا واسعا جامعا بين ألوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون (وتحبون) اى على سبيل الاستمرار (المال) اى هذا النوع من اى شئ كان وأكد المصدر والوصف فقال تعالى (حبا جما) اى كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق وقوله تعالى (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم أخبر تعالى عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم فقال عز وجل

(فان قلت) كيف [...]بة [...] نكرها دون بقيتها اقسم به (قلت) لاختصاصها من بين الليالي بفضيلة ليست لغيرها فلم يجمع بينها وبين البقية بلام الجنس

قوله مهلا الخ كذا بأصله الطبع وفي بعض النسخ مهلا سهلا وفي الكشاف سهلا مهلا اه مصححه

قال (إذا دكت الأرض) أي حصل دكها ورجها وزلزالها التسوية بها فتكون كالأديم الممدود
بشدة المط لا عوج فيها بوجه (دكا دكا) أي مرة بعد مرة وكسر كل شيء على ظهرها من جبل
وبناء وشجر فلم يبق على ظهرها شيء وينعدم (وجاء ربك) قال الحسن أمره وقضاؤه (والملك)
أي الملائكة وقوله تعالى (صفا صفا) حال أي مصطفين أي ذوي صفوف كثيرة فتنزل ملائكة
كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والإنس (وجيء) أي بأسهل أمر (يومئذ)
أي إذ وقع ما ذكر (بجهنم) أي النار التي تجهم من يصلاها كقوله تعالى وبرزت الجحيم
وروي أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف في وجهه حتى اشتد على
أصحابه فأخبروا عليا فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل ما بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بأبي أنت
وأمي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الآية فقال له علي كيف يجاء بها قال
يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل
الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول مالك ولي يا محمد إن الله قد حرم لحمك علي فلا يبقى أحد
إلا قال نفسي نفسي إلا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول رب أمتي أمتي وقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك لها تغيظ وزفير حتى
تنصب على يسار العرش وقوله تعالى (يومئذ) أي يوم يجاء بجهنم بدل من إذ دكت (يتذكر
الإنسان) أي يتذكر الكافر ما فرط أو يتعظ لأنه يعلم قبح معاصيه فيندم عليها (وأنى له الذكرى)
أي ومن أين له منفعة الذكرى قال الزمخشري لا بد من حذف مضاف وإلا فبين يتذكر
وبين وأنى له الذكرى تناف وتناقض *(تنبيه)* أنى خبر مقدم والذكرى مبتدأ مؤخر
وله متعلق بما تعلق به الظرف وقرأ وأنى حمزة والكسائي بالإمالة محضة وقرأ ورش بالفتح
وبين اللفظين وقرأ الدوري عن أبي عمرو بالإمالة بين بين والباقون بالفتح وقرأ الذكرى أبو عمرو
وحمزة والكسائي بالإمالة محضة وقرأ ورش بين بين والباقون بالفتح (يقول) أي يقول مع
تذكره (يا) للتنبيه (ليتني قدمت لحياتي) أي في حياتي فاللام بمعنى في أو قدمت الإيمان
وإنما يريد الحياة لا موت بعدها أو وقت حياتي في الدنيا (فيومئذ) أي يوم يقول الإنسان ذلك وقرأ
(لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الكسائي بفتح الذال والثاء على البناء للمفعول
والباقون بكسرهما على البناء للفاعل فأما قراءة الكسائي فضمير عذابه ووثاقه للكافر
والمعنى لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل إيثاقه وأما على قراءة الباقين فالضمير فيهما لله
تعالى أي لا يكل عذابه إلى غيره أو الزبانية المتولين العذاب بأمر الله تعالى *ولما وصف الله
تعالى حال من اطمأن إلى الدنيا وصف حال من اطمأن إلى معرفته وعبوديته وسلم أمره إليه
فقال تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة) قال الحسن أي المؤمنة الموقنة وقال مجاهد
الراضية بقضاء الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بثواب الله تعالى وقال ابن
كيسان المخلصة وقال ابن زيد التي بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع ويقال
لها عند الموت (ارجعي إلى ربك) أي إلى أمره وإرادته وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
إلى صاحبك وجسدك وقال الحسن إلى ثواب ربك (راضية) أي بما أوتيته (مرضية)
أي عند الله تعالى بعملك أي جامعة بين الوصفين لأنه لا يلزم من أحدهما الآخر وهما حالان

وإنما لم تعرف بلام العهد
لما مر في سورة البروج
(قوله فيقول ربي أكرمن)
(إن قلت) كيف ذمه مع
أنه يقول ربي أكرمن مع أنه
صادق فيه لقوله تعالى
فأكرمه ونعمه ومع أنه
متحدث بالنعمة وهو

قال القفال هذا وان كان أمرا في الظاهر فهو خبر في المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت الى الله تعالى في القيامة بسبب هذا الامر (فادخلي في) أي في جملة (عبادي) أي الصالحين والوافدين على الذين هم أهل الاضافة الى أو في اجساد عبادي التي خرجت في الدنيا منها (وادخلي جنتي) أي معهم هي جنة عدن وهي أعلى الجنان ويجيء الامر بمعنى الخبر كثيرا في كلامهم كقوله اذا لم تستح فاصنع ما شئت وقال سعيد بن زيد قرأ رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال ابو بكر ما أحسن هذا يا رسول الله فقال له ان الملك سيقولها لك يا أبا بكر وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بالطائف فجاء طائر لم ير على خلقه طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا أيتها النفس الآية وروى الضحاك انها نزلت في عثمان حين وقف بئر رومة وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله تعالى وجهه نحوها فلم يستطع أحد ان يحوله وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب قال الزمخشري والظاهر العموم وقول البيضاوي تبعا له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة حديث موضوع

مأمور بالتحدث بالقوله وأما بنعمة ربك فحدث (قلت) المراد ان يقول ذلك مقرا به على غيره ومستدلا به على علو منزلته في الآخرة ومعتقدا استحقاق ذلك على ربه كما في قوله تعالى

سورة البلد مكية

وهي عشرون آية واثنتان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا

(بسم الله) الملك الذي لا راد لامره (الرحمن) الذي عم سائر خلقه بفضله (الرحيم) الذي خص أهل طاعته بجنته واختلف في لا في قوله تعالى (لا أقسم) فقال الاخفش انها مزيدة أي أقسم كما تقدم في قوله تعالى لا أقسم بيوم القيامة وقوله فلا وربك سبحانه وتعالى قال الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ... وكاد صميم القلب لا يتقطع

أي يتقطع ودخل حرف لا صلة وكقوله تعالى ما منعك أن لا تسجد بدليل قوله تعالى في ص ما منعك أن تسجد وأجاز الاخفش أيضا أن تكون بمعنى ألا وقيل هي نفي صحيح والمعنى لا أقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وأجمعوا على ان المراد بالبلد في قوله تعالى (بهذا البلد) أي الحرام وهو مكة وفضلها معروف فانه تعالى جعله حرما آمنا وقال تعالى ومن دخله كان آمنا وجعل مسجده قبلة لاهل المشرق والمغرب وقال تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وأمر الناس بحج البيت فقال تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وقال تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وقال تعالى وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وشرف مقام ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وحرم صيده وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من تحته فهذه الفضائل وأكثر منها لما اجتمعت في مكة لا جرم أقسم الله تعالى بها (وأنت) أي والحال انك (حل) أي حلال [illegible]

[illegible]

الفتح واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر ونظير وانت حل في معنى الاستقبال قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العرب تقول لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهو في كلام الله تعالى واسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح والجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه واختلف في قوله تعالى (ووالد وما ولد) فقال الزمخشري هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابراهيم ومنشا ابيه اسمعيل وبمن ولده وبه وقال البغوي هما آدم وذريته وقيل كل والد وولده (فان قيل) هلا قيل ومن ولد (اجيب) بان فيه ما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان او ان ما بمعنى من والذي عليه اكثر المفسرين هما آدم وذريته لانهم اعجب ما خلق الله تعالى على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وامر الملائكة بالسجود لآدم وعلمه الاسماء كلها وقد قال الله تعالى ولقد كرمنا بني آدم وقيل هما آدم والصالحون من ذريته واما الطالحون فكانهم بهائم كما قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل صم بكم عمي فهم لا يرجعون والمقسم عليه قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان) اي الجنس (في كبد) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اي شدة ونصب وعنه ايضا في شدة من حمله وولادته ورضاعه ونبت اسنانه وسائر احواله وعن عكرمة منتصبا في بطن امه والكبد الاستواء والاستقامة وهذا امتنان عليه في الخلقة ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن امها الا منكبة على وجهها الا ابن آدم فانه منتصب انتصابا وقال ابن كيسان منتصبا في بطن امه فاذا اراد الله تعالى ان يخرجه من بطن امه قلب راسه الى رجلي امه وقال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وقال يمان لم يخلق الله تعالى خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال بعض العلماء اول ما يكابد قطع سرته ثم اذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ثم يكابد نبت اسنانه ثم يكابد الفطام الذي هو اشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع ثم المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن والجيران ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم في مصائب يكثر تعدادها من صداع الراس ووجع الاضراس ورمد العين وغم الدين ووجع السن والم الاذن ويكابد محنا في المال والنفس من الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يعاني فيه شدة ثم يكابد بعد ذلك مشقة الموت ثم بعد سؤال الملك وضغطة القبر وظلمته ثم

انما اوتيته على علم عندي واما وكل ذلك منهي عنه واما اذا قاله على وجه الشكر والتحدث بنعمة الله فليس بمذموم بل ممدوح (قوله وجاء ربك) اي امره

(سورة البلد)

(قوله لا اقسم بهذا البلد

البعث والعرض على الله تعالى الى أن يستقر به القرار اما في الجنة واما في النار فدل هذا على أن له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال ولو كان الامر اليه ما اختار هذه الشدائد فليمتثل أمر خالقه وقال ابن زيد المراد بالانسان هنا آدم عليه السلام وقوله تعالى في كبد أي في وسط السماء وقال مقاتل في كبد أي في قوة نزلت في أبي الاشدين واسمه أسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظي تحت قدميه فيقول من أزالني عنه فله كذا وكذا فيجذبه عشرة فيتمزق الاديم من تحت قدميه ولا تزول قدماه ويبقى موضع قدميه وكان من أعداء النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل (أيحسب) أي أيظن الانسان قوي قريش وهو أبو الاشدين ٣ بقوته (أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي انه (لن يقدر عليه) أي خاصة (أحد) أي من أهل الارض أو السماء فيغلبه حتى انه يعاند خالقه والله تعالى قادر عليه في كل وقت وقيل نزلت في المغيرة بن الوليد المخزومي (يقول) أي يفتخر بقوته وشدته (أهلكت) أي على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (مالا لبدا) أي كثيرا بعضه على بعض (أيحسب) أي هذا الانسان المتبدد له عقله (أن) أي انه (لم يره أحد) قال سعيد بن جبير أي أظن ان الله تعالى لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه وفيم أنفقه وقال الكلبي انه كان كاذبا في قوله انه أنفقه ولم ينفق جميع ما قال والمعنى أيظن ان الله تعالى لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته وقرأ أيحسب في الموضعين ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها * ثم ذكر نعمه عليه ليعتبر بقوله تعالى (ألم نجعل) أي بما لنا من القدرة التامة (له عينين) يبصر بهما المرئيات والا لتعطل عليه أكثر ما يهمه وقد شققناهما وهو في الرحم في ظلمات ثلاث على مقدار مناسب لا تزيد احداهما على الاخرى شيأ وقدرنا البياض والسواد والشهلة والزرقة وغير ذلك على ما ترون وأودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن ادراكها (ولسانا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك قال قتادة نعم الله تعالى عليه متظاهرة فيقرره بها كي يشكره قال البغوي وجاء في الحديث ان الله تعالى يقول يا ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق (وهديناه) أي آتيناه من العقل (النجدين) قال أكثر المفسرين بيناله طريق الخير والشر والهدى والضلال والحق والباطل كقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وصار بما جعلنا له من ذلك سميعا بصيرا عاقلا فصار موضعا للتكليف روى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى يا أيها الناس انما هما نجدان نجد خير ونجد شر فلم يجعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير قال المنذري النجد هنا الطريق وقال ابن عباس رضي الله عنهما هما الثديين وهو قول سعيد بن المسيب والنجد الثدي سمي به لارتفاعه (فلا اقتحم العقبة) أي فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام المساكين والايتام بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله تعالى لا ان يهلكها مالا لبدا في الرياء والفخار وعداوة النبي صلى الله عليه

وسلم

وأنت حل بهذا البلد) أي مكة (فان قلت) لم كرر لفظ البلد (قلت) لم يكرره اذ التقدير لا أقسم بهذا البلد الحرم الذي جبلت العرب على تعظيمه وتحريمه وأنت حل بهذا البلد أي أحل لك فيه من

٣ قوله أبي الاشدين هكذا في النسخ بصيغة التثنية وفي حاشية الجمل والاشد هكذا بالافراد في كثير من نسخ هذا الشرح وكثير من عبارات المفسرين وفي بعض نسخ هذا الشرح وكثير من التفاسير الاشدين بصيغة التثنية فليحرر اه

وسلم فيكون على هذا الوجه كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم الآية وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول الله تعالى لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وهذا معنى قول قتادة وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا أعتق رقبة وأطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمر أن هذه العقبة جبل في جهنم وقال الحسن هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله تعالى ومجاهدة النفس وقال مجاهد هي الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة صعودا وهبوطا واستواء وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس في النار منكوس وفي الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار وقال ابن زيد فهلا سلك طريق النجاة وقوله تعالى (وما أدراك) اى أعلمك أيها السامع لكلام هذا الراغب فيما عندنا (ما العقبة) تعظيم لشأنها والجملة اعتراض قال سفيان بن عيينة كل شئ قال فيه وما أدراك فانه أخبر به وما قال وما يدريك فانه لم يخبر به ثم بين سبب جوازها بقوله تعالى (فك) اى الانسان (رقبة) اى خلصها من الرق وذلك بان يعتق رقبة في ملكه أو يعطي مكاتبا ما يصرفه في فك رقبته. روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله تعالى بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وقال الزمخشري وفي الحديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة قال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال أوليسا سواء قال لا اعتاقها أن تنفرد بعتقها وفكها أن تعين في تخليصها من قود أو غرم والعتق والصدقة من أفضل الاعمال وعن أبي حنيفة أن العتق أفضل من الصدقة وعن صاحبيه الصدقة أفضل قال الزمخشري والآية أدل على قول أبي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وقال عكرمة يعني فك رقبته من الذنوب وقال الماوردي ويحتمل أنه أراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات ولا يمتنع الخبر من هذا التأويل وهو أشبه بالصواب (أو إطعام) [illegible] ذلك (في يوم ذي مسغبة) اى مجاعة والسغب الجوع (يتيما) اى انسانا صغيرا لا أب له (ذا مقربة) اى ذا قرابة للنسب كأن يتيما بينه وبينه قرابة يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي (أو مسكينا) وهو من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من كفايته ولا يكفيه (ذا متربة) اى لصوق بالتراب لفقره يقال ترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى اى صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل أثرى وعنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ذا متربة الذي مأواه المزابل قال ابن عباس رضي الله عنهما هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له وقال مجاهد هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة انه ذو العيال واحتج بهذه الآية على أن المسكين قد يملك شيأ لانه لو كان لا يملك شيأ لكان تقييده بقوله تعالى ذا متربة تكرارا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة برفع الكاف وجر رقبة وكسر همزة اطعام وفتح العين وبعدها ألف

حرمانه ما لم يحل لاحد قبلك ولا بعدك من قتل ابن خطل وقتال المشركين ساعة من النهار فالمراد بالبلد الاول الباقي على تحريمه وبالثاني الذي أحلت منه النبي صلى الله عليه وسلم ساعة اكراما له

ورفع الميم منونة والباقون فك بنصب الكاف رقبة بالنصب أطعم بفتح الهمزة والعين والميم بغير تنوين ولا ألف بين العين والميم (فان قيل) قوله تعالى فلا اقتحم العقبة الى آخره ذكر لا مرة واحدة قال الفراء والزجاج والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى تعيد لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى (أجيب) بانه انما أفردها لدلالة آخر الكلام على معناه فيجوز أن يكون قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) قائما مقام التكرير فكأنه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن وقال الزمخشري هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ألا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك قال ابو حيان ولا يتم له هذا الا على قراءة فك فعلا ماضيا وعن مجاهد ان قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا يدل على أن لا بمعنى لم ولا يلزم التكرير مع لم فان كررت لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى فهو كقوله تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا *(تنبيه)* ثم كان معطوف على اقتحم وثم للترتيب الذكري والمعنى كان وقت الاقتحام من الذين آمنوا وقال الزمخشري جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به (وتواصوا) اى وصبروا وأوصى بعضهم بعضا (بالصبر) اى على الطاعة وعن المعصية والمحن التي يبتلى بها المؤمن (وتواصوا بالمرحمة) اى بالرحمة على عباده بان يكونوا متراحمين متعاطفين اى بما يؤدي الى رحمة الله تعالى (أولئك) اى الموصوفون بهذه الصفات (أصحاب الميمنة) اى الجانب الذي فيه اليمن والبركة والنجاة من كل هلكة قال محمد بن كعب اى الذين يؤتون كتبهم بايمانهم وقال يحيى بن سلام لانهم ميامين على أنفسهم وقال ابن زيد لانهم أخذوا من شق آدم الايمن عليه السلام وقال ميمون بن مهران لان منزلتهم عن اليمين وقال الزمخشري الميمنة اليمين أو اليمن (والذين كفروا) اى ستروا ما تظهر لهم مرائي بصائرهم من العلم (بآياتنا) اى على ما لها من العظمة بالاضافة الينا والظهور الذي لا يمكن خفاؤه من القرآن وغيره (هم أصحاب المشأمة) اى الخصلة المكسبة للشؤم والحرمان قال محمد بن كعب اى الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقال يحيى بن سلام لانهم مشائيم على أنفسهم وقال ابن زيد لانهم أخذوا من شق آدم الايسر عليه السلام وقال ميمون لان منزلتهم عن اليسار وقال الزمخشري المشأمة الشمال أو الشؤم قال القرطبي ويجمع هذه الاقوال أصحاب الميمنة هم أصحاب الجنة وأصحاب المشأمة هم أصحاب النار (عليهم) اى خاصة (نار مؤصدة) اى مطبقة وقرأ أبو عمرو وحفص وحمزة بالهمزة والباقون بغير همزة اى بواو ساكنة وهما لغتان يقال آصدت الباب وأوصدته اذا أغلقته وأطبقته وقيل معنى المهموز المطبقة وغير المهموز المغلقة وقراءة حمزة أبدل على أصله وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة حديث موضوع

وتعظيما لمنزلته (قوله ووالد وما ولد) الوالد آدم وما ولد ذريته وقال وما ولم يقل ومن لان في ما من الابهام ما ليس في من فقصد بها التفخيم والتعظيم كأنه تعالى قال وأي شيء عجيب ولد ونظيره قوله تعالى والله

سورة الشمس مكية

وهي خمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفا

(بسم الله) الذي له الاسماء الحسنى (الرحمن) الذي عم الامر بأخذ (الرحيم) الذي خص

خلق باسمه

خواصه بالفردوس الاعلى وقوله تعالى (والشمس) اى الجامعة بين النفع والضر بالنور والحر (وضحاها) قسم وقد تقدم الكلام على أن الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته وقيل لتقدير ورب الشمس الى تمام القسم * واختلف فى قوله تعالى وضحاها فقال مجاهد والكلبى ضوءها وقال قتادة هو النهار كله وقال مقاتل هو حرها وقال لقوله تعالى فى طه ولا تضحى اى لا يؤذيك الحر وقال المبرد انبساطها قال الرازى انما أقسم بالشمس لكثرة ما يتعلق بها من المصالح فان أهل العالم كانوا كالاموات فى الليل فلما ظهر الصبح فى المشرق صار ذلك الضوء كالروح الذى تنفخ فيه الحياة فصارت الاموات أحياء ولا تزال تلك الحياة فى القوة والزيادة الى غاية كمالها وقت الضحوة وذلك يشبه استقرار أهل الجنة (والقمر) اى المكتسب من نورها كما ان أنوار النفوس من أنوار العقول (اذا تلاها) اى تبعها وذلك اذا سقطت رؤى الهلال قال الليث يقال تلوت فلانا اذا تبعته وقال ابن زيد اذا غربت الشمس فى النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفى آخر الشهر يتلوها بالغروب وقال الفراء تلاها أى أخذ منها يعنى أن القمر يأخذ من ضوء الشمس وقال الزجاج تلاها أى حين استوى ودار وكان مثلها فى الضياء والنور وذلك فى الليالى البيض (والنهار) اى الذى هو محل الانتشار فيما جرت به الاقدار (اذا جلاها) اى الشمس بارتفاعه لان الشمس تنجلى فى ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة وأرسلت يريدون السماء (والليل) أى الذى هو ضد النهار فهو محل السكون والانقباض (اذا يغشاها) اى يغطيها بظلمته فتغيب وتظلم الآفاق وقيل الكناية للارض اى يغشى الدنيا بالظلمة فتظلم الآفاق فالكناية ترجع الى غير مذكور وجىء بيغشاها مضارعا دون ما قبله وما بعده مراعاة للفواصل اذ لو أتى به ماضيا لكان التركيب اذا غشيها فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع *(تنبيه)* اذا فى الثلاثة لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم (والسماء وما) اى ومن (بناها) اى خلقها على هذا السقف المحكم أو [illegible] لى نفسه وباعظم مخلوقاته قوله تعالى (والارض) اى التى هى فراشكم (وما) اى ومن (طحاها) اى بسطها ووسعها [illegible] (ونفس) اى [illegible] (سواها) [illegible] الاحكم فى أعضائها وما فيها من الجواهر والاعراض والمعانى وغير ذلك (فان قيل) لم نكر النفس (أجيب) بوجهين أحدهما انه يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس آدم عليه السلام كانه قال تعالى وواحدة من النفوس ثانيهما انه يريد كل نفس ونكره للتكثير على الطريقة المذكورة فى قوله تعالى علمت نفس وانما وجبت ما على من اذ كر لارادة الوصفية بما ضمنا وان لم يوصف بلفظه اذ المراد انما تقع على نوع من يعقل وعلى صفته ولذلك مثلوا بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم وقدروها بانكحوا الطيب وهذا تفرد به ما دون من وهذه الاسماء كلها مجرورة على القسم أقسم الله تعالى بانواع مخلوقاته المتضمنة المنافع العظيمة حتى يتأمل المكلف فيها ويشكر عليها لان الذى يقسم الله تعالى به يحصل به وقع فى القلب فتكون الدواعى الى تأمله أقوى (فألهمها) اى النفس (فجورها وتقواها)

أعلم بما وضعت

(سورة الشمس)

(قوله ونفس وما سواها) ذكرها دون بقية ما أقسم به لانه لا يدخل ال لام الجنس الداخلة النفس غير الانسان مع انه المقصود مرادا لقوله فالهمها فجورها وتقواها

قال ابن عباس رضي الله عنهما بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعن ابي صالح عرفها ما تأتي وما تتقي وقال سعيد بن جبير الزمها فجورها وتقواها وقال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار الزجاج هذا وحمل الالهام على التوفيق والخذلان قال البغوي وهذا بين أن الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور وعن أبي الاسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر سبق اوفيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم قلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت منه فزعا شديدا وقلت انه ليس شيء الا وهو خلقه وملك يده لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقال لي سددك الله انما سألتك لا حزر عقلك ان رجلا من جهينة او مزينة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس ويكدحون فيه أشيء قضي الله عليهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وأكدت به الحجة فقال في شيء قد قضي عليهم قال فقلت ففيم العمل الآن قال من كان الله خلقه لاحدى المنزلتين يهيئه الله تعالى لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها وعن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له * واختلف في جواب القسم فاكثر المفسرين على أنه (قد أفلح) اي ظفر بجميع المرادات والاصل لقد وانما حذفت اللام لطول الكلام وقيل انه ليس بجواب وانما جيء به تابعا لقوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم قد كذبوا صالحا ولتبعثن وقيل هو على التقديم والتأخير من غير حذف والمعنى قد أفلح (من زكاها) اي طهرها من الذنوب ونماها وأصلحها وصفاها ونقيها عظيم ما يسره الله تعالى له من العلوم النافعة والاعمال الصالحة (وقد خاب) اي خسر (من دساها) اي أغواها غواية عظيما وأفسدها وأهلكها بخبائث الاعتقادات ومساوي الاعمال وقبائح السيئات والشمس وضحاها وفاعل زكاها ودساها ضمير من وقيل ضمير الباري سبحانه وتعالى اي قد أفلح من زكاها الله بالطاعة وقد خاب من دساها اي خسرت نفس دساها الله تعالى بالمعصية وأنكر الزمخشري على صاحب هذا القول لمنافرته مذهبه ولكن قال بعض المفسرين الحق انه خلاف الظاهر لا كما قاله الزمخشري وقال ابن عباس رضي الله عنهما خابت نفس أضلها الله تعالى وأغواها وأصل الزكاة النمو والزيادة ومنه زكا الزرع اذا كثر ريعه ومن ثم ... [illegible] التدسية ... وأصل دساها دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشيء ... [illegible] والمعنى أخفاها أخفى محلها بالكفر والمعصية وعن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل ... [illegible] ... اللهم آت نفسي تقواها أنت ... [illegible]

ولا الى لام العهد واذ ليس المراد نفسا واحدة معهودة بتقدير انه اريد بها آدم فالتنكير ادل على التفخيم والتعظيم كامر في سورة الفجر وغيرها (قوله قد افلح من زكاها) جواب القسم

ز كاها أنت وليها ومولاها اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن قلب لا يخشع ومن دعوة لا يستجاب لها (كذبت ثمود) وهم قوم صالح كذبوا رسولهم صالحا عليه السلام وأنث فعلهم لضعف أثر تكذيبهم لان كل سامع له يعرف ظلمهم فيه لوضوح آيتهم (بطغواها) أى اوقعت التكذيب لرسولها بكل ما أتى به عن الله تعالى أى طغيانها وقيل ان الباء للاستعانة قال الزمخشرى مثلها فى كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة فى فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعنى فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمنى بجرائه على الله تعالى وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية (اذ) أى تحقق تكذيبهم أو طغيانهم بالفعل حين (انبعث أشقاها) أى قام وأسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا عليه السلام انبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا فعقر الناقة وعن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب فذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى اهله مثل أبى زمعة وقوله عارم أى شديد ممتنع قال الزمخشرى ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك فى افعل التفضيل اذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث *(تنبيه)* اذ منصوب بكذبت أو بطغواها (فقال لهم) أى بسبب الانبعاث أو التكذيب الذى دل على قصدهم لها بالاذى (رسول الله) اى صالح عليه السلام وعبر بالرسول لان وظيفته الابلاغ والتحذير الذى ذكره ولذلك قال تعالى مشيرا بحذف العامل الى ضيق الحال عن ذكره لعظم الهول وسرعة التعذيب عند مسهم اياها بالاذى وزاد فى التعظيم باعادة الجلالة (ناقة الله) اى الملك الاعظم الذى له الامر كله وهى منصوبة على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبى الصبى باضمار اتقوا أو احذروا ناقة الله (وسقياها) أى وشربها فى يومها وكان لها يوم ولهم يوم لانهم لما اقترحوا الناقة فاخرجها لهم من الصخرة جعل لهم شرب يوم من بئرهم ولها شرب يوم فشق عليهم واضافة الناقة الى الله تعالى اضافة تشريف كبيت الله (فكذبوه) أى صالحا عليه السلام بطغيانهم فى وعيدهم بالعذاب (فعقروها) أى عقرها الاشقى بسبب ذلك التكذيب واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله وان كان العاقر جماعة فواضح وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس وهذان خير الناس وهذه المرأة أشقى القوم ولهذا لم يقل أشقياها (فدمدم) أى فاطبق (عليهم ربهم) أى الذى أحسن اليهم فغمرهم احسانه فقطعه عنهم بسبب تكذيبهم فاهلكهم وأطبق عليهم العذاب يقال دمدمت عليه القبر أطبقته عليه (بذنبهم) أى بسبب كفرهم وتكذيبهم وعقرهم الناقة وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما دمدم عليهم ربهم بذنبهم أى بجرمهم وقال القشيرى وقيل دمدمت على الميت التراب أى سويته عليه فالمعنى على هذا فجعلهم تحت التراب (فسواها) أى فسوى عليهم الارض فجعلهم تحت التراب وعلى الاول فسوى الدمدمة عليهم أى عمهم بها فلم يفلت منهم احدا وقرأ

بحذف اللام لطول الكلام وقيل جوابه محذوف تقديره ليبعثن اوليدمرن بأهل مكة

(ولا يخاف) نافع وابن عامر بالفاء والباقون بالواو والفاء تقتضي التعقيب والواو يجوز أن تكون للحال وأن تكون للاستئناف الاخباري وضمير الفاعل في يخاف الاظهر عوده على الله تعالى لانه أقرب مذكور وهو قول ابن عباس ويؤيده قراءة الفاء المسببة عن الدمدمة والتسوية والهاء في قوله تعالى (عقباها) ترجع الى الفعلة وذلك لانه تعالى يفعل ذلك بحق وكل من فعل فعلا بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وقيل المراد تحقيق ذلك الفعل والله تعالى أجل من أن يوصف بذلك وقيل المعنى انه تعالى بالغ في الانذار اليهم مبالغة من لا يخاف عاقبة عذابهم وقيل يرجع ذلك الى رسولهم صالح عليه السلام أي لا يخاف عقبى هذه العقوبة لانذاره اياهم ونجاه الله وأهلكهم وقال السدي يرجع الضمير الى أشقاها أي انبعث لعقرها والحال انه غير خائف عاقبة هذه الفعلة الشنعاء وقرأ الكسائي جميع رؤس آي هذه السورة بالامالة محضة وقرأها أبو عمرو بين بين وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين وأمال حمزة مثل الكسائي الا تلاها وضحاها فانه فتحهما والباقون بالفتح واتفقوا على فتح فعقروها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر حديث موضوع

سورة والليل مكية

وهي احدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة أحرف

(بسم الله) الملك الحق المبين (الرحمن) الذي عم رزقه العالمين (الرحيم) الذي خص بجنته المؤمنين وقوله تعالى (والليل) أي الذي هو آية الظلام (اذا يغشى) [illegible] من الكلام على ذلك ولم يذكر تعالى مفعولا للعلم به فقيل يغشى بظلمته كل ما بين السماء والارض وقيل يغشى النهار وقيل الارض وقيل الخلائق [illegible] النور والظلمة [illegible] تعالى (والنهار) أي الذي هو سبب انكشاف الامور (اذا تجلى) أي كشف [illegible] آخر قال الرازي أقسم بالليل [illegible] عن الاضطراب ويغشاهم النوم الذي جعله الله تعالى [illegible] تعالى بالنهار اذا تجلى لان النهار اذا جاء انكشف [illegible] الذي تحرك فيه الناس لمعايشهم وتحركت الطير [illegible] كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لبطلت الراحة [illegible] تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقال تعالى [illegible] (وما) بمعنى من أي ومن (خلق الذكر والانثى) أي [illegible] أي ومن خلق الله الذكر والانثى وجاز [illegible] اسم الله تعالى [illegible] الخالق [illegible] والانثى آدم وحواء عليهما السلام أو كل ذكر وانثى من [illegible] [illegible]

قوله اذ انبعث اشقاها
وقدار بن سالف وقيل هو
مصدع بن دهر

(سورة الليل)

كان مشكلا عندنا وقيل كل ذكر وأنثى من الآدميين فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته وقوله تعالى (ان سعيكم) أى عملكم (لشتى) جواب القسم والمعنى ان اعمالكم لمختلف فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية ويجوز ان يكون محذوفا كما قيل فى نظائره المتقدمة وشتى واحده شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه أى ان عملكم المتباعد بعضه من بعض اشتى لان بعضه ضلال و بعضه هدى أى فيكم مؤمن وبر وكافر وفاجر ومطيع وعاص وقيل لشتى أى لمختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل لمختلف الاخلاق فمنكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل قال بعض المفسرين نزلت هذه الآية فى أبى بكر وأبى سفيان بن حرب وروى أبو مالك الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها أى مهلكها وقوله تعالى (فاما من أعطى) أى وقع منه اعطاء على ما حددناه وأمرنا به (واتقى) أى ووقعت منه التقوى وهى ايجاد الوقايات من الطاعات واجتناب المعاصى خوفا من سطواتنا (وصدق بالحسنى) تفصيل لبين انشقيت المساعى واختلف فى الحسنى فقال ابن عباس أى بلا اله الا الله وقال مجاهد بالجنة لقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وقال زيد بن اسلم الصلاة والزكاة والصوم (فسنيسره) أى نهيئه بما لنا من العظمة بوعد لاخلف فيه (لليسرى) أى لاسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد بن أسلم لليسرى اى للجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس منفوسة الا كتب الله تعالى مدخلها فقال القوم يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال صلى الله عليه وسلم بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فانه ميسر لعمل أهل السعادة واما من كان من أهل الشقاوة فانه ميسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى (واما من بخل) أى أوجد هذه الحقيقة الخبيثة فمنع ما أمر به وندب اليه (واستغنى) أى طلب الغنى عن الناس وعما وعد به من الثواب أو وجده بما زعمت له نفسه الخائنة وظنونه الكاذبة فلم يحسن الى الناس ولا عمل للعقبى (وكذب) أى أوقع التكذيب لمن يستحق التصديق (بالحسنى) اى فانكرها وكان تامدا مع المحسوسات كالبهائم (فسنيسره) اى نهيئه (للعسرى) اى للخلة المؤدية الى العسرة والشدة كدخول النار وعن ابن عباس قال نزلت فى امية بن خلف وعنه فسنيسره للعسرى اى سأحول بينه و بين الايمان بالله ورسوله وعنه ايضا واما من بخل اى بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى اى بالخلف الذى وعده الله تعالى فى قوله سبحانه وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وقال مجاهد وكذب بالحسنى أى بالجنة وعنه بلا اله الا الله ويجوز فى ما فى قوله تعالى (وما يغنى عنه ماله) ان تكون نافية أى لا يغنى عنه ماله شيأ وان تكون استفهاما انكاريا أى اى شئ يغنى عنه ماله (اذا تردى) قال ابو صالح اى اذا سقط فى جهنم وقيل هو كناية عن الموت كما قال القائل

نصيبك مما تجمع الدهر كله * رداآن تطوى فيهما وحنوط

* ولما عرفهم سبحانه ان سعيهم شتى و بين ما للمحسنين من اليسرى وما للمسيئين من العسرى

(قوله الا الاشقى) المراد (قوله ان سعيكم الشقى) جواب القسم وقيل لشتى) جوابه محذوف كما مر فى

اخبرهم بان عليه بيان الهدى من الضلال بقوله تعالى (ان علينا) اى بالنامن القدرة والعظمة (للهدى) اى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا فنبين طريق الهدى من طريق الضلال ليمتثل آمرنا بسلوك الاول ونهينا عن ارتكاب الثانى وقال الفراء معناه ان علينا الهدى والاضلال فحذف المعطوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهو معنى قول ابن عباس يريد أرشد اوليائى للعمل بطاعتى وأحول بين أعدائى أن يعملوا بطاعتى وهو معنى الاضلال وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله تعالى سبيله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل (وان لنا للآخرة والاولى) أى انا مافى الدنيا والآخرة فنعطى فى الدارين مانشاء لمن نشاء فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق وعن ابن عباس قال ثواب الدنيا والآخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (فانذرتكم) أى حذرتكم وخوفتكم يا أيها المخالفون للطريق الذى ينبغيه (نارا تلظى) بحذف احدى التاءين من الاصل اى تتلهب وتتوقد وتتوهج يقال تلظت النار تلظيا ومنه سميت جهنم لظى وقرأ البزى فى الوصل بتشديد التاء وهو عسر لالتقاء الساكنين على غير حدهما وهو نظير قوله تعالى اذ تلقونه والباقون بغير تشديد (لا يصلاها) أى لا يقاسى شدتها على طريق اللزوم والانغماس (الا الاشقى) أى الذى هو فى الذروة من الشقاوة وهو الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه أشقى ووصفه بقوله تعالى (الذى كذب) النبى صلى الله عليه وسلم (وتولى) أى عن الايمان او كذب الحق وأعرض عن الداعية أو الاشقى بمعنى الشقى كقوله استقيها بأوحد أى بواحد والحصر قول لقوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فيكون المراد الصلى المؤبد (وسيجنبها) أى النار الموصوفة بوعد لاخلف فيه (الاتقى) أى الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لايدخلها فضلا ان يدخلها او يصلاها ومفهوم ذلك على التقسيم الاول ان من اتقى الشرك دون المعصية لايجنبها ولا يلزم ذلك صليها ولا يخالف الحصر السابق او الاتقى بمعنى التقى على وزان ماص (الذى يؤتى ماله) أى يصرفه فى وجوه الخير اقوله تعالى (يتزكى) فانه بدل من يؤتى او حال من فاعله فعلى الاول لامحل له لانه داخل فى حكم الصلة والصلة لامحل لها وعلى الثانى محله نصب قال البغوى يعنى أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى قول الجميع قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له أبوه أى بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهرى أريد فانزل الله تعالى وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد بن اسحق قال كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال ابن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لاتزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك أحد أحد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه قال مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح فقال لامية الا تتقى الله تعالى فى هذا المسكين قال أنت أفسدته فانقذه مماترى قال أبو بكر افعل عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو

سورة الضحى

(قوله ماودعك الآية) جواب القسم (قوله ووجدك

نظائره السابقة

على دينك أعطيكه قال قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذه فأعتقه وكان قد أعتق ست رقاب على الإسلام قبل أن يهاجر وبلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأعتق أم عميس فأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله تعالى بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بني عبد الدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها وهي تقول لهما والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فأعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فأعتقها وقال سعيد بن المسيب بلغني أن أمية بن خلف قال له أبو بكر في بلال أتبيعه قال نعم أبيعه بقسطاس عبد لأبي بكر صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله له فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال له أمية أبيعه بغلامك قسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه وروى الضحاك عن ابن عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول أحد أحد فمر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول أحد أحد فقال أحد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر يا أبا بكر إن بلالا يعذب في الله فعرف أبو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به إلى أمية بن خلف فقال له أتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله تعالى (وما لأحد عنده) أي أبي بكر (من نعمة تجزى) أي يد يكافئه عليها وقوله تعالى (إلا ابتغاء) استثناء منقطع أي لم يفعل ذلك مجازاة لأحد بيد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء (وجه ربه) أي المحسن إليه (الأعلى) وطلب رضاه ويجوز أن يكون متصلا من محذوف مثل لا يؤتى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) أي بما يعطى من الثواب في الجنة وروي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالا والآية تشمل من فعل مثل فعله فيبعد عن النار ويثاب وقرأ حمزة والكسائي يغشى تجلى والأنثى أشقى من أعطى واتقى وصدق بالحسنى واستغنى بالحسنى يسرى للعسرى تردى للهدى والأولى تلظى الأشقى وتولى الأتقى يتزكى تجزى الأعلى يرضى بالإمالة محضة في جميع ذلك وأمال ورش جميع ذلك بين بين والفتح عنه قليل وله في سنن أعطى الفتح وبين اللفظين سواء وأمال أبو عمرو بين بين الأمن أعطى لأنه ليس برأس آية والباقون بالفتح وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي للعسرى اليسرى بالإمالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح وأمال حمزة والكسائي يصلاها محضة وورش الفتح وبين اللفظين وإذا اجتمع غلظ اللام وإذا أمال رققها وأما الأشقى والأتقى فلا يمالان إلا في الوقف دون الوصل وقول البيضاوي تبعا للزمخشري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر حديث موضوع

سورة والضحى مكية

ضالا أي عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداك إليها أو ضالا في صغرك في شعاب مكة فردك إلى

وهي احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وسبعون حرفا ولما نزلت كبر النبي صلى الله عليه وسلم فسن التكبير آخرها وروى الامر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها وهو الله أكبر او لا اله الا الله والله أكبر

(بسم الله) الملك ذي الجلال والاكرام (الرحمن) الذي عم بنعمته الخاص والعام (الرحيم) الذي خص أهل وده باتمام الانعام وقوله تعالى (والضحى) قسم وقدم الكلام على ذلك وخصه بالقسم لانها الساعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام وألقى السحرة فيها سجدا وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقال البغوي أراد النهار كله بدليل انه قابله بالليل في قوله تعالى (والليل) اى الذي به تمام الصلاح (اذا سجى) أي سكن وركد ظلامه وقال ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجى البحر سكنت أمواجه وطرف ساج فاتر وقال قتادة أقسم بالضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى وبليلة المعراج التي عرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل) ما الحكمة في أنه تعالى قدم هنا الضحى وفي السورة التي قبلها الليل (أجيب) بان لكل منهما أثرا عظيما في صلاح العالم وللليل فضيلة السبق لقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة النور فقدم سبحانه هذا تارة وهذا أخرى كالركوع والسجود في قوله تعالى اركعوا واسجدوا وقوله تعالى واسجدي واركعي مع الراكعين أو أنه قدم الليل في سورة أبي بكر لان أبا بكر سبقه كفر وقدم الضحى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم لانه نور محض ولم يتقدمه ذنب وأن سورة والليل سورة أبي بكر وسورة والضحى سورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل بينهما واسطة ليعلم أنه لا واسطة بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر رضي الله تعالى عنه (فان قيل) ما الحكمة في كونه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته (أجيب) بان في ذلك اشارة الى ان ساعة من نهار توازن جميع الليل كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم يوازن جميع الانبياء عليهم السلام وأيضا الضحى وقت السرور والليل وقت الوحشة ففيه اشارة الى أن سرور الدنيا أقل من شرورها وان هموم الدنيا أدوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل ساعات ويروى أن الله تعالى لما خلق العرش أظلت غمامة سوداء ونادت ماذا أمطر فأجيبت أن امطري الهموم والاحزان مائة سنة فلذا ترى الهموم والاحزان دائمة والسرور قليلا ونادرا وقدم ذكر الضحى وأخر الليل لانه يشبه الموت وقوله تعالى (ما ودعك) اى تركك يا أشرف الرسل تركا يحصل به فرقة كفرقة المودع ولو على أحسن الوجوه في هذا المراد المودع (ربك) اى المحسن اليك بجواب القسم (وما قلى) اى وما بغضك وحذفت الكاف لانه رأس آية [illegible] الى الله [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] فانها ما روى

ان

جدك عبد المطلب او وجدك ناسيا فهداك الى الذكر لان الضلال جاء بمعنى النسيان كما في

أن خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت
السرير فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه وسلم
يا خولة ما حدث في بيتي ان جبريل عليه السلام لا يأتيني قالت خولة فكنست فأهويت
بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى الله
عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فانزل
الله تعالى هذه السورة ولما نزل جبريل عليه السلام سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن
التأخير فقال أما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة رابعها ما روي ان اليهود سألوا النبي
صلى الله عليه وسلم عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف فقال صلى الله عليه وسلم
سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي الى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله
تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله فاخبره بما سئل عنه وفي هذه القصة
نزلت ما ودعك ربك واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقال ابن جريج اثنا عشر يوما وقال
ابن عباس خمسة عشر يوما وقال مقاتل أربعون يوما قالوا وقال المشركون ان محمدا ودعه
ربه وقلاه فانزل الله تعالى هذه السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى
اشتقت اليك فقال جبريل عليه السلام اني كنت اليك أشد شوقا ولكني عبد مأمور وأنزل
الله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك (وللآخرة) التي هي المقصود من الوجود بالذات لانها
باقية خالصة عن شوائب الكدر (خير لك) اي لما فيها من الكرامات لك (من الاولى) اي
الدنيا الفانية لأن أمورها فيها خالص وقيد تعالى بقوله سبحانه لك لانها ليست خيرا لكل أحد
قال البقاعي انقسام الناس على أربعة أقسام منهم من له الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الاغنياء
ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الآخرة وهم
الكفرة الاغنياء ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في الآخرة وهم المؤمنون الفقراء وروى
البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أهل البيت اختار الله
لنا الآخرة على الدنيا (ولسوف يعطيك) اي بوعد لا خلف فيه وان تأخر وقته بما انعمه الاداة
(ربك) اي المحسن اليك بتربيته اليك من النعم في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلا (فترضى) اي به فقال
صلى الله عليه وسلم اذا لا أرضى وواحد من أمتي في النار وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن
النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب
الى محمد فسله ما يبكيك فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
قال وهو أعلم فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك وعن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت
دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا وعن عوف بن مالك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي
الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا وعن شريح
قال سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول انكم معشر أهل العراق تقولون ارجى آية في القرآن
قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا أهل البيت نقول ارجى
آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي هذا وعد لما أعطاه الله تعالى في الدنيا من

قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وانما جمع بينهما في قوله لا يضل ربي ولا ينسى لان

الفتح والظفر باعـداته يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس فى الدين افواجا والغلبـة على قريظة والنضـير واجلائهم وبث عسـاكره وسراياه فى بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين فى اقطار الارض من المدائن وهدم بايديهـم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف فى قلوب اهـل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسـلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما اعطاه فى الآخرة من الثواب الذى لا يعـلم كنهه الا الله تعالى قال ابن عباس له فى الجنة الف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسـك (فان قيل) ما هذه اللام الداخلة على سوف (أجيب) بانها لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا محـذوف تقديره ولانت سوف يعطيك وذلك أنها لا تخلو من ان تكون لام قسم أو ابتـداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد فبقى أن تكون لام ابتداء ولام الابتدا لا تدخـل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقـدير مبتدا خـبر وأن يكون أصله ولانت سوف يعطيك (فان قيل) ما معـنى الجمع بين حرفى التأكيد والتأخير (اجيب) بان معناه ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لما فى التاخير من المصلحة ثم انه تعالى اخبر نبيه صلى الله عليه وسـلم بالحال التى كان عليها فقال جل ذكره (ألم يجدك) وهو استفهام تقرير اى وجدك (يتيما) وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وقيل مات قبل ولادته وماتت امه وهو ابن ثمان سنين (فآوى) اى بان ضمك الى عمك ابى طالب فاحسـن تربيتك وعن مجاهد هو من قول العرب درة يتيمة اذا لم يكن لها نظير فالمعـنى ألم يجدك يتيما واحـدا فى شرفك لا نظير لك فآواك الله تعالى باصحاب يحفظونك ويحوطونك وهـذا خلاف الظاهر من الآية واهـذا قال الزمخشرى ومن بدع التفاسـير انه من قولهـم درة يتيمة وان المعنى ألم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك (فان قيل) كيف ان الله تعالى يمن بنعمه والمن بها لا يليق واى قدم يعوت فى قوله لموسى عليه السلام ألم نربك فينا وليدا (اجيب) بان ذلك يحسن اذا قصد به تقوية قلبه ووعده بدوام النعمة فاستبان ان الله قد [illegible] فى [illegible] لا فى [illegible] الادنى واختلفوا فى قوله تعالى (ووجدك ضالا فهدى) فاكثر المفسرين على أنه كان ضالا عما هو عليه الآن من الشريعة فهداه الله تعالى اليها وقيل الضلال بمعنى الغفلة كقوله تعالى لا يضل ربى ولا ينسى اى لا يغفل وقال تعالى فى حق نبيه صلى الله عليه وسلم وان كنت من قبله لمن الغافلين فالمعنى انك لم تكن تدرى القرآن وشرائع الاسـلام فهداك الى القرآن وشرائع الاسلام وقال السـدى ووجدك ضالا اى فى قوم ضلال فهداهم الله تعالى بك او فهداك الى ارشادهم وقيـل ووجدك ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ناسيا شأن الاستثناء حين سئلت عن اصحاب الكهف وذى القرنين والروح فذكرك تفويضه الى ان تضل احداهما فتذكر احداهما وقيل ووجدك طالبا للقبلة فهداك اليها كقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآية ويكون الضلال بمعنى الطلب لان الضال طالب وقيل وجدك متحيرا فى توضيح ما انزل اليك فهداك اليه فيكون الضلال بمعنى الحيرة كما قال [illegible] انا لنراك فى ضلال مبين اى [illegible] القديم اى فى [illegible]

[illegible]

[illegible]

أضـلالا ليس بمعنى النسيان بل بمعنى الخطا او الغفلة (قوله ووجدك عائلا فاغنى) اى فقيرا

ويروى الضحاك عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه أبو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة عبد خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة ناقة فجاء ابليس فاخذ بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى أرض الحبشة ورده الى القافلة فمن الله تعالى عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لاتدري من انت فعرفك نفسك وحالك وقال كعب ان حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد اليك النور والبهاء والجمال قالت فوضعته لاصلح شاني فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم أره فقلت معشر الناس أين الصبي فقالوا لم نر شيأ فصحت وامحمداه فاذا شيخ فان يتوكأ على عصا فقال اذهبي الى الصنم الاعظم فان شاء أن يرده اليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه وقال يارب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم أن ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك عنا أيها الشيخ فهلاكنا على يد محمد فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لايضيعه فاطلبيه على مهل فانحشرت قريش الى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى أن يرده وقال

يارب رد ولدي محمدا * اردده ربي واصطنع عندي يدا

فسمعوا مناديا ينادي من السماء معاشر الناس لاتضجوا فان لمحمد ربا لايخذله ولايضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان وبالورق وفي رواية مازال عبد المطلب يردد البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول ألا تدري ماذا جرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم فقال اني أنخت الناقة وأركبته خلفي فابت الناقة أن تقوم فلما اركبته أمامي قامت الناقة قال ابن عباس رده الله تعالى الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقيل وجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وأنت لاتعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقال بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة منفردة من الارض لاشجرة معها سموها ضالة فيهدى بها الى الطريق فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا أي لا أحد على دينك بل أنت وحيد ليس معك أحد فهديت بك الخلق الي وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره فقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أي وجد قومك ضلالا فهداهم بك وقيل غير ذلك قال الزمخشري ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فان أراد أنه كان على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان أراد انه كان على كفرهم ودينهم فمعاذ الله والانبياء عليهم الصلاة والسلام يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر (ووجدك عائلا) أي فقيرا (فأغنى) قال

فأغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها الا بكثرة المال وفي الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس (قوله فاما اليتيم فلا تقهر) واذكر يتمك واما السائل فلا تنهر واذكر فقرك واما

مقاتل فرضاك بما أعطاك من الرزق واختاره الفقراء وقال لم يكن غنى عن كثرة المال ولكن الله تعالى أرضاه بما أعطاه وذلك حقيقة الغنى قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس وقال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وقيل أغناك بمال خديجة وتربية أبي طالب ولما اختل ذلك أغناه بمال أبي بكر ولما اختل ذلك أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم وروى الزمخشري أنه صلى الله عليه وسلم قال جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال الرازي العائل ذو العيلة ثم أطلق على الفقير ويجوز أن يراد ووجدك ذا عيال لا تقدر على التوسعة عليهم فأغناك بما حصل لك من ربح التجارة ثم من كسب الغنائم وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي مسئلة وددت اني لم أكن سألته قلت يارب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى يارب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى يارب قال ألم أجدك عائلا فأغنيتك قلت بلى يارب وفي رواية ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يارب ثم أوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال تعالى (فأما اليتيم) أي هذا النوع (فلا تقهر) قال مجاهد لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقال الفراء لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت العرب تفعل في أموال اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال باصبعيه انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير باصبعيه *(تنبيه)* اليتيم منصوب بتقهر وبه استدل ابن مالك على انه لا يلزم من تقديم المعمول تقديم العامل الا ترى ان اليتيم منصوب بالمجزوم وقد تقدم على الجازم ولو تقدم على لا امتنع لان المجزوم لا يتقدم على جازمه كالمجرور لا يتقدم على جاره وفي الآية دلالة على اللطف باليتيم وبره والاحسان اليه وقال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما وكان في نفقته وكفاه مؤنته كان له حجابا من النار يوم القيامة وقال من مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وقال قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم (فان قيل) ما الحكمة في ان الله تعالى اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم اليتم (أجيب) بوجوه أحدها ان يعرف حرارة اليتم فيرفق باليتيم ثانيها يشاركه في الاسم فيكرم لاجل ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له في المجالس ثالثها ليستند من أول عمره على الله تعالى فيشبه ابراهيم عليه السلام في قوله حسبي من سؤالي علمه بحالي رابعها ان اليتيم تظهر عيوبه فلما لم يجدوا فيه عيبا لم يجدوا فيه مطعنا خامسها جعله يتيما ليعلم كل أحد ان فضيلته ابتداء من الله تعالى لا من تعليم لان من له أب فانه يؤدبه ويعلمه سادسها اليتم والفقر نقص في العادة فكونه صلى الله عليه وسلم مع هذين الوصفين من أكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فيكون معجزة (وأما السائل) أي الذي أحوجته العيلة أو غيرها الى السؤال (فلا تنهر) أي فلا تزجره بل انهره وأنم رهله ازجره وأغلظ عليه القول ولكن رده ردا جميلا قال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل بريدنا الى الآخرة يجيء الى باب أحدكم فيقول هل تبعثون الى أهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل هنا الذي يسأل عن الدين

بنعمة ربك التي هي النبوة او الاسلام فحدث واذكر ضلالك

(سورة الم نشرح)

(قوله الم نشرح لك صدرك)

(ان قلت) ما فائدة ذكر لك فيه وعنك فيما بعده مع أن الكلام تام بدونهما (قلت)

وروى الزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل أما انه ليس السائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره (واما بنعمة ربك) اى المحسن اليك بالنبوة وغيرها (فحدث) بها فان التحدث بها شكرها وانما يجوز لغيره صلى الله عليه وسلم مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدي به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن في الذكر الا التشبه باهل الرياء والسمعة لكفى والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شئ فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله تعالى بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله تعالى في أن هداه من الضلالة وقال مجاهد تلك النعمة هي القرآن والتحديث به أن يقرأ ويقرئ غيره وعنه أيضا تلك النعمة هي النبوة أي بلغ ما انزل اليك من ربك وقيل تلك النعمة هي ان وفقك الله سبحانه وتعالى فراعيت حق اليتيم والسائل فحدث بها ليقتدي بك غيرك وعن الحسن بن علي قال اذا عملت خيرا فحدث به اخوانك ليقتدوا بك الا أن هذا لا يحسن الا اذا لم يتضمن رياء وظن ان غيره يقتدي به كما علم مما مر وروى ان شخصا كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال له صلى الله عليه وسلم ألك مال قال نعم فقال له صلى الله عليه وسلم اذا آتاك الله مالا فلير أثره عليك وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده (فان قيل) ما الحكمة في أن الله تعالى أخر حق نفسه عن حق اليتيم والسائل (أجيب) بكأنه يقول أنا غني وهما محتاجان وحق المحتاج أولى بالتقديم واختار قوله سبحانه وتعالى فحدث على قوله تعالى فاخبر ليكون ذلك حديثا عنه لا ينساه ويعيده مرة بعد أخرى وقرأ والضحى سجى قلى الاولى فترضى فآوى فهدى فاغنى حمزة والكسائي بامالة محضة لكن حمزة لم يمل سجى وامال ورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح وروى أبي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بلغ الضحى كبر بين كل سورتين الى ان يختم القرآن ويفصل بينهما بسكتة وكأن المعنى في ذلك ان الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه فنزلت هذه السورة فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر قال مجاهد قرأت على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فامرني به وأخبرانه صلى الله عليه وسلم أمره به وبعض القراء لا يكبر لان ذلك ذريعة الى الزيادة في القرآن وقال القرطبي القرآن ثبت نقله بالتواتر سوره وآياته وحروفه بغير زيادة ولا نقصان فالتكبير ليس بقرآن وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والضحى جعله الله ممن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل يتيم وسائل حديث موضوع

فائدة الابهام ثم الايضاح وذلك من انواع البلاغة فلما قال تعالى الم نشرح لك فهم ان ثم مشروحا ثم قال صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذا الكلام في وضعنا عنك (قوله فان مع العسر يسرا) * ان قلت مع

سورة الم نشرح مكية

وهي ثمان آيات وتسع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف

(بسم الله) الظاهر الباطن الملك العلام (الرحمن) الذي عم المخلوقين بالانعام (الرحيم) الذي خص اولياءه بدار السلام وقوله تعالى (ألم نشرح) استفهام تقرير اى شرحنا بما يليق بعظمتنا (لك) يا اشرف الخلق (صدرك) بالنبوة وغيرها حتى وسع مناجاتنا ودعوة الخلق اوفسحناه بما اودعنا فيه من الحكم والعلوم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي كان يكون معه العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وقيل انه اشارة الى ماروى ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم في صباه او في يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما (فان قيل) لم قال تعالى صدرك ولم يقل قلبك (اجيب) بان محل الوسوسة هو الصدر كما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فازال تلك الوسوسة وابدلها بدواعي الخير فلذلك خص الشرح بالصدر دون القلب وقال محمد بن على الترمذي القلب محل العقل والمعرفة والشيطان يجيء الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا أغار فيه وبث جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة فاذا طرد العدو في الابتداء حصل الامن وانشرح الصدر (فان قيل) لم قال تعالى ألم نشرح لك صدرك ولم يقل ألم نشرح صدرك (أجيب) بوجهين أحدهما كانه تعالى يقول لام بلام فانت انما تفعل جميع الطاعة لاجلى وأنا أيضا جميع ما أفعله لاجلك ثانيهما ان فيه تنبيها على ان منافع الرسالة عائدة اليك لاجلك لا لاجلنا واختلف في قوله تعالى (ووضعنا) أي بما لنا من العظمة (عنك وزرك) فقال الحسن ومجاهد حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية وهو قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال الحسين بن الفضل يعني الخطأ والسهو وقيل ذنوب أمتك وأضافها اليه لاشتغال قلبه بها (الذي أنقض) اى أثقل (ظهرك) قال أبو عبيدة خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بها حتى لا تثقل عليك وقيل كان في الابتداء يثقل عليه الوحي حتى يكاد يرمي نفسه من شاهق الى أن جاءه جبريل عليه السلام وأزال عنه ما كان يخاف من تغير العقل وقيل عصمناك من احتمال الوزر وحفظناك قبل النبوة في الاربعين من الادناس حتى نزل عليك الوحي وانت مطهر (ورفعنا) أي بما لنا من القدرة التامة (لك ذكرك) روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال يقول الله عز وجل لا ذكرت الا ذكرت معي في الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم عرفة وأيام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح ومشارق الارض ومغاربها ولو أن رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا وقيل أعلينا ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وفي الارض عند المؤمنين ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يعني التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد

المصاحبة فاء معنى مصاحبة العسر واليسر (قلت) لما عير المسلمين المشركون بفقرهم وعدمهم الفقير اقريبا من زمان عسرهم واوادنا كبد الوعد وتسلية قلوبهم بجعل اليسر كالمصاحب

وضم الاله اسم النبي الى اسمه ✱ اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ✱ فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل عام في كل ما ذكر وهذا أولى وكم من موضع في القرآن يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز وقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ✱ ولما كان المشركون يعيرونه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله واحتقارهم ذكره ما أنعم الله به عليه من جلائل النعم ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة فقال تعالى (فان مع العسر) اى ضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم (يسرا) اى كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك فان مع العسر الذى أنتم فيه يسرا (فان قيل) ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب العسر واليسر (أجيب) بان الله تعالى أراد أن يصيبهم بيسر بعد العسر الذى كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة فى التسلية وتقوية للقلوب وقوله تعالى (ان مع العسر يسرا) استئناف وعد الله تعالى بان العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك للصائم ان للصائم فرحتين أى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب ويجوز أن يراد باليسرين ما تيسر من الفتوح فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم أيام الخلفاء وقيل تكرير (فان قيل) ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم لن يغلب عسر يسرين وقد روى مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين (أجيب) بان هذا حمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد الله لا يحمل الا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول عنه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر فى قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها فى النفوس وتمكينها فى القلوب وكما تكرر المفرد فى قولك زيد زيد وأن تكون الاولى عدة بان العسر مردف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذى كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد فى قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما أن يكون للجنس الذى يعلمه كل أحد فهو هو أيضا وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثانى مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال أو بان لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذى وعد الله المؤمنين فيها واليسر الذى وعدهم فى الآخرة انما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدائم غير زائل أى لا يجتمعان فى الغلبة كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اى لا يجتمعان فى النقصان (فان قيل) فما معنى هذا التنكير (أجيب) بانه للتفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما وأى يسر روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان العسر فى جحر ضب لتبعه اليسر حتى يخرجه وللطبرانى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان العسر فى جحر لدخل اليسر حتى يخرجه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ✱ ولما عدد تعالى على

العسر فى سرعة مجيئه (فان قلت) لم ذكر ذلك مرتين بقوله فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا (قلت) لان معناه فان مع العسر الذى انت فيه من مقاساة الكفار يسرا فى العاجل ان مع العسر الذى

نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السابقة ووعده الآنعة حثه على الشكر والاجتهاد في العبادة بقوله تعالى (فاذا فرغت) قال ابن عباس رضي الله عنهما فرغت من صلاتك المكتوبة (فانصب) اى انصب في الدعاء وقال ابن مسعود رضي الله عنه فاذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وقال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقال الحسن وزيد بن أسلم اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وصل وقال ابن حبان عن الكلبي اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انى أكره أن أرى أحدكم فارغا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة (والى ربك) اى المحسن اليك بفضائل النعم خصوصا بما ذكر في هاتين السورتين (فارغب) اى اجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقيل تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا من النار عصمنا الله تعالى وأحبابنا منها بمحمد صلى الله عليه وسلم وآله وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني حديث موضوع

أنت فيه من مقاساتهم بيسر في الأجل فلا تكرار والعسر واحد والتعريف أولا للجنس وثانيا للعهد واليسر اثنان بدليل تنكيرهما والتنكير فيهما للتفخيم والتعظيم ولذلك روى

سورة والتين والزيتون مكية

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة مدنية وهي ثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفا

(بسم الله) الذي له الملك كله (الرحمن) الذي وسع الخلائق عدله (الرحيم) الذي خص أولياءه بتوفيقه فظهر عليهم جوده وفضله وقوله تعالى (والتين والزيتون) قسم وتقدم نظائر ذلك أقسم بهما لانهما عجيبتان من بين أصناف الاشجار المثمرة روى انه أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبياء من قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم هذا الذي تأكلون وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت وقال عكرمة هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال الضحاك التين مسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وحسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس (وطور سينين) اى الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه عز وجل وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه فأضيف الجبل الى المكان الذي هو فيه وقال مقاتل والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة

النبط ولم ينصرف سينين كما لا ينصرف سيناء لانه جعل اسما للبقعة او الارض ولو جعل اسما للمكان او للمنزل او اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام وهي الارض المقدسة وقد بارك الله تعالى فيها قال الله تعالى الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله ولا يجوز ان يكون سينين نعتا للطور لاضافته اليه (وهذا البلد الامين) اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين وهي مكة حرسها الله تعالى لانها الحرم الذى يامن الناس فيه فى الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد ورقه اى شجره ولا تلتقط لقطته الا لمنشد او المامون فيه يامن فيه من دخله قال الزمخشري ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر منها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم عليه السلام ومولد عيسى عليه السلام ومنشؤه والطور المكان الذى نودى منه موسى عليه السلام ومكة البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه اه وقوله تعالى (لقد خلقنا) اى قدرنا واوجدنا بما لنا من العظمة والقدرة التامة (الانسان) جواب القسم والمراد بالانسان الجنس الذى يجمع فيه الشهوة والعقل وفيه من الانس بنفسه ما ينسيه اكثر مهمه الشامل لآدم عليه السلام وذريته وقيل نزلت فى منكرى البعث وقيل فى الوليد بن المغيرة وقيل كلدة بن اسيد وقوله تعالى (فى احسن تقويم) صفة لمحذوف اى فى تقويم احسن تقويم وقال ابو البقاء فى احسن تقويم فى موضع الحال من الانسان واراد بالتقويم القوام لان التقويم فعل وذاك وصف للخالق لا للمخلوق ويجوز ان يكون التقدير فى احسن قوام التقويم فحذف المضاف ويجوز ان تكون فى زائدة اى قومناه احسن تقويم اه واحسن التقويم اعدله لانه تعالى خلق كل شئ منكبا على وجهه وخلق الانسان مستويا وله لسان ذلق ويد واصابع يقبض بها قال ابن العربي ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الله تعالى وعبر عنها بعض العلماء ووقع البيان بقوله ان الله تعالى خلق آدم على صورته يعنى على صفاته المتقدم ذكرها وفى رواية على صورة الرحمن ومن اين يكون للرحمن صورة شخصية فلم تكن الا معانى روى ان عيسى بن يوسف الهاشمى كان يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكونى احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتنى فبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر فاحضر الفقهاء واستشارهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا واحدا من اصحاب ابى حنيفة فانه كان ساكتا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم يا امير المؤمنين فالانسان احسن الاشياء ولا شئ احسن منه فقال المنصور لعيسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك فارسل المنصور اليها ان اطيعى زوجك فما طلقك وهذا يدل على ان الانسان احسن خلق الله تعالى ولذلك قيل انه العالم الاصغر اذ كل ما فى المخلوقات اجتمع فيه (ثم رددناه) اى بعض افراده بما لنا من القدرة الكاملة (اسفل سافلين) اى الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير اسفل من هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة

عن عمر وابن عباس وابن
مسعود بل عن النبى صلى
الله عليه وسلم لن يغلب
عسر يسرين وقيل كرر
ذلك انما كرر كما فى قوله
ويل يومئذ للمكذبين
لتقرير معناه فى النفوس
وتمكينه فى القلوب

ولا يهتدى سبيلا فتقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد اسوداده وكل بصره وسمعه وكانا حديدين وتغير كل شئ منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها أسفل من بعض فقوله تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا) اى تصديقا لدعواهم الايمان (الصالحات) اى الطاعات استثناء متصل على الثانى على ان المعنى رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أهل النار وأسفل من سفل من أهل الدركات فالاتصال على هذا اوضح وعلى الاول منقطع اى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى (فلهم) اى فتسبب عن ذلك أن كان لهم (أجر غير ممنون) اى ثواب دائم غير منقطع على طاعاتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى اياهم بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم وفى الحديث اذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر ثم قال تعالى الزاما للحجة (فما يكذبك) اى أيها الانسان الكافر (بعد) اى بعد ما ذكر من خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة الى أن يستوى ويكمل ويصير فى أحسن تقويم ثم رده الى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث فيقول ان الذى فعل فى ذلك قادر على أن يعيدنى ويحاسبنى فما سبب تكذيبك أيها الانسان (بالدين) اى الجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون المعنى فما الذى يكذبك فيما تخبر به من الجزاء او البعث بعد هذه العبر التى توجب النظر فيها صحة ما قلت وقوله تعالى (أليس الله) اى الملك الاعظم على ماله من صفات الكمال (بأحكم الحاكمين) اى بأقضى القاضين يعنى الكفار و يحكم عليهم بما هم اهله وفى الحديث من قرأ التين الى آخرها فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التين أعطاه الله تعالى خصلتين العافية واليقين ما دام فى دار الدنيا واذا مات أعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة حديث موضوع

سورة العلق مكية

وهى عشرون آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وسبعون حرفا

(بسم الله) الذى له صفة الكمال المستحق للالوهية (الرحمن) الذى عم بجوده سائر البرية (الرحيم) الذى خص أهل طاعته بالمثابة الاخروية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد أن أول سورة نزلت من القرآن (اقرأ باسم ربك) وأول ما نزل خمس آيات من أولها الى قوله تعالى ما لم يعلم وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة وفى لفظ الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وفى لفظ حتى فجئه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فيه فقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذنى فغطنى

فاصبر ان محمد ان كالصابرين

(سورة التين)

(قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) قال ذلك هنا وقال فى سورة البلد لقد خلقنا الانسان فى كبد ولا منافاة بينهما لراعاة

فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ قال فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ قال فاخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ باسم ربك حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله تعالى ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخى ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى انزل على موسى ياليتنى أكون فيها جذعا ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجى هم فقال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفى وفتر الوحى زاد البخارى قال وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا حتى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل عليه السلام فقال له يا محمد انك لرسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك ففى هذا الحديث دليل صحيح على ان سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المدثر اول ما نزل من القرآن وعلى من قال ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم وهذا الحديث من مراسيل الصحابة ومرسل الصحابى حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصادقة لئلا يفجأه الملك ويأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحتملها القوى البشرية فبدئ باوائل خصال النبوة وتباشير الوحى ثم (قوله) محل باسم ربك النصب على الحال أى اقرأ مفتتحا باسم ربك أو مستعينا به قل بسم الله ثم اقرأ وقال أبو عبيدة مجازه اقرأ اسم ربك يعنى ان المعنى اذكر اسمه امر أن يبتدئ القراءة باسم الله تعالى تأديبا وقيل الباء بمعنى على أى اقرأ على اسم ربك كما فى قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها قاله الاخفش (فان قيل) كيف قدم هذا الفعل على الظاهر وقدم واخر فى بسم الله الرحمن الرحيم أى على سبيل الاولوية كما فى اياك نعبد واياك نستعين ولانه تعالى مقدم ذاتا لانه قديم واجب الوجود لذاته فيقدم ذكرا (أجيب) بان هذا فى ابتداء القراءة وتعليمها للناس انها أول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله تعالى أهم فى نفسه وذكرت أجوبة غير هذا فى مقدمتى على البسملة والحمدلة وقوله تعالى (الذى خلق) يجوز أن لا يقدر له مفعول ويراد أنه الذى حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وأن يقدر له مفعول ويراد خالق كل شئ فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس

الفواصل فى السور زين
ولان معناه هنا منه كثير
من المفسرين منتصب
القامة معتدلها ان يكون
فى احسن تقويم
وذلك لا ينافى كونه فى كبد

بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله تعالى (خلق الانسان) أى هذا الجنس الذى من شأنه الانس بنفسه ومارأى من أخلاقه وحسنه وما ألفه من أبناء جنسه تخصيص بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو أشرف ما على الارض ويجوز أن يراد الذى خلق الانسان كما قال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذى خلق مبهما ثم فسره بقوله تعالى خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته وقوله تعالى (من علق) جمع علقة وهى الدم الجامد فاذا جرى فهو المسفوح * ولما كان الانسان اسم جنس فى معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤس الآى أيضا وقوله تعالى (اقرأ) تكرير للمبالغة أو الاول مطلق والثانى للتبليغ أو فى الصلاة قال البيضاوى ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك قال ما أنا بقارئ فقيل له اقرأ (وربك الاكرم) أى الزائد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم على عباده النعم التى لاتحصى ويحلم عنهم ولا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهى فى اطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم (الذى علم) أى بعد الحلم عن معاجلتهم بالعقاب جودا منه تعالى من غير مانع من خوف عاقبة ولا رجاء منفعة (بالقلم) أى الخط بالقلم (علم الانسان ما لم يعلم) فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموه ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هى لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل الا أمر القلم والخط لكفى به ولبعضهم فى صفة القلم

ورواقم رقش كمثل اراقم * قطف الخطا نيالة أقصى المدى

سود القوائم ما يجد مسيرها * الا اذا لعبت بها بيض المدى

وقال قتادة القلم نعمة من الله تعالى ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه تعالى وروى عبد الله بن عمر قال قلت يارسول الله أكتب ما أسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب فان الله تعالى علم بالقلم ويروى ان سليمان عليه السلام سال عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة وعن عمر قال خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده ثم قال تعالى لسائر الحيوان كن فكان وهى القلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام وفيمن علم بالقلم ثلاثة أقوال أحدها قال كعب اول من كتب بالقلم آدم عليه الصلاة والسلام ثانيها قال الضحاك ادريس عليه السلام ثالثها انه جميع من كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله تعالى وقال القرطبى الاقلام ثلاثة فى الاصل القلم الاول الذى خلقه الله تعالى بيده وامره أن يكتب فى اللوح المحفوظ والثانى قلم الملائكة الذى يكتبون به المقادير والحوادث والثالث اقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها الى مآربهم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة قال بعض العلماء وانما حذرهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان فى اسكانهن الغرف تطلعا الى الرجال وليس فى ذلك تحصين لهن ولا تستر وذلك انهن لا يملكن

(قوله ثم رددناه أسفل سافلين) ان فسر بالرد الى جهنم فهو سفل حقيقى والاستثناء بعده متصل وعليه فقوله فلهم أجر غير ممنون قائم مقام قوله فلا

انفسهن حين يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة فحذر من ذلك وكذلك تعليم الكتابة ربما كان سببا للفتنة لانها قد تكتب لمن تهوى والكتابة عين من العيون بها يبصر الشاهد الغائب والخط اشارة اليد وفيها تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان فهي ابلغ من اللسان فاحب صلى الله عليه وسلم ان يقطع عن المرأة اسباب الفتنة تحصينا لها وقوله تعالى (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه وان لم يذكره لدلالة الكلام عليه فانه تعالى قد عدد مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من احسن المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته (ان الانسان) اي هذا النوع الذي من شأنه الانس بنفسه والنظر في عطفه (ليطغى) اي من شأنه الا من عصمه الله تعالى ان يزيد على الحد الذي لا ينبغي له مجاوزته (ان رآه) اي راى نفسه (استغنى) اي وجد له الغنى بالمال وقيل ان يرتفع عن منزلته في اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل كان اذا ازداد ماله زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية وسمع بها المشركون اتاه ابو جهل فقال يا محمد أتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد خيرهم في ذلك فان شاؤا فعلنا بهم ما ارادوا فان لم يفعلوا فعلنا بهم كما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء لهم وقيل ان رآه استغنى بالعشيرة والانصار والاعوان وحذف اللام من قوله تعالى ان رآه كما يقال انكم لتطغون ان رأيتم غناكم فرأى علمية واستغنى مفعول ثان وان رآه مفعول له (ان الى ربك) اي المحسن اليك بالرسالة التي رفع بها ذكرك لا الى غيره (الرجعى) مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع ففي ذلك تخويف للانسان بان يجازي العاصي بما يستحقه وقوله تعالى (ارأيت) في مواضعها الثلاث للتعجب (الذي ينهى) اي على سبيل التجدد والاستمرار وهو ابو جهل (عبدا) اي من العبيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم (اذا صلى) اي خدم سيده الذي لا يقدر احد ان ينكر سيادته بايقاع الصلاة التي هي اعظم العبادات نزلت في ابي جهل وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقالوا نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته ولاعفرن وجهه في التراب قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته فنكص على عقبيه وهو يتقي بيده فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه خندقا من النار وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله تعالى هذه الآية وفي رواية لو فعل لاخذته الملائكة زاد الترمذي عيانا وعن الحسن انه امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة وفائدة التنكير في قوله تعالى عبدا الدلالة على انه كامل العبودية كأنه قيل ينهى اشد الخلق عبودية عن العبادة وهذا عين الجهل وقيل ان هذا الوعيد يلزم كل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا يدخل في ذلك المنع من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهي عن ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يدخل ايضا منع السيد عبده والرجل زوجته عن صوم التطوع وقيام الليل والاعتكاف لان ذلك مصلحة الا ان يأذن فيه السيد والزوج (أرأيت ان كان) اي المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم (على الهدى)

ردهم اسفل سافلين
او بالرد الى اسفل العمر
فهو تسفل في الرتب
والاوصاف بالنسبة الى
رتب الشباب واوصافه
والاستثناء بعد منقطع

وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء وعن ورش ابدالها ألفا وأسقطها الكسائي والباقون بالتحقيق وقوله تعالى (أو أمر بالتقوى) أي الاخلاص والتوحيد للتقسيم *(تنبيه)* قوله تعالى أرأيت تكرير للاول وكذا الذي في قوله تعالى (أرأيت ان كذب) وهو أبو جهل (وتولى) عن الايمان (ألم يعلم) أي يقع له علم يوما من الايام (بأن الله) الذي له صفات الكمال (يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك أي اعجب منه يا مخاطب في نهيه عن الصلاة من حيث ان المنهي على الهدى آمر بالتقوى وفي وجه التعجب وجوه أحدها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعز الاسلام اما بأبي جهل واما بعمر بن الخطاب وهو ينهى عبدا اذا صلى الثاني أنه يلقب بأبي الحكم فقيل أيلقب بهذا وهو ينهى عن الصلاة فيتعجب منه ومن حيث ان الناهي مكذب متول عن الايمان الثالث انه كان يأمر وينهى ويعتقد وجوب طاعته ثم انه ينهى عن طاعة الله تعالى وقوله تعالى (كلا) ردع للناهي (لئن لم ينته) أي عما هو فيه واللام لام قسم (لنسفعا بالناصية) أي لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معد يكرب

قوم اذا نقع الصريخ رأيتهم * ما بين ملجم مهره أو سافع

والنقع الصوت * ولما علم انها ناصية المذكور اكتفى باللام عن الاضافة والآية وان كانت في أبي جهل فهي عظة للناس وتهديد لمن يمنع غيره عن طاعة الله تعالى وقوله تعالى (ناصية) بدل من الناصية قال الزمخشري وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت أي بـ(كاذبة خاطئة) واستقلت بفائدة واعترض عليه بأن هذا مذهب الكوفيين فانهم لا يجيزون ابدال النكرة من معرفة الا بشرط وصفها أو كونها بلفظ الاول ومذهب البصريين لا يشترط شيء والمعنى لنأخذن بناصية أبي جهل الكاذبة في قولها الخاطئة في فعلها والخاطئ معاقب مأخوذ والمخطئ غير مأخوذ ووصفت الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجوه بالنظر في قوله تعالى الى ربها ناظرة وانما وصفت الناصية بالكاذبة لانه كان يكذب على الله تعالى في أنه لم يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى رسوله في أنه ساحر وليس بنبي ووصفت بأنها خاطئة لان صاحبها تمرد على الله تعالى كما قال تعالى لا يأكله الا الخاطئون فهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ وروي أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فوالله لاملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا فأنزل الله تعالى (فليدع) أي دعاء استغاثة (ناديه) أي أهل ناديه ليعينوه فهو على حذف مضاف لان النادي هو المجلس الذي ينتدي فيه القوم قال تعالى وتأتون في ناديكم المنكر أي يتحدثون فيه أو على التجوز لانه مشتمل على الناس كقوله تعالى واسأل القرية ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه أهله والمعنى فليدع عشيرته فلينتصر بهم (سندع) أي بوعد لا خلف فيه (الزبانية) قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد زبانية جهنم سموا بها لانهم يدفعون أهل النار اليها بشدة مأخوذ من الزبن وهو الدفع وقال الزمخشري الزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية وقال الزجاج هم الملائكة

وعليه فقوله فلهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع والضعف والمعنى الهرم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال شبيبتهم وقوتهم اذا عجزوا بالهرم

الغلاظ الشداد قال ابن عباس رضى الله عنهما لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله تعالى وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية قال أبو جهل أنا أدعو قومى حتى يمنعوا عنى ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رأيت عنده فارسا وهددنى بالزبانية فلا أدرى الزبانية ومال الى الفارس فخشيت منه أن يأكلنى قال ابن عباس رضى الله عنهما والله لو دعا ناديه لاخذته ملائكة العذاب من ساعته وقوله تعالى (كلا) ردع لابى جهل اى ليس الامر على ما يظنه أبو جهل (لا تطعه) اى فيما دعاك اليه من ترك الصلاة كقوله تعالى ولا تطع المكذبين وقوله تعالى (واسجد) يحتمل أن يكون بمعنى السجود فى الصلاة وأن يكون سجود التلاوة فى هذه السورة ويدل لهذا ما ثبت فى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه أنه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اذا السماء انشقت وفى اقرأ باسم ربك الذى خلق سجدتين وهذا نص أن المراد سجود التلاوة ويدل للاول قوله تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى قوله تعالى كلا لا تطعه واسجد اى ودم على سجودك قال الزمخشرى يريد الصلاة لانه لا يرى سجود التلاوة فى المفصل والحديث عليه (واقترب) اى وتقرب الى ربك بطاعته وبالدعاء اليه قال صلى الله عليه وسلم أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فقمن اى فحقيق أن يستجاب لكم وكان صلى الله عليه وسلم يكثر فى سجوده من البكاء والتضرع حتى قالت عائشة رضى الله عنها اذ غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء فى السجود وما هذا الجهد الشديد قال أفلا أكون عبدا شكورا وفى رواية أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وقرأ يطغى استغنى اذا صلى على الهدى بالتقوى وتولى حمزة والكسائى جميع ذلك بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كأنما قرأ المفصل كله حديث موضوع

سورة القدر مدنية

فى قول أكثر المفسرين وحكى الماوردى عكسه وذكر الواحدى انها أول سورة نزلت بالمدينة وهى خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا

(بسم الله) الملك الاعظم الذى لا يحد بالاباء (الرحمن) الذى عم بجوده جميع خلقه أقصاه وأدناه (الرحيم) الذى قرب أهل طاعته وأبعد من عاداهم وأشقاه وقوله تعالى (انا أنزلناه) اى بما لنا من العظمة اى القرآن فيه تعظيم له من ثلاثة أوجه أحدها انه أسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثانى انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذى أنزل فيه وقوله تعالى (فى ليلة القدر وما أدراك) اى أعلمك يا أشرف الخلق (ما ليلة القدر) فان فى ذلك تعظيما لشأنها روى أنه أنزله جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأملاه جبريل عليه

عن العمل كتب لهم ثواب ما كانوا يعملون الى وقت موتهم

(سورة العلق)

(قوله اقرأ باسم ربك) اى اوجد القراءة مبتدئا باسم

السلام على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحاجة اليه وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نزل في شهر رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عليه السلام عشرين سنة ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله تعالى واسطة ولا بين جبريل وبين محمد صلى الله عليه وسلم واسطة وعن الشعبي انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر وقيل المعنى أنزل في شأنها وفضلها فليست ظرفا وانما هو كقول عمر رضي الله عنه خشيت أن ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا أحقر في شأني أن ينزل في قرآن وسميت ليلة القدر لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره الى السنة القابلة من أمر الموت والاجل والرزق وغيره ويسلمه الى مدبرات الامور ومن الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلام كقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها الى أربابها في ليلة القدر وهذا يصلح أن يكون جمعا بين القولين في قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم فانه قيل انها ليلة النصف من شعبان وقيل ليلة القدر وحينئذ لا خلاف وقيل سميت بذلك لتضيقها بالملائكة قال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملائكة كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقيل سميت بذلك لعظمها وشرفها وقدرها من قولهم لفلان قدر اي شرف ومنزلة قاله الازهري وغيره وقيل سميت بذلك لان للطاعة قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقيل لانه أنزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر الى أمة ذات قدر ومعنى أن الله تعالى يقدر الآجال والارزاق انه يظهر ذلك للملائكة ويأمرهم بفعل ما هو من سنتهم ووظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد أنه يحدث في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والارض في الازل قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله تعالى المقادير قبل أن يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر واختلفوا هل هي باقية أو لا فقيل انها كانت مرة ثم انقطعت وقيل انها رفعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انها باقية الى يوم القيامة وروي عن عبد الله بن يحنس مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا أن ليلة القدر قد رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان أستقبله قال نعم وعن سعيد بن المسيب أنه سئل عن ليلة القدر أهي شيء كان فذهب أم هي في كل عام فقال بل هي لامة محمد صلى الله عليه وسلم ما بقي منهم اثنان واستدل من قال برفعها بقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن هذا القائل فان آخر الحديث فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها واختلفوا في وقتها فاكثر أهل العلم انها في شهر رمضان واحتجوا بقوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وقال تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر فوجب أن تكون ليلة القدر

بك واقرأ الثاني تاكيد له
وله الذي خلق) اى الخلائق
وخص قوله خلق الانسان
بالذكر مع دخوله في الاول
شرفه ونزول القرآن اليه
(قوله من علق) لم يقل من

الا في رمضان لئلا يلزم التناقض وروي عن أبي بن كعب أنه قال والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان حلف بذلك ثلاث مرات وعن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أسمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وقيل هي دائرة في جميع السنة لا تختص برمضان حتى لو علق طلاق امرأته او عتق عبده بليلة القدر لا يقع مالم تنقض سنة من حين حلف يروى ذلك عن ابي حنيفة وعن ابن مسعود أنه قال من يقم الحول يصبها وذكر عن أبي الحسن الشاذلي انه قال من أراد أن يعرف ليلة القدر فلينظر الى غرة رمضان اي الى اوله فان كان يوم الاحد فليلة القدر ليلة تسع وعشرين وان كان يوم الاثنين فليلة القدر احدى وعشرين وان كان يوم الثلاثاء فليلة سبع وعشرين وان كان يوم الاربعاء فليلة تسعة عشر وان كان يوم الخميس فليلة خمس وعشرين وان كان يوم الجمعة فليلة سبعة عشر وان كان يوم السبت فليلة ثلاث وعشرين وعلى القول الاول هل هي في كل رمضان أو في العشر الاخيرة ولان أحدهما انها في كل شهره واختلفوا في اي ليلة منه فقال ابن رزين هي الليلة الاولى من رمضان وقال الحسن البصري السابعة عشر وقال أنس التاسعة عشر وقال محمد بن اسحق الحادية والعشرون وقال ابن عباس الثالثة والعشرون وقال ابي بن كعب السابعة والعشرون وقيل التاسعة والعشرون وقيل ليلة الثلاثين وكل استدل على قوله بما يطول الكلام عليه والقول الثاني وهو ما عليه الاكثرون انها مختصة بالعشر الاخير منه واستدل لذلك باشياء منها ما روي عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال في رمضان فالتمسوها في العشر الاواخر ومنها ما روي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر مالا يجتهد في غيرها وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله واختلفوا في انها اي ليلة من العشر هل في ليلة من ليالي العشر كله أو في أوتاره فقط وهل تلزم ليلة بعينها أو تنتقل في جميعه أقوال والذي عليه الاكثر انها في جميعه ولكن أرجاها أوتاره وأرجى الاوتار عند امامنا الشافعي رضي الله عنه ليلة الحادي والعشرين أو الثالث والعشرين يدل للاول خبر الصحيحين وللثاني خبر مسلم وانها تلزم عنده ليلة بعينها وقال المزني صاحب الشافعي وابن خزيمة انها منتقلة في ليالي العشر جمعا بين الاحاديث قال النووي وهو قوي وقال في مجموعه انه الظاهر المختار وخصها بعض العلماء باوتار العشر الاواخر وبعضهم باشفاعه وقال ابن عباس وأبي هي ليلة سبع وعشرين وهو مذهب أكثر أهل العلم واستنبط ذلك بعضهم من أن ليلة القدر ذكرت ثلاث مرات وهي تسعة أحرف واذا ضربت تسعة في ثلاثة تكن سبعة وعشرين وبعضهم استنبط ذلك من عدد كلمات السورة وقال انها ثلاثون كلمة وفاقا وقوله تعالى هي السابع والعشرون وهي كناية عن هذه الليلة بان أنها الليلة السابع والعشرين وهو استنباط لطيف وليس بدليل كما قيل وفيها نحو الثلاثين قولا وبضع وعشرون حديثا وأفردت بالتصنيف وفيما ذكرناه كفاية وذكروا السبب في اخفائها عن الناس وجوها احدها انه تعالى أخفاها ليعظموا جميع السنة على القول بانها

علقة لان الانسان في معنى الجمع او رعاية للفاصلة قبله (قوله الذي علم بالقلم) مبهم فسره بقوله بعد علم الانسان مالم يعلم

(سورة القدر)

فيها أو جميع رمضان على القول به أو جميع العشر الأخير على القول به كما أخفى رضاه في الطاعات ليرغبوا في كلها وأخفى غضبه في المعاصي ليحذروها كلها وأخفى وليه في المسلمين ليعظموهم كلهم وأخفى الاجابة في الدعاء ليبالغوا في الدعوات وأخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة ليجتهدوا في العبادة في جميع أوقاته في غير الأوقات المنهي عنها طمعا في ادراكها وأخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل أسمائه تعالى وأخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل وأخفى التوبة ليواظب المكلف على جميع أقسامها وأخفى قيام الساعة ليكونوا على وجل من قيامها بغتة ثانيها ان العبد اذا لم يتيقن ليلة القدر واجتهد في الطاعة رجاء أن يدركها فيباهي الله تعالى به ملائكته ويقول تقولون فيهم يفسدون ويسفكون الدماء وهذا جده واجتهاده في الليلة المظنونة فكيف لو جعلتها معلومة له فحينئذ يظهر انى أعلم ما لا تعلمون ثالثها ليجتهدوا في طلبها والتماسها فينالوا بذلك أجر المجتهدين في العبادة بخلاف ما لو عينت في ليلة بعينها لحصل الاقتصار عليها ففاتت العبادة في غيرها * ثم ذكر الله تعالى فضلها من ثلاثة أوجه أحدها ما ذكره بقوله سبحانه (ليلة القدر) أى التى خصصناها بانزاله فيها (خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها ليلة قدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يارب جعلت أمتى أقصر الامم أعمارا وأقلها أعمالا فاعطاه الله تعالى ليلة القدر فقال تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر التى حمل فيها الاسرائيلى السلاح في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة أى فهى من خصائص هذه الامة وعن مالك انه سمع من يثق به من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فأعطاه الله تعالى ليلة القدر التى العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد ويؤخذ منه أنها أفضل ليالى السنة ويدخل في ذلك ليلة الاسراء فهى أفضل منها ان لم تكن ليلة الاسراء ليلة القدر كما قيل ان الاسراء كان في رمضان وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع فيكتب فيها جميع خير السنة وشرها وأرزاقها وآجالها وبلاياها ومحنها ومصائبها الى مثلها من السنة ولا يشكل ذلك بما قيل ان الآجال تقطع من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل ليتزوج ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى لانه ورد ان الله تعالى يأمر بنسخ ما يكون في السنة من الآجال والامراض والارزاق ونحوها في ليلة النصف من شعبان فاذا كان ليلة القدر تسلمها الملائكة بأمر ربها وقيل يقدر في ليلة النصف من شعبان الآجال والامراض وفي ليلة القدر الامور التى فيها الخير والبركة والسلامة * الوجه الثانى من صفاتها ما ذكره الله تعالى في قوله جل ذكره (تنزل) أى تتنزل تدريجا فوجا لا على غاية ما يكون من الكثرة والسرعة كما أشار اليه بحذف التاء (الملائكة) أى الى الارض ويرون انه اذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى (والروح) أى جبريل عليه السلام (فيها) أى في الليلة [illegible]

(قوله ليلة القدر خير) عدل عن الضمير الى الظاهر في لفظ القدر تعظيما لليلته (قوله من كل امر) متعلق بتنزل ومن بمعنى الباء كما في قوله

لواء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس ولواء على ظهر المسجد الحرام ولواء على ظهر طور سيناء ولا يدع بيتا فيه مؤمن ولا مؤمنة الا دخله وسلم عليهم يقول يا مؤمن ويا مؤمنة السلام يقرئك السلام الا على مدمن خمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى وهذا يدل على أن الملائكة كلهم لا ينزلون وظاهر الآية نزول الجميع وجمع بين ذلك بما روى انهم ينزلون فوجا فوجا كما ان أهل الحج يدخلون الكعبة فوجا بعد فوج وان كانت لا تسعهم دفعة واحدة كما ان الارض لا تسع الملائكة دفعة واحدة ولذلك ذكر بلفظ تنزل الذي يقتضي المرة بعد المرة اى ينزل فوج ويصعد فوج والله أعلم بذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان الملائكة في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى وقال بعضهم الروح ملك تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد ولكل لسان لغة لا تشبه لغة اخرى فاذا فتح أفواهه بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع مخافة ان تحرقهم أنوار أفواهه وانما يسبح الله تعالى غدوة وعشية فينزل في ليلة القدر فيشم الصائمين والصائمات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر وعن علي أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي ملكا رجلاه جاوزت من الارض السابعة السفلى ورأسه من السماء السابعة العليا ومن لدن رأسه الى قدميه وجوه وأجنحة في كل وجه فم ولسان يسبح الرحمن تسبيحا لا يسبحه العضو الآخر ولو أمره الله تعالى أن يلتقم السموات السبع والارضين السبع لقمة واحدة كما يلتقم أحدكم اللقمة لأطاق ذلك ثم لم تكن تلك في فيه الا كائمة أحدكم في فيه ولو سمع أهل الدنيا صوته بالتسبيح لصعقوا ما بين شحمة أذنه الى منكبه خفقان الطير السريع سبعة آلاف سنة هو رأس الملائكة وقيل الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر (باذن ربهم) أى بأمر المحسن اليهم المربي لهم (من كل أمر) أى قضاه الله تعالى فيها لتلك السنة الى قابل وتقدم الجمع بينها وبين ليلة النصف من شعبان ومن سببية بمعنى الباء ❊ الوجه الثالث من فضائلها ما ذكره تعالى بقوله سبحانه (سلام) أى عظيم جدا وهو خبر مقدم والمبتدأ (هي) جعلت سلاما لكثرة السلام فيها من الملائكة لا يمرون بمؤمن ولا مؤمنة الا سلمت عليه ويستمرون على ذلك من غروب الشمس (حتى) أى الى (مطلع الفجر) أى وقت مطلعه أى طلوعه وقرأ الكسائي بكسر اللام على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق والباقون بفتحها ❊ ومن فضائلها أن من قامها غفرت له ذنوبه ففي الصحيحين من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قال النووي في شرح مسلم ولا ينال فضلها الا من اطلعه الله تعالى عليها فلو قامها انسان ولم يشعر بها لم ينل فضلها قال الاذرعي وكلام المتولي ينازعه حيث قال يستحب التعبد في كل ليالي العشر حتى يحوز الفضيلة على اليقين

يحفظونه من امر الله
وقوله يلقي الروح من امره

(سورة البينة)

(قوله رسول من الله) اى من عنده كما ظهره في قوله ولما جاءهم رسول من عند الله (قوله يتلوا صحفا) هان

اه وهذا أولى لانه حال من المطلع أكمل اذا قام بوظائفها وعن أبي هريرة مرفوعا من صلى العشاء الاخيرة في جماعة من رمضان فقد أدرك ليلة القدر أي أخذ حظا منها ويسن لمن رآها ان يكتمها ويسن ان يكثر من الدعاء والتعبد في ليالي رمضان وأن يكون من دعائه اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عني ومن علاماتها ان الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها رواه مسلم عن أبي بن كعب وعن ابن مسعود قال ان الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان الا صبيحة ليلة القدر فانها تطلع يومئذ بيضاء ليس لها شعاع (فان قيل) لا فائدة في هذه العلامة فانها قد انقضت (اجيب) بانه يستحب أن يجتهد في ليلتها ويبقى يعرفها كما مر عن الشافعي أنها تلزم ليلة واحدة وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطي من الاجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر حديث موضوع

سورة لم يكن

وتسمى القيمة وتسمى المنفكين مكية في قول يحيى بن سلام ومدنية في قول الجمهور وهي ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعون حرفا

(بسم الله) الذي لا يخرج شيء عن مراده (الرحمن) الذي عم بنعمه جميع عباده (الرحيم) الذي خص أولياءه باسعاده * ولما كان الكفار صنفين أهل كتاب ومشركين ذكرهم الله تعالى في قوله سبحانه (لم يكن الذين كفروا) أي في مطلق الزمان الماضي والحال والاستقبال (من أهل الكتاب) أي من اليهود والنصارى الذين كان أصل دينهم حقا فالحدوا فيه بالتبديل والتحريف والاعوجاج في صفات الله تعالى ثم نسخه الله تعالى بما شرع من مخالفته في الفروع وموافقته في الاصول فكذبوا (والمشركين) أي بعبادة الاصنام والنار والشمس ونحو ذلك ممن ليس لهم كتاب يقرؤن في دين لم يكن له أصل في الحق وان لم يكن لهم كتاب *(تنبيه)* من البيان وقوله تعالى (منفكين) خبر يكن أي منفصلين وزائلين عما كانوا عليه من دينهم انفكاكا يزيلهم عنه بالكلية بحيث لا يبقى لهم به علاقة ويثبتون على ذلك الانفكاك وأصل الفك الفتح والانفصال لما كان ملتحما من فك الكتاب والختم والعظام اذا أزيل ما كان ملتحما أو متصلا به أو عن الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول المبشر به فان أهل الكتاب كانوا يستفتحون به والمشركين كانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم (فان قيل) لم قال تعالى كفروا بلفظ الماضي وذكر المشركين باسم الفاعل (أجيب) بان أهل الكتاب ما كانوا كافرين من أول الامر لانهم كانوا مصدقين بالتوراة والانجيل وبمبعث محمد صلى الله عليه وسلم بخلاف المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان وذلك يدل على الثبات على الكفر وقوله تعالى (حتى) أي الى أن (تأتيهم البينة) متعلق بيكن او بمنفكين والبينة الآية التي هي في البيان كالفجر المنير الذي لا يزداد بالتمادي الا ظهورا وضياء ونورا وذلك هو الرسول صلى الله عليه وسلم وما معه من الآيات التي أعظمها الكتاب وهو القرآن ثم قوله تعالى (رسول) أي عظيم جدا بدل من البينة بنفسه أو بتقدير

ثالث ظاهره انه يقرأ المكتوب من الكتاب مع انه منتف في حقه صلى الله عليه وسلم لكونه أميا (قلت) المراد بتلاوة في الصحف عن ظهر قلبه (فان قلت) ما الفرق بين الصحف

مضاف اى سنة رسول او مبتدأ وزاد عظمته بقوله تعالى واصفاله (من الله) اى الذى له الجلال والاكرام وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه فى نفسه بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى سراجا منيرا اولان اللام فى البينة للتعريف اى هو الذى سبق ذكره فى التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهم السلام وقد يكون التعريف للتفخيم اذهو البينة التى لامزيد عليها والبينة كل البينة وكذا التنكير وقد جمعهما الله تعالى ههنا فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى حين أثنى على نفسه ذو العرش المجيد فعال لما يريد فنكر بعد التعريف وقال ابو مسلم المراد من البينة مطلق الرسول وما معه من الآيات التى أعظمها الكتاب سواء التوراة او الزبور أو الانجيل او القرآن وعبر بالمضارع تجدد البيان فى كل وقت بتجدد الرسالة والتلاوة وقال البغوى لفظه مستقبل ومعناه الماضى أى حتى أتتهم البينة وتبعه على ذلك الجلال المحلى وقوله تعالى (يتلوا صحفا) صفة الرسول أو خبره والرسول صلى الله عليه وسلم وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما فى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبريل عليه السلام وهو التالى للصحف المنتسخة من اللوح التى ذكرت فى سورة عبس ولابد من مضاف محذوف وهو الوحى والصحف جمع صحيفة وهى القرطاس والمراد ما فيها عبر بها عنه لشدة المواصلة (مطهرة) أى فى غاية الطهارة والنزاهة من كل قذر مما جعلناها من البعد عن الادناس بان الباطل من الشرك بالاوثان وغيرها من كل زيغ لا يأتيها من بين يديها ولا من خلفها وانها لا يمسها الا المطهرون (فيها) أى تلك الصحف (كتب) أى أحكام مكتوبة (قيمة) أى مستقيمة ناطقة بالحق والعدل الذى لا مرية فيه ليس فيه شرك ولا عوج بنوع من الانواع (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) أى عما كانوا عليه وخص اهل الكتاب بالتفرق دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين لانهم يظنون بهم علما فاذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف (الا من بعد ما جاءتهم البينة) أى اتتهم البينة الواضحة والمعنى به محمد صلى الله عليه وسلم أتى بالقرآن موافقا للذى فى أيديهم من الكتاب بنعته وصفته وذلك أنهم كانوا مجتمعين على نبوته فلما بعث صلى الله عليه وسلم جحدوا نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من آمن كقوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد كان مجيء البينة يقتضى اجتماعهم على الحق لا تفرقهم فيه وقرأ حمزة وابن ذكوان بامالة الالف بعد الجيم محضة والباقون بالفتح ولما كان حال من أضل على علم أشنع زاد فى فضيحتهم فقال تعالى (وما أمروا) أى هؤلاء الكفار فى التوراة والانجيل (الا ليعبدوا الله) اى يوحدوا الاله الذى له الامر كله ولا أمر لاحد غيره واللام بمعنى أن كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم وقوله تعالى (مخلصين له الدين) فيه دليل على وجوب النية فى العبادات لان الاخلاص من عمل القلب وهو ان يراد به وجه الله تعالى لا غيره ومن ذلك قوله انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين (حنفاء) أى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وأصل الحنف فى اللغة الميل وخصه العرف بالميل الى الخير وسموا الميل الى الشر الحادا والحنيف المطلق الذى يكون متبرئا عن اصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين

والكتب حتى جمع بينهما فى الآية (قلت) الصحف قراطيس مطهرة من الشرك والباطل والكتب بمعنى المكتوبات اى فى القراطيس مكتوبة قيمة اى مستقيمة ناطقة

وعن فروعهما من جميع الفصل الى الاعتقادات وعن توابعهما من الخطا والنسيان الى العمل الصالح وهو مقام التقى وعن المكروهات الى المستحبات وهو المقام الاول من الورع وعن الفضول شفقة على خلق الله تعالى وهو مالا يعنى الى ما يعنى وهو المقام الثانى من الورع وعما يجر الى الفضول وهو مقام الزهد فالآية جامعة لمقامى الاخلاص الناظر أحدهما الى الحق والثانى الى الخلق * ولما ذكر أصل الدين اتبعه الفروع وبدأ باعظمها الذى هو مجمع الدين وموضع التجرد عن العوائق فقال عز من قائل (ويقيموا) أى يعدلوا من غير اعوجاج بجميع الشرائط والاركان والحدود (الصلوة) لتصير بذلك أهلا لان تقوم بنفسها وهى من التعظيم لامر الله تعالى ولما ذكر تعالى صلة الخالق اتبعها صلة الخلائق بقوله تعالى (ويؤتوا الزكوة) أى يدفعوها المستحقيها شفقة على خلق الله تعالى اعانة على الدين أى ولكنهم حرفوا ذلك وبدلوه لطباعهم المعوجة وتدخل الزكاة عند أهل الله تعالى فى كل ما رزق الله من عقل وسمع وبصر ولسان ويد ورجل وجاه وغير ذلك كما هو واضح من قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون (وذلك) أى والحال ان هذا الموصوف من العبادة على الوجه المذكور (دين القيمة) أى الملة المستقيمة وأضاف الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا بها الى الملة وقيل الهاء للمبالغة فيه وقيل القيمة هى الكتب التى جرى ذكرها أى وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو اليه وتأمر به كما قال تعالى وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال النضر بن شميل سألت الخليل بن أحمد عن قوله تعالى وذلك دين القيمة فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد قال البغوى ومجاز الآية وذلك دين القائمين لله تعالى بالتوحيد ثم ذكر تعالى ما للفريقين فقال سبحانه (ان الذين كفروا) اى وقع منهم الستر أى غطوا بعد معرفتها للنظر الصحيح فضلوا واستمروا على ذلك وان لم يكونوا عريقين فيه (من اهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (والمشركين) أى العريقين فى الشرك (فى نار جهنم) أى النار التى تلقاهم بالتجهم والعبوسة (خالدين فيها) أى يوم القيامة او فى الحال لسعيهم فى موجباتها او اشتراك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب التساوى فى النوع بل يختلف بحسب اشتداد الكفر وخفته (أولئك) أى هؤلاء البعداء البغضاء (هم) أى خاصة بما لضمائرهم من الخبث (شر البرية) أى الخليقة الذين أهملوا اصلاح أنفسهم وفرطوا فى حوائجهم ومآربهم وهذا يحتمل ان يكون على التعميم وان يكون بالنسبة لعصر النبى صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى وأنى فضلتكم على العالمين أى عالمى زمانهم ولا يبعد أن يكون فى كفار الامم قبل من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح * ولما ذكر تعالى الاعداء وبدأ بهم لان ذلك أردع لهم أتبعه الاولياء فقال تعالى مؤكدا لما للكفار من الانكار (ان الذين آمنوا) أى أقروا بالايمان (وعملوا) تصديقا لايمانهم (الصالحات) أى هذا النوع (أولئك) أى هؤلاء العالو الدرجات (هم) أى خاصة (خير البرية) أى على التعميم أو بالنسبة لعصرهم والتى فيه ما مر وقرأ نافع وابن ذكوان بالهمز فى الحرفين لانه من قولهم برأ الله الخلق والباقون بالياء المشددة [illegible] فى الاستعمال ثم ذكر ثوابهم بقوله تعالى (جزاؤهم) أى على طاعاتهم [illegible] بقوله تعالى (عند ربهم) اى المربى لهم والمحسن اليهم (جنات عدن) أى اقامة لا يتحولون عنها (تجرى)

(قوله بالعدل والحق وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) اى وهم اليهود والنصارى الا من بعد ما جاءتهم البينة اى محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن المعنى انهم كانوا

اى بجريان دائما الا انقطاع له (من تحتها) اى تحت أشجارها وغرفها (الانهار خالدين فيها) اى يوم القيامة أوفى الحال لسعيهم فى موجباتها وأكد معنى الخلود تعظيما لجزائهم بقوله تعالى (أبدا رضى الله) اى بما له من نعوت الجلال والجمال (عنهم) اى بما كان سبق لهم من العناية والتوفيق (ورضوا عنه) لانهم لم يبق لهم أمنية الا أعطاهموها مع علمهم انه تفضل فى جميع ذلك لا يجب عليه لاحد شئ ولا يقدره أحد حق قدره فلو آخذ الخلق بما يستحقونه لاهلكهم كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقال ابن عباس ورضوا عنه بثواب الله عز وجل (ذلك) اى الامر العالى الذى جوزوا به (لمن خشى ربه) اى خاف المحسن اليه خوفا يليق به فلم يركن الى التسويف والتكاسل فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير وهى للعارفين فان الانسان اذا استشعر عذابا يأتيه لحقته حالة يقال لها الخوف وهى انخلاع القلب عن طمأنينته فان اشتد سمى وجلا لجولانه فى نفسه فان اشتد سمى رهبا لادائه الى الهرب وهى حالة المؤمنين الفارين الى الله تعالى ومن غلب عليه الحب لاستغراقه فى شهود الجماليات لحقته حالة تسمى مهابة ووراء هذا الخشية انما يخشى الله من عباده العلماء فمن خاف ربه هذا الخوف انفك عن جميع ما عنده مما لا يليق بجنابه تعالى وما فارق الخوف قلبا الا خرب روى أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بن كعب ان الله أمرنى أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال أبى وسمانى لك قال النبى صلى الله عليه وسلم نعم فبكى أبى قال البقاعى سبب تخصيصه بذلك أنه وجد اثنين من الصحابة قد خالفاه فى القراءة فرفعهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فامرهما فعرضا عليه فحسن لهما قال فسقط فى نفسى من التكذيب أشد ما يكون فى الجاهلية فضرب صلى الله عليه وسلم فى صدرى ففضت عرقا وكانما أنظر الى الله فرقا اى خوفا ثم قص على خبر التخفيف بالسبعة الاحرف وكانت السورة التى وقع فيها الخلاف سورة النحل وفيها انه تعالى يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم يوم البعث شهيدا وانه نزل عليه الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وأنه نزل عليه روح القدس بالحق ليثبت الذين آمنوا وان اليهود اختلفوا فى السبت وسورة لم يكن على قصرها حاوية اجمالا لكل ما فى النحل على طولها وزيادة وفيها التحذير من الشك بعد البيان وتقبيح حال من فعل ذلك وان حاله يكون كحال الكفرة من أهل الكتاب فى العناد فيكون شر البرية فقرأها صلى الله عليه وسلم عليه تذكيرا له بذلك كله على وجه أبلغ وأخصر ليكون أسرع لتصوره فيكون أرسخ فى النفس وأثبت فى القلب وأعشق للطبع فاختصه الله بالتثبيت وأراد له الثبات فكان من المريدين المرادين لما وصل الى قلبه بركة ضربة النبى صلى الله عليه وسلم لصدره وحاله كلما قرأ هذه السورة الجامعة تمائما من تلاوة نفسه مصغيا باذن قلبه الى روح النبوة يتلوها عليه ذلك فيدوم له حال الشهود الذى وصل اليه ببركة تلك الضربة ولثبوته فى هذا المقام قال صلى الله عليه وسلم اقرؤكم أبى قال القرطبى وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم وقال بعضهم انما قرأ النبى صلى الله عليه وسلم على أبى ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه فى المنزلة وقيل ان أبيا كان أسرع أخذا لالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد بقراءته عليه أن يأخذ ألفاظه ويقرأ كما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليه ويعلم غيره

مجتمعين على الايمان به اذا جاءهم تفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من آمن كقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم

وفيه فضيلة عظيمة لابى اذ امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقرأ عليه وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا حديث موضوع

سورة الزلزلة مدنية

في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع وأربعون حرفا

(بسم الله) المحيط بكل شيء قدرة وعلما (الرحمن) الذي عم الخلق بنعمته الظاهرة فضلا (الرحيم) الذي أتم النعمة على خواصه حقيقة عينا واسماء ولما قال تعالى للمؤمنين جزاؤهم عند ربهم جنات عدن كأن المكلف قال متى يكون ذلك فقيل له (اذا زلزلت الارض) اي تحركت واضطربت لقيام الساعة فالعاملون كلهم يكونون في الخوف وأنت في ذلك الوقت تنال جزاءك وتكون آمنا لقوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون (زلزالها) اي تحريكها الشديد المناسب لعظم جرم الارض وعظمة ذلك وذلك كما تقول اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة ولما كان الاضطراب العظيم يكشف عن الخفي في المضطرب قال تعالى (وأخرجت الارض) اي كلها ولم يضمر تحقيقا للعموم (أثقالها) اي ما هو مدفون فيها من الكنوز والاموات قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد أثقالها أمواتها تخرجهم في النفخة الثانية ومنه قيل للجن والانس الثقلان وقيل أثقالها كنوزها ومنه الحديث تقيء الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا فمن اعطاه الله تعالى قوة اخراج ذلك كله كما كان يعطيها قوة أن تخرج النبات الصغير اللطيف الطري الذي هو اتم من الحرير فتشق الارض الصلبة التي تكل عنها المعاول بل تشق الحجر واتم من ذلك الصلابة التي استعصت بها على الحديد فتنفلق نصفين ويثبت منها سائر ما يريده سبحانه وتعالى فالذي قدر على ذلك قادر على تكوين الموتى في بطن الارض واعادتهم على ما كانوا عليه كما يكون الجنين في البطن ويشق جميع منافذه من السمع والبصر والفم غيرة للشمس غير أن يدخل هناك يكاد ولا يشار ثم يخرج من البطن هكذا اخراج الموتى من غير فرق كل ذلك عليه هين سبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه (وقال الانسان) أي هذا النوع الصادق بالقليل والكثير اسالة من الانسان مما كان عنده من أهل البعث بما له من الانس بنفسه والنسوف بطانه على سبيل التعجب او التحير والحيرة او الكافر كما يقول من بعثنا من مرقدنا ثم يقول له المؤمن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (مالها) اي اي شيء ثبت للارض في هذه الزلزلة الشديدة التي لم يعهد مثلها واخرجت ما في بطنها (يومئذ) اي اذ كان ما ذكر من الزلزال وما لزم عنه وقوله تعالى (تحدث أخبارها) جواب اذا وعبر الله سبحانه وتعالى عنه بما يعبر به ... تحدث اي تخبر الارض بما عمل عليها من خير او شر

(سورة الزلزلة)

(قوله اذا زلزلت الارض زلزالها) * ان قلت لم اضاف الزلزال الى الارض ولم يقل زلزالا كما قال اذا دكت الارض دكا دكا (قلت) ليدل على انها

يومئذ ثم قيل هو من قول الله تعالى وقيل من قول الانسان اى يقول الانسان مالها تحدث أخبارها متعجبا روى الترمذى عن ابى هريرة أنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا كذا وكذا قال فهذه أخبارها *(تنبيه)* فى تحديثها باخبارها ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك ثانيها ان الله تعالى يحدث فيها الكلام ثالثها ان يكون فيها بيان يقوم مقام الكلام وقيل فى الآية تقديم وتأخير تقديره يومئذ تحدث اخبارها فيقول الانسان مالها اى تخبر الارض بما عمل عليها (بان ربك) متعلق بتحدث ويجوز ان يتعلق بنفس اخبارها والباء سببية اى تحدث بسبب ان ربك المحسن اليك بانواع النعم (أوحى لها) اى أذن لها ان تتكلم بذلك المذكور بالقال أو بالحال على ما مر قال البقاعى وعدل عن قوله اليها الى قوله تعالى لها ايذانا بالاسراع فى الايحاء وقال البغوى أوحى لها وأوحى اليها واحد وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى (يومئذ) بدل من يومئذ قبله أو منصوب بقوله تعالى (يصدر) أو باذكر مقدرا اى واذكر يوم اذ كان ما تقدم وهو حين يقوم الناس من القبور يصدر (الناس) اى يرجعون من قبورهم الى ربهم الذى كان لهم بالمرصاد ليفصل بينهم وقرأ حمزة والكسائى باشمام الصاد بين الصاد والزاى والباقون بالصاد الخالصة (اشتاتا) اى متفرقين بحسب مراتبهم فى الذوات والاحوال من مؤمن وكافر وآمن وخائف ومطيع وعاص وعن ابن عباس متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة ومتفرقين فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار (ليروا) اى يرى الله تعالى المحسن منهم والمسىء بواسطة من شاء من جنوده أو بغير واسطة حين يكلم سبحانه كل أحد من غير ترجمان ولا واسطة كما اخبر بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم (أعمالهم) فيعلموا اجزاءها وصادرين عن الموقف كل الى داره ليرى جزاء عمله ثم سبب عن ذلك قوله تعالى مفصلا الجملة التى قبله (فمن يعمل) من محسن او مسىء مسلم او كافر (مثقال ذرة خيرا) اى من جهة الخير (يره) اى يرى ثوابه حاضرا لا يغيب عنه شئ منه لان المحاسب له الاحاطة علما وقدرة (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فالمؤمن يراه ليشتد سروره به والكافر يوقف على عمله انه احبط لبنائه على غير اساس الايمان او على انه جوزى فى الدنيا فهو صورة بلا معنى ليشتد ندمه وتبقى حسرته وعن ابن عباس من يعمل من الكفار خيرا يره فى الدنيا ولا يثاب عليه فى الآخرة ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه فى الآخرة مع عقاب الشرك ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره فى الدنيا ولا يعاقب عليه فى الآخرة اذا تاب ويتجاوز عنه وان عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه ويضاعف فى الآخرة وفى بعض الاحاديث ان الذرة لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى ليبين انه لا يغفل عن عمل ابن آدم صغيرا ولا كبيرا وهو كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذكر بعض أهل اللغة ان الذر أن يضرب الرجل بيده على الارض فما علق من التراب فهو الذر وعن ابن عباس اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل واحدة مما لزق من التراب ذرة وفسرها بعضهم بالنملة

زلزلت الزلزال الذى يستحقه فى حكمته تعالى ومشيئته فى ذلك اليوم وهو الزلزال الذى ليس بعده زلزال (قوله فمن يعمل مثقال ذرة الآيتين) ليس بتكرار لان الاول متصل بقوله

الصغيرة وبعضهم بالهباءة التي ترى طائرة في الشعاع الداخل من الكوة وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى شر ودليله ماروى أنس أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يأكل فأمسك وقال يارسول الله وانا لنرى ما عملنا من خير وشر فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر مارأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيامة قال أبو ادريس ان مصداقه من كتاب الله عز وجل وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقال مقاتل نزلت في رجلين أحدهما كان يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الآية لترغبهم في القليل من الخير يعطوه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة وتحذرهم من اليسير من الذنب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله تعالى طالبا وقال ابن مسعود هذه الآية أحكم آية في القرآن وأصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية وقال كعب الاحبار لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آيتان أحصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان صلى الله عليه وسلم يسمي هذه الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمر فقال ما نزل علي فيها شيء غير هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروى مالك في الموطا ان مسكينا استطعم عائشة رضي الله عنها وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبة فاعطه اياها فجعل ينظر اليها ويتعجب فقالت أتعجب كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة وكذا تصدق عمر رضي الله عنه وانما فعلا ذلك لتعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة قال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه الآية فلما بلغ آخرها قال حسبي قد انتهت الموعظة *(تنبيه)* قوله تعالى يره جواب الشرط في الموضعين وقرأ هشام بسكون هاء يره وصلا في الحرفين والباقون بضمها وصلا ووسكنه وقفا كسائر هاء الكناية وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله رواه الثعلبي بسند ضعيف لكن يشهد له ما رواه ابن أبي شيبة مرفوعا اذا زلزلت تعدل ربع القرآن

خيرا يره والثاني متصل بقوله شرا يره (فان قلت) كيف عم فيهما مع ان حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيآت المؤمن مغفورة باجتناب الكبائر (قلت) معناه

سورة والعاديات مكية

في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدنية في قول ابن عباس وأنس ابن مالك وقتادة وهي احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

(بسم الله) الذي له الامر كله فلا يسئل عما يفعل (الرحمن) الذي نعمته أتم نعمة وأشمل (الرحيم) الذي خص اولياءه بتوفيقه وأتم نعمته عليهم واكمل وقوله سبحانه وتعالى

(والعاديات ضبحا) قسم أقسم الله سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال أح أح قال عنترة

والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا

وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا أو بالعاديات كأنه قيل والضابحات ضبحا لان الضبح يكون مع العدو أو على الحال أى ضابحات والعاديات جمع عادية وهى الجارية بسرعة من العدو وهو المشى بسرعة وعن ابن عباس كنت جالسا فى الحجر فجاء رجل فسألنى عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى على رضى الله عنه وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لى فلما وقفت على رأسه قال تفتى الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة فى الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى قال الزمخشرى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر وما أشبه ذلك قال ابن عباس وليس شئ من الحيوان يضبح غير الفرس والكلب والثعلب ونقل غيره ان الضبح يكون فى الابل والاسود من الحيات والبوم والصدى والارنب والثعلب والفرس ثم اتبع عدوها ما ينشأ عنه فقال تعالى عاطفا باداة التعقيب (فالموريات قدحا) قال عكرمة والضحاك هى الخيل تورى النار بحوافرها اذا سارت فى الحجارة لا سيما عند ... الاوعار وقدحا منصوب بما انتصب به ضبحا قال الزمخشرى فيه الاوجه المتقدمة وعن ابن عباس أورت بحوافرها غبارا وهذا يناسب من فسر العاديات بالابل وقال ابن مسعود هى الابل تطأ الحصى فتخرج منه النار وأصل القدح الاستخراج ومنه قدحت العين اذا أخرجت منها الماء الفاسد وعن قتادة وابن عباس أيضا ان الموريات قدحا مكر الرجال فى الحرب والعرب تقول اذا أراد والرجل ان يمكر بصاحبه والله لامكرن بك ثم لاورين لك وعن ابن عباس أيضا هم الذين يغزون فيورون نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم وعنه أيضا انها نيران المجاهدين اذا كثرت نارها ليرهبهم العدو كثيرا قال القرطبى وهذه الاقوال مجاز كقولهم فلان يورى زناد الضلالة والاول الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها تقدح النار بحوافرها قال مقاتل تسمى تلك النار نار أبى حباحب وأبو حباحب كان شيخا من مضر فى الجاهلية من أبخل الناس وكان لا يوقد نارا لخبز ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد نويرة تقد مرة وتخمد أخرى فان استيقظ لها أحد أطفأها كراهة أن ينتفع بها أحد فشبهت العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها ولما ذكر العدو وما يتأثر عنه ذكر نتيجته وغايته بقوله تعالى (فالمغيرات) أى بالغارة أهلها على العدو وقوله تعالى (صبحا) ظرف أى التى تغير وقت الصبح لان العادة يفعلون الغارة اذا بغتت العدو والنهب أو قتل أو أسر قال الشاعر

فليت لى بهم قوما اذا ركبوا شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

وغارة (فأثرن) أى فهيجن (به) أى بفعل الاغارة ومكانها وزمانها من شدة العدو (نقعا) أى غبارا الشدة حركتهن والنقع الغبار (تنبيه) عطف الفعل وهو فأثرن على الاسم لانه فى تأويل الفعل لوقوعه صلة لال وقال الزمخشرى معطوف على الفعل الذى وضع

فمن يعمل مثقال ذرة من فريق السعداء خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة من فريق الاشقياء شرا يره

(سورة العاديات)

(قوله والعاديات ضبحا)

اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن (فوسطن به) أى بذلك النقع او العدو أو الوقت (جمعا) من العدو أى صرن وسط العدو وهو الكتيبة يقال وسطت القوم بالتخفيف ووسطتهم بالتشديد وتوسطتهم بمعنى واحد وقال القرطبى يعنى جمع منى وهو من دلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى أقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب فيه وفيه تعريض على من لم يحج بعد القدرة عليه كما فى قوله تعالى ومن كفر أى من لم يحج فان الله غنى عن العالمين وجواب القسم قوله تعالى (ان الانسان) أى هذا النوع بما له من الانس بنفسه والنسيان لما ينفعه (لربه) المحسن اليه بابداعه ثم بابقائه وتدبيره وتربيته (لكنود) قال ابن عباس لكفور بجحود انعم الله تعالى وقال الكلبى هو بلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كندة وحضرموت العاصى وقال الحسن هو الذى يعد المصائب وينسى النعم وقال أبو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود التى لاتنبت شيأ وفى الحديث عن ابى امامة هو الذى يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقال الفضيل بن عياض الكنود الذى أنسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكور الذى انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة (وانه) أى الانسان (على ذلك) أى الكنود العظيم حيث أقدم على مخالفة الملك الاعظم المحسن مع الكفر لاحسانه (لشهيد) أى يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أثره عليه او ان الله تعالى على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (وانه) أى الانسان من حيث هو (لحب) أى لاجل حب (الخير) أى المال الذى لا يعد غيره لجهله خيرا (لشديد) أى بخيل بالمال ضابط له ممسك عليه أو بليغ القوة فى حبه لان منفعته فى الدنيا وهو متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بان أقل مافيه أنه يشغله عن حسن الخدمة لربه تعالى ومع ذلك فهو لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب عبادة ربه وشكر نعمته ضعيف متقاعس ثم سبب عن ذلك قوله تعالى (أفلا يعلم) أى هذا الانسان الذى انساه أنسه بنفسه (اذا بعثر) أى اثير بغاية السهولة وأخرج (مافى القبور) اى من الموتى قال أبو عبيدة بعثرت المتاع جعلت أسفله أعلاه قال محمد بن كعب ذلك حين يبعثون (فان قيل) لم قال مافى القبور ولم يقل من ثم قال بعد ذلك ان ربهم بهم (أجيب) عن الاول بان مافى الارض غير المكلفين أكثر فاخرج الكلام على الاغلب أو أنهم حال مايبعثون لا يكونون أحياء عقلاء بل يصيرون كذلك بعد البعث فلذلك كان الضمير الاول ضمير غير العقلاء والضمير الثانى ضمير العقلاء (وحصل) أى أخرج وجمع بغاية السهولة (مافى الصدور) من خير وشر مما يظن مضمره انه لا يعلمه أحد أصلا واظهر محكتوبا فى صحائف الاعمال وهذا يدل على ان النيات يحاسب عليها كما يحاسب على مايظهر من آثارها وتخصيص الصدر بذلك لانه محل القلب (ان ربهم) أى المحسن اليهم بخلقهم ورزقهم وتربيتهم (بهم يومئذ) أى اذ كانت هذه الامور وهو يوم القيامة (لخبير) أى محيط بهم من جميع الجهات عالم غاية العلم بواطن أمورهم فكيف بظواهرها ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم والا فهو خبير بهم فى ذلك اليوم وفى غيره فكيف ينبغى للعاقل ان يعلق آماله بالمال فضلا عن ان يؤثره على الباقى وقول البيضاوى

أقسم بثلاثة أشياء وجعل جوابه ثلاثة أشياء وهى قوله ان الانسان الى قوله لشديد (قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير) * ان قلت كيف قال ذلك مع انه تعالى خبير بهم فى كل زمن (قلت)

تبعاً للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا حديث موضوع

سورة القارعة مكية

وهي احدى عشرة آية وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

(بسم الله) الملك الاعلى (الرحمن) الذي عمت نعمة ايجاده جميع الورى (الرحيم) الذي خص أولياءه بالتوفيق لما يحب ويرضى * ولما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته بقوله تعالى (القارعة) أي الصيحة أو القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها والاجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار والاشياء الثابتة بالانتشار وقوله تعالى (ما القارعة) تهويل لشأنها وهما مبتدأ وخبر خبر القارعة وأكد تعظيمها اعلاما بأنه مهما خطر في بالك من عظمها فهي أعظم منه فقال تعالى (وما أدراك) اي أعلمك (ما القارعة) أي انك لا تعرفها لانك لم تعهد مثلها وما الاولى مبتدأ ومابعدها خبر وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لادرى واختلف في ناصب (يوم) على وجهين أحدهما أنه مضمر دل عليه القارعة أي تقرعهم أي تقرعهم يوم وقيل تقديره تاتي القارعة يوم (يكون الناس) والثاني انه اذكر مقدرا فهو مفعول به لا ظرف وقوله تعالى (كالفراش المبثوث) يجوز أن يكون خبر الناقصة وأن يكون حالا من فاعل التامة أي يوخذون ويحشرون شبه الفراش شبههم في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار والفراش طائر معروف قال قتادة الفراش الطير الذي يتساقط في النار والسراج الواحدة فراشة وقال الفراء هو الهمج من البعوض والجراد وغيرهما وبه يضرب المثل في الطيش والهوج يقال اطيش من فراشة وأنشدوا

فراشة الحلم فرعون العذاب وان * تطلب نداه فكلب دونه كلب

وفي امثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وروى مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي وفي تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتى منها الطيش الذي يلحقهم وانتشارهم في الارض وركوب بعضهم بعضا والكثرة والضعف والذلة والمجيء من غير ذهاب والقصد الى الداعي من كل جهة والتطاير الى النار وقال جرير

ان الفرزدق ما علمت وقومه * مثل الفراش غشين نار المصطلي

والمبثوث المتفرق وقال تعالى في موضع آخر كأنهم جراد منتشر (فان قيل) كيف شبه الشيء الواحد بالصغير والكبير معا لانه شبههم بالجراد المنتشر والفراش المبثوث (اجيب) بان التشبيه بالفراش في ذهاب كل واحد الى غير جهة الآخر واما التشبيه بالجراد فبالكثرة والتتابع (وتكون الجبال) على ماهي عليه من الشدة والصلابة وانها صخور راسخة (كالعهن) اي الصوف المصبوغ ألوانا لانها ملونة قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر أي

معناه ان ربهم تعالى مجازيهم يومئذ على اعمالهم فتجوز بالعلم عن المجازاة كما في قوله تعالى أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم أي يجازيهم على ما فيها

وغيره ذلك (المنفوش) أى المندوف المفرق الاجزاء فتراه لذلك متطايرة فى الجو كالهباء المنثور كما قال تعالى فى موضع آخر هباء منبثا حتى تعود الارض كلها لا عوج فيها ولا امتا ثم سبب عن ذلك قوله تعالى مفصلا لهم (فأما من ثقلت موازينه) أى برجحان الحسنات وفى الموازين قولان أحدهما انه جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله تعالى وهذا قول الفراء والثانى قال ابن عباس انه جمع ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال فتوزن فيه الصحف المكتوبة فيها الحسنات والسيئات أو الاعمال أنفسها فيؤتى بحسنات المؤمن فى أحسن صورة فتوضع فى كفة الميزان فاذا رجحت فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر فى أقبح صورة فيخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن أعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه فيدخل الجنة بفضله ورحمته واما الكافر فقد قال الله تعالى فى حقه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل عليه السلام يزن به أعمال بنى آدم فعبر عنه بلفظ الجمع وقيل موازين لكل حادثة ميزان وقيل الموازين الحجج والدلائل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول الشاعر

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة * عندى لكل مخاصم ميزانه

(فهو) أى بسبب رجحان حسناته (فى عيشة) أى حياة تتقلب فيها قال البقاعى ولعله الحقها بالهاء الدالة على الوحدة والمراد العيش ليفهم انها على حالة واحدة فى الصفاء واللذة وليست ذات ألوان كحياة الدنيا (راضية) أى ذات رضا او مرضية لانها جنة عالية (وأما من خفت) أى طاشت (موازينه) أى فلات سيئاته أو لم تكن له حسنة لاتباعه الباطل وخفته عليه فى الدنيا (فأمه) أى التى تؤويه وتضمه اليها كما يقال للارض ام لانها تقصد لذلك ويسكن اليها كما يسكن الى الام وكذا المسكن (هاوية) أى نازلة سافلة جدا فهو بحيث لا يزال يهوى فيها نازلا فهو فى عيشة ساخطة [illegible] الاحتباك ذكر العيشة أولا دليلا على حذفها ثانيا وذكر الام ثانيا دليلا على حذفها أولا [illegible] جهنم وهى المهواة لا يدرك قعرها وقال قتادة هى كلمة عربية كان الرجل اذا وقع فى امر شديد قال هوت امه وقيل اراد ام رأسه يعنى انهم يهوون فى النار على رؤسهم [illegible] الى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح [illegible] ثقلت موازينه [illegible] الا الحسنات [illegible] فى الدنيا [illegible] الميزان لا يوضع فيه الا [illegible] (وما أدراك) [illegible] (ما هيه) أى الهاوية [illegible] الوصل [illegible] (فان قيل) [illegible]

(أجيب) [illegible]

[illegible]

(سورة القارعة)

(قوله فأما من ثقلت موازينه) جمع فيه وفيما بعده الميزان مع انه واحد باعتبار تعدد الموزونات أو الموزون لهم وقيل هى جمع موزون (ان قلت) كيف قال أمن

عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقد جزء من سبعين جزأ من حر جهنم قالوا وانها لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة حديث موضوع

سورة التكاثر مكية

وهي ثمان آيات وثمانية وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

(بسم الله) ذي الجلال والاكرام (الرحمن) الذي عم بالايجاد بعد الاعدام (الرحيم) الذي خص أولياءه بتمام الانعام * ولما ختم القارعة بالشق فتح هذه بفعل الشقاوة ومبتدا الحشر لينزجر السامع فقال تعالى (ألهاكم التكاثر) اى شغلكم المباهاة والمفاخرة والمكاثرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه (حتى زرتم المقابر) اى ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى أن أتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال الاخطل

ان يخاص العام خليل عشرا * ذاق الضماد أو يزور القبرا

(تنبيه) حتى غاية لقوله تعالى ألهاكم وهو عطف عليه والمعنى حتى أتاكم الموت فصرتم في المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع الزائر الى منزله من جنة أو نار يقال لمن مات قد زار قبره (فان قيل) شان الزائر أن ينصرف قريبا والاموات ملازمون للقبور فكيف يقال انه زار القبور وأيضا حتى زرتم اخبار عن الماضي فكيف يحمل على المستقبل (أجيب) عن الاول بان سكان القبور لابد أن ينصرفوا منها فان كل آت قريب وعن الثاني لتحققه عبر عنه بالماضي كقوله تعالى أتى أمر الله وقال أبو مسلم ان الله تعالى يتكلم بهذه السورة يوم القيامة تعييرا للكفار وهم في ذلك الوقت قد تقدمت منهم زيارة القبور وقال مقاتل والكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف وقالت بنو سهم ان البغي أهلكنا في الجاهلية فعدوا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لانهم كانوا في الجاهلية أكثر عددا والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى استوعبتم عددهم ثم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة وقال قتادة في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وأنهم كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عنكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعنى من كل مهم والمقابر والمقابر جمع مقبرة بفتح الباء وضمها وسمي سعيد المقبري لانه كان يسكن المقابر قال القرطبي لم يأت في التنزيل ذكر المقابر الا في هذه السورة واعترضه ابن عادل بان الله تعالى قال فيه في سورة أخرى ثم أماته فأقبره وهذا ممنوع فانه قال المقابر ولفظ هذه الآية غير لفظ تلك وزيارة القبور من أعظم الادوية للقلب

(قلت) قوله فأمه هاوية
خفت موازينه فأمه
هاوية أى فسكنه النار مع
ان اكثر المؤمنين سيآتهم
راجحة على حسناتهم
لا يدل على خلوده فيها
فيسكن المؤمن فيها بقدر

القاسى لانه اذكر الموت والآخرة وذلك يحمل على قصر الامل والزهد فى الدنيا وترك الرغبة فيها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور قال بعض العلماء انما لعن لقلة صبرهن وكثرة جزعهن نعم زيارة النبى صلى الله عليه وسلم سنة لهن ويلحق به بقية الانبياء والاولياء والعلماء وينبغى لمن زار القبور أن يتأدب بآدابها ويحضر قلبه فى اتيانها ولا يكون حظه منها الطواف عليها فقط فان هذه حالة يشاركه فيها البهائم بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه ونفع الميت بما يتلوه عنده من القرآن والدعاء ويتجنب الجلوس عليها ويسلم اذا دخل المقابر فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واذا وصل الى قبر ميته الذى يعرفه سلم عليه أيضا وأتاه من قبل وجهه لانه فى زيارته كمخاطبه حيا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الاهل والاحباب ويتأمل حال من مضى من اخوانه كيف انقطعت آمالهم ولم تغن عنهم أموالهم ومحى التراب محاسن وجوههم وافترقت فى التراب أجزاؤهم وترمل من بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتم أولادهم وانه لابد صائر الى مصيرهم وان حاله كحالهم ومآله كمآلهم وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية قال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت أو أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت وعن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله وقرأ ألهاكم حمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى (كلا) ردع وتنبيه على انه لا ينبغى للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه وقوله تعالى (سوف تعلمون) انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم وقوله تعالى (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وثم للدلالة على أن الثانى أبلغ من الاول وأشد كما يقال للمنصوح أقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم وعن على كرم الله وجهه ورضى الله عنه كلا سوف تعلمون فى الدنيا ثم كلا سوف تعلمون فى الآخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلقين وثم على بابها من المهلة وعن ابن عباس كلا سوف تعلمون ما ينزل بكم من العذاب فى القبور ثم كلا سوف تعلمون فى الآخرة اذا حل بكم العذاب فالتكرار للحالتين وروى زر بن حبيش عن على كنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار الى أن قوله تعالى كلا سوف تعلمون فى القبور وقيل كلا سوف تعلمون اذا نزل بكم الموت وجاءتكم رسل ربكم بنزع أرواحكم ثم كلا سوف تعلمون فى القيامة انكم معذبون وعلى هذا تضمنت أحوال القيامة من بعث وحشر وعرض وسؤال الى غير ذلك من أهوال القيامة وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعنى الكفار ثم كلا سوف تعلمون أيها المؤمنون فالاول وعيد والثانى وعد ولما كان هذا امرا صادقا أشار تعالى الى انه يكفى هذه الامة المرحومة التأكيد مرة واحدة فقال سبحانه مرددا الاضراب تأكيد الردع ثانيا بالاداة الصالحة له ولان يكون بمعنى حقا كما يقوله أئمة

ما تقتضيه ذنوبه ثم يخرج منها الى الجنة وقيل المراد بخفة الميزان خلوها من الحسنات بالكلية وتلك موازين الكفار

(سورة التكاثر)

(كلا) فى المواضع

القراءة (كلا) اى ليشتد ارتداعكم عن التكاثر فانه أساس كل بلاء فانكم (لو تعلمون) اى أيها الكافرون (علم اليقين) اى لو يقع لكم علم على وجه اليقين مرة من الدهر لعلمتم ما بين ايديكم فلهاكم التكاثر ولضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تجارون فحذف الجواب أخوف ليذهب الوهم معه كل مذهب ولا يجوز أن يكون (لترون الجحيم) جوابه لان هذا مثبت وجواب لو يكون منفيا ولانه تعالى عطف عليه ثم لتسئلن وهو مستقبل لابد من وقوعه وحذف جواب لو كثير قال الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين لالهاكم بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ما أنذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقوله تعالى (ثم لترونها) تكرير للتأكيد والاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها والمراد بالاولى المعرفة والثانية الابصار (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين قال الرازى واليقين مركب الاخلاص فى هذا الطريق وهو غاية درجات العامة وأول خطرة الخاصة قال صلى الله عليه وسلم خير ما ألقى فى القلب اليقين وعلمه قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق وقال قتادة اليقين هنا الموت وعنه ايضا البعث اى لو تعلمون علم الموت او البعث فعبر عن الموت باليقين والعلم من أشد البواعث على العمل وقيل لو تعلمون اليوم فى الدنيا علم اليقين بما امامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فان علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك وقرأ لترون ابن عامر والكسائى بضم التاء والباقون بالفتح (ثم لتسئلن) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو لالتقاء الساكنين (يومئذ) اى يوم رؤيتها (عن النعيم) وهو ما يلتذ به فى الدنيا من الصحة والفراغ والامن والمطعم والمشرب وغير ذلك والمراد بذلك ما يشغله عن الطاعة للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده وقوله تعالى كلوا من الطيبات وقال الحسن لا يسئل عن النعيم الا أهل النار لان أبا بكر رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية قال يا رسول الله أرأيت أكلة أكلتها معك فى بيت أبى الهيثم من خبز شعير ولحم وبسر وماء عذب أيكون من النعيم الذى يسئل عنه فقال صلى الله عليه وسلم انما ذلك للكفار ثم قرأ صلى الله عليه وسلم وهل يجازى الا الكفور ولان ظاهر الآية يدل على ذلك لان الكفار ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى والاشتغال بشكره فالله تعالى يسألهم عنها يوم القيامة حتى يظهر لهم أن الذى ظنوه لسعادتهم كان من أعظم الاسباب لشقاوتهم وقيل السؤال عام فى حق المؤمن والكافر لقوله صلى الله عليه وسلم أول ما يسئل العبد يوم القيامة عن النعيم فيقال له ألم نصحح جسمك ألم نروك من الماء البارد وقيل الزائد على ما لا بد منه وقيل غير ذلك قال الرازى والاولى على جميع النعم لان الالف واللام تفيد الاستغراق وليس صرف اللفظ الى البعض أولى من صرفه الى الباقى فيسئل عن أهل شكرها أم كفرها واذا قيل ان هذا السؤال للكافر فقيل هو فى موقف الحساب وقيل بعد دخول النار يقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لاشتغالكم فى الدنيا بالنعيم عن العمل الذى ينجيكم من هذه النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من أهل النجاة وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم

الثلاثة قيل للردع والزجر عن التكاثر وقيل بمعنى حقا وقيل الاولان للردع والزجر والثالث بمعنى حقا وهو اشهرها (قوله سوف تعلمون) ذكره مرتين للتأكيد أو الاول

التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطى من الاجر كأنما قرأ ألف آية حديث موضوع الآخر منه وروى الحاكم بلفظ ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أوما يستطيع أحدكم أن يقرأ الهاكم التكاثر

سورة والعصر مكية

وروى عن ابن عباس وعبادة انها مدنية وهي ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

(بسم الله) الذي كل شئ هالك الا وجهه (الرحمن) الذي عم الوجود بالهامه فليس شئ يشبهه (الرحيم) الذي اعز أولياءه فكانوا الدهر غرة ولاهله جبهة وقوله تعالى (والعصر) قسم واختلف في المراد به فقال ابن عباس والدهر أقسم به لان فيه عبرة للناظر بتصرف الاحوال وتبدلها وما فيها من الدلالة على الصانع وقيل معناه ورب العصر ومر الكلام في امثاله وقال ابن كيسان أراد بالعصر الليل والنهار يقال لهما العصران وقال الحسن بعد زوال الشمس الى غروبها وقال قتادة آخر ساعة من ساعات النهار وقال مقاتل أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى وهذا أشبه قال صلى الله عليه وسلم من فاتته الصلاة الوسطى فكأنما وتر أهله وماله ولان التكليف في ادائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعاشهم ونقل ابن عادل عن مالك أن من حلف أن لا يكلم الرجل عصرا لم يكلمه سنة قال ابن العربي انما حمل مالك يمين الحالف على السنة لانه أكثر ما قيل فيه ونقل عن الشافعي يبر بساعة الا أن تكون له نية وجواب القسم (ان الانسان) اى الجنس (لفي خسر) اى نقص بحسب مساعيهم في اعمارهم وصرف اعمارهم في اغراضهم ومطالبهم الطالبة من الميل الى الحظوظ والاهواء [illegible] (خسر) [illegible] خسر [illegible] ومراتب [illegible] الاول [illegible] كان [illegible] الانسان في خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى لان الانسان [illegible] الذنب الا [illegible] فلذلك كان الذنب في غاية الخطر [illegible] على الثاني [illegible] خسران [illegible] ولما كان [illegible] من [illegible] الآفات وكانت [illegible] من خاصة الله تعالى [illegible] الانسان [illegible] استثناهم بقوله عز من قائل (الا الذين آمنوا) اى أوجدوا الايمان [illegible] جميع ما [illegible] الله [illegible] واليوم الآخر (وعملوا) اى [illegible] الاعمال (الصالحات) [illegible] من اتباع الاوامر واجتناب [illegible] واشتروا الآخرة بالدنيا [illegible] الابدية والسعادة [illegible] وقال ابن عباس [illegible] المراد بالانسان الكافر وقال في رواية [illegible] من [illegible] والعاص [illegible] الاسود [illegible] قال [illegible]

للقبر والثاني للقيامة او الاول للكفار والثاني للمؤمنين (قوله لو تعلمون) جواب لو محذوف تقديره لو تعلمون الامر يقينا لشغلكم ما تلهون عن التكاثر والتفاخر (قوله لترون

وقال الفراء لفى عقوبة وقال ابن زيد لفى شر وروى ابن عوف عن ابراهيم قال أراد بالانسان اذا عمر فى الدنيا وأهرم لفى ضعف ونقص وتراجع الا المؤمنين فانه يكتب لهم اجورهم التى كانوا يعملونها فى حال شبابهم ونظيره قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا ه ولما كان الانسان بعد كماله فى نفسه بالاعمال لا ينتفى عنه مطلق الخسر الا بتكميل غيره وحينئذ كان وارثا لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا للتكميل قال تعالى مخصصا لما دخل فى الاعمال الصالحة منبها على عظمه (وتواصوا) اى اوصى بعضهم بعضا بلسان الحال والمقال (بالحق) اى الامر الثابت وهو كل ما حكم الشرع بصحته ولا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة (وتواصوا) أيضا (بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى ما يبتلى الله به عباده من الامراض وغيرها وروى عن ابى بن كعب انه قال قرأت على النبى صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم والعصر قسم من الله أقسم ربكم بآخر النهار ان الانسان لفى خسر أبو جهل الا الذين آمنوا أبو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر على وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفا عليه وقال قتادة بالحق أى بالقرآن وقال السدى الحق هنا الله عز وجل وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر حديث موضوع

سورة الهمزة مكية

وهى تسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الحكيم العدل (الرحمن) الذى عم بجوده اهل الجهل وأولى العدل (الرحيم) الذى خص اوليائه بزيادة الفضل وقوله تعالى (ويل) فيه قولان أحدهما انه كلمة عذاب والثانى انه واد فى جهنم (لكل همزة لمزة) قال ابن عباس رضى الله عنهما هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب فعلى هذا هما بمعنى واحد ... المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون ... الهمزة الذى يعيبك فى الغيب واللمزة الذى يعيبك فى الوجه وقال ابو العالية والحسن الهمزة الذى يغتاب ويطعن فى وجه الرجل واللمزة الذى يغتابه من خلفه اذا غاب ... ومنه قوله تعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات ... الهمزة الذى يأكل لحوم الناس ... الطعان عليهم وقال ابن زيد الهمزة الذى يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذى يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقال سفيان الثورى يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذى يؤذى جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذى يكسر عينه ويشير برأسه ويومئ بحاجبه ... هذه الاقاويل يرجع الى أصل واحد وهو الطعن واظهار العيب ... ذلك ... الناس ... الكبر والهمز الطعن ... بالكسر ...

الجحيم) اعاده بقوله ثم لترونها تأكيدا والاول قبل دخولهم الجحيم والثانى بعده ولهذا قال عقبه عين اليقين أو الاول من رؤية العين والثانى من رؤية القلب (قوله [illegible]

اعراض الناس والطعن فيهم حتى صار ذلك عادة لانه خلق ثابت فى جبلتهم والذى دل على الاعتياد صيغة فعلة بضم ففتح كما يقال ضحكة الذى يفعل الضحك كثيرا حتى صار عادة له وضرى به واختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال الكلبي نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى كان يقع فى الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق مازلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت فى أمية بن خلف الجمحي وقال مقاتل نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه فى وجهه وقال مجاهد هى عامة فى حق من هذه صفته وقوله تعالى (الذى جمع مالا) بدل من كل أوذم منصوب أو مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بتشديد الميم على المبالغة والتكثير ولانه يوافق قوله تعالى (وعدده) والباقون بتخفيفها وهى محتملة للتكثير وعدمه ومعنى عدده أحصاه وجعله عدة للحوادث وقال الضحاك أعد ماله لمن يرثه من اولاده وقيل فاخر بعدده وكثرته والمقصود الذم على امساك المال عن سبيل الطاعة كقوله تعالى مناع للخير وقوله تعالى جمع فاوعى (يحسب) اى يظن بجهله (ان ماله اخلده) أى أوصله الى رتبة الخلد فى الدنيا فيصير خالدا فيها لايموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن أن ماله أبقاه حيا أو هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم فاما المال فما أخلد أحدا فيه وروى انه كان للاخنس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف دينار وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ماتقول فى ألوف لم افتد بها من لئيم ولاتفضلت بها على كريم قال لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذا تدعه لمن لايحمدك وترد على من لا يعذرك وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها وقوله تعالى (كلا) ردع له عن حسبانه وقيل معناه حقا وقوله تعالى (لينبذن) جواب قسم محذوف أى ليطرحن بعد موته (فى الحطمة) أى الطبقة من جهنم التى من شانها أن تحطم أى تكسر بشدة وعنف كل ما طرح فيها فيكون أخسر الخاسرين ويقال للرجل الاكول انه لحطمة (وما أدراك) أى وأى شئ أعلمك ولو بمحاولة منك للعلم واجتهاد فى التعرف مع كونك اعلم الحكماء (ما الحطمة) اى الدركة النارية التى سميت هذا الاسم بهذه الخاصة وانه ليس فى الوجود الذى شاهدته وما يقاربه ليكون مثالا لها ثم فسرها بقوله تعالى (نار الله) اى الملك الاعظم الذى له الملك كله (الموقدة) أى التى وجد وتحتم ايقادها ومن الذى يطيق محاولة ما أوقده فهى لايزال لها هذا الاسم ثابتا روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة (التى تطلع) أى اطلاعا شديدا (على الافئدة) جمع فؤاد وهو القلب الذى يكاد يحترق من شدة ذكائه فكان ينبغى ان يجعل ذكاءه فى أسباب الخلاص واطلاعها عليه بان تعلو وسطه وتشتمل عليه اشتمالا بليغا سمى بذلك لشدة توقده وخص لانه الطف مافى البدن واشده تألما بأدنى شئ من الاذى ولانه منشا العقائد الفاسدة ومعدن حب المال الذى هو منشاء الفساد والضلال وعنه تصدر الافعال القبيحة وقيل معنى تطلع على الافئدة أى تعلم مايستحقه كل واحد منهم من العذاب يقال اطلع على كذا أى علمه ثم اشار الى خلودهم فيها بقوله تعالى موكدا الانهم يكذبون بها (انها عليهم

موصدة

يومئذ عن النعيم) يعم
المؤمن والكافر فالمؤمن
يسئل عن شكر النعمة
والكافر يسئل عنه اسؤال
توبيخ
(سورة العصر)
(قوله ان الانسان) المراد

مؤصدة) قال الحسن مطبقة أى بغاية الضيق وقال مجاهد مغلقة بلغة قريش يقال أصدت الباب أى أغلقته ومنه قول عبد الله بن قيس

ان فى القصر لو دخلنا غزالا • مغلقا موصدا عليه الحجاب

ثم بين حال عذابهم بقوله تعالى (فى) أى فى حال كونهم موثقين فى (عمد) قرأ حمزة والكسائى وشعبة بضم العين والميم جمع عمود كزبور وزبر ورسول ورسل وقيل جمع عماد ككتاب وكتب والباقون بفتحهما فقيل هو اسم جمع لعمود وقيل بل هو جمع له قال الفراء كأديم وأدم وقال ابو عبيدة هو جمع عماد (ممددة) اى معترضة كأنها موضوعة على الارض فهى فى غاية المكنة فلا يستطيع الموثق بها على نوع حيلة فى أمرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث عليهم ملائكة باطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فيطبق عليهم بتلك الاطباق وتسد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل منه روح ولا يخرج منه غم فيكون كلامهم فيها زفيرا وشهيقا وقال قتادة عمد يعذبون بها واختاره الطبرى وقال ابن عباس ان العمد الممددة اغلال فى اعناقهم وقال ابو صالح قيود فى ارجلهم وقال القشيرى العمد اوتاد الاطباق وقيل المعنى فى دهور ممدودة لا انقطاع لها وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حديث موضوع

بالانسان الجنس فالاستثناء متصل وقيل المراد به ابو جهل فالاستثناء منقطع (قوله وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) كرره لاختلاف المفعولين

سورة الفيل مكية

وهى خمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا

(بسم الله) الذى قدرته فى كل شئ عاملة (الرحمن) الذى له النعمة الشاملة (الرحيم) الذى يخص أهل الاصطفاء بالنعمة الكاملة وقوله تعالى (ألم تر) استفهام تعجب أى اعجب (كيف فعل ربك) أى المحسن اليك (باصحاب الفيل) فهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها وانما قال تعالى كيف دون ما لان المراد ذكر ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم • وكانت قصة الفيل ما روى أن ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج وكتب الى النجاشى انى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف اليها حاج العرب فسمع بذلك رجل من بنى مالك بن كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع الذى قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشى يخبره بذلك وسأله ان يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة فى الحبشة سائرا الى مكة وخرج معه بالفيل وائنى عشر فيلا غيره وقيل ثمانية عشر وقيل كان معه ألف فيل وقيل كان وحده فسمعت العرب بذلك فاعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه

ابرهة واخذه اسيرا فقال له أيها الملك استبقني فان استبقائي خير لك من قتلي فاستبقاه فأوثقه
وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج له نفيل بن حبيب الخثعمي في
خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيلا فقال نفيل أيها الملك اني
دليل بارض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا
مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس
عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولى
لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث ابرهة من المغمس
رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم الناس
فجمع الاسود اليه أموال الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان أبرهة بعث حناطة
الحميري الى أهل مكة فقال سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلتك به اليه أخبره اني لم آت لقتال انما
جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك أرسلني
اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد
المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا به يد انا سنخلي بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت
خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به
قوة قال فانطلق معي الى الملك قال بعض العلماء انه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض
بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء
فيما نزل بنا فقال ما غناء رجل أسير لا يأمن ان يقتل بكرة او عشيا ولكن سأبعث الى أنيس
سائس الفيل فانه لي صديق فأسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك
ومنزلتك عنده فأرسل الى أنيس فأتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يطعم الناس
في السهل والوحوش في رؤس الجبال وقد اصاب الملك له مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه
عنده فانفعه فانه صديق لي احب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك
هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال [illegible]
عليك وانا احب ان تأذن له فيكلمك وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له وكان
عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه وكره ان يجلسه تحته [illegible] على
السرير [illegible] فجلس على البساط [illegible] قال لترجمانه [illegible]
[illegible] الى الملك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتي [illegible]
أصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك [illegible] قال لم
قال جئت الى [illegible] ودين آبائك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(سورة الهمزة)

(ويل لكل همزة لمزة) أي كثير الهمز واللمز والهمز واللمز الطعن باليد أو نحوها واللمز العيب وقيل هما بمعنى فالثاني تأكيد للاول وقيل الاول المغتاب

يارب لا ارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضا

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه فاصبح ابرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم أخذ باذنه وقال ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول فى رأسه فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول فوجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فضربوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج عبد المطلب يشتد حتى صعد الجبل فارسل الله تعالى عليهم ما قصه فى قوله سبحانه (ألم يجعل) اى جعل بعاله من الاحسان الى العرب لا سيما قريش (كيدهم) اى فى هدم الكعبة (فى تضليل) اى خسارة وهلاك (وارسل عليهم) اى خاصة من بين ما هنالك من كفار العرب (طيرا) اى طيورا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا (أبابيل) اى جماعات بكثرة متفرقة يتبع بعضها بعضا من نواحى شتى فوجا فوجا وزمرة زمرة امام كل فرقة منها طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق وقيل أبابيل كالابل المؤبلة قال الفراء لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقال الكسائى كنت أسمع النحويين يقولون واحدها ابول كعجول وعجاجيل وقال ابن عباس كانت طير الها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كاكف الكلاب وقال عكرمة لها رؤس كرؤس السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال قتادة طير سود (ترميهم) اى الطير (بحجارة) اى عظيمة فى الكثرة والفعل صغيرة فى المقدار والجسم مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بالحمرة كالجزع الظفارى فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا فى كل طريق ومنهل واما أبرهة فتساقطت أنامله كلها كلما سقطت أنملة اتبعها مدة وقيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره من قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه لان تلك الحجارة كانت (من سجيل) اى طين متحجر مصنوع للعذاب فى موضع هو فى غاية العلو ولما تسبب عن هذا الرمى هلاكهم وكان ذلك بفعل الله تعالى لانه الذى خلق الاثر قطعا الان مثله لا ينشأ عنه ما نشأ من الهلاك قال الله تعالى (فجعلهم) اى ربك المحسن اليك باحسانه الى قومك لاجلك بذلك (كعصف مأكول) اى كورق زرع أكلته فرائسه فيبس

قوله وخرج عبد المطلب يشتد فى حاشية الجمل نفيل وهو الظاهر اهـ

والثانى العباب اى الامام وقيل الاول العباب فى لوجه والثانى العباب فى القفا وقيل الاول يكون بالعين والثانى باللسان وقيل عكسه (قوله الذى

وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث قال مجاهد العصف ورق الحنطة وقال قتادة هو التبن وقال عكرمة كالحب إذا أكل وصار أجوف لأن الحجر كان يأتي في الرأس فيخرق بما له من الحرارة وشدة الوقع كما مر به حتى يخرج من الدبر ويصير موضع تجويفه أسود لما له من النارية وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له وروي أن الحجر كان يقع على أحدهم فيخرج كل ما في جوفه فيبقى كقشر الحنطة إذا أخرجت منه الحبة وعن عكرمة من أصابه جدره وهو أول جدري ظهر وعن أبي سعيد الخدري أنه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم واختلف في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والأكثرون على أنه كان في العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة قالت رأيت سائس الفيل وقائده أعميين مقعدين يستطعمان الناس وقال عبد الملك ابن مروان لعتاب بن أسيد أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل وأنا أدركت سائسه وقائده أعميين مقعدين يستطعمان الناس قيل لم يكن بمكة أحد إلا رأى قائد الفيل وسائسه أعميين يتكففان الناس لأن عائشة مع صغر سنها رأتهما وقال ابن إسحاق لما رد الله تعالى الحبشة عن مكة المشرفة عظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم وقال بعضهم إنما كانت قصة الفيل مما يعد من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت قبله لأنها كانت توكيدا للأمر وتمهيدا لشأنه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ حديث موضوع

سورة قريش مكية

قوله [illegible] وهي أربع آيات
وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي له جميع الكمال (الرحمن) بعموم الإنعام (الرحيم) الذي خص أولياءه بالقرب والإجلال وقوله تعالى (لإيلاف قريش) [illegible]

[illegible]

جمع) بالجر بدل من كل او بالنصب بإضمار أذم او بالرفع مبتدأ خبره يحسب

(سورة الفيل)

(قوله التركيب فعل وبان) مفعول لفعل محذوف

عز ويرفع من يشاء وان ذل وقريش هم ولد النضر بن كنانة ومن ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من بني اسمعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وأخرج الحاكم وصححه البيهقي عن أم هانئ بنت أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا بسبع خلال أني منهم وأن النبوة فيهم وان الله نصرهم على الفيل وأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم وأن الحجابة والسقاية فيهم وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن وسموا قريشا من القرش وهو التكسب والجمع يقال فلان يقرش لعياله و يقترش اي يكتسب وهم كانوا تجارا حراصا على جمع المال وقال أبو ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم فانشده شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر • بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك • فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش • يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي • يكثر القتل فيهم والخموشا

وقيل هو من تقرش الرجل اذا تنزه عن مدانس الامور أو من تقارشت الرماح في الحرب اذا دخل بعضها في بعض وقوله تعالى (ايلافهم) بدل من الايلاف الاول وقرأ ابن عامر لئلاف بغير ياء بعد الهمزة والباقون لإيلاف بياء بعدها وأجمع الكل على اثبات الياء في الثاني وهو ايلافهم بالياء بعد الهمزة قال ابن عادل ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين أن القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها واتفقوا على اثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه فهذا أدل دليل على ان القراء يتبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط وقوله تعالى (رحلة الشتاء) منصوب بايلافهم مفعول به [illegible] لاجل الادخار يتألفون [illegible] (والصيف) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وذلك [illegible] الزمان أربعة أقسام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لا كيف لانه استفهام فلا يعمل فيه ما قبله فهو مفعول فعل مقدر (قوله أبابيل) اي جماعات جماعات قيل لا واحد له وقيل واحده ابال او ابالة وابول او ابيل

والاخرى فى الصيف الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم ولولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وفى ذلك يقول الشاعر

قل للذى طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من ضر ومن اتلاف
الرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف
والخالطين فقيرهم بغنيهم * حتى يكون فقيرهم كالكافى
والقائلين بكل وعد صادق * والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

وتبع هاشما على ذلك اخوته فكان هاشم يؤالف الى الشام وعبد شمس الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس وكان تجار قريش يختلفون الى هذه الامصار بحبال هذه الاخوة اى بعهودهم التى أخذوها بالامان لهم من ملك كل ناحية من هذه النواحى * ولما كان هذا التدبير لهم من الله تعالى كافيا لهمومهم الظاهرة بالغنى والباطنة بالامن وكان شكر المنعم واجبا قال تعالى (فليعبدوا) اى قريش على سبيل الوجوب شكرا على هذه النعمة الخاصة ان لم يشكروه على جميع نعمه التى لا تحصى لانهم يدعون أنهم أشكر الناس للاحسان وأبعدهم عن الكفران (رب هذا البيت) اى الذى [illegible] الى أهل [illegible] من كل طاغ وبذلال الجبابرة الملوك [illegible] فى الدنيا والآخرة [illegible] الاقدس [illegible] ثمرة لرحلتين [illegible] (الذى أطعمهم) اى قريشا بجعل الميرة الى مكة بالرحلتين [illegible] (من جوع) اى عظيم فيه غيرهم من العرب أوكانوا هم فيه قبل ذلك لان بلدهم ليس بذى زرع [illegible] الذى يشأ منه الجوع [illegible] ذلك وحده ولم يشركه أحد فى كفايتهم فليس من الشكر ان يكن غيره معه فى عبادتهم [illegible] ابيهم ابراهيم عليه السلام الذى دعالهم بالرزق بقوله عليه السلام وارزقهم من الثمرات [illegible] أشد النهى عن عبادة الاصنام ولم يقل أشبعهم [illegible] ولا [illegible] طالب [illegible] (وآمنهم) اى [illegible] لهم (من خوف) اى [illegible] اصحاب الفيل الذين أرادوا [illegible]

[illegible]

(سورة قريش)
(قوله لايلاف قريش) [illegible] الثانى تأكيد الاول أو بدل منه واللام

فقالوا انهم قد جلبوا اليهم الطعام واغاثوهم بالاقوات فكان أهل مكة يخرجون الى جدة بالابل والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين وقيل ان قريشا لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة واخصب اهلها وقال الضحاك والربيع في قوله تعالى وآمنهم من خوف اى من خوف الحبشة وقال علي وآمنهم من خوف ان تكون الخلافة الا فيهم قال الزمخشري ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف ان تكون الخلافة في غيرهم اهـ لكن ان ثبت ذلك عن علي كرم الله وجهه فليس كما قال وقيل كفاهم أخذ الايلاف من الملوك وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها حديث موضوع

متعلقة بقوله فليعبدوا اى ليعبدوا الله من أجل ايلافهم وقيل متعلقة بجعلهم من سورة الفيل لانهما كالسورة الواحدة بدليل اسقاط البسملة بينهما في مصحف ابي

سورة الدين وتسمى سورة الماعون مكية

في قول عطاء وجابر وأحد قولي ابن عباس رضي الله عنهما ومدنية في قول له آخر وهو قول قتادة وغيره وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة ثلاثة وعشرون حرفا

(بسم الله) الذي له كل كمال (الرحمن) الذي عم جميع عباده بالنوال (الرحيم) الذي خص اولياءه بنعمة الافضال وقوله تعالى (أرأيت) استفهام معناه التعجب وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء ولورش أيضا ابدالها ألفا واسقطها الكسائي قال الزمخشري وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام ونحوه

صاح هل ريت أو سمعت براع ⁕ رد في الضرع ما قرى في الحلاب

وحققها الباقون والمعنى أرأيت (الذي يكذب) أي يوقع التكذيب لمن يخبره كائنا من كان (بالدين) أي بالجزاء والحساب أي هل عرفته أم لم تعرفه (فذلك) بتقدير هو بعد الفاء أي البغيض البعيد المبعد من كل خير (الذي يدع) اى يدفع دفعا عنيفا بغاية القسوة (اليتيم) ولا يحث على اكرامه لان الله تعالى نزع الرحمة من قلبه ولا يدعها الا من شقي لانه لا باعث على الاحسان اليه الا الخوف من الله تعالى فكان التكذيب جزاء سببا للغلظة عليه وقال قتادة يقهره ويظلمه فانهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام وقال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من المسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة واختلف فيمن نزل ذلك فيه فقال مقاتل في العاصي ابن وائل السهمي وقال السدي في الوليد بن المغيرة وقال الضحاك في عمرو بن عائذ المخزومي وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في رجل من المنافقين وقيل في ابي جهل (ولا يحض) أي يحث نفسه ولا غيره (على طعام المسكين) أي بذله لطعامه اياه بل يمنعه ولا يكرمه ولا يرحمه وقد تضمن هذا أن علامة التكذيب بالبعث ايذاء الضعيف والتهاون بالمعروف ⁕ ولما كان هذا حاله مع الخلائق أتبعه حاله مع الخالق بقوله تعالى (فويل) أي عذاب

أو واد فى جهنم (للمصلين الذين هم) أى بضمائرهم وخالص سرائرهم (عن صلاتهم) التى هى جديرة بأن تضاف اليهم لوجوبها عليهم ولجلبها الاجل مصالحهم ومنافعهم بالتزكية وغيرها (ساهون) أى عريقون فى الغفلة عنها وتضييعها وعدم المبالاة بها وقلة الالتفات اليها وروى البغوى بسنده ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال هو اضاعة الوقت وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها فى العلانية مع الناس اذا حضروا لقوله تعالى (الذين هم) أى بجملة سرائرهم (يراؤن) أى بصلاتهم وغيرها الناس لانهم يفعلون الخير ليراهم الناس لا لرجاء الثواب ولا لخوف العقاب من الله تعالى ولذلك يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس وقال ابراهيم هو الذى يلتفت فى صلاته وقال قطرب هو الذى لا يقرأ ولا يذكر الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما لو قال فى صلاتهم ساهون لكانت فى المؤمنين وقال عطاء الحمد لله الذى قال تعالى عن صلاتهم ساهون ولم يقل فى صلاتهم فدل على ان الآية فى المنافقين وقال قتادة ساه عنها لا يبالى صلى أم لم يصل وقال مجاهد غافلون عنها متهاونون بها وقال الحسن هو الذى ان صلاها صلاها رياء وان فاتته لم يندم وقيل هم الذين يسهون عنها قلة التفات اليها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدرى الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السورة وكما ترى صلاة أكثر من ترى من الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم والمعنى ان هؤلاء أحق أن يكون سهوهم عن الصلاة التى هى عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذى هو شعبة من الشرك ومنع [illegible] بالدين وكم ترى من [illegible] (فان قيل) كيف [illegible] (أجيب) بأن معنى عن انهم ساهون [illegible] من المصلين [illegible] ومن [illegible] القراءة [illegible] (فان قيل) [illegible] (أجيب) بأنها مناسبة [illegible] ولا يكون الرجل مرائيا [illegible] الصالح [illegible] الاعلان [illegible] رسول الله [illegible] الاسلام [illegible] الدين [illegible] الاظهار وان [illegible]

والمعنى انه أهلك أصحاب الفيل لايلاف قريش وقيل هى لام التعجب معناه اعجبوا لايلاف قريش وكان لهم فى كل سنة رحلتان للتجارة رحلة فى الشتاء الى اليمن ورحلة

وعن بعضهم أنه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الاسود * ثم بين أن من هو بهذه الصفة يغلب عليه الشح بقوله تعالى (ويمنعون) اى على تجدد الاوقات (الماعون) أى حقوق الاموال والشيء اليسير من المنافع وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مجاهد الماعون أعلاها الزكاة المفروضة وأدناها عارية المتاع وعن علي انها الزكاة وقال محمد بن كعب والكلبي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقال قطرب أصل الماعون من القلة تقول العرب ماله سعنة ولا معنة أي شيء قليل فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر له ان كان للزكاة مؤديا حديث موضوع

سورة الكوثر وتسمى سورة النحر مكية

في قول ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا

(بسم الله) الذي لا حد لانتهاء فضله (الرحمن) الذي شمل الخلائق بجوده فلا راد لامره (الرحيم) الذي خص حزبه بالاعتصام بحبله وقوله تعالى (انا) اى بما لنا من العظمة (أعطيناك) أى خولناك مع التمكين العظيم الشرف الخالد (الكوثر) أى نهرا في الجنة هو حوضه صلى الله عليه وسلم ترد عليه امته لما روى عن انس انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال انزل على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر الى آخرها ثم قال تدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا انا بنهر يجرى حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي الى ما يجري فيه الماء فاذا أنا بمسك أذفر قلت لجبريل ما هذا قال الكوثر أعطاكه الله وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر زواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبدا وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا

في الصيف الى الشام

* (سورة الماعون) *

(قوله فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) * ان قلت كيف توعد الله الساهي عن الصلاة مع انه غير مؤاخذ بالسهو

هو يت لاناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك وعن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيجلون عن الحوض فأقول أي رب أصحابي فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول يارب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك وأحاديث الحوض كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لأولي الالباب فنسأل الله تعالى أن يرزقنا منه نحن وأحبابنا ويدخلنا واياهم الجنة بغير حساب قال القاضي عياض أحاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وقال ابن عادل وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة اه وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة أتباعه وقيل الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله تعالى اياه وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما الكوثر الخير الكثير قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون ان الكوثر نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله تعالى اياه وأصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير القدر والخطر كوثرا وقيل لأعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال الشاعر

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضله بها على جميع الخلائق *(تنبيه)* لا منافاة بين هذه الأقوال كلها فقد أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم أعطى صلى الله عليه وسلم النبوة والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع واظهاره على الأديان كلها والنصر على الأعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة وأولى الأقاويل في الكوثر وهو الذي عليه جمهور العلماء انه نهر في الجنة [illegible] ثم ما بات عليه [illegible] كما لا يناسب [illegible] الجامع لشكر (فصل) أي بقطع العلائق عن الخلائق بالوقوف بين يدي الله تعالى في حضرة المراقبة شكرا لاحسان المنعم [illegible] عن نهار المرائي فيها (لربك) أي المحسن اليك بأنواع النعم مراعيا [illegible] سبيل لاحد عليها (وانحر) أي انفق له الكوثر من البدن على الفقراء [illegible] عادة العرب لان البدن [illegible] والواحد [illegible] مائة [illegible] وقد أطلق العرب [illegible] قال محمد بن كعب [illegible] ان ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله [illegible] الله تعالى [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] قتادة [illegible] عكرمة وعطاء

نحبه رفع عن أمتي الخطأ والنسيان (قلت) المراد هنا التغافل بالسهو والتكاسل عن أدائها وقلة الالتفات اليها وذلك فعل المنافقين والفسقة من المسلمين لا ما يتفق فيها من

وقتادة فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك واقتصر على هذا الجلال الجلي وقال سعيد بن جبير ومجاهد فصل الصلاة المفروضة بجمع اى مزدلفة وانحر البدن بمنى وعن ابن عباس رضى الله عنهما وضع اليمين على الشمال فى الصلاة عند النحر وعن على أن معناه أن يرفع يديه فى التكبير الى نحره وقال الكلبى استقبل القبلة بنحرك وعن عطاء أمره أن يستوى بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره (ان شانئك) اى مبغضك والشانئ المبغض يقال شنأه يشنؤه اى أبغضه (هو الابتر) اى المنقطع عن كل خير واما أنت فقد أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذى لم يعطه أحد غيرك فمعطى ذلك كله هو الله رب العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم او المنقطع العقب لا أنت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أعقابك وأولادك وذكرك مرفوع على المنابر والمنائر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله تعالى ويثنى بذكرك ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر انما الابتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة وقال الرازى هذه السورة كالمقابلة للتى قبلها فانه ذكر فى الاولى البخل وترك الصلاة والرياء ومنع الماعون وذكر هنا فى مقابلة البخل انا اعطيناك الكوثر وفى مقابلة الصلاة فصل اى دم على الصلاة وفى مقابلة الرياء لربك اى لرضاه خالصا وفى مقابلة منع الماعون وانحر اى تصدق بلحم الاضاحى ثم ختم السورة بقوله تعالى ان شانئك هو الابتر اى المنافق الذى يأتى بتلك الافعال القبيحة سيموت ولا يبقى له أثر واما أنت فيبقى لك فى الدنيا الذكر الجميل وفى الآخرة الثواب الجزيل واختلف المفسرون فى الشانئ فقيل هو العاص بن وائل وكانت العرب تسمى من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقى البنات أبتر فقيل ان العاص وقف مع النبى صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله ابن النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان أهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا بتر فلان فلما توفى عبد الله ابن النبى صلى الله عليه وسلم خرج أبو جهل الى أصحابه فقال بتر محمد فنزلت وقال السدى ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم بمكة وابراهيم بالمدينة قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بامره من بعده فنزلت وقيل لما اوحى الله تعالى الى النبى صلى الله عليه وسلم دعا قريشا الى الايمان قالوا بتر محمد اى خالفنا وانقطع عنا فنزلت *(تنبيه)* قال أهل العلم قد احتوت هذه السورة على قصرها على معان لطيفة وأساليب بديعة منها دلالة استهلال السورة على انه تعالى أعطاه كثيرا من كثير ومنها اسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه ومنها ايراده بصيغة الماضى تحقيقا لوقوعه كما فى قوله تعالى أتى أمر الله ومنها تأكيد الجملة بان ومنها بناء الفعل على الاسم ليفيد الاسناد مرتين ومنها الاتيان بصيغة تدل على مبالغة الكثرة ومنها حذف الموصوف بالكوثر لان فى حذفه من فرط الشياع والابهام ما ليس فى اثباته ومنها تعريفه بال الجنسية الدالة على الاستغراق ومنها فاء التعقيب الدالة على السببية فان الانعام سبب للشكر والعبادة ومنها التعريض بمن كانت صلاته ونحره لغير الله تعالى ومنها ان الامر

السهو بالوسوسة او حديث النفس مما لا صنع للعبد فيه

(سورة الكوثر)

(قوله الكوثر) هو نهر فى الجنة وهو حوضه صلى الله عليه وسلم يرد عليه أمته

بالصلاة اشارة الى الاعمال الدينية التي الصلاة قوامها وأفضلها والامر بالنحر اشارة الى الاعمال البدنية التي النحر أسناها ومنها حذف متعلق انحر اذ التقدير فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع فانه من صناعة البديع العاري عن التكلف ومنها قوله تعالى لربك في الاتيان بهذه الصفة دون سائر صفاته الحسنى دلالة على أنه المربي له والمصلح بنعمه فلا يلتمس كل خير الا منه ومنها الالتفات من ضمير المتكلم الى الغائب في قوله تعالى لربك ومنها الامر بترك الاهتمام بشانئه للاستئناف وجعله خاتمة للاعراض عن الشانئ ولم يسمه ليشمل كل من اتصف بهذه الصفة القبيحة ولو كان المراد شخصا معينا لعينه الله تعالى ومنها التنبيه بذكر هذه الصفة القبيحة على أنه لم يتصف الا بمجرد قيام الصفة به من غير أن تؤثر فيمن يشنؤه شيأ البتة لان من يشنأ شخصا قد يؤثر فيه شنؤه شيأ ومنها تأكيد الجملة بان المؤذنة بتأكيد الخبر ولذلك يتلقى بها القسم وتقدير القسم يصلح هنا ومنها الاتيان بضمير الفصل المؤذن بالاختصاص والتأكيد ان جعلنا هو فصلا وان جعلناه مبتدأ فكذلك يفيد التأكيد اذ يصير الاسناد مرتين ومنها تعريف الابتر بال المؤذنة بالخصوصية بهذه الصفة كأنه قيل الكامل في هذه الصفة ومنها اقبال الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بالخطاب من اول السورة الى آخرها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر ويقربونه حديث موضوع

سورة الكافرون مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك وتسمى أيضا سورة المنابذة وسورة الاخلاص لانها في اخلاص العبادة والدين كما أن قل هو الله أحد في اخلاص التوحيد واجتماع النفاق فيهما اشارة الى اعتقادهما وعملهما ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان اي المبرئتان من النفاق قال الشاعر

أعيذك بالمقشقشتين عما * أحاذره ومن نظر العيون

وهي ست آيات وستة وعشرون كلمة وأربعة وتسعون حرفا

(بسم الله) الذي لا يستطيع أحد أن يقدره حق قدره (الرحمن) الذي عم برحمته من وجب عليهم شكره (الرحيم) الذي وفق أهل ودّه فالتزموا نهيه وأمره وقوله تعالى (قل) اي يا أشرف الخلق (يا أيها الكافرون) الى آخر السورة نزل في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمي والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب ابن أسد وأمية بن خلف قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظنا منه وان كان الذي بأيدينا خيرا كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه فقال معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فقال حتى انظر ما يأتي الي من ربي فانزل الله تعالى هذه السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام

(أو هو الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها)

* (سورة الكافرون) *

(قوله ما أعبد) لم يقل من مع انه القياس رعاية لمقابلة ما في قوله

وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه وفى مناداتهم بهذا الوصف الذى يسترذلونه فى بلدهم ومحل عزهم وحميتهم ايذان بانه محروس منهم علم من أعلام النبوة (فان قيل) ما الحكمة فى قوله تعالى فى التحريم يا أيها الذين كفروا وههنا قال قل يا أيها الكافرون (أجيب) بان فى سورة التحريم انما يقال لهم يوم القيامة وثم لا يكون رسولا اليهم فازال الواسطة فيكونون فى ذلك الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره تعالى بلفظ الماضى وأما هنا فكانوا موصوفين بالكفر وكان الرسول رسولا اليهم فقال تعالى قل يا أيها الكافرون اى الذين قد حكم بثباتهم على الكفر فلا انفكاك لهم عنه فستروا ما تدل عليه عقولهم من الاعتقاد الحق لو جردوها من ادناس الحظ وهم كفرة مخصوصون وهم من حكم بموته على الكفر بما طابقه من الواقع ودل عليه التعبير بالوصف دون الفعل واستغرق اللام كل من كان على هذا الوصف فى كل مكان وكل زمان والتعبير بالجمع الذى هو أصل فى القلة وقد يستعار للكثرة اشارة الى البشارة بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا فى حياته صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى له قل يا أيها الكافرون لانه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالرفق واللين فى جميع الامور كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ثم كان مأمورا بان يدعوهم الى الله تعالى بالوجه الاحسن فلما خاطبهم بيا أيها فكانوا يقولون كيف يليق هذا التغليظ بذلك الرفق فاجاب بانى مأمور بهذا الكلام لا انى ذكرته من عند نفسى ولما كان القصد اعلامهم بالبراءة منهم من كل وجه وانه لا يبالى بهم بوجه لانه محفوظ منهم قال (لا أعبد) اى الآن (ما تعبدون) من دون الله من المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه من وجوه العبادات فى سر ولا علن لانه لا يصلح للعبادة بوجه (ولا أنتم عابدون) اى الآن (ما أعبد) وهو الله تعالى وحده (ولا أنا عابد) اى فى الاستقبال (ما عبدتم) من دون الله تعالى (ولا أنتم عابدون) اى فى الاستقبال (ما أعبد) وهو الله وحده لا شريك له وهذا خطاب لمن علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون واطلاق ما على الله تعالى على جهة المقابلة. [illegible] التكرار [illegible] كما قال أكثر اهل المعانى هو ان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التأكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار لارادة التخفيف والايجاز فالتأكيد فى قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد ثانيا تأكيد لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد ومثله فبأى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين فى سورتيهما وكلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وفى الحديث فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة بضعة منى وفائدة التأكيد هنا قطع أطماع الكفار وتحقيق الاخبار بموافاتهم على الكفر وأنهم لا يسلمون أبدا وعلى الاول قد تقيدت كل جملة بزمان غير الزمان الآخر قال ابن عادل وفيه نظر كيف يتقيد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى عبادته لما يعبدون بزمان وهذا مما لا يصح اه وقد يرد هذا بانه صلى الله عليه وسلم نفى فى الجملة الاولى الحال وفى الثانية الاستقبال وقول البيضاوى فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى [illegible]

وكرر قوله ما تعبدون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد مرتين لأن الاولى للحال والثانية للاستقبال وقيل لمقابلة سؤالهم مرتين حيث قالوا اعبد تعبد آلهتنا كذا

الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على المضارع بمعنى الحال جرى على الغالب فيهما ولما أيس منهم صلى الله عليه وسلم قال (لكم دينكم) أي الذي أنتم عليه من الشرك (ولي دين) أي الذي أنا عليه من التوحيد وهو دين الاسلام وفي هذا معنى التهديد كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم أي ان رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا وهذا كما قال الجلال المحلي قبل أن يؤمر بالحرب وقيل السورة كلها منسوخة وقيل ما نسخ منها شيء لانها خبر ومعنى لكم دينكم أي جزاء دينكم ولي دين أي جزاء ديني وسمى دينهم دينا لانهم اعتقدوه وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي لان الدين الجزاء وحذفت ياء الاضافة من ديني للسبعة وقفا ووصلا وقرأ نافع وهشام وحفص والبزي بخلاف عنه بفتح الياء والباقون باسكانها *(فائدة)* قال الرازي جرت العادة بان الناس يتمثلون بهذه الآية عند المتاركة وذلك غير جائز لانه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به بل ليتدبر فيه فيعمل بموجبه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر حديث موضوع الا الجملة الاولى منه فرواها الترمذي

سورة النصر مدنية

بالاجماع وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث آيات وست عشرة كلمة وتسعة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي له الامر كله فهو العليم الحكيم (الرحمن) الذي أرسلك رحمة من الله العلي العظيم (الرحيم) الذي خص أهل وده بنعمة النعيم وقوله تعالى (اذا) منصوب بسبح (جاء نصر الله) أي الملك الاعظم الذي لا مثل له ولا امر لاحد معه باظهاره اياك على أعدائك ومعنى جاء استقر وثبت في المستقبل بمجيء وقته المضروب له في الازل وزاد في تعظيمه بالاضافة ثم بكونها الى اسم الذات وقرأ حمزة وابن ذكوان بامالة الالف بعد الجيم محضة والباقون بالفتح والاعلام به قبل كونه من اعلام النبوة وروى أنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع (والفتح) أي فتح مكة وهو الفتح الذي يقال له فتح الفتوح وقصته مشهورة في البغوي وغيره فلا نطيل بذكرها وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله تعالى قد أمكنه منهم وكانوا له فيئا فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام فدين الله تعالى في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقيل المراد جنس نصر الله تعالى المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم (فان قيل) ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه (أجيب) بان النصر الاعانة والاظهار على العدو ومنه نصر الله تعالى الارض أغاثها قال الشاعر

سنة ونعبد الهك كذا مرة
ثم نعبد آلهتنا كذا مرة
ونعبد الهك كذا مرة

(سورة النصر)

وتسمى سورة التوديع
(قوله اذا جاء نصر الله)
جواب اذا فسبح او محذوف

اذا انسلخ الشهر الحرام فودعى * بلاد تميم وانصرى آل عامر

ويروى اذا دخل الشهر الحرام فجاوزى * بلاد تميم وانصرى أرض عامر

والفتح فتح البلاد وقال الرازى الفرق بين النصر والفتح ان الفتح هو الاعانة على تحصيل المطلوب الذى كان متعلقا به والنصر كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف الفتح عليه (فان قيل) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائما منصورا بالدلائل والمعجزات فما المعنى بتخصيص لفظ النصر بفتح مكة (أجيب) بان المراد من هذا النصر هو النصر الموافق للطبع (فان قيل) النصر لا يكون الا من الله تعالى قال الله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم فما فائدة التقييد بنصر الله (اجيب) بان معناه نصر لا يليق الا بالله تعالى كما يقال هذا صنعة زيد اذا كان مشهورا باحكام الصنعة والمقصود منه تعظيم حال تلك الصنعة فكذا ههنا (فان قيل) الذين اعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة هم أصحابه من المهاجرين والانصار ثم انه تعالى سمى نصرتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم نصر الله فما السبب فى ذلك (أجيب) بان النصر وان كان على يد الصحابة لكن لابد له من داع وباعث وهو من الله تعالى (فان قيل) فعلى هذا الجواب يكون فعل العبد مقدما على فعل الله تعالى وهذا بخلاف النصر لانه تعالى قال ان تنصروا الله ينصركم فجعل نصره مقدما على نصرهم لنا (اجيب) بانه لا امتناع فى أن يكون فعل العبد سببا لفعل آخر يصدر عن الله تعالى فان أسباب الحوادث ومسبباتها على ترتيب عجيب تعجز عن ادراكه العقول البشرية * ولما عبر عن المعنى بالمجىء عبر عن المرئى بالرؤية فقال تعالى (ورأيت) أى ببصرك (الناس) أى العرب الذين كانوا احقر من عند جميع الامم فصاروا بك هم الناس كما دلت عليه لام الكمال وصار سائر أهل الارض لهم اتباعا وبالنسبة اليهم رعاعا حال كونهم (يدخلون) شيأ فشيأ متجدد دخولهم مستمرا (فى دين الله) أى شرع من لم تزل كلمته هى العليا (أفواجا) أى جماعات كثيرة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله أنه بكى ذات يوم فقيل له فى ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا وقال عكرمة ومقاتل أراد بالناس اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبعمائة انسان مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون وبعضهم يقرؤن القرآن وبعضهم يهللون فسر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال أجد نفس ربكم من قبل اليمن وفى هذا تأويلات أحدها انه الفرج لتتابع اسلامهم أفواجا الثانى ان الله تعالى نفس الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم باهل اليمن وهم الانصار وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما اذ ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من ارادهم فكانوا يدخلون فى الاسلام افواجا من غير قتال أمة بعد امة وقال الضحاك والامة أربعون رجلا *(تنبيه)* دين الله تعالى هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال

تقديره حضر أجلك أى اذا جاء نصر الله اياك على من عاداك حضر أجلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول لما نزلت هذه السورة نعى الى نفسى وقال الحسن اعلم الله النبى صلى الله تعالى

تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه واضافة الدين الى الاسم الدال على الالوهية اشارة الى أنه يجب أن يعبد لكونه الها وللدين أسماء أخر منها الصراط قال تعالى صراط الله ومنها النور يريدون ليطفؤا نور الله ومنها الهدى قال تعالى هدى الله يهدي به من يشاء ومنها العروة الوثقى قال تعالى ومن يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ومنها الحبل المتين قال تعالى واعتصموا بحبل الله ومنها صبغة الله ومنها فطرة الله * (تنبيه) * جمهور الفقهاء وأكثر المتكلمين على أن ايمان المقلد صحيح واحتجوا بهذه الآية قالوا ان الله تعالى حكم بصحة ايمان أولئك الافواج وجعله من أعظم المنن على نبيه صلى الله عليه وسلم فلو لم يكن ايمانهم صحيحا لما ذكره في هذا المعرض ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا يعرفون حدوث الاجسام بالدليل ولا اثبات كونه تعالى عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية لها ولا اثبات الصفات والتنزيهات بالدليل والعلم بان أولئك الاعراب ما كانوا عالمين بهذه الدقائق ضروري فعلمنا ان ايمان المقلد صحيح (فان قيل) انهم كانوا عالمين بأصول دلائل هذه المسائل لان أصول هذه الدلائل ظاهرة بل كانوا جاهلين بالتفاصيل (أجيب) بان الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان فان الدليل اذا كان مثلا من عشر مقدمات فمن علم تسعة منها وكان في المقدمة العاشرة مقلدا كان في النتيجة مقلدا لا محالة * ولما كمل الدين أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يشتغل بنفسه فقال عز من قائل (فسبح) أي نزه ربك وقيل فصل بالصلاة وغيرها تسبيحا ملتبسا (بحمد ربك) أي الذي أنجز لك الوعد باكمال الدين وقمع المعتدين المحسن اليك بجميع ذلك لان هذا كله لكرامتك والا فهو عزيز حميد على كل حال تعجبا لتيسير الله تعالى لهذا الفتح الذي لم يخطر ببال أحد حامدا الله عليه أو فصل له حامدا على نعمه قاله ابن عباس وروي انه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثماني ركعات (واستغفره) أي اطلب غفره انه لتقتدي بك امتك في المواظبة على الامان الثاني فان الامان الاول الذي هو وجودك بين أظهرهم قد دنا رجوعه الى معدنه في الرفيق الاعلى والمحل الاقدس وفي ذلك اشارة الى انه لا يقدر أحد أن يقدر الله تعالى حق قدره كما أشار الى ذلك الاستغفار عقب الصلاة التي هي أعظم العبادات وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه سورة اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول أستغفر الله وأتوب اليه قال فقال أمرت بها ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها وقال عكرمة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط أشد اجتهادا في أمور الآخرة ما كان عند نزولها وقال مقاتل لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انه كما قلت فعاش بعدها ستين يوما ما رؤي فيها ضاحكا مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد أيام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر والعباس فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا لا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فعاش صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها

الله عليه وسلم انه قد اقترب أجله فأمره بالتسبيح والاستغفار ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح فكان يكثر من قوله سبحانك اللهم اغفر لي انك أنت التواب وروى

نحو ستين يوما ثم نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما ثم نزل
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها أحدا وعشرين يوما وقال مقاتل سبعة
أيام وقيل غير ذلك وقال الرازي اتفق الصحابة على ان هذه السورة دلت على نعي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك لوجوه أحدها انهم عرفوا ذلك لما خطب صلى الله عليه وسلم
عقب السورة وذكر التخيير وهو قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته لما نزلت هذه السورة
ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فقال أبو بكر رضي الله عنه
فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا ثانيها انه لما ذكر حصول النصر والفتح
ودخول الناس في الدين أفواجا دل ذلك على حصول الكمال والتمام وذلك يستعقبه
الزوال كما قيل

اذا تم أمر بدا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم

ثالثها انه تعالى أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا واشتغاله بذلك يمنعه من الاشتغال
بأمر الامة فكان هذا كالتنبيه على أن أمر التبليغ قد تم وكمل وذلك يقتضي انقضاء الاجل
اذ لو بقي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك غير جائز وعن ابن عباس
ان عمر كان يدنيه ويأذن له مع أهل بدر فقال عبد الرحمن أتأذن لهذا الفتى معنا وفي أبنائنا
من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم فسألهم عن
قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ولا أراه سألهم الا من أجلي فقال بعضهم أمر الله تعالى
نبيه اذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال
عمر ما أعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وروى أنه صلى الله
عليه وسلم دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك
أول أهلي لحوقا بي وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر قبل موته أن يقول سبحانك
اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك وعنها أيضا ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة بعد أن نزلت اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي
وقالت أم سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا
يجيء ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه قال فاني أمرت بها ثم
قرأ اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها وقيل استغفره هضما لنفسك واستصغارا لعملك
واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة والسلام اني لأستغفر الله
في اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفر لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على
طريق النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله * ولما أمره الله
تعالى بالتسبيح والاستغفار أرشده الى التوبة بقوله تعالى (انه) أي المحسن اليك بالنصر
والفتح وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر (كان) أي ولم يزل (توابا) أي رجاعا بمن ذهب به
الشيطان من أهل رحمته فهو الذي رجع بأنصارك عما كانوا عليه من الاجتماع على الكفر
والاختلاف والعداوات فأيدك الله تعالى بدخولهم في الدين شيأ فشيأ الى أن دخلت مكة
في عشرة آلاف وهو أيضا يرجع بك الى الحالة التي يزداد بها ظهورك ورفعتك في الرفيق الاعلى قال

ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزولها سنتين

(سورة تبت)

(قوله تبت يدا أبي لهب) ليس بتكرار مع ما بعده لانه دعاء والثاني خبر أي فقد

الله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى فتفوز بتلك السعادات العالية وعن ابن مسعود
ان هذه السورة تسمى سورة التوديع قال قتادة ومقاتل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد
نزول هذه السورة سنتين وهذا بناء على انها نزلت قبل فتح مكة وهو قول الاكثر فان الفتح كان
فى سنة ثمان وأما من قال عاش دون ذلك كما مر فبناء على انها نزلت بمنى فى حجة الوداع كما مر
أيضا *(تنبيه)* فى الآية سؤالات أحدها ان قوله تعالى كان توابا يدل على الماضى
وحاجتنا الى قبوله فى المستقبل ثانيها هلا قال غفارا كما قال فى سورة نوح عليه السلام ثالثها
انه قال تعالى نصر الله وقال تعالى فى دين الله وقال تعالى بحمد ربك ولم يقل بحمد الله
(واجيب) عن الاول بوجوه أحدها أن هذا أبلغ كأنه يقول انى تبت على من هو أقبح فعلا
منكم كاليهود فانهم بعد ظهور المعجزات العظيمة كفلق البحر ونتق الجبل ونزول المن
والسلوى عصوا ربهم وأتوا بالقبائح ولما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت قابلا للتوبة أولئك
وهم دونكم افلا أقبل توبتكم وانتم خير أمة أخرجت للناس ثانيها انه شرعت فى توبة
العصاة والشروع ملزم على قول النعمان فكيف فى كرم الرحمن ثالثها كنت توابا قبل أمركم
بالاستغفار أفلا اقبل وقد امرتكم بالاستغفار رابعها كأنه اشار الى تخفيف جناياتهم أى
لستم اول من جنى وتاب والمصيبة اذا عمت خفت خامسها كأنه نظير ما يقال انه احسن الله
اليك فيما مضى كذلك يحسن اليك فيما بقى (واجيب) عن الثانى بوجهين احدهما لعله
خص هذه الامة بزيادة الشرف لانه لا يقال فى صفات العبد غفار و يقال تواب اذا كان آتيا
بالتوبة فيقول تعالى كنت لى سميا من اول الامر انت مؤمن وانا مؤمن وان كان المعنى
مختلفا فتب حتى تصير سميا لى فى آخر الامر وانت تواب وأنا تواب ثم التواب فى حق الله تعالى
انه يقبل التوبة كثيرا فيجب على العبد ان يكون اتيانه بالتوبة كثيرا ثانيهما انه تعالى
انما قال توابا لان القائل قد يقول استغفر الله وليس بتائب كما روى عنه عليه الصلاة والسلام
المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزئ بربه (فان قيل) قد يقول اتوب وليس بتائب
(اجيب) بان ذا يكون كاذبا لان التوبة اسم للرجوع والندم بخلاف الاستغفار فانه لا يكون
كاذبا فيه فصار تقدير الكلام واستغفره بالتوبة وفيه تنبيه على ان خواتيم الاعمال يجب ان
تكون بالتوبة والاستغفار وكذا خواتيم الاعمار (واجيب) عن الثالث بانه تعالى راعى
العدل فذكر اسم الذات مرتين وذكر اسم الفعل مرتين احدهما الرب والثانى التواب ولما كانت
التربية تحصل اولا والتوبة آخر الاجرم ذكر اسم الرب اولا واسم التوبة آخرا نسأل الله تعالى
من فضله وكرمه ان يمن علينا بتوبة نصوح لا تنكث بعدها انه جواد كريم رحيم وقول البيضاوى
تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله اعطى من الاجر كمن
شهد مع محمد يوم فتح مكة حديث موضوع

سورة تبت مكية

وهى خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا

(بسم الله) الملك ... (الرحمن) ... (الرحيم) الذى ... [illegible]

تب اى خسر وقيل تبت
يدا ابى لهب اى عمله وتب
اى ابو لهب (فان قلت)
كيف ذكره الله تعالى بكنيته
دون اسمه وهو عبد العزى
مع ان ذلك اكرام واحترام
(قلت) لانه لم يشتهر الا

(رحيم) الذي خص بتوفيقه أهل الوداد وقوله تعالى (تبت يدا أبي لهب) دعاء عليه وسبب
نزول ذلك ما روي عن ابن عباس أنه قال لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين صعد صلى
الله عليه وسلم الصفا وجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل
الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتم لو
أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقون قالوا بلى قال فإني نذير لكم بين يدي
عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا جميعا فنزلت وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم
خرج إلى البطحاء فصعد الجبل ونادى يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش وذكر نحوه وفي رواية
فصعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد فاجتمعوا إليه فقال صلى
الله عليه وسلم أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا
عليك كذبا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا
فنزلت وعن أبي زيد أن أبا لهب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا أعطى إن آمنت بك
يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم كما يعطى المسلمون فقال ما لي عليهم فضل قال صلى الله عليه
وسلم وأي شيء تبتغي فقال تبا لهذا من دين أن أكون أنا وهؤلاء سواء فنزلت ومعنى تبت قال ابن
عباس خابت وقال قتادة خسرت وقال عطاء ضلت وقال ابن جبير هلكت والتباب الهلاك
ومنه قولهم أشابة أم تابة أي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لأنه فيما روي
أخذ حجرا ليرمي به النبي صلى الله عليه وسلم فقيل رماه فأدمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وإن كان
المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فأضيفت الأفعال إلى اليد وذلك
على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه أو عبر باليدين لأن الأعمال أكثر ما
تزاول بهما وقال يمان بن رئاب صفرت من كل خير حكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء
أنه لما قتل عثمان سمع الناس هاتفا يقول

لقد خلوك وانصرفوا * فما آبوا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذرهم * فيا تبا لما صنعوا

وقيل المراد باليدين [illegible]
[illegible]
[illegible] (فإن من) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقال الزمخشري [illegible]

بكنيته او لان ذكره باسمه خلاف الواقع حقيقة لانه عبد الله لا عبد العزى او عبد الله او لانه ذكره بكنيته او فيه تنبيه على حاله انها من تسميته الى النار ذات اللهب واقف

اما الشهرته بكنيته واما القبح اسمه كما تقدم واما لانه لما كان من أهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته اهـ وهذا يقتضي ان الكنية أشرف من اللقب لا أنقص وهو عكس قول تقدم وقرأ ابن كثير باسكان الهاء والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى كالنهر والنهر وقوله تعالى (وتب) خبر كما يقال أهلكه الله وقد هلك فالاول أخرج مخرج الدعاء عليه والثاني أخرج مخرج الخبر فحقق به ما أريد من الاسناد الى اليدين من الكناية عن الهلاك الذي لا بقاء بعده وقيل المراد بالاول ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وبالثاني نفسه * ولما دعا صلى الله عليه وسلم أقربيه الى الله تعالى وخوفهم النار قال أبو لهب ان كان ما يقول ابن أخي حقا فاني أفتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله تعالى (ما أغنى عنه) اى عن أبي لهب (ماله) اى الكثير الذي جرت العادة أنه منج من الهلاك فانه كان صاحب مواش كثيرة (وما كسب) اى من الولد والاصحاب والعز بعشيرته التي كان يؤذي بها النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابنه عتبة شديد الاذى للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فكان أبو لهب يعرف أن هذه الدعوة لا بد ان تدركه فسافر الى الشام فاوصى به الرفاق لينجوه من هذه الدعوة فكانوا يحدقون به اذا ناموا ويكونون وسطهم والجمول محيطة به وهم محيطون بها والركاب محيطة بهم فلم ينفعه ذلك بل جاء الاسد فتشممهم الناس حتى وصل اليه فاقتلع رأسه وانما كان الولد من الكسب لقوله صلى الله عليه وسلم اطيب ما يأكل أحدكم من كسبه وان ولده من كسبه *(تنبيه)* ما في ما أغنى يجوز فيها النفي والاستفهام فعلى الاستفهام تكون منصوبة المحل بما بعدها التقدير اى شئ أغنى المال وقدم لكونه له صدر الكلام ويجوز في ما في قوله تعالى وما كسب أن تكون بمعنى الذي فالعائد محذوف وأن تكون مصدرية اى وكسبه وأغنى بمعنى يغني ثم اوعده سبحانه بالنار فقال تعالى (سيصلى) اى عن قريب بوعد لا خلف فيه (نارا) يندس بها وتنعطف عليه وتحيط به (ذات لهب) اى لا تسكن ولا تخمد أبدا لان ذلك مدلول الصحبة المعبر عنها بذات وذلك بعد موته * ولما أخبر تعالى عنه بكمال التباب الذي هو نهاية الخسار زاده تحقيرا بذكر من يصونها بازرى صورة وأشنعها بقوله تعالى (وامرأته) وهو عطف على ضمير يصلى سوغه الفصل بالمفعول وصفته وهي أم جميل وهي أخت أبي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي مثل زوجها في التباب والصلي من غير ان يغني عنها شئ من مال ولا حسب ولا نسب وعدل عن ذكرها بكنيتها لان صفتها القباحة وهي ضد كنيتها قال البقاعي ومن هنا يؤخذ كراهة التلقيب بناصر الدين ونحوها لمن ليس متصفا بما دل عليه لقبه وقوله تعالى (حمالة الحطب) فيه وجهان أحدهما هو حقيقة قال قتادة وكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد كانت تحمل العضاه والشوك فتلقيه في الليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير وقال مرة الهمداني كانت أم جميل تأتي في كل يوم بابالة من الحسك فتطرحها في طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة عييت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها الوجه الثاني ان ذلك مجاز عن

كنى بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما

(سورة الاخلاص)

(قوله الله احد الله الصمد) كرر لفظ الله لتكون الجملة الثانية مستقلة بذاتها

المشي بالنميمة ورمى الفتن بين الناس ويقال للمشاء بين الناس بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أي يوقد بينهم النائرة ويثير الشر قال الشاعر

من البيض لم تصطد على ظهر لامة • ولم تمش بين الناس بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره قال تعالى يحملون أوزارهم على ظهورهم وقرأ عاصم بنصب التاء من حمالة على الشتم قال الزمخشري وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب شتم أم جميل اهـ والباقون برفعها على انها صفة امرأته فامرأته مرفوعة باتفاق اما بالعطف على الضمير في سيصلى كما مر ويكون قوله تعالى (في جيدها حبل) حالا من امرأته أو على الابتداء وفي جيدها حبل هو الخبر وحبل فاعل به ويجوز أن يكون في جيدها خبرا مقدما وحبل مبتدأ مؤخرا والجملة حالية أو خبر ثان والجيد العنق ويجمع على أجياد وقوله تعالى (من مسد) صفة لحبل والمسد ليف المقل وقيل الليف مطلقا وقال أبو عبيدة هو حبل يكون من صوف وقال الحسن هي حبال من شجر ينبت باليمن يسمى المسد وكانت تفتل وقال الضحاك وغيره هذا في الدنيا وكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف فخنقها الله عز وجل به فأهلكها وهو في الآخرة حبل من نار (فان قيل) ان كان ذلك حبلها فكيف يبقى في النار (أجيب) بان الله تعالى قادر على تجديده كلما احترق كما يبقى اللحم والعظم والجلد أبدا في النار وعن ابن عباس قال هو سلسلة ذرعها سبعون ذراعا تدخل في فيها وتخرج من أسفلها ويلوى سائرها على عنقها وقال قتادة هو قلادة من ودع وقال الحسن انما كان خرزا في عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لأنفقنها في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة وقيل ان ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها مربوطة عن الايمان بما سبق لها من الشقاء كالمربوط في جيده بحبل من مسد والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا أي أجاد فتله [illegible] وروي أنها لما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا أبا بكر فقالت يا أبا بكر أين صاحبك [illegible] والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ثم قالت

مذمما عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا

ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأتك فقال صلى الله عليه وسلم ما رأتني لقد أخذ الله تعالى بصري عنها وكانت قريش انما تسمي محمدا صلى الله عليه وسلم مذمما يسبونه وكان صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون لما صرف الله تعالى عني من أذى قريش يسبون مذمما وأنا محمد [illegible] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل هذا الأذى ويحلم عليهم [illegible] ليكون لهم أسوة قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

(تنبيه) احتج أهل السنة على تكليف ما لا يطاق بانه تعالى كلف أبا لهب بالايمان بتصديق الله

كالاولى غير محتاجة الى الاولى (فان قلت) كيف ذكر احد في الاثبات مع ان المشهور انه يستعمل بعد النفي كان الواحد لا يستعمل الا بعد الاثبات

تعالى فى كل ما أخبر عنه وعما أخبر عنه انه لا يؤمن فانه من أهل النار فانه قد صار مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال وذلك مذكور فى أصول الفقه وقد تضمنت هذه الآيات الاخبار عن الغيب بثلاثة أوجه أحدها الاخبار عنه بالتباب والخسران وقد كان ذلك ثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان ذلك ثالثها الاخبار عنه بانه من أهل النار وقد كان ذلك لانه مات على الكفر هو وامرأته ففى ذلك معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وامرأته خنقها الله تعالى بحبلها كما مر وابو لهب رماه الله تعالى بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فمات وأقام ثلاثة أيام لا يدفن حتى انتن ثم ان ولده غسله بالماء قذفا من بعيد مخافة عدوى العدسة وكانت قريش تتقيها كما تتقى الطاعون ثم احتملوه الى اعلى مكة واسندوه الى جدار ثم رضموا عليه الحجارة وقيل ان الله تعالى يدخل امرأته جهنم على الصورة التى كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الحطب ولا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من أصل شجرة الزقوم أو من الضريع وفى جيدها حبل من مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله فى جرمه وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة حديث موضوع

يقال فى الدار واحد وما فى الدار احد ومن ذلك قوله تعالى والهكم اله واحد وقوله لله الواحد القهار وقوله تعالى ولا تصل

سورة الاخلاص مكية

فى قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة ومدنية فى احد قولى ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى وهى اربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وار بعون حرفا

(بسم الله) الذى له جميع الكمال ذى الجلال والجمال (الرحمن) الذى افاض على جميع خلقه عموم الافضال (الرحيم) الذى خص اهل وداده من نوال الانعام بالاتمام والكمال * واختلف فى سبب نزول سورة (قل هو الله احد) فروى ابو العالية عن ابى بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فنزلت وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى من تدعونا يا محمد فقال الى الله تعالى قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت واهلك الله تعالى اربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون وقال الضحاك وقتادة ومقاتل جاء ناس من احبار اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى انزل صفته فى التوراة فاخبرنا من اى شئ هو وهل يأكل ويشرب وممن ورث ومن يرثه فنزلت *(تنبيه)* هو ضمير الشأن وهو مبتدأ وخبره الله واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله تعالى على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقى ما يكون منزه الذات عن التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية *(فائدة)* جاء فى الواحد عن العرب لغات كثيرة يقال واحد واحد ووحد ووحيد ووحاد واحاد وموحد وأوحد وهذا كله راجع الى معنى الواحد وان كان فى ذلك معان لطيفة ولم يجئ

فى صفات الله تعالى الا الواحد والاحد وقوله تعالى (الله) أى الذى ثبتت الهيته وأحديته لاغيره مبتدأ خبره (الصمد) واخلى هذه الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى أو الدليل عليها والصمد السيد المصمود اليه فى الحوائج كلها والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالوهية لايشارك فيها وهو الذى يصمد اليه كل مخلوق لايستغنون عنه وهو الغنى عنهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما الصمد هو الذى لاجوف له وقال الشعبى هو الذى لاياكل ولايشرب وقال الربيع هو الذى لاتعتريه الآفات وقال مقاتل بن حيان هو الذى لاعيب فيه وقال قتادة هو الباقى بعد فناء خلقه وقال سعيد بن جبير هو الكامل فى جميع صفاته وأفعاله وقال السدى هو المقصود اليه فى الرغائب المستغاث به عند المصائب تقول العرب صمدت فلانا اصمده صمدا بسكون الميم اذا قصدته وعن أبى بن كعب هو الذى (لم يلد) لان من يلد سيموت ومن يموت يورث عنه فتفسير الصمد بما بعده وينبغى ان تجعل هذه التفاسير كلها تفسيرا واحدا فانه متصف بجميعها فكونه لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى من يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه لدوامه فى أبديته والاقتصار على الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله أو العزير أو المسيح أو غيره * ولما بين أنه لافصل له ظهر أنه لاجنس له فدل عليه بقوله تعالى (ولم يولد) لانه لو تولد عنه غيره تولد هو عن غيره كما هو المعهود والمعقول فهو قديم لاأول له بل هو الاول الذى لم يسبقه عدم لان الولادة لاتكون ولاتتخص الا بواسطة المادة وعلائقها وكل ما كان ماديا أو كان له علاقة بالمادة كان متولدا عن غيره والله سبحانه وتعالى منزه عن جميع ذلك (ولم يكن) أى لم يتحقق ولم يوجد بوجه من الوجوه ولابتقدير من التقادير (له) أى خاصة (كفوا) أى مثلا ومساويا (أحد) على الاطلاق أى لايساويه فى قوة الوجود لانه لو ساواه فى ذلك لكانت مساواته باعتبار الجنس والفصل فيكون وجوده متولدا عن الازدواج الحاصل من الجنس الذى يكون كالام والفصل الذى يكون كالاب وقد ثبت انه لايصح بوجه من الوجوه أن يكون فى شئ من الولادة لان وجوب وجوده لذاته انتفى ان يساويه شئ وكان الاصل أن يؤخر الظرف لانه صلة لكن لما كان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز أن يكون حالا من المستكن فى كفوا أو خبرا أو يكون كفوا حالا من أحد وعطف هاتين الجملتين على الجملة التى قبلهما لان الثلاث شرح الصمدية النافية لاقسام الامثال فهى كالجملة الواحدة روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك أما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته وأما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد وقرأ حمزة بسكون الفاء والباقون بضمها وقرأ حفص كفوا بالواو بدل الهمزة وقفا ووصلا واذا وقف حمزة وقف بالواو * وروى فى فضائل هذه السورة أحاديث كثيرة منها ما روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انها

على احد منهم وقوله لانفوف بين احد (قولت) قال ابن عباس رضى الله عنهما

مع قوله يقول الذى فى صحيح البخارى فقوله اه

انها تعدل ثلث القرآن (فان قيل) لم كانت تعدل ثلث القرآن (أجيب) بان القرآن أنزل أثلاثا ثلث أحكام وثلث وعد ووعيد وثلث أسماء وصفات فجمعت هذه السورة أحد الاثلاث وهو الاسماء والصفات وقيل انها تعدل القرآن كله مع قصر متنها وتقارب طرفيها وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى بذلك دليلا لمن اعترف بفضلها ٣

* ومنها ما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمن فانا أحب أن أقرأ بها فقال صلى الله عليه وسلم أخبروه ان الله تعالى يحبه * ومنها ما رواه الترمذي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال صلى الله عليه وسلم وجبت قلت ما وجبت قال الجنة * ومنها ما روى أنس أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت ذنوبه * ومنها ما روى سعيد بن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة فقال عمر اذن تكثر قصورنا فقال صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك * ومنها ما رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح ثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الارض يومئذ اذا اتقى وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة باكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة وقد أفردت أحاديثها بالتأليف وفي هذا القدر كفاية لاولي الالباب

* ولها اسماء كثيرة وزيادة الاسماء تدل على شرف المسمى احدها انها سورة التفريد ثانيها سورة التجريد ثالثها سورة التوحيد رابعها سورة الاخلاص خامسها سورة النجاة سادسها سورة الولاية سابعها سورة النسبة لقولهم انسب لنا ربك ثامنها سورة المعرفة تاسعها سورة الجمال عاشرها سورة المقشقشة حادي عشرها سورة المعوذة ثاني عشرها سورة الصمد ثالث عشرها سورة الاساس قال أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد رابع عشرها المانعة لانها تمنع فتنة القبر ونفحات النار خامس عشرها سورة المحضر لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرئت سادس عشرها سورة المنفرة لان الشياطين تنفر عند قراءتها سابع عشرها سورة البراءة لانها براءة من الشرك ثامن عشرها المذكرة لانها تذكر العبد خالص التوحيد تاسع عشرها سورة النور لانها تنور القلب المكمل للعشرين سورة الانسان قال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الله قال الله دخل حصني ومن دخل حصني امن من عذابي فنسأل الله تعالى ان يجيرنا من عذابه ويدخلنا الجنة نحن وجميع الاحباب بغير حساب لانه كريم حليم وهاب وما رواه البيضاوي من انها تعدل ثلث القرآن فرواه البخاري ومن انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرؤها الخ فرواه الترمذي والنسائي وغيرهما

لافرق بينهما في المعنى واختاره أبو عبيدة ويؤيده قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم وعليه فلا يختص

سورة الفلق مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدنية في قول ابن عباس وقتادة
وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي له جميع الطول (الرحمن) الذي استجمع كمال الطول (الرحيم) الذي أتم على أهل وده جميع النول واختلف في سبب نزول سورة (قل أعوذ برب الفلق) فقال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه وأعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت هذه وقل أعوذ برب الناس فيه وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم طب أي سحر حتى كانه يخيل اليه انه صنع شيأ وما صنعه وانه دعا ربه ثم قال اشعرت ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه فقالت عائشة رضي الله عنها وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال الآخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في ذروان وذر وان بئر في بني زريق قالت عائشة رضي الله عنها فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤس الشياطين قالت فقلت يا رسول الله هل اخرجته قال اما انا فقد شفاني الله وكرهت ان اثير على الناس منه شرا وعن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى ذلك اياما فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رأى وجهه قط وروى انه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيها مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم واسنان مشطه وعن مقاتل والكلبي كان ذلك في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كانت مغروزة بالابرة فانزل الله عز وجل هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات فكلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال وروى انه لبث فيه ستة اشهر واشتد عليه ثلاث ليال فنزلت المعوذتان وروى انه كان يخيل له انه يطأ ازواجه وليس بواطئ قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر وعن ابي سعيد الخدري ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد والله يشفيك بسم الله ارقيك (فان قيل) المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره اولا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف امر بالاستعاذة مع ان ما قدر لابد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة (اجيب) بان كل ما وقع في الوجود فهو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء الله يدل على صحة

احدهما بمحل دون آخر وان اشتهر استعمال احدهما في النفي والآخر في الاثبات ويجوز ان يكون العدول عن المشهور هنا رعاية للفاصلة

بعد

ذلك لما روى الترمذى عن ابن خزامة عن ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارأيت رقى نسترقى بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل يرد من قضاء الله شيأ قال هو من قدر الله قال الترمذى هذا حديث حسن وعن عمر نفر من قدر الله الى قدر الله ومعنى أعوذ أستجير وألتجئ وأعتصم وأحترز والفلق الصبح فى قول الاكثرين ومنه قوله تعالى فالق الاصباح لانه ظاهر فى تغير الحال ومحاكاة يوم القيامة الذى هو أعظم فلق يشق ظلمة الفناء والهلاك بالبعث والاحياء وقال الماوردى الفلق بالسكون والحركة كل شئ انفلق عنه ظلمة العدم وأوجد من الكائنات جميعا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سجن فى جهنم وقال الكلبى واد فى جهنم وقال الضحاك يعنى الخلق وقيل المطمئن من الارض وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان وقيل الفلق الجبال والصخور تنفلق بالمياه اى تنشق وقيل هو التفلق بين الجبال لانها تنشق من خوف الله تعالى ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى لان الاعاذة من المضار تربية * ولما كانت الاشياء قسمين عالم الخلق وعالم الامر وكان عالم الامر خيرا كله فكان الشر منحصرا فى عالم الخلق خصه بالاستعاذة فقال تعالى مضافا اليها (من شر ما خلق) خص عالم الخلق بالاستعاذة منه لانحصار الشر فيه والشر يكون اختياريا من العاقل الداخل تحت مدلول ما وغيره من سائر الحيوانات كالكفر والظلم ونهش السباع ولدغ ذوات السموم وتارة طبيعيا كاحراق النار واهلاك السموم وقيل المراد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله تعالى خلقا شرا منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذى شر وقوله تعالى (ومن شر غاسق اذا وقب) فيه أوجه احدها ما روى عن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذى بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح حسن فعلى هذا المراد به القمر اذا خسف واسود وذهب ضوءه او اذا دخل فى المحاق وهو آخر الشهر وفى ذلك الوقت يتم السحر المؤثر للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة ثانيها ما روى عن ابن عباس أن الغاسق الليل اذا وقب اى اقبل بظلمته من المشرق وسمى الليل غاسقا لانه أبرد من النهار والغسق البرد وانما أمرنا بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث ومنه قولهم الليل أخفى للويل وقولهم أغدر الليل لانه اذا أظلم كثر فيه الغدر وفيه يتم السحر وأسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه ثالثها انه الثريا اذا سقطت وغابت ويقال ان الاسقام تكثر فيه عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا أمرنا بالتعوذ من الثريا عند سقوطها رابعها انه الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد ولما كان السحر اعظم ما يكون لما فيه من تفريق المرء من زوجه وأبيه وابنه ونحو ذلك عقب ذلك بقوله تعالى (ومن شر النفاثات فى العقد) أى النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللواتى تعقد عقدا فى خيوط وينفثن عليها او يرقين عليها والنفث النفخ مع ريق وقال ابو عبيدة النفاثات من بنات لبيد بن أعصم اليهودى سحرن النبى صلى الله عليه وسلم (فان قيل) ما معنى الاستعاذة من شرهن (أجيب) بثلاثة أوجه أحدها ان يستعاذ من عملهن الذى هو صنعة السحر ومن اثمهن فى ذلك ثانيها ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن

(سورة الفلق)

(قوله من شر) كرره اربع مرات لان شر كل منها غير شر البقية (فان قلت) فما اولها يشمل البقية فما فائدة اعادتها (قلت) فائدتها تعظيم شرها ودفع

ثالثها أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن قال الزمخشري ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله تعالى ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك *(تنبيه)* اختلف في النفث في الرقى فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذتين وروى محمد بن حاطب أن يده احترقت فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه وروى ان قوما لدغ رجل منهم فأتوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هل فيكم من راق قالوا لا حتى تجعلوا لنا شيأ فجعلوا لهم قطيعا من الغنم فجعل رجل منهم يقرأ فاتحة الكتاب ويرقى ويتفل حتى برئ فأخذوه فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريك أنها رقية خذوا واضربوا لي معكم بسهم وأنكر جماعة النفث والتفل في الرقى وأجازوا النفخ بلا ريق وقال عكرمة لا ينبغي للراقي أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل ان النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان فلا يضر فليس بمذموم ولا مكروه بل هو مندوب اليه * ولما كان أعظم حامل على السحر وغيره من أذى الناس الحسد وهو تمني زوال نعمة المحسود للحاسد أو غيره قال تعالى (ومن شر حاسد) أي ثابت الاتصاف بالحسد معروف فيه وأعظم الحساد الشيطان الذي ليس له دأب الا السعي في ازالة نعم العبادات عن الانسان بالغفلات ثم قيد ذلك بقوله تعالى (اذا حسد) أي اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لأنه اذا لم يظهر أثر ما أضمر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد وفي اشعار الآية ادعاء بما يحسد عليه من نعم الدارين لان خير الناس من عاش محسودا ومات محسودا (فان قيل) لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه (أجيب) بان النفاثات عرفت لانه كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين الحديث وقال أبو تمام

*وما حاسد في المكرمات بحاسد * وقال آخر * ان العلا حسن في مثلها الحسد *(فائدة)*

قال بعض الحكماء الحاسد بارز ربه من خمسة أوجه أولها أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره ثانيها أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول لم قسمت هذه القسمة ثالثها انه ضاد فعل الله تعالى ان فضل يؤتيه من شاء وهو يبخل بفضل الله تعالى رابعها أنه خذل أولياء الله تعالى أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم خامسها انه أعان عدو الله ابليس والحاسد لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملائكة الا لعنة ولا ينال في الدنيا الا جزعا وغما ولا ينال في الآخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله تعالى الا بعدا ومقتا وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم آكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين وقيل المراد بالحاسد في الآية اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل)

توهم انه لا شر لها الا في حالة فيها (ان قلت) كيف عرف النفاثات ونكر ما قبلها وما بعدها (قلت) لان كل نفاثة لها شر وليس كل غاسق وحاسد له شر والغاسق الليل

قوله تعالى من شر ما خلق تعميم فى كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد (أجيب) بانه قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امرهم وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كانما يغتال به وقالوا شر العداة المداجى الذى يكيدك من حيث لا تشعر وأخرج الامام احمد عن الزبير بن العوام أنه صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء ألا والبغضاء هى الحالقة فنسأل الله تعالى ان يحفظنا ومحبينا منه انه كريم جواد وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لقد أنزلت على سورتان ما أنزل مثلهما وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال وانك أن تقرأ سورتين لا احب ولا ارضى عند الله منهما يعنى المعوذتين وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا أخبرك بافضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وما رواه الزمخشرى ولم يقله البيضاوى هنا لكن قال فى آخر السورة الآتية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى فهو حديث موضوع

سورة الناس مكية

وهى ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله) المحيط بكل باطن كاحاطته بكل ظاهر (الرحمن) الذى عمت نعمته كل باد وحاضر (الرحيم) الذى خص اهل وده باتمام النعمة فى جميع أمورهم الاول منها والثانى والآخر ولما امر الله تعالى نبيه بالاستعاذة مما تقدم امره أن يستعيذ من شر الوسواس بقوله تعالى (قل) اى يا أشرف المرسلين (اعوذ) اى اعتصم والتجئ (برب) اى مالك وخالق (الناس) خصهم بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لامرين احدهما ان الناس يعظمون فاعلم بذكرهم أنه ربهم وان عظموا الثانى انه امر بالاستعاذة من شرهم فاعلمهم بذكرهم انه هو الذى يعيذ منهم ثم قال الملوى والرب من له ملك الرق وجلب الخيرات من السماء والارض وانقاذها ودفع الشرور ورفعها والنقل من النقص الى الكمال والتدبير العام العائد بالحفظ والتتميم على المربوب وقوله تعالى (ملك الناس) اشارة الى ان له كمال التصرف ونفوذ القدرة وتمام السلطان فاليه المفزع وهو المستغاث والملجأ والمنجا والمعاذ وقوله تعالى (اله الناس) اشارة الى انه تعالى كما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه فى ذلك احد فكذلك هو وحده الههم لا يشركه فى ألوهيته احد وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الايمان وتضمنت معانى أسمائه تعالى الحسنى فان الرب هو القادر الخالق الى غير ذلك مما يتوقف الاصلاح والرحمة والقدرة الذى هو معنى الربوبية عليه من أوصاف الجمال وان الملك هو الآمر الناهى المعز المذل الى غير ذلك من الاسماء العائدة الى العظمة والجلال وأما الاله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل فيه جميع الاسماء الحسنى وانتضمنها لجميع معانى الاسماء الحسنى كان المستعيذ جديرا بان يعاذ وقد وقع ترتيبها على الوجه الاكمل الدال على الوحدانية لان من رأى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة علم ان له مربيا فاذا درج فى

(سورة الناس)
ذكر فيها الناس خمس مرات تفصيلا لهم اولانفصال كل آية منهم فيها عن الاخرى بعدم العاطف اوالمراد بالاول الاطفال بقرينة معنى الربوبية وبالثانى الشبان بقرينة ذكر الملك الدال على السياسة وبالثالث الشيوخ بقرينة ذكر الاله الدال على

العروج في درج معارفه سبحانه علم أنه غني عن الكل والكل إليه محتاج وعن أمره تعالى تجري أمورهم فيعلم أنه ملكهم ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد إبداعهم أنه المستحق للإلهية بلا مشارك له فيها * (فائدة) * قد أجمع جميع القراء في هذه السورة على إسقاط الألف من ملك بخلاف الفاتحة كما مضى لأن الملك إذا أضيف إلى اليوم أفهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض وأنه لا أمر لأحد معه ولا مشاركة في شيء من ذلك وهو معنى الملك بالضم وأما إضافة المالك إلى الناس فإنها لا تستلزم أن يكون ملكهم فلو قرئ به هنا لنقص الملك بالضم واتفقوا في آل عمران على إثبات الألف في المضاف وحذفها من المضاف إليه لأن المقصود من السياق أنه سبحانه يعطي الملك من يشاء ويمنعه من يشاء والملك بكسر الميم أليق بهذا المعنى وأسرار كلام الله تعالى أعظم من أن تحيط بها العقول وإنما غاية أولي العلم الاستدلال بما ظهر منها * (تنبيه) * يجوز في ملك الناس وإله الناس أن يكونا وصفين لرب الناس وأن يكونا بدلين وأن يكونا عطف بيان واقتصر عليه الزمخشري قال كقولك سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا بإله الناس لأنه قد يقال لغيره رب الناس كقوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان (فإن قيل) هلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة (أجيب) بأن عطف البيان للبيان فكان مظنة للإظهار دون الإضمار (من شر الوسواس) وهو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به شيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ويقال لهمس الصائد والكلاب وأصوات الحلي وسواس والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم كما في الصحيح والذي يوسوس بالذنب سرا ليكون أحلى ولا يزال يزينه ويثير الشهوة الداعية إليه حتى يوقع الإنسان فإذا أوقعه وسوس لغيره أن فلانا فعل كذا حتى يفضحه بذلك فإذا افتضح ازداد جراءة على أمثال ذلك لأنه يقول قد وقع ما كنت أحذر من إيقاعه فلا يكون شيء غير الذي كان فيجترئ على الذنب [illegible] إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء غير السام وهو الموت وكان قد جعل دواء الوسوسة ذكره تعالى لأنه نار الشيطان [illegible] القلب وصقله وصف سبحانه الموسوس بما يتضمن الدواء بقوله تعالى (الخناس) أي الذي عادته أن يخنس أي يتوارى ويتأخر ويختفي بعد ظهوره مرة بعد مرة كلما كان الذكر خنس وكلما بطل الذكر عاد إلى وسواسه فالذكر له كالمقامع التي تقمع المفسد فهو شديد النفور منه ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلا كما حكي عن بعض السلف أن المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي الرجل بعيره في السفر قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه فإذا ذكر الله تعالى خنس ورجع ووضع رأسه فذلك قوله تعالى (الذي يوسوس) أي يلقي المعاني الضارة على وجه الخفاء والتكرير (في صدور الناس) أي المضطربين إذا غفلوا عن ذكر ربهم من غير سماع وقال مقاتل إن الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن

العبادة وبالرابع الصالح للموت بقرينة وسوسة الخناس وهو الشيطان المولع باغوائهم و بالخامس المقصود بقرينة عطفه على الجنة المتعوذ منهم (فان قلت) لم خص الناس بالذكر في الثلاثة الاولى

آدم مجرى الدم في عروقه سلطه الله تعالى على ذلك وقال القرطبي وسوسته هي الدعاء الى طاعته بكلام خفي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع صوت *(تنبيه)* يجوز في محل الذي يوسوس الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارئ على الناس ويبتدئ الذي يوسوس على أحد هذين الوجهين وقوله تعالى (من الجنة) أي الجن الذين هم في غاية الشر والتمرد والناس (والناس) أي أهل الاضطراب والذبذبة بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني وانسي كما قال تعالى شياطين الانس والجن ويجوز ان يكون بدلا من الذي يوسوس اي الموسوس من الجن والانس وأن يكون حالا من الضمير في يوسوس أي حال كونه من هذين الجنسين وقيل غير ذلك قال الحسن هما شيطانان لنا أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس وأما شيطان الانس فيأتي علانية وقال قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وعن أبي ذر قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس فقال أومن الانس شياطين قال نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الآية وذهب قوم الى ان المراد بالناس هنا الجن سموا ناسا كما سموا رجالا في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وكما سموا نفرا في قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن وكما سموا قوما نقل الفراء عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقفوا فقيل من انتم فقالوا ناس من الجن فعلى هذا يكون والناس عطفا على الجنة ويكون التكرير لاختلاف اللفظين والجنة جمع جني كما يقال انس وانسي والهاء لتأنيث الجماعة وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس فعلى هذا يكون في صدور الناس عاما في الجميع ومن الجنة والناس بيانا لما يوسوس في صدورهم وقيل معنى من شر الوسواس الوسوسة التي تكون من الجنة والناس وهو حديث النفس قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها مالم تعمل او تتكلم به وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تر آيات نزلت الليلة لم ير مثلهن قط أعوذ برب الفلق وأعوذ برب الناس وعنه أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات وعنها ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرؤهما عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل واطراف النهار وعن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل وعن ابي هريرة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما اذن الله لاحد ما اذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به *(لطيفة)*

قوله بدلا من الذي الخ كذا في النسخ وهو غير ظاهر والصواب حالا من الذي اه

مع انه تعالى رب كل شئ وملكه واله (قلت) تشريفا لهم وتفضيلا على غيرهم (قوله الذي يوسوس في صدور الناس) أي قلوبهم (قوله من الجنة والناس) بيان للشيطان الموسوس فهو جني وانسي

فختم بها كما ختم بها الفخر الرازى رحمه الله تعالى تفسيره وهى ان المستعاذ به فى السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهى انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات وهى الغاسق والنفاثات والحاسد وأما فى هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاث وهى الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهى الوسوسة والفرق بين الموضعين ان الثناء يجب ان يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب فى السورة الاولى سلامة النفس والبدن والمطلوب فى السورة الثانية سلامة الدين وهذا تنبيه على ان مضرة الدين وان قلت أعظم من مضار الدنيا وان عظمت ۞ وهذا آخر ما يسره الله تعالى من السراج المنير فى الاعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير فدونك تفسيرا كانه سبيكة عسجد اودر منضد جمع من التفاسير معظمها ومن القرا آت متواترها ومن الاقاويل أظهرها ومن الاحاديث صحيحها وحسنها محرر الدلائل فى هذا الفن مظهر الدقائق استعملنا الفكر فيها ذا الليل جن فاذا ظفرت بفائدة شاردة فادع لى بالتجاوز والمغفرة او بزلة قلم او لسان فافتح لها باب التجاوز والمعذرة

فلا بد من عيب فان تجدنه ٭ فسامح وكن بالستر أعظم مفضل

فمن ذا الذى ما ساء قط ومن له الـ ٭ ـمحاسن قد تمت سوى خير مرسل

وأنا أعوذ بجميع كلمات الله الكاملة التامة والوذ بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يكلم الدين ويثلم اليقين او يعود فى العاقبة بالندم او يقدح فى الايمان المنوط بالعلم والدم وأسأله بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذى هو الشيبة فى الاسلام متوسلا اليه بسيد الانام عليه الصلاة والسلام وبالتوبة المعصمة للآثام وبما عنيت به من مصابرتى على درا كل من القوى وتفاذل من الخطا ثم أسأله بحق صراطه المستقيم وقرآنه المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين فى عمل هذا التفسير المبين عن حقائقه الخاص عن مضايقه المطلع على غوامضه المثبت فى مداحضه المكتنز بالفوائد التى لا توجد الا فيه المحيط بما لا يكتنه من بديع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول وتجنب المستكره المملول متوسط الحجم وخير الامور أوساطها لا تفريطها ولا افراطها هما ولسان التقصير فى طول مدحه قصير

أعيذه بالمصطفى ٭ من حاسد تقدما

بذمه وقد غدا ٭ من أجله مهتما

فليس يبغى ذمه ٭ الا بغيض أعمى

كفاه ربى شرهم ٭ وزان منه لرسما

وراد فى تدبيرهم ٭ تدميرهم والعمى

وردهم بغيظهم ٭ فلم ينالوا نعما

وزاده سعادة ٭ ولازمته النعمى

فنسأل الله الكريم الذى به الضر والنفع والاعطاء والمنع أن يجعله لوجهه خالصا وان

كقوله تعالى شياطين الانس والجن واعترض بان الناس لا يوسوسون فى صدور الناس انما يوسوس فى صدورهم الجن وأجيب بان الناس يوسوسون فى صدور الناس أيضا بواسطة وسوسة تلم ابه ...

يداركني بالطافه اذا الظل أضحى في القيامة قالصا وأن يتجاوز عني انه هو السميع العليم وأن يرفع به درجتي في جنات النعيم وان يجعله ذخيرة لي عنده انه ذو الفضل العظيم وأن ينفع به من تلقاه بالقبول انه جواد كريم وان يخفف عني كل تعب ومؤنه وأن يمدني بحسن المعونه وان يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء وان يتجاوز عن فرطاتي يوم التناد ولا يفضحني بها على رؤس الاشهاد انا ووالدي وأولادي وأقاربي ومشايخي وأحبابي ويحلنا دار المقام من فضله بواسع طوله وسابغ نواله انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم وهذا شيء ما كان في قدرتي فاني والله معترف بقصر الباع وكثرة الزلل ولكن فضل الله تعالى وكرمه لا يعلل بشيء من العلل فلهذا رجوت ان أكون متصفا باحدى الخصال الثلاث التي اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا منها بل ارجو من الله الكريم اجتماعها انه جواد كريم حليم (قال) المؤلف رحمه الله تعالى وكان الفراغ من تأليفه يوم الاثنين المبارك ثالث عشر صفر الخير من شهور سنة ثمان وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على يد مؤلفه فقير رحمة ربه القريب محمد بن أحمد الشربيني الخطيب غفر الله تعالى له ذنوبه وستر في الدارين عيوبه والمسلمين والحمد لله رب العالمين وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين والصحابة والتابعين اجمعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين

يعني يلتقي بهم في الظاهر حتى تصل وسوستهم الى الصدور والله أعلم بالصواب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حمدا لك يا من زينت سماء القلوب بأنوار العرفان وحليت الصدور من جواهره بفرائد العرفان ونشكرك أن انزلت كتابا احكمت آياته اي احكام لا تخلق معجزاته على ممر الدهور والاعوام ونصلي ونسلم على السراج المنير الذي جاء بالتبصير والتيسير الكشاف عن اسرار التنزيل بروح البيان المودع معالم التأويل تبيان كل شيء وأي تبيان سيدنا محمد المؤيد بالفتح المبين المبعوث رحمة الى كافة العالمين المؤيد بكتاب أعجز البلغاء ان يحوموا حول مدانيه وأخرس الفصحاء عن تحدي كان اقصر سوره ومتشابهاته وعلى آله الطاهرين وصحابته اجمعين (وبعد) فيقول المتوسل بالنبي الخاتم خادم التصحيح بدار الطباعة محمد قاسم ان اعلى ما تبتهج به نفوس الفضلاء واغلى ما تنشرح له صدور جهابذة النبلاء فهم كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وليس ذلك الا بعلم التفسير المتلقى عن أكابر الائمة الصادرين اذ هو الكاشف عن حقائقه المبرز لنكاته ودقائقه المعرب عن غرائبه المشير الى بدائعه وعجائبه وان التفسير المسمى بالسراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للعلامة الامام والفهامة الهمام من بزغت شموس كمالاته في سماء العرفان فحاز قصب السبق في مضمار المعاني والبيان سيدنا ومولانا محمد الشربيني الخطيب اسعده الله تعالى بخاص وده في دار التقريب كتاب قد اشرقت شموس التحقيق من مطالع عباراته وازهرت انوار التدقيق من اكمام اشاراته كم ابرز نفيسه ابريز معان تاخذ بالالباب من طرفها ويتحف الذهن

اللبيب

اللبيب من حسن صوغ مبانيها عجبا وناهيك بتفسير استخرج زبدة الكشاف طارحا
ما به من زبد الزيغ والاعتساف واستلب من اسرار التنزيل للقاضي البيضاوي أخلاف
دره وانتقى من مفاتيح الغيب للامام الرازي فرائد دره وقصارى التعبير قصر لسان البليغ
عن حصر محاسن هذا التفسير كما يشهد بذلك العالم النحرير ويعترف بها هنالك الناقد
البصير فكان حريا ان تطبع الطبعة الثانيه لفوائده التي هي لغلة الصادي شافية وافيه
مرصعة في هذه المرة هوامشه الحسان بفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لملك العلماء
وامام الاجلة الفضلاء خاتمة المحققين وطراز عصابة المدققين شيخ الاسلام وحبر الانام
قاضي القضاة مولانا زكريا الانصاري امطره بهوامع احسانه الكريم الباري ولعمري
انه لكتاب عديم المثال بعيد المنال احرز من الدقائق القرآنيه وابرز من نكات الآي
الفرقانيه مع الوجازة والاختصار ما خلت عنه اسفار التفاسير الكبار فما ابدع فوائده
وغرره وما أثمن فرائده ودرره هذا وكان طبعه الناضر ووضعه الانيق الباهر بمطبعة
بولاق التي أينعت ثمارها بالآفاق مقابلا على عدة نسخ ثم مع نسخة الطبع الاولى فجاء
بحمد الله تعالى مكرره احلى واعلى وذلك في ظل من نضرت به الايام وعم بحار فضله الانام
صاحب السعاده وكوكب افق السياده والمجاده من هو بحسن الثناء عليه حقيق الخديو
الاعظم محمد توفيق متعه الله تعالى بوجود انجاله الكرام وجعله غرة حسنة
في جبين الليالي والايام مشمولا طبعه بادارة صاحب نظارتها المنمر عن
ساعد الجد في تحرير انظارها ونضارتها من به جودة المعارف
الى اوج الكمال رقت سعادة مديرها علي بك جودت
وقد طلع بدر تمامه وفاح مسك شذى ختامه
في اواخر محرم الحرام عام تسع وتسعين
ومائتين والف من هجرة من هو
للانبياء ختام صلى الله عليه
وعلى آله واصحابه
وكل ناسج على
منواله